إهـــــــداء2005

الأستاذ الدكتور/ أحمد حمدي محمود

القاهرة

تراثنا

كتاب الأغاني

تأليف

أبى الفرج الأصبهانى على بن الحسين

٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

الجزء الخامس

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب
مع إستدراكات وفهارس جامعة

وزارة الثقافة والارشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطابع كوستاتسوماس وشركاه
٥ شارع وقف الخربوطلي بالظاهر ت ٩٠٠١١٨
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الخامس

من كتاب الأغاني

ذكر النابغة الجَعْدىّ ونسبه وأخباره

والسبب الذى من أجله قيل[1] هذا الشعر

نسبه وكنيته

هو — على ما ذكر أبو عمرو الشَّيْبانىّ والقَحْذَمىّ، وهو الصحيح، — حِبّان[2] ابن قيس بن عبد الله بن وَحْوَح بن عُدَس[3] — وقيل ابن عمرو بن عُدَس مكان وحوح — ابن رَبيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية ابن بكر بن هَوازِن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر. هذا النسب الذى عليه الناس اليومَ مجتمعون. وقد روى ابن الكَلْبىّ وأبو اليَقْظان وأبو عُبيدة وغيرُهم فى ذلك رواياتٍ تُخالف هذا، فمنها أن [ابن][4] الكلبىّ ذكر عن أبيه أن خَصَفة الذى يقول الناس إنه ابن قيس بن عَيْلان ليس كما قالوا، وأن عِكْرِمة ابنُ قيس بنِ عَيْلان وخَصَفة أمه، وهى امرأة من أهل هَجَر. وقيل :

(١) فى م : «قال» والمراد بهذا الشعر ماورد فى آخر الجزء الرابع من هذه الطبعة ونسب للنابغة .

(٢) كذا فى أسد الغابة (ج ٥ ص ٢) وخزانة الأدب (ج ١ ص ٥١٢) والإصابة (ج ٦ ص ٢١٨) والاستيعاب (ج ١ ص ٣٢٠) . وفى جميع الأصول : «حسان» .

(٣) عدس : هو بضم العين وفتح الدال، وكذا ضبط كل من اسمه عدس فى العرب إلا عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم فهو وحده بضم العين والدال . (راجع مختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب ص ٤ طبع أوربا) .

(٤) التكملة عن م .

بل هى حاضنته ؛ وكان قيس بن عَيْلان قد مات وعِكْرِمة صغير فربّته حتى كبِر، ١٢٩/٤ وكان قومه يقولون : هذا عكرمة بن خَصَفة، فبقيت عليه ؛ ومن لا يعلم يقول : عكرمة بن خَصَفة بن قيس ، كما يقال خِنْدِف(١) ، وإنما هى آمرأة وزوجها إلياس بن مضر . وقالوا فى صَعْصَعة بن معاوية : إن الناقمية(٢) بنت عامر ابن مالك ، وهو الناقم(٣) ، سُمّى بذلك لأنه انتقم بلطمةٍ لُطِمها ، وهو ابن سعد بن

---

(١) خندف (كزبرج) هى ليلى بنت حلوان بن عمران زوج إلياس بن مضر، وأولادهما : عمرو وهو مدركة وعامر وهو طابخة وعمير وهو قمعة ، وزعموا أن سبب هذه التسمية أن إلياس خرج مرة فى نجعة فنفرت إبله من أرنب ، فخرج إليها عمرو فأدركها ، وخرج عامر فتصيدها وطبخها ، وانقمع عمير فى الخباء ، وخرجت أمهم ليلى تسرع ، فقال لها إلياس : أين تخندفين؟ فقالت : ما زلت أخندف فى أثركم . فلقبوا مدركة وطابخة وقمعة وخندف فذهب لها أسما ولولدها نسبا (شرح القاموس مادة خندف) .

(٢) فى شرح القاموس مادة «نقم» : «والناقمية هى رقاش بنت عامر و بنوها بطن من عبدالقيس نسبوا إلى أمهم . وقال ابن الأثير : هى أم ثعلبة وسعد ابنى مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بها يعرفون . وقال الكلبى : تزوج غنم بن حبيب بن كعب بن بكر بن وائل الناقية وهى رقاش بنت عامر وهى عجوز فقيل : ما تريد منها ؟ فقال : لعلى أتعيز منها غلاما فولدت منه غلاما سمى عيز وأنشد الجوهرى لسعد بن زيد مناة :

لقد كنت أهوى الناقيــة حقبة * فقد جعلت آسان وصل تقطع»

الآسان : جمع أسن بضمتين و بالكسر وتسكين السين وكعتل : الحبل . وكتب مصحح شرح القاموس بهامشه ما نصه : «قوله : أتعيز كذا بالنسخ وحرره» ولم نجد هذه الكلمة فى مادتها فى الكتب التى بين أيدينا ؛ وقد استقصيناها فوجدنا صوابها فى شرح القاموس فى مادة «غبر» حيث قال : «وتزوج غنم (وفى القاموس عثمان وهو غلط) بن حبيب بن كعب بن بكر بن يشكر بن وائل امرأة مسنة اسمها رقاش بنت عامر فقيل له : إنها كبيرة السن ! فقال : لعلى أتغبر منها ولدا أى أستفيده فلما ولد له سماه غبر كزفر فهو أبو قبيلة» اهـ .
وجاء فى لسان العرب مادة «غبر» ما نصه : «تزوج رجل من العرب امرأة قد أسنت فقيل له فى ذلك فقال : لعلى أتغبر منها ولدا فولدت له غبر ، مثل عمر ، وهو غبر بن غنم بن يشكر بن بكر بن وائل ، ومعنى أتغبر منها ولدا : أستفيد منها ولدا» اهـ . وقد ورد أيضا فى المشتبه للذهبى ومختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب (ص ٢٣ طبع أوربا) : «غبر (بالغين المعجمة و بالباء الموحدة) بن غنم بن حبيب بن معاذ بن عمرو ابن الحارث بن معاوية بن بكر بن هوازن» اهـ .

(٣) كذا فى شرح القاموس والصحاح للجوهرى (مادة نقم) . وفى جميع الأصول : «مسعود» .

جَدّان[1] بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار، كانت عند معاوية بن بكر بن هَوازن فمات عنها أو طلّقها وهى نَسِء[2]، فتزوّجها سعد بن زيد مَنَاة بن تميم، فولدتْ على فراشه صعصعةَ بن معاوية، ثم ولدت هُبَيْرة ونَجْدَة وجُنَادة؛ فلما مات سعد اقتسم بنوه الميراثَ وأخرجوا صعصعة منه، وقالوا: أنت ابن معاوية بن بكر؛ فلما رأى ذلك أتى بنى معاوية بن بكر فأقرّوا بنسبه ودفعوه عن الميراث. فلما رأى ذلك أتى سعدَ بن الظَّرِب العَدْوانىّ فشكا إليه ما لقى، فزوّجه بنتَ أخيه عَمْرة بنت عامر بن الظَّرِب، وأبوها عامر الذى يقال له: ذو الحِلْم[3]؛ وعَمْرة ابنتُه هذه هى التى كانت تَقْرَع[4] له العصا إذا سها فى الحكم؛ وله[5] يقول الشاعر[6]:

لذى الحِلْم قبلَ اليومِ ما تُقرَع العصا * وما عُلِّم الإنسانُ إلا ليَعْلَمَا

قال: وكانت عَمْرة يوم زوّجها عمُّها نسئا من ملك من ملوك اليمن يقال له: الغافِق بن العاصى الأَزْدىّ، والمُلْك يومئذ فى الأَزْد، فولَدت على فراش صعصعة عامرَ بن صعصعة، فسمّاه صعصعةُ عامرًا بجدّه عامر بن الظَّرِب. وقال فى ذلك حبيب بن وائل بن دُهْمان بن نصر بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن:

---

(١) كذا فى شرح القاموس مادة جدد وكتاب مختلف القبائل ومؤتلفها (طبع أوربا ص ٣) وهو قريب لما جاء فى نسخة م من التصحيف فقد ورد فيها: «حدان» بالحاء المهملة. وفى سائر الأصول: «خندف» وهو خطأ. (٢) النسء (بالتثليث): المرأة المظنون بها الحمل، وقيل: التى ظهر حملها. (٣) كذا فى م وهو الموافق لما جاء فى اللسان والقاموس (مادة قرع) ومجمع الأمثال للميدانى (طبع بولاق ج ١ ص ٣٢). وفى سائر الأصول: «الحكم» بالكاف وظاهر أنه تحريف. (٤) قيل: إن أول من قرعت له العصا عمرو بن مالك بن ضبيعة أخو سعد بن مالك الكنانى، وقيل: خالد بن ذى الجدّين حكم ربيعة، وقيل: هو ربيعة بن مخاشن حكم تميم، وقيل: هو عمرو بن حممة الدوسىّ حكم اليمن. (راجع شرح القاموس مادة قرع ومجمع الأمثال للميدانى). (٥) كذا فى م. وفى باقى الأصول: «ولها يقول الشاعر». (٦) نسب هذا البيت فى اللسان وشرح القاموس (مادة قرع) الى المتلمس.

أزعمتَ أنّ الغافقىّ أبوكمُ * نسبٌ لَعَمْرُ أبيك غيرُ مفنَّدُ(1)
وأبوكمُ مِلكٌ يُنتِّفُ بآسته * هَلْباءَ(2) عافيةً كعُرف الهُدْهُدِ
جَنَحتْ عجوزُكمُ إليه فردّها * نسئًا بعامركم ولمّا يُويِدِ

ويكنى النابغةُ أبا ليلى .

وأخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سلّام قال :

هو قيس بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة بن [جَعدة(3) بن كعب بن ربيعة بن عامر بن] صعصعة . وقال ابن الأعرابىّ : هو قيس بن عبدالله بن عمرو بن عُدَس ابن ربيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة ، ووافق ابنَ سلّام فى باقى(4) نسبه . وهذا وَهْمٌ ممن قال : إن آسمه قيس(5) ، وليس يُشَكّ فى أنه كان له أخ يقال له وَحْوَح بن قيس ، وهو الذى قتله بنو أسد ، وخبره يُذكر بعد هذا ليصدق نسب النابغة .

وأمه فاخرة بنت عمرو بن جابر بن شَحْنة الأَسَدىّ .

سبب لقبه النابغة

وإنما سمّى النابغةَ لأنه أقام مدّةً لا يقول الشعر ثم نبَغ فقاله .

---

(1) مفند : مكذب . (2) هلباء : كثيرة الشعر ، يقال : رجل أهلب وامرأة هلباء . والهلباء صفة غالبة على الأست . وعافية : طويلة الشعر غزيرته ، يقال : عفا شعر البعير اذا طال وكثر فغطى دبره ، وفلان عفا شعره وأعفاه : تركه حتى طال وكثر . (3) التكلة عن م وطبقات الشعراء لابن سلام (ص ٢٦ طبع ليدن) . (4) كذا فى م . وفى سائر النسخ : «فى بعض نسبه» . (5) ورد فى كتاب المعمرين لأبى حاتم السجستانى (ص ٧١ طبع ليدن) أن اسمه قيس بن عبد الله . وقد استدل المؤلف على بطلان قولهم بأن له أخا يسمى وحوح بن قيس ، واذا فقيس اسم أبيه لا اسمه . قال فى الإصابة : «ويحتمل أن يكون أخاه لأمه» . ولعل مصدر هذا الاحتمال قول النابغة :

ألم تعلمى أنى رزئت محاربا * فما لك منه اليوم شىء ولا ليا
ومن قبله ما قد رزئت بوحوح * وكان "ابن أمى" والخليل المصافيا

والتعبير عن الأخ بابن الأم يحتمل معه أن يكون الأخوان لأب واحد أو لأبوين . وذكر ابن قتيبة فى كتابه طبقات الشعراء (ص ١٥٨ طبع ليدن) مانصه : «هو عبد الله بن قيس من جعدة ... الخ» .

أخبرنى الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأت على القَحْذمىّ :

قال الجعدىّ الشعرَ فى الجاهلية ثم أَجْبَلَ(١) دهرا ثم نَبَغ بعدُ فى الشعر فى الإسلام .

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابىّ قال :

أقام النابغة الجعدىّ ثلاثين سنة لا يتكلّم ، ثم تكلّم بالشعر .

عمره وشعره فيه

قال القَحْذمىّ فى رواية حمّاد عنه : كان الجعدىّ أسنّ من نابغة بنى ذُبيان .

قال ابن سلّام فى رواية أبى خَليفة عنه : كان الجعدىّ(٢) النابغةُ قديما شاعرا طويلا مُفلِقا طويل البقاء فى الجاهلية والإسلام ، وكان أكبر من الذُّبيانىّ ؛ ويدلّ على ذلك قولُه :

ومن يكُ(٣) سائلا عنّى فإنى * من الفِتيان أيامَ الخُنانِ(٤)

١٣٠/٤

أتت مائةٌ لعامَ وُلِدتُ فيه * وعَشْرٌ بعدَ ذاك وحِجّتانِ

فقد أبقتْ خطوبُ الدهر منّى * كما أبقتْ من السيف اليَمانِى

[قال(٥) وعُمِّرَ بعد ذلك عُمْرًا طويلا . سُئل محمد بن حبيب عن أيام الخُنان ماهى؟ فقال : وقعةٌ لهم ؛ فقال قائل منهم وقد لقُوا عدوّهم : خُنُوهم(٦) بالرماح ، فسُمّىَ ذلك

(١) أجبل الشاعر : صعب عليه القول . (٢) عبارة ابن سلام فى كتابه طبقات الشعراء (ص ٢٦) : «وكان النابغة شاعرا قديما مفلقا فى الجاهلية والاسلام وكان .. الخ » . (٣) ورد هذا الشطر فى كتاب الشعر والشعراء (ص ١٦٢) وشرح القاموس مادة خنن هكذا :

* ومن يحرص على كبرى فانى *

(٤) الخنان (كغراب) : داء يأخذ الطير فى حلوقها وفى العين وزكام للإبل ، وزمن الخنان كان فى عهد المنذر بن ماء السماء ، قال الأصمعىّ : كان الخنان داء يأخذ الإبل فى مناخرها وتموت منه ، فصار ذلك تاريخا لهم . (٥) هذا الخبر الموضوع بين قوسين مذكور فى ء ، م دون سائر الأصول .

(٦) خنوهم : اقطعوهم .

العامُ الحُنانَ . ويدل على أنه أقدم من النابغة الذبيانىّ أنه عُمِّر مع المُنذر بن المُحرِّق قبل النعمان بن المنذر، وكان النابغة الذبيانىّ مع النعمان بن المنذر وفى عصره، ولم يكن له قِدَمٌ إلا أنه مات قبل الجَعْدىّ، ولم يُدرِك الإسلام . والجعدىّ الذى يقول :

تذكَّرتُ شيئًا قد مضَى لسبيلِهِ * ومِنْ عادةِ المحزونِ أن يَتذكَّرَا
نَداماىَ عند المُنذرِ بنِ مُحرِّقٍ * أرى اليومَ منهم ظاهرَ الأرضِ مُقفِرَا
كُهولٌ وفِتيانٌ كأنّ وجوهَهم * دنانيرُ ممّا شِيفَ (١) فى أرضِ قَيصَرا]

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى عبدالله بن محمد بن حكيم عمن كان يأخذ العلمَ عنه ولم يُسمِّ (٢) إلىّ أحدا فى هذا :
أن النابغة عُمِّر مائة وثمانين سنة، وهو القائل :

لبِستُ أناسًا فأفنيتُهم * وأفنيتُ بعد أناسٍ أناسَا
ثلاثةَ أهلِينَ أفنيتُهم * وكان الإلٰه هُوَ المُستآسَا (٣)

وهى قصيدة طويلة، يقول فيها، وفيه غناء، :

صــــوت

وكنتُ غلامًا أُقاسِي الحُرو * بَ يلْقَى المُقاسون منّى مِراسَا
فلمّا دَنَوْنا لجَرْسِ (٤) النَّبَا * حِ لم نعرفِ الحىَّ إلا آلتماسَا
أضاءتْ لنا النّارُ وجهًا أَغَرّ * مُلتبِسا بالفُؤادِ آلتباسَا

غنّى فى هذه الثلاثة الأبيات فُلَيح بن أبى العَوْراء خفيفَ ثقيل أوّل بالوسطى.

(١) كذا فى جمهرة أشعار العرب، وشاف الدينار أو السيف : جلاه . وفى م ، ب ، س المذكور فيهما هذا الخبر : « سيق » بالسين والقاف ، وهو تحريف . (٢) كذا فى م . وفى باقى الأصول : «ولم يسم أحدا إلا فى هذا» . (٣) المستآس : المستعاض والمستعان، من الأوس، وهو العوض والعطية . (٤) جرس النباح : صوت نباح الكلاب .

رجع الخبر إلى رواية عمرَ بن شبّة :

قال : وقال أيضا :

ألا زعمتْ بنو سعدٍ بأنّى ... ــ ألَا كذَبوا ــ كبيرُ السنّ فانى

أتتْ مائةٌ لعامَ وُلدتُ فيه * وعشرٌ بعد ذاك وحِجّتانِ

قال : وأنشد عمرَ بنَ الخطاب رضى الله تعالى عنه أبياتَه التى يقول فيها :

* ثلاثةَ أهلين أفنيتُهم *

فقال له عمر رضى الله تعالى عنه : كم لبِثتَ مع كل أهل؟ قال : ستين سنة .

سمع أعجمىّ شعره فقال إنه مشئوم

وأخبرنى بعض أصحابنا عن أبى بكر بن دُرَيد عن عبدالرحمن آبن أخى الأصمعىّ عن عمّه قال :

أنشد رجلٌ من العجم قولَ النابغة الجعدىّ :

لبِستُ أُناسًا فأفنيتُهم * وأفنيتُ بعد أُناس أناسَا

قيل إنه عاش ٢٢٠ سنة

وفُسِّر له ، فقال : "بدين شان بود"، أى هذا رجل مشئوم . وأما آبن قُتيبة فإنه ذكر ما رواه لنا عنه إبراهيم بن محمد أنه عُمّر مائتين وعشرين سنة ، ومات بأَصْبهان . وما ذاك بمُنكَر[(١)]؛ لأنه قال لعمر رضى الله تعالى عنه : إنه أفْنى ثلاثةَ قرون كلّ قرن ستون سنة، فهذه مائةٌ وثمانون، [ثم عمِّر[(٢)] بعده فمكث بعد قتْل عمر خلافةَ عثمان وعلىّ ومعاوية ويزيد ، وقدِم على عبد الله بن الزبير بمكة وقد دعا لنفسه ، فآستماحه ومدَحه، وبين عبد الله بن الزبير وبين عمر] نحوٌ ممّا ذكر آبنُ قتيبة ، بل

(١) كذا فى م . وفى باقى الأصول : «الا أنه ... الخ» وهو تحريف . (٢) هذا ما ورد فى م . وفى باقى الأصول : «ثم عمر بعدهم فمكث بعد قتل عمر الى خلافة عثمان ... ... وبين هؤلاء وعمر نحو ... ... الخ» .

لا أشك أنه قد بلغ هذه السنّ وهاجى أَوْسَ بن مَغْراء بحضرة الأخطل والعجّاج وكعب بن جُعَيل فغلبه أوسٌ، وكان مُغَلَّبًا (١).

أنشد النبي شعرا فدعا له

حدّثنا أحمد بن عمر بن موسى القطّان المعروف بآبن زَنْجَوَيْه قال حدّثنا إسماعيل بن عبد الله السكّرىّ قال حدّثنا يَعْلَى بن الأَشْدق العُقَيلىّ قال حدّثنى نابغة بنى جَعْدة قال :

أنشدتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم هذا الشعرَ فأُعجِب به :

بلغنا السماء مَجْـدُنا وجدودُنا (٢) * وإنا لنَبْغِى فوقَ ذلك مَظْهَرَا

فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : " فأين المَظْهرُ يا أبا ليلى "؛ فقلت : الجنة؛ فقال : " قل إن شاء الله "؛ فقلت : إن شاء الله . ١٣١/٤

ولا خَيْرَ فى حِـلْمٍ إذا لم يكن له * بَوادِرُ تَحْمِى صَـفْوَه أن يُكَدَّرَا
ولا خيرَ فى جهلٍ إذا لم يكن له * حليمٌ إذا ماأَوْرَدَ الأمرَ أَصْدَرَا

فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : " أَجَدْتَ لا يَفْضُضِ اللهُ فاك "؛ قال : فلقد رأيته وقد أتت عليه مائة سنة أو نحوُها وما آنفضّ من فِيه سِنّ .

أنكر الخمر فى الجاهلية وهجر الأزلام والأوثان

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرنى أبو حاتم قال أخبرنا أبو عُبيدة قال :

---

(١) يقال : شاعر مغلب أى كثيرا ما يغلب .

(٢) فى جمهرة أشعار العرب (طبع مطبعة بولاق الأميرية) :

بلغنا السما مجدا وجودا وسوددا * وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

وفى اللسان (مادة ظهر) :

بلغنـا السماء مجـدنا وسـناؤنا * ... ...

كان النابغة الجَعْدىّ ممن فكّر فى الجاهلية وأنكر الخمرَ والسُّكر وما يفعل بالعقل، وهجَر الأزلام[١] والأوثان[٢]، وقال فى الجاهلية كلمتَه التى أوّلها :

الحمد لله لا شريكَ لَهُ * من لم يقُلْها فنفسَه ظلَما

وكان يذكر دين إبراهيم والحنيفيّة، ويصوم ويستغفِر، ويتوقّى[٣] أشياء لعواقبها .

وفد على النبى وأسلم

ووفَد على النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال :

أتيتُ رسولَ الله إذ جاء بالهُدى * ويتلو كتاباً كالمَجَرّة[٤] نيّرَا

وجاهدتُ حتى ما أُحِسّ ومن معى * سُهَيلًا إذا مالاح ثَمّتَ غَوّرَا

أُقيم على التقوى وأرضى بفعلها[٥] * وكنتُ من النار المَخُوفة أَوْجَرا[٦]

وحسُن إسلامُه، وأنشد النبيَّ صلى الله عليه وسلم؛ فقال له : "لا يَفْضُضِ الله فاك"؛ وشهِد مع علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه صِفِّينَ . وقد ذُكِر خبره [مع عمر رضى الله عنه، وأما خبره][٧] مع عثمان فأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال مَسْلَمة بن مُحارِب :

---

(١) الأزلام : قداح كانت فى الجاهلية مكتوب عليها الأمر والنهى : افعل ولا تفعل، كان الرجل منهم يضعها فى وعاء له، فاذا أراد أمرا مهما من سفر أو زواج، أدخل يده فأخرج منها زلما (الزلم بفتحتين أو بضم ففتح) فان خرج الأمر مضى لشأنه، و إن خرج النهى كف عنه ولم يفعله . (٢) الوثن : الصنم ما كان، وقيل : الصنم الصغير، وقال ابن الأثير : الوثن كل ماله جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة كصورة الآدمىّ تعمل وتنصب فتعبد، والصنم : الصورة بلا جثة، ومنهم من لم يفرق بينهما وأطلقهما على المعنيين . (٣) كذا فى م . وفى باقى الأصول : «يتوقع»، وهو تحريف . (٤) المجرة : نجوم كثيرة لا تدرك بمجرّد البصر و إنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء . (٥) كذا فى م وهو الموافق لما فى الإصابة . وفى باقى الأصول : «بفعله» . (٦) أوجر : خائف، يقال : وجر من الشىء إذا خاف، وبابه كفرح، والوصف منه وجر وأوجر . (٧) التكملة عن م .

استأذن عثمان فى سكنى البادية

دخل النابغة الجعدىّ على عثمان رضى الله تعالى عنه فقال : أَستودعك الله يا أمير المؤمنين؛ قال: وأين تريد يا أبا ليلى؟ قال: أَلحَقُ بإبلى فأشرَبُ من ألبانها فإنى مُنكِر لنفسى؛ فقال : أتعرّبًا[1] بعد الهجرة يا أبا ليلى! أمَا علمتَ أن ذلك مكروه ؟! قال : ما علمتُه، وما كنت لأخرجَ حتى أُعلِمَك . قال: فأذِن له، وأجّل له فى ذلك أجلا ؛ فدخل على الحسن والحسين آبنى علىّ فودّعهما ؛ فقالا له : أَنشِدْنا من شعرك يا أبا ليلى؛ فأنشدهما :

الحمدُ لله لا شريكَ لهُ * من لم يقُلْها فنفسَه ظلَمَا

فقالا : يا أبا ليلى ، ما كنا نروى هذا الشعرَ إلا لأُمَيّة بن أبى الصّلت ؛ فقال : يآبنىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى لصاحبُ هذا الشعر وأوّل من قاله ، وإن السّروقَ[2] لَمَن سرَق شعرَ أُمية .

كان مغلبا ما هاجى قط إلا غلب

قال أبو زيد عمرُ[3] بن شَبّة فى خبره :

كان النابغة شاعرا متقدّما ، وكان مغلَّبا ماهاجى قطّ إلا غُلِب، هاجى أوسَ ابن مَغْراء وليلى الأخيليّة وكعبَ بن جُعَيل فغلبوه جميعا .

مهاجاته أوس ابن مغراء

وقال أبو عمرو الشّيبانىّ : كان بدءُ حديث النابغة وأوس بن مغراء أنّ معاوية لمّـا وجه بُسْرَ بن أرْطَاة[4] الفِهْرىّ لقتل شيعة علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه،

---

(١) يقال : تعرّب الرجل : صار أعرابيا بعد أن كان عربيا وفى الحديث : ثلاث من الكبائر : منها التعرّب بعد الهجرة وهو أن يعود الى البادية ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجرا . (٢) فى م : «إن السروق عين السروق من ...» . (٣) فى الأصول : « قال أبو زيد قال عمر ... الخ » بزيادة « قال » وهو خطأ ، اذ أبو زيد كنية عمر بن شبة . وفى م : « قال أبو زيد فى خبره » بدون «عمر بن شبة» . (٤) فى أسد الغابة «وقيل : ابن أبى أرطاة» ومثله فى طبقات آبن سعد . وفى الاستيعاب : «بسر بن أرطاة بن أبى أرطاة» وهو أحد من بعثه عمر بن الخطاب مددا لعمرو بن العاص لفتح مصر وشهد صفين مع معاوية وكان شديدا على علىّ وأصحابه .

قام إليه معنُ بن يزيد بن الأَخْنَس السُّلَمِيّ وزياد بن الأشهب بن وَرْد بن عمرو ابن رَبيعة بن جَعْدة، فقالا : يا أمير المؤمنين، نسألك بالله وبالرحم ألّا تجعل لبُسْر على قيس سلطانا، فيقتل(١) قيسا بمن قتلتْ بنو سُلَيم من بنى فِهْر وبنى كِنَانة يومَ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة؛ فقال معاوية : يا بُسر لا أَمْرَ(٢) لك على قيس؛ وسار بسرٌ حتى أتى المدينة، فقتَل ابنَى(٣) عبيد الله بن العباس، وفرّ أهل المدينة ودخلوا الحرّة (حرّة بنى سُلَيم). ثم سار بُسر حتى أتى الطائف، فقالت له ثَقيف : ما لك علينا سلطان، نحن من قيس؛ فسار حتى أتى هَمْدان وهم فى جبل لهم يقال له شِبَام، فتحصّنت فيه همدان، ثم نادَوْا : يا بُسر نحن هَمْدان وهذا شِبَام؛ فلم يلتفت إليهم؛ حتى إذا اغترّوا ونزلوا إلى قُراهم، أغار عليهم فقتل وسبى نساءهم؛ فكنّ أوّلَ مسلمات سُبِينَ فى الإسلام. ومرّ بحيّ من بنى سعد نُزُولٍ بين ظَهْرَىْ بنى جَعْدة بالفَلَج(٤)، فأغار بُسْر على الحىّ السّعديّين فقتل منهم وأَسَر؛ فقال أَوْس ابن مَغْراء فى ذلك :

مُشَرِّين ترعَوْن النَّجيل وقد غدتْ * بأوصال قتلاكم كلابُ مُزاحِمِ

— المُشَرّ : الذى قد بسَط ثوبه فى الشمس . والنجيل : جنس من الحَمْض —

فقال النابغة يجيبه :

---

(١) كذا فى م . وفى باقى الأصول : «فيجعل قيسا ...» وهو تحريف . (٢) فى م : "لا إمرة على قيس ... الخ" . (٣) فى الطبرى والمعارف لابن قتيبة أن قتلهم كان باليمن . وقد كان أبوهما واليا عليها من قبل علىّ، فلما بلغه مسير بسر فرّ إلى الكوفة، فكان من أمر ابنيه الطفلين ما ذكر . (٤) الفلج (بالتحريك) : موضع لبنى جعدة بن قيس بنجد، وهو فى أعلى بلاد قيس، وفيه قال الراجز :

نحن بنو جعدة أرباب الفلج * نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

(راجع معجم ما استعجم ج ٢ ص ٧١٤) .

متى أكلتَ لحومَكمُ كِلابى * أكلتَ يديكَ من جَرَبٍ تَهَامِ [1]

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحُبَاب مما أجاز لنا روايته عنه من حديثه وأخباره مما ذكره منها عن محمد بن سلّام الجُمَحىّ عن أبى الغَرّاف، وأخبرنا به أحمد ابن عبد العزيز وحَبيب بن نَصر، قالا حدّثنا عمر بن شَبّة [عن محمد بن سلّام] [2] عن أبى الغَرّاف [3] :

أن النابغة هاجى أوسَ بن مَغْراء؛ قال : ولم يكن أوس مثلَه ولا قريباً منه فى الشعر؛ فقال النابغة : إنى وإياه لَنبتَدِر بيتاً، أيُّنا سبَق إليه غَلَب صاحبَه؛ فلما بلَغه قولُ أوس :

لَعَمْرُكَ ما تَبْلَى سَرابيلُ عامرٍ * من اللؤم ما دامتْ عليها جلودُهَا

قال النابغة : هذا البيت الذى كنّا نَبتدِر إليه . فغُلِّبَ أوسٌ عليه .

قال أبو زيد [4] : فحدّثنى المدائنىّ أنهما اجتمعا فى المِرْبَد [5] فتنافروا وتهاجيا، وحضَرهما العَجّاجُ والأخطل وكعب بن جُعَيل، فقال أوْس :

---

(١) تهام : منسوب إلى تهامة . ويجوز فى النسبة الى تهامة تِهامىّ (بكسر التاء وتشديد الياء) وتَهام (بفتح التاء وحذف الياء) كيَمان وشآم ، أى اذا فتحت التاء حذفت الياء . وقال سيبويه : ومنهم من يقول : تَهامىّ ويَمانىّ وشآمىّ بالفتح والتشديد . والألف فى تَهام (بفتح التاء وحذف الياء) أصلية وفى يمان وشآم عارضة . وقيل : إن تهاميا (بتخفيف الياء) منسوب إلى تهم بمعنى تهامة ، فلما حذفت إحدى اليائين عوّضت عنها الألف . وعلى هذا تكون الألف عارضة فى الكل . (٢) التكملة عن م . إذ لم نجد فى المراجع التى بين أيدينا أنّ عمر بن شبة يروى عن أبى الغرّاف وانما الذى يروى عنه هو محمد بن سلام . (٣) كذا فى م ، ج (بالغين المعجمة) ، وهو الموافق لما فى طبقات الشعراء للجمحىّ ص ٨١ والنقائض ص ٢٤٠) ، وهو أبو الغرّاف الضبىّ . وفى باقى الأصول : «العرّاف» بالعين المهملة ، وهو تصحيف . (٤) فى م : « قال ابن دريد فحدّثنى أبو زيد أنهما ... » . (٥) المربد (كمنبر) : موضع بالبصرة كان مجتمعا للقوم .

لمّا رأتْ جَعدةُ منّا وِرْدا(١) * ولَوْا نَعامًا فى البلاد(٢) رُبْدا(٣)

إنّ لنا عليكُمُ مَعَدّا(٤) * كاهلَها وركنَها الأشَدّا

فقال العجاج : * كلّ امرئٍ يَعْدو بما استعدّا *

وقال الأخطل يُعين أوس بن مغراء ويحكُم له :

وإنى لقاضٍ بين جَعدةِ عامرٍ * وسَعدٍ قضاءً بيّنَ الحقّ فَيصلا

أبو جعدةَ الذئبُ الخبيثُ طَعامُه * وعَوفُ بن كعبٍ أكرمُ الناس أوّلا

وقال كعبُ بن جُعَيل :

إنّى لقاضٍ قضاءً سوف يتبعه * مَنْ أَمَّ قصدًا ولم يَعدل إلى أوَدِ(٥)

فَصْلًا من القول تأتَمّ القضاةُ به * ولا أجُور ولا أبغى على أحدِ

ما كت بنو عامرٍ سعدًا وشاعرَها * كما تَبيك بنو عَبْس(٦) بنى أسدِ

مهاجاته ليلى الأخيلية

وقال أبو عمرو الشيبانىّ : كان سبب المهاجاة بين ليلى الأخيليّة وبين الجعدىّ

١٣٣/٤ أنّ رجلا من قُشَير — يقال له ابن الحَيَا (وهى أمه) واسمه سَوّار بن أوْفَى بن سَبْرة —

هجاه وسبّ أخوالَه من أَزْد فى أمرٍ كان بين قُشَير وبين بنى جَعْدة وهم بأصبهان

---

(١) الورد (بالكسر) : الجيش ، وهو أيضا الإشراف على الماء وغيره دخله أو لم يدخله .

(٢) فى م : « فى الفلاة » . (٣) ربدا : جمع ربداء وهى من النعام ما كان لونها سوادا مختلطا ، وقيل : ما كان كله سوادا ، وقيل : ما كان بين السواد والغبرة . (٤) معدّ : أبو حىّ من العرب . وإلى معد ينتسب أوس بن مغراء ، وبهذا النسب يفخر على النابغة . وكاهل القوم : معتمدهم فى الملمات وسندهم فى المهمات ، وهو مأخوذ من كاهل الظهر لأن عنق الفرس يتساند اليه إذا أحضر . قال الشاعر :

حصنين كانا لمعدّ كاهلا * ومنكبين اعتليا التلاتلا

ويعنى بالحصنين ربيعة ومضر وهما عمدة أولاد معدّ كلهم . (٥) الأود : العوج . (٦) فى م : « بنو عمرو » .

متجلورون، فأجابه النابغة بقصيدته التى يُقال لها الفاضحة ــ سُمّيت بذلك لأنه ذكر فيها مساوىَ قُشير وعُقيل وكلّ ما كانوا يُسبّون به، وفخر بمآثر قومه وبما كان لسائر بطون بنى عامر سوى هذين الحيّين من قُشير وعُقيل ــ :

جَهِلتَ علىّ ٱبنَ الحيا وظلمتَنى * وجمّعت قولًا جاء بيتًا مُضلّلا

وقال فى هذه القصّة أيضا قصيدتَه التى أوّلها :

إمّا تَرَىْ[1] ظُلَلَ الأيّامِ قد حَسَرتْ * عنّى وشَمّرتُ ذَيلًا كان ذَيَّالا[2]

وهى طويلة، يقول فيها :

ويوم مكّةَ إذ ماجَدتُم[3] نَفَرًا * حامَوْا[4] على عُقَد الأحساب أزْوالا[5]

عند النّجاشىّ إذ تُعطون أيديكم[6] * مُقرَّنين ولا تَرجُون إرسالا

إذ تَستحِبُّون[7] عند الخَذْل أنّ لكم * مِنْ آل جَعْدة أعمامًا وأخوالا

لو تستطيعون أنْ تُلقوا جُلودَكمُ * وتجعلوا جِلْدَ عبد الله[8] سِرْبالا

ــ يعنى عبدَ الله بن جَعدة بن كعب ــ

---

(١) هذا شرط جوابه فى البيت الذى يلى هذا البيت وهو :

وعممتنى بقايا الدهر من قضى * فقد أنفح ذا ورقين ميالا

وهذا البيت مذكور ضمن قصيدة طويلة فى نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية بعنوان « شعر النابغة الجعدى » ضمن مجموعة تحت رقم ١٨٤٥ أدب .

(٢) ذيل ذيال : طويل . (٣) ماجدتم : فاخرتم وسابقتم فى المجد . (٤) يقال : حامى عن الشىء اذا دافع عنه ، وحامى عليه اذا احتفل له . قال الشاعر :

حاموا على أضيافهم فشووا لهم * من لحم منقية ومن أكباد

فيحتمل هنا أن يكون المراد المعنى الأوّل وتكون " على " بمعنى " عن "، أو المعنى الثانى ويكون معنى الاحتفال بعقد الأحساب (وهى الأواصر التى تربط ذوى الأرحام بعضهم ببعض) هو القيام بما تقتضيه من نصر من يتصل بهم والدفاع عنه . (٥) أزوال : جمع زول ، وهو الفتى الخفيف الظريف والجواد . (٦) إعطاء اليد : كناية عن الانقياد والمذلة . ومقرنين : مشدودين فى القرن وهو الحبل . (٧) كذا فى النسخة المخطوطة المذكورة . وفى جميع الأصول : «تستحقون» . (٨) هو عبد الله ابن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة خال النابغة الجعدىّ (راجع النسخة المذكورة) .

إذَا تسـرْبلتمُ فيــه لِيُنجيَكم * ممّا يقولُ آبنُ ذى الجَدَّيْنِ إذْ قَالا
حــتّى وهَبتم لعبـد الله صاحبَه * والقــولُ فيكم بإذن الله ما قالَا (١)
تلك المَكارمُ لاقَعْبَانِ من لَــبنٍ (٢) * شِيبَا بماءٍ (٣) فعادَا بعـــدُ أبْوالا

يعنى بهـذا البيت أن آبن الحَيَا فخَر عليه بأنهم سَقَوْا رجلًا من جَعدة أدركوه فى سفر وقد جهِد عطشًا لبنًا وماءً فعاش .

وقال فى هذه القصّة أيضا قصيدتَه التى أوّلها :

أبلغ قُشَيرًا والحَرِيشَ (٤) فما * ذا ردّ فى أيديكم شَـتْمى

وفخـر عليهم بقتل عَلْقمة الجُعْـفىّ يوم وادى نِسَاح (٥) وقتـل شَرَاحِيل (٦) بن الأَصْهب الجُعْفىّ، وبيوم رَحْرحان (٧) أيضا، فقال فيه :

هلّا (٨) سألتَ بيومَىْ رَحْرحان وقد * ظنّتْ هوازنُ أنّ العِـزّ قد زَالا

---

(١) قال : أخطأ . وفى الأصول : «قال» . ولعل ما رجحناه هو الصواب . (٢) روى صاحب العقد الفريد هذا البيت ضمن أبيات لأبى الصلت والد أميــة بن أبى الصلت يمدح بها سيف بن ذى يزن مطلعها :

لم يدرك الثأرَ أمثال ابن ذى يزن * لجج فى البحـر للأعداء أحوالا

(صوابه : ليطلب الثأر) . ومثله فى معجم البلدان لياقوت فى كلامه على غمدان والشعر والشعراء فى ترجمة أمية بن أبى الصلت (ص ٢٧٩ — ٢٨٢ طبع أوربا) وابن جرير الطبرى (طبع أوربا قسم ١ ص ٩٥٦). (٣) شيبا : خلطا . (٤) كذا فى س "الحريش" (بالحاء المهملة) وكذلك صححه المرحوم الشيخ الشنقيطى فى نسخته، وهو الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وفى باقى الأصول : «الجريش» بالجيم المعجمة . وهو تصحيف . (راجع القاموس وشرحه مادة حرش وكتاب الاشـتقاق لابن دريد) . (٥) وادى نساح (بكسر النون) : باليمامة . (٦) أو هو شرحبيل (عن القاموس مادتى شراحيل وشرحبيل) . (٧) رحرحان : جبل قريب من عكاظ خلف عرفات، قيل : هو لغطفان، وكان للعرب فيه يومان سيأتى كلام عليهما فى هذا الجزء . (٨) فى النسخة المخطوطة : « نحن الفوارس يومى ... الخ » .

فلما ذكر ذلك النابغة قال :

تلك المكارم لا قَعْبَانِ من لبن * شِيبَا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالَا

ففخر بما لَه وغَضَّ مما لهم . ودخلت ليلى الأخيلية بينهما فقالت :

وما كنتُ لو قاذفتُ (١) جلّ عَشيرتى * لأذكرَ قَعْبَىْ حازِرٍ (٢) قد تَثَمَّلَا

وهى كلمة (٣) . فلما بلغ النابغةَ قولُها قال :

ألَا حَيِّيَا ليلَى وقُولَا لها هَلَا (٤) * فقد رَكِبتْ أَمْرًا (٥) أغرَّ مُحَجَّلَا

وقد أكلتْ بقلًا (٦) وخِيمًا نباتُه * وقد شَرِبتْ من آخر الصيف أُيَّلا (٧)

— يعنى ألبان الأُيَّل —

(١) كذا فى كتاب أشعار النساء (تأليف أبى عبيدالله محمد بن عمران المرزبانى ج ٣ ص ٢ المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨ أدب ش) . وفى الأصول : «فارقت» . (٢) كذا فى حـ والحازر : اللبن الحامض . وفى ب و س : «خازر» (بالخاء المعجمة) . وتمل : صاركلا من الرغوة، والثمالة : الرغوة . (عن كتاب أشعار النساء) (٣) المراد بالكلمة هنا القصيدة، يقال : قال الشاعر كلمة أى قصيدة . (٤) هلا : كلمة زجر، تزجر بها الإناث من الخيل اذا أنزى عليها الفحل لتقر وتسكن . (٥) كذا فى كتاب أشعار النساء . وفى جميع الأصول : «أمرا» بالميم، وظاهر أنه تحريف . (٦) فى م : « الليل » . (٧) كذا فى حـ ، م . والأيل (وزان سيد وميت) : الذكر من الأوعال ، أو هو ذو القرن الأشعث الضخم مثل الثور الأهلىّ . والمراد : إذا شربت ألبانه ، كما قال المؤلف . وكانوا يزعمون أن ألبان الأيل تغلم شاربها . قال أبو الهيثم : هذا محال ، ومن أين توجد ألبان الأيايل ! وذهب الى أن الأيل (بضم الهمزة) : الألبان الخاثرة، يقال : آل اللبن يؤول أولا وإيالا اذا خثر فاجتمع بعضه الى بعض، فالوصف للواحد آئل والجمع أيل، وقيل : ان اللبن الآئل مما يسمن ويغلم . واعترض على هذا التفسير بأن فعلا يكون جمعا لفاعل اذا كان وصفا لحيوان ؛ فأجيب بأن ذلك هو الغالب الكثير . واعترض أيضا بأنه كان ينبغى أن يكون أوّلا ، لأنه واوى العين ؛ فأجيب بأن سيبويه أجاز الإعلال فى مثله ، نحو صيم وقيم فى صوّم وقوّم . وقال أبو منصور فى تفسير الأيل : « هو البول الخاثر بالنصب (يريد بفتح الهمزة) من أبوال الأروية اذا شربته المرأة اغتلمت » . وفى سائر الأصول : « أبلا » بالباء الموحدة ، وهو تصحيف .

دَعِى عنكَ تَهجاءَ الرجال وأَقْبِلِى * على أَذْلَغِىٍّ [1] يملأُ آستَك فيشَلا
١٣٤ / ٤ وكيف أُهاجِى شاعرًا رُمحه آستُه * خَضِيبَ البَنانِ لا يزال مُكَحَّلا

فردّت عليه ليلى الأخيليّة فقالت :

أنابغَ لم تَنْبَغ [2] ولم تكُ أوّلا * وكنتَ صُنَيًّا بين صُدَّيْن مَجْهَلا [3]

— الصُّنَىّ : شِعْب صغير يسيل منه الماء . وصُدّان : جبلان —

أنابغَ إن تَنْبَغ بلؤمك لا تجدْ * للؤمك إلا وَسْط جَعْدة مَجْعَلا
تُعَيِّرنى داءً بأمّك مثلُه * وأىّ حَصانٍ [4] لا يُقال لها هَلا

فغلبتْه . فلما أتى بنى جعدة قولُها هذا ، اجتمع ناس منهم فقالوا : والله لنأتينّ صاحبَ المدينة ، أو أميرَ المؤمنين ، فليأخذَنّ لنا بحقّنا من هذه الخبيثة ، فإنها قد شتَمَتْ أعراضنا وآفترتْ علينا ، فتهيّئوا لذلك ؛ وبلغها أنهم يريدون أن يستعدُوا عليها ، فقالت :

---

(١) الأذلغىّ (بالذال والغين المعجمتين) : الضخم الطويل من الأيور ، قيل : هو منسوب الى أذلغ بن شدّاد من بنى عبادة بن عقيل وكان نكاحا . وفى الأصول : «أدلغىّ» بالدال المهملة والغين ، وهو تحريف ؛ والتصويب عن اللسان وشرح القاموس فى مادّة ذلغ وقد وضعه القاموس فى مادة دلع (بالدال والعين المهملتين) وخطأه شارحه .

(٢) نبغ فى الشعر : أجاده ، وهو بفتح عينه فى الماضى وتثليثها فى المضارع .

(٣) المجهل كمقعد : أرض لا يهتدى فيها ، لا يثنى ولا يجمع .

(٤) كذا فى م . وفى كتاب أشعار النساء للمرزبانى : « وأىّ جواد لا يقال لها هلا » ؛ والجواد يطلق على الأنثى أيضا . وفى سائر الأصول : «وأى نجيب لا يقال له ... » . وقد آثرنا ما فى م لقول اللسان (مادة هلا) : « ... هلا زجر للخيل وقد يستعمل للإنسان ... » واستشهد بالبيت كما ورد فى م . وعلى هذا تكون الحصان (بفتح الحاء) المرأة العفيفة .

أتانى من الأنباء أنّ عشيرةً * بشَوْرانَ(١) يُزجون المطىَّ المُذَلَّلا(٢)
يروح ويغدو وفدُهم بصحيفةٍ * ليَستجلِدوا لى، ساء ذلك مَعْمَلا

وقد أخبرنى ببعض هذه القصّة أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة بجاء بها مُختلِطة، وهذا أوضح وأصحّ .

يوم وادى نساح

قال أبو عمرو : فأما ما تَفخر به النابغةُ من الأيام، فمنها يوم عَلْقمةَ الجُعْفىّ، فإنه غدا فى مَذْحِج ومعه زُهَير الجعفىّ، فأتى بنى عُقَيل بنِ كعب(٣) فأغار عليهم، وفى بنى عقيل بطون من سُلَيم يقال لهم بنو بَجْلة، فأصاب سَبْياً وإبلا كثيرة، ثم انصرف راجعاً بما أصاب، فاتّبعه بنو كعب، ولم يلحق به من بنى عُقَيل إلا عِقَالُ بن خُوَيلد بن عامر ابن عُقَيل، بجعل يأخذ أبعار إبل الجُعفيّين فيبول عليها حتى يُندّيها، ثم يلحق بنى كعب فيقول : إيهٍ فِدًى لكم أبَواى، قد لحِقتم القومَ؛ حتى وردوا عليهم النخيلَ فى يوم قائظ، ورأسُ زهير فى حِجْر جارية من سُلَيم من بنى بَجْلة سباها يومئذ وهى تَفْلِيه، وهو متوسّد قطيفةً حمراء وهى تَضفِر سَعفَاتِه — أى أعلى رأسه — بهُدْب القطيفة؛ فلم يشعُروا إلا بالخيل؛ فكان أوّلُ من لَحِق زُهيرًا ابنَ النهاضة(٤)، فضرب وجهَ زهير بقوسه حتى كسَر أنفَه، ثم لحِقه عِقالُ بنُ خُوَيلد، فبعَج بطنَه، فسال من بطنه بَرِيرٌ وحَلَب — والبرير : ثمر الأراك . والحلب : لبن كان قد اصطبحه —

(١) شوران (بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده راء مهملة) : جبل فى ديار بنى جعدة وهو مطل على السّدّ، وفيه مياه سماء يقال لها البَجَرات، فيها سمك أسود مقدار الذراع أطيب ما يكون وأمرؤه . (راجع معجم ما استعجم ص ٤٦٢، ٨٢٢) . (٢) فى أشعار النساء للمرزبانى ومعجم ما استعجم : «المنعلا»، ونعّل البعير : وضع فى خفه جلدا لئلا يحفى . (٣) كذا فى م ؛ وكذلك صححه المرحوم الشيخ الشنقيطى بنسخته . وفى سائر الأصول : «فأتى به عقيل»، وهو تحريف . (٤) فى م : «ابن الناهضة» .

فذلك يوم يقول أبو حَرْب أخو عقال بن خُوَيلد : والله لا أصطبح لبنا حتى آمن من الصَّباح[(١)] . قال : وهذا اليوم هو يوم وادى نِساح وهو باليمامة .

يوم شراحيل

قال : وأمّا يوم شَرَاحِيلَ بن الأَصْهب الجُعْفِىّ[(٢)] فإنه يوم مذكور تفتخر به مُضَرُ كلُّها . وكان شَراحيلُ خرج مُغيرًا فى جمع عظيم من اليمن ، وكان قد طال عمرُه وكثُر تَبَعُه وبُعد صِيتُه واتّصل ظَفَرُه ، وكان قد صالح بنى عامر على أن يغزُوَ العرب مارًّا بهم فى بدأته وعودته لا يَعْرِض أحدٌ منهم لصاحبه[(٣)] ؛ فخرج غازيا فى بعض غَزَواته فأبعد ، ثم رجع إليهم فمرّ على بنى جَعْدة فقَرَتْه ونحرتْ له ؛ فعمَد ناس من أصحابه سفهاءُ فتناولوا إبلًا لبنى جعدة فنحروها ؛ فشكَتْ ذلك بنو جعدة إلى شَراحيل ، فقالوا : قَرَيْناك وأحسنّا ضِيافتك ثم لم تمنع أصحابك مما يصنعون ! فقال : إنهم قوم مُغيرون ، وقد أساءوا لعَمْرى ! وإنما يُقيمون عندكم يوما أو يومين ثم يرتحلون عنكم . فقال الرُّقاد بن عمرو بن ربيعة بن جَعْدة لأخيه ورد بن عمرو — وقيل : بل قال ذلك لابن أخيه الجعد بن وَرْد — : دَعْنى أذهب إلى بنى قُشَير — قال : وجَعْدة وقُشَير أخوان لأمّ وأب ، أمهما رَيْطة بنت قُنْفُذ بن مالك بن عوف بن آمرئ القيس ابن بُهْثة بن سُلَيم بن منصور — فأدعوهم ، واصنَع أنت ياهذا لشَراحيل طعاما حسَنًا كثيرا ، وآدْعُه وأدخِله إليك فاقتُله ، فإن احتجت إلينا فدَخِّنْ ، فإنى إذا رأيتُ الدّخان أتيتك بهم فوضعنا سيوفَنا على القوم[(٤)] . فعمَد وردٌ هذا إلى طعام فأصلحه ،

١٣٥
٤

(١) الصباح : الغارة صبحا . (٢) انظر الحاشية رقم ٦ ص ١٥ من هذا الجزء .

(٣) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : « ... فى بدأته وعودته ولا يعرض واحد منهم صاحبه ... » .

(٤) وضعنا سيوفنا على القوم : ألقينا بها وأسقطناها عليهم أى ضربناهم بها ؛ يقال : وضع السيف اذا ضرب به ؛ قال سديف :

فضع السيف وارفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويا

ودعا شَراحيلَ وناسًا من أصحابه وأهله وبنى عمه، فجعلوا كلما دخل البيتَ رجلٌ قتله وردٌ، حتى انتصف النهار، فجاء أصحاب شَراحيل يَتْبَعُونه، فقال لهم وردٌ: تَرَوَّحُوا[1] فإنّ صاحبكم قد شَرِب وثمِل وسيَرُوح [فرجعوا][2]؛ ودخن وردٌ، وجاءت قُشير، فقتلوا من أدركوا من أصحابه، وسار سائرُهم؛ وبلغهم قتلُ شَراحيل، فمّروا على بنى عُقَيل، وهم إخوتهم، فقالوا: لنقتلَنّ مالكَ بن المُنتفِق؛ فقال لهم مالك: أنا آتيكم بورد؛ فركِب ببنى عُقيل إلى بنى جَعْدة وقُشَير ليُعطوهم وردا؛ فامتنعوا من ذلك وساروا بأجمعهم فذبّوا عن عُقَيل، حتى تفرّق من كان مع شَراحيل. فقال فى ذلك بَحِير[3] [بن][4] عبد الله بن سَلَمة:

أحَىٌّ يتبعون العِـيرَ نَجْرًا[5] * أحبُّ اليك أم حَيًّا هِـلالِ
لعلك قاتلٌ وَرْدًا ولمـا * تَسَاقَ[6] الخيلُ بالأَسَل النِّهالِ
ألَا يامالِ وَيْحَ سِواكَ أقصِرْ * أمَا ينهاكَ حلمُك عن ضلالِ

---

(١) تروّح فلان: سار فى الرواح، أى العشىّ، مثل راح. (٢) زيادة عن ط، ء. (٣) كذا ورد هذا الاسم فى عدة مواضع من كتاب النقائض وكتاب أشعار النساء للمرزبانى، وهو بالباء الموحدة من تحت والحاء المهملة على وزان أمير. وفى الأصول «بجير» بالجيم، وهو تصحيف. (٤) التكلة عن ط، م، ء وكتاب النقائض وأشعار النساء للمرزبانىّ. (٥) كذا ورد هذا البيت فى أكثر الأصول، وورد فى م: "يبتغون ... تجرا" بالجيم. وأورد المرزبانى هذا البيت، ببعض اختلاف فى كلماته عما هنا، ضمن أبيات قالها بحير هذا فى قصة له خلاصتها أن ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير تزوجت من هوذة ابن على الحنفى الذى كان يمدحه الأعشى فمات عنها وأصابت منه مالا كثيرا، فخطبها ابن عمها بحير بن عبد الله ابن سلمة فلم تزوجه، فخطبها عبدالله بن جدعان التيمىّ الى أبيها فزوجه اياها، فلما أهديت اليه قال ابن عمها بحير:

لنعم الحىّ لم تربع عليهـم * ضباعة يوم منق الخم غال
ونعم الحىّ حىّ بنى أبيها * اذا قرع المقانب بالعوالى
أقوم يقتنون الإبل تجرا * أحب اليك أم قوم حلال

حلال: مقيمون. وفى هذا الشعر على هذه الرواية إقواء، وهو اختلاف حركة الروىّ. "وتجر" إما أن يكون مصدرا نصب على التعليل أو جمعا لتاجر كصحب جمعا لصاحب. (٦) تساق: أصله تتساق وفى الأصول: «تساق» ببقاء حرف العلة فى آخره وهو مجزوم. والأسل: الرماح. والنهال: الريانة، واحدها: ناهل، ويطلق الناهل أيضا على العطشان، فهو من الأضداد.

يوما رحرحان

وأمّا يوما رَحْرحان ، فأحدُهما مشهور قد ذُكر فى موضع آخر من هذا الكتاب بعقب أخبار الحارث بن ظالم، وهذا اليوم الثانى ، فكان[1] الطمّاح الحنفىّ أغار فى بنى حَنيفة و بنى قَيس بن ثَعْلبة على بنى الحَريش بن كعب و بنى عُبادة بن عُقيل وطوائفَ من بنى عَبْس يقال لهم بنو جُذَيفة[2] ؛ فركبت بنو جَعْدة وبنو أبى بكر ابن كلاب، ولم يشهَد ذلك من بنى كلاب غيرُ بنى أبى بكر ، فأدركوا الطمّاحَ من يومهم ، فآستنقذوا ما أخذه وأصابوا ما كان معه ، وقتلوا عددا من أصحابه وهزموهم .

كعب الفوارس ومقتله

قال : وأما ما ذكره من إدراكهم بثأر[3] كعب الفوارس، فإن كعب الفوارس — وهو ابن معاوية بن عُبَادة بن البَكّاء — مرّ على بنى نَهْد وعليه سلاحه، فحمَل عليه

---

(١) ذكر فى كتاب النقائض (المطبوع فى مدينة ليدن ص ١٠٦٠) تفصيل ليومى رحرحان ، فأما الأوّل منهما فهو أن يثربىّ بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم غزا بنى عامر بن صعصعة وعلى بنى عامر يومئذ الأحوص بن جعفر فالتقوا فاقتتلوا ، فقتل من بنى عامر قريط بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب وقتل يثربىّ يومئذ . وأما يوم رحرحان الثانى فذكور أيضا فى كتاب النقائض كما هو وارد فى الأغانى (فى الجزء العاشر من طبعة بولاق ص ٣١) وهو الموضع الذى نبه المؤلف هنا أنه ذكر فيه . ويلاحظ بعد هذا أن ما ذكره المؤلف من قوله : « فكان الطماح الحنفىّ ... الخ » غير واضح الاتصال بأحد هذين اليومين ولا الأسماء التى ذكرت فى هذا الخبر مذكورة فى الأسماء التى ذكرت فى أحد هذين اليومين .

(٢) فى م : « بنو خزيمة ، فركبت بنو خزيمة » . وفى ط : «جذيمة» .

(٣) يلاحظ أيضا أنه لم يتقدّم لهذا الخبر ذكر . وقد ذكر مقتل كعب الفوارس هذا والأخذ بثأره ، كما هو وارد هنا ، فى كتاب النقائض متصلا بأخبار "يوم فيف الريح" وهو يوم كان بين بنى عامر و بين بنى الحارث ومن تبعهم من قبائل جعفىّ وزبيد وقبائل سعد العشيرة ومراد وصداء ونهد واستعانوا أيضا بخثعم ، (راجع كتاب النقائض ص ٤٦٩) . ولعل مقتل كعب الفوارس ورد فى شعر للنابغة الجعدىّ لم يقع الينا فى أصول الأغانى التى بين أيدينا .

رجل من نَهْد(١) يقال له خُلَيف فقتله وأخذ فرسَه وسلاحه؛ ثم إن خُليفا بعد ذلك بدَهْر مرّ على بنى جَعْدة ، فرآه مالك بن عبد الله بن جعدة وعليه جُبّة كعب وفيها أثر الطعنة، وكان مُحْرِما فلم يقدِر على قتله ، فقال : ياهذا ! ألَا رقَعت هذا الخَرْق الذى فى جُبّتك! وجعل يترصّده بعد ذلك، حتى بلَغه بعد دهر أنه مرّ ببنى جَعْدة، فركِب مالكُ بن عبد الله بن جعدة فرسًا له وقد أُخبر أن خُليفًا مرّ بجَنَباتهم(٢)،فأدركه فقتله، ثم قال : بُؤْ بكعب . ثم غزا نواحيَهم عبدُ الله بن ثَور بن معاوية بن عُبادة ابن البَكّاء: جَرْما ونَهْدا، وهم يومئذ فى بنى الحارث، فناداهم بنو البَكّاء: ليس معنا أحدٌ من قومنا غيرنا وإنّ النهدىّ قتل صاحبنَا مُحْرِما؛ فقاتلهم نَهْد وجَرْم جميعًا يومئذ ، وكان عبد الله بن ثَوْر يومئذ على فرسٍ وَرْدٍ، فأصابوا من نَهْد يومئذ غنيمة عظيمة، وقتلوا قَتلى كثيرة . فقال عبد الله فى ذلك :

١٣٦ / ٤

فسائِل بنى جَرْم اذا مالقيتَهم * ونَهْدًا إذا حَجّتْ عليك بنو نهد

فإن يُخبروك الحقّ عنا تَجِدْهُمُ * يقولون أَبلى صاحبُ الفرس الوَرْدِ

يوم الفلج

قال : وأما يوم الفَلَج، فإن بكر بن وائل بعثتْ عينًا على بنى كعب بن ربيعة حتى جاء الفَلَج — وهوماء — فوجد النَّعَم بعضَه قريبًا من بعض، ووجد الناس قد احتملوا، فليس فى النَّعَم إلا من لا طَبَاخ(٣) به من راعٍ أو ضعيف؛ فجاءهم عينُهم بذلك، فركبت بكر بن وائل يريدونهم، حتى إذا كانوا منهم بحيثُ يسمعون أصواتهم، سمِعوا الصَّهيل وأصواتَ الرجال؛ فقالوا لعينهم : ما هذا ويلك ؟! قال: والله ما أدرى، وإن هذا لمَا لم أعهد، فأرسلوا من يعلَم عِلمَهم؛ فرجَع فأخبرهم أن الرجال قد رجَعوا، ورأى

(١) فى النقائض (ص ١٠٧٤) : «قتله خليف بن عبد العزى بن عائذ النهدى» ، وأول كلام المؤلف هنا وآخره يؤيد ما أثبتناه وهو أنه من «نهد» . وفى الأصول : « من جهم » وهو تحريف .

(٢) جباتهم : نواحيهم ، واحده جنبة بالفتح . وفى م : « حيفاتهم » والحيفة (بالكسر) : الناحية أيضا .

(٣) الطباخ (رواه الإيادى بفتح الطاء والأزهرىّ بضمها) : القوّة والسمن .

جمعًا عظيمًا وخيولًا كثيرة[1]، فكرّوا راجعين من ليلتهم، وأصبحت بنو كعب فرأَوا الأثر فاتّبعوهم، فأصابوا من أُخرياتهم رجالًا وخيلًا، فرجعوا بها .

خداش بن زهير وهبيرة بن عامر

قال : وأما قوله :

لو تستطيعون أن تُلقوا جُلودكم * وتجعلوا جلد عبـد الله سِرْبالا

فإن السبب فى ذلك أن هُبيرة[2] بن عامر بن سَلَمة بن قُشير، لقى خِداش[3] بن زهير البَكّائىّ، فتنافرا على مائة من الإبل، وقال كل منهما لصاحبه : أنا أكرم وأعزّ منك ؛ فحكّما فى ذلك رجلا من بنى ذى الجَدَّين، فقضى بينهما أنّ أعزّهما وأكرمهما أقربُهما من عبد الله بن جعدةَ نسبًا ؛ فقال خِداش[3] بن زُهَير : أنا أقرب إليه، أمّ عبـد الله بن جَعدة عمّتى — وهى أُميمة بنت عمرو بن عامر — وإنما أنت أدنى إليه منّى منزلةً بأب ؛ فلم يزالا يختصمان فى القرابة لعبد الله دون المُكاثرة بآبائهما إقرارًا له بذلك، حتى فلَج[4] هبيرةُ القُشيرىُّ وظفِر .

عبد الله بن جعدة

قال أبو عمرو : وكان عبد الله بن جَعْدة سيّدًا مُطاعا، وكانت له إتاوةٌ بعكاظ يُؤتَى بها، يأتيه[5] بها هذا الحىُّ من الأَزْد وغيرهم ؛ فجاء سُمَير[6] بن سَلَمة القُشيرىّ وعبدُ الله جالسٌ على ثياب قد جُمعت له من إتاوته، فأنزله عنها وجلس مكانه ؛ فجاء رِياح[7] بن عمرو بن رَبيعة بن عُقَيل — وهو الخليع، سُمّى بذلك لتخلّعه عن

(١) كذا فى ط ، ء ، م . وفى سائر الأصول : « وخلقا كثيرا » .

(٢) كذا فى ط ، ء ، م وكتاب النقائض وفيما سيأتى فى كل الأصول . وفى باقى الأصول هنا : « زهير » وهو تحريف . (٣) كذا فى ط ، ء ، م وكتاب النقائض وكذلك صححه الأستاذ الشنقيطى فى نسخته . وفى باقى الأصول : « خراش » بالراء، وهو تحريف . (٤) فلج : فاز وغلب . (٥) كذا فى ط ، ء ، م . وفى باقى الأصول : « .. ويأتيه بها ... » بزيادة الواو، وهو تحريف . (٦) فى ط ، م ، ء : « فجاء سليمان بن سلمة ... » . (٧) كذا فى ط ، ء وكذلك صححه المرحوم الأستاذ الشنقيطى فى نسخته . وفى م : «رماح» بالميم . وفى باقى الأصول : «رباح» بالباء الموحدة ، وكلاهما تحريف .

الملوك لا يُعطيهم الطاعة — فقال للقشيرىّ : مالَكَ ولشيخنا تُنزله عن إتاوته ونحن ها هنا حولَه ! فقال القشيرىّ : كذبتَ، ما هى له ! ثم مدّ القشيرىّ رجلَه فقال : هذه رجلى فآضربها إن كنتَ عزيزا؛ قال : لا ! لعمرى لا أضرب رجلَك؛ فقال له القُشَيرىّ : فامدُدْ لى رجلَك حتى تعلم أأضربها أم لا؛ فقال : ولا أمدّ لك رجلى، ولكن أفعلُ ما لا تُنكره العشيرة وما هو أعزّ لى وأذلّ لك؛ ثم أهْوَى الى رجل القشيرىّ فسحَبه على قفاه ونحّاه، وأقعد عبدَ الله بنَ جَعْدةَ مكانَه .

قال : وعبد الله بن جعدة أوّل من صنع الدَّبَّابة(١)؛ وكان السبب فى ذلك أنهم انتجعُوا(٢) ناحيةَ البحرين، فهجموا على عبد لرجل يقال له كَوْدَن(٣) فى قصر حَصين، فدخَل العبدُ ودعا النساءَ والصبيانَ، فظنوا أنه يُطعمهم ثريدا، حتى اذا امتلأ القصر منهم أغلقه عليهم، فصاح النساء والصبيان، وقام العبد ومن معه على شُرَف القصر، فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلا رماه؛ فلما رأى ذلك عبد الله بن جعدة صنع دبّابة على جذوع النخل وألبسها جلودَ الإبل، ثم جاء بها والقومُ يحملونها حتى أسندوها إلى القصر، ثم حفروا حتى خرقوه(٤)؛ فقتل العبدَ ومن كان معه وآستنقذ صبيانَهم ونساءهم . فذلك قول النابغة : ١٣٧ / ٤

ويومَ دعا وِلدانَكم عبدُ كَوْدَنٍ * فخالُوا لدى الدّاعى ثريدًا مُفلفلَا
وفى ابنَ زِياد وهو عُقبةُ خيرِكم * هبيرةُ ينزو فى الحديد مُكَبَّلا

يعنى هبيرةَ بن عامر بن سَلَمة بن قُشَير، وكان عبد الله بن مالك بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدة خرج ومعه مالك بن عبد الله بن جعدة، حتى مرّوا على بنى زياد(٥)

(١) الدبابة : آلة تتخذ من جلود وخشب للحرب يدخل فيها الرجال و يقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه وهم فى جوفها فتقيهم ما يرمون به من فوقهم . (٢) الانتجاع : طلب الكلأ ومساقط الغيث .
(٣) فى م : «كوذن» بالذال المعجمة . (٤) كذا فى ط، ء، م . وفى سائر الأصول : «حفروه» .
(٥) فى ط، ء : «بنى زيد العبسيين» . وفى م : «بنى زيد والعبسيين»، وكلاهما تحريف .

العبسيّين والرجال غُيَّب، فأخذوا ٱبنًا لأَنَس[1] بن زياد وٱنطلقوا به يرجون الفداء؛ وٱنطلق عمّه عُمارة بن زِياد حتى أتى بنى كعب، فلقى هُبَيرةَ بن عامر بن سَلَمة بن قشير، فقال له: يا هبيرة إن الناس يقولون: إنك بخيل؛ قال: معَاذَ الله! قال: فهَبْ لى جُبّتك هذه؛ فأَهْوَى ليخلَعها، فلما وقَعتْ[2] فى رأسه وثَب عليه فأسره، ثم بعث إلى بنى قُشير: علىّ وعلىّ إن قبلتُ من هُبَيْرة أقلّ من فِدية حاجِب[3] إلا أن يأتونى بابن أخى الذى فى أيدى بنى جَعْدة؛ فمشتْ بنو قُشير إلى بنى جعدة، فٱستوهبوه منهم فوهبوه لهم، فٱفتدَوْا به هُبَيْرَة.

وحوح أخو النابغة

وأما خبرُ وحوح أخى النابغة الذى تقدّم ذكره مع نسب أخيه النابغة، فإن أبا عمرو ذكر أن بنى كعب أغارت على بنى أسد فأصابوا سَبْيًا وأَسْرى، فركبتْ بنو أسد فى آثارهم حتى لِحقوهم بالشُّرَيْف[4]، فعطفت بنو عُدَس بن ربيعة بن جعدة، فذادوا بنى أسد حتى قتلوا منهم ثلاثين رجلًا وردّوهم، ولم يظفَروا منهم بشىء. وتعلّقت ٱمرأة من بنى أسد بالحَكَم بن عمرو بن عبد الله بن جعدة وقد أردفها خلفَه، فأخذت بضفيرته ومالت به فصرعته، فعطَف عليه عبدُ الله بن مالك بن عُدَس وهو أبو صَفْوان، فضرب يدها بالسيف فقطعها وتخلّصه. وطُعِن يومئذ وحوح بن

(١) كذا فى ط، ى، م، وهو أنس بن زياد العبسىّ ويسمى أنس الفوارس، وله حديث فى يوم أقرن. (راجع النقائض ص ١٩٤، ٦٧٩). وفى سائر الأصول: «أوس»، وهو تحريف.

(٢) فى ط، ى، م: «وقفت» بالفاء. (٣) هو حاجب بن زرارة، وهو من الذين يضرب المثل بفدائهم فى الوفرة، ومثله فى ذلك بسطام بن قيس والأشعث بن قيس بن معديكرب الكندى. (راجع كتاب ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه — حرف الفاء). وسيأتى خبر أسر حاجب بن زرارة هذا وفدائه فى الأغانى (ج ١٠ ص ٤٢ طبع بولاق). (٤) كذا فى ط، ى، والشريف (بصيغة التصغير): ماء لبنى نمير، وقيل: إنه واد بنجد. وفى سائر الأصول: «السديف» (بالسين والدال المهملتين) وهو تحريف.

قيس أخو النابغة الجعدىّ، فارتُثَّ(١) فى معركة القوم، فأخذه خالد بن نَضْلة الأسدىّ، وعطَف عليه يومئذ أخوه النابغة، فقال له خالد بن نَضْلة: هَلُمَّ إلىّ وأنت آمن؛ فقال له النابغة: لا حاجةَ لى فى أمانك، أنا على فرسى ومعى سلاحى(٢) وأصحابى قريب، ولكنّى أُوصيك بما فى العَوْسجة(٣) (يعنى أخاه وحوح بن قيس)؛ فعدَل اليه خالد فأخذه وضمّه اليه ومنَع مِنْ قتله ودَاواه حتى فُدِى بعد ذلك. قال: ففى ذلك يقول مُدْرِك العَبْسىّ(٤):

أقمتُ على الحِفاظ وغاب قَرْحٌ * وفى قَرْحٍ عن الحسب انفراجُ
كذلك فِعْلُنا وجِبالُ عَمّى * وردْنَ بوحوح فَلَجَ(٥) الفِلَاجِ(٦)

شعر النابغة الجعدى

ومما قاله النابغة فى هذه المفاخرة وغُنّى فيه قولُه وقد جُمِع معه كلّ ما يغنّى فيه من القصيدة —:

صوت

هل بالدّيارِ الغداةَ من صَمَمِ * أم هَلْ برَبْعِ الأنيس من قِدَمِ
أم ما تُنادِى من ماثلٍ دَرَجَ السَّيلُ عليه كالحوضِ مُنهدمِ
غرّاء كالليلة المباركة القمراءِ تَهدِى أوائلَ الظُّلَمِ
أكنى بغير آسمها وقد علِم الله خفيّاتِ كلّ مُكتتَمِ

(١) ارتُثّ: ضرب فى الحرب فأثخن وحمل و به رمق. (٢) فى ط، ء، م: «وعلىّ سلاحى». (٣) العوسجة: واحدة العوسج وهو شجر شائك له ثمر أحمر مدوّر، ولعله يريد بالعوسجة حظيرة أو مظلة متخذة من شجر العوسج. (٤) فى حـ: «الفقعسىّ». (٥) فلج (بالتحريك): مدينة بأرض اليمامة لبنى جعدة وقشير وكعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وفلج أيضا: مدينة قيس بن عيلان بن مضر، و يقال لها: فلج الأفلاج. وأصل الفلج النهر أو الماء الجارى، ولعله يقال أيضا: فلج الفلاج، كما ورد فى الشعر هنا، لأن فعلا (بالتحريك) يجمع على أفعال وفعال. (٦) فى هذا الشعر إقواء، وهو اختلاف حركة الروىّ.

كأنّ فاها إذا تبسّم من * طِيبِ مَشَمٍّ(١) وطيبِ مُبْتَسَمِ

يُسَنّ(٢) بالضَّرْوِ من بَراقِشَ أو * هَيْلانَ(٣) أو ضامرٍ من العُتُمِ ١٣٨/٤

عروضه من المنسرح . وفى الأوّل والثانى والثالث من الأبيات خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالخنصر فى مجرى البنصر(٤)، ذكره إسحاق ولم يَنسُبه إلى أحد ، وذكر ابن المكىّ والهشامىّ أنه لمعبد، وأظنه من منحول يحيى، وذكر حبش أنه لإبراهيم . وفى الثالث وما بعده لابن سريج رمل بالبنصر، وذكر حبش أنّ فيها لإسحاق رملًا آخر؛ ولابن مِسْجَح فيها ثقيل أوّل بالبنصر .

أوّل من سبق الى الكناية عمن يعنى بغيره

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال : أوّلُ من سَبَق إلى الكناية عن اسم من يَعْنِى بغيره فى الشعر الجعدىُّ، فإنه قال :

أَكْنِي بغير اسمها وقد علم الله * خَفِيّاتِ كلّ مكتَتَمِ

فسبَق(٥) النـاسَ جميعا إليه واتّبعوه فيه . وأحسنُ من أخذه وألطفُه فيه أبو نُوَاس حيث يقـــول :

أسألُ القادمين من حَكَمانَ(٦) * كيف خلّفتُمُ أبا عثمانِ

فيقولون لى جِنانُ كما سرّ * كَ فى حالها فَسَلْ عن جِنانِ

مالهمْ لا يُبارك اللهُ فيهمْ * كيف لم يُغْنِ عندهم كِتمانى

(١) فى ط ، ء : «وحسن مبتسم» . (٢) يسنّ (يستاك) . والضرو : شجر يستاك به . و براقش وهيلان : مدينتان عاديتان باليمن خربتا . (٣) فى اللسان (مادة برقش) ومعجم ما استعجم البكرى ومعجم البلدان لياقوت (فى الكلام على براقش) : «أوناضر» . والعتم (بضمتين) : شجر الزيتون. (٤) فى ط ، ء : «فى مجرى الخنصر» . (٥) كذا فى ط ، ء ، حـ . وفى سائر الأصول : «يسبق» وهو تحريف . (٦) حكمان (بالتحريك) : اسم لضياع بالبصرة سميت بالحكم بن أبى العاص الثقفىّ . وهـذا اصطلاح لأهل البصرة اذا سموا ضيعة باسم زادوا عليه ألفا ونونا، حتى سموا عبد اللان فى قرية سميت بعبد الله . وكانت هـذه الضيعة لبنى عبد الوهاب الثقفيين موالى جنان صاحبة أبى نواس (انظر معجم ياقوت فى اسم حَكَمان) .

ذكره الفرزدق وتحدث عن شعره

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى أبو بكر الباهلىّ قال حدّثنى الأصمعىّ قال :

ذكر الفرزدقُ نابغةَ بنى جعدة فقال : كان صاحبَ خُلْقان عنده مُطْرَفٌ بألف، وخمارٌ (١) بوافٍ (٢)، (يعنى درهما) .

وفد على ابن الزبير ومدحه فوصله

وحدّثنى خبرَه مع ابن الزبير جماعةٌ، منهم حبيبُ بن نصر المهلّبىّ وعمر بن عبد العزيز بن أحمد والحرمىّ بن أبى العلاء ووَكيع ومحمد بن جرير الطبرىّ حدّثنيه مِنْ حِفظه، قالوا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا أخى هارون بن أبى بكر (٣) عن يحيى ابن إبراهيم عن سليمان بن محمد (٤) بن يحيى بن عُروة عن أبيه عن عمّه عبد الله بن عُروة قال :

أَقْحَمتْ (٥) السنةُ نابغةَ بنى جعدة، فدخل على ابن الزبير المسجدَ الحرام، فأنشده :

حَكيتَ لنا الصِّدّيقَ لمّا وَلِيتَنا * وعثمانَ والفاروقَ فارتاح مُعدِمُ
أتاك أبو ليلى يَجُوب به الدُّجى * دُجى الليلِ جوّابُ الفلاة عَثَمْثَمُ (٦)
لتجبُرَ منه جانبًا زَعْزَعتْ (٧) به * صُروفُ الليالى والزمانُ المُصمِّمُ

---

(١) الخمار (بالكسر) : النصيف وهو ما تغطى به المرأة رأسها، وقد يطلق على العمامة، لأن الرجل يغطى بها رأسه كما تغطيه المرأة بخمارها؛ وفى حديث أم سلمة «أنه كان يمسح على الخف والخمار» أى العمامة .

(٢) الذى فى معاجم اللغة أن الوافى درهم وأربعة دوانق أو درهم ودانقان، يعنى الفرزدق أن فى شعره الجيد المتين والردىء الضعيف . وقال المرزبانى فى كتابه الموشح فى كلامه على النابغة الجعدىّ بعد أن ذكر قول الفرزدق هذا : «قال الأصمعىّ : وصدق الفرزدق، بينا تجد النابغة فى كلام أسهل من الزلال وأشدّ من الصخر اذ لان ... » ثم ذكر قصيدته التى منها :

سما لك هم ولم تطرب وبت ببث ولم تنصب

وبيّن ما فيها من شعر جيد وآخر ردىء . (٣) هذه كنية أبيه بكار . (٤) فى ب و س : «سليمان محمد» . ولعل لفظة «ابن» سقطت سهوا أثناء الطبع (٥) أقحمته : ألقته ورمت به . والسنة : الجدب، أى أخرجه الجدب من البادية وأدخله الريف حيث الخضرة والماء . (٦) العثمثم : الجمل الشديد الطويل . (٧) فى ط، ء : «ذعذعت» بالذال المعجمة وهى بمعنى «زعزعت» .

فقال له ابن الزبير : هوّن عليك أبا ليلى ، فإنّ الشعر أهونُ وسائلك عندنا ، أمّا صفوةُ مالنا فلآل الزبير، وأما عَفوته[1] فإنّ بنى أسد[2] بن عبد العزّى تشغلُها عنك وتَيْمًا معها ، ولكن لك فى مال الله حقّان : حقّ برؤيتك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وحقّ بشَرِكتك أهلَ الإسلام فى فيْئهم ؛ ثم أخذ بيده فدخل به دارَ النَّعَم ، فأعطاه قلائص[3] سبعًا وجَملًا رَجيلًا[4] ، وأوْقر له الإبلَ بُرًّا وتمرا وثيابا ، فجعل النابغة يستعجل فيأكل الحبَّ صِرْفًا ؛ فقال ابن الزبير : ويح أبى ليلى ! لقد بلغ به الجَهْدُ ؛ فقال النابغة : أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "ما وَليتْ قريش فعدَلت واسترُحمت فرَحِمتْ وحَدَّثت فصَدَقتْ ووعدت خيرًا فأنجزت فأنا والنبيّون فُرّاطُ القاصفين[5]" وقال الحرمىّ : "فُرّاطٌ لها ضُمُنٌ" . قال الزُّبيرىّ : كتبْ يحيى ابن مَعين هذا الحديث عن أخى .

(١) عبارة ابن الأثير فى النهاية (مادة عفا) ونقلها عنه صاحب اللسان : « ... أنه قال للنابغة : أما صفو أموالنا فلآل الزبير، وأما عفوه فإن تيما وأسدا تشغله عنك . قال الحربىّ : العفو: أحل المال وأطيبه . وقال الجوهرىّ : عفو المال ما يفضل عن النفقة . وكلاهما جائز فى اللغة والثانى أشبه بهذا الحديث» ، وهذا التوجيه الأخير لابن الأثير . وأما عفوة المال والطعام والشراب (بالفتح) وعفوته (بالكسر عن كراع) : فهى خياره وما صفا منه وكثر . وظاهر أنها لا تلائم سياق الحديث ، لذلك نرى أن رواية النهاية فى هذا الأثر أصح مما ورد فى الأصول هنا . (٢) بنو أسد : قبيلة منها الزبير بن العوّام والد عبد الله هذا . وتيم : قبيلة منها أبو بكر الصدّيق رضوان الله عليه وهو جدّ ابن الزبير لأمه . (٣) القلائص : جمع قلوص وهى الشابة من الإبل بمنزلة الجارية من النساء . (٤) فى حـ : « رحيلا» بالحاء المهملة ، والرجيل والرحيل من الإبل : القوى على السير . (٥) كذا فى النهاية فى غريب الحديث والدر النثير للسيوطى (مادتى فرط وقصف) ، وفيه رواية أخرى أشار إليها السيوطى فى الدر النثير (مادة قصف) وهى "فراط القاصفين" ، وبهذه الرواية ورد الحديث فى م واللسان (مادتى فرط وقصف) . وقد وردت كلمة "القاصفين" فى أكثر الأصول هاهنا مضطربة ، ففى ط ، ى : "فراط لها صفن وقال الحرمىّ ... الخ" . وفى باقى الأصول : "فراط لها ضمين وقال الحرمىّ ... الخ" . الفرّاط : المتقدمون إلى الشفاعة أو إلى الحوض . والقاصفون : المزدحمون . وضمن : كافلون .

ضربه أبو موسى الأشعرى أسواطا فهجاه

٣٩ / ٤

أخبرنى أبو الحسن الأسَدىّ أحمد بن محمد بن عبد الله بن صالح وهاشم ابن محمد الخُزَاعىّ أبو دُلَف قالا حدّثنا الرِّيَاشىّ قال قال أبو سليمانَ عن الهيثم بن عدىّ [قال] (١) :

رَعَتْ بنو عامر بالبَصرة فى الزرع ، فبعث أبو موسى الأشعرىّ فى طلبهم ، فتصارخوا : يا آلَ عامر، يا آل عامر ! فخرج النابغة الجعدىّ ومعه عُصبة له ؛ فأُتِىَ به الى أبى موسى الأشعرىّ ، فقال له : ما أخرجك ؟ قال : سمعتُ داعيةَ قومى ؛ قال : فضربه أسواطا ، فقال النابغة :

رأيتُ البَكْرَ بَكْرَ بنى ثمودٍ * وأنت أراك بكرَ الأشعرينا
فإن يكُنِ ٱبنُ عَفّانٍ أمينا * فلم يَبْعَثْ بك البَرَّ الأمينا
فيا قبرَ النبىّ وصاحِبَيْهِ * ألَا يا غَوْثَنا لو تسمَعُونا
ألَا صَلَّى إلهكُمُ عليكم * ولا صلَّى على الأُمراء فينا

خبره مع علىّ ومعاوية

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ويحيى بن علىّ بن يحيى قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا بعض أصحابنا عن ٱبن دَأْب (٢) قال :

لمّا خرج علىٌّ رضى الله تعالى عنه إلى صِفِّين خرج معه نابغةُ بنى جَعْدة ؛ فساق به يومًا فقال :

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ب ، س .

(٢) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب و يكنى أبا الوليد كان هو وأبوه وأخوه من العلماء بأشعار العرب وأخبارهم وأيامهم وكان أثيرا عند الهادى وله معه أخبار طويلة . (أنظر مروج الذهب للسعودى ج ٦ ص ٢٦٤ — ٢٦٥ طبع أوربا والمحاسن والمساوى ص ٦١٣ — ٦١٤ طبع أوربا) .

قد علِم المِصْرانِ[1] والعِــراقُ * أنّ عليًّا فحلُها العُتَـاقُ[2]

أبيَــضُ جَحْجاحٌ له رُواقُ * وأُمّــه غالَى بها الصَّــداقُ

أكرمُ من شُـدَّ به نِطاقُ[3] * إنّ الأُلى جارَوْكَ لا أَفَاقوا

لهـــم سِياقٌ[4] ولكم ســياقُ * قــد علمتْ ذلــكمُ الرِّفاقُ

سُقتم إلى نَهْج الهُدَى وساقُوا * إلى الــتى ليس لهـا عِراقُ[5]

* فى مِلّةٍ عادتُها النِّفاقُ *

فلما قَدِم معاويةُ بن أبى سفيان الكوفةَ، قام النابغةُ بين يديه فقال :

ألم تاتِ أهلَ المَشْرِقَين رسالتى * وأىُّ[6] نَصيحٍ لا يَبيتُ على عَتْبِ

مَلَكتمْ فكان الشرُّ آخرَ عهـدِكمْ * لئن لم تَدارَكْكُمْ حُلُومُ بنى حَرْبِ

وقد كان معاويةُ كتب إلى مروان فأخذ أهلَ النابغة ومالَه ؛ فدخل النابغةُ على معاويةَ، وعنده عبدُ الله بن عامر ومروان، فأنشده :

مَنْ راكبٌ يأتى ابنَ هنـدٍ بحاجتى * عــلى النأى[7] والأنباءُ تُنْمَى وتُجلَبُ

ويُخـبِر عنّى ما أقول ابنَ عامرٍ * ونعم الفــتى يأوِى إليــه المُعصَّبُ[8]

(١) المصران : الكوفة والبصرة . (٢) كذا فى أكثر الأصول . والذى فى معاجم اللغة أن العتاق (وزان غراب) : الخمر الحسنة القديمة . ولعله يريد بفحلها العتاق فحلها الكريم . وفى م : «الفناق» بالفاء والنون . (٣) فى ط، ء، م : «بها» .
(٤) كذا فى حـ ، م وكذلك صححه المرحوم الشنقيطى بنسخته . وفى سائر الأصول : «سباق» بالباء الموحدة وهو تصحيف . (٥) يريد الى مضلة لا نهاية لها ولا غاية . (٦) فى ط ، ء : «وإنى» . (٧) فى ط ، ء : « ... ... لحاجتى * بكوفان ... » وكوفان هى الكوفة ، وهى أيضا قرية بهراة . (٨) المعصب هو الذى عصبته السنون أى أكلت ماله ، والمعصب أيضا : الذى يعصب بطنه بالخرق من الجوع .

فإنْ تأخذوا أهـــلى ومالى بظِنّـــةٍ * فإنّى لَحَـــرّابُ الرجالِ مُحَـــرَّبُ (١)
صَـــبورٌ على ما يكره المـــرءُ كلّه * سِوى الظلم إنى إنْ ظُلمت سأغضَبُ

فألتفت معاويةُ إلى مروان فقـــال : ما ترى ؟ قال : أرى ألّا تردّ عليـــه شيئاً ؛ فقال : ما أهونَ والله عليك أن ينجحر هـــذا فى غارٍ ثم يقطع عرضى علىّ ثم تأخذه العربُ فتَرويه، أَمَا والله (٢) إن كنتَ لِمن يرويه! أُرْدُد عليه كلّ شىء أخذتَه منه .

شعره فى عقال بن خويلد وسببه

وهذا الشعر يقوله النّابغةُ (٣) الجعدىُّ لعِقَال بن خُوَيلد العُقَيلىّ يُحذّره غِبَّ الظلم لمّـا أجار بنى وائل بن مَعْن، وكانوا قتلوا رجلاً من جَعْدَة، فحذّرهم مثلَ حرب البَسوس إن أقاموا على ذلك فيهم .

١٤٠/٤

قال أبو عمرو الشَّيْبانىّ : كان السببُ فى قول الجعدىّ هذه القصيدةَ أن المُنتشر الباهلىّ خرج فأغار على اليمن ثم رجع مُظفَّرا . فوجد بنى جعدة قد قتلوا آبنا له يقال له سِيدان (٤)، وكانت باهلةُ فى بنى كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة ثم فى بنى جعدة، فلمّـا أن علم ذلك المُنتشر وأتاه الخبرُ أغار على بنى جعدة ثم على بنى سُبيع فى وَجْهـه ذلك، فقتـل منهم ثلاثةَ نفرٍ؛ فلما فعل ذلك تصدّعت باهلةُ، فلحِقتْ فرقة منهم يقال لهم بنو وائل بعقال بن خويلد العقيلىّ، ولحِقتْ فرقة أخرى يقال لهم بنو قُتيبة وعليهم مُجْـلٌ الباهلىّ بيزيد بن عمرو بن الصَّعِق الكلابىّ، فأجارهم يزيد، وأجار عِقالٌ وائلاً . فلما رأت ذلك بنو جَعدة أرادوا قتالهم، فقال لهم عقال : لا تقاتلوهم

(١) كذا فى أكثر الأصول . وحربه : أغضبه، يريد أن يصف نفسه بأنه شديد الكيد والنكاية وفى ب، س : «مجرب» بالجيم .
(٢) فى ط، ء : «أم والله» ويكون معناها الاضراب مثل "بل" . (٣) فى ب، س، حـ : «نابغة الجعدىّ» بدون أل . (٤) فى ط، ء : «سذان» وفى م : «سيدار» .

فقد أجرتُهم؛ فأمّا أحدُ الثلاثة القتلى منكم فهو بالمقتول، وأمّا الآخران فعلىّ عَقْلُهما[١]؛ فقالوا: لا نقبل إلا القتالَ ولا نُريد من وائل غِيَراً[٢] (يعنى الدية)؛ فقال: لا تفعلوا فقد أجرتُ القومَ؛ فلم يزل بهم حتى قبلوا الدية. وانتقلت وائل إلى قومهم. فقال النابغة فى ذلك قصيدته[٣] التى ذكر فيها عِقالا:

فابلغ عِقالاً أنّ غايةَ داحسٍ[٤] ٭ بكفّيك فاستأخرْ لها أو تقدّمِ
تُجيرُ علينا وائـلاً فى دمائنا[٥] ٭ كأنّك عمّا نابَ[٦] أشياعَنا[٧] عَمِ
كُلَيبٌ لعَمْرى كان أكثرَ ناصرًا ٭ وأيسرَ جُرمًا منك ضُرِّجَ بالدّمِ
رمَى ضَرْعَ نابٍ[٨] فاستمرّ بطَعنةٍ ٭ كحاشيةِ البُردِ اليمانى المسهَّمِ[٩]
وما يَشْعُرُ الرمحُ الأصمُّ كعوبُه ٭ بثَرْوَةِ[١٠] رَهطِ الأبلخ المتظلّمِ[١١]

(١) العقل: الدية. (٢) الغير (وزان عنب): قيل: إنه مفرد جمعه أغيار، وقيل: هو جمع غيرة (بالكسر) وهى الدية. (٣) عبارة ط، ء: «...قصيدته وهذه الأبيات التى ذكر فيها عقالا منها».

(٤) داحس: اسم فرس أضيفت إليه حرب كانت بين عبس وذبيان، وهى حرب داحس، وذلك أن قيس بن زهير صاحب داحس تراهن هو وحذيفة بن بدر على عشرين بعيرا وجعلا الغاية مائة غلوة والمضمار أربعين ليلة، فأجرى قيس داحسا والغبراء، وحذيفة الخطار والحنفاء، فوضعت بنو فزارة رهط حذيفة كمينا فى الطريق فردوا الغبراء ولطموها وكانت سابقة، فهاجت الحرب بين عبس وذبيان أربعين سنة. (عن القاموس مادة دحس). والنابغة يهدد عقالا فى هذه القصيدة بحرب كحرب داحس.

(٥) فى ط: «بدمائنا». (٦) فى حـ وهامش ط والموشح للمرزبانى: «نال» باللام.

(٧) فى كتاب الموشح للمرزبانى: «أشياعها»، ويكون المعنى على هذه الرواية أن النابغة يهدد عقالا ويحذره ما أصاب وائلا منهم من بأس. (٨) الناب: الناقة المسنة. (٩) المسهم: المخطط بصور على شكل السهام، وفى حديث جابر: أنه كان يصلى فى برد مسهم أخضر، أى فيه وشى كالسهام. (١٠) فى رواية: «بثروة ...» كما فى كتاب الموشح. (١١) كذا فى ط، ء والموشح للمرزبانى. والأبلخ (بالخاء المعجمة فى آخره): العظيم فى نفسه الجرىء على ما أتى من الفجور. والمتظلم: الذى يظلم الناس حقوقهم، وهذا الوصف هو الذى يناسب كليبا لعتوه. وفى باقى الأصول: «الأبلج المتوسم» بالجيم. والمتوسم: المتحلى بسمة الشيوخ.

وقال لجسّاسٍ أغثنى بشَرْبةٍ * تفضّلْ بها طَوْلًا علىّ وأنعِمِ
فقال تجاوزتَ الأحَصّ وماءه[(١)] * وبطنَ شُبَيثٍ وهو ذو مُترسَّمِ[(٢)]

* * *

كليب وائل ومقتله وحرب البسوس وما قيل فيها من الشعر

وكان السببُ[(٣)] فى قتل كُليبِ بن رَبيعة — فيما ذكره أبو عُبيدةَ عن مُقاتل الأحول بن سِنان بن مَرْثَد بن عبد بن عمرو بن بشر بن عمرو بن مَرْثَد أخى بنى قيس ابن ثَعلبة، ونسختُ بعضَه من رواية الكلْبىّ، وأخبرنا به محمدُ بن العباس اليَزيدىّ عن عمّه عبيدِ الله عن ابن حَبيبَ عن ابن الأعرابىّ عن المفضَّل، فجمعتُ من روايتهم ما احتيجَ الى ذكره مختصرَ اللفظ كاملَ المعنى — أنّ كُليبا كان قد عزّ وسادَ فى رَبيعة فبغَى بَغيًا شديدا، وكان هو الذى يُنزلهم منازلَهم ويُرحِّلهم، ولا ينزلون ولا يرحَلون إلا بأمره. فبلغ من عِزّه وبغيه أنه اتخذ جِرْوَ كلبٍ[(٤)]، فكان إذا نزل منزلًا به كَلأٌ قذف ذلك الجِرْوَ فيه فيَعْوِى، فلا يرعَى أحدٌ ذلك الكلأَ إلا بإذنه، وكان يَفعل هذا بحِياض الماء، فلا يَرِدُها أحدٌ إلا بإذنه أو مَنْ آذَنَ بحَرْبٍ؛

(١) سيذكر أبو الفرج فى سياق هذا الخبر أن الأحص وشبيثا نهيان (النهى : الغدير)، وفى القاموس أنهما موضعان بنجد. وفى كتاب معجم ما استعجم أن الأحص واد، وأن شبيثا ماء معروف لبنى تغلب. وهذا النظم للنابغة مأخوذ من قول جساس حين طعن كليبا فقصم صلبه فوقع كليب وهو يفحص برجله ثم قال لجساس: «أغثنى بشربة»، فقال له جساس: «تجاوزت شبيثا والأحص»، يعنى: ليس هذا وقت طلب الماء. وقد صار فيما بعد مثلا يضرب لمن يطلب شيئا فى غير وقته. ولفظ المثل فى الميدانى «تخطى إلىّ شبيثا والأحص». (٢) المترسم: موضع الماء لمن طلبه (عن معجم ما استعجم).

(٣) الى هنا ينتهى حديث المؤلف عن النابغة الجعدى ثم استطرد الى الكلام عن حرب بكر وتغلب وما كان بين كليب وجساس بمناسبة ذكرهما فى شعر النابغة من غير أن يعقد لذلك عنوانا خاصا. ولذلك وضعنا هذه النجوم للدلالة على الفصل بين الخبرين ووضعنا فى أعلى الصفحة عنوان [حرب بكر وتغلب] بين قوسين مربعين للاشارة الى أنه زيادة من عندنا ولم يضعه المؤلف. (٤) كان اسم "كليب" "وائلا". وسبب تسميته "بكليب" أنه كان عنده كليب — تصغير كلب، وهو ما عبر عنه هنا «بجرو كليب» — يرمى به فحيث بلغ عواء هذا الكليب كان حمى لا يرعى؛ ومن ذلك قيل المثل: "أعز من كليب وائل". ثم غلب هذا الاسم عليه حتى ظنوه اسمه. (انظر كتاب مجمع الأمثال للميدانى).

فضرب به المثلُ فى العزّ، فقيل : « أعزُّ من كُلَيبِ وائلٍ » . وكان يَحمِى الصيدَ، ويقولُ : صيدُ ناحية كذا وكذا فى جِوَارِى ؛ فلا يَصيدُ أحدٌ منه شيئا ؛ وكان لا يمرّ بين يديه أحدٌ إذا جلس، ولا يحتبِى أحدٌ فى مجلسه غيرُه ؛ فقتله جَسّاسُ بنُ مُرّةَ .

وقال أبو عُبيدةَ : قال أبو بَرْزَةَ القَيْسىّ (١) وهو من ولد عمرو بن مَرْثَد :

وكان كليبُ بنُ ربيعة ليس على الأرض بَكْرِىّ ولا تَغْلِبِىّ أجار رجلا ولا بعيرا إلا بإذنه، ولا يَحمِى حِمًى إلا بأمره، وكان إذا حَمَى حِمًى لا يُقْـرَبُ ؛ وكان لمُرّةَ بنِ ذُهْلِ بنِ شَيْبان بن ثَعْلبةَ عشرةُ بنينَ جَسّاسٌ أصغرُهم ، وكانت أختُهم عند كليب. ١٤١/٤

وقال مُقاتِلٌ وفِرَاسٌ : وأمُّ جسّاسٍ هَيْلَةُ بنتُ مُنقِذِ بن سلمان (٢) بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مَنَاةَ، ثم خلَف عليها سعدُ بن ضُبيعةَ بنِ قيس بن ثَعْلبةَ بعد مرّة بنِ ذُهْل، فولدتْ له مالكا وعوْفًا وثعلبةَ . قال فِراسُ بن خَنْدَق (٣) البَسُوسىّ (٤) : فهى أُمّنا . وخالة جسّاس البَسُوس — وقال أبو بَرْزَةَ : البَسُوسيّةُ — وهى التى يُقال لها : «أشأمُ من البَسُوسِ (٥)» . فجاءت فنزلتْ على آبن أختها جَسّاس فكانت جارةً لبنى مُرّة، ومعها آبنٌ لها، ولهم ناقةٌ خَوّارةٌ (٦) من نَعَم بنى سعد ومعها فَصيل .

أخبرنى علىّ بنُ سليمان قال قال أبو بَرْزَةَ : وقد كان كُلَيب قبـل ذلك قال لصاحبته أُختِ جَسّاس : هل تَعلَمينَ على الأرض عربيّا أمنعَ مِنّى ذِمّةً؟ فسكتت ثم أعاد عليها الثانية فسكتتْ ثم أعاد عليها الثالثة، فقالت : نعم أخِى جساسٌ ونَدْمَانُه (٧)

(١) فى ط ، ء : «أبو بردة» بالدال المهملة، وكذلك ورد هذا الاسم فيهما فى كل المواضع التى سيذكر فيها فيما بعد. (٢) فى ط ، ء ، م : «سلمان» . (٣) كذا فى ط ، م ، ء وكتاب النقائض فى أكثر من موضع والطبرى (قسم أول ص ١٠٦١) . وفى باقى الأصول : «فراس بن خندف» بالفاء بدل القاف، وهو تحريف . (٤) فى النقائض : «القيسى» . وهذه الكلمة ساقطة من ط ، ء .

(٥) كذا فى مجمع الأمثال (ج ١ ص ٣٣٠ طبع بولاق) وهى بنت منقذ التميمية وهى خالة جساس . وفى الأصول : " بسوسة " بزيادة التاء فى الآخر . (٦) ناقة خوّارة : رقيقة حسنة .

(٧) الندمان : الذى يرافقك وينادمك على الشراب، وقد يكون جمعا .

آبن عمّه عمرو المُزْدلِفُ[(١)] بنُ أبى رَبيعة بن ذُهْل بن شَيْبان . وزعم مقاتِل : أن امرأته كانت أختَ جَسّاس ، فبينا هى تَغسِلُ رأسَ كليب وتُسَرِّحُه ذاتَ يوم إذ قال : مَنْ أعزّ وائل؟ فصمتَتْ[(٢)]، فأعاد عليها؛ فلما أكثر عليها قالت : أخَوَاىَ جَسّاسٌ وهَمّامٌ ؛ فنزَع رأسَه من يدها وأخذ القوسَ فرمى فصيلَ ناقةِ البَسُوس خالةِ جَسّاس وجارةِ بنى مُرّة فقتله ؛ فأغمضُوا على ما فيه وسكتوا على ذلك . ثم لَقِىَ كُليبٌ آبنَ البَسُوس[(٣)] فقال : ما فعل فصيلُ ناقتِكم؟ قال : قتلتَه وأخليتَ لنا لبنَ أُمّه ؛ فأغمضوا على هذه أيضا . ثم إنّ كليبا أعاد على آمرأته فقال : مَنْ أعزّ وائل؟ فقالت : أخواى ؛ فأضمرَها وأسرّها فى نفسه وسكت ، حتى مرّتْ به إبلُ جسّاس ، فرأى الناقةَ فأنكرها ، فقال : ما هذه الناقةُ ؟ قالوا : لخالة جَسّاس ؛ قال : أوَ قد بلغ من أمر آبن السَّعْديّة أن يُجيرَ علىّ بغير إذنى ! اِرْمِ ضَرْعَها يا غلامُ . قال فِراسٌ : فأخذ القوسَ فرمى ضرعَ الناقة فآختلط دمُها بلبنها ؛ وراحت الرُّعاةُ على جسّاس فأخبروه بالأمر ؛ فقال : احلبُوا لها مِكيالَىْ لبنٍ بمَحلَبها ولا تذكُروا لها من هذا شيئا ؛ ثم أغمضوا عليها أيضا . قال مُقاتِلٌ : حتى أصابتهم سَماءٌ ، فغدا فى غِبِّها يَتَمطّرُ[(٤)]، وركِب جَسّاسُ بن مُرّةَ وآبنُ عمه عمرُو بن الحارث بن ذُهْل — وقال أبو بَرْزَةَ : بل عمرو ابن أبى رَبيعة — وطعن عمرٌو كليبًا فحطَم صُلبَه ؛ وقال أبو بَرْزَةَ : فسكت جَسّاسٌ ،

---

(١) كذا فى أكثر الأصول ، والمزدلف لقب عمرو بن أبى ربيعة بن ذهل وهو ابن عم جساس ابن مرة ، لقب به لأنه ألقى برمحه فى حرب فقال : ازدلفوا اليه ، كما قال ابن دريد ، أو لاقترابه من الأقران فى الحروب وازدلافه إليهم ، كما نقله ابن حبيب . (عن القاموس وشرحه مادة زلف) . وفى ب ، س : « ... وندمانه ابن عمه عمرو والمزدلف ... ... » بزيادة واو العطف سهوا من الطابع .

(٢) فى ط ، ء : « فضمزت » ، وضمزت : سكتت . (٣) فى م : « جساسا » .

(٤) يتمطر : يتنزه . وقوله : « فى غبها » كذا فى الأصول ، ولم نجد فى معاجم اللغة التى بين أيدينا أن كلمة "غب" وهى بمعنى "بعد" تجر بفى . وهذا الاستعمال نفسه ورد فى اللسان والقاموس وشرحه بدون حرف الجر .

حتى ظعن(١) آبنا وائل؛ فمرّت بكر بن وائل على نِهْي(٢) يقال له شُبَيْثٌ فنفاهم كُلَيبٌ عنه وقال: لا يذوقون منه قطرةً، ثم مرّوا على نِهْي آخر يقال له الأحَصُّ فنفاهم عنه وقال: لا يذوقون منه قطرةً؛ ثم مرّوا على بطن الجَرِيب(٣) فمنعهم إيّاه؛ فمضَوْا حتى نزلوا الذَّنائب(٤)، وآتّبعهم كليبٌ وحيُّه حتى نزلوا عليه؛ ثم مرّ عليه جسّاس وهو واقفٌ على غدير الذنائب فقال: طردتَ أهلَنا عن المياه حتى كِدتَ تقتلُهم عطشًا! فقال كليبٌ: ما منعناهم من ماءٍ إلا ونحن له شاغلون؛ فمضى جسّاسٌ ومعه آبنُ عمه المزدلِفُ. وقال بعضُهم: بل جسّاسٌ ناداه فقال: هذا كفعلك بناقة خالتى؛ فقال له: أوَ قد ذكرتَها! أمَا إنى لو وجدتُها فى غير إبل مُرّة لآستحللتُ تلك الإبلَ بها. فعطف عليه جسّاسٌ فرسَه فطعنه برمح فأنفذَ حِضْنَيْه(٥)؛ فلما تَداءمه(٦) الموتُ قال: يا جسّاس آسقِنى من الماء؛ قال: ما عَقَلْتُ آستسقاءكَ الماءَ منذُ ولدَتْكَ أُمُّكَ إلا ساعتَك هذه! . قال أبو بَرْزة: فعطَف عليه المُزدلف(٧) عمرو بن أبى ربيعةَ فآحترّ رأسَه. وأمّا مقاتلٌ فزعم أن عمرو بن الحارث بن ذُهل الذى طعنه فقصَم صُلبَه.

[قال](٨): وفيه يقول مُهلهِلٌ:

قتيلٌ ما قتيلُ المرءِ عمرٍو * وجسّاسِ بنِ مُرّةَ ذو ضَرِيرِ(٩)

---

(١) كذا فى ب. وفى سائر الأصول: «طعن» بالطاء المهملة. (٢) النهى (بالكسر فى لغة أهل نجد، وغيرهم يقوله بالفتح): الغدير، وهو أيضا الموضع الذى له حاجز ينهى الماء أن يفيض منه. (٣) الجريب: واد عظيم بين أجلى و بين الذنائب وحبر، تجىء أعاليه من قبل اليمن حتى يصب فى الرمة. والرمة: فضاء به أودية كثيرة بأرض نجد. قال الهمدانى: هذا الجريب جريب نجد، وفى تهامة جريب آخر. (عن معجم ما استعجم ومعجم البلدان لياقوت). (٤) الذنائب: موضع بنجد. (٥) الحضن: ما دون الإبط الى الكشح. (٦) تداءمه: تراكم عليه وتزاحم. (٧) فى الأصول: «... المزدلف بن عمرو بن أبى ربيعة» بزيادة كلمة "ابن" وهو تحريف. (راجع الحاشية رقم ٨ ص ٣٥ من هذا الجزء). (٨) زيادة عن ط، ء، م. (٩) الضرير: الشدة، ويقال: فلان ذو ضرير إذا كان ذا صبر على الشرّ ومقاساة له. وذو ضرير هنا صفة لقتيل.

وقال العباسُ بن مِرْداسٍ السُّلَمِىّ يُحَذِّر كُلَيْبَ[(١)] بن عَهْمةَ السُّلَمِىّ ثم الظَّفَرِىّ لمّا مات حربُ بنُ أُميةَ وخَنقتِ الجنُّ مِرداسًا وكانوا شركاءَ فى القَرية[(٢)] فجحَدهم كُليبٌ حظَّهم منها — وسنذكر خبرَ ذلك فى آخر هذه الأخبار إن شاء الله تعالى — فحذَّره غِبَّ الظلم فقال :

أكُليبُ مالكَ كلَّ يوم ظالمًا * والظلمُ أنكدُ وجهُه ملعونُ
فافعلْ بقومك ما أرادَ بوائلٍ * يومَ الغديرِ سَمِيُّكَ المطعونُ

وقال رجل من بنى بكر بن وائل فى الإسلام وهى تُنحَلُ للأعشى :

ونحن قهَرنا تَغلِبَ ابنةَ وائلٍ * بقتل كُلَيبٍ إذ طغَى وتَخيَّلا[(٣)]
أبَأْناه[(٤)] بالناب التى شقَّ ضَرعَها * فأصبح مَوْطُوءَ الحِمَى مُتذلِّلا

قال : ومَقتلُ كُلَيب بالذَّنائب عن يسار فَلْجةَ[(٥)] مُصعِدًا الى مكة ، وقبرُه بالذنائب. وفيه يقول المهلهلُ :

ولو نُبِشَ المقابرُ عن كُلَيبٍ * فيُخبَرَ[(٦)] بالذنائب أىُّ زِيرِ

---

(١) كذا ورد هذا الاسم فى جميع الأصول هنا وكتاب النقائض (ص ٩٠٧) . وورد فى الأصول التى بين أيدينا من الأغانى فى أول أخبار أبى سفيان التى تقع فى ج ٦ ص ٩٢ طبع بولاق : «كليب بن أبى عهمة السلمىّ» . (٢) ذكر أبو الفرج فى ج ٦ ص ٩٢ و ج ٢٠ ص ١٣٥ طبع بولاق : أنّ حرب بن أمية لما انصرف من حرب عكاظ هو واخوته مرّ بالقرية وهى إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام ، فقال له مرداس بن أبى عامر : أما ترى هذا الموضع ؟ قال بلى ؛ قال : نعم المزدرع هو ، فهل لك أن نكونا شريكين فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نزدرعه بعد ذلك ؟ قال نعم ؛ فأضرما النار فى الغيضة ، فلما استطارت وعلا لهبها سمع من الغيضة أنين وضجيج كثير ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعتها وخرجت منها ، فلم يلبث حرب بن أمية ومرداس بن أبى عامر أن ماتا ، فأما مرداس فدفن بالقرية ، ثم ادّعاها بعد ذلك كليب بن أبى عهمة السلمى ثم الظفرى . وقال أبو الفرج عند إيراده هذا الخبر فى ذلك الموضع : «وهذا شىء قد ذكرته العرب فى أشعارها وتواترت الرواية بذكره ، فذكرته ، والله أعلم» . (٣) تخيل : تكبر . (٤) أباء القاتل بالقتيل : قتله به . (٥) فلجة : منزل على طريق مكة من البصرة بعد أبرق حجر . (٦) نصب «فيخبر» لما فى «لو» من معنى التمنى . «وأى زير» مبتدأ محذوف الخبر ، كأنه قال : أى زير أنا .

قال أبو بَرْزَةَ : فلما قتله أمال يَدَه بالفرس حتى انتهى الى أهله . قال: وتقول أخته حين رأته لأبيها : إنّ ذا لجسّاسٌ أتى خارجا ركبتاه ؛ قال : والله ما خرجت ركبتاه إلا لأمرٍ عظيم ! . قال : فلما جاء قال : ما وراءكَ يا بُنَيّ ؟ قال : ورائى أنى قد طعنتُ طعنةً لتُشغلَنّ بها شيوخُ وائل زمنا ؛ قال : أقتلتَ كليبا ؟ قال نعم ؛ قال: وَدِدتُ أنكَ وإخوتَكَ كنتم مِتّم قبل هذا ، ما بى إلا أن تُتشاءمَ بى أبناءُ وائل. وزعم مُقاتِلٌ أنّ جسّاسا قال لأخيه نَضْلةَ بن مرّة — وكان يُقال له عَضُدُ الحمار — :

وإنى قد جَنيتُ عليكَ حرباً * تُغِصُّ الشيخَ بالماء القَراحِ
مُذَكَّرةً(1) متى ما يَصْحُ عنها * فَتًى نَشِبَتْ(2) بآخرَ غيرِ صاحِ
تُنَكِّلُ عن ذُبابِ(3) الغيِّ قوماً * وتدعو آخرينَ الى الصّلاحِ

فأجابه نَضْلَةُ :

فإن(4) تَكُ قد جَنيتَ علىّ حرباً * فلا وانٍ ولا رَثُّ السّلاحِ

قال أبو بَرْزَةَ :

وكان همّامُ بن مُرة آخَى مُهَلْهِلًا وعاقده ألّا يَكْتُمَه شيئا ، فجاءت [اليه](5) أمَةٌ له فأسرّت إليه قتلَ جسّاس كليبا ؛ فقال [له](5) مُهلهلٌ : ما قالت ؟ فلم يُخبره ؛ فذكّره

---

(1) مذكرة : شديدة . (2) فى ط ، ى : «تشبب لآخر ... » . (3) كذا فى ط ، ى ، م . والمعنى الذى يمكن أن يراد من معانى الذباب هنا وهو مضاف إلى الغىّ : الجنون أو الشرّ ، أى إنها تصرف قوما عن جنون غيهم وطيشهم وتردّهم إلى صوابهم . وفى باقى الأصول : « عن ذئاب الغىّ » . وورد هذا الشطر فى كتاب بكر وتغلب ابنى وائل (طبع مطبعة نخبة الأخبار سنة ١٣٠٥ هـ ، ومنه نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠ أدب ش) :

* تنكل دانيات البغى قوما *

(4) فى ط ، ى ، م : « إن تك ... » بدون فاء . وهذا على أنه أوّل القصيدة ، وحينئذ يكون فيه الخرم ، وبحر الوافر مما يجوز فيه الخرم . (5) زيادة عن ط ، ى .

العهدَ بينهما؛ فقال: أخبرَتْ أنّ جسّاسا قتلَ كليبا؛ فقال: آستُ[1] أخيكَ أضيق من ذلك. وزعم مُقاتلٌ: أنّ همّاما كان آخَى مُهَلهِلا وكان عاقده ألّا يكتمه شيئا؛ فكانا جالسَين، فمرّ جسّاسٌ يَركُضُ به فرسُه مُخرِجًا فَخِذيه؛ فقال همّام: إنّ له لأمرًا، والله ما رأيتُه كاشفًا فَخِذيه قطُّ فى رَكْض؛ فلم يلبثْ إلا قليلا حتى جاءته الخادم فسارّته أنّ جسّاسًا قتَل كليبا؛ فقال له مُهلهلٌ: ما أخبرَتْك؟ قال: أخبرتْنِى أن أخى قتَل أخاك؛ قال: هو أضيقُ آستًا من ذلك. وتحمّل القومُ، وغدا مُهلهلٌ بالخيل.

وقال المفضّلُ فى خبره: فلما قُتِلَ كليبٌ قالت بنو تَغلِبَ بعضُهم لبعض: لا تَعجَلُوا على إخوتكم حتى تُعْذِرُوا بينكم و بينهم؛ فانطلق رهطٌ من أشرافهم وذوى أسنانهم حتى أتَوا مُرّة بنَ ذُهْل، فعظّمُوا ما بينهم و بينه، وقالوا له: اخترْ منّا ١٤٣/٤ خِصالا: إمّا أن تَدْفعَ إلينا جسّاسًا فنقتلَه بصاحبنا فلم يَظْلِمْ مَنْ قَتل قاتلَه، و إمّا أن تدفعَ إلينا همّاما، وإمّا أن تُقِيدَنا من نفسك؛ فسكتَ، وقد حضرتْه وجُوه بنى بكر بن وائل فقالوا: تكلّمْ غيرَ مخذول؛ فقال: أمّا جسّاسٌ فغلامٌ حديثُ السنّ ركِب رأسَه فهرَب حين خاف فلا عِلمَ لى به، وأمّا همّامٌ فأبُو عَشَرةٍ وأخو عشرة[2]، ولو دفعتُه إليكم لصَيَّحَ[3] بنوه فى وجهى وقالوا: دفعتَ أبانا للقتل بجَرِيرة غيره؛ وأمّا أنا فلا أتعجّلُ الموتَ، وهل تَزِيدُ الخيلُ على أن تجولَ جولةً فأكونَ أوّلَ قتيل! ولكن هل لكم فى غيرِ ذلك؟ هؤلاء بنِىّ، فدُونكم أحدَهم فاقتلُوه به، وإن شئتم فلكم ألفُ ناقة تَضمَنُها

---

(١) تضرب العرب ضيق الاست مثلا فى الذلة والضعف. قال فى اللسان: «و يقال للرجل الذى يستذل و يستضعف: آست أمك أضيق وآستك أضيق من أن تفعل كذا وكذا». (٢) فى أمثال العرب للفضل الضبى (المطبوع بمطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ ص ٥٦) زيادة: «وعم عشرة» بعد قوله: «... وأخو عشرة». (٣) صيح الرجل: بالغ فى الصياح.

لكم بكرُ بنُ وائل ؛ فغَضبوا وقالوا : إنّا لم نأتك لتُرذِلَ[(١)] لنا بنيكَ ولا لِتَسُومَنا اللبن ؛ فتفرّقوا، ووقعت الحربُ. وتُكُلِّمَ فى ذلك عند الحارث بن عُبَادٍ، فقال : «لا ناقة لى فى هذا ولا جمل»، وهو أوّل من قالها وأرسلها مثلا . قالوا جميعا : كانت حربهم أربعين سنة، فيهنّ خمسُ وقعات مُزاحفات، وكانت تكون بينهم مُغاوَرات[(٢)]، وكان الرجل يلقى الرجلَ والرجلانِ الرجلين ونحو هـذا . وكان أوّلُ تلك الأيام يوم عُنَيزةَ،

يوم عنيزة

وهى عند فَلْجةَ، فتكافـئوا فيه لا لبكر ولا لِتغلِبَ ؛ وتصديق ذلك قولُ مُهَلهِلٍ :

كأنّا غُـــدوةً وبَنى أبينـا * بجَنْب عُنَيزةٍ رَحَيَـا مُدِيرِ
ولولا الريحُ أُسمِـع مَنْ بحَجْرٍ[(٣)] * صليلَ البِيضِ تُقرَع بالذُّكورِ

يوم واردات

فتفرّقوا، ثم غبروا زمانا . ثم التقَوْا يوم وارِدات[(٤)]، وكان لتغلِبَ على بكرٍ، وقتلوا بكرا أشدَّ القتل، وقتلوا بُجيرًا، وذلك قولُ مُهلهِلٍ :

فإنى قــد تركتُ بوارِداتٍ * بُجَـيرًا فى دَمٍ مثـلِ العَبيرِ
هتكتُ به بيوتَ بنى عُبَادٍ * وبعضُ الغَشْمِ[(٥)] أشفَى للصدورِ

قال مُقاتِلٌ : [إنه][(٦)] إنما التُقِطَ تَوًّا . وسيجىء حديثُه[(٧)] أسفلَ من هذا . التو : الفرد، يقال : وجدته تَوًّا، أى وحده .

---

(١) كذا فى ط ، ى وأمثال العرب للفضل الضبى ، وفسرها بقوله : «أى تعطينا رذال بنيك» . ورذال الشىء (بالضم) : أردؤه . وفى باقى الأصول : «لتؤدّى لنا بنيك» ، وهو تحريف .

(٢) يقال : غاور القوم اذا أغار بعضهم على بعض .

(٣) فسر أبو على القالى فى أماليه (ج ٢ ص ١٣٤ طبعة دار الكتب المصرية) "حجرا" بأنها قصبة اليمامة ، وضبطها القاموس بالفتح ، ووردت مضبوطة فى ط بالضم ، وحجر (بالضم) : موضع باليمن . والصليل : الصوت . والذكور : السيوف .

(٤) واردات : موضع عن يسار طريق مكة . (٥) الغشم : الظلم . (٦) زيادة عن ط ، ى .

(٧) فى ب ، س ، حـ : «... أسفل من هذا حديثه» . بزيادة كلمة «حديثه» ، وظاهر أنه زيد سهوا من الناسخ .

قال أبو بَرْزَةَ : ثم انصرفوا بعد يوم واردات غيرَ بنى تَغْلبة بن عُكَابَةَ ورأَّسُوا على أنفسهم الحارثَ بن عُبَادٍ ، فاتّبعتهم بنو ثعلبة بن عكابة ، حتى التقَوْا بالحِنْوِ[(١)] ، فظهرت بنو ثعلبة على تَغْلِب .

يوم القصيبات

قال مقاتل : ثم التقَوْا يومَ بطن السِّرْو ، وهو يوم القُصَيبات[(٢)] ، وربما قيل يوم القُصَيبة[(٣)] ، وكان لبنى تَغْلِب على بَكْر ، حتى ظنّت بكرٌ أن سيقتلونها[(٤)] — قال مقاتل : وقتلوا يومئذ همّامَ بن مرّة — . ثم التقَوْا يومَ قِضَةَ وهو يومُ التحالُق ويومُ الثَّنِيّة[(٥)] . ويومُ قِضَة ويومُ الفَصِيل لبَكْر على تَغْلِب .

يوم قضة

قال أبو برزة : اتّبعتْ تغلب بكرا فقطعوا رَمَلاتِ خَزَازَى[(٦)] والرَّغَامَ ثم مالوا لبطن الحِمَارة[(٧)] ، فوردت بكرٌ قِضَةَ فسقتْ وأسقتْ

---

(١) الحنو : موضع فى ديار بكر وتغلب . (٢) القصيبات : موضع فى ديار بكر وتغلب .

(٣) كذا فى م وبه يستقيم الكلام . وفى باقى الأصول : « ... وربما قيل القصيبة وهى القصبات لبنى تغلب ... » . (٤) فى ط ، ى ، م : «أن سيقتلوها» و «أن» يجوز فيها أن تكون مخففة من الثقيلة وأن تكون ناصبة للفعل بعد الظن ، ولكن وجود السين فى الفعل بعدها يعين أنها مخففة ، فيجب رفع الفعل . وفى ب ، س ، حـ : « ... أن سيقتلوا معا » . وفى كتاب الكامل لابن الأثير (ج ١ ص ٣٩٥ طبع أوربا) — ولعله هو الصحيح — : « ... حتى ظنوا أنهم لن يستقيلوا » .

(٥) الثنية هنا : الطريقة فى الجبل كالنقب . ويوم الثنية معطوف على «يوم التحالق» على أنه تفسير آخر لـ «يوم قضة» كما يعينه ايراد الخبر فى كتاب معجم ما استعجم فى كلامه على «واردات» ، ونصه بعد أن ذكر الأيام التى قبله : « ... والخامس يوم قضة وهو يوم التحالق ويوم الثنية ، وقال أبو عبيدة : وهو أول يوم شهده الحارث بن عباد ...» . وظاهر أن الثنية التى أضيف اليها هذا اليوم هى الثنية التى وقع فيها الجمل فسدّها حين طعنه عوف بن مالك ليسدّ الطريق دون قومه ثم تحالقوا لتعرفهم النساء ، كما سيجىء ذلك بعد أسطر .

(٦) خزازى (ويقال فيه أيضا خزاز كسحاب وخزاز بالبناء على الكسر كقطام) : جبل فى ناحية منعج دون إمرة وفوق عاقل ، على يسار طريق البصرة إلى المدينة ، بإزاء حمى ضرية . والرغام : اسم رملة بعينها (كما فى القاموس) ، وذكر ياقوت فى معجم البلدان أنها من نواحى اليمامة . وفى كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانى (طبع ليدن ص ١٥٣) بعد أن عرض لذكر القصبتين اللتين ذكرتا فى أخبار بنى وائل وإحداهما قصبة الرغام ، قال : « ... والرغام جماع منها سفوح وأرطاة والردان والطويل ، وكل ذا فيه نخل كثير ، ورميلة هى رملة الرغام مشرفة على ثرمداء ... » . (٧) كذا فى الأصول . والحمارة (بلفظ تأنيث الحمار) : اسم حرة . غير أن سياق عبارة الهمدانى (فى كتابه صفة جزيرة العرب ص ١٥٢ — ١٥٣) يدل على أن التى تصاقب الرغام هى «الحمادة» بالدال لا الحمارة بالراء . والحمادة (بالفتح) كما فى معجم ياقوت : ناحية باليمامة أيضا .

ثم صدرتْ وحلّئوا(١) تغلبَ، ونهضوا فى نُجْعة(٢) يقال لها مُوَيبة لا يجوز فيها إلا بعير بعير؛ فلحق رجل من الأوس بن تغلب بغُلَيِّم من بنى تَيْم اللّات بن ثعلبة يطرد ذَوْدًا(٣) له، فطعن فى بطنه بالرمح ثم رفعه(٤) فقال: تَحَدَّبى أُمَّ البَوِّ على بوّك. فرآه عَوف بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة، فقال: أَنفِذوا(٥) جملَ أسماءَ (ابنته) فإنه أمضى جمالكم وأجودُها منفذًا، فإذا نَفِذ تبعتْه النَّعمُ؛ فوثب الجمل فى المُويبة، حتى ١٤٤ / ٤ اذا نهض على يديه وارتفعت رجلاه ضرب عُرقوبيه وقطع بِطانَ الظَّعينة فوقع فسدّ الثنيةَ — ثم قال عوف: أنا البُرَكُ أَبرُكُ حيث أُدرِك، فسُمِّى البُرَكَ — ووقع الناس الى الأرض لا يرون مجازًا، وتحالقوا لتعرفهم النساء؛ فقال جَحْدر بن ضُبَيعة بن قيس أبو المَسَامعة — واسمه رَبيعة؛ قال: وإنما سُمّى جحدرًا لقصره(٦) — : لا تحلقوا رأسى فإنى رجلٌ قصير، لا تَشِينونى، ولكنّى أشتريه منكم بأوّل(٧) فارس يطلع عليكم من القوم؛ فطلع ابن عَناق فشدّ عليه فقتله. فقال رجل من بكر بن وائل يمدح مِسْمَع ابن مالك بذلك:

يابنَ الذى لمّا حلقنا اللِّمَمَا * ابتاع منا رأسه تَكَرُّمَا

* بفارسٍ أوّلِ مَنْ تقدّما *

وقال البكرىّ:

ومنّا الذى فادَى من القوم رأسَه * بمستلئِمٍ(٨) من جَمْعهم غيرِ أعزلا

فأدّى إلينا بَزَّه(٩) وسِلاحَه * ومُنْفصِلًا من عُنْقه قد تَزَيَّلا

(١) حلئوا تغلب: منعوها الماء. (٢) فى ط، ى: «نجفة» بالفاء. (٣) الذود: ثلاثة أبعرة إلى التسعة وقيل إلى العشرة وقيل غير ذلك، ولا يكون إلا من الإناث، وهو يستعمل بمعنى الواحد وبمعنى الجمع. (٤) فى حـ: «دفعه». (٥) فى ط، ى: «قدموا».
(٦) عبارة ط، ى: «قال: وانما جحدره قصره». (٧) فى ط، ى: «بأكرم فارس».
(٨) المستلئم: لابس اللأمة: وهى السلاح كلها. يقال: استلأم الرجل اذا لبس ما عنده من عدّة: رمح وبيضة ومغفر وسيف ونبل ودرع. (٩) البز (بالفتح): نوع من الثياب. وفى ط، ى: «ثوبه».

قال : وكان جَحْدَرٌ يرتجز يومئذ ويقول :

رُدّوا علىّ الخيلَ إن ألَمّتِ * إن لم أقاتلهم فجُزّوا لِمّتِى

وزعم عامر بن عبد الملك المِسْمَعىّ أنه لم يقلها ، وأن صخر بن عمرو السُّلَمىّ قائلُها ؛ فقال مِسْمَع : كَرْدِين (كذب)[1] عامر . وقال البَكْرىّ :

ومنّا الذى سَدّ الثنيةَ غُدْوةً * على حَلْقةٍ لم يبقِ فيها تَحلُّلا

بجَهْدِ يمين الله لا يطلُعونها * ولمّا نُقاتِلْ جمعَهم حين أسْهَلا

وأمّا مقاتل فزعم أنهم قالوا : اتّخِذوا عَلَمًا يعرِف به بعضُكم بعضا ، فتحالقوا[2] . وفيه يقول طَرَفة[3] :

صــــوت

سائِـــلوا عنّا الذى يَعــرِفنا * بقُـواَنا[4] يومَ تَحْـلاقِ اللِّمَمْ

يومَ تُبْدِى البِيضُ عن أَسْؤُقِها[5] * وتَلُفّ الخيــلُ أعْراجَ النَّعَمْ

---

(١) كذا فى ط ، م ، ى . وكردين : كلمة فارسية معناها : حائد عن الصواب . وقد رجح لدينا أن كلمة « كذب » أثبتت تفسيرا من المؤلف لكلمة « كردين » فوضعناها بين علامتى التفسير اشارة إلى ذلك . وفى حـ : « كذب ابن كاذب عامر » . وفى ب ، سـ : « كاذب بن كاذب عامر » .

(٢) كذا فى ط ، ى . وفى باقى الأصول : « فتحالفوا » بالفاء ، وهو تصحيف .

(٣) ذكر هذان البيتان فى ديوان طرفة ضمن قصيدة أثبتها له أبو عبيدة والمفضل وأبو عمرو الشيبانى ، وزعم الأصمعى أنها مصنوعة وأنه أدرك قائلها (عن شرح ديوانه ص ١٠٤ طبع مدينة شالون سنة ١٩٠٠ م) .

(٤) كذا فى حـ ، سـ وعدة أصول من ديوان طرفة . وفى باقى الأصول : « بوفانا » بالفاء وهو تحريف .

(٥) أسؤق : جمع لساق ، همزت الواو فيه لتحمل الضمة ، أى يوم تكشف النساء البيض عن سيقانها من الفزع . وتلف : تجمع . وأعراج : جمع عرج (بالفتح و يكسر) وهو القطيع من الإبل نحو الثمانين أو منها إلى تسعين أو هو مائة وخمسون وفويقها أو من خمسمائة إلى ألف . والنعم (بالتحريك وقد تسكن عينه) : الإبل .

غنّى فى هذين البيتين ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن الهشامىّ، وذكر أحمد بن المكىّ أنه لمعبد .

همام بن مرة ومقتله

وزعم مقاتل أنّ هَمّام بن مُرّة بنِ ذُهْل بن شَيْبان، لم يزل قائدَ بكر حتى قُتِل يوم القُصَيبات، وهو قبل يوم قِضَة، (١) [ويوم قِضَة] على أثَره . وكان من حديث مقتل هَمّام أنه وجَد غلاما مطروحا، فالتقطه وربّاه وسمّاه ناشِرةَ فكان عنده لَقِيطا؛ فلما شَبّ تبيّن أنه من بنى تَغْلب؛ فلمّا التقوا يومَ القُصَيبات جعل هَمّام يقاتل، فإذا عطِش رجع إلى قِرْبة فشرِب منها ثم وضع سلاحَه؛ فوجد ناشرةُ من هَمّام غفلةً، فشَدّ عليه بالعَنَزة (٢) فأقصده فقتله، ولحِق بقومه تغلِبَ. فقال باكى هَمّام :

لقد عَيّل الأقوامَ (٣) طعنةُ ناشِرَهْ * أناشِرُ لا زالتْ يمينُك آشِرَهْ (٤)

الحارث بن عباد وأخذه بثأر ابنه بجير

١٤٥ / ٤

ثم قتل ناشِرةَ رجلٌ من بنى يَشْكُر . فلمّا كان يومُ قِضَة وتجمّعتْ إليهم بكرٌ، جاء إليهم الفِنْدُ الزِّمّانىّ أحد بنى زِمّان بن مالك بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل من اليمامة، قال عامر بن عبد الملك المِسْمَعىّ : فرأسوه عليهم؛ فقلت أنا لِفراس

---

(١) كذا فى ط، ء : وهو الموافق لما أجمعت عليه المصادر التى بين أيدينا ومنها كتاب الأغانى نفسه فيا تقدّم فى أول هذا الخبر: من أن يوم القصيبات كان قبل يوم قضة ثم كان بعده يوم قضة . وقد وضعنا هذه الزيادة التى نعتقد أنها سقطت سهوا من الناسخ ليستقيم بها الكلام . وفى باقى الأصول : « ... يوم القصيبات وهو بعد يوم قضة القصيبات على أثره ... » وهو على ما فيه من اضطراب يخالف ما أثبته الأغانى نفسه قبلا . (٢) العنزة (محركة) : شبيه العكازة أطول من العصا وأقصر من الرمح ولها زج من أسفلها . (٣) فى م، حـ والسان (مادة أشر) : «الأيتام» بدل «الأقوام» . وعيلهم الطعنة : أفقرتهم وأحوجتهم، اذ كان المطعون معتمدهم وسندهم . (٤) آشرة : قال فى اللسان (مادة أشر) بعد أن ذكر البيت : « أى لا زالت يمينك مأشورة (مشقوقة) أو ذات أشر، كما قال عز وجل (خلق من ماء دافق) أى مدفوق، ومثل قوله عز وجل (عيشة راضية) أى مرضية، وذلك أن الشاعر انما دعا على ناشرة لا له، بذلك أتى الخبر وإياه حكت الرواة . وذو الشىء قد يكون مفعولا كما يكون فاعلا ... الخ » .

ابن خَنْـدَق[(١)] : إن عامرًا يزعم أن الفِنْد كان رئيس بكر يوم قِضَةَ ؛ فقال : رحم الله أبا عبد الله ! كان أقلَّ الناس حظًّا فى عِلم قومه. وقال فِراس : كان رئيسَ بكر بعد همّام الحارثُ بن عُبَاد . قال مقاتل : وكان الحارث بن عُبَاد قد اعتزل يوم قتل كُلَيب، وقال : لا أنا من هذا ولا ناقتى ولا جملى ولا عِدْلى، وربما قال: لست من هذا ولا جملى ولا رَحْلى، وخذل بكرًا عن تَغلِبَ، واستعظم قتلَ كُلَيب لسؤدده فى ناقة . فقال سعد بن مالك يحضض الحارثَ بن عُبَاد :

يا بؤسَ للحــرب الــتى * وضعتْ أراهطَ[(٢)] فاستراحوا
والحـربُ لا يَبْــقَى لجا * حِمها[(٣)] التَّخَيُّــلُ[(٤)] والمِــراحُ
إلّا الفتى الصــبّارُ فى النَّـ * ـجَداتِ والفــرسُ الوَقاحُ[(٥)]

فلمّا أُخذ بُجَيرٌ[(٦)] بن الحارث بن عُبَاد تَوًّا بواردات — وإنما سُلّ ولم يؤخذ فى مُزاحفة — قال له مُهَلهِل : مَن خالُك يا غلام؟! . قال[(٧)] امرؤ القيس بن أبان التَّغلبىّ لمهلهل : إنى أرى غلامًا لَيُقْتَلَنّ به رجل لا يُسأل عن خاله، وربما قال عن حاله —

---

(١) أنظر الحاشية رقم ٣ ص ٣٥ من هذا الجزء . (٢) أراهط : جمع أرهط الذى هو جمع رهط . وقال سيبويه : إن أراهط جمع لرهط على غير قياس . (٣) بين سطور ط : «بلجاحها» وكتبت أمامها كلمة «صح» . وجاحم الحرب : موقدها ومثيرها . وفى ء : «لحاجها» بتقديم الحاء على الجيم وهو مصحف عما ثبت فى رواية ط . (٤) التخيل : التكبر . والمراح : الأشر والبطر . (٥) الوقاح (بالفتح) : الصلب القوىّ . (٦) كذا فى ب، س . وسيرد فى سياق كلام المؤلف بعد قليل أن بجيرا ابن أخى الحارث وأن أبا برزة قال : إنه ابن الحارث نفسه . ونسبه على أنه ابن أخى الحارث هو، كما ورد فى حـ ، : «فلما أخذ بجير بن عمرو ابن مرة بن عباد الحارث عم أبيه» . و «الحارث عم أبيه» جملة حالية سيقت لبيان ما بين بجير والحارث من آصرة قربى . وفى ط، ء، م : «ولما أخذ بجير بن عمرو بن مرة بن الحارث بن عباد توا بواردات ...» وغير خاف ما فيها من تحريف . (٧) كذا فى ب، س . وفى سائر الأصول : «قال يقول امرؤ القيس...» . ولو كان فى ب، س : «فقال» بالفاء، كما ورد فى جميع الأصول فيما يأتى، لكان أوجه .

قال : فكان والله آمرؤ القيس هو المقتول به ، قتله الحارث بن عُبَاد يوم قِضَة بيده — فقتله مهلهل . قال : فلمّا قتَل مهلهل بُجَيرًا قال : بُؤْ بِشِسْعِ نعل كُلَيب[1] ؛ فقال له الغلام : إن رَضِيتْ بذلك بنو ضُبَيعة بن قيس رضيتُ . فلما بلغ الحارثَ قتلُ بُجَير ابنِ أخيه — وقال أبو بَرْزة : بل بجير آبن الحارث بن عُبَاد نفسه — قال : نِعْمَ الغلامُ غلامٌ أصلح بين آبنَيْ وائلٍ و باء بكُلَيب . فلما سمعوا قول الحارث : قالوا له : إنّ مهلهلًا لمّا قتله قال له : بُؤْ بشِسْعِ نعل كليب — وقال مهلهل :

كُلُّ قتيلٍ فى كُلَيبٍ حُلَّامْ[2] * حتى ينالَ القتلُ آلَ هَمَّامْ

وقال أيضا :

كُلُّ قتيلٍ فى كُلَيبٍ غُرَّهْ[3] * حتى ينالَ القتلُ آلَ مُرَّهْ

— فغضب الحارث عند ذلك فنادى بالرَّحيل[4] . قال مقاتل : وقال الحارث ابن عُبَاد :

قَرِّبَا مَرْبِطَ النَّعامةِ[5] مِنِّى * لَقِحتْ[6] حربُ وائلٍ عن حِيالِ

لا بُجَيرٌ أغنَى قتيلًا ولا رهـ * ـطُ كُلَيبٍ تَزَاجروا عن ضَلالِ

لم أكن من جُنَاتِها علم اللّـ * ـهُ وإنّى بحَرّها اليومَ صالِ

---

(١) باء دمه بدمه : عدله وكافأه ، وباء فلان بفلان : قتل به .

(٢) قتيل حلام : ذهب باطلا . وأصل الحلام (بضم الحاء وتشديد اللام وتخفيفها) : الصغير من ولد الغنم ، ويقال فيه حلان أيضا ، وقد روى بهما بيت مهلهل ، والشطر الثانى فى رواية «حلان» : «حتى ينال القتل آل شيبان» . يقول : كل من قتل فى كليب ناقص عن الوفاء به إلا آل همام أو شيبان . (عن اللسان مادة حلم ببعض تصرف) . (٣) الغرة : العبد والأمة . ومعنى هذا البيت كمعنى الذى قبله . (٤) فى م : «فدنا بالرجل» بالجيم . ومن معانى الرجل (بالكسر) : الجيش ، شبه لكثرته برجل الجراد وهو الكثير منه . (٥) النعامة : اسم فرس كانت للحارث بن عباد . (٦) أصل اللقاح الحمل . وعن بمعنى بعد . وحيال : مصدر حالت الأنثى إذا لم تحمل . والمراد أن حرب وائل هاجت بعد سكون .

قال : ولم يصحّح عامر ولا مِسْمَع غير هذه الثلاثة الأبيات . وزعم أبو بَرْزة قال : كان أوّل فارس لقى مهلهلًا يوم واردات بُجَير بن الحارث بن عُبَاد، فقال : مَنْ خالُك يا غلام ، وبوّأ نحوه الرمح (١) ؛ فقال له آمرؤ القيس بن أبَان التَّغْلِبىّ — وكان على مقدِّمتهم فى حروبهم (٢) — : مهلًا يا مهلهل! فإنّ عمّ هـذا وأهلَ بيته قد آعتزلوا حربَنا ولم يدخلوا فى شىء ممـا نكره، ووالله لئن قتلتَه ليُقتلَنّ به رجلٌ لا يُسأل عن نسبه؛ فلم يَلتفتْ مهلهل إلى قوله وشدّ عليه فقتله ، وقال: بُؤْ بشِسْع نعل كليب؛ فقال الغلام : إن رَضيتْ بهذا بنو ثَعْلبة (٣) فقد رضيتُه . قال : ثم غَبَروا زمانا ، ثم لِقى هَمّامَ بن مرّة فقتـله أيضا . فأتى الحارثَ بن عُبَاد فقيل له : قتـل مهلهل هماما؛ فغضب وقال : رُدُّوا الجِمـالَ على عَكَرها (٤) « الأمرُ مخلوجةٌ ليس بسُلْكَى (٥) »؛ وجَدّ فى قتالهم . قال مقاتل : فكان حَكَمَ بكر بن وائل يوم قِضَةَ الحارثُ بن عُبَاد؛ ١٤٦/٤ وكان الرئيسَ الفِنْدُ، وكان فارسَهم جَحْدَرٌ، وكان شاعرَهم سعدُ بن مالك بن ضُبَيعة، وكان الذى سَدّ الثنيّةَ عوفُ بن مالك بن ضُبَيعة، وكان عوفٌ أنبه من أخيه سعد . وقال فِرَاس بن خَنْدَق (٦) : بل كان رئيسَهم يوم قِضَـةَ الحارثُ بن عُبَاد . قال مقاتل: فأسَرَ الحارثُ بن عباد عَدِيًّا — وهو مهلهل — بعد آنهزام الناس وهو لا يعرفه؛

أسر مهلهل ونجاته ثم لحاقه باليمن وشعره فى ذلك

(١) بوّأ نحوه الرمح : قابله به وسدّده نحوه . (٢) عبارة ط ، ء : « وكان على مقدّمتهم ... » . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وثعلبة جدّ أعلى من جدود آل عباد الذين منهم بجير هـذا، إذ آل عباد من ضبيعة بن قيس بن ثعلبـة ، وينتهى نسب ثعلبة الى بكر بن وائل . وفى ب ، سـ : «بنو تغلب» ، وهو تحريف . (٤) العكر : (محركة وقد تسكن) جمع عكرة : وهى القطيع الضخم من الإبل ، أى ردوا ما تفرق من الإبل الى معظمها . (٥) فى لسان العرب (مادة خلج) : « الرأى مخلوجة ليس بسـلكى » . وفى فرائد اللآل (ص ٣٢) ومجمع الأمثال (ج ١ ص ٢٩) : «الأمر سلكى وليس بمخلوجة» . والسلكى : الطعنة المستقيمة وهى التى تقابل المطعون فتكون أسلك فيه . والمخلوجة : المعوجة . يضرب هذا المثل فى آستقامة الأمر ونفى ضـدّها .
(٦) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٥ من هذا الجزء .

فقال له : دُلَّنى على المهلهل؛ قال : ولى دَمى؟ قال : ولك دَمُك؛ قال : ولى ذِمّتُك وذمّةُ أبيك؟ قال : نعم، ذلك لك؛ قال: فأنا مُهَلْهِل . قال : دُلَّنى على كُفْءٍ لبُجَيْر؛ قال : لا أعلمه إلا آمرأ القيس بن أبَان، هذاك عَلَمُه؛ بجَزّ ناصيته(١) وقصَد قَصْد آمرئ القيس فشدّ عليه فقتله . فقال الحارث فى ذلك :

لَهْفَ نفسى على عَدِىٍّ ولم أعـ * ـرِفْ عَدِيًّا إذ أمكنتنى اليدانِ
طُلَّ(٢) مَنْ طُلَّ فى الحروب ولم أو * تِرْ بُجَيْرًا أَبَأْتُه(٣) آبنَ أبانِ
فارسٌ يضرب الكتيبةَ بالسيـ * ـفِ وتسمو أمامَه العينانِ

وزعم مُحْجر أنّ مُهَلْهِلا قال : لا والله أو يَعْهَدَ لى غيرُك ؛ قال الحارث : آختَرْ مَنْ شئت ؛ قال : أختار الشيخَ القاعد عَوْفَ بن مُحَلِّم ؛ قال الحارث : يا عوفُ أَجِرْه؛ قال : لا! حتى يقعدَ خَلْفى؛ فأمره فقعد خلفه؛ فقال : أنا مُهَلْهِل . وأمّا مقاتل فقال : إنما أخذه فى دَوْرِ الرَّحَى(٤) وحَوْمة القتال ولم يقعد أحد بعدُ، فكيف يقول الشيخَ القاعدَ! . قال مقاتل : وشدّ عليهم جَحْدَرٌ، فأعتوره عمرو وعامر، فطعن

(١) الناصية : الشعر فى مقدم الرأس فوق الجبهة، وكان من عادة العرب أنهم اذا أنعموا على الرجل الشريف بعد أسره جزوا ناصيته وأطلقوه فتكون الناصية عند من جزها يفخر بها . وربما جزت ناصية الأسير شريفا كان أو غير شريف وأخذت للافتخار، والعرب متفاوتون فى ذلك . قال زهير من قصيدة مدح بها هرم بن سنان المرى أحد الأجواد فى الجاهلية :

عظمت دسيعته وفضله * جز النواصى من بنى بدر

وقالت الخنساء مفتخرة :

جززنا نواصى فرسانها * وكانوا يظنون ألا تجزا
ومن ظن ممن يلاقى الحروب * بألا يصاب فقد ظن عجزا

(٢) طل دم القتيل : ذهب هدرا . (٣) أباء القاتل بالقتيل : قتله به .

(٤) فى ط ، ى ، م : «أخذه فى المرحى» . والمرحى : حومة الحرب .

عمرًا بعالية الرمح (١) وطعن عامرًا بسافلته فقتلهما عِداءً (٢) وجاء بيزّهما . قال عامر بن عبد الملك المِسْمَعي : فحدّثني رجلٌ عالم قال : سألني الوليدُ بن يزيد: مَنْ قتل عمرًا وأخاه عامرا؟ قلت : جَحْدَر؛ قال : صدقتَ، فهل تدرِى كيف قتلهما؟ قلت : نعم، قتل عمرًا بسِنَان الرمح (٣)، وقتل عامرًا بزُجّه . قال : وقتل جحدرٌ أيضا أبا مِكْنَف .

قال مقاتل : فلمّا رجع مُهلهِل بعد الوَقْعة والأسْر الى أهله ، جعل النساء والولدانُ يستخبرونه : تسأل المرأة عن زوجها وابنها (٤) وأخيها ، والغلامُ عن أبيه وأخيه ؛ فقال :

ليس مثلى يُخبِّر الناسَ عن آ * بائهم قُتِّلوا ويَنْسَى القِتالا
لم أرِمْ (٥) عَرْصةَ الكتيبةِ حتّى اْنـ * ـتعل الوَرْدُ (٦) من دماءٍ نِعالا
عَرَفَتْه رِماحُ بكرٍ فما يأ * خُذن إلا لَبانَه (٧) والقَذالا
غلبونا، ولا محالةَ يومًا * يقلِبُ الدهرُ ذاك حالًا فحالا

ثم خرج حتّى لحِق بأرض اليمن ، فكان فى جَنْبٍ (٨) ، فخطب إليه أحدُهم ابنته فأبى أن يفعل، فأكرهوه فأنكحها إياه؛ فقال فى ذلك مهلهِل :

---

(١) عالية الرمح : سنانه . وسافلته : زجه . وزج الرمح : حديدة فى أسفله . (٢) يقال : عادى الفارس بين صيدين و بين رجلين اذا طعنهما طعنتين متواليتين ، والعِداء بالكسر ، والمعاداة : الموالاة والمتابعة بين الآثنين يصرع أحدهما على إثر الآخر فى طلق واحد، وأنشد لأمرئ القيس :

فعادى عداء بين ثور ونعجة * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

(٣) فى ب ، س ، حـ : «بعالية الرمح» . (٤) فى ب، س، حـ : «وأبيها» .
(٥) لم أرم : لم أبرح . (٦) الورد من الخيل : بين الكميت والأشقر ؛ أو هو الأحمر الضارب الى الصفرة . (٧) كذا فى أكثر الأصول، واللبان : الصدر . وفى ب ، س : «لباته» بالتاء بدل النون، واللبة : المنحر . (٨) جنب : حى باليمن من مذحج، وهم ستة رجال : منبه والحارث والعلى وسيحان وشمران وهفان يقال لهم جنب لأنهم جانبوا أخاهم صداء . (راجع معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٧٧ طبع أوربا) .

أنكحها فقــدُها الأراقِمَ فى (١) * جَنْبٍ وكان الحِبَاءُ (٢) من أَدَمِ

لــو بأبانَيْنِ (٣) جاء يخطبهــا * ضُرِّجَ ما أنفُ خاطبٍ بدَمِ

أصبحتُ لا مُنْفِسًا (٤) أصبتُ ولا * أُبْتُ كريمًــا حُرًّا من النَّــدَمِ

هانَــ على تغلبٍ بمــا لَقِيتْ * أختُ بنى المــالِكِين من جُشَمِ

ليســوا بأكفائنا الكرام ولا * يُغْنُون من عَيْلَةٍ ولا عَدَمِ

ثم إنّ مهلهلا انحــدر، فأخذه عمرو بن مالك بن ضُبَيعة، فطلب اليه أخوالُه ١٤٧/٤
بنو يَشْكُر — وأُمّ مهلهِلٍ المرادة (٥) بنت ثَعْلبة بن جُشَم بن غُبَر (٦) اليَشْكُرِيّة، وأُختها مَنّة (٧)
بنت ثَعْلبة أمّ حَيّ (٨) بن وائل، وكان المُحَلِّل (٩) بن ثَعلبة خالَها — فطلب إلى عمرو أن يدفعه
إليه فيكونَ عنده ففعل؛ فسقاه (١٠) خمرا، فلما طابت نفسُه تَغَنَّى:

طَفْلَةٌ (١١) ما ابنةُ المُحَلِّل بيضا * ءُ لَعُوبٌ لذيذةٌ فى العِناقِ

---

(١) الأراقم: حىّ من تغلب. (٢) كذا فى ط، ء وعيون الأخبار (ج ٣ ص ٩١) طبع دار الكتب المصرية، وكذلك صححها المرحوم الشنقيطى بنسخته. وفى باقى الأصول: «الخباء» بالخاء المعجمة، وهو تصحيف وقد وقع فى هــذا التصحيف ابن دريد كما فى المزهر للسيوطى (ج ٢ ص ١٨٦) (٣) أبانان: جبلان، قيل: يقال لأحدهما أبان الأبيض وللآخر أبان الأسود، وقيــل: هو تثنية أبان ومتالع غلب أحدهما، كما قالوا العمران والقمران فى أبى بكر وعمر وفى الشمس والقمر. (انظر معجم البلدان لياقوت). (٤) المنفس: المــال الكثير الذى له قدر وخطر.

(٥) فى ط، ء: «المرداة». وفى حـ: «المرتادة». (٦) كذا فى ط، ء، وهو الموافق لمــا فى شرح القــاموس «مادة غبر» وفى الأصول «عبــد» وهو تحريف.

(٧) كذا فى ط، ء. وفى سائر الأصول: «أمية». (٨) كذا فى ط، ء، م. وفى باقى الأصول: «بنت ثعلبــة حى من وائل». (٩) كذا فى ط، ء، م والطبرى (قسم ٢ ج ٣ ص ٨٨٤ طبع أوربا). وفى باقى الأصول وهامش الطبرى: «المجلل» بالجيم.

(١٠) فى ط، ء، م: «ففعــل المحلل ثم شرب مهلهل يوما وهو عنــد المحلل خمرا ...».

(١١) الطفلة: الرخصة الناعمة.

حتى فرغ من القصيدة، فأدّى ذلك مَنْ سَمِعه من المُهلهِل إلى عمرٍو، فحوّله اليه وأقسم ألّا يذوق عنده خمرا ولا ماء ولا لبنا حتى يَرِدَ رَبِيبٌ الهِضَابَ (جمل له كان أقلَّ ورودِه فى الصيف الخِمْسُ)(١)؛ فقالوا له : يا خيرَ الفتيان، أرسِلْ إلى ربيبٍ فلْتُؤتَ به قبل ورودِه، ففعل فأَوْجره(٢) ذَنُوبًا من ماء؛ فلما تحلّل من يمينه سقاه من ماء الحاضرة، وهو أوبأ ماءٍ رأيته، فمات . فتلك الهِضَاب التى كان يرعاها رَبِيبٌ يقال لها هِضاب ربيب، طالما رعيتُهنّ ورأيتهنّ . قال مقاتل : ولم يُقاتل معنا من بنى يَشْكُرَ ولا من بنى لُجَيْم ولا ذُهْل بنِ ثَعْلبة غيرُ ناس من بنى يَشكر وذُهْلٍ قاتلتْ بأَخَرةٍ(٣)، ثم جاء ناس من بنى لُجَيم يوم قِضَةَ مع الفِنْدِ . وفى ذلك يقول سَعْد ابن مالك :

القبائل التى انضمت الى بكر فى حربهم مع تغلب

إنّ لُجيمًا قد أبتْ كلُّها * أن يُرْفِدونا رجلًا واحدًا
ويَشْكُرُ أضحتْ على نأيها * لم تَسْمعِ الآنَ لها حامدًا
ولا بنو ذُهْلٍ وقد أصبحوا * بها حُلولًا خَلَقًا(٤) ماجدًا
القائدى الخيلِ لأرض العِدَا * والضاربين الكوكبَ الوافدَا(٥)

وقال البَكْرىّ :

وصَدّتْ لُجَيمٌ للبراءة إذ رأتْ * أهاضيبَ(٦) موتٍ تُمطِرُ الموتَ مُعْضِلَا
ويَشْكُرُ قد مالتْ قديمًا وأرْتعتْ * ومَنّتْ بقُرْباها اليهم لتُوصَلَا

وقالوا جميعا : مات جَسّاسٌ حَتْفَ أنفه ولم يُقْتَل .

---

(١) الخمس بالكسر: من أظماء الإبل وهو أن ترد الإبل الماء فى اليوم الخامس . (٢) أوجره ذنوبا من ماء : أى جعله فى فيه . والذنوب : الدلو التى لها ذنب ، ولا تكون ذنوبا إلا وهى ملأى ، ولا تسمى خالية ذنوبا .
(٣) بأخرة : أخيرا ، يقال جاء أخرة و بأخرة (بفتح الهمزة والخاء و بضم الهمزة) . (٤) كذا فى حـ . وفى ب ، سـ : «حلولا خلقا ماجدا» . وفى ط ، ء : «حلوما حلقا ماجدا» . وفى م : «حلوما خلفا ماجدا» .
(٥) كذا فى ب . والكوكب : سيد القوم وفارسهم ، والرجل بسلاحه . والوافد : القادم . وفى باقى الأصول : «الواقدا» بالقاف ، ولعله تصحيف . (٦) الأهاضيب : جمع أهضوبة وهى الدفعة من المطر .

عدد القتلى من بكر وتغلب والاستشهاد على ذلك بشعر مهلهل

قال عامر بن عبد الملك : لم يكن بينهم من قتلى تعدّ ولا تذكر إلا ثمانيةَ نفرٍ من تَغْلِب وأربعةٌ من بَكْر عددهم مُهلهِلٌ فى شِعريه(١)، يعنى قصيدتيه :

أليلتنا بذى حُسُمٍ(٢) أنيرِى * إذا أنتِ انقضَيتِ فلا تَحُورِى
فإن يكُ بالذَّنائب طال ليلى * فقد أبكى من الليلِ القصيرِ
فلو نُبِش المقابرُ عن كُلَيب * فيَعْـلَمَ بالذنائب أىُّ زيرِ
بيوم الشَّعْثَمَينِ(٣) أُقِـرّ عينًـا * وكيف لِقاءُ من تحت القُبورِ
وإنّى قـد تركتُ بِوارِداتٍ(٤) * بُجَيرًا فى دمٍ مثـلِ العبيرِ(٥)
هتكتُ به بيوتَ بنى عُبَادٍ * وبعضُ الغَشْمِ أشفَى للصّدورِ
على أنْ ليس يُوفِى من كُلَيبٍ * إذا برزتْ مُخبَّأةُ الخُـدورِ

١٤٨/٤

---

(١) كذا فى ط، ى. وفى سائر الأصول : «فى شعره يعنى من قصيدته» . (٢) ذو حسم : موضع بالبادية . وتحورى : ترجعى . (٣) يوم الشعثمين : هو يوم واردات، كما فى العقد الفريد، بيد أن شعر الأخطل الآتى يدل على أنه يوم الذنائب . والشعثمان هما شعثم وعبد شمس ابنا معاوية بن عامر ابن ذهل بن ثعلبة، كما فى العقد الفريد، وقيل : هما شعثم وشعيث، وقيل فى اسميهما غير ذلك . وأضيف هذا اليوم إليهما لأنهما قتلا فيه . وقد جمعهما الأخطل فى قصيدة يفتخر فيها بقومه بنى تغلب على "شعاثم"، يريد أبنى معاوية ومن قتل معهما فى ذلك اليوم، فقال :

بقـوم هُمُ يوم الذنائب أهلكوا * «شعاثم» رهط الحارث بن عباد

وقال أبو على القالى فى أماليه : "الشعثمان : موضـع معروف" . وردّ قوله هذا بأنه لم يذكره أحد ممن شرح حرب البسوس وذكر أيامها . (راجع شرح شواهد المغنى للبغـدادى ج ٢ ص ٢٣٤ من النسخة المخطوطة المحفـوظة بدار الكتب المصرية برقم ٢ نحو ش والعقـد الفريد ج ٣ ص ٩٥) . وأقرّ عينا : جواب «لو» الشرطية فى البيت الذى قبل هذا البيت . ورواية الأمالى : « لقرّعينا » باللام . وقد تقدّم فى ص ٣٨ أن هذا الفعل نصب لما فى « لو » من معنى التمنى . (٤) واردات : موضع عن يسار طريق مكة، وبه سمى "يوم واردات" . (٥) العبير : الزعفران .

وهمّـام بن مُرّةَ قـد تركنا * عليـه القَشْعمانِ[1] من النسورِ
يَنُوء بصـدره والرمحُ فيـه * ويَخْلِجه[2] خِدَبٌّ كالبعـيرِ
فلولا الريحُ أُسْمِعَ مَنْ بِحُجْرٍ * صليلَ البِيضِ تُقرَعُ بالذكورِ[3]
فِدًى لبنى شَقِيقةَ يوم جاءوا * كأُسْدِ الغَابِ لجَّتْ فى الزَّئيرِ
كأنّ رماحَهم أَشْطانُ[4] بئرٍ * بعيـدٍ بين جَالَيْهـا[5] جَرُورِ
غـداةَ كأنّنـا و بنى أبينـا * بجَنْب عُنَيزةٍ رَحَيـا مُدِيرِ[6]
تَظَلّ الخيلُ عاكفةً عليهـم * كأنّ الخيلَ تَرْحَضُ[7] فى غديرِ

فهؤلاء أربعة من بنى بكر بن وائل . وقال أيضا :

طَفْـلةٌ ما ٱبنـةُ المحلّلِ بيْضا * ءُ لَعُـوبٌ لذيذةٌ فى العنَـاقِ
فٱذْهَبِى ما إليـكِ غيرَ بعيـدٍ * لا يُؤاتِى العِناقُ مَنْ فى الوَثاقِ
ضربتْ نحـرَها الىّ وقالتْ * ياعديًّا لقـد وقتْـك الأواقى[8]
ما أُرَجّى فى العيش بعد نَدَا مَا * ىَ أراهم سُـقُوا بكأسِ حَلاقِ[9]

---

(١) القشـعم : النسر الذكر العظيم . و يروى كما فى الأمالى لأبى على القالى ج ٢ ص ١٣٢ طبـع دار الكتب المصرية : « عليه القشعمين » على أنه معمول لتركنا ، و بالرفع على أنه جملة حاليـة استغنت فى الربط بالهاء عن الواو . على أنه يجوز أن يكون القشعمان مفردا وتلحق حركة الاعراب فيه النون لا الألف ، وقد تضم القاف والعين كما فى ثعلبان وقد تفتحان كما فى عقربان . (٢) يخلجه : يجذبه . والخدب : الضخم . (٣) تقدّم تفسير هذا البيت فى ص ٤١ فى الحاشية رقم ٣ من هذا الجزء . (٤) الأشطان : جمع شطن وهو الحبـل الشديد الفتل يستق به . (٥) جال البئر : ناحيتها . والجرور من الآبار : البعيدة القعر . (٦) فى شرح شواهد المغنى للبغدادى : « قال أبو عبيد البكرى فى شرح نوادر القالى المسمى (فرة النواظر فى شرح النوادر) : الرحيان اذا أدارهما مـدير أثرت إحداهما فى الأخرى وهما من معدن واحد ، وكذلك هؤلاء هم من أصل واحد يتماحقون و يقتلون » . (٧) ترحض : تغسل . (٨) الأواق : جمع واقية . (٩) الحلاق : المنية معدولة عن الحالقة لأنها تحلق أى تقشر ، و بنيت على الكسر لأنه حصل فيها العدل والتأنيث والصفة الغالبة .

بعـــد عمرٍو وعامرٍ وحُـــيّ * ورَبيع الصُّدُوف[1] وابْنى عَناق

وامرئ القيس ميّت يوم أوْدَى * ثم خَـــلّى علىّ ذاتَ العَــرَاقى[2]

وكليبٍ سَمِّ[3] الفــوارس إذ حُـــمّ * رَماه الـــكُماةُ بالإيفاق[4]

إنّ تحت الأحجار حَدًّا[5] ولينًــا * وخَصيـــمًا ألدَّ ذا مِعْـــلاقِ[6]

حيّـــةٌ فى الوِجار أربدُ[7] لا تَنْـ * ـفَعُ منـه السليمَ نَفْثَـــةُ راقِ

فهؤلاء ثمانية من تغلب . قال عامر : والدليل على أنّ القتلى كانوا قليلًا أنّ آباء القبائل هم الذين شهِدوا تلك الحروبَ، فعُدُّوهم وعُدُّوا بنيهم وبنى بنيهم، فإن كانوا خمسمائة فقد صدَقوا، فكم عسى أن يبلغ عددُ القتلى والقبائل . قال مِسْمَع : إنّ أخى مجنون، وكيف يحتجّ بشعْر المُهَلهِل، وقد قتل جَحْدرٌ أبا مِكْنَف يومَ قِضَةَ فلم يذكره فى شعره، وقَتل اليشكرىُّ ناشرةَ فلم يذكره فى الشعر، وقُتِل حَبيبٌ يومَ وارِدات، وقَتل سعدُ بن مالك يوم قِضَةَ ابنَ القَبِيحة فلم يُذْكر، فهؤلاء أربعة . وقال البَكْرِىّ :

تركنا حَبيبًا يوم أرْجفَ جمعُــه * صريعًــا بأعلى وارداتٍ مُجَــدَّلا

---

(١) كذا فى أكثر الأصول وفى شرح شواهد العينى المطبوع بهامش خزانة الأدب للبغـدادى (ج ٤ ص ٢١٣ طبع بولاق)، وقد فسره العينى بقوله : «الصدوف بفتح الصاد المهملة وفى آخره فاء : اسم فرس الربيع الذى أضيف اليها وقيل : اسم امرأة» . وفى س : «الصدوق» بالقاف، وهو تصحيف .

(٢) ذات العراق : الداهية .

(٣) فى ب، س : «شمّ» بالشين، وهو تصحيف .

(٤) كذا فى شرح شواهد العينى، والايفاق (بكسر الهمزة وسكون الياء بعدها فاء وبعد الألف قاف) : إيتار السهم ليرمى به، من أوفقت السهم اذا وضعته على فوقه . وفى الأصول : «بالاتفاق» وهو تصحيف .

(٥) كذا فى م، ح . والحدّ : الحدة . وفى سائر الأصول : «جدا» بالجيم .

(٦) المعلاق : اللسان البليغ كأنه يعلق بخصمه، ويروى : «مغلاق» بالغين المعجمة، كأنه يغلق الحجة على خصمه .

(٧) الحية يطلق على الذكر والأنثى . والوجار : جحر الضبع ويستعار لغيرها . والأربد : الذى يضرب لونه الى السواد .

وقال مُهَلهِل أيضا :

لستُ أرجو لَذّةَ العيش ما * أزَمَتْ[١] أجلادُ قِدٍّ بِساقى
جَلّلونى جِلْدَ حَوْبٍ[٢] فقد * جعلوا نَفْسِىَ عند التَّرَاقِى

وقال آخر[٣] يفخَر بيوم واردات :

ومُهَراقُ الدماء بواردات * تَبِيد المُخْزِيات وما تَبِيدُ

فقلتُ لعامر : ما بالُ مِسْمَع وما احتجّ به من هؤلاء الأربعة ؟ فقال عامر : وما أربعةٌ إن كنتُ أغفلتُهم[٤] فيما يقولون ! إنّهم قتلوا يوم كذا[٥] ثلاثةَ آلاف، ويوم كذا[٥] أربعةَ آلاف، والله ما أظنّ جميع القوم كانوا يومئذ ألفا ! فهاتوا فعُدُّوا أسماءَ القبائل وأبناءهم وأنزِلوا معهم [إلى][٦] أبناء أبنائهم، فكم عسى أن يكونوا !

نسبة ما فى هذه الأخبار من الأغانى

١٤٩/٤

صــوت

أَزْجُرِ العين أنْ تُبَكِّى الطُّلولَا * إنّ فى الصدر من كُلَيبٍ غليلَا
إنّ فى الصدرِ حاجةً لن تَقَضَّى * مادعا فى الغصون داعٍ هَديلَا
كيف أنساكَ يا كُلَيبُ ولمّا * أَقضِ حزنًا يَنُوبُنى وغَليلَا

---

(١) أزمت : تقبضت وانضمت . (٢) كذا صحح هذه الكلمة المرحوم الشيخ الشنقيطى فى نسخته . والحوب (بالحاء المهملة المفتوحة والواو) : الضخم من الجمال . والبعير اذا زجر قيل له حوب ولذلك سمى حوبا بزجره كما سمى البغل عدسا بزجره وسمى الغراب غاقا بصوته . وفى ط ، ء ، م : « جوب » بالجيم والجوب الترس ، وهو بعيد عن السياق . وفى باقى الأصول « حرف » بالحاء المهملة والراء . والحرف الناقة الضامرة الصلبة . (٣) هو جرير العجلى وقيل : هو الأخطل . « انظر اللسان مادة هرق » . (٤) كذا فى ط ، ء ، م . وفى سائر الأصول : «لأعقلهم» . (٥) كذا فى ط ، ء ، م . وفى باقى الأصول : «ويوم كذا وكذا ... ...» . (٦) الزيادة عن ط .

أيُّهـا القلبُ أنْجِزِ اليومَ نَحْبـًا (١) * من بني الحِصْنِ (٢) إذ غَدَوْا وذُحولَا (٣)
كيف يبكي الطلولَ مَنْ هو رهنٌ * بِطعانِ الأنامِ جِيلًا فجِيلَا
أنبَضُوا (٤) مَعْجِسَ القِسِيِّ وأبرقْـ * ـنا كما تُوعِدُ الفحولُ الفحولَا
وصبَرْنا تحت البَوارِقِ حتّى * رَكَدتْ فيهمُ السيوفُ طويلَا
لم يُطيقوا أنْ يَنزِلوا ونزلْنا * وأخو الحربِ مَنْ أطاق النُّزولَا

الشعر لمُهلهِل — قال أبو عُبيدة : اسمه عَدِيّ ، وقال يعقوب بن السِّكِّيت : اسمه آمرؤ القيس — وهو ابن رَبيعة بن الحارث بن زُهَير بن جُشَم بن بَكْر بن حَبيب ابن عمرو بن غَنْم بن تَغْلِب ؛ وإنما لُقِّب مُهَلهِلًا لِطيب شعره ورِقّته ، وكان أحدَ من غُنِّيَ من العرب في شعره . وقيل : إنه أوّلُ من قَصَّد القصائدَ وقال الغَزَلَ ؛ فقيل : قد هَلْهَلَ الشعرَ ، أي أرَقّه . وهو أوّلُ مَنْ كَذَب في شعره (٥) . وهو خال آمرئ القيس بن حُجْر الكِنْديّ . وكان فيه خُنْثٌ ولِين ، وكان كثيرَ المحادثة للنِّساء ، فكان كُلَيب يسمّيه « زِيرَ النِّساء » ؛ فذلك قوله :

ولو نُبِش المقابرُ عن كُلَيبٍ * فيَعلَمَ بالذنائب أيُّ زِيرِ

الغناء لابن مُحْرِز في الأوّل والثاني من الأبيات ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة في مجرى الوسطى . وللغَريض فيهما لحنٌ في هذه الطريقة والإصبع والمجرى (٦) ، والذي فيه تجْحةٌ منها (٧) لابن مُحرز . ولمَعْبَد لحنان أحدهما في الأوّل والسادس ثقيل أوّل مطلق

(١) النحب : النذر . (٢) الحصن : هو ثعلبة بن عكابة . (٣) الذحول : جمع ذحل وهو الثأر . (٤) أنبض الرامي القوس وعن القوس : جذب وترها لتصوّت . ومعجس كمجلس : مقبض القوس . (٥) حكم عليه بهذا لقوله : « فلولا الريح ... » البيت ، لأن قتالهم كان بالجزيرة وحجر قصبة اليمامة ، وبين الموضعين مسافة عظيمة . (راجع أمالي أبي علي القالي ج ٢ ص ١٣٤ طبع دار الكتب المصرية وكتاب الشعر والشعراء ص ١٦٤) . (٦) في ط : « والإصبع في المجرى » . (٧) لعل الصواب : « منهما » على أن يكون مرجع الضمير اللحنين .

فى مجرى البنصر، والآخر خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر . ولإبراهيم فى الأوّل والرابع ثقيلٌ أوّل بالخنصر فى مجرى الوسطى . ولإسحاق فى الأوّل والثالث ماخُورِىّ . ولعَلُّويَه فى الأوّل والثانى خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر، ولمالك فيهما خفيف رمل بالسبّابة فى مجرى الوسطى . ولابن سُرَيج فى السادس والسابع خفيفُ رملٍ بالسبّابة فى مجرى البنصر . ولابن سُرَيج أيضا فى الأوّل والثامن خفيفُ ثقيل أوّل بالبنصر. وللغَريض فى الأوّل والثانى خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر . وللهُذَلِىّ فى الأوّل والثانى والسابع خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى من رواية حماد عن أبيه . ولمالك فى الأوّل والثانى والخامس خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو ابن بانة .

ومنها :

صـــوت

تَكِلَتْنِى عنـــد الثَّنِيَّـــة أُمّى (١) * وأتاها نَـــعِىُّ عَمّى وخالى
إنْ لَمْ أَشْفِ النفوسَ من حَىِّ بكرٍ * وعَـــدِىّ تَطَـــاهُ بُزْلُ الجمـــالِ (٢)

غنّاه ابن سُرَيج ثقيلًا أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى من رواية إسحاق، وغنّاه الغريض ثقيلًا أوّل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة .

---

(١) فى ط ، ء ، م : « على » . (٢) رواية هذا البيت فى كتاب بكر وتغلب ابنى وائل :

إن لم أشف النفوس من تغلب الغد * ر بيـــوم تـــذل بزل الجمال

ولعله : « بُزُلٌ بزل الجمال » وبهذا يكون البيت واضح العبارة والمعنى . وقد ورد فى ب ، سـ عقب هذين البيتين جملة : « الشعر مجهول » وهى حشو لأن هذا الشعر للحارث بن عباد كما سيذكر المؤلف بعد قليل .

١٥٠ / ٤

ومنها :

صــــوت

قَــرِّبَا مَرْبِطَ النَّعَامةِ مِنِّى * لَقِحتْ حربُ وائلٍ عن حِيالِ(١)

قَــرِّباها فى مُقْــرَبَاتٍ(٢) عِجَالٍ * عابساتٍ يَثِبْنَ وَثْبَ السَّــعَالِى

لم أكن من جُنَاتِها علم اللهُ وإنّى بحــرِّها اليــوم صالِ

الشعر للحارث بن عُبَاد . والغناء للغَرِيض ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر . وفيه لحن آخر يقال إنه لابن سُرَيج .

ومنها :

صــــوت

يالَبَكْرٍ أَنْشِروا لى كُلَيباً * يالَبَكْرٍ أينَ أينَ الفِــرارُ

يالَبَــكْرٍ فاظعَنوا(٣) أو حُــلُّوا * صَرَّح الشرُّ وبان السِّرارُ

الشعر لمُهَلهِل . والغناء لابن سُرَيج، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبابة فى مجرى البنصر من رواية إسحاق . وغنّاه الأَبْجر خفيف رملٍ بالوسطى من رواية عمرو .

ومنها :

صــــوت

أليلتَنا بذى حُسُمٍ أَنِــيرِى * اذا أنتِ انقضيتِ فلا تَحُورِى

فإن يكُ بالذَّنائب طال ليلى * فقــد أبكى من الليل القصــيرِ

(١) تقدّم شرح هذا البيت فى الحاشيتين رقم ٥، ٦ ص ٤٧ من هذا الجزء. (٢) المقربات: جمع مقربة وهى الفرس التى يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها . والسعالى : جمع سعلاة وهى الغول أو ساحرة الجن . ورواية هذا البيت فى كتاب بكر وتغلب :

قربا مربط النعامة منى * ساريات يقفزن قفز السعالى

وهى رواية غير جيدة . (٣) فى ط، ء : «يالبكر اظعنوا...» بدون فاء .

كأنّ الجَدْىَ جَدْىَ[1] بناتِ نَعْشٍ * يُكِبُّ[2] على اليدين بمستديرِ[3]

وتَحْبُو[4] الشِّعْرَيانِ[5] الى سُهَيلٍ * يَلوح كقِمَّةِ[6] الجمل الكبير

فلولا الريحُ أُسمِعَ أهلُ حُجْرٍ * صَلِيلَ البِيضِ تُقْرَعُ بالذُّكورِ

الشعر لمُهَلْهِل . والغناء لابن مُحْرِز فى الأوّل والثانى ثقيلٌ أوّل بالبنصر، وله فى الأبيات كلها خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلقٌ فى مجرى الوسطى، عن إسحاق جميعا . وفى الأبيات كلّها على الوِلَاء للأبْجَر ثانى ثقيلٍ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو . ويقال : إن فيها لحنًا للغَرِيض أيضا .

الهجرس بن كليب وثأره لأبيه من خاله جساس

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا الحسن بن الحسين السُّكَّرِىّ قال حدّثنا محمد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابىّ عن المُفَضَّل عن أبى عُبَيْدة :

(١) قال ابن سيده : الجدى من النجوم جديان : أحدهما الذى يدور مع بنات نعش، والآخر الذى بلزق الدلو وهو من البروج ولا تعرفه العرب . وكلاهما على التشبيه بالجدى فى مرآة العين .

(٢) يكب : ينكس . يقال : كب فلان فلانا اذا صرعه فأكب هو ؛ وهذا من النادر ؛ وهو أن يكون الفعل المجرد من الهمزة متعديا وذو الهمزة لازما .

(٣) كذا فى ب، س، حـ . وفى ط، ء، م : « كمستدير » .

(٤) تحبو : تدنو، يقال : حبا الشىء الى كذا اذا دنا اليه أو اتصل به . وفى الأصول الموجود بها هذا البيت : « تخبو » بالخاء المعجمة، وظاهر أنه تصحيف، ورواية كتاب بكر وتغلب (ص ٧٠) : « تحنو » بالحاء المهملة والنون . والبيت ساقط من ط، ء .

(٥) الشعريان : كوكبان، أحدهما فى الجوزاء، وطلوعه بعدها فى شدّة الحر، و يقال له الشعرى اليمانية وتلقب بالعبور، والآخر فى الذراع و يقال له الشعرى الغميصاء، وتزعم العرب أنهما أختا سهيل . وسهيل : كوكب يمانى .

(٦) رواية كتاب بكر وتغلب : « كهيئة » .

أن آخر مَنْ قُتِـل فى حرب بكر وتغلِب جَسّاسُ بن مُرّة بن ذُهْل بن شَيْبان ، وهو قاتلُ كُلَيب بن رَبيعة، وكانت أخته تحت كُلَيب ، فقتله جَسّاس وهى حامل، فرجعتْ الى أهلها ووقعت الحربُ ، فكان من الفريقين ما كان ؛ ثم صاروا إلى الموادعة بعد ما كادت القبيلتان تتفانيان ؛ فولدت أختُ جَسّاس غلاماً فسمّته الهِجْرِس[١] وربّاه جساس ، فكان لا يعرف أباً غيره ، وزوّجه ابنته . فوقع بين الهِجْرِس وبين رجل من بنى بكر بن وائل كلامٌ ؛ فقال له البكرىّ : ما أنت بمنتهٍ حتى نُلْحقك بأبيك ؛ فأمسك عنه ودخل الى أمه كئيبا ، فسألته عما به فأخبرها الخبر ؛ فلما أَوَى إلى فراشه ونام الى جنب آمرأته وضع أنفَه بين ثدييها ، فتنفس تَنَفُّسةً تَنَفَّطَ[٢] مابين ثدييها من حرارتها ؛ فقامت الجارية فَزِعةً قد أقلّتها رِعدةٌ حتى دخلتْ على أبيها ، فقصّت عليه قصّةَ الهِجْرِس ؛ فقال جسّاس : ثائرٌ وربِّ الكَعْبة! وبات جسّاس على مثل الرَّضْف[٣] حتى أصبح ؛ فأرسل الى الهِجْرِس فأتاه ، فقال له : إنما أنت ولدى ومنّى بالمكان الذى قد علمتَ ، وقد زوّجتك ابنتى وأنت معى ، وقد كانت الحرب فى أبيك زماناً طويلا حتى كِدْنا ١٥١/٤ نتفانى ، وقـد اصطلحْنا وتحاجزْنا ، وقد رأيتُ أن تدخل فيما دخل فيه النـاسُ من الصلح ، وأن تنطلق حتى نأخذ عليك مثل ما أُخِذ علينا وعلى قومنا ؛ فقال الهِجْرِس : أنا فاعل ، ولكنّ مثـلى لا يأتى قومَه إلا بلأْمته[٤] وفرســه ؛ فحمله جَسّاس على فرس وأعطاه لأْمةً ودِرْعا ؛ فخرجا حتى أتيا جمـاعةً من قومهما ، فقَصّ عليهـم جسّاس

---

(١) كذا فى ط ، ء وابن الأثير (ج ١ ص ٣٩٣) طبع ليدن . وفى باقى الأصول اختـلاف فى عطف بعض هذه الأفعال على بعض بالواو أو بالفاء . (٢) تنفط : احترق . (٣) الرضف (بالفتح ، واحده رضفة) : الحجارة المحماة يوغر (يسخن) بها اللبن ، ويقال : هو على الرضف اذا كان قلقا مشخوصا به أو مغتاظا . (٤) لأمته : سلاحه . وتطلق اللأمة على كل عدّة للحرب من درع ورمح وبيضة ومغفر وسيف ونبل .

ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا اليه من العافية، ثم قال : وهــذا الفتى ابن أختي قد جاء ليــدخلَ فيما دخلتم فيه ويَعْقِد ما عَقَدتم؛ فلما قرّبوا الدمَ(1) وقاموا الى العَقْــد أخذ المِجْرِس بوَســط رُمحه، ثم قال : وفَرَسي وأُذُنَيْــه، ورُمْحي ونَصْلَيْه، وسيفي وغِرَارَيْه، لا يترك الرجل قاتلَ أبيه وهو ينظر اليه؛ ثم طعن جسّاسا فقتله، ثم لَحِق بقومه؛ فكان آخرَ قتيلٍ في بكر بن وائل .

ترحيل أخت كليب لجليلة عن مأتم زوجها وشعر جليلة في ذلك

قال أبو الفرج : أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثني عمّي عن العبّاس ابن هشام عن أبيه عن الشَّرْقيّ(2) بن القُطَامِيّ قال :

لمّا قَتل جسّاس بن مُرّة كُلَيبَ بنَ ربيعة ، وكانت جليــلةُ بنت مُرّة أختُ جساس تحت كليب ، اجتمع نساء الحيّ للمأتم، فقلن لأُخت كُليب : رَحِّلي جَليلةَ عن مأتمك، فإنّ قيامها فيــه شماتةٌ وعارٌ علينا عنــد العرب؛ فقالت لهــا : يا هذه آخرُجي عن مأتمنا، فأنتِ أختُ واترِنا وشقيقةُ قاتلنا؛ فخرجت وهي تَجُرّ أعطافَها ؛ فلقيها أبوها مُرّة ، فقال لهــا : ما وراءكِ يا جليلةُ؟ فقالت : ثُكْلُ العَدَد، وحزنُ الأبد ، وفَقْــدُ حليل، وقتلُ أخٍ عن قليــل ، وبين ذين غرسُ الأحقاد، وتفتُّتُ الأكباد ؛ فقال لها : أوَ يَكُفُّ ذلك كرمُ الصَّفْح وإغلاءُ الدِّيات؟ فقالت جليلةُ : أُمنيّةُ مخدوعٍ وربِّ الكعبة! أبِالبُدْنِ تَدَعُ لك تغلبُ دمَ ربِّها! .قال : ولمّا رحلت جليلةُ قالت أختُ كُلَيب : رِحلةُ المعتدي وفِراقُ الشامت، ويلٌ غدًا لآل مُرّة ، من الكرّة بعد الكرة! . فبلغ قولُها جليلةَ، فقالت : وكيف تَشْمَتُ الحُرّةُ بهَتْك سِترِها

---

(1) كان من عادة العرب أن يحضروا في جفنة طيبا أو دما أو رمادا فيدخلوا فيــه أيديهم عنــد التحالف ليتمّ عقدهم عليه باشتراكهم في شيء واحد .

(2) في بعض الأصــول : «الشرقي» بالفاء، وهو تصحيف، وقد ضبطه السمعاني بفتح الشين وسكون الراء والقطامي بضم القاف وفتح الطاء وكسر الميم . وضبط كذلك بالعبارة في تهذيب التهذيب والخلاصة بفتح الشين والراء وقطامي بضم القاف وفتح الميم .

وتَرَقُّبِ وِتْرِها ! أسعد الله جَدّ أُختى، أفلا قالت : نَفْرة الحياء، وخوف الاعتداء ! . ثم أنشأت تقول :(١)

يابنــةَ الأقوامِ إنْ شئتِ فلا * تَعْجَلي باللَّــوْم حتى تسأَلِي
فإذا أنتِ تَبَيَّنْتِ الـــذى * يُوجِبُ اللَّـومَ فلُومِى واْعذِلِى
إنْ تكن أُختُ امرئٍ لِيمَتْ على * شَـفَقٍ منهـا عليـه فأفعـلى
جَلّ عنــدى فعلُ جَسّاسٍ فيا * حَسْرتى عمـا ٱنجلتْ أو تنجـلى
فعــلُ جَسّاسٍ على وَجْدِى به * قاطعٌ ظَهْرِى ومُدْنٍ أجَلِى
لَوْ بِعَيْنٍ فُقِئتْ عيني سوى * أُختِهـا فانفقأتْ لم أحْفِــلِ
تَحمِــلُ العــينُ قَذَى العــينِ كما * تَحمِـــلُ الأُمّ أذَى ما تَفْتَــلِي(٢)
يا قتيـــلاً قَــوّض الدهرُ به * سَـــقفَ بيتَيَّ جميعًا من عَلِ
هــدمَ البيتَ الذى ٱســتحدثتُه * وٱنثنَى فى هــدمِ بيــتى الأوّلِ
ورمانى قتــلُه من كَثَبٍ(٣) * رميــةَ المُصْمِى به المُســتأصِلِ
يانسائى دونكنّ اليــومَ قد * خَصَّـــنى الدهرُ برُزْءٍ مُعْضِلِ
١٥٢/٤ خَصَّنى قتــلُ كُلَيب بلَظًى * مِنْ(٤) ورائى ولَظًى مُسْتقبِلِ

(١) قال أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى فى الجزء الثالث من أشعار النساء بعد أن ذكر هــذه الأبيات ونسبها لجليلة كما ذكر المؤلف هنا : « ووجدت بخط حرمىّ بن أبى العلاء قال محمــد بن خلف بن المرزبان : هذه الأبيات لفاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن مرّة أخت كليب ومهلهل ابنى ربيعــة التغلبيين ترثى أخاها كليبا وقتــله زوجها جساس » اهـ . (٢) تفتلى : تربىّ ، وفى الأصول : « تعتلى » بالعين المهملة ، وهو تحريف . (٣) من كثب : من قرب . وأصماه : قتله فى مكانه .
(٤) كذا فى ط ، ء ، م ، وهو الموافق لما فى الجزء الثالث من أشعار النساء للرزبانى (ص ٥٠) ونهاية الأرب (ج ٥ ص ٢١٥) طبع دار الكتب المصرية . وفى سائر النسخ : « من أسفل » .

ليس من يَبْكِى ليومين كمن (١) * إنما يبكِى ليوم يَنْجَلِى (٢)
يشتفِى المدرِكُ بالثأر وفى * دَرَكِى ثأرِى ثُكْلُ المُثْكِلِ (٣)
ليته كان دمِى فآحتلبوا * بَدَلاً منه دمًا من أَكْحَلِى (٤)
إننى قاتلةٌ مقتولةٌ * ولعلّ اللهَ أن يرتاحَ لِى

---

(١) هذه رواية نهاية الأرب . وفى الأصول : «ليوميه» . (٢) كذا فى نهاية الأرب . وفى أكثر الأصول : «ينجل» . وفى ب ، س : «يجل» وهما تحريف . (٣) المثكل : التى لازمها الحزن . ورواية ط ، م ، ء : «ثكل مثكلى» . ورواية أشعار النساء :

درك الثأر شافيه وفى * درك الثأر قتلَ مثكلى

(٤) كذا فى الجزء الثالث من أشعار النساء للزبانى . والأكحل : عرق فى الذراع يفصد ، وقيل : هو عرق الحياة ويدعى نهر البدن ، ولا يقال فيه عرق الأكحل . وفى الأصول :

ليته كان دما فاحتلبوا * دررا منه دمى من أكحلى

ولو كانت الرواية فيه .

ليته كان دما فاحتلبوا * بدلا منه دمى من أكحلى

لكان أجود .

ذكر الهــــذلى وأخبـاره

نسب الهـذلى وصناعته

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبـد الملك قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

الهُذَليان أخَوانِ يقال لهما سعيد وعبد آل ابنـا مسعود ؛ فالأكبر منهما يقال له سَعيد، ويُكنى أبا مسعود، وأمه آمرأة يقال لهـا أمّ فَيْعل، وكان كثيرا ما يُنسب اليها ، وكان ينقش الحجارة بأبى قُبَيس، وكان فتيانٌ من قريش يَرُوحون إليـه كلّ عشيّة فيأتون بَطْحاء يقال لهـا بطحاء قريش فيجلسون عليها ، ويأتيهم فيُغَنّى لهم ويكون معهم. وقد قيل : إن الأكبر هو عبد آل، والأصغر سعيد .

كان يغنى فتيـان قريش وهو يزاول صناعته فى نقش الحجارة

قال هارون وحدّثنى الزبير بن بكّار قال حدّثنى حمزة بن عُتْبة اللهبىّ :

أنّ الهذلىّ كان نقّاشا يعمل البُرَم من حجارة الجبل، وكان يُكنى أبا عبدالرحمن، وكان إذا أمسى راح فأشرف على المسجد ثم غنّى، فلا يلبث أن يُرى الجبل كقُرْص الخَبيص[1] صُفْرةً وحمرةً من أرْدِية قريش؛ فيقولون: يا أبا عبد الرحمن، أعِد، فيقول: أمّا والله وهاهنا حجر أحتاج إليـه لم يَرِدِ الأبطحَ فلا ؛ فيضعون أيديَهم فى الحجارة حتى يقطعوها له ويَحْدُروها الى الأبطح ، وينزل معهـم حتى يجلس على أعظمها حجرًا ويغنّى لهم .

(١) الخبيص : نوع من الحلواء يعمل من التمر والسمن .

قال هارون وحدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبى مسعود بن أبى جَنَاح[(١)] قال أخبرنى أبو لَطيف وعُمارة قالا :

تغنّى الهـذلىّ الأكبرُ، وكان من أَنفسِهم ، وكان فِتْيانُ قريش يَرُوحون كلّ عشيّة حتى يأتوا بَطْحاءَ يُقال لهـا بطحاءُ قريش قريبا من داره ، فيجلِسون عليهـا و يأتيهم فيُغنّيهم .

أجازه الحارث بن خالد لما سمع غناءه

قال : وأخبرنى ابن أبى طَرَفة عن الحسن بن عَبّـاد الكاتب مولى آل الزُّبَير قال :

هجم الحارثُ بن خالد، وهو يومئـذ أمير مكة، على الهذلىّ وهو مع فتيان قريش بالمَفْجَر[(٢)] يغنّيهم وعليه جُبّةُ صوف، فطرح عليه مُقطَّعاتِ خَزّ، فكانت هـذه أوّلَ ما تحرك لها .

تزوج بنت ابن سريج وأخذ عنها غناء أبيها وانتحل أكثره

قال هارون : وحدّثنى حمـاد عن أبيه قال :

ذكر ابن جامع عن ابن عَبّاد أن ابن سُرَيج لمـا حضَرته الوفاةُ نظر إلى ابنتـه فبكى، فقالت له : ما يُبكِيك ؟ قال : أخشى عليكِ الضيعةَ بعـدى ! فقالت له : لا تخف فمـا من غنائك شىء إلا وقد أخذتُه ؛ قال : فغنّينى فغنّته، فقال: قد طابت نفسى، ثم دعا بالهذلىّ فزوّجها منـه ؛ فأخذ الهذلىّ غناء أبيهـا كلّه عنهـا فانتحل أكثرَه؛ فعامّة غناء الهذلىّ لابن سُرَيج ممـا أخذه عن ابنته وهى زوجتُه .

---

(١) فى ط، ى ، م : « عن أبى مسعود عن أبى جناح » .

(٢) المفجر بالفتح ثم السكون وفتح الجيم : موضع بمكة ما بين الثنيـة التى يقال لهـا الخضراء الى حلف دار يزيد بن منصور (انظر معجم البلدان لياقوت) .

حدره الحارث بن خالد من منى ثم أذن له فرجع اليها

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن يحيي أبو غسّان قال :

كان الهذليّ منزلُه بمِنًى، وكان فِتيان قريش يأتونه فيُغنّيهم هناك، ثم أقبل مرّة حتى جلس على جمرة العقبة فغنّى هناك، فحدَره الحارثُ من مِنًى، وكان عاملا على مكة، ثم أذِن له فرجع إلى منى .

١٥٣ / ٤

قصته مع فتية من قريش غناهم فطربوا له واستعادوه

قال هارون : وحدّثني عليّ بن محمد النَّوْفليّ قال حدّثني أبي قال :

كان الهذليّ النقّاشُ يغدو إليه فتيان قريش وقد عَمِل عملَه بالليل، ومعهم الطعامُ والشراب والدراهم . فيقولون له : غنّنا ؛ فيقول لهم : الوظيفةَ[1] ، فيقولون : قد جئنا بها ؛ فيقول : الوظيفةَ الأخرى، أَنزِلُوا أحجارى، فيُلقون ثيابهم ويأتزرون بأُزُرهم وينقُلون الحجارة ويُنزِلونها ، ثم يجلِس على شُنْخُوبٍ[2] من شَناخيب الجبل فيجلسون تحته في السَّهل فيشربون وهو يُغنّيهم حتى المساءِ ، وكانوا كذلك مدّة، فقال له يوما ثلاثةُ فتيةٍ من قريش : قد جاءك كلّ واحد منا بمثل وظيفتك على الجماعة من غير أن تُنقَص وظيفتُك عليهم، وقد آختار كل واحد منا صوتا من غنائك ليجعلَه حظَّه اليومَ، فإن وافقتِ الجماعةُ هوانا كان ذلك مشتركا بيننا ، وإن أَبَوْا غنّيتَ لهم ما أرادوا وجعلتَ هذه الثلاثةَ الأصواتِ لنا بقيةَ يومنا ؛ قال : هاتوا ، فآختار أحدُهم :

* عَفَتْ عَرَفَاتٌ فالمصايفُ من هندِ *

وآختار الآخرُ :

* ألمّ بنا طيفُ الخيال المهجِّدُ[3] *

(١) الوظيفة : ما يقدر من عمل وطعام و رزق وغير ذلك . (٢) الشنخوب : رأس الجبل وأعلاه . (٣) هجدت الرجل (بالتضعيف) : أيقظته .

وآختار الآخر :

* هجَـرتُ سُـعدَى فزادنى كَلَفَـا *

فغنّاهم إياها ، فما سمِـع السامعون شيئا كان أحسنَ من ذلك ؛ فلمـا أرادوا الانصراف قال لهم : إنى قد صنعت صوتا البارحة ما سمعه أحد ، فهل لكم فيه ؟ قالوا : هاتِه مُنعِمًا بذلك ؛ فآندفع فغنّاهم :

أأن هتَفتْ وَرْقاءُ ظَلْتَ سفاهةً * تُبكِّى على جُمْـلٍ لِوَرْقاءَ تَهتِفُ

فقـالوا : أحسنتَ والله ، لا جرَمَ لا يكون صَـبُوحُنا فى غدٍ إلا عليـه ، فعادوا وغنّاهم إياه وأعطَوْه وظيفتَه ، ولم يزالوا يستعيدونه إياه باقىَ يومهم .

نسبة ما فى هذا الخبر من الأصوات

من ذلك :

صـــوت

عَفتْ عَرَفاتٌ فالمَصايف من هندِ * فأَوْحشَ ما بين الجَرِيبيْنِ(١) فالنَّهْـدِ(٢)

وغيَّرها طـولُ التقـادُمِ والبِـلَى * فليستْ كما كانتْ تكونُ على العَهْدِ

الشعر للأَحْوص ، وقيل : إنه لعمر . والغناء للهذلىّ ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر فى مجرى البنصر .

---

(١) كذا فى ديوان عمر بن أبى ربيعة (ج ٢ ص ٢٣١ طبع مدينة ليبسك) . والجريب : يطلق على مواضع كثيرة . وما أثبتناه قريب مما ورد فى نسختى ب ، س فقد وردت فيهما هذه الكلمة هكذا : «الحريبين» . وفى ط ، م ، ء : «الحربين» وكلاهما تحريف . وفى جـ : «الحريمين» بالميم . والحريم اسم لمواضع كثيرة فى بغـداد وغيرها . (٢) النهد (ويقال له عين النهد) : اسم موضع بالفرع على الطريق من مكة الى المدينة . روى الزبير عن رجاله أن أسماء بنت أبى بكر قالت لابنها عبد الله : يا بنىّ أعمر الفرع . فعمل عبد الله بن الزبير بالفرع عين الفارعة والسنام ، وعمل عروة أخوه عين النهد وعين عسكر . (انظر بقية الكلام على ذلك فى معجم ما استعجم ج ٢ ص ٧٠٧) .

ومنهـا :

صـــوت

من المـائة المختـارة

ألمّ بنـا طَيْفُ الخيـال المهجِّدُ * وقد كادت الجوزاءُ فى الجوّ تَصْعَدُ
ألمّ يُحَيّينـا ومِن دون أهلهـا * فَيَافٍ تَغُـورُ الريحُ فيهـا وتُنجِد

عروضه من الطويل . لم يقع لنا اسم شاعره ونسبه . والغناء للهُذَلىّ ثقيـل أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر، وهو اللحن المختار، وفيه ليحيي المكّيّ هَزَجٌ. ولحنُ الهذلىّ هذا ممـا آختير للرشيد والواثِق بعده من المـائة الصوت المذكورة .

ومنهـا :

صـــوت

هجرتُ سُـعْدَى فزادنى كَلَفَا * هِجرانُ سُعْدَى وأَزمعتْ خُلُفَا
وقَـدْ على حُبّهـا حلفتُ لهـا * لو أنّ سُعْدَى تُصـدِّق الحَلِفَا ١٥٤/٤
ما عَلِقَ القلبُ غـيرَها بَشَراً * ولا سـواها مِن مَعْلَقٍ عَرَفا
فـلم تُجبـنى وأعرضتْ صَلَفًا * وغادرتْـنى بحبّهـا كَلِفَا

الغناء للهذلىّ ثانى ثقيلٍ بالسبابة فى مجرى الوسطى .

رقص أشعب ابنه وقال هـذا ابن مزامير داود

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشّيعىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق قال : زوّج آبنُ سريج لمـا حضرتْه الوفاةُ الهذلىَّ الأكبر بابنتـه ، فأخذ عنهـا أكثرَ غناء أبيها ، وادّعاه فغلَب عليه . قال : وولدتْ منه آبنا ، فلما أَيْفع جاز يوما بأشعبَ وهو جالس فى فِتْيـةٍ من قريش ، فوثَب فحمله على كتفه وجعل يرقِّصه ويقول : هـذا آبن دقّى المصحف وهـذا آبنُ مزامير داود ، فقيل له : ويلك ! ما تقول

ومن هذا الصبيّ؟ فقال : أوَ ما تعرفونه! هذا ٱبن الهذلىّ من ٱبنة ٱبن سُرَيج، وُلِد على عُود، وٱستهلّ(١) بغناء، وحُنِّك(٢) بملوى(٣)، وقُطعت سرّته بوتر(٤)، وخُتن بمِضراب .

اسحاق الموصلى وحديثه عن مطرف أخذه من ابراهيم ابن المهدى

وذكر يحيى بن علىّ بن يحيى عن أبيه عن عبد الله بن عيسى المَاهَانىّ قال :

دخلت يوما على إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ فى حاجة ، فرأيت عليه مُطْرَف خَزّ أسود ما رأيت قطّ أحسن منه؛ فتحدّثنا الى أن أخذنا فى أمر المطرف، فقال : لقد كان لكم أيّامٌ حسنة ودولة عجيبة؛ فكيف ترى هذا ؟ فقلت له : ما رأيتُ مثلَه؛ فقال : إنّ قيمته مائة ألف درهم، وله حديث عجيب؛ فقلت : ما أقومه إلا بنحو مائة دينار؛ فقال إسحاق: شَربنا يوما من الأيام فبِتُّ وأنا مُثْخَن(٥)، فٱنتبهت لرسول محمد الأمين ، فدخل علىّ فقال : يقول لك أمير المؤمنين : عجِّل ؛ وكان بخيلا على الطعام، فكنتُ آكل قبل أن أذهب اليه؛ فقمت فتسوّكت وأصلحت شأنى ، وأعجلنى الرسولُ عن الغداء فقمت معه فدخلت عليه، و إبراهيم بن المهدىّ قاعد عن يمينه وعليه هذا المطرف وجُبّة خَزّ دَكْناء(٦)؛ فقال لى محمد : يا إسحاق، أتغدّيت ؟ قلت : نعم يا سيّدى؛ قال : إنك لنَهِم، أهذا وقتُ غداء ! فقلت : أصبحتُ يا أمير المؤمنين وبى خُمَار فكان ذلك ممّا حدانى على الأكل؛ فقال لهم : كم شربنا ؟ فقالوا : ثلاثةَ أرطال، فقال : اسقُوه إياها ؛ فقلت : إن رأيتَ أن تُفَرِّق علىّ! ؛ فقال : يُسقَى رِطلين ورِطلا؛ فدُفِع إلىّ رطلان فجعلت أشربهما

(١) استهلّ الصبيّ : رفع صوته بالبكاء عند الولادة . (٢) التحنيك : أن تمضغ التمر ثم تدلكه بحنك الصبي ، وفى حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم : أنه كان يحنك أولاد الأنصار .

(٣) الملوى : من أجزاء العود (انظر الكلام على العود وأجزائه فى مقدمة الجزء الأوّل من هذا الكتاب طبع دار الكتب المصرية) . (٤) فى ط ، ء ، م : «بزير» والزير : أحد أوتار العود .

(٥) يقال : أثخنته الجراحة : أوهنته وأضعفته ، والمراد هنا غلبة السكر عليه . (٦) الدكناء : المائلة إلى السواد .

وأنا أتوهم أن نفسى تسيل معهما، ثم دُفع إلىّ رِطل آخر فشربته، فكأن شيئا انجلى عنى؛ فقال غنِّنى :

* كُليبٌ لعمْرِى كان أكثرَ ناصراً *

فغنّيته، فقال : أحسنتَ وطرِب؛ ثم قام فدخل — وكان كثيرا [ما] يدخل إلى النساء ويَدَعُنا — فقمت فى إثْر قيامه، فدعوت غلاما لى، فقلت: اذهب إلى بيتى وجئنى بِبزْماوَرْدَتَين(١) ولُفَّهما فى مِنديل وآذهب رَكْضًا وعجِّل، فمضى الغلام وجاءنى بهما، فلما وافى البابَ ونزل عن دابّته آنقطع فنفَق(٢) من شدّة ما ركض عليه، وأدخل إلىّ البزْماوَرْدَتين، فأكلتُهما ورجَعتْ نفسى إلىّ وعدتُ إلى مجلسى؛ فقال لى إبراهيم : لى إليك حاجة أُحبّ أن تقضيَها لى؛ فقلت : إنما أنا عبدك وآبن عبدك، فقل ما شئت؛ قال : تُردّد علىّ : "كليب لعمرى" وهذا المِطْرَف لك؛ فقلت : أنا لا آخذ منك مطرفا على هذا، ولكننى أصير إلى منزلك فأُلقيه

١٥٥/٤ على الجوارى وأردّده عليك مِرارا؛ فقال : أُحبّ أن تردّده علىّ الساعةَ وأن تأخذ هذا فإنه من لُبْسك وهو من حاله كذا وكذا؛ فردّدت عليه الصوت مرارا حتى أخذه، ثم سمعنا حركة محمد فقمنا حتى جاء وجلس، ثم قعدنا فشرب وتحدّثنا؛ فغنّاه إبراهيم : "كليب لعمرى"، فكأنى والله لم أسمعه قبلَ ذلك حُسْنا؛ وطرِب محمد طربا شديدا وقال : أحسنت والله! يا غلام، عَشْرَ بِدَرٍ لعمّى الساعةَ! فجاءوا بها؛ فقال : يا أمير المؤمنين، إن لى فيها شريكا؛ قال : من هو؟ قال : إسحاق؛ قال: وكيف؟ فقال : إنما أخذتُه منه لمّا قمتَ؛ فقلت أنا: ولِمَ! أضاقت الأموالُ على أمير

---

(١) البزماورد : طعام يسمى لقمة القاضى، ونخذ الست، ولقمة الخليفة، وهو مصنوع من اللحم المقلى بالزبد والبيض. (انظر الحاشية رقم ٢ ج ٤ ص ٣٥٣ من هذه الطبعة).

(٢) نفق : مات. وذكر الضمير لأن الدابة تطلق على الحيوان مذكرا كان أو مؤنثا، والدابة هنا مذكر.

المؤمنين حتى تُريد أن تُشرِك فيا يُعطِى! قال : أمّا أنا فأُشرِكك وأمير المؤمنين أعلم؛ فلما ٱنصرفنا من المجلس أَعطانى ثمانين ألفا ، وأعطانى هذا المِطْرَف، فهذا أُخِذ به مائةُ ألف درهم، وهى قيمتُه .

صــــوت

من المــائة المختــارة

من رواية جَحْظَةَ عن أصحابه :

عَلِّلِ القــومَ يشربُوا * كى يَلَذُّوا ويَطْرَبُوا
إنمـا ضلَّل الفــؤا * دَ غــزالٌ مُرَبَّبُ(١)
فرشــتْه على النَّمـا * رِقِ سُعْدَى وزينبُ
حالَ دون الهوى ودو * ن سُرى الليلِ مُصعبِ(٢)
وسِــياطٌ على أكــفِّ رجــالٍ تقــلَّبُ

الشعر لعُبَيد الله بن قيس الرُّقَيّات . والغناء فى اللحن المختار لمالك بن أبى السَّمْح، ولحنه من الثقيل الأوّل بالسبابة فى مجرى الوسطى . وفيه لإسحاقَ ثقيلٌ أوّل مطلق فى مجرى البنصر . ولابن سُرَيج فى الرابع والخامس والأوّل ثانى ثقيـل فى مجرى الوسطى . ولمعبد فى الثانى وما بعده خفيفُ ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى الوسطى .

(١) كذا فى أكثر الأصول وكذلك صححها الأستاذ الشنقيطى فى نسخته ، يقال : رب الصبي وربيه أى رباه . وفى ب ، س وديوانه طبع أوربا : «مربرب» .

(٢) هو مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى كما فى كتاب المعارف لابن قتيبة (ص ١٢٣ طبع جوتنجن) وكما سيذكره المؤلف بعد قليل فى ترجمة عبيد الله بن قيس الرقيات .

ذكر عبيد الله بن قيس الرقيّات ونسبه وأخباره

نسب عبيد الله بن قيس الرقيات من قبل أبويه

هو عُبَيْد الله بن قيس بن شُرَيح[1] بن مالك بن رَبيعة بن أُهَيب بن ضِبَاب بن حُجَير بن عبد بن مَعِيص[2] بن عامر بن لؤىّ بن غالب. وأمّه قتيلة بنتُ وَهْب بن عبد الله بن رَبيعة بن طَرِيف بن عَدِىّ بن سَعْد بن لَيْث بن بَكْر بن عبد مَناة ابن كِنَانة.

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنى محمد بن محمد بن أبى قُلَامةَ العُمَرىّ قال حدّثنى محمد بن طَلْحة، قال الزبير وحدّثنيه أيضا محمد بن الحسن المخزومىّ، قالا جميعا:

كان يقال لبنى مَعِيص بن عامر بن لؤىّ وبنى مُحارِب بن فِهْر: الأجْرَبان من أهل تِهَامة، وكانا متحالفين، وإنما قيل لهما الأجربان من شدّة بأسهما وعَرِّهما[3] من ناوأهما كما يُعَرّ الجرب.

سبب لقبه بالرقيات

وإنما لُقِّب عبيدُ الله بنُ قيسِ الرُّقَيَّاتِ لأنه شَبَّب بثلاث نسوة سُمِّين جميعا رُقَيَّة، منهنّ رقيّة بنت عبد الواحد بن أبى سعد بن قيس بن وهب بن أُهْبان[4] بن ضِبَاب بن حُجَير بن عبد بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَىّ، وآبنة عمّ لها يقال لها رُقَيّة،

---

(1) كذا فى ط، ء وديوانه المخطوط بقلم الشيخ الشنقيطى المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٨ أدب ش وديوانه المطبوع بفينا سنة ١٩٠٢ وخزانة الأدب للبغدادى (ج ٣ ص ٢٦٧ طبع بولاق). وفى باقى الأصول: «سريج» بالسين والجيم، وهو تصحيف. (2) كذا فى ديوانه المخطوط والمطبوع والخزانة وشرح القاموس مادّة معص. وفى ط، ء: «معيض» بالضاد المعجمة، وفى باقى الأصول: «بغيض»، وكلاهما تحريف.

(3) يقال: عرّه بمكروه يعرّه عرّا: أصابه به. والمراد هنا إلحاقهما الشر بأعدائهما كما يلحق الجرب الشرّ بمن يصيبه. (4) فى خزانة الأدب: «وهبان» بالواو.

وآمرأة من بنى أميّة يقال لهـا رقيّة . وكان هواه فى رقيّة بنت عبد الواحد، وكان عبد الواحد — فيما أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء عن الزبير — ينزل الرَّقّة . و إياه عَنَى آبنُ قيس بقوله : ١٥٦/٤

ما خيرُ عيش بالجزيرة بعـد ما * عثَر الزمانُ ومات عبدُ الواحدِ

وله فى الرقيّات عدّة أشعار يُغنَّى فيها تُذكر بعقب هـذا الخبر . والأبيات الثانيـة التى فيهـا اللحن المختار يقولها فى مُصْعَب بن عبد الرحمن بن عَوْف الزُّهْرىّ ، وكان صاحبَ شُرْطة مروانَ بنِ الحَكَم بالمَدينة .

مصعب بن عبد الرحمن والى المدينة

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنى عمّى قال: لمـا وَلِى مروانُ بن الحكم المدينـةَ وَلَّى مصعبَ بنَ عبـد الرحمن بن عوف شُرْطتَه، فقال: إنى لا أَضبِط المدينة بحَرَس المدينة، فآْبغِنى رجالًا من غيرها، فأعانه بمـائتى رجل من أهـل أَيْلَةَ (١)، فضبطها ضبطا شـديدا . فدخل المِسْوَرُ بنُ مَخْرمَةَ (٢) على مروانَ فقال : أَمَا ترى ما يشكوه النّاسُ من مصعَب ! فقال :

ليس بهـذا من سِـيَاقٍ عَتْبُ * يمشى القَطُوفُ وينامُ الركبُ (٣)

وقال غيرُ مصعَب فى هـذا الخبر وليس من روايةِ الحـرمىّ : إنه بقِىَ إلى أن وَلِى عمرُو (٤) بن سعيد المدينةَ وخرج الحسينُ رضى الله تعالى عنه وعبد الله بن الزبير؛

(١) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم ممـا يلى الشام ، وقيل : هى فى آخر الحجاز وأوّل الشام .
(٢) هو المسور بن مخرمة بن نوفل الزهرى قتل فى حصار مكة مع ابن الزبير . (انظر الطبرى فى حوادث سنة ٦٤ هـ) .
(٣) السياق : السوق . والقطوف من الدواب : البطىء ، والمراد وصف الرجل بحسن السياسة وأنه يبلغ الغاية من غير أن يعنف فى السوق أى إنه يسوس الناس من غير أن يجهدهم .
(٤) هو عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق ، ولاه يزيد بن معاوية إمرة المدينة سنة ٦٠ هـ . (انظر الطبرى فى حوادث السنة المذكورة) .

فقال له عمرو : اهدِمْ دورَ بنى هاشم وآلِ الزبير؛ فقال : لا أفعل؛ فقال : انتفَخ سَحْرُك[1] يابنَ أُمّ حُرَيْث ! ألقِ سيفَنا ! فألقاه ولحِق بابن الزبير . وولّى عمرُو بن سعيد شُرْطتَه عمرَو بن الزبير بن العوّام وأمره بهدم دُور بنى هاشم وآل الزبير، ففعل و بلغ منهم كلَّ مبلغ، وهدَم دار ابن مُطيع[2] التى يقال لها العَنْقاءُ ، وضرَب محمدَ بن المنذر بن الزبير مائةَ سوط؛ ثم دعا بعُروة بنِ الزبير ليضربَه؛ فقال له محمد: أتضرِب عُروة! فقال : نعم يا سَبَلانُ[3] إلا أن تحتمِل ذلك عنه؛ فقال: أنا أحتمِله ، فضربه مائةَ سوط أخرى ؛ ولحِق عُرْوةُ بأخيه . وضرب عمرُو الناسَ ضرباً شديدا، فهرَبوا منه الى ابن الزبير، وكان المِسْور بنُ مَخْرَمة أحد من هرَب منه ؛ ولمـا أَفْضَى الأمرُ إلى ابن الزُّبَير أقاد منه وضرَبه بالسوط ضرباً مُبرِّحا فمات فدفنه فى غير مقابر المسلمين ، وقال للنـاس ، فيما ذُكر عنه ، : إن عمرًا مات مرتدًّا عن الإســـلام .

هو شاعر قريش

أخبرنى الحرَمىّ قال حدّثنى الزُّبَيْرُ قال :

سألتُ عمّى مُصعَبًا ومحمـدَ بن الضحّاك ومحمـدَ بن حسن عن شاعر قـريش فى الإسلام، فكلّهم قالوا : ابنُ قيس الرقيّات؛ وحُكِى ذلك عن عدىّ وعن الضحاك ابن عثمان؛ وحكاه محمد بن الحسن عن عثمان بن عبد الرحمن اليَرْبوعىّ . قال الزبير : وحدّثنى بمثله غَمَامةُ بن عمرو السَّهْمىّ عن مِسْوَر بن عبد الملك اليَرْبوعىّ .

---

(١) انتفخ سحرك : كلمة تقال للجبان . والسحر : الرئة . (انظر الحاشية رقم ١ ج ٤ ص ١٨٧ من هذه الطبعة) . (٢) هو عبد الله بن مطيع أخو بنى عدىّ بن كعب، ولى الكوفة لعبد الله ابن الزبير . (انظر الطبرى فى حوادث سنة ٦٠ هـ) . (٣) كذا فى جميع الأصول، ولعلها لقب له أو محرفة عن سبلانى (بزيادة ياء مشدّدة) . والسبلانىّ : الطويل السبلة (بالتحريك) وهى شعرات تكون فى المنحر ، وهى أيضا مقدم اللحية ، وما على الشفة العليا من الشـعر يجمع الشاربين ، أو لعلها كلمة تهكمية لهـا مغزى خاص .

عرض شعره على طلحة الزهرى فمدحه

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيدىّ والحرمىّ بن أبى العلاء وغيرهما قالوا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهرىّ عن عمه محمد بن عبد العزيز:

أنّ ابن قيس الرقيّات أتى إلى طلحة بن عبد الله بن عوف الزهرىّ فقال له: ياعمّى، إنى قد قلتُ شعرا فاسمعه فإنك ناصحٌ لقومك، فإن كان جيّدا قلتُ، وإن كان رديئا كففتُ، فقال له: أنشِد، فأنشده قصيدته التى يقول فيها:

مَنَع اللهوَ والهوى * وسُرَى الليلِ مُصْعَبُ
وسِياطٌ على أكُفِّ * رجالٍ تقلَّبُ

١٥٧ / ٤ فقال: قل يابنَ أخى فإنك شاعر.

كان زبيرى الهوى وخرج على عبد الملك ثم استجار بابن جعفر فعفا عنه

وكان عُبيد الله بن قيس الرقيّات زُبيريَّ الهوى، وخرج مع مُصعَب بن الزبير على عبد الملك، فلما قُتِل مصعب وقُتل عبدُالله هرَب فلجأ إلى عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب، فسأل عبدَ الملك فى أمره فأمّنه.

وأخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيدىّ والحرمىّ بن أبى العلاء وغيرهما قالوا حدّثنا الزُّبَيرىّ (١) قال حدّثنى عبد الله بن البَصير البَرْبَرىّ (٢) مولى قيس بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال:

قال عبيدُالله بن قيس الرقيّات: خرجتُ مع مصعب بن الزبير حين بلغه شُخُوصُ عبد الملك بن مروان إليه، فلما نزل مصعب بن الزبير بمَسْكِنٍ (٣)، ورأى معالمَ الغَدْر

---

(١) فى م، حـ: «الزبير» بدون ياء. (٢) فى حـ: «عبد الله بن النضير اليزيدىّ» وسيرد فى ص ٩٠ من هذا الجزء: «عبد الله بن النضير» فى كل الأصول. (٣) مسكن: موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق، به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير فى سنة ٧٢ هـ وبه قتل مصعب، وقبره هناك معروف (عن معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٥٢٩).

ممن معه، دعانى ودعا بمالٍ ومناطقَ، فملأ المناطقَ من ذلك المـال وألبسنى منها، وقال لى: انطلِق حيثُ شئت فإنى مقتول، فقلت له: لا والله لا أرِيم (١) حتى أرى (٢) سبيلَك، فأقمتُ معه حتى قُتل، ثم مضيتُ إلى الكوفة، فأولُ بيتٍ صِرتُ إليه دخلته، فإذا فيه امرأةٌ لها ابنتان كأنهما ظَبيتان، فرقيتُ فى درجةٍ لها إلى مَشربة (٣) فقعدتُ فيها، فأمرتْ لى المرأةُ بما أحتاجُ إليه من الطعام والشراب والفَرْش والماءِ للوُضوء، فأقمتُ كذلك عندها أكثرَ من حولٍ، تقيم لى ما يُصلِحنى وتغدو علىّ فى كل صباح فتسألنى بالصَّباح والحاجة (٤)، ولا تسألنى مَنْ أنا ولا أسألها من هى، وأنا فى ذلك أسمع الصِّياحَ فىّ والجُعْلَ، فلما طال بى المُقام وفقدتُ الصياح فىّ وغَرِضتُ (٥) بمكانى غدتْ علىّ تسألنى بالصباح والحاجةِ، فعرّفتها أنى قد غَرِضت وأحببت الشُّخوصَ إلى أهلى، فقالت لى: نأتيك بما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى، فلمّا أمسيتُ وضرَب الليل بأرواقه رَقِيتْ إلىّ وقالت: إذا شئتَ! فنزلتُ وقد أعدّتْ راحلتين عليهما (٦) ما أحتاج إليه ومعهما عبد، وأعطتِ العبدَ نفقةَ الطريق، وقالت: العبدُ والراحلتان لك، فركبتُ وركب العبدُ معى حتى طَرَقتُ أهلَ مكة، فدققتُ منزلى، فقالوا لى: من هذا؟ فقلت: عُبيد الله بن قيس الرقيّات، فوَلْوَلوا وبَكَوْا (٧)، وقالوا: ما فارقَنا طلبُك إلا فى هذا الوقت، فأقمتُ عندهم حتى أسْحرتُ، ثم نهضتُ ومعى العبدُ حتى قَدمتُ المدينةَ، فجئتُ عبدَالله بن جعفر بن أبى طالب عند المساء وهو يُعشّى أصحابَه، فجلستُ معهم وجعلتُ أتعاجَمُ وأقول: يار يار (٨)

(١) لا أريم: لا أبرح. (٢) فى ط، ء: «حتى آتى سبيلك».

(٣) المشربة: الغرفة والعلية. (٤) يريد: كيف أصبحت وما حاجتك؟ (٥) غرض: ضجر. (٦) فى ب، سـ: «عليهما». (٧) أسحر: دخل فى السحر.

(٨) يار: كلمة فارسية، ومعناها: الصاحب والشفيق والمعين.

آبن طيّار(١)، فلما خرج أصحابُه كشفتُ له عن وجهى، فقال : آبنُ قيس؟ فقلت : آبنُ قيس، جئتُـك عائذا بك؛ قال : وَيْحَك! ما أجدَّهم فى طلبك وأحرصَهم على الظَّفَر بك ! ولكنى سأكتب الى أمّ البنين بنتِ عبد العزيز بن مروان فهى زوجةُ الوليد بنِ عبد الملك، وعبدُ الملك أرقُّ شىء عليها. فكتب إليها يَسألُها أن تشفع له إلى عمّها، وكتب إلى أبيها يسأله أن يكتب إليها كتاباً يسألها الشفاعةَ؛ فدخل عليها عبد الملك كما كان يفعل وسألها : هل من حاجة ؟ فقالت : نعم لى حاجةٌ؛ فقال : قد قضيتُ كلّ حاجة لكِ إلا آبنَ قيس الرقيّات؛ فقالت : لا تَستثنِ علىّ شـيئا ! فنفح(٢) بيده فأصاب خدّها، فوضعتْ يدَها على خدّها؛ فقال لها : يابنتى ارفعى يدَكِ، فقـد قضيتُ كلّ حاجة لكِ وإن كانت آبنَ قيس الرقيّات؛ فقالت : إنّ حاجتى آبنُ قيس الرقيات تُؤمّنه ، فقد كتب إلىّ أبى يسألنى أن أسألك ذلك؛ قال : فهو
١٥٨ / ٤ آمِن ، فمُرِيه يحضُر مجلسى العَشيّة ؛ فحضر آبنُ قيس وحضر النـاسُ حين بلغهم مجلسُ عبد الملك، فأخّر الإذنَ، ثم أذِن للناس، وأخّر إذنَ آبن قيس الرقيّات حتى أخذوا مجالسهم، ثم أذِن له؛ فلما دخل عليه قال عبد الملك : ياأهلَ الشأم، أتعرفون هذا ؟ قالوا : لا ؛ فقال : هذا عُبَيدُ الله بنُ قيسٍ الرقيّات الذى يقول :

كيف نومى على الفِراش ولمّـا(٣) * تَشْـمَلِ الشأمَ غارةٌ شَـعْواءُ
تُذهِل الشيخَ عن بَنيه وتُبدِى * عن خِدامِ(٤) العقيلةُ العذراءُ

(١) الطيار : لقب جعفر بن أبى طالب والد عبد الله هذا ؛ وكان قد قطعت يداه فى غزوة مؤتة فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء . (انظر سيرة آبن هشام ج ٢ ص ٧٩٥ طبع أوربا) .

(٢) نفح بيده : ضرب بها ضربة خفيفة .

(٣) كذا فى ط ، ء ، م وكذلك صححها المرحوم الأستاذ الشنقيطى فى نسخته وهى الرواية المشهورة . وفى ب ، س ، حـ : « الى » .

(٤) الخدام : جمع خدمة (بالتحريك) وهى الخلخال . وقد أورد صاحب اللسان هذين البيتين فى مادّة خدم ثم قال : «أراد وتبدى عن خدام العقيلة . وخدام ها هنا فى نية عن خدامها ، وعدّى تبدى بعن لأن فيه معنى تكشف كقوله : * تصدّ وتبدى عن أسيل وتتقى * أى تكشف عن أسيل أو تسفر عن أسيل» .

مدح عبد الملك بما لم يرضه فأمه وقطع عطاءه فتعهد له به ابن جعفر طول حياته

فقالوا : يا أمير المؤمنين أمكنّا نضرب عنق هذا المنافق ! قال : الآن وقد أمّنته وصار فى منزلى وعلى بساطى ! قد أخرت الإذن له لتقتلوه فلم تفعلوا . فاستأذنه ابنُ قيس الرقيّات أن يُنشده مديحه فأذن له ، فأنشده قصيدته التى يقول فيها :

عاد له من كَثيرةَ الطربُ * فعينُه بالدموع تَنسكِبُ
كوفيّةٌ نازحٌ محلّتُها * لا أَمَمٌ دارُها ولا صَقَبُ
والله ما إن صَبَتْ إلىّ ولا * إن كان بينى وبينها سبب(٢)
إلا الذى أورثتْ كثيرةُ فى الـ * ـقلب وللحبّ سَوْرةٌ عجبُ

حتى قال فيها :

إنّ الأغرّ الذى أبوه أبو الـ * ـعاصى عليه الوقار والحُجُبُ
يعتدل التاجُ فوق مَفْرِقِه * على جبينٍ كأنّه الذهبُ

فقال له عبد الملك : يابن قيس تمدحنى بالتاج كأنى من العجم وتقول فى مُصعَب :

إنما مُصعَبٌ شهابٌ من الله تجلّت عن وجهه الظلماءُ
ملكُه ملك عِزّةٍ ليس فيه * جبروتٌ منه ولا كبرياءُ

أمّا الأمان فقد سبق لك ، ولكن والله لا تأخذُ مع المسلمين عطاءً أبدا ! .
قال : وقال ابن قيس الرقيّات لعبد الله بن جعفر : ما نفعنى أمانى ، تُركت حيّا كميت لا آخذ مع الناس عطاءً أبدا ، فقال له عبد الله بن جعفر : كم بلغت من السنّ ؟ قال : ستين سنة ، قال : فعمّر نفسك ، قال : عشرين سنة من ذى قَبَلٍ(٣) ،

---

(١) سيشرح أبو الفرج بعض هذا الشعر فيما يأتى . (٢) فى ديوانه المخطوط :

والله ما إن صبت إلىّ ولا * يعلم بينى وبينها سبب

(٣) يقال : أفعل ذلك من ذى قبل (وزان سبب وعنب) : أى أفعله فى المستقبل .

فذلك ثمانون سنة، قال : كم عطاؤك؟ قال : ألفا درهم، فأمر له بأربعين ألف درهم، وقال : ذلك لك علىّ إلى أن تموت على تعميرك نفسك، فعند ذلك قال عبيد الله بن قيس الرقيّات يمدح عبد الله بن جعفر :

تَقَدَّتْ بِىَ الشَّهْباءُ نحوَ ٱبنِ جعفرٍ * سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها (١)
تزورُ ٱمرأً قد يعلمُ اللهُ أنه * تجودُ له كفٌّ قليلٌ غِرارُها
أتيناك نُثْنِى بالذى أنت أهلُه * عليك كما يُثْنِى على الروض جارُها
فواللهِ لولا أن تزورَ ٱبنَ جعفرٍ * لكان قليلًا فى دِمَشْقَ قَرارُها
إذا مُتَّ لم يُوصَلْ صديقٌ ولم تُقَمْ * طريقٌ من المعروف أنت مَنارُها
ذكرتُكَ أن فاض الفراتُ بأرضنا * وفاض بأعلى الرَّقَّتَيْنِ (٢) بِحارُها
وعندىَ مما خوّل اللهُ هَجْمَةٌ (٣) * عطاؤك منها شَوْلُها وعِشارُها
مباركةٌ كانت عطاءَ مُبارَكٍ * تُمانِحُ (٤) كُبراها وتَنْمِى صِغارُها

اعترض عليه عبدالملك فى شعر له فأجابه

١٥٩/٤ أخبرنا الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا مُصْعَب بن عبدالملك قال :

---

(١) سيشرح أبو الفرج بعض هذا الشعر فيما يأتى . (٢) كذا فى ديوانه ص ١٦٤ طبع أوربا ومعجم البلدان (ج ٢ ص ٧٩٩ ، ٨٠١) وكذلك صححه الأستاذ الشنقيطى بنسخته . والرقتان يراد بهما الرقة والرافقة ، كما يقال العراقان للبصرة والكوفة . والرقة : مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيام . والرافقة : بلد متصل البناء بالرقة يقع على الفرات أيضا بينه وبين الرقة ثلثمائة ذراع . وفى الأصول : « الرقتين » بزيادة ميم ، وهو تحريف . (٣) الهجمة من الإبل : أولها أربعون الى ما زادت أو ما بين السبعين الى المائة. والشول : جمع شائلة وهى من الإبل ماأتى عليها من يوم نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية فارتفع ضرعها وخف لبنها ، والعشار : جمع عشراء — بضم العين وفتح الشين كنفساء ونفاس ولا ثالث لهما فى اللغة — وهى التى مضى لحملها عشرة أشهر . (٤) ما نحت الناقة : درّت فى الشتاء بعد ما ذهبت ألبان الإبل .

قال عبد الملك بن مروان لعُبيد الله بن قيس الرقيّات : وَيْحَكَ يآبنَ قيس ! أمَا آتقيتَ اللهَ حين تقول لآبن جعفر :

تزورُ آمرأً قد يعلم اللهُ أنه * تَجودُ له كفٌّ قليلٌ غِرارُها

ألّا قلتَ : قد يعلم الناسُ ولم تقل : قد يعلم الله ! فقال آبن قيس : قد والله علمه اللهُ [وعلمته أنت](١) وعلمتُه أنا وعلمه الناسُ .

رواية أخرى في شفاعة ابن جعفر له عند عبد الملك

أخبرنا الحسين بن يحيي قال قال حمّاد بن إسحاق :

قرأتُ على أبي أن عُبيدَالله بن قيس الرقيّات منعه عبدُ الملك بن مروانَ عطاءَه من بيت المال وطلبه ليقتلَه ، فآستجار بعبد الله بن جعفر ، وقصده فألفاه نائما ، وكان صديقا لسائب خاثر ، فطلب الإذنَ على آبن جعفر فتعذّر ، فجاء سائب خاثر ليستأذنَ له عليه ؛ قال سائبٌ : فجئت من قِبَلِ رِجْلِ عبدِ الله بن جعفر فنبحتُ نُبَاحَ الجِرْوِ الصغير ، فآنتبه ولم يَفْتَح عينيه ، وركَلني برِجْله ، فدُرتُ إلى عند رأسه ، فنبَحتُ نُبَاحَ الكلب الهَرِم ، فآنتبه وفتح عينيه فرآني ؛ فقال : مالكَ ؟ ويحكَ ! فقلت : آبنُ قيس الرقيّات بالباب ؛ قال : آئذن له ، فأذنتُ له ، فدخل إليه فرحّبَ ابنُ جعفر به وقرّبه ؛ فعرّفه آبن قيس خبرَه ، فدعا بظَبْيَةٍ(٢) فيها دنانيرُ ، وقال : عُدَّ له منها ؛ فجعلتُ أعُدُّ وأترنّم(٣) وأُحَسِّنُ صوتي بجُهدي حتى عددتُ ثلثمائة دينار ، فسكتُّ ؛ فقال لي عبد الله : مالكَ ويلكَ سكتّ ! ما هذا وقتُ قطع الصوت الحسنِ ، فجعلتُ أعُدّ حتى نَفِدَ ما كان في الظَّبية ، وفيها ثمانُمائة دينار ، فدفعتُها اليه ؛ فلما قبضها قال لآبن جعفر : اسأل أميرَ المؤمنين في أمري ؛ قال : نعم ، فإذا

(١) هذه الجملة ساقطة من ط ، ء ، م . (٢) الظبية : الجراب ، وقيل : الجراب الصغير خاصة . (٣) في ط ، ء ، م : « وأطرّب » .

دخلتَ اليه معى ودعا بالطعام، فكُلْ أكلًا فاحشا . فركب ٱبنُ جعفر، فدخل معه إلى عبد الملك، فلما قُدِّم الطعامُ جعل يُسِيء الأكلَ، فقال عبدُ الملك لٱبن جعفر: مَنْ هذا ؟ فقال : هذا إنسان لا يجوز إلا أن يكون صادقاً إن ٱستُبِق ، و إن قُتل كان أكذبَ الناس، قال : وكيف ذلك! قال : لأنه يقول :

ما نقَموا من بنى أُميّــةَ إلّا أنهم يَحلُمُون إن غَضِبُوا

فإن قتلتَه لغضبك عليه أكذبتَه فيما مدحكم به ؛ قال : فهو آمنٌ ، ولكن لا أعطيه عطاءً من بيت المــال؛ قال : ولِمَ وقد وهبتَه لى ؟ فأُحِبّ أن تَهَب لى عطاءَه أيضا كما وهبتَ لى دَمه وعفوتَ لى عن ذنبه؛ قال : قد فعلتُ، قال : وتعطيه ما فاته من العطاء؛ قال : قد فعلتُ، وأمرتُ له بذلك .

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى قال :

كان ٱبن قيس الرقيّات منقطعاً الى ٱبن جعفر، وكان يَصِــلُه ويَقضى عنــه دَينَــه، ثم ٱستأمن له عبدَ الملك فأمّنــه، وحرَمه عطاءَه ؛ فأمره عبدُ الله أن يُقدِّر لنفســه ما يكفيه أيامَ حياته ففعل ذلك ، فأعطاه عبــدُ الله ما سأل وعوّضــه من عطائه أكثرَ منه ؛ ثم جاءت عبدَ الله صِلةٌ من عبد الملك وٱبنُ قيس غائبٌ، فأمر عبــدُ الله خازنَه خبأ له صِلتَه ، فلما قدِم دفعها إليه؛ وأعطاه جاريةً حسناءَ ؛ فقال ٱبنُ قيس :

إذا زرتُ عبدَ الله نفسى فداؤه * رجعتُ بفضــلٍ من نَداهُ ونائلِ

و إن غِبتُ عنه كان للوُدّ حافظا * ولم يكُ عنّى فى المَغيب بغافـــلِ

تداركَنى عبــدُ الإله وقد بدَتْ * لذى الحِقد والشّنآن منّى مَقَاتلى ١٦٠/٤

فأنقذنى من غَمرة الموت بعد ما * رأيتُ حِياضَ الموت جَمَّ المَناهلِ

حَبَــانِىَ لمّــا جئتُــه بعطيّــةٍ * وجاريةٍ حســناءَ ذاتِ خلاخلِ

نسبة ما فى هذه الأخبار من الأغانى

منهـا :

صـــوت

عادَ له من كَثِـيرةَ الطَّربُ * فعينُه بالدمـوع تنسكبُ
كُوفيّةٌ نازحٌ مَحَلّتُهـا * لا أَمَمٌ دارُها ولا صَقَبُ
والله ما إن صَبَتْ إلىّ ولا * يُعرَفُ بينى وبينها سَبَبُ
إلا الذى أورثَتْ كثيرةُ فى الـ * ـقلب وللحبّ سَوْرةٌ عَجَبُ

عروضه من المنسرح، غنّاه معبدٌ ثقيلا أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى. قوله : «لا أَمَمٌ دارُها» يعنى أنها ليست بقريبة . ويقال : ما كلّفتنى أَمَمًا من الأمر فأفعَلَه : أى قريبا من الإمكان ؛ ويقـال : إن فلانا لَأَمَمٌ من أن يكون فعل كذا وكذا . قال الشاعر :

أَطَرقَتْـه أسمـاءُ أم حَلَمَـا * بل لم تكن من رِحالنا أَمَمَا(١)

أى قريبةً . وقال الراجز :

كلَّفها عمرٌو نِقَال الضِّبْعانْ(٢) * ما كُلِّفَتْ من أَمَمٍ ولا دانْ

---

(١) هذا البيت من المنسرح، وقد دخل على التفعيلة الأولى منه الخبـل ، وهو حذف الثانى والرابع الساكنين، وروايته فى ط ، ى :

أطرقتـه أسماء أم حلما * بل لم تكن من رحلنا أمما

وعلى هذه الرواية يكون من الكامل . ولم نعثر عليه فى مصـدر آخر حتى نستطيع ترجيح إحدى الروايتين .

(٢) كذا فى ط ، ى . وفى ب ، سـ : « نقال الصبعان » وفى حـ ، م : « نقال الصنعان » . ونحن لم نوفق الى صاحب هـذا الرجز ولا ما قيل فيه حتى نتبين وجه الصواب فيه أو المراد منه . على أنه لا يبعد أن يكون هذا البيت فى ناقة أو فرس ، وتكليفها نقال الصبعان مسايرتها له ومناقلتها إياه . والضبعان (بالكسر) : ذكر الضبع .

وقال آخر :

إنك إن سألت شيئا أَمَّمَا ✻ جاء به الكَرِىُّ(١) أو تَجَشَّمَا

والصَّقَبُ : الملاصقة . تقول : والله ما صاقبتُ فلانا ولا صاقبنى ، ودارُ فلانٍ مصاقِبةٌ لدار فلان ؛ وفى الحديث : "الجارُ أحقُّ بصَقَبِه" أى بما لاصقه ، أى إنه أحقُّ بشفعته . والسَّوْرَةُ : شِدّة الأمر ، ومنه يقال : ساور فلان فلانا ، وتَساوَرَ الرجلان اذا تَغالبا وتَشادّا ؛ وقيل إن السُّؤْرَةَ : البَقِيَّةُ أيضا .

ومنها :

صـــوت

ما نَقَمُوا من بنى أُمَيّة إلّا أنهم يَحلُمُون إن غَضِبوا
وأنهمُ سادةُ الملوك فما ✻ تَصلُح إلّا عليهمُ العَرَبُ

غنّت فى هذين البيتين حَبابةُ ، وهما(٢) من القصيدة التى أوّلها :

✻ عاد له من كَثِيرةَ الطَّرَبُ ✻

قال الأصمعىّ : كَثيرةُ هذه آمرأة نزل بها بالكوفة فآوته . قال آبنُ قيس : فأقمتُ عندها سنةً تَرُوحُ وتَغْدُو علىّ بما أحتاج اليه ، ولا تسألُنى عن حالى ولا نسبى ؛ فبينا أنا بعد سنة مُشْرِفٌ من جَنَاح(٣) إلى الطريق ، إذا أنا بمُنادِى عبدِ الملك يُنادِى ببراءة الذمّة ممن أُصبتُ عنده ؛ فأعلمتُ المرأةَ أنى راحلٌ ؛ فقالت : لا يَرُوعَنَّك ما سَمِعتَ ، فإن هذا نداءٌ شائعٌ منذُ نزلتَ بنا ، فإن أردتَ المُقَام ففى الرُّحْب والسَّعَة ، وإن أردتَ الانصرافَ أعلمتَنى ؛ فقلتُ لها : لا بدَّ لى من الانصراف ؛ فلما كان الليلُ ، قدّمتْ الىّ راحلةً عليها جميعُ ما أحتاجُ إليه فى سفرى ؛ فقلتُ لها : مَن

(١) الكرىّ : الذى يكرى الدواب . (٢) كذا فى م . وفى سائر الأصول : «وهى» بالإفراد .
(٣) الجناح : الروشن (الروشن : الكوة) يقال : أشرع فلان جناحا الى الطريق أى روشنا .

أنتِ — جُعلتُ فِدَاءكِ — لأُكافئكِ؟ قالت : ما فعلتُ هذا لتُكافِئَنى ؛ فانصرفتُ ولا والله ما عرفتُها إلا أنى سمعتُها تُدعى بآسمها "كَثيرة"، فذكرتُها فى شعرى .

١٦١/٤

فتك عبد الله بن على ببنى أمية لشعر له

وذكر الزبيرُ بن بكّار عن عمّه مصعب أن عبد الله بن علىّ بن عبد الله بن عبّاس صاحبَ بنى أميّة بنهر أبى فُطْرُس، إنما بعثه على قتلهم أنه أنشده بعضُ الشعراء ذاتَ يوم مديحًا مدَح به بنى هاشم ؛ فقال لبعضهم : أينَ هذا مما كنتم تُمدَحُون به! فقال : هيهات أن يُمدَحَ أحدٌ بمثل قول آبن قيس فينا :

ما نقَمُوا من بنى أميّــة إلا أنهم يَحلُمُون إن غَضِبُوا

البيتين ؛ فقــال له عبــدُ الله بن علىّ : ألا أرى المطمعَ فى المُلك فى نفســك بعدُ ياماصَّ كذا من أمه! ثم أوقع بهم .

سمع الرشيد قينة تغنى بشعره فى مدح بنى أمية فغضب فحرفتــه

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا أحمــد بن زُهَير قال حدّثنا الزبير ابن بكّار قال حدّثنى عمّى عن جدّى عبد الله بن مُصعَب[(١)] قال :

اعترض هارونُ الرشيد قَينةً فغنّتْ :

ما نقَموا من بنى أميّــة إلّا أنهم يحلُمُون إن غضبوا

فلمــا آبتدأتْ به تغيّر وجهُ الرشــيد، وعلِمتْ أنهــا قد غَلِطتْ وأنها إن مرّت فيه قُتِلتْ، فغنّتْ :

ما نَقَمُوا من بنى أميّــة إلّا أنهم يجهَلُون إن غَضِبوا
وأنهم معدِنُ النّفاق فمــا تَفسُدُ إلا عليهم العربُ

(١) فى ط ، ء ، م : « حدّثنى عمى مصعب » بحذف جدّه من الســند . والزبير بن بكار عمه مصعب بن عبد الله بن مصعب وجدّه عبد الله بن مصعب .

فقال الرشيد ليحيي بن خالد : أسمعتَ يا أبا علىّ؟ فقال : يا أمير المؤمنين تُبتاعُ وتُسَنّى[(١)] لها الجائزةُ ويُعجَّلُ لها الإذنُ لِيَسكُن قلبُها؛ قال : ذلك جزاؤها، قُومِى فأنتِ منّى بحيث تُحِبّين . قال : فأُغْمِيَ على الجارية . فقال يحي بن خالد :

جُزِيتَ أميرَ المؤمنين بأَمْنِها * من الله جناتٍ تفوز بِعَدْنها

ومنها :

صــــوت

تَقَدّتْ بِىَ الشَّهْباءُ نحوَ آبنِ جعفرٍ * ســواءٌ عليهـا ليلُهـا ونهـارُها
تَزُورُ آمرأً قــد يَعــلمُ اللهُ أنه * تَجـودُ له كَفٌّ بطىءٌ غِرارُها
ووالله لولا أن تزورَ آبنَ جعفـرٍ * لكان قليــلًا فى دِمَشقَ قـرارُها

عَروضُه من الطويل . غنّاه مَعْبدٌ ثانىَ ثقيلٍ بالبنصر . قوله : "تَقَدّتْ" أى سارت سيرا ليس بعَجِلٍ ولا مُبطِئ، فيقال: تَقَدّى فلانٌ إذا سار سيرَ مَنْ لا يخاف فوتَ مَقْصِده فلم يَعْجَل. وقوله : «بطىءٍ غِرَارُها» يعنى أن منعَها المعروفَ بطىءٌ. وأصل الغِرَار : أن تمنعَ الناقةُ دِرّتَها، ثم يُستعار فى كل ما أشبه ذلك؛ ومنـه قول الراجز :

إنّ لكـلّ نَهَلَاتٍ شِرّهْ * ثم غِرَارًا كغِرار الدِّرّهْ

وقال جَميلٌ فى مثل ذلك :

لاحتْ لعينك من بُثينةَ نارُ * فدموعُ عينِـكَ دِرَّةٌ وغِرَارُ

---

(١) تسنى : تجزل حتى تكون سنية . وفى ب ، س : «تثنى» بالثاء المثلثة ، وهو تحريف .

شيء مما عيب عليه في شعره

قال الزّبيرُ : وهذا البيتُ مما عِيبَ على آبن قيس ، لأنه نقَضَ صدرَه بعَجُزه ، فقال في أوّله : [إنه] (١) سار سيرا بغير عَجَل ، ثم قال :

* سَوَاءٌ عليها ليلُهـا ونهارُها *

وهذا غايةُ الدَّأَب في السَّير، فناقض معناه في بيت واحد . ومما عِيبَ على آبن قيس الرقيّات قولُه — وفي هذين البيتين غناء — :

صـــوت

تُرضِعُ شِبْلَيْنِ وَسْطَ غِيلِهما (٣) * قـد ناهزا للفِطَام أو فُطِما

١٦٢ / ٤

ما مرَّ يومٌ إلّا وعنـدهما * لحمُ رجالٍ أو يُولَغانِ (٤) دَمَا

— غنّاه الغريضُ خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى على مذهب إسحاقَ من رواية عمرو بن بانةَ — وهي قصيدة مدح بها عبدَ العزيز بن مروانَ، وفيها يقول :

أَعْنِي آبنَ ليلَى عبدَ العـزيز بِبَا * بِلْيُونَ (٥) تَغْـدُو جِفَانُه رُذُمَا (٦)

(١) الزيادة عن ط ، ء . (٢) كذا في ط ، ء ، م . وفي سائر الأصول : «وهذه» . (٣) الغيل (بالكسر) : موضع الأسد . وفي اللسان (مادة نهز) : «في مغارهما» . (٤) ولغ السبع والكلب وكل ذي خطم يلغ وولغ يولغ مثل وجل يوجل : شرب ماء أو دما . (٥) كذا في ديوانه (ص ٢٥٥ طبع فينا) واللسان (مادة رذم) . وبابليون : حصن بناه الفرس أيام تملكهم لمصر، وكان يسميه العرب قصر الشمع وكان على الضفة الشرقية من النيل قرب الكنيسة المعلقة في مصر القديمة فتحه عمرو بن العاص وبفتحه تم الصلح مع المقوقس . (راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤ ورقم ١ ص ١٨ من الجزء الأوّل من النجوم الزاهرة طبع دار الكتب المصرية) وعبد العزيز بن مروان هـذا كان واليا على مصر من قبل أبيـه مروان وأقره عليها أخوه عبد الملك بعـد مبايعته بالخلافة (راجع ولاة مصر وقضاتها للكندي ص ٤١ ، ٤٨ ، ٤٩ طبع بيروت والمقـريزي ج ١ ص ٣٠٢ والنجـوم الزاهرة ج ١ ص ١٧٢ طبع دار الكتب المصرية) . (٦) الرذم (بضمتين أو فتحتين وبكلتيهما روى البيت) : جمع رذوم، قال الجوهري « وجفان رذم ورذم مثل عمود وعمد وعمد ولا تقل رذم (بالكسر) » . والرذوم من الجفان : التي كأنها تسيل دسما لامتلائها . وذهب آبن سـيده الى أن روايته بالتحريك ، كما رواه الأصمعي، إنما هي تسمية بالمصدر . (ملخص عن اللسان مادة رذم) .

الواهبَ النُّجْبَ(١) والولائدَ كالـ * ـغزلانِ والخيلَ تَعْلُكُ اللُّجُمَا

وكان قال فى قصيدته هذه : « أو يالغان دما » بالألف، وكذلك رُوِى عنه، ثم غيّرته الرواة .

قال يونس عنه : إنه ليس بفصيح ولا ثقة

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال : سمعتُ ٱبن الأعرابىّ يقول : سئل يونس عن قول ٱبن قيس الرقيّات :

ما مرّ يوم إلا وعنـدهما * لحم رجال أو يُولَغان دمَا

فقال يونس : يجوز يولغانِ ولا يجوز يالغان ؛ فقيـل له : فقد قال ذلك ٱبن قيس الرقيّات وهو حجازىّ فصيح ؛ فقال : ليس بفصـيح ولا ثقة، شغَل نفسَـه بالشرب بتَكرِيتَ(٢) .

انتقد ابن أبى عتيق شعرا له

أخبرنى الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأت على أبى : أوَ بلغك أن ٱبن أبى عتيق أُنشد قولَ ٱبن قيس :

* سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها *

فقال : كانت هذه يٱبنَ أمّ فيما أرى عمياءَ .

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنـا الزبير بن بكار قال حدّثنى عمى مصعب عن جدّى [عن](٣) هشام بن سليمان المخزومىّ قال :

---

(١) كذا فى أكثر الأصول، والنجب (بضمتين وقد يسكن كما هنا) : جمع نجيب وهو الكريم الحسيب من الإنسان والحيوان . والولائد : جمع وليدة وهى الصبية والأمة . وتعلك اللجم : تلوكها وتحركها فى فيها . وفى، ط ، ء : «البخت» بالباء والخاء، وهى الإبل الخراسانية ، معرب وقيل عربى .

(٢) تكريت : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل ، وهى الى بغداد أقرب ، بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخا .

(٣) التكملة عن ط ، ء ، م .

قال آبن أبي عتيق لعُبَيد الله بن قيس وقد مرّ به فسلّم عليه فقال : وعليك السلام يا فارسَ العمياء، فقال له : ما هذا الآسم الحادث يا أبا محمد! بأبي أنت! قال : أنت سمّيتَ نفسَك حيث تقول :

* سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها *

فما يستوى الليلُ والنهارُ إلا على عَمْياء(1)، قال : إنما عنيتُ التعبَ ، قال : فبيتك هذا يحتاج إلى تَرْجُمان يترجم عنه .

ومنهـا :

صـــوت

ذكرتُكَ أنْ فاضَ الفراتُ بأرضنا * وفاضت بأعلى الرَّقَّتَيْنِ(2) بحارُها
وحَوْلِيَ مما خوّل اللهُ هَجْمةٌ * عطائِكَ منها شَوْلُها وعِشارُها
فجئناكَ نُثْنى بالذى أنتَ أهلُهُ * عليك كما أثْنَى على الروض جارُها
إذا متَّ لم يُوصَل صديقٌ ولم تُقَمْ * طريقٌ من المعروف أنت منارُها

ـــ الشولُ : النُّوق التى شالت بأذنابها وكرِهت الفحل ، وذلك حين تلقح ، واحدتها شائل ـــ غنّاه حَكَمٌ الوادِى ثقيلًا أوّل بالوسطى .

حكم الوادى ودنانير

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشِّيعىّ قال حدّثنا عمرُ بن شبَّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال قال لى أبى :

قال حكم الوادى : دخلت يوما على يحيى بن خالد فقال لى : يا أبا يحيى، ما رأيك فى خمسمائة دينار قد حضرتْ؟ قلت : ومَنْ لى بها؟ قال : تلقِى لحنك فى :

* ذكرتكَ أن فاض الفراتُ بأرضنا *

(1) فى ط ، ء ، م : « إلا على أعمى » . (2) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٨٠ من هذا الجزء .

على دنانير فها هى ذه، وهذا سَلامٌ واقف معك ومُخرِجها إليك، وأنا راكب إلى أمير المؤمنين، ولست أنصرف من مجلس المظالم إلى وقت الظهر، فكُدَّها فيه، فإذا أحكمتْه فلك خمسُمائة؛ فقالت دنانير: يا سيِّدى، أبو يحيى يأخذ خمسمائة دينار وينصرف وأنا أبقى معك أُقاسِيكَ عُمرى كلَّه! فقال لها: إنْ حفِظتِيه فلكِ ألف دينار، ١٦٣/٤
وقام فمضى؛ فقلت لها: يا سيِّدتى آشغَلِى نفسكِ بذا، فإنك أنتِ تهبين لى الخمسمائة الدينار بحفظكِ إيّاه وتفوزين بالألف الدينار، وإلا بطَل هذا، فلم أزَلْ معها أُكُدُّها ونفسى وتُغنِّينى حتى آنصرف يحيى، فدعا بماء وطَسْتٍ، ثم قال: يا أبا يحيى، غَنِّ الصوتَ كما كنتَ تُغنّيه ـ فقلتُ: هلكتُ! يسمعُه منّى، وليس هو بمن يَخْفَى عليه، ثم يَسمعُه منها فلا يرضاه ـ فلم أجدْ بُدًّا من الغناء، ثم قال: غَنّيه أنتِ الآن، ففنّتْ؛ فقال: والله ما أرى إلا خيرًا؛ فقلتُ: جُعلتُ فداءكَ! أنا أَمضَغ هذا منذ أكثرَ من خمسين سنةً كما أَمضُغ الخبز، وهذه أخذتْه الساعةَ وهو يَذِلُّ لها بعدى وتجترئُ عليه ويزدادُ(١) حسنا فى صوتها؛ فقال: صدقتَ، هاتِ يا سَلامُ خمسَمائة دينار ولها ألفَ دينار، ففعل؛ فقالت له: وحياتِكَ يا سيِّدى لأُشاطِرَنّ أستاذى الألفَ الدينار؛ قال: ذلك إليكِ، ففعلَتْ؛ فآنصرفتُ وقد أخذتُ بهذا الصوتِ ألف دينار.

رجع الحديث إلى عُبيد الله بن قيس الرقيات

شعر ابن قيس الرقيات فى كثيرة التى نزل بها بالكوفة

قال الزبير بن بكار حدّثنى عبد الله بن النَّضير عن أبيه:

أن آبن قيس الرقّيات قال فى الكوفيّة التى نزل عليها:

بانت لتَحزُنَنا كثيرهْ(٢) * ولقد تكون لنا أميرهْ

(١) كذا فى ط، ء، م. وفى باقى الأصول: «وتزداد» بالتاء. (٢) هذان البيتان من قصيدة عدد أبياتها خمسة وعشرون بيتا، وهى مذكورة فى ديوانه المخطوط بقلم المرحوم الشيخ الشنقيطى المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٨ أدب ش وديوانه المطبوع بفينا (ص ١١٥).

حَلَّتْ فَلَالِيجَ السَّوَا (١) * دِ وحلّ أهلى بالجزيرهْ

قال : ولقد رحل من عندها وما يتعارفان .

قال : وقال فيها أيضا — وفيه لحنٌ من خفيف الثقيل لابن المكىّ — :

صـــوت

لَجّتْ بحبّكَ أهلَ العراق * ولولا كُثَيرةُ لم تَلْجَجِ
فليتَ كُثَـيرةَ لم تَلْقَنِى * كُثيرةَ أختَ بنى الخزْرجِ

سعيد بن المسيب وابن قيس الرقيات

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى عبدالله بن عاصم القَحْطانىّ قال حدّثنى أبى عن عبد الرحيم بن حَرْمَلَةَ قال :

كنتُ عند سعيد بن المسيّب، فجاء ابنُ قيس الرقيّات، فهَشّ وقال : مرحبًا بظُفُرٍ من أظفار العَشيرة ، ما أحدثْتَ بعدى ؟ قال : قد قلتُ أبياتا وأستفتيك فى بيت منها فاسمعها ؛ قال : هات ؛ فأنشده :

هل للديار بأهلها عِلْمُ * أم هل تُبِينُ فينطقَ الرسمُ
قالت رُقَيّةُ فِيمَ تَصرِمُنا * أرُقَىَّ ليس لوجهكِ الصَّرْمُ
تَخطُو بخَلْخالَينْ حَشْوُهما * ساقانِ مارَ (٢) عليهما اللحمُ
ياصاحِ هل أبكاكَ موقفُنا * أم هل علينا فى البُكا إثمُ

فقال سعيد : لا والله ما أبكانى؛ قال ابنُ قيس الرقيّات :

بل ما بكاؤك منزلًا خَلَقًا * قَفْـرًا يلُوح كأنه الوَشْمُ (٣)

(١) فلاليج السواد : قراه ، واحدها فلوجة . والمراد بالسواد العراق ، سمى بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار. (٢) مار : تردّد وتحرّك واضطرب . (٣) كذا فى ط ، ء ، م ، وهو الموافق لما فى ديوانه المخطوط والمطبوع (ص ١٣٠) . وفى باقى الأصول : « الرسم » بالراء والسين وهو تحريف ، والعرب كثيرا ما تشبه هذا التشبيه قال طرفة :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد * تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

فقال سعيد : اعتذر الرجل . ثم أنشد :

أتلبثُ فى تَكْرِيتَ لا فى عَشِـيرةٍ * شهودٍ ولا السلطانُ منكَ قريبُ
وأنتَ امرؤٌ للحزم عنـدك منزلٌ * وللدِّين والإسلام منك نصيب

١٦٤/٤ فقال سـعيدٌ : لا مُقامَ على ذلك ، فاخرُجْ منهـا ؛ قال : قد فعلتُ ؛ قال : قد أصبتَ أصاب الله بكَ .

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

صــــوت

قامتْ بخلخالينِ حَشْوُهما * ساقانِ مارَ عليهمـا اللحمُ
يا صاحِ هل أبكاكَ موقفُنا * أم هل علينا فى البكا إثمُ

غنّى فيهما ابنُ سُرَيج رملًا بالبنصر .

ابن قيس الرقيات وعمر بن أبى ربيعة

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنـا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا محمـد ابن عبد الله البَكْرِىّ وهارونُ بن أبى بكر عن عبد الجبّار بن سعيد المُساحِقىّ عن أبيه عن سعيد بن مُسْلِم بن وَهْب مولى بنى عامر بن لؤىّ عن أبيه قال :

دخلتُ مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نَوْفَل بن مُسَاحِقٍ وإنه لمُعْتَمِدٌ(١) [على يدى] إذ مررنا بسعيد بن المسيّب فى مجلسه فسلّمنا عليـه فردّ سلامَنـا ؛ ثم قال لنوفل(٢) : يا أبا سعيد مَنْ أشعرُ، أصَاحِبُنا أم صاحبُكم؟ يعنى : عبيدُ الله بن قيس

(١) الزيادة والتصحيح عن الأغانى (ج ١ ص ١١٣ طبـع دار الكتب المصرية) . وفى م : « وإنه لمعتمد علىّ » وفى ط ، ء : « وإنه لمعتمد إذ مررنا بسعيد الخ » . وفى باقى الأصول : « لمعتمر بالراء » وهو تحريف . وقد سبق ذكر هذا الخبر هناك مع بعض مغايرة فى الأبيات الآتية بعد ، فانظره والحواشى التى كتبت على الشعر هناك. (٢) فى ب ، س : « ثم قال نوفل » وهو تحريف .

الرقيّات أو عمرُ بن أبي ربيعة؛ فقال نوفل: حين يقولان ماذا؟ فقال: حين يقول صاحبنا:

خليــلَيَّ ما بالُ المَطِيّ كأنّمـا ٭ نَراها على الأدبار بالقوم تَنكُصُ
وقد أبعدَ الحادي سُراهنّ وٱنتحَى ٭ بهنّ فمـا يألُو عَجُولٌ مُقلِّصُ
[وقد قُطعتْ أعناقُهنّ صَبابةً ٭ فأنفُسنا ممـا تُكلَّفُ شُخَّصُ](١)
يَزِدْنَ بنا قُرْباً فيزدادُ شَــوقُنا ٭ إذا زاد طولُ العهدِ والبعدُ يَنقُصُ

ويقول صاحبُكم ما شئتَ؛ قال: فقال له نوفلٌ: صاحبكم أشهر بالقول في الغزل أمتع اللهُ بك، وصاحبُنا أكثر أفانينَ شعرٍ؛ قال: صدقتَ؛ فلما ٱنقضى ما بينهما من ذكر الشعر، جعل سعيدٌ يستغفر الله ويَعقِد بيده ويَعُدُّه بالخمس كلِّها حتى وفّى مائةً.

قال البكريّ في حديثه عن عبد الجبّار: فقال مُسلِمُ بن وَهْب: فلمـا فارقناه قلتُ لنوفل: أتُراه ٱستغفرَ الله من إنشاده الشعرَ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلّم؟ قال: كلّا! هو كثيرُ الإنشاد والٱستنشاد للشعر، ولكنّي أحسَــبُه للفخر بصاحبــه.

وفـد على حمزة بن الزبير فوصله

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا محمد بن الضحاك عن أبيه قال:

استأذن عُبيدُ الله بن قيس الرقيات على حمزةَ بن عبد الله بن الزبير؛ فقالت له الجاريةُ: ليس عليه إذنٌ الآنَ؛ فقال: أَمَا إنه لو علم بمكاني ما ٱحتجب عنّي! قال: فدخلتِ الجاريةُ على حمزةَ فأخبرته، فقال: ينبغي أن يكونَ هذا ٱبنَ قيس الرقيّات، ائذَني له، فأذِنتْ له؛ فقال: مَرحَباً بك يا ٱبنَ قيس، هـل من حاجة

(١) الزيادة عن ط، ء، م والأغاني في الموضع الذي أشير اليه في الصفحة السابقة.

نزعتْ بك؟ قال : نعم، زوجتُ بنينَ لى ثلاثةً ببناتِ أخٍ لى ثلاثٍ، وزوجتُ ثلاثة من بنى أخٍ لى بثلاثِ بناتٍ لى؛ قال : فلبنيكَ الثلاثةِ أربعمائةِ دينارٍ أربعمائةِ دينارٍ، ولبنى أخيك الثلاثةِ أربعمائةِ دينارٍ أربعمائةِ دينارٍ، ولبناتك الثلاثِ ثلثمائةِ دينارٍ ثلثمائةِ دينارٍ، ولبنات أخيك الثلاثِ ثلثمائةِ دينارٍ ثلثمائةِ دينارٍ، هل بقيَتْ لك من حاجة يأبنَ قيس؟ قال : لا والله إلا مؤونة السفر؛ فأمر له بما يُصلِحُه لسفره حتى رِقاعِ أخفافِ الإبل (١) .

ذكر ما قاله ابن قيس الرقيات وغُنِّى فيه

١٦٥/٤

صـــوت

أمستْ رُقيّة دونها البِشْرُ (٢) * فالرَّقّة السَّوداء (٣) فالغَمْــرُ

غناه يونس ثقيلًا أوّلَ بالوسطى، وفيه لعزّةَ المَيلاءِ ثانى ثقيلٍ .

ومنهـا :

صـــوت

رُقَىّ بعيْشكم لا تهجُرينـا * ومَنّينا المُـنَى ثم امطُلينا

عِدينـا فى غَدٍ ما شِئتِ إنّا * نُحِبُّ وإن مطَلْتِ الواعِدينا

---

(١) فى الأصول «خفاف» بدون ألف، وقد صحح المرحوم الشيخ الشنقيطى هذه الكلمة بإثبات الألف فى نسخته، وهو الموافق لما فى كتب اللغة من أن الخف للبعير يجمع على أخفاف والخف الذى يلبس يجمع على خفاف . (٢) البشر : اسم جبل يمتدّ من عرض الى الفرات من أرض الشام من جهة البادية، وهو من منازل بنى تغلب بن وائل . (عن معجم البلدان لياقوت) . والغمر : علم على مواضع كثيرة . (٣) كذا فى ط ، ء، م وديوانه (ص ٢٧٥ طبع أوربا) وهو الموافق لما فى معجم ياقوت عند الكلام على البشر . والرقة السوداء : قرية كبيرة ذات بساتين كثيرة . وفى باقى الأصول : «الرقة البيضاء»، وهى مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيام، معدودة فى بلاد الجزيرة . (انظر ياقوت فى اسم الرقة) .

أَغَرَّكِ أنني لا صبرَ عندي * على هَجْرٍ وأنّكِ تَصْبِرينا
ويومَ تبِعتُكم وتركتُ أهلي * حَنِينَ العَوْدِ(١) يَتَّبِعُ القَرِينا

عَرُوضُه من الوافر. غنّاه ابنُ مُحْرِز ثانيَ ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى.

ومنها :

صــــوت

رُقَيَّةُ تَيَّمَتْ قلبي * فوا كَبِدي من الحبِّ
نهاني إخوتي عنها * وما بالقلب من عَتْبِ

غنّاه مالكٌ ثانيَ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة. وقد ذكرتْ بَذْلُ أنّ فيه لابن المكّيّ لحنا.

فضل ابن أبي عتيق شعره على شعر كثير

أخبرني الحرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني سعيد بن عمرو ابن الزُّبير(٢) قال حدّثني إبراهيم بن عبدالله قال :

أنشد كُثَيِّرٌ ابنَ أبي عَتيق كلمتَه التي يقول فيها :

ولستُ براضٍ من خليلٍ بنائلٍ * قليلٍ ولا أرضَى له بقليلِ

فقال له : هذا كلامُ مكافِئٍ ليس بعاشقٍ، القُرشيان أقنعُ وأصدقُ منك : ابنُ أبي ربيعة حيث يقول :

ليتَ حظّي كلَحْظةِ العينِ منها * وكثيرٌ منها القليلُ المُهَنّا

وقولُه أيضا :

فعِدي نائلًا وإن لم تُنيلي * إنه يُقْنِعُ المحبَّ الرجاءُ

(١) العود (بالفتح) : الجمل المسن وفيه بقية. وقال الجوهري : هو الذي جاوز في السن البازل والمخلف، جمعه : عودة كديكة. (٢) في ط، ء، م : «إبراهيم بن أبي عبد الله».

وٱبنُ قيس الرقيّات حيث يقول :

رُقَىَّ بعيشكم لا تَهجُرينا * ومَنّينا المُنَى ثم ٱمطُلِينا
عِدِينا فى غَدٍ ما شئتِ إنّا * نُحِبّ و إن مَطلتِ الواعِدينا
فإمّا تُنجِزى عِدَتِى و إمّا * نَعيشُ بما نُؤمِّل منك حِينا

قال : فذكرتُ ذلك لأبى السائب المخزومىّ ومعه ٱبنُ المولَى، فقال : صدق ٱبن أبى عتيق وفّقه الله، ألا قال المديون كثيّر كما قال هذا حيث يقول :

وأبكِى فلا ليلَى بكَتْ من صبابةٍ * لِباكٍ ولا ليلَى لذى الودّ تَبذُلُ
وأخنَعُ بالعُتْبَى إذا كنتُ مذنبًا * و إن أذنبَتْ كنتُ الذى أتنَصّلُ

صادف رقية بنت عبد الواحد فى الطواف فشبب بها

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال سمعت عُبيدةَ بنَ أَشْعب بن جُبَير قال حدّثنى أبى قال حدّثنى فِنْدٌ مولى عائشةَ بنت سعد بن أبى وقّاص قال :

حجّتْ رُقَيّةُ بنتُ عبد الواحد بن أبى سعد العامريّةُ، فكنتُ آتيها وأُحدّثُها فتَسْتَظرِف[1] حديثى وتَضحكُ منّى؛ فطافتْ ليلةً بالبيت ثم أهوَتْ لِتستلمَ الركنَ الأسودَ وقبلته، وقد طفتُ مع عُبيدالله بن قيس الرقيّات، فصادف فراغُنا فراغَها ولم أشعُر بها، فأهوى ٱبنُ قيس يستلمُ الركنَ الأسودَ و يُقبّله، فصادفها قد سبقتْ إليه، فنفَحتْه[2] بُردُنِها فٱرتدَع؛ وقال لى : مَن هذه؟ فقلتُ : أَوَ لا تعرفُها! هذه رقيّةُ بنتُ عبد الواحد بن أبى سعد؛ فعند ذلك قال :

١٦٦
٤

مَنْ عَذيرى ممن يَضِنّ بمبذو * لٍ لغيرى علىّ عند الطّوافِ

(١) فى ط، ء، م : «فتستطرف» بالطاء المهملة. (٢) نفحته : أصابته. والردن : الكم، وقيل : مقدمه، وقيل : أصله. والردع : أثر الطيب، وارتدع : تطيب بالطيب.

يريد أنها تُقَبِّل الحجرَ الأسودَ وتَضَنّ عنه بقبلتها . وقال فى ذلك :

حَدِّثونى هل على رجلٍ * عاشـــقٍ فى قُبْلةٍ حَرَجُ

وفيــه غِناءٌ يُنسب بعد هــذا الخبر . قال : ولمـا نفَحته بُرْدُنهـا فاحت منه رائحةُ المسك حتى عَجِب مَنْ فى المسجد، وكأنمـا فُتِحتْ بين أهل المسجد لَطِيمةُ[1] عطّارٍ، فسبّح مَنْ حولَ البيت . قال : وقال فِنْدٌ : فقلتُ بعد انصرافها لابن قيس : هل وجدْتَ رائحةَ رُدْنِها لشيءٍ طِيبًا ؟ فعند ذلك قال أبياتَه التى يقول فيها :

صـــــوت

سائلَا فِنْـدًا خليلِى * كيف أَرْدانُ رُقَيَّه

إنّنى عُلِّقت خَوْدًا * ذاتَ دَلٍّ بَخْـتَرِيَّه[2]

غنّاه فِنْدٌ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن حَبَش .

نسبة هذا الصوت الذى فى الخبر المتقدّم وخبره

وهو أيضا مما قاله ابن قيس فى رقيّة

صـــــوت

حَبَّ ذاكَ الدَّلُّ[3] والغُنُجُ * والتى فى عينهـا دَعَجُ

والتى إن حَدّثتْ كذبتْ * والتى فى وعـدها خَلَجُ[4]

(١) اللطيمة : وعاء المسك . (٢) الخود : الفتاة الشابة الحسنة الخلق . والبخترية : المتبخترة فى مشيها ، وهى مشية المتكبر المعجب بنفسه ، أو هى حسنة المشى والجسم . (٣) الدل والدلال من المرأة : تدللها على زوجها وذلك أن تريه جراءة عليــه فى تغنج وتشكل كأنها تخالفه وليس بها خلاف ، أو هو حسن الحديث وحسن المزح والهيئة . والغنج (بالضم و بضمتين) : حسن الدل . والدعج : شدّة سواد العين مع سعتها . (٤) الخلج : الاضطراب وعدم الثبات على حال ، والمراد أنها لاضطرابها لا تثبت على حال فى الوفاء بوعدها .

وتَرى فى البيت صورتَها * مِثلَما فى البِيعَة(١) السُّرُجُ
خبِّرونى هل على رجلٍ * عاشقٍ فى قُبلةٍ حَرَجُ

الشعر لآبن قيس الرقيّات يقوله فى رقيّة بنت عبد الواحد . والغناء لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلقٌ فى مجرى البنصر . وفيه خفيفُ ثقيلٍ آخر لآبن مُحْرِز من رواية عمرو بن بانة ، وقيل : بل هو هذا .

عود الى تفضيل ابن أبى عتيق له على كثير

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنى سليمان ابن عَيّاش السَّعْدىّ قال حدّثنى سائبٌ راوِيةُ كثيِّر قال :

كان كثيِّر مديونا ، فقال لى يوما ونحن بالمدينة : اذهب بنا الى ابن أبى عَتيق نتحدّث عنده ، قال : فذهبت اليه معه ، فآستنشده ابنُ أبى عَتيق ، فأنشده قولَه :

* أبائنةٌ سُعْدَى نعم ستَبِينُ *

حتى بلغ إلى قوله :

وأخلفنَ ميعادى وخُنَّ أمانتى * وليس لمن خان الأمانةَ دِينُ

فقال له ابن أبى عَتيق : أَعلى الأمانة تَبِعتَها ! فآنكفّ وآستغضب نفسه وصاح وقال :

كَذَبْنَ صفاءَ الودّ يوم مَحلّه * وأنكدْنَنى من وعدهن ديونُ

فقال له ابن أبى عَتيق : وَيْلك ! هذا أملح لهنّ وأدعى للقلوب إليهنّ ، سيِّدُك ابن قيس الرقيّات كان أعلمَ منك وأوضعَ للصواب موضعَه فيهنّ ؛ أمَا سمعتَ قوله : ١٦٧/٤

حَبّ ذاكَ الدلُّ والغُنُجُ * والتى فى عينها دَعَجُ
والتى إن حَدّثتْ كذبتْ * والتى فى وعدها خَلَجُ

---
(١) البيعة : متعبد النصارى أو اليهود .

وتَرى فى البيت صورتَها * مثلما فى البِيعَـة السُّرُجُ

خبِّرونى هل على رجلٍ * عاشقٍ فى قُبـلةٍ حَرَجُ

قال : فسكن كُثَيِّر واستحلى ذلك، وقال : لا ! إن شاء الله؛ فضحك ٱبن أبى عَتيق حتى ذُهِبَ به .

أنشد أبو السائب المخزومى شعره فدحه

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عبد الرحمن بن عُمَر الزُّهْرىّ قال : أنشدتُ أبا السائب المخزومىّ قولَ ٱبن قيس الرقيّات :

صـــوت

قد أتانا من آل سُعْدَى رسولُ * حبَّـذا ما يقـول لى وأقـولُ

مِنْ فتاةٍ كأنها قَرْنُ شمسٍ * ضـاق عنهـا دمَالجٌ(١) وحُجُولُ

حبَّـذا ليلتى بمِـزّة(٢) كلبٍ * غال عنّى بها الكَوانينَ غُـولُ

فقال لى : يابْنَ الأمير ما تُراه كان يقول وتقول ؟ فقلت :

حديثًا كما يسرى النّدى لو سمعتَه * شفاكَ مِنَ ٱدواءٍ كثيرٍ وأسْقَمَا

فطرِب وقال : بأبى أنت وأمى ! ما زلتُ أُحبّك، ولقـد أُضعِف حبِّى إياك حين تفهم عنّى هذا الفهم .

---

(١) دمالج : جمع دملج وهو المعضد من الحلى (حلية تلبس فى العضد) . والحجول : جمع حجل وهو الخلخال . يريد أنها بضة سمينة ضاقت عنها دمالجها وحجولها .

(٢) فى الأصول «بمرّة كلب» بالراء المهملة وهو تصحيف، والصواب ما أثبتناه عن معجم ياقوت فى ٱسم المزة بكسر الميم وتشديد الزاى المعجمة، وعن تصحيح الاستاذ الشنقيطى أيضا فى نسخته . قال ياقوت : وهى قرية كبيرة غناء فى وسط بساتين دمشق، بينها و بين دمشق نصف فرسخ وبهـا فيما يقال قبر دحية الكلبى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . والكوانين : الثقلاء من الناس . والغول (بالضم) : الداهية .

غنّى فى هذه الأبيات ابن سُرَيج ثقيلًا أوّلَ بالوسطى. ولمالكٍ فيها ثانى ثقيل، كلاهما عن الهِشامىّ.

أنشد أشعب من شعره محمد بن عبد الله فمدحه

أخبرنى محمد بن جعفر الصَّيْدَلانىّ النحوىّ صهرُ المبرّد قال حدّثنى طلحة ابن عبد الله أبو إسحاق الطَّلْحىّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى عبد الله بن محمد ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان قال: أنشد أشعبُ بن جُبَير أبى أبياتَ عُبيد الله بن قيس الرقيّات التى يقول فيها:

قد أتانا من آل سُعْدى رسولٌ * حبّذا ما يقول لى وأقولُ

فقال أبى: وَيْحك يا أشعب! ما تُراه قال وقالت له؟ فقال:

حديثًا لو انّ اللحمَ يَصْلَى بحرّه * غريضًا[1] أتى أصحابَه وهو مُنْضَجُ

ذكر شوقًا ووصف توقًا، ووعد ووفى، والتقيا[2] بمِزّة كَلْب فشفى واشتفى، فذلك قوله:

حبّذا ليلتى بمِزّة كلبٍ * غال عنّى بها الكَوانينَ غُولُ

فقال له: إنك لعلّامة بهذه الأحوال؛ قال أجلْ! بأبى أنت! فاسأل عالمًا عن علمه.

ومما فى المائة الصوت المختارة من شعر عبيد الله بن قيس الرقيّات

صوت

من المائة المختارة

ياقلبُ وَيْحك لا تذهبْ بك الحُرَقُ * إنّ الأُلَى كنتَ تهواهم قد انطلقوا

وذُكر أنه لوضّاح[3]، وقد أُخرج فى موضع آخر.

---

(١) غريضا: طريا. (٢) كذا فى ط، ء، م. وفى سائر الأصول: «فالتقيا».

(٣) هو وضاح اليمن عبد الرحمن بن إسماعيل الشاعر؛ وله ترجمة فى الأغانى (ج ٦ ص ٣٢ طبع بولاق).

١٦٨ / ٤

ذكر مالك بن أبي السَّمْح وأخباره ونسبه

نسبه وكنيته وبعض صفاته

هو مالك بن أبي السَّمْح . واسم أبي السمح جابر بن ثعلبة الطائى أحد بنى ثُعَل(١) ثم أحدُ بنى عمرو بن دَرْماء(٢) . ويكنى أبا الوليد. وأمه قرشيّة من بنى مخزوم، وقيل: بل أمّ أبيه منهم، وهو الصحيح .

وقال ابن الكلبي : هو مالك بن أبي السمح بن سليمان بن أوْس بن سِماك(٣) ابن سعد بن أوس بن عمرو بن دَرْماء أحد بنى ثُعَل . وأمّ أبيه بنت مُدْرِك بن عوف بن عُبَيد بن عمرو بن مخزوم . وكان أبوه منقطعًا إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب و يتيمًا فى حِجْره أوصى به أبوه إليه ، فكان ابن جعفر يكفُله ويَمُونه ، وأدخله وسائرَ إخوته فى دِعوة بنى هاشم ، فهم معهم إلى اليوم . وكان أحولَ طويلًا أَحْنَى(٤) . قال الوليد بن يزيد فيه يعارض الحسينَ بن عبد الله بن عُبيد الله بن العبّاس بن عبد المطلب فى قوله فيه :

أبيضُ كالبدر أو كما يَلمَع الـ * ـبارقُ فى حالكٍ من الظُّلَمِ

فقال له الوليد : بل أنت .

أحولُ كالقِردِ أو كما يَرقُب الـ * ـسارقُ فى حالكٍ من الظُّلَمِ

أساتذته فى الغناء وموته فى خلافة المنصور

وأخذ الغناءَ عن جَميلة ومَعْبد وعُمَر(٥) حتى أدرك الدولة العباسيّة ، وكان منقطعًا الى بنى سليمان بن علىّ ، ومات فى خلافة أبي جعفر المنصور .

---

(١) بنو ثعل (كصرد) : حى من طىّ، وليس بمعدول إذ لو كان معدولا لم يصرف .

(٢) بنو درماء : أولاد عمرو بن عوف بن ثعلبة بن سلامان بن ثعل الطائى، ودرماء أمهم، وكانوا بالشأم بقلعة الداروم وما يجاورها . (انظر القاموس وشرحه فى مستدرك مادة درم) . (٣) هذا الاسم ساقط فى ط ، ى ، م . (٤) أحنى : فى ظهره احديداب . (٥) هو عمر الوادى المغنى، وقد كان معاصرا له وكان أستاذا مبرزا فى الغناء (انظر ترجمته فى الأغانى ج ٦ ص ١٤١ طبع بولاق)

كان أبوه منقطعا الى ابن جعفر والسبب فى ذلك

أخبرنى الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد : قرأت على أبى :

أنّ السبب فى انقطاع أبى السَّمْح الى ابن جعفر أنّ السَّنة أَقْحَمَتْ طيِّئًا، فكان ثَعلبةُ جدُّ مالك أحدَهم، فوُلد أبو السَّمْح بالمدينة؛ وكان صديقًا للحسين بن عبد الله الهاشمىّ، وكان سببُ ذلك مودّةٌ كانت بينه و بين آل شُعَيب[(١)] السَّهْميين؛ فلما تزوّج حسين عابدة[(٢)] بنت شُعَيب السَّهْمية خاصمهم بسببها؛ وكان جدّ مالك معه وعونًا له مع من عاونه، فنَشِبتْ بذلك حالٌ بينه و بين بنى هاشم، حتى وُلد مالك فى دُورهم، فصارت دِعْوَتُه فيهم .

أدرك الدولة العباسية وقدم على سليمان بن على فأجازه

أخبرنى الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأت على أبى :

وعُمِّر مالك حتى أدرك دولةَ بنى العباس، وقَدِم على سليمان بن علىّ بالبصرة، فمَتّ إليه بخُؤولته فى قريش، ودِعْوته لبنى هاشم، وانقطاعِه الى ابن جعفر، فعجّل له سليمانُ صلتَه وكساه وكتب له بأَوْساقٍ[(٣)] من تمر .

ملازمته فى أول أمره باب حمزة ابن الزبير وأخذه الغناء عن معبد

أخبرنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى مَيْمون بن هارون قال حدّثنى القاسم بن يوسف قال أخبرنى الوَرْدانىّ قال :

كان مالك بن أبى السَّمْح المغنّى من طيِّئ، فأصابتهم حَطْمةٌ[(٤)] فى بلادهم بالجبلين، فقَدِمتْ به أمه و بإخوةٍ له وأَخَواتٍ أيتامٍ لا شىء لهم؛ فكان يسأل النّاسَ على باب

---

(١) هو شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص كما سيذكره المؤلف فى ص ١٠٧ من هذا الجزء . وقد اضطربت الأصول هنا فى ذكره فى هذا السطر والذى يليه بين «سعيد» و «شعيب» . (راجع كتاب المعارف لابن قتيبة ص ١٤٦) .

(٢) كذا فى ط ، ء وفيما سيأتى فى أكثر الأصول . وفى سائر الأصول هنا : «عائدة» .

(٣) الأوساق : جمع وسق (بالفتح) وهو ثلاثمائة وعشرون رطلا عند أهل الحجاز وأربعمائة وثمانون رطلا عند أهل العراق على اختلافهم فى مقدار الصاع والمدّ .

(٤) الحطمة : السنة والجدب . والمراد بالجبلين أجأ وسلمى لأنهما جبلا طيّئ (انظر معجم ياقوت فى الكلام عليهما) .

حمزة بن عبد الله بن الزُّبَير ، وكان معبدٌ منقطعًا إلى حمزة يكون عنده فى كل يوم يغنّيه ؛ فسمع مالك غناءه فأعجبه واشتهاه ، فكان لا يفارق باب حمزة يسمع غناء معبد إلى الليل ، فلا يطوف بالمدينة ولا يطلب من أحد شيئا ولا يَرِيمُ موضعَه ، فينصرف إلى أمه ولم يكتسب شيئا ، فتضربه ، وهو مع ذلك يترنّم بألحان معبد و يؤدّيها دَوْرًا دورا فى مواضع صَيْحاته و إسجاحاته ونَبَراته[1] نغمًا بغير لفظ ولا رواية شىء من الشعر ؛ وجعل حمزةُ كلّما غدا و راح رآه ملازمًا لبابه ؛ فقال لغلامه يوما : أدخل هذا الغلامَ الأعرابىَّ إلىّ ؛ فأدخله ؛ فقال له : من أنت؟ فقال : أنا غلام من طيّئ أصابتْنا حَطْمةٌ بالجبلين فحطَّتْنا إليكم ومعى أمّ لى و إخوةٌ ، وإنى لزمت بابَك فسمعت من دارك صوتا أعجبنى ، فلزمتُ بابَك من أجله ؛ قال : فهل تعرف منه شيئا ؟ قال : أعرف لحنَه كلَّه ولا أعرف الشعرَ ؛ فقال : إن كنتَ صادقًا إنك لَفَهِمٌ[2] . ودعا بمَعْبَد فأمره أن يغنّى صوتا فغنّاه ، ثم قال لمالك : هل تستطيع أن تقوله ؟ قال نعم ؛ قال : هاته ؛ فاندفع فغنّاه فأدّى نَغَمَه بغير شعر ، يؤدّى مَدّاته ولَيّاته وعَطَفاته ونَبَراته وتعليقاته لا يَخْرِم حرفا ؛ فقال لمعبد : خذ هذا الغلام إليك وخرّجه ، فَلَيكوننّ له شأن ؛ قال معبد : ولِمَ أفعل ذلك؟ قال : لتكون محاسنُه منسوبةً إليك ، و إلّا عدَل إلى غيرك فكانت محاسنُه منسوبةً إليه ؛ فقال : صدق الأمير ، وأنا أفعل ما أمرتَنى به . ثم قال حمزة لمالك : كيف وجدتَ ملازمتَك لبابنا؟ قال : أرأيتَ لو قلتُ فيك غيرَ الذى أنت له مستحقٌّ من الباطل أكنتَ ترضى بذلك؟ قال لا ؛ قال : وكذلك لا يسرُّك أن تُحمدَ بما لم تفعل ؛ قال نعم ؛ قال : فوالله ما شَبِعتُ على

(١٦٩/٤ — beside the line «هذا الغلامَ الأعرابىَّ إلىّ»)

---

(١) قال فى اللسان (مادّة نبر) : «ونبرة المغنى : رفع صوته عن خفض» . (٢) لعله جواب لما قبله على تقدير القسم ، أى على تقدير : لئن كنت ... الخ ، ولو كان جوابا للشرط من غير تقدير القسم لوجب اقترانه بفاء الجزاء .

بابك شَبْعةً قطُّ ولا انقلبتُ منه إلى أهلى بخير؛ فأمر له ولأمّه ولإخوته بمنزل، وأجرى لهم رزقًا وكسوة، وأمر لهم بخادم يخدُمهم وعبدٍ يسقيهم الماء، وأجلس مالكا معه فى مجالسه، وأمر معبدًا أن يطارحه، فلم يَنْشَبْ[1] أن مهر وحذَق؛ وكان ذلك بعقب مقتل هُدْبةَ بن خَشْرَم؛ فخرج مالك يومًا فسمع امرأة تنوح على زِيَادةَ الذى قتله هُدْبةُ بن خَشْرَم بشعر أخى[2] زِيَادة :

أبعد الذى بالنَّعْفِ[3] نَعْفِ كُوَيْكِبٍ * رهينةَ رَمْسٍ ذى تراب وجَنْدلِ
أُذَكَّرُ بالبُقْيَا على من أصابنى * وبُقْيَاى أنّى جاهدٌ غيرُ مؤتَلِي
فلا يَدْعُنى قومى لزيد بن مالكٍ * لئن لم أُعَجِّلْ ضربةً أو أُعَجَّلِ
وإلّا أنَلْ ثأرى من اليوم أو غدٍ * بنى عمِّنا فالدهرُ ذو مُتَطَوَّلِ
أَنَحْنُ علينا كَلْكَلَ الحرب مرّةً * فنحن مُنِيخُوها عليكم بكَلْكَلِ

فغنّى فى هذا الشعر لحنين، أحدهما نحا فيه نحو المرأة فى نوحها ورقّقه وأصلحه وزاد فيه، والآخر نحا فيه نحو معبد فى غنائه؛ ثم دخل على حمزة فقال له : أيها الأمير، إنى قد صنعت غناءً فى شعر سمعت بعض أهل المدينة يُنشده وقد أعجبنى، فإن أذِن الأميرُ غنّيتُه فيه؛ قال : هاته، فغنّاه اللحنَ الذى نحا فيه نحو معبد؛ فطَرِب حمزة وقال له : أحسنتَ يا غلام، هذا الغناء غناء معبد وطريقتُه؛ فقال : لا تَعْجَل أيها الأمير واسمع منّى شيئا ليس من غناء معبد ولا طريقته؛ قال : هاتِ، فغنّاه اللحنَ الذى تشبّه فيه بنوح المرأة، فطرِب حمزة حتى ألقى عليه حُلّةً كانت عليه

(١) يقال : لم ينشب أن فعل كذا أى لم يلبث . وحقيقته : لم يتعلق بشىء غيره ولا اشتغل بسواه .

(٢) هو عبد الرحمن بن زيد أخو زيادة بن زيد المقتول، كما فى الشعر والشعراء فى ترجمة هدبة بن خشرم (ص ٤٣٦ طبع أوربا) والأغانى (ج ٢١ ص ٢٧١ طبع أوربا) فى ترجمة هدبة المذكور .

(٣) النعف : ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مجرى السيل كالخيف .

قيمتها مائتا دينار، ودخل معبد فرأى حُلّة حمزة عليه فأنكرها، وعلم حمزةُ بذلك فأخبر معبدًا بالسبب، وأمر مالكا فغنّاه الصوتين، فغضب معبد لما سمع الصوت الأول وقال: قد كرهتُ أن آخذ هذا الغلام فيتعلّم غنائى فيدّعيه لنفسه، فقال له حمزة: لا تَعْجَل واسمع غناءً صَنَعه ليس من شأنك ولا غنائك، وأمره أن يغنّى الصوت الآخر فغنّاه، فأطرق معبد، فقال له حمزة: والله لو انفرد بهذا لضاهاك ثم يتزايد على الأيام، وكلما كبِر وزاد شخْتَ أنت ونقصتَ، فلأن يكون منسوبا إليك أجملُ، فقال له معبد وهو منكسر: صدق الأميرُ. فأمر حمزةُ لمعبدٍ بخِلْعة من ثيابه وجائزةٍ حتى سكَن وطابت نفسُه، فقام مالك على رجله فقبّل رأس معبد، وقال له: يا أبا عبّاد أساءك ما سمعتَ منّى؟ والله لا أُغنّى لنفسى شيئا أبدًا ما دمتَ حيّا، وإن غلبتْنى نفسى فغنّيتُ فى شعر استحسنتُه لا نسبتُه إلا إليك، فطِبْ نفسًا وارضَ عنّى، فقال له معبد: أوَ تفعل هذا وتَفِى به؟ قال: إى والله وأزيد، فكان مالك بعد ذلك إذا غنّى صوتًا وسئل عنه قال: هذا لمعبد، ما غنّيت لنفسى شيئا قطّ، وإنما آخُذ غناء معبد فأنقله إلى الأشعار وأحسّنه وأزيد فيه وأنقُص منه.

١٧٠ / ٤

كان يغني ليلة الخميس

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنا الحسن ابن عُتْبة اللهبىّ عن عبد الرحمن بن محمد بن عُبيد الله أحدِ بنى الحارث بن عبد المطّلب قال:

خرجتُ من مكة أُريد العراق، فحملتُ معى مالكَ بن أبى السَّمْح من المدينة، وذلك فى أيام أبى العبّاس السفّاح، فكان إذا كانت عَشيّةُ الخميس قال لنا: يا معشر الرُّفقة إن الليلة ليلةُ الجمعة وأنا أعلم أنكم تسألونى الغناء، وعلىّ وعلىّ إن غنّيتُ ليلة

الجمعة ، فإن أردتم شيئا فالساعةَ اقترحوا ما أحببتم؛ فنسأله فيغنّينا، حتى إذا كادت الشمس أن تغيب طرِب ثم صاح : الحريقَ فى دار شَلْمَغَان، ثم يمرّ فى الغناء فما يكون فى ليلة أكثرَ غناءً منه فى تلك الليلة بعد الأيمان المغلّظة .

مالك بن أبي السمح وسليمان بن علي

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان سليمان بن علىّ يسمع من مالك بن أبى السَّمْح بالسَّراة(١)، لأنه كان إذا قدِم الشامَ على الوليد بن يزيد، عدَل إليهم فى بَدْأته وعَوْدته لانقطاعه إليهم ، فيَبَرُّونه ويَصِلُونه؛ فلما أفضَى إليهم الأمرُ رأى سليمانُ مالكا على باب آبنه جعفر؛ فقال له : يابنىّ، لقد رأيتُ ببابكَ أشبهَ الناس بمالكٍ؛ فقال له جعفر: ومَنْ مالكٌ ؟ — يُوهِمه أنه لا يعرفه — فتغافل عنه سليمانُ لئلا ينبهه عليه فيطلبه، وتوهّم أنه لم يعرفه ولا سمع غناءه .

قال حمّاد : وحدّثنى أبى عن جدّى إبراهيم أنه أخبره أنه رأى مالكا بالبصرة على باب جعفر بن سليمان، أو أخيه محمد، ولم يعرفه ، فسأل عنه بعد ذلك فعرفه وقد كان خرج عن البصرة؛ قال : فمالى حسرةٌ مثل حسرتى بأنى ما سمعتُ غناءه .

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد ابن يحيى قال :

كان مالك بن أبى السَّمْح يتيماً فى حِجْر عبد الله بن جعفر، وكان أبوه أبو السمح صار إلى عبد الله بن جعفر وآنقطع إليه ، فلما احتُضر أَوْصَى بمالكٍ إليه ، فكفَله وعاله وربّاه ، وادخله فى دِعْوة(٢) بنى هاشم ، فهو فيهم إلى اليوم . ثم خطب حسينُ

(١) يريد بالسراة هنا مكانا بعينه لم نستطع تعيينه من معاجم البلدان . (٢) فى ط ، ء ، م : « وأدخلهم فى دعوة بنى هاشم فهم فيها الى اليوم » .

ابن عبدالله بن عُبَيدالله بن العبّاس العابدةَ[(١)] بنتَ شُعَيب [بن محمد][(٢)] بن عبد الله بن عمرو ابن العاص، فمنعه بعضُ أهلها منها وخطَبها لنفسه، فعاون مالكٌ حُسَينًا، وكانت العابدةُ تستنصحه، وكانت بين أبيها شعيبٍ وبينه مودّةٌ، فأجابت حُسَينًا وتزوّجته، فانقطع مالكٌ إلى حسين؛ فلما أفضى الأمرُ إلى بنى هاشم قدِم البصرةَ على سليمان ابن علىّ، فلما دخل إليه متَّ بصحبته عبدَ الله بن جعفر ودعْوته فى بنى هاشم وآنقطاعه إلى حسين؛ فقال له سليمان: أنا عارفٌ بكلّ ما قلته يامالك، ولكنك كما تعلم، وأخاف أن تُفسد علىّ أولادى، وأنا واصلُك ومُعطيك ما تريد وجاعل لك شيئا أبعث به إليك ما دمتَ حيًّا فى كل عام، على أن تخرج عن البصرة وترجع الى بلدك؛ قال: أفعلُ جعلنى الله فِداك؛ فأمر له بجائزة وكُسْوة وحمله وزوّده الى المدينة.

١٧١ / ٤

مالك بن أبى السمح فى كبره

أخبرنى عمّى الحسن بن محمد قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنى محمد بن هارون بن جَنَاح قال أخبرنى يعقوب بن إبراهيم الكُوفىّ عمن أخبره قال:

دخلتُ المدينةَ حاجًّا فدخلت الحمّام، فبينا أنا فيه إذ دخل صاحب الحمام فغسله ونظّفه، ثم دخل شيخ أعمى له هيئةٌ، مؤتزرٌ بمنديل أبيض؛ فلما جلس خرجتُ الى صاحب الحمّام فقلت له: من هذا الشيخ؟ قال: هذا مالك بن أبى السمح المغنّى، فدخلتُ عليه فقلت له: ياعمّاه، مَنْ أحسنُ الناسِ غناءً؟ فقال: يآبن أخى، «على الخبير سَقطْتَ»[(٣)]، أحسنُ الناسِ غناءً أحسنُهم صوتا.

---

(١) فى حـ هنا: «العائذة» بالذال المعجمة. وانظر الحاشية رقم ٢ ص ١٠٢ من هذا الجزء.

(٢) التكملة عن كتاب المعارف لابن قتيبة (ص ١٤٦، وانظر الحاشية رقم ١ ص ١٠٢ من هذا الجزء).

(٣) هذا مثل يضرب حين يقع السائل على العليم بالأمر الذى يسأل عنه.

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أبو أيوبَ المَدينىّ قال حدّثنى أبو يحيى العِبَادِىّ عن إسحاق قال :

كان فتيةٌ من قريش جلوسًا فى مجلس ، فمرّ بهم مالك بن أبى السَّمْح ، فقال بعضهم لبعض : لو سألنا مالكًا فغنّانا صوتا ! فقام اليه بعضهم فسأله النزولَ عندهم، فعدَل اليهم، فسألوه أن يغنّيهم؛ فقال : نعمْ والله بالحُبِّ والكرامة ، ثم آندفع يغنى، وأوقع بالمِقْرَعة على قَرَبُوس(١) سَرْجه ، فرفع صوتَه فلم يقدِر، ثم خَفَضه فلم يقدر، فجعل يبكى ويقول : وا شَبَاباه .

أخبرنى عمّى قال حدّثنى هارون بن محمد عن الزُّبير بن بكّار عن عمّه عن جدّه أنه كان فى هؤلاء الفِتْية الذين كانوا سألوه الغناءَ؛ وذكر باقىَ الخبر مثل ما ذكره إسحاق .

مالك بن أبى السمح وعجاجة المخنث

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أبو أيوبَ المَدينىّ قال حدّثنى عبد الرحمن ابن أخى الأصمعىّ عن عمّه قال حدّثنى صالح بن أبى الصَّقْر قال :

قدِم مالك بن أبى السَّمْح المغنّى البصرةَ ، فلقيه عَجَاجَةُ المخنَّثُ، وكان أشهرَ مَنْ بها من المخنّثين، وقال له : فَدَيْتُك يا أبا الوليد ، إنى كنتُ أُحبّ أن ألقاك وأن أعرِض عليك صوتًا من غنائك أخذتُه عن بعض المخنّثين، فإن رأيتَ أن تنزلَ عندى فعلتَ؛ فنزل مالك عنده فبسط له المخنّثُ جَرْدَ(٢) قطيفةٍ كانت عنده فجلس، ثم أخذ عَجَاجةُ الدفَّ فغنّى :

---

(١) القربوس (بفتح القاف والراء) : حنو السرج أى جانبه وهو الخشبة التى بها اعوجاج . ولكل سرج أربعة قرابيس : اثنان مقدّمان واثنان مؤخران . (٢) الجرد (بالفتح) : الخلق من الثياب ، وفى حديث أبى بكر رضى الله عنه « ليس عندنا من مال المسلمين إلا جرد هذه القطيفة » أى الذى آنجرد وخلق .

حَبّ إنّ الخمارَ كان عليهـا * شاهدًا يوم زارتِ الجَوْشَنِيّه (١)
قد سَبَتْه بِدَلِّها حين جاءت * تتهـادَى فى مِشْيةٍ بَخْتَرِيّه

فجعل مالك يقول له : وَيْلَك ! مَنْ قال هـذا ! لعنه اللهُ ! وَيْحَك مَن غنّى هذا ! قبّحه الله ! وَيْحَك مَنْ روى عنّى هـذا ! أخزاه اللهُ ! ثم قام فركب وهـو يضحك عجبًا من مَجَاجة .

مالك ومعبد وابن عائشة عنـد يزيد ابن عبد الملك

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال أخبرنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن آبن جَنَاح قال حدّثنى مصعب بن عثمان قال حدّثنى عبـد الله بن محمـد بن يحيى بن عُرْوة بن الزُّبَير قال حدّثنى مالك بن أبى السَّمْح قال :

قَدِمنا على يزيدَ بن عبد الملك أوّلَ قُدومنا عليـه مع معبد وآبنِ عائشةَ، فغنّيناه ليلةً فاطربْناه، فأمر لكل واحد منّا بألف دينار وكتب لنا بها إلى كاتبـه ، فغدوْنا عليه بالكتاب؛ فلما رآه أنكره وقال : أيُؤمر لمثلكم بألف دينار ألف دينار ! لا والله ولا حُبًّا ولا كرامةَ ! . فرجعنا إلى يزيدَ فأخبرناه بمقالته وكررنا عليـه ؛ فقال : كأنه آستنكر ذلك ؟ فقلنا : نعم؛ فقال : مثله والله يستنكره ودعاه ؛ فلما حضر ورآنا عنده آستأمره فيها، فاطرق مُسْتَحيِيًا ؛ وقال له : إنى قد قلتها لهم ولا يَجْمُلُ أن أرجع عما ١٧٢/٤
قلت، ولكن قطِّعها عليهم . قال مالك : فمات والله يزيد، وقد بقى لكل واحد منا أربعمائة دينار .

غنى جعفرا ومحمدا ابنى سليمان بن على فلامهما أبوهما

أخبرنى الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد قال قرأت على أبى ، وحدّثنا الحسن بن محمد قال :

---

(١) الجوشنية : لعلها نسبة الى جوشن الذى هو بطن من غطفان .

لمّا آنهزم عبد الله بن علىّ من أبى مسلم قَدِم البصرةَ، وكان عند سليمان بن علىّ، وكان مالك بن أبى السمح يومئذ بها، فآستزاره جعفر ومحمد فزارهما، وغنّاهما مالك فى جَوْف الليل فى دار سليمانَ بن علىّ، و بلغ الخبرُ سليمانَ، فدخل عليهم فعذَل جعفرا ومحمدا، وقال: نحن نتوقّعُ الطامّةَ الكبرى وأنتم تسمعون الغناء! فقالا: ألَا تجلس وتسمع! ففعل، فغنّاهم مالك:

صــــوت

ماكنتُ أوّلَ مَنْ خاسَ(١) الزمانُ به * قدكنتُ ذا نَجْدةٍ أَخْشَى وذا باسِ
أَبْلِـغْ أبا معبـدٍ عنّى وإخـوتَه * شوقى إليهـم وأحزانى ووَسْوَاسِى

فخرج وتركهم ولم يُنكر عليهم شيئا.

مدحه الحسين بن عبد الله بشعر

وفى مالك بن أبى السمح يقول الحسين [بن عبد الله](٢) بن عُبَيد الله بن العبّاس:

صــــوت

لا عيشَ إلا بمـالكِ بن أبى الـسّـ * ـمح فلا تَلْحَـنِي ولا تَلُمِ
أبيضُ كالبـدر أوكما يَلْمَـع الـ * ـبارقُ فى حالكٍ من الظُّـلَمِ
مَنْ ليس يَعصيكَ إن رَشَدتَ ولا * يَهتِكُ حقَّ الإسـلام والحُرَمِ
يُصيبُ من لَذّة الكريم ولا * يَجهَـلُ آىَ الترخيص فى اللَّمَمِ(٣)
يارُبَّ ليـلٍ لنا كحاشـية الـ * ـبُردِ ويومٍ كذاكَ لم يَدُمِ
نَعِمتُ فيـه ومالكَ بنَ أبى الـسّـ * ـمح الكريمَ الأخلاقِ والشّـيَمِ

(١) يقال: خاس الزمان به إذا غدر به.
(٢) التكملة عن الأغانى ص ١٠١ من هذا الجزء وأمالى القالى (ج ٣ ص ١٢٨ طبع دار الكتب المصرية).
(٣) اللمم: مقاربة الذنب من غير مواقعة وقيل: هو ما دون الكبائر من الذنوب وفى التنزيل العزيز: (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم) أى صغائر الذنوب.

– غنّاه مالكٌ في الأوّل والثاني والثالث رملًا بالبنصر في مجراها – فيقال: إنّ مالكا قال له: لا والله ولا إن غَوَيتَ أيضا أَعصِيك؛ ذكر ذلك الزبير عن عمّه مصعب. ويقال: إنه قال هذه المقالةَ للوليد بن يزيدَ، فسُرّ بذلك وأجزل صلتَه.

غنى الوليد فلم يطربه ثم غناه ثانيا فأطربه

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد قال حدّثني أبي قال قال ابن الكلبيّ:

قال الوليد بن يزيد لمَعْبد قد آذتني وَلْوَلَتُكَ(1) هذه، وقال لابن عائشة: قد آذاني آستهلالُك هذا، فآنظُرا لي رجلا يكون مذهبه متوسّطا بين مذهَبَيْكما؛ فقالا له: مالكُ بن أبي السّمح؛ فكتب في إشخاصه إليه وسائرِ مُغَنّيِ الحجاز المذكورين؛ فلمّا قَدِم مالكٌ على الوليد بن يزيد فيمن معه من المغنّين نزل على الغَمْر بن يزيد، فأدخله على الوليد فغنّاه فلم يُعجِبه؛ فلما آنصرف الغَمْر قال له: إن أمير المؤمنين لم يُعجِبه شيءٌ من غنائك؛ فقال له: جعلني الله فداك! اطلُب لي الإذنَ عليه مرّةً واحدة، فإن أعجبه شيء ممّا أغنّيه وإلا آنصرفتُ إلى بلادي. فلما جلس الوليدُ في مجلس اللهو ذكره الغَمْر وطلب له الإذنَ، وقال له: إنه هائبك حَصِرَ؛ قال: فأْذَنْ له، فبعث إليه؛ فأمر مالكٌ الغلامَ فسقاه ثلاثَ صُرَاحِيَّاتٍ(2) صِرْفا، فخرج حتى دخل عليه يَخْطِرُ في مِشيته. وقال غير ابن الكلبيّ: إنه قال لفرّاش للوليد: اِسقِني عُسًّا(3) ١٧٣ / ٤ من شراب ولك دينار، فسقاه إيّاه وأعطاه الدينار، ثم قال له: زِدْني آخرَ فأزيدَك

(1) في حـ: «وأواتك». والوأوأة: صياح ابن آوى، وقيل: ليست خاصة به.
(2) صراحيات: جمع صراحية وهي إناء من آنية الخمر ولا يعرف أصلها. وقيل عربية صحيحة استعملها الفرس والروم لزجاجة معروفة يوضع فيها الشراب. (راجع القاموس وشرحه واللسان مادة صرح، والمخصص ج ١١ ص ٥٨، وشفاء الغليل ص ١٤٤).
(3) العس: القدح الضخم يروى الثلاثة والأربعة. وجمعه: عسسة.

آخرَ، ففعل حتى شرِب ثلاثةً، ثم دخل على الوليد يخطِر فى مِشيته، فلما بلغ بابَ المجلس وقف ولم يسلم، وأخذ بحَلْقةِ الباب فقعقعها، ثم رفع صوته فغنّى:

لا عَيْشَ إلا بمالكِ بنِ أبى الـ ... ـسَّمْحِ فلا تَلْحَنِي ولا تَلُمِ

فَطرِب الوليد، ورفع يديه، حتى بدا إبطاه إليه مادًّا لهما، وقام فاعتنقه قائمًا، وقال له: آدنُ يابنَ أخى، فدنا حتى اعتنقه، ثم أخذ فى صوته ذلك، فلم يزالوا فيه أيامًا، وأجزل صلته حين أراد الانصرافَ. قال: ولما أتى مالكٌ على قوله*:

أبيضُ كالسيف أوكما يَلمَعُ الـ ... ـبارقُ فى حالكٍ من الظُّلَمِ

قال له الوليد:

أحْولُ كالقِرْد أوكما يَرْقُبُ الـ ... ـسَّارقُ فى حالكٍ من الظُّلَمِ

كان يأخذ أغانى غيره ويغيرها، ورأى إسحاق فى ذلك

وكان مالك طويلا أجْنَى(1) فيه حَوَلٌ. وقد قال قوم: إن مالكا لم يصنع لحنًا قطُّ غيرَ هذا — أعنى: «لا عيشَ إلّا بمالك بن أبى السَّمح» — وإنه كان يأخذ غناءَ الناسِ فيزيدُ فيه وينقُصُ منه وينسُبه الناس إليه، وكان إسحاق يُنكر ذلك غايةَ الإنكار، ويقول: غناءُ مالكٍ كلُّه مَذْهبٌ واحد لاتبايُنَ فيه، ولو كان كما يقول الناس لاختلف غِناؤه، وإنما كان إذا غنّى ألحانَ مَعْبَد الطِّوالَ خفّفها وحذَف بعض نَغَمِها، وقال: أطاله مَعْبَد ومطّطه، وحذفتُه أنا وحسّنته، فأمّا ألّا يكونَ صنع شيئا فلا.

---

(1) كذا فى أكثر الأصول، والأجنى (بالقصر) لغة فى الأجنأ (بالهمز) وهو الذى أشرف كاهله على صدره. وفى م: «أحنى» (بالحاء المهملة) والأحنى: الأحدب.

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسختُ من كتاب حمّاد : قرأتُ على أبي (١) وذكر بكّار بن النبّال (٢) :

أن الوليد قال لمالك : هل تصنع الغناء؟ قال : لا، ولكنّي أزيدُ فيه وأنقُص منه؛ فقال له : فأنت المُحَلِّي إذًا .

قال إسحاق وذكر الحسن بن عُتبة اللّهبي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الهاشميّ الحارثيّ (٣) الذي يقال له سَنَابِل — وفيه يقول الشاعر :

فإن هي ضَنَّتْ عنكَ أو حِيلَ دونَها * فدَعْها وقُلْ في ابن الكرامِ سَنَابِلِ

— قال : خرجتُ من مكة أريد أبا العبّاس أميرَ المؤمنين، فمررت على المدينة فحملت معي مالكَ بن أبي السَّمْح، فسألته يومًا عن بعض ما يُنْسَب إليه من الغناء، فقال : يا أبا الفضل، عليه وعليه إن كان غنّى صوتًا قطّ، ولكني آخذُه وأُحسِّنه وأُهيئه وأُطيّبه، فأُصيب ويخطئون فيُنسَبُ إليّ . قال إسحاق : وليس الأمرُ هكذا، لمالك صنعةٌ كثيرة حسنة، وصنعته تجْرِي في أسلوب واحد، ويُشْبِه بعضُها بعضًا، ولو كان كما قيل لاختَلَف غناؤه . وقد قيل : إنّ مالكًا كان يَنتفِي من الصنعة لأنّ أكثر الأشراف هناك كانوا يُنكِرون عليه، فكان يَتَبذّل به عند من يراه، ويُنكِره عند من يَتَّقيه، لمحلّه في بني هاشم .

(١) وردت هذه العبارة في حـ هكذا : «قرأت على أبي بكر وذكر بكار أن ابن الوليد... الخ»، وهو تحريف، إذ لم تعرف لحماد رواية عن أبي بكر ولكنه يروي كثيرا عن أبيه . كما أن المذكور في سياق الخبر هو الوليد لا ابنه .

(٢) في ء : «البنال» . وورد في ط مهملا من غير نقط .

(٣) في ط، ء : «الجاري» .

وأخبرنى بخبر سَنابِل هذا محمدُ بن مَزْيَد قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى حمزة بن عُتْبــة اللّهبى عن سَنابِل، فذكر الخــبر وخالف ما رواه إسحاق أنّ الحسن ابن عتبة حدّثه وحكاه عن حمزةَ بن عُتْبة أخيه .

أخذ صوتا من حمار

١٧٤/٤

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيــه عن هشام بن الكلبىّ عن أبيه عن محمد بن يَزيد اللَّيْثىّ قال :

سُئل مالك بن أبى السَّمْح عن صنعته فى :

* لاحَ بالدَّيْر من أُمامةَ نارُ *

فقال : أخذتُه والله من خَرْبَنْده(١) بالشام يَسُوق أَحْمِرَةً ، فكان يترنّم بهــذا اللّحن بلا كلام، فأخذتُه فكسوتُه هذا الشعر .

أخذ صوتا من حائك

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال :

نزل مالكُ بن أبى السَّمْح عند رجل بمكةَ مخزومىٍّ، وكان له غلامٌ حائك، فأتاه آتٍ فقال : أمَا سَمِعتَ غناء غلامك الحائك؟ قال : لا ! أوَ يُغَنِّى؟ قال : نعم بشعر لأبى دَهْبَــل الجُمَحِىّ؛ فبعث إليه فأتاه ، فقال : تَغَنَّــه ؛ فقال : ما أُحسِنُ ذاك إلا على حَفِّى(٢) ؛ فخرج مولاه ومعه مالكٌ إلى بيته ، فلما جلس على حَفِّه تغنَّى :

* تطاولَ هذا الليلُ ما يَتبلَّجُ *

---

(١) كذا فى ب ، س ، م . والخربنده : المكارى ، وهى كلمة فارسية مركبة من «خر» وهو الحمار و «بنده» وهو الخادم . وفى سائر الأصول : «خربندج» . والعرب تضع بدل الهاء فى آخر الكلمة الفارسية جيما أو قافا للتعريب ؛ مثل طازج وفالوذج فى تازه و پالوده ، وخندق وفستق فى كنده و پسته .

(٢) كذا فى حـ . والحف (بالفتح) : المنوال والمنسج ، وهو أيضا القصبة التى تجىء وتذهب . وفى سائر الأصول : «حق» بالقاف ، وهو تصحيف .

فأخذه مالكٌ عنه وغنّاه فنسبه الناس إليه؛ وكان يقول : والله ما غنّيته قطّ ولا غنّاه إلّا الحائك .

نسبة هذين الصوتين

صوت

لاحَ بالدَّيْرِ من أُمامةَ نارُ * لمحبٍّ له بيثرِبَ دارُ
قد تَراها ولو تشاءُ من القُرْ * بِ لأغناكَ عن نَداها(١) السِّرارُ

الشعر للأحوص، ويقال : إنه لعبدالرحمن بن حسّان بن ثابت . والغناء لمالك ابن أبى السَّمْح ثقيل أوّلُ بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر . وفيه لحن لمعبد ذكره إسحاق .

صوت

تَطاوَلَ هذا الليلُ ما يَتَبَلَّجُ * وأعيتْ غَواشِى سَكْرَتِى ما تَفَرَّجُ
أَبِيتُ بِهَمٍّ ما أنامُ كأنما * خِلالَ ضُلوعِى جمرةٌ تَتَوهَّجُ
فَطَوْرًا أُمَنِّى النفسَ من تُكْتَمَ(٢) المُنَى * وطَورًا إذا مالجّ بى الحبُّ أَنْشِجُ(٣)

عروضه من الطويل، الشعر لأبى دَهْبَل، والغناء لمالك بن أبى السَّمْح ثقيل أوّلُ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة .

---

(١) الندى (بالفتح مقصورا) : بعد الصوت .
(٢) كذا فى أكثر الأصول . وتكتم (على وزن الفعل المبنى للمجهول) : اسم المرأة المشبب بها . وفى م : « يكتم الهوى » . وفى الشعر والشعراء (ص ٣٩١) : «عمرة المنى» .
(٣) نشج (من باب ضرب) : غص بالبكاء فى حلقه من غير انتحاب .

هرب مع ابن عائشة يوم مقتل الوليد

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن جدّه قال :

قال ٱبن عائشة : حضرتُ الوليدَ بن يزيد يوم قُتل ، وكان معنا مالك بن أبى السَّمْح وكان من أحمقِ النـاس ، فلما قُتل الوليد قال : اهرُب بنا ؛ فقلت : وما يريدون منا؟ قال : وما يؤمنك أن يأخذوا رأسَيْنا فيجعلوا رأسه بينهما ليُحسِّنوا أمرَهم بذلك! ؛ قال ابن عائشة : فما رأيت منه عقلاً قطّ قبل ذلك اليوم .

لما كبر كان يعلم ابنه الغناء

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال قال الزبير بن بكار حدّثتنى ظَبْيَـةُ قالت : رأيتُ مالكَ بن أبى السَّمح وهو على مَنَامته يُلْقِى على ٱبنه وقد كَبِرَ وٱنقطع :

صـــوت

اِعتـادَ هـذا القلبَ بَلْبـالُهُ(١) * إذ قُرِّبتْ للبيْنِ أجمـالُهُ
خَـوْدٌ(٢) إذا قامتْ إلى خِدْرها * قامت قَطُوفُ(٣) المَشْيِ مِكْسالُهُ
تَفْـتَرُّ(٤) عن ذى أُشُرٍ باردٍ * عَذْبٍ إذا ما ذِيقَ سَـلْسالُهُ

الشعرُ لعمرَ بن أبى رَبيعة ، ولمـالك بن أبى السَّمْح فيه ثلاثة ألحان : خفيفُ ثقيل(٥) مطلق فى مجرى الوسطى ، وثقيل أوّل بالوسطى فى مجراها جميعا عن إسحاق ، وخفيفُ(٦) ١٧٥/٤ رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة ، وقيل : إنه لابن سُرَيج . وفيه رَمَلٌ يُنْسب إلى ابن جامع وابن سريج .

---

(١) البلبال (بفتح الباء) : شدة الهم والوسواس . (٢) الخود : الفتاة الشابة الحسنة الخلق .
(٣) قطوف المشى : ضيقة الخطى بطيئة المشى . (٤) تفتر : تبسم . والأشر (بضمتين و بضم ففتح) : حدّة ورقة فى أطراف الأسنان . (٥) فى حـ : « خفيف أوّل مطلق ... الخ » .
(٦) فى ط ، ء ، م : « خفيف ثقيل بالوسطى ... الخ » .

شعر فى رثائه

أخبرنى وَكيع قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عُبَيدة : سمعتُ مُنشِداً يُنشد لنفسه يَرْثى مالكا بهذه القصيدة :

يا مالِ إنى قَضَتْ نفسى عليكَ وما * بينى و بينَـكَ من قُرْبَى ولا رَحِمِ
إلا الذى لك فى قَلْبى خُصِصتَ به * من المودّة فى سِتْرٍ وفى كَرَمِ

قال إسحاق قال أبو عُبَيدة : هو مالك بن أبى السمح . [انقضت أخباره] (١) .

صـــــوت
من المـائة المختارة

من رواية هارون بن الحسـن بن سَهْل وابن المَكِّىّ وأبى العُبَيس ومن روَى جَحْظَةُ عنـه :

فإلّا تَجَلَّلْها (٢) يُعـالُوكَ فوقـها * وكيف تَوَقَّى ظهرَ ما أنتَ راكبُهْ
هُمُ قتـلوه كى يكونوا مكـانَه * كما غدرتْ يومًا بكسرى مَرازِبُهْ
بنى هاشمٍ رُدُّوا سِلاحَ ابنِ أُختِكم * ولا تَنْهَبوه لا تَحِلُّ مَناهِبُـهْ

عروضه من الطويل. البيت الأوّل من الشـعر لرجلٍ من بنى نَهْـد جاهلىّ، و باقى الأبيات للوليد بن عُقْبة بن أبى مُعَيْط . والغناء لابن مُحرِز، ولحنه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن يونس و إسحاق، وهو اللحن المختار . وفيـه للغَرِيض ثقيـل أوّلُ بالسّبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيـه لمَعْبد ثقيل أوّلُ آخرُ مطلق فى مجرى الوسطى عن عمرو وعن الهشامىّ . وفيـه لسلْسَل فى الثـانى والثالث ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن حَبَش . وفيه لعَطَرَّد خفيف ثقيل .

(١) زيادة عن م . (٢) تجلل الرجل البعير : علا ظهره . وعالى فلان الشيء : رفعه .

خبر النَّهْدىّ فى هذا الشعر

وخبر الوليد بن عُقبة وقد مضى نسبه فى أوّل الكتاب

الحارث بن مارية وزهير بن جناب

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرنى عمى عن ابن الكَلْبى عن أبيه عن عبد الرحمن المَدَائنى، وكان عالما بأخبار قومه، قال وحدّثنيه أبو مِسْكِين[(١)] أيضا، قالا :

كان الحارث بن مَارِيَة الغسّانى الجَفْنِىّ مُكرِما لزُهير بن جَنَاب الكَلْبِىّ يُنادمه ويحادثه، فقَدِم على الملك رجلان من بنى نَهْد بن زيد يقال لهما حَزْنٌ وسَهْلٌ ابنا رِزَاح، وكان عندهما حديثٌ من أحاديث العرب، فآجتباهما الملكُ ونزلا بالمكان الأثير منه، فحسدهما زُهير بن جَنَاب، فقال : أيها الملك، هما والله عَيْنٌ لذى القَرْنين عليك (يعنى المُنذرَ الأكبر جدَّ النعمان بن المنذر)، وهما يكتبان إليه بعَوْرتك وخَلَلِ ما يريان منك؛ قال : كلّا ! فلم يزل به زهير حتى أَوْغَر صدرَه، وكان إذا ركب يبعث إليهما ببعيرين يركبان معه، فبعَث إليهما بناقة واحدة؛ فعرَفا الشرّ فلم يركب أحدهما وتوقّف؛ فقال له الآخر :

فإلا تَجلّلْها يَعالُوكَ فوْقَها * وكيف تَوَقَّى ظهرَ ما أنتَ راكِبُهْ

فركبها مع أخيه، ومَضى بهما فقُتِلا، ثم بحَث عن أمرهما بعد ذلك فوجده باطلا فشتَمَ زُهيرا وطرده، فآنصرف إلى بلاد قومه؛ وقدِم رِزَاحٌ أبو الغلامين إلى الملك، وكان شيخًا عالما مُجرِّبا، فأكرمه الملك وأعطاه دِيةَ آبنيه؛ وبلغ زهيرًا مكانُه، فدعا آبنًا له يقال له عامر، وكان من فِتيان العرب لسانًا وبيانا، فقال له : إنّ رِزَاحًا قد قدِم على الملك، فآلحَقْ به وآحتَلْ فى أن تكفِيَنيه، وقال له : اذْمُمْنى

١٧٦/٤

(١) فى ط، م، ء : «ابن مسكين».

عند الملك ونَل منّى، وأثّر به آثارا ؛ فخرج الغلام حتى قدم الشام، فتلطّف للدخول على الملك حتى وصل إليه؛ فأعجبه ما رأى منه ؛ فقال له : من أنت ؟ قال : أنا عامرُ بنُ زُهَير بن جَناب ؛ قال : فلا حيّاك الله ولا حيّا أباك الغادرَ الكذوبَ السّاعىَ ! فقال الغلام : نعم ، فلا حيّاه الله ! أنظُر أيها الملك ما صنَع بظهرى ! وأراه آثارَ الضرب؛ فقبِل ذلك منه وأدخله فى نُدمائه؛ فبَيْنا هو يحدّثه يوماً إذ قال له : أيها الملك، إنّ أبى وإن كان مُسيئا فلستُ أدَعُ أن أقول الحقّ، قد والله نصحك أبى، ثم أنشأ يقول :

فيالكِ نَصْحةً لمّا نَذُقها * أراها نصحةً ذهبتْ ضَلالَا

ثم تركه أيّاما، وقال له بعد ذلك : أيها الملك، ما تقول فى حيّة قد قُطِع ذَنَبُها وبقِىَ رأسُها ؟ قال : ذاك أبوك وصَنيعُه بالرجُلين ما صَنَع ؛ قال : أبيتَ اللّعنَ ! والله ما قَدم رِزاحٌ إلا ليثأرَ بهما ؛ فقال له : وما آيةُ ذلك ؟ قال : اسقِه الخمر ثم ابعَث إليه عَيْنًا يأتك بخبره؛ فلما انتَشَى صرفَه إلى قُبّته ومعه بنتٌ له، وبعث عليه عيونًا؛ فلما دخل قُبّته قامت إليه ٱبنته تُسانده فقال :

دَعينى من سِنادِكِ إنّ حَزْنًا * وسَهْلًا ليس بعدهما رُقودُ
ألَا تَسلين عن شِبْلَىَّ ماذا * أصابهما إذا اهْتَرَش الأُسُودُ (١)
فإنّى لو ثأرتُ المرءَ حَزْنًا * وسَهْلًا قد بدا لكِ ما أُريد

فرجع القومُ إلى الملك فأخبروه بما سمعوا، فأمر بقتل النَّهْدىّ رِزَاحٍ، وردّ زُهيرًا إلى موضعه .

---

(١) الاهتراش : التقاتل والتواثب .

شعر للوليد بن عقبة أجابه عنه الفضل ابن العباس

وقد أنشدنى محمد بن العباس اليَزيدىّ قال : أنشدنا محمد بن حَبيب أبياتَ الوليد هذه على الوِلاء[1]، وهى :

أَلَا مَن لِلَيْلٍ لا تَغُور كواكِبُهْ * إذا لاح نجمٌ لاح نجم يراقبُهْ[2]

بنى هاشم رُدّوا سلاحَ ابن أختكم[3] * ولا تَنْهبوه لا تَحِلُّ مناهِبُهْ

بنى هاشم لا تَعْجَلوا بإقادةٍ[4] * سَواءٌ علينا قاتِلوه وسالِبُهْ

فقد يُجْبَر العظمُ الكسيرُ ويَنْبرِى * لذى الحقّ يومًا حقُّه فيطالِبُهْ

وإنّا وإيّاكم وما كان منكم * كصَدْعِ الصَّفا لا يَرْأَبُ الصَّدْعَ شاعِبُهْ

بنى هاشم كيف التعاقُد[5] بيننا * وعند علىٍّ سيفُه وحَرائِبُهْ[6]

لَعَمْرُكَ لا أنسى ٱبنَ أَرْوَى وقتلَه * وهل ينسيَنّ الماءَ ما عاش شارِبُهْ

هُمُ قتلوه كى يكونوا مكانَه * كما غدرتْ يومًا بكِسْرَى مَرازِبُهْ

وإنّى لمجتابٌ إليكم بجحفلٍ * يُصِمُّ السَّميعَ جَرْسُه[7] وجَلائبُهْ

وقد أجاب الفضلُ بن عبّاس بن عُتْبة بن أبى لَهَب الوليدَ عن هذه الأبيات، وقيل : بل أبوه العبّاس بن عُتبة المجيبُ له أيضا . والجواب :

---

(١) الولاء : المتابعة ، يقال : افعل هذه الأشياء على الولاء أى متابعة . (٢) فى حـ ، م والاستيعاب (ج ٢ ص ٢٦٢) : « إذا لاح نجم غار نجم يراقبه » . (٣) فى ط ، م ، ء : « ابن عمكم » . وعثمان بن عفان يمت الى بنى هاشم بالخؤولة والعمومة وقد روى فى ص ١١٧ من هذا الجزء : «ابن أختكم» فى جميع النسخ ، وكذلك فيما سيلى قريبا . (٤) فى حـ : «لا تعجلوا بإمْرة» . (٥) فى ط ، م ، ء : « التعاذر » وسيرد قريبا بروايتين أخريين هما : « كيف اهوادة » و « كيف التواصل» . (٦) كذا فى ط ، ء . والحرائب : جمع حريبة وهى مال الرجل الذى يعيش به ، وقيل : ما يسلب من المال . وفى م : « لجائبه » . وفى سائر الأصول : «حرائبه» وهما تحريف ، وسيرد قريبا : « نجائبه » . (٧) الجرس : الصوت .

١٧٧ / ٤

صــــوت

فلا تسألونا بالســــلاح فإنه * أُضِيع وألقاه لَدى الرَّوْع صاحبُهْ
وشَبَّهْتَه كسرى وقد كان مثــلُه⁽¹⁾ * شبيهًا بكسرى هَدْيُه وعصائبُهْ

ذكر أحمد بن المكىّ أنّ لابن مِسْجَح فيه لحنا وأن لحنه من الثقيل الأوّل بالسّبابة فى مجرى الوسطى، وقال غيره: إنه من منحول أبيه يحيى إلى ٱبن مسجح.

(١) فى الاستيعاب (ج ٤ ص ٥٣٣) : «وما كان مثله» .

ذكر باقى خبر الوليد بن عُقْبة ونسبه

نسب الوليد بن عقبة وولايته الكوفة ثم عزله وحدّه بالشراب

الوليدُ ابنُ عقبة بن أبى مُعَيط، وقد مضى نسبه مع أخبار ابنه (١) أبى قَطيفة. ويكنى الوليدُ أبا وَهْب. وهو أخو عثمان بن عفّان لأمّه، أمهما أرْوَى بنت كُرَيز، وأمها البَيْضاء بنت عبد المطلب. وكان من فِتيان قريش وشعرائهم وشُجعانهم وأجوادِهم (٢)، وكان فاسقا، ووَلِىَ لعثمان رضى الله عنه الكوفةَ بعد سعد بن أبى وَقّاص، فشرب الخمرَ وشُهِد عليه بذلك، فحدّه وعزَله. وهو الذى يقول يَرثى

رثاؤه عثمان وتحريضه معاوية على الأخذ بثأره

عثمانَ رضى الله عنه ويُحرِّض معاوية:

والله ما هندٌ بأُمِّك إن مضى النّهارُ ولم يَثْأر بعثمانَ ثائرُ
أيقتُل عبدُ القوم سيِّدَ أهله * ولم تقتلوه ليت أمَّك عاقرُ
وإنا متى نقتلْهم لا يُقِدْ بهم * مُقيدٌ (٣) فقد دارت عليك الدوائر

كان يجالس عثمان على سريره فقال شعرا ولاه به الكوفة

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال:

لم يكن يجلس مع عثمان رضى الله عنه على سريره إلا العباسُ بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حَرْب والحَكَمُ بن أبى العاصى والوليد بن عُقْبة، فأقبل الوليدُ يوما فجلس، ثم أقبل الحكم، فلما رآه عثمان زَحَل (٤) له عن مجلسه، فلما قام الحكم قال له الوليد: والله يا أمير المؤمنين، لقد تَلَجْلج فى صدرى بيتان قلتُهما حين رأيتك

(١) كذا فى م، حـ. وفى سائر الأصول: «أبيه» وهو تحريف. (٢) فى ط، ء: «جودائهم». وجوداء (وزان كرماء): من جموع جواد. (٣) فى ب، س، حـ: «وقد». (٤) زحل: تنحى وتباعد.

آثرت عمّك على ٱبن أُمّك؛ فقال له عثمان رضى الله تعالى عنه : إنه شيخ قريش، فما البيتان اللذان قلتهما؟ قال قلت :

رأيت لعمّ المرء زُلْفَى قرابةٍ * دُوَيْنَ أخيه حادثًا لم يكن قِدْمَا
فأمّلتُ عَمْرًا أن يَشِبّ[1] وخالدا * لكى يدعُوانى يوم مَزْحمةٍ عمّا

يعنى عمرا وخالدا ٱبنى عثمان . قال : فرقّ له عثمان، وقال له : قد ولّيتك العراق (يعنى الكوفة) .

خلف سعد بن أبى وقاص على الكوفة وقصته معه حين قدم عليه

أخبرنى أحمد قال حدّثنى عمر بن شبّة قال حدّثنى بعض أصحابنا عن ٱبن دأْب قال :

لما ولّى عثمان رضى الله عنه الوليدَ بن عقبة الكوفةَ قدمها وعليها سعد بن أبى وَقّاص، فأُخبر بقدومه؛ فقال : وما صنع ؟ قال : وقف فى السوق فهو يحدّث الناس هناك ولسنا نُنكر شيئا من شأنه ؛ فلم يلبث أن جاءه نصفَ النهار، فاستأذن على سعد فأذن له، فسلّم عليه بالإمرة وجلس معه ؛ فقال له سعد : ما أقدمك أبا وهب ؟ قال : أحببتُ زيارتك ؛ قال : وعلى ذلك أجئتَ بريدا ؟ قال : أنا أرْزَنُ من ذلك، ولكن القوم ٱحتاجوا إلى عملهم فسرّحونى إليه، وقد ٱستعملنى أمير المؤمنين على الكوفة ؛ فمكث طويلا ثم قال : لا والله ما أدرى أصلحتَ بعدنا أم فسدنا بعدك! ثم قال :

١٧٨ / ٤

خُذِينى فجُرِّينى ضِباعُ وأَبْشرى[2] * بلحم ٱمرئٍ لم يَشْهد اليوم ناصرُه[3]

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « يشيب » . (٢) فى س : « وإنما » .
(٣) فى ب ، س : « ناشره » .

فقال : أما والله لأَنَا[1] أقْوَلُ للشعر وأرْوى له منك ، ولو شئتُ لأجبتُك، ولكنّى أدَعُ ذلك لمـا تعلم[2]؛ نعم والله قد أُمِرتُ بمحاسبتك والنظرِ فى أمر عُمّالك؛ ثم بعث إلى عمّاله فحبَسهم وضيّق عليهم، فكتبوا إلى سعد يستغيثون، فكلّمه فيهم؛ فقال له : أَوَ للمعروف عندك موضع؟ قال : نعم والله ! فخلّى سبيلَهم .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنى عمر قال حدّثنا جَنّاد[3] بن بِشْر قال: حدّثنى جَرير[4] عن مُغيرة[5] بنحوه .

قال أبو زيد عمر بن شَبّة أخبرنا أبو بكر الباهلىّ قال حدّثنا هُشَيم عن العَوّام بن حَوْشَب :

أنه لمـا قدِم على سعد قال له سعد : ما أدرى أَكِسْتَ بعدنا أم حَمُقْنا بعدك؟ فقال : لا تجزَعَنّ أبا إسحاق، فإنما هو المُلْك يتغدّاه قومٌ ويتعشّاه آخرون؛ فقال له سعد : أراكم والله ستجعلونه مُلْكا .

أخبرنى أحمد قال حدّثنى عمر قال حدّثنا المدائنى عن بشر بن عاصم عن الأعمش عن شَقِيق[6] بن سَلَمة قال :

قدِم الوليد بن عقبة عاملًا لعثمان على الكوفة وعبد الله بن مسعود على بيت المـال، وكان سعد قد أخذ مالا، فقال الوليد لعبد الله : خُذْه بالمـال، فكلّمه عبد الله بحضرمن الوليد فى ذلك؛ فقال سعد : آتى أميرَ المؤمنين، فإن أخذنى به

(١) فى ط ، ى : «أم» . (٢) كذا فى س : وفى سائر الأصول : «لمـا لا تعلم» . (٣) فى حـ : «حيان» . (٤) هو جرير بن عبد الحميد ابن قرط الضبى كما فى تهذيب التهذيب . (٥) هو المغيرة بن مقسم الضبى كما فى تهذيب التهذيب .
(٦) كذا فى حـ ، م . وهو شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدى الراوى وهو الذى يروى عنه الأعمش . وفى سائر الأصول : «سفيان» وهو تحريف . (راجع تهذيب التهذيب ، والاستيعاب فى اسم شقيق) .

أدّيتُه . فغمزَ الوليد عبدَ الله، ونظر إليهما سعد فنهض وقال : فعلتماها ! ودعا اللهَ أن يُغرِىَ بينهما وأدّى المال .

صلى بالناس الصبح أربع ركعات

أخبرنى أحمد قال حدّثنى عمر بن شَبّة قال حدّثنا هارون بن مَعروف قال حدثنا ضَمْرة بن رَبيعة عن ابن شَوْذب قال : صلّى الوليد بن عُقْبة بأهل الكوفة الغداةَ أربعَ ركعات، ثم التفت إليهم فقال : أأزيدكم ؟ فقال عبد الله بن مسعود : ما زلنا معك فى زيادة منذُ اليوم .

شعر الحطيئة فيه

أخبرنى أحمد قال حدّثنى عمر بن شَبّة قال حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا جَرير(1) عن الأَجْلح(2) عن الشّعبىّ(3) فى حديث الوَليد بن عُقْبة حين شهدوا عليه [قال](4): قال(5) الحطيئــة(6) :

شهِد الحطيئةُ يوم يلقى ربَّه * أنّ الوليــدَ أحقّ بالعُــذْرِ(7)
نادى وقد تمّت صــلاتُهم * أأزيدكمْ ــ سُكرًا ــ ومايدرى
فأبَوْا أبا وَهْب ولو أذِنوا * لقَــرَنْتَ بين الشفع والوِتْرِ
كَفُّوا عِنانَك إذ جريتَ ولو * تركوا عِنــانك لم تزل تجرى

وقال الحطيئة أيضا :

تكلّم فى الصــلاة وزاد فيها * عَلانيَــةً وجاهر بالنِّفــاقِ
ومَجّ الخمرَ فى سَنَن المُصَــلّى * ونادى والجميعُ إلى افتراق
أزيدكمُ على أن تَحمَدُونى * وما لكمُ ومالى من خَلاق

(1) هو جرير بن عبد الحميد المذكور فى الصفحة السابقة . (2) هو الأجلح بن عبــد الله بن حجية الكندى كما فى تهذيب التهذيب . (3) هو أبو عمرو عامر بن شراحيــل الشعبى كما فى تهــذيب التهذيب وابن خلكان . (4) زيادة يقتضيها السياق . (5) فى ب، حـ، سـ : «فقال» . (6) هــذه الكلمة ساقطة فى س . (7) هذا البيت من الكامل الضرب الأحذ المضمر، و باقى الأبيات من الكامل الأحذ الثالث .

شرب الخمر وصلى بالناس فضرب الحد

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال قال حماد بن إسحاق حدّثنى أبى قال ذكر أبو عُبَيدة وهشام بن الكلبىّ والأصمعىّ (١) قالوا :

كان الوليد بن عقبة زانيا شِرِّيب (٢) خمر، فشرب الخمر بالكوفة وقام ليصلّى بهم الصبحَ فى المسجد الجامع، فصلّى بهم أربعَ رَكَعات، ثم التفت إليهم وقال لهم : ١٧٩ / ٤
أزيدكم؟ وتقيأ فى المحراب، وقرأ بهم فى الصلاة وهو رافع صوته :

عَلِق القلبُ الرَّبابَا * بعد ما شابَتْ وشابا

فشخَص أهلُ الكوفة إلى عثمان، فأخبروه خبرَه وشهِدوا عليه بشُربه الخمرَ، فأُتى به، فأمر رجلا بضربه الحدَّ، فلما دنا منه قال له : نَشَدْتُك اللهَ وقَرابَتى من أمير المؤمنين فتركه، فخاف علىُّ بن أبى طالب رضى الله عنه أن يُعطِّل الحدُّ، فقام إليه فحَدَّه، فقال له الوليد : نَشَدْتُك بالله وبالقرابة، فقال له علىّ : اسكت أبا وَهْب فإنما هلكتْ بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدودَ، فضربه وقال : لَتدعُوَنِّى قريشٌ بعد هذا جلّادَها . قال إسحاق : فأخبرنى مُصْعَب الزُّبيرىّ قال : قال الوليد ابن عُقْبة بعد ما جُلِد : اللهمّ إنهم شهِدوا علىّ بزور، فلا تُرضِهم عن أمير ولا تُرْضِ عنهم أميرا، فقال الحطيئة يكذّب عنه :

شهِد الحُطَيئةُ يومَ يلقى ربَّه * أنّ الوليد أحقُّ بالعُذْرِ
خلَعوا عِنانَك إذ جريتَ ولو * تركوا عِنانَك لم تَزَل تجْرى
ورأَوْا شمائلَ ماجدٍ أَنِفٍ (٣) * يُعطِى على الميسور والعُسْرِ
فنُزِعتَ مكذوبًا عليك ولم * تَنْزِعْ إلى طمعٍ (٤) ولا فقرِ (٥)

---

(١) فى ب، حـ، س : «قال» والمناسب ما أثبتناه . (٢) فى ط، ء : «دنيا» والدنى (كغنىّ) : الساقط الضعيف . (٣) الأنف (وزان كتف) : الذى يأبى أن يضام . (٤) فى حـ : «طبع» والطبع : الدنس . (٥) فى ديوان الحطيئة (ص ١٨٦ طبع مدينة ليبزج، ونسخة خطية منه بدار الكتب المصرية رقم ٣ أدب ش) : * تردد الى عوز ولا فقر *

فقال رجل من بنى عِجْل يردّ على الحطيئة :

نادَى وقد تَمّتْ صلاتُهمُ * أأزيدكم - ثَمِلًا - وما يَدْرِى
ليَزيدَهم خيرًا ولو قَبِلوا * لقَرَنْتَ بين الشَّفْع والوِتر
فأَبَوْا أبا وَهْب ولو فعلوا * وصلتْ صلاتُهمُ إلى العَشر

وروى العبّاس بن مَيْمون طائع(١) عن آبن عائشةَ قال حدّثنى أبى قال :

لما أَحضر عثمانُ رضى الله عنه الوليدَ لأهل الكوفة فى شُرْب الخمر ، حضَر الحُطَيئةُ فآستأذن على عثمان وعنده بنو أُمية متوافِرون ، فطَمِعوا أن يأتىَ الوليدَ بعذر ، فقال :

شَهِد الحُطَيئةُ يوم يلقى ربَّه * أنّ الوليد أحقُّ بالعذرِ
خلعوا عِنانَك إذ جريتَ ولو * تركوا عِنانك لم تزل تجرى
ورأَوْا شمائل ماجدٍ أَنِفٍ * يُعطى على الميسور والعُسر
فنُزِعتَ مكذوبًا عليك ولم * تَنزِع إلى طمع ولا فقر

قال : فسُرُّوا بذلك وظنّوا أن قد قام بعذره ، فقال رجل من بنى عِجْل يردّ على الحُطَيئة :

نادى وقد تَمّتْ صلاتُهمُ * أأزيدكم - ثَمِلًا - وما يَدْرِى
فأَبَوْا أبا وَهْبٍ ولو فعلوا * وصلتْ صلاتُهمُ إلى العَشْر

فوجَم القومُ وأطرقوا ، فأمر به عثمانُ رضى الله تعالى عنه فحُدّ .

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ط ، م ، ء : « العباس بن ميمون طابع » ، وورد فيما تقدّم فى حـ فى أخبار الحكم بن عبدل ونسبه (ج ٢ ص ٤٢٢ طبع دار الكتب المصرية) : « العباس بن محمد بن طائع » . ولم نعثر على اسمه فى المراجع التى بين أيدينا .

قصة رجل معيطى شهد عليه عند الأمير

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ (١) قال حدّثنى محمد بن الفضل مِنْ حِفْظه قال حدّثنا عمر بن شَبّة من حفظه، ونسخت من كتاب لهارون آبنِ الزيات بخطه عن عمر بن شبة، وروايتُه أتمّ، فحكيتُ لفظه، قال :

شهِد رجل عند أبى العَجّاج، وكان على البصرة، على رجل من المُعَيطيّين شهادة،
١٨٠/٤ وكان الرجل الشاهد سكرانَ؛ فقال المشهود عليه وهو المُعَيطىّ : أعزّك الله إنه لا يُحسن أن يقرأ من السكر؛ فقال الشاهد : بلى إنى لأُحسن؛ فقال : اقرأْ؛ فقال :

عَلِق القلبُ الرَّبابا * بعد ماشابت وشابا

قال : وإنما تَمَاجن بذلك على المُعَيطىّ، ليَحكى به ما صنع الوليدُ بن عُقْبة فى مِحْراب الكوفة وقد تقدّم للصلاة وهو سكرانُ، فأنشد فى صلاته هذا الشّعر؛ وكان أبو العجّاج مُحَمَّقا فظنّ أن هذا قرآن، فقال : صدق الله ورسوله، وَيْلكم ! فلم تعلمون ولا تعملون ! . ولقد رُوى أيضا فى الشهادة على الوليد فى السُّكر غيرُ ماذُكِر من زيادته فى الصلاة .

ثبت لدى عثمان أنه سكر فأمر بجلده الحد

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال عرضت على المَدَائنىّ عن مبارك بن سَلّام عن فِطْر (٢) بن خَليفة عن أبى الضُّحى (٣) قال :

(١) كذا فى ط ، ء ، م . وفى سائر الأصول «المكىّ» ، وأبو الفرج يروى كثيرا عن الصولىّ كما تقدّم غير مرة فى الأجزاء السالفة . (٢) كذا فى التهذيب والمعارف لابن قتيبة والطبرى (ق ١ ص ٣١٨١) وفى جميع الأصول : «قطن» بالقاف والنون وهو تحريف . (٣) كذا فى ط ، م ، ء ، واسمه : مسلم بن صبيح الهمدانى أحد شيوخ فطر بن خليفة المتقدّم . وفى سائر الأصول : «أبو الضحاك» وهو تحريف . (راجع التهذيب والخلاصة فى اسم مسلم بن صبيح) .

كان أبو زَيْنب الأَزْدِىّ وأبو مُوَرِّع[1] يطلبان عَثْرة الوليد بن عُقْبة، فجاءا يوما فلم يحضُر الصلاةَ، فسألا عنه وتلطّفا حتى علِما أنه يشرب، فاقتحما عليه الدارَ فوجداه يَقِىء، فاحتملاه وهو سكرانُ فوضعاه على سريره وأخذا خاتَمَه من يده، فأفاق فافتقد خاتَمَه فسأل عنه، فقالوا: لا ندرى وقد رأينا رجلين دخلا الدار فاحتملاك فوضعاك على سريرك؛ فقال: صِفُوهما لى؛ فقالوا: أحدهما آدمُ[2] طويلٌ حسنُ الوجه، والآخرُ عريضٌ مربوعٌ عليه خَمِيصة[3]؛ فقال: هذا[4] أبو زَيْنب وأبو مُوَرِّع. ولقى أبو زينب وصاحبُه عبدَ الله بن حُبَيْش[5] الأسدى وعلقمة[6] بن يَزِيد البكرىّ وغيرَهما فأخبراهم، فقالوا: اشخَصوا إلى أمير المؤمنين فأَعْلِموه؛ فقال بعضهم: لا يَقبل قولَنا فى أخيه؛ فشخَصوا إليه وقالوا: إنا جئناك فى أمرٍ ونحن مُخْرِجوه إليك من أعناقنا، وقد قلنا: إنك لا تقبلُه، قال: وما هو؟ قالوا: رأينا الوليدَ وهو سكرانُ من خمر قد شرِبها وهذا خاتَمُه أخذناه وهو لا يَعقِلُ؛ فأرسل إلى علىّ رضى الله تعالى عنه فشاوره؛ فقال: أرى أن تُشْخِصه، فإن شهدوا عليه بمَحْضَرٍ منه حدَدْتَه؛ فكتب عثمان رضى الله تعالى عنه إلى الوليد بن عُقبة فقدِم عليه، فشهد عليه أبو زينب

---

(١) كذا فى ط، ء، م وهو أبو مورّع الأسدى كما فى الطبرى وابن الأثير. وفى حـ: «ابن مزرع». وفى ب، سـ «أبو مزرع»، وكلاهما تحريف. (٢) الآدم: الأسمر. (٣) الخميصة: كساء أسود مربع له علمان. (٤) فى الأصول: «هذا». (٥) كذا فى ب، حـ، سـ. وفى سائر الأصول: «خنيس». (٦) كذا فى ب، سـ. وفى م: «علقمة بن زيد». وفى حـ: «عقبة بن يزيد». وفى ط، ء: «عقبة بن زيد»، ولم نوفق الى وجه الصواب فيه.

وأبو مُوَرِّع وجُنْدَب الأَسْدِىّ (١) وسعد بن مالك الأشعرىّ، ولم يَشْهَد عليه إلّا يَمانٍ (٢)؛ فقال عثمان لعلىّ : قم فاضربه؛ فقال علىّ للحسن : قم فاضربه؛ فقال الحسن : مالك ولهذا ! يكفيك غيرُك؛ فقال علىّ لعبد الله بن جعفر : قم فاضربه، فضربه بمِخْصَرة (٣) فيها سيرٌ له رأسان، فلما بلغ أربعين قال له علىٌّ : حَسْبُك .

ما وقع بين عثمان وعائشة بسبب الوليد بن عقبة

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المَدَائنىّ عن الوَقّاصىّ (٤) عن الزُّهْرىّ قال : خرج رهطٌ من أهل الكوفة إلى عثمان فى أمر الوليد، فقال : أكلّما غضِب رجل منكم على أميره رماه بالباطل ! لئن أصبحتُ لكم لأنكِّلنّ بكم؛ فاستجاروا بعائشة؛ وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتا وكلاما فيه بعضُ الغِلْظة، فقال : أما يجد مُرّاق أهلِ العراق وفُسّاقُهم ملجأ إلا بيتَ عائشة ! فسمعتْ فرفعتْ نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : تركتَ سنّةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبِ هذه (٥) النعل؛ فتسامَع الناسُ فجاءوا حتى ملئوا المسجدَ، فمن قائل : أحسنتْ، ومن قائل : ما للنساء ولهذا ! حتى تحاصبوا (٦) وتَضاربوا بالنّعال؛ ودخل رهطٌ من أصحاب رسول الله صلى ١٨١/٤

---

(١) كذا فى ب ، حـ ، سـ . وفى سائر الأصول : «الأزدى» . والأسد «بإسكان السين» : لغة فى الأزد ، يقال فى أزد شنوءة : أسد شنوءة . (٢) يريد أن كل شهوده من اليمن ، وقد جاء فى نهاية الأرب (حـ ٢ ص ٢٩٧) فى الكلام على يمن : أن الأشعر والأزد قبيلتان منها ، وقد جاء فى الطبرى (ق ١ ص ٢٨٤٩) أن أبا مورّع وأبا زينب أزديان . وقد سقطت هذه الجملة من ط ، م ، ء .

(٣) المخصرة : ما اختصره الإنسان بيده فأمسكه من عصا أو مقرعة أو عنزة أو عكازة وما أشبهها ، وقد يتكأ عليها . (٤) كذا فى ط ، م ، ء . واسمه : عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد ابن أبى وقاص ، وهو ممن يروون عن الزهرى . وفى سائر الأصول : «الرقاشى» . ولم نجد فى المراجع التى بين أيدينا رقاشيا له رواية عن الزهرى . (٥) فى جميع الأصول : «هذا» وهو تحريف لأن النعل مؤنثة . (٦) فى ط ، م ، ء : «تحاصبوا» .

الله عليه وسلم على عثمان، فقالوا له : اتق الله ولا تُعطِّل الحدَّ، واعزِلْ أخاك عنهم؛ فعزَله عنهم .

ضرب عثمان رجلا شهد عليه

أخبرنى أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المَدَائنىّ عن أبى محمد النّاجى عن مَطَر الورّاق قال :

قدِم رجل المدينةَ فقال لعثمان رضى الله عنه : إنى صلّيتُ الغداةَ خَلْفَ الوليد ابن عُقْبة، فالتفتَ إلينا فقال : أأزيدكم ؟ إنى أجِد اليومَ نشاطا ، وأنا أشَمّ منه رائحة الخمر ؛ فضرب عثمانُ الرجل؛ فقال الناس : عُطِّلتِ الحدود وضُرِبت الشهود.

الوليد بن عقبة وعدىّ بن حاتم

أخبرنى أحمد قال حدّثنى عُمر قال حدّثنا أبو بكر البَاهِلىّ عن بعض من حدّثه قال :

لما شُهِد على الوليد عند عثمان بشُرب الخمر كتب إليه يأمره بالشخوص ، فخرج وخرج معه قوم يَعْذِرونه ، فيهم عدِىّ بن حاتم، فنزل الوليدُ يوما يَسُوق بهم، فقال يرتجز :

لا تحسَبنّا قد نَسِينا الإيجافْ (1) * والنَّشَوَات من عَتيق أو صَافْ

* وعَزْفَ قَيْناتٍ علينا عُزّافْ *

فقال عَدِىّ : إلى أين تذهب بنا! أقِمْ ! .

أخبار تتعلق بجلد الوليد الحد

أخبرنى أحمد قال حدّثنا عمر قال عَرَضْتُ على المَدَائنىّ عن قَيْس بن الرَّبيع عن الأَجْلَح (2) عن الشَّعبىّ (3) عن جُنْدَب قال :

---

(1) الإيجاف : العنق فى السير، وهو سير فسيح واسع للإبل . (2) انظر الحاشية رقم ٢ ص ١٢٥ من هذا الجزء . (3) انظر الحاشية رقم ٢ ص ١٢٥ من هذا الجزء .

كنتُ فيمن شهِد على الوليد، فلما استَتْمَمْنا عليه الشهادةَ حبسه عثمان، ثم ذكر باقىَ خبره وضَرْبَ علىّ عليه السلام إيّاه. وقولَ الحسن: «مالَكَ ولهذا!»، فزاد فيه: فقال له علىّ: لست إذًا مسلما، أو من المسلمين.

حدّثنا إبراهيم بن عبد الله المخزومىّ قال حدّثنا سَعيد بن محمد المخزومىّ قال حدّثنا ابن عُلَيّة(١) قال حدّثنا سَعيد بن أبى عَرُوبة عن عبد الله الدَّاناج(٢) قال سمعت الحُضَين بن المُنْذر(٣) أبا ساسانَ يحدّث، وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر ابن شَبّة قال حدّثنا محمد بن حاتم قال حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عُلَيّة قال حدّثنا سعيد بن أبى عَرُوبة قال حدّثنا عبد الله الدَّاناج عن حُضَين أبى ساسانَ قال:

لما جِىء بالوليد بن عُقْبة إلى عثمان بن عَفّان وقد شَهِدوا عليه بشرب الخمر، قال لعلىّ: دونَك ابنَ عمك فأقِمْ عليه الحدّ. فأمَر به بجَلْد أربعين. ثم ذكر نحوَ هذا الحديث وقال فيه: فقال علىّ للحسن: بل ضَعُفْتَ ووَهَنْتَ وعَجَزْتَ، قُمْ يا عبدَ الله بنَ جعفر، فقام بجَلْده وعلىّ يَعُدّ حتى بلَغ أربعين. فقال علىّ: أَمسِكْ،

---

(١) كذا فى أكثر الأصول وهو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم، وعلية: أمه، وهذا هو الصواب. وفى ط، ء: «علبة» بالباء الموحدة. (راجع المؤتلف والمختلف فى أسماء نقلة الحديث ص ٩٨، والطبقات ق ٢ حـ ٧ ص ٧٠، وتهذيب التهذيب فى اسم سعيد بن أبى عروبة).

(٢) كذا فى حـ، وهو عبد الله بن فيروز الداناج البصرى. والداناج (بفتح الدال والنون): العالم، معرّب دانا. وهو ممن يروى عن حضين ويروى عنه سعيد بن أبى عروبة. وفى سائر الأصول: «عبد الله الرياحى» وهو خطأ. (راجع القاموس مادة: دنج، والخلاصة فى أسماء الرجال ص ٢١٠ طبع بولاق، وتهذيب التهذيب فى اسم عبد الله بن فيروز الداناج، وسعيد بن أبى عروبة، وحضين بن المنذر).

(٣) هو حضين بن المنذر الرقاشى أبو ساسان صاحب راية علىّ يوم صفين، ولا يعرف حضين بالضاد المعجمة غيره (راجع المؤتلف والمختلف فى أسماء نقلة الحديث ص ٣٣، والمشتبه ص ١٦٦، وتهذيب التهذيب فى اسم حضين، والقاموس مادة حضن).

جلد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم أربعين ، وجلد أبو بكر أربعين ، وأتمّها عمرُ ثمانين ، وكُلٌّ سُنّة .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمرُ قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سَعيد قال :

لما ضرب عثمانُ الوليدَ الحدّ قال : إنك لتضربني اليومَ بشهادة قوم لَيقتُلُنَّكَ عامًا قابلا .

كان أبو زبيد من ندمائه وشعرا فيه لماء

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ عن عمّه عبيد الله قال أخبرني محمد بن حَبيب عن ابن الأعرابيّ قال ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر ابن شَبّة قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سَعيد ، وأخبرني إبراهيم ابن محمد بن أيوب قال حدّثنا عبد الله بن مُسْلِم ، قالوا جميعا :

كان أبو زُبَيد الطائي نديما للوليد بن عُقْبة أيّامَ ولايته الكوفةَ ، فلما شُهِد عليه بالسكر من الخمر وخرج من الكوفة قال أبو زُبَيد — واللفظ في القصيدة لليَزيديّ لأنها في روايته أتمّ — :

١٨٢
٤

من يرى العِيرَ لابن أروى(١) على ظهـ * ـر المَرُورَى(٢) حُدَاتُهنّ عِجالُ
مُصْعِداتٍ والبيتُ بيتُ أبي وَهْـ * ـبٍ خَلاءٌ تَحِنُّ فيه الشَّمالُ
يعرف الجاهلُ المُضَلَّل أنّ الدهر فيه النَّكراء والزِّلْزالُ
ليت شعري كذاكمُ العهدُ أم كا * نوا أُناسًا كمن يزول فزالوا
بعد ما تعلمين يا أمَّ زيدٍ * كان فيهم عِزٌّ لنا وجَمالُ
ووجوهٌ بوُدِّنا(٣) مشرقاتٌ * ونَوالٌ إذا أُريد النَّوالُ

(١) ابن أروى هو الوليد بن عقبة وأروى أمه وأم عثمان بن عفان كما تقدم في أول الترجمة . (٢) سيشرح أبو الفرج هذه الكلمة في أول صفحة ١٣٥ . (٣) في ط ، ء ، م : « تودّنا » بالتاء .

أصبح البيتُ قد تبدّل بالحيّ * وجوهًا كأنها الأقتالُ (١)
كلُّ شيء يحتال فيه الرجالُ * غير أنْ ليس للمنايا احتيال
ولعَمْرُ الإله لو كان للسيـ * ـف مَصالٌ (٢) أو للّسان مَقال
ما تناسيتُك الصفاءَ ولا الودَّ * ولا حال دونك الأشغال
ولحرَّمتُ لحمَك المتعضَّى (٣) * ضلّةً (٤) ضلّ حِلمُهم ما اغتالوا
قولُهم شُرْبُك الحرامَ وقد كا * ن شرابٌ سوى الحرام حَلال
وأبَى الظاهرُ العداوةِ إلّا * شَنَآنًا وقولَ ما لا يُقال
من رجالٍ تَقارضوا مُنْكَراتٍ * لينالوا الذى أرادوا فنالوا
غيرَ ما طالبين ذَحْلًا (٥) ولكن * مال دهرٌ على أُناس فمالوا
مَن يَخُنْك الصَّفاءَ أو يتبدّلْ * أو يَزُلْ مثلَ ما تَزولُ الظِّلال
فاعلمَنْ أننى أخوك أخو الودّ * حياتى حتى تزولَ الجبال
ليس بخلًا عليك عندى بمالٍ * أبدًا ما أَقَلَّ (٦) نعلًا قِبال
ولك النصرُ باللسان وبالكفّ * إذا كان لليدين مَصال

نسبة ما فى هذا الشعر من الغناء

صوت

من يرى العيرَ لابن أروى على ظهـ * ـر المَرَوْرَى حُداتُهن عِجالُ
مُصعِداتٍ والبيتُ بيتُ أبى وهـ * ـب خلاءٌ تَحِنّ فيه الشَّمال

---

(١) الأقتال: الأعداء، جمع قتل (بالكسر) . و يطلق أيضا على الصديق، فهو من أسماء الأضداد .
(٢) يقال: صال على قرنه يصول اذا وثب عليه واستطال . (٣) كذا فى ط ، ء . والمتعضى: المتقطع والمتفرق . و فى سائر الأصول : « المتقصى » ، وهو اسم مفعول من تقصى الشىء إذا طلبه و بالغ فى البحث عنه . (٤) فى ط ، ء : « حدّة » . (٥) الذحل : الثأر .
(٦) أقل الشىء : حمله ورفعه . وقبال النعل (بالكسر) : زمامها وهو السير الذى يكون بين الإصبعين . وفى الشعر والشعراء (ص ١٦٨ طبع أور با) : « ما أقل سيفا حمال » .

عروضه من الخفيف . المَرَوْرَى: جمع مَرَوْراة وهى الصحراء . غنى الدَّلَال فيه خفيفَ ثقيل[1] بإطلاق الوتر فى مَجْرى البِنْصر عن إسحاق وغيره .

لام أهل الكوفة الوليد لأنه أنزل أبا زبيد بدار عقيل على باب المسجد

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

لمـا قدم الوليـدُ بن عُقْبة الكوفةَ قَدِم عليه أبو زُبَيـد، فأنزله دارَ عَقيل بن أبى طالب على باب المسجد وهى دارُ القِبْطِى[2]، فكان مما آحْتُجّ به عليه أهلُ الكوفة أنّ أبا زُبَيد كان يخرج إليه من داره يخترق المسجدَ وهو نصرانىّ[3] فيجعلُه طريقًا .

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنى عمّى[4] عُبيد الله[5] عن أبى حَبيب ابن جَبلَة عن آبن الأعرابىّ :

أن أبا زُبَيد وفَد على الوليد حين استعمله عثمانُ على الكوفة، فأنزله الوليد دارًا لعَقِيل بن أبى طالب على باب المسجد ، فآستَوْهبها منه فوَهَبها له ، فكان ذلك أوّلَ الطَّعْن عليه من أهل الكوفة ؛ لأن أبا زُبيد كان يخرج من منزله حتى يَشُقّ الجامعَ إلى الوليد، فيَسْمُرُ عنـده ويشرب معه ويخرج فيَشُقّ المسجدَ وهو سكران، فذلك ١٨٣ / ٤ نبّههم عليه .

---

(١) فى ط ، ء ، م : « خفيف ثقيل الأوّل بإطلاق ... الخ » . (٢) كذا فى جميع الأصول . (٣) كذا فى أكثر الأصول، وقد كان أبو زبيد نصرانيا . وفى م هنا : «وهو سكران» كما سيرد فى جميع الأصول فى الخبر الآتى . (٤) هو عبيد الله بن محمد اليزيدى . (٥) كذا فى م . وفى ط ، ء : « عبيد الله عن ابن جبلة ... الخ » . وفى سائر الأصول : « عبيد الله بن أبى حبيب عن ابن الأعرابى » . ولعل صحة هـذا السند هى : « حدّثنى عمى عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن الأعرابى » لأن الذى عرفت روايته عن ابن الأعرابى وتسمى بابن حبيب هو أبو جعفر محمد بن حبيب ، وقد قرأ على ابن الأعرابى كتاب النوادر وتوفى سنة ٢٤٥ هـ ، وحبيب : أمه نسب إليها لعدم معرفة أبيه . وقد ورد هذا السند بعينه فى صفحتى ١٣٣ و ١٣٧ وهو يؤيد صحة ماذهبنا إليه . (راجع إنباه الرواة ق ١ ج ٢ ص ٩٢ ومعجم الأدباء ج ٦ ص ٤٧٣ و بغية الوعاة ص ٢٩ طبع مصر) .

عمر صدقات تغلب ثم عزله

قال : وقد كان عمرُ بن الخطّاب رضى الله تعالى عنه ولّى الوليدَ بن عُقْبة صَدَقات بنى تَغْلِب، فبلَغه عنه بيتٌ قاله وهو :

إذا ما شَدَدْتُ الرأسَ منّى بمِشْوَذٍ(١) * فغَيَّكِ(٢) منّى(٣) تَغْلِبَ ابنةَ وائلِ

فعزَله .

أبو زبيد لأنه انتص له إبلا من بنى تغلب

وكان أبو زُبَيد قد استودع بَنِى كِنانةَ بن تَيْم بن أُسَامة بن مالك بن بكْر ابن حَبيب بن غَنْم بن تَغْلب إبلًا فلم يردّوها عليه حين طلبها ، وكانت بنو تغلب أخوالَ أبى زُبَيد ، فوجد الوليدُ بنى تغلبَ ظالمين لأبى زُبيد ، فأخذ له الوليدُ بحَقّه؛ فقال يمدح الوليد :

يا ليت شِعرى بأنباء أُنَبَّؤُها * قد كان يَعْيا بها صَدْرى وتَقْديرى
عن آمرئٍ ما يَزِدْه اللهُ من شَرَفٍ * أفْرَحْ به ومُرَىٌّ غيرُ مسرور

(يعنى مُرَىَّ بن أَوْس بن حارِثة بن لَأْم) . وهى طويلة يقول فيها :

إنّ الوليدَ له عندى وحُقَّ له * وُدُّ الخليلِ ونُصْحٌ غيرُ مَذْخور
لقد رعانى وأدنانى وأظهرنى * على الأعادى بنصرٍ غيرِ تَعْذير(٤)
فشَذَّب(٥) القومَ عنّى غيرَ مكترِث * حتى تناهَوْا على رغمٍ وتَصْغير
نفسى فداءُ أبى وَهْبٍ وقَلَّ له * يا أُمَّ عمرٍو فَحُلِّى اليومَ أو سِيرى

وفى رواية ٱبن حَبيب : " يا أمّ زيد " ، يعنى : يا أم أبى زُبَيْد .

---

(١) المشوذ : العمامة . (٢) يريد غيا لك ما أطوله منى . (راجع اللسان مادة شوذ) .
(٣) كذا فى ب ، حـ ، س واللسان (مادة شوذ) وفى سائر الأصول : «عنى» .
(٤) كذا فى ط ، ء ، م . والتعذير فى الأمر : التقصير فيه . وفى سائر الأصول : «تقدير» .
(٥) شذب : طرد ودفع .

أقطع أبا ز
أرضا واسـ
فدحه د

أخبرنى محمد بن العبّاس عن عمّه عن محمد بن حَبِيبَ عن آبن الأعرابىّ قال : كان الوليد بن عُقْبة قد آستعمل الرَّبيع بن مُرَىّ بن أَوْس بن حارثة بن لأْم الطائىّ على الحِمَى فيما بين الجزيرة وظَهْر الحِيرة ، فأجدبتِ الجزيرةُ ، وكان أبو زبيد فى تَغْلِب ، فخرج بهم ليُرْعِيَهم ، فأبى عليه الأَوْسِىّ وقال : إن شئتَ أن أُرعيَك وحدَك فعلتُ وإلّا فلا ، فأتى أبو زُبيد الوليدَ بن عُقْبة ، فأعطاه ما بين القصور الحُمْر من الشأم إلى القصور الحُمْر من الحِيرة وجعله له حِمًى ، وأخذها من الآخر . هكذا روى آبن حبيب . وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : كانت الجُنَيْنَة(١) فى يد مُرَىّ بن أَوْس ، فلمّا قدِم الوليدُ بن عُقْبة الكوفةَ آنتزعها منه ودفَعها إلى أبى زُبَيْد . والقول الأوّل أصحّ ، وشِعْر أبى زُبَيد يدلّ عليه فى قوله فى الوليد بن عُقْبة يمدحه :

لعَمْرُ أبيك يابنَ أبى مُرَىٍّ * لَغَيْرُك من أباح لها(٢) الدِّيارا
أباح لها(٢) أَبارِقَ(٣) ذات نَوْر * تَرَعَّى القَفَّ(٤) منها والعَرارا(٥)
بحمد الله ثم فتى قريش * أبى وهبٍ غدتْ بُطُنًا غِزارا(٦)
أباح لها ولا يُحْمَى عليها * إذا ما كنتمُ سَنَةً جزارا

يريد جزرا من الجدب والشدّة .

(١) الجنينة : علم على مواضع كثيرة . (انظر معجم البلدان لياقوت فى الكلام على الجنينة) .

(٢) فى ط ، ء ، م : «لنا» . (٣) الأبارق : جمع الأبرق كسر تكسير الأسماء لغلبته ، والأبرق : البرقة إذا اتسعت وهى أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين مختلطة ، وتنبت أسنادها وظهورها البقل والشجر نباتا كثيرا يكون إلى جنبها الروض أحيانا . (٤) القف (بفتح القاف) : ما يبس من البقول وتناثر حبه وورقه فالإبل ترعاه وتسمن عليه . (٥) كذا فى حـ ، م . والعرار (بالفتح) : نبت أصفر طيب الريح ، وقيل : هو بهار البر ، واحدته عرارة . وفى سائر الأصول : «القفارا» . ويناسب هذه الرواية : القف (بضم القاف) : وهو ما غلظ من الأرض وآرتفع ، وقيل : يكون فى القف رياض وقيعان . (٦) غزارا : جمع غزيرة ، وهى من الإبل الكثيرة اللبن .

فـتًى طالت يداه إلى المعـالى * وطَحْطَحَتا[1] المُقَطَّعة[2] القِصارا

وهى أبيات .

منه سعيد العاص هذه ض فقال شعرا

قال عمر بن شَـبَّة فى خبره خاصّة : فلما عُزِل الوليدُ ووَلِيَها سعيد آنتزعها منه[3] وأخرجها من يده، فقال :

١٨٤ / ٤

ولقـــد مُتّ غـــير أنِّىَ حىٌّ * يوم بانت بودّهـا خنساءُ
من بنى عامرٍ لهـا شِقُّ نفسى * قسمةً مثـــلَ ما يُشَـقّ الرداء
أُشرِبَتْ لونَ صُفرةٍ فى بياضٍ * وهى فى ذاك لَدْنَةٌ[4] غَيْـــداء
كلُّ عينٍ ممّن يراها من النّا * س إليها مُـــديمةٌ حَـــوْلاء
فآنتهُوا إنّ للشدائد أهــلّا * وذَرُوا ما تُزَيِّن الأهـــواء
ليتَ شـعرى وأين مِنِّىَ ليتٌ * إنّ ليتاً وإنّ لوّاً عَنــاء
أىُّ ساعٍ سعى ليقطع شِربى * حين لاحت للصابح الجَـوْزاء[5]
وآستظلّ العُصفور كَرْهاً مع الضبّ[6] وأوفَى فى عُـوده الحِـــرْباء
ونفى الجُنْـدُبُ الحصا بكُراعَيْـ * ـهِ وأذْكَت نيرانَهـا المَعْـزاء[7]
من سَمُوم كأنهـا حَرُّ نارٍ * سَـــفَعَتْها[8] ظَهـــيرةٌ غَرّاء

(١) كذا فى ط ، ء . وطحطح الرجل ماله : فرقه . وفى ب ، س : « طحطحن » .

(٢) المقطعة : الثياب القصار أو هى برود عليها وشى .
(٣) كذا فى حـ ، م . وفى سائر الأصول : « وقال ... الخ » .
(٤) اللدنة : الناعمة . والغيداء : المتثنية من النعمة وهى أيضا الطويلة العنق .
(٥) الشرب (بالكسر) : المورد . والصابح : الذى يصبح إبله الماء أى يسقيها صباحا . والجوزاء : نجم يقال : إنه يعترض فى جوز السماء أى وسطها ، وإذا طلعت الجوزاء اشتدّ الحرّ . والعرب تقول : إذا طلعت الجوزاء توقدت المعزاء .
(٦) ستأتى رواية فيه فى الصفحة التالية : «واستكن» .
(٧) الجندب : الجراد الصغير . وكراعا الجندب : رجلاه . والمعزاء : الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة [illegible] وهى الصحراء فيها إشراف وغلظ .
(٨) يريد أنها أثرت فيها حرارتها .

وإذا أهلُ بلدةٍ[1] أنكرونى * عرَفَتْنى الدَّوِّيَّةُ[2] المَلْساءُ

عرفتْ ناقتى الشمائلَ منّى * فهى إلّا بُغامَها[3] خرْساء

عرَفتْ ليلَها الطويلَ وليلى * إنّ ذا الليلَ[4] للعيون غِطاء

نسبة ما يغنّى فيه من هذا الشعر

صوت

أىُّ ساعٍ سعى ليقطع شِرْبى * حين لاحت للصابح الجَوْزاءُ

وآستكنّ العصفورُ كَرْهاً مع الضبّ وأَوْفَى فى عوده الحِرْباء

وإذا الدارُ أهلُها أنكرونى * عرَفتْنى الدَّوِّيَّة المَلْساء

عرفتْ ناقتى الشمائلَ منّى * فهى إلا بُغامَها خرْساء

عرفتْ ليلَها الطويلَ وليلى * إنّ ذا الليلَ للعيون غِطاء

عروضه من الخفيف . غنّاه آبنُ سُرَيج خفيفَ رمل مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق ، وغنّى داود بن العبّاس الهاشمىّ فى الخامس ثم الثالث خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو .

شعر أبى زبيد فى تشوّقه للوليد

قال[5] آبن حبيب فى خبره : وقال أبو زُبَيْد يتشوّق إلى الوليد لمّا خرج عن الكوفة :

---

(١) ستَرِد فيه رواية أخرى بعد أسطر : «وإذا الدار أهلها أنكرونى» . (٢) الدوّيّة : الفلاة ، سميت بذلك لما يسمع فيها من دوىّ . (٣) بغام الناقة : صوت لا تفصح به ، وقيل : إذا قطعت الحنين ولم تمدّه . (٤) فى م والخزانة للبغدادىّ (ج ٣ ص ٢٨٣) : «اليوم» . (٥) كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : «فقال» .

لعَمْرِى لئن أَمْسَى الوليدُ ببلدةٍ * سواى (١) لقد امسيتُ للدهرِ مُعْوِرا (٢)

[قال آبن حبيب : "ويروى سوىّ لقد ..." وهى لغة طيّئ (٣)] .

خلا أنّ رزقَ الله غادٍ ورائحٌ * وأنّى له راجٍ وإن سِرتُ أشهرا

وكان هو الحصنَ الذى ليس مُسلِمِى * إذا أنا بالنَّكْراء هَيّجتُ (٤) معشرا

إذا صادَفوا دونى الوليدَ كأنما * يرون بوادى ذى حَمَاسٍ (٥) مُزَعْفَرا (٦)

خضيبَ بنانٍ ما يزال براكبٍ * يَخُبُّ (٧) وضاحِى جلدِه قد تقشّرا

وهى طويلة .

البدء على [بـ]ن طالب [و]سكته

حدّثنى إسحاق بن بَنَان الأَنْماطِىّ قال حدّثنا حُبَيْش بن مُبَشِّر قال حدّثنا عُبيد الله (٨) بن موسى قال حدّثنا آبن أبى لَيْلَى عن الحَكَم (٩) عن سَعيد بن جُبَيْر عن آبن عبّاس قال :

١٨٥ / ٤

قال الوليد بن عُقْبة لعلىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : أنا أحَدُّ منك سِنانًا، وأبسطُ منك لسانا، وأملأُ للكتيبة طِعانا؛ فقال له علىّ رضى الله تعالى عنه : أُسكتْ ! فإنما أنت فاسق؛ فنزل القرآن : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ .

---

(١) فى حـ : «سوى تا» بإضافة سوى إلى اسم الإشارة وهو تا . أى سوى هذه البلدة . (٢) كذا فى أكثر الأصول . والمعور : الذى لا حافظ له . وفى حـ ، م : «مثارا» أى محلا لثاره .
(٣) زيادة عن م . يشير إلى جواز قلب ألف المقصور ياء عند إضافته إلى ياء المتكلم . وقد وردت هذه الزيادة فى حـ أيضا باختلاف فى كلمة سوى فكتبت فيها : «سوى تا» . (٤) فى حـ : «هايجت» .
(٥) ذو حماس : موضع تلقاء عرعر، وقيل : هو مأسدة . (راجع معجم ما استعجم حـ ١ ص ٢٨٦) .
(٦) المزعفر : الأسد الورد، لأنه ورد اللون، وقيل : لما عليه من أثر الدم . (٧) فى ط ، ء ، م : «تسيرا» وهو بمعنى تقشر . (٨) كذا فى أكثر الأصول، وهو عبيد الله بن موسى ابن باذام العبسى أحد الذين يروون عن ابن أبى ليلى محمد بن عبد الرحمن . وفى م : «عبد الله»، وهو تحريف . (راجع الطبرى ق ١ ص ٢٨٩، وتهذيب التهذيب فى اسم محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى) .
(٩) هو الحكم بن عتيبة الكندى أبو محمد كما فى تهذيب التهذيب .

أرسله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق فأخبره بردتهم فأرسل خالدا فكذبه

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمر بن شَبّة قال حدّثني محمد بن حاتم قال حدّثنا يونس بن محمد قال حدّثنا شيبانُ[1] عن قَتَادة[2] في قوله تعالى : ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ قال : هذا آبنُ أبي مُعَيْط الوليدُ بن عُقْبة، بعثه النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى بني المُصْطَلِق مُصَدِّقا، فلما رأوه أقبلوا نحوه فهابَهم، فرجَع إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبره أنهم قد آرتدّوا عن الإسلام؛ فبعث النبيّ صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وأمره أن يتثبّت ولا يعجَل؛ فآنطلق حتى أتاهم ليلًا فبعث عيونَه؛ فلما جاءوه أخبروه بأنهم متمسّكون بالإسلام وسمعوا أذانَهم وصَلاتَهم؛ فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى ما يُعجبه، فرجع إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبره .

شكته زوجه الى النبي صلى الله عليه وسلم فأجارها منه فأخفر جواره فدعا عليه

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عُبيد الله بن موسى قال حدّثنا نُعَيم بن حَكيم عن أبي مَريَم[3] عن عليّ[4] :

أنّ آمرأة الوليد بن عُقْبة جاءت إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم تَشْتكي الوليدَ وقالت : إنه يضربها؛ فقال لها : "ارجعي وقولي إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد أجارني"، فآنطلقتْ فمكثتْ ساعةً، ثم رجعتْ فقالت : ما أَقْلَع عنّي؛ فقطعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم هُدْبَةً من ثوبه ثم قال : "امضي بهذا ثم قولي إنّ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أجارني"؛ فآنطلقتْ فمكثتْ ساعة ثم رجعتْ فقالت : يارسول الله ما زادني إلّا ضَرْبا؛ فرفع يديْه وقال : "اللهمّ عليكَ الوليدَ" مرّتين أو ثلاثا .

مسح النبي صلى الله عليه وسلم على رءوس الصبيان يوم الفتح ولم يمسه

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شَبّة ، وحدّثني أبو عُبَيد الصَّيرفيّ قال حدّثني الفضلُ بن الحسن البصريّ[5] قال حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدّثنا أيوب بن عمر قال

(١) هو شيبان بن عبد الرحمن التميمي كما في تهذيب التهذيب . (٢) هو قتادة بن دعامة بن قتادة أبو الخطاب السدوسي كما في تهذيب التهذيب . (٣) هو أبو مريم الثقفي كما في تهذيب التهذيب . (٤) هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه . (٥) كذا في أكثر الأصول . وفي ط ، ء : «المصري» .

حدّثنا عمرُ بن أيّوب قال حدّثنا جعفر بن بُرْقان عن ثابت بن الحَجّاج عن أبى موسى[(١)] عبد الله الهَمْدانى :

أنّ الوليـد بن عُقْبة قال: لمـا فتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكّة، جعل أهلُ مكّة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسَحُ على رءوسهم، فجىء بى إليه وأنا مُخَلَّق[(٢)] فلم يَمْسَسْنى، وما منعه إلا أن أُمّى خلّقتنى بخَلُوق فلم يمسنى من أجل الخلوق.

كان عنده كاهن فقتله جندب بن كعب خشية الفتنة

أخبرنا أحمـد قال حدّثنا عُمَر قال حدّثنا خَلَف بن الوليـد قال حدّثنا المُبارَك ابن فَضَالة عن الحسن[(٣)] :

أن الوليد بن عُقْبة كان عنده ساحرٌ يُرِيه كَتِيبتين تقْتِتلان، فتحمِل إحداهما على الأخرى فتهزمها؛ فقال له الساحر: أيَسُرُّك أن أُرِيَك هـذه المنهزمةَ تغلِب الغالبـةَ فتهزمها؟ قال: نعم؛ وأُخبِر جُنْـدَبٌ بذلك، فاشتمل على السـيف ثم جاء فقـال: أفرِجوا، فضربه حتى قتله، ففزِع الناسُ وخرجوا؛ فقال: يأيها الناس لا عليكم، إنمـا قتلت هذا الساحر لئلا يفْتِنَكم فى دينكم؛ فحبسه قليلا ثم تركه.

قتل دينار بن دينار لإطلاقه رجلا أمر بحبسه

أخبرنا أحمـد قال حدّثنا عمر بن شَـبّة قال حدّثنا عمر بن سَعيد الدِّمَشْقِىّ، وحدّثنا سَعيد بن عبد العزيز عن الزُّهْرِىّ[(٤)] :

أنّ رجلا من الأنصار نظر إلى رجل يَسْتعلِن بالسِّحْر، فقـال: أوَ إن السِّحْر لَيُعْلَن به فى دين محمد! فقتله؛ فأُتِىَ به الوليـدَ بن عُقْبة فحبَسه؛ فقال له دينـار بن دينار: فيم حُبِستَ؟ فأخبره فخلّى سبيلَه؛ فأرسل الوليد إلى دينار فقتله.

١٨٦ / ٤

(١) فى ط، ء، م: «عن أبى عبـد الله الهمدانى عن أبى موسى» وفى سائر الأصول: «عن أبى عبد الله الهمدانى عن أبى موسى». والصواب ما أثبتناه عن تهذيب التهذيب فى اسم ثابت بن الحجاج. (٢) المخلق: المطيب بالخلوق، وهو ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران. (٣) هو الحسن البصرى. (٤) هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى.

جندب بن كعب الأسدي وشيء من سيرته

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا موسى بن إسماعيل قال حدّثنا حمّاد ابن سَلَمة قال حدّثنا أبو عِمْران الجَوْنيّ :

أنّ ساحراً كان عند الوليد بن عقبة ، فجعل يدخل في جوف بقرة ويخرج منه ؛ فرآه جُنْدَبٌ ، فذهب إلى بيته فاشتمل على سيف ، فلما دخل الساحرُ في جوف البقرة ، قال : أَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ، ثم ضرب وَسَطَ البقرة فقطعها وقطع الساحرَ في البقرة فانذعر الناسُ[(١)] ، فسجنه الوليدُ وكتب بذلك إلى عثمان رضي الله عنه ؛ وكان [السجّان][(٢)] يفتح له البابَ بالليل فيذهب إلى أهله فإذا أصبح دخل السجنَ .

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا حجّاج بن نُصَيْر قال حدّثنا قُرّة[(٣)] عن محمد بن سِيرينَ قال :

انطلق بجُنْدَب بن كعب إلى سجنٍ خارج من الكوفة وعلى السجن رجلٌ نصرانيّ ، فلما رأى جندبَ بن كعب يصوم النهارَ ويقوم الليلَ ، قال النّصرانيّ : والله إنّ قوماً هذا شرُّهم لقومُ صِدْقٍ ؛ فوكّل بالسجن رجلاً ودخل الكوفةَ فسأل عن أفضل أهل الكوفة ، فقالوا : الأشعث بن قيس ؛ فاستضافه ، فجعل يَرى أبا محمد ينام الليل ثم يُصبح فيدعو بغَدائه ؛ فخرج من عنده فسأل : أيّ أهل الكوفة أفضل ؟ فقالوا : جرير بن عبد الله ؛ فوجده ينام الليل ثم يُصبح فيدعو بغدائه ، فاستقبل القبلةَ ثم قال : ربّي ربُّ جُنْدَب وديني على دين جندب ، وأسلم .

حدّثني عمي الحسن بن محمد قال حدّثنا الخزّاز[(٤)] عن المدائنيّ عن عليّ بن مُجاهد عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن رُومانَ عن الزُّهريّ وغيره ، قالوا :

(١) في حـ ، ط ، ى : «فابذعر» . وابذعرّ الناس : تفرقوا . (٢) زيادة عن سـ .
(٣) هو قرة بن خالد السدوسي . (راجع تهذيب التهذيب في اسم قرة وحجاج بن نصير) . (٤) هو أحمد بن الحارث الخزاز الذي تقدّم ذكره كثيرا في رجال السند .

لمـا آنصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المُصْطَلِق، نزل رجلٌ فساق بالقوم ورجَز، ثم نزل آخرُ فساق بالقوم ورجَز، ثم بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُواسِىَ أصحابَه، فنزل فجعل يقول(١): "جُنْـدَبٌ وما جُنْدَب والأَقْطَعُ(٢) الخير زيد"، فدنا منه أصحابُه وقالوا: يارسول الله ما يَنفعنا مَشْيُك مخافة أن تَلْسَعك دابّةُ الأرض أو تُصيبك نكبةٌ؛ فركب ودنَوْا منـه فقالوا: لقد قلتَ قولا ما ندرى ما هو؟ قال: «وما ذاك»؟: قالوا: قولك "جُنْدَب وما جُنْدَب والأقطع الخير زيد"، فقال: " رجلان يكونان فى هـذه الأمّة يضرب أحدُهما ضربةً يفرِّق بين الحق والباطل وتُقطع يدُ الآخر فى سبيل الله فيُتْبِـع اللهُ آخَرَ جسده بأوّله"؛ فكان زَيْدَ بن صُوحَان، قُطعت يدُه يوم جَلُولاءَ(٣) وقُتل يوم الجَمَل مع علىّ. وأما جُنْدَب فإنه رجل دخل على الوليد بن عُقْبة وعنده ساحرٌ يكنى أبا شَيْبان يأخذ أعْيُنَ الناس فيُخرِج مَصارِينَ بطنه ثم يُعيدها فيه، فجاء من خلفه فقتله، وقال:

الْعَنْ وليـدًا وأبا شَـيْبَانِ ✽ وآبنَ حُبَيْش راكبَ الشيطانِ
✽ رسولَ فِرْعونَ إلى هامانِ ✽

ولاية سعيد بن العاص الكوفة بعد الوليد بن عقبة

أخبرنى أحمد بن عبـد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَـبّة قال حدّثنا إبراهيم بن المُنْذر الحِزامىّ(٤) قال حدّثنى آبن وَهْب(٥) عن يونس عن الزُّهْرىّ قال:

(١) فى ب: «وجعل يقول رجزا وجعل يقول الخ». (٢) الأقطع: المقطوع اليد.

(٣) جلولاء: اسم لبلدة ونهر عليه عدّة قرى من سواد بغداد، فى طريق خراسان من بغداد. وهناك كانت وقعة جلولاء المشهورة التى كانت للسلمين على الفرس، و بين جلولاء و بين مدينة خانقين سبعة فراسخ.

(٤) قـد ورد هـذا الاسم فى جميع الأصول مضطربا والصواب ما أثبتناه. راجع تهذيب التهذيب فى اسم ابراهيم بن المنذر، وعبد الله بن وهب. (٥) هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشى شيخ ابراهيم بن المنذر وأحد الذين يروون عن يونس بن يزيد. وقد ذكر فى جميع الأصول: «أبو وهب» وهو تحريف. (راجع التهذيب فى ترجمة ابراهيم بن المنذر، وعبد الله بن وهب، و يونس بن يزيد).

نزَع عثمانُ بن عفّان الوليدَ بن عقبة عن الكوفة وأمّر عليها سَعيد بن العاص .

قال أبو زيد : حدّثنى عبد الله بن عبد الرحمن قال حدّثنا سَعيد بن جامِع الهُجَيْمىّ قال :

١٨٧/٤ لمـا أقبل سعيد من المدينة عامدًا للكوفة بعد ما خرج واليًا لعثمان جعل يرتجز فى طريقـــه :

وَيْلٌ لُسَيّاتِ[1] العِراق منّى * كأننى سَمْعَمعٌ[2] من جِنّ

أخبرنى أحمد قال حدّثنى عمر قال حدّثنى المَدَائنىّ عن أبى عَلْقَمة عن سعيد ابن أَشْوع[3] قال قال عدىّ بن حاتم :

قدم سـعيدُ بن العاص الكوفةَ فقال : اِغسِلوا هـذا المنبر ، فإن الوليد كان رَجِسا نَجِسا ؛ فلم يَصْعَده حتى غُسِل ، عيبًا على الوليد . وكان الوليدُ أسنّ منه وأسْخى نفسًا وألينَ جانبا وأرضى عندهم ، فقال بعضُ شعرائهم :

يا وَيْلَنا قد ذهب الوليدُ * وجاءنا من بعده سعيدُ

* ينقُص فى الصّاع ولا يَزيدُ *

وقال آخر :

فَرَرتُ من الوليد إلى سَعيدٍ * كأهل الحِجْر[4] إذ جزِعوا فباروا

يَلِينـا من قريش كلّ عامٍ * أميرٌ مُحْـدَثٌ أو مستشار

لنـا نارٌ تُحرِّقنـا[5] فنَخْشى * وليس لهم فلا يَخْشَـوْن نار

(١) فى م : «ويل لشبان» . (٢) السمعمع : السريع الخفيف والخبيث اللبق .

(٣) كذا فى حـ ، وهو سـعيد بن عمرو بن أشوع الهـمدانى الكوفى القاضى . وفى سائر الأصول : « سعيد بن أسرع » وهو تحريف . (راجع القاموس وشرحه مادة شوع وتهذيب التهذيب فى سعيد بن أشوع) . (٤) الحجر : اسم ديار ثمود بوادى القرى بين المدينة والشام . (راجع معجم ياقوت حـ ٢ ص ٢٠٨) . (٥) فى حـ : «تخوفها» .

زيارة الوليد الكوفة بعد عزله وما حصل بينه وبين أهلها

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المَدَائنىّ قال :

قدِم الوليدُ بن عُقْبة الكوفةَ زائرًا للمُغيرة بن شُعْبة ، فأتاه أشرافُ أهل الكوفة يسلِّمون عليه ، فقالوا : والله ما رأينا بَعْدَك مثلَك ؛ فقال : أخيرًا أم شرًّا؟ فقالوا : بل خيرًا ؛ قال : ولكنّى والله ما رأيتُ بعدكم شرًّا منكم ؛ فأعادوا الثناء عليه ؛ فقال : بعضَ ما تُثْنون به ، فوالله إن بُغْضَكم لتَلَف ، و إن حبّكم لصَلَف .

ما حصل بينه و بين قبيصة بن جابر بحضرة معاوية

قال أبو زيد : وذكروا أن قَبِيصة بن جابر كان ممن كثَّر(١) على الوليد ؛ فقال معاوية يومًا والوليدُ وقبيصةُ عنده : يا قَبِيصة ، ما كان شأنُك وشأنُ الوليد ؟ فقال : خيرا يا أمير المؤمنين ، فى أوّلِ وَصَل الرَّحِمَ وأحسن الكلامَ فلا تسألنّ عن الشكر وحُسْن الثناء ، ثم غضِب على الناس وغضِبوا عليه وكنّا منهم ، فإمّا ظالمون فنستغفر الله ، و إمّا مظلومون فغفر الله له ، وخُذْ فى غير هذا يا أمير المؤمنين ، فإنّ الحديثَ يُنْسِى القديم ؛ قال : ولِمَ؟ فوالله لقد أحسن السِّيرةَ و بَسَط الخيرَ وكفّ الشرّ ؛ قال : فأنت أقدرُ على ذلك يا أمير المؤمنين منه فافعل ؛ قال : اسكُت لا سَكَتَّ ، فسكَتَ وسكَتَ القومُ ؛ فقال له : مالك لا تحدّث؟ قال : نهيتَنى عما كنتُ أُحبّ فسكتُّ عما أكره .

دفن هو وأبو زبيد فى موضع واحد وشعر أشجع السلمىّ فى ذلك

أخبرنى أحمد قال حدّثنى عُمَر قال حدّثنى المَدَائنىّ قال :

مات الوليد بن عُقْبة فُوَيق الرَّقّة ، ومات أبو زُبَيد ، فدُفِنَا جميعا فى موضع واحد . فقال فى ذلك أشجع السُّلَمِىّ وقد مرّ بقبريهما :

مررتُ على عظامِ أبى زُبَيْدٍ * وقد لاحتْ بَبَلْقَعَةٍ صَلُودِ(٢)
وكان له الوليدُ نَديمَ صِدْقٍ * فنادَمَ قبرُه قبرَ الوليدِ

(١) أى أكثر القول فى عيبه والتشنيع عليه .
(٢) البلقع والبلقعة : الأرض القفر . والصلود من الأرض : الغليظة الصلبة التى لا تنبت شيئا .

وما أدرى بمن تبدا المنايا * بأحمد(١) أو بأشجع أو يزيد

خرج غازيا للروم وقال شعرا

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال: خرج الوليد بن عُقْبة غازيًا للروم وعلى مقدّمته عُتْبة بن فَرْقَد، فلقيه الروم فقاتلوه؛ فقال له رجلٌ من العرب نصرانىٌّ: لستُ على دينكم ولكنّى أنصحكم للنَّسَب، فالقومُ مقاتلوكم إلى نصف النهار، فإن رأَوْكم ضعفاءَ أفنوكم وإن صبرتم هربوا وتركوكم؛ فقال سَلْمان(٢) بن رَبيعة: يا معشرَ المسلمين، ما عذرُكم عند الله غدًا إن أُصيب عُتْبةُ بن فَرْقَد وأصحابُه ولم يُغنِهم أحدٌ منكم!؛ فركب معه ثلاثةُ آلاف رجل على البغال يَجْنُبُون(٣) الخيلَ، فلحقوا عُتْبةَ وأصحابَه، فقاتلوا معهم قتالًا شديدا حتى هزم الله الرومَ. فقال الوليد بن عُقْبة:

١٨٨ / ٤

أتانى من الفَجِّ(٤) الذى كنتُ آمنًا * بقيّةُ شُذَّاذٍ(٥) من الخيل ظُلَّعِ(٦)
عليها العبيدُ يضربون جُنوبَها * ونازَلَ منّا كُلُّ خِرْقٍ(٧) سَمَيْذَعِ
فإنّى زعيمٌ أن تَصيحَ نساؤهم * صياحَ دَجاجِ القرية المتوزِّعِ(٨)

---

(١) كذا ورد فيما سيأتى فى نسب أشجع وأخباره فى الجزء السابع عشر من الأغانى طبع بولاق. وأحمد ويزيد هما أخوا أشجع، وقد ماتوا جميعا كما رتبوا فى هذا الشعر، أولهم أحمد ثم أشجع ثم يزيد. وأحمد هذا كما قال الصولى: «شاعر قليل المدح للناس، يتغزل فى شعره ويذهب مذهب ابن أبى أمية، وكان أسنّ من أشجع». وفى جميع الأصول هنا: «بحمزة» موضع «بأحمد». (٢) كذا فى ط، ء. وهو سلمان ابن ربيعة الباهلى. وفى سائر الأصول: «سليمان»، وهو تحريف. (راجع الطبرى قسم ١ ص ٢٨٠٥، والمعارف لابن قتيبة ص ٢٢١). (٣) جنب الدابة: قادها الى جنبه. (٤) الفج: الطريق الواسع بين جبلين وهو أوسع من الشعب. (٥) الشذاذ: القلال والمتفرّقون. (٦) ظلع: جمع ظالع وهو الذى فى مشيته غمز يشبه العرج. (٧) الخرق من الفتيان: الظريف فى سماحة ونجدة. والسميذع: السيد الكريم الموطأ الأكناف. (٨) المتوزع: المتفرق.

مدحه الحطيئة وكذبه الحليس النهدى

وقال الحطيئة يمدح الوليدَ بذلك، وكان قد وصله وكان الوليد جَوّادا :

أرى لابن أَرْوَى خَلّتين ٱصطفاهما (1) * قتالٌ إذا يَلْقَى العدوَّ ونائلُهْ
فتًى يملأ الشِّيزَى (2) ويروَى بكفّه * سِنانُ الرُّدَيْنِيِّ (3) الأصمِّ وعامِلُهْ
يَؤُمُّ العدوَّ حيث كان بجَحْفَلٍ * يُصِمُّ السميعَ جَرْسُه وصواهلُهْ
إذا حان منه مَنزِلُ الليل أُوقِدَتْ * لأُخْراه فى أعلى اليَفَاعِ (4) أوائلُهْ
نَفَيْتَ (5) الجِعادَ (6) البِيضَ عن حُرِّ دارهم * فلم يبقَ إلا حيّةٌ أنت قاتلُهْ

فقال الحُلَيس بنُ نُعَيم النَّهدىّ يكذِّب الحُطَيئة :

وأبلغ أبا وهبٍ إذا ما لَقِيتَه * فقد حار بتك الرومُ فيمن تُحارِبُ
وفى الأرض حيّاتٌ وأُسْدٌ كثيرةٌ * عدوٌّ ولكنّ الحطيئةَ كاذبُ

---

(١) ورد هذا البيت فى ديوانه المخطوط رواية أبى سعيد السكرى المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣ أدب ش وديوانه المطبوع بأوربا المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٨٩ أدب هكذا : «أبى لابن أروى خلتان ...» . وورد فيهما عقب هذا البيت ما نصه : «أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهى أم عثمان بن عفان رحمه الله تعالى وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب البيضاء تومة عبد الله أبى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكان يقال لها : الحصان لاتكلم والصناع لا تعلم» .

(٢) الشيزى : خشب أسود تعمل منه القصاع ، و يطلق على ما صنع من ذلك فيقال للجفان : شيزى . وقد ورد فى ديوانه المخطوط والمطبوع ما نصه : «قال الأصمعىّ : كان يرى أنها من شيز لسوادها وإنما هى جوز قد ٱسودّت من الدسم» .

(٣) الردينىّ : الرمح نسبة إلى ردينة ، وهى ٱمرأة رجل ٱسمه سمهر كان يبيع الرماح بالخط (موضع) فاذا غاب باعت ردينة مكانه ، وكانا يثقفان الرماح ، فالردينية منسوبة الى ردينة ، والسمهرية منسوبة الى سمهر . وعامل الرمح : صدره .

(٤) اليفاع كسحاب : التل .

(٥) رواية البيت فى ديوانه المخطوط والمطبوع هكذا : * نفيت الجعاد الغر من عقر دارهم *

(٦) الجعاد : جمع جعد ، يقال : رجل جعد القفا إذا كان لئيم الحسب ، ويقال : الجعد : البخيل والكريم أيضا فهو من أسماء الأضداد ، ويريد بالجعاد البيض : الروم .

بعض شعره فى مقتل عثمان لما أخذ علىّ أموال الخلافة من بيته

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا علىّ بن محمد عن أبى مِخْنَف عن خالد بن قَطَن عن أبيه قال :

لمّا قُتل عثمان أرسل علىّ فأخذ كلّ ما كان فى داره من السلاح وإبلًا من إبل الصدقة، فلذلك قال الوليد بن عُقْبة :

بنى هاشم رُدُّوا سلاحَ ٱبنِ أُختكم * ولا تَنْهَبُوه لا تَحِلُّ مَناهِبُهْ

ويُروى :

* ولا تَهَبُوه لا تَحِلُّ مواهبُهْ *

بنى هاشمٍ كيف الهَوادةُ بيننا * وعند علىٍّ سيفُه ونجائبُه

قتلتم أخى كيما تكونوا مكانَه * كما فعلتْ يومًا بكسرى مَرازِبُه

هكذا فى الخبر :

* ولا تهبوه لا تحِلّ مواهبه *

أخبره بجاد مولى عثمان بمقتل عثمان فقال شعرا

أخبرنى الطُّوسىّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى عبد الله بن إسحاق الجَعْفَرىّ :

أنّ الوليد بن عُقْبة بن أبى مُعَيط لقى بِجَادًا مولى عثمان، فأخبره أنّ عثمان قد قُتل، فقال :

ليت أنّى هَلَكتُ قبلَ حديثٍ * سَلَّ جسمى ورِيعَ منه فؤادى

يوم لاقيتُ بالبَلَاطِ(١) بِجادًا * ليت أنّى هلكت قبل بِجاد

(١) البلاط : موضع بالمدينة مبلط بالحجارة بين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سوق المدينة .

وقد زيد فى هذا الشعر بيتٌ ونُقص منه آخرُ مكانَه وغُنِّىَ فيه، وهو :

صــــوت

طـال ليـلى وملَّنى عـوّادى * وتجافَى عن الضـلوع مِهادى

١٨٩/٤ من حـديثٍ نُمِى إلىّ فـما يَرْ * قَأُ دمـعى ولا أُحِسّ رُقادى

يوم لاقيتُ بالبَـلاط بِجادًا * ليت أنّى هلكتُ قبـل بِجادِ

وبنفسى التى أُحِبّ وأهـلى * وبمالى وطـارفى وتـلادى

قلتُ لا تَغْضَبى فذلك قـولى * بلسانى وما يُجِنُّ فـؤادى

غنّى فيه آبن عَبّاد ثانىَ ثقيل مُطْلَق فى مجرى البنصر فى الأوّل والرابع من الأبيات، وذكر عمرو بن بانة أنه لآبن مُحْرِز، ومن الناس من يَنْسُبه إلى آبن سُرَيج فى هـذه الطريقة فى الأوّل والثانى، وذكر آبن المكّىّ أنه للغَرِيض ثانى ثقيل بالخنصر فى مجرى البنصر، ووافقه يونس . وذكر أنّ فى هـذا الشعر لآبن سُرَيج والغريض لحنين فى الخمسة الأبيات . وذكر حَبَش أنّ فيها لمَعْبد ثقيلا أوّل بالوُسطى، ولعبـد الله ابن العباس الرَّبيعىّ ثانى ثقيـلٍ بالوسطى، وللغَـريض خفيف رملٍ بالوسطى ، ولسُلَيم ثقيلٌ أوّل بالوسطى . وذكر أحمد بن عُبَيد أن فيه رَمَلا لآبن جامع فى البيت الأوّل وحده، وأنّ فيه هَزَجا لا يُعرَف صانعه .

غنت جارية للأمين من شعره فتطير

أخبرنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى هبة الله بن إبراهيم بن المهدىّ قال حدّثنى أبى قال :

أرسـل إلىّ محمد بن زُبَيدة فى ليلةٍ من ليالى الصيف مُقْمِرة : ياعمّ إنّ الحرب بينى وبين طاهر بن الحسـين قد سكنتْ، فصِرْ إلىّ، فإنى إليك مشتاقٌ؛ فجئتُـه

وقد بُسِط له على سطح زُبَيدة، وعنده سليمان بن جعفر عليه كِساءٌ رُوذَبارِيّ[1] وقَلَنسوةٌ طويلة، وجَوَاريه بين يديه، وضَعْفٌ جاريتُه عنده، فقال لها: غَنِّينى فقد سُرِرتُ بعمومتى؛ فآندفعت تغنيه:

هُمُ قَتَـلوه كى يكونوا مكانه * كما فَعَلَتْ يومًا بكسرى مَرازِبُهْ
بنى هاشمٍ كيف التواصُلُ بيننا * وعنـد أخيه سـيفُه ونجائبُـه

هكذا غنّت؛ وإنما هو:

* وعنـد علىّ سـيفُه ونجائبُـهْ *

فغضِب وتطيّر وقال لها: ما قِصّتك وَيْحَكِ! اِتّقى وآنتهى وغنِّينى ما يسُرّنى! فآندفعتْ وغنّت:

هـذا مَقامُ مُطَـرِّدٍ * هُدِمتْ منازلُه ودورُهْ

فآزداد تطيُّرا، ثم قال لها: وَيْحَكِ! اِنتهى، غنِّينى غير هذا؛ فغنّت:

كُلَيبٌ لَعَمْرِى كان أكثرَ ناصرًا * وأيسرَ جُرْمًا منك ضُرِّج بالدم

فقال لها: قومى إلى لعنة الله! فوثبتْ وكان بين يديه قَدَحُ بَلُّورٍ وكان لحبّه إيّاه سمّاه بآسمه محمدا، فأصابه طَرَفُ ذيلها فسقط على بعض الصوانى فآنكسر وتفتّت؛ فأقبل علىّ وقال: أرى والله ياعمّ أن هذا آخرُ أيامنا؛ فقلت: كلا! بل يُبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرّك؛ قال: ودِجْلةُ والله يا بُنىّ هادئة ما فيها صوتُ مجداف ولا أحدٌ يتحرّك وهى كالطَّسْت هادئة، فسمِعتُ هاتفا يهتف: «قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ». قال: فقال لى: أسمعتَ ما سمعتُ ياعمّ؟ فقلتُ: وما هو؟ وقد والله سمعتُه — فقال: الصوتُ الذى جاء الساعةَ من دِجْلة؛ فقلتُ: ما سمعتُ شيئا،

(١) روذبارى: نسبة إلى روذبار وهو آسم يطلق على مواضع كثيرة فى أصبهان و بغداد وغيرهما.

وما هذا إلّا توَهُّم؛ فإذا الصوت قد عاد يقول: «قُضِىَ الأمرُ الذى فيه تَسْتَفْتِيَان». فقال: آنصرف يا عمّ بيّتك الله بخير، فمحالٌ ألّا تكون الآن قد سمِعتَ ما سمِعتُ؛ فآنصرفتُ، وكان آخرَ العهدِ به.

١٩٠
٤

وفد على معاوية فخدعه عن مال له ثم استجدى معاوية فوبخه وشعره فى ذلك وصلة معاوية له

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ومحمد بن يحيى الصُّولىّ واللفظ له، قالا حدّثنا محمد بن زكريا الغَلَّابىّ قال حدّثنا عبد الله بن الضَّحّاك عن هشام بن محمد عن أبيه، قال محمد: وحدّثنا عبد الله(١) بن محمد ومحمد بن عبد الرحمن جميعا عن مُطَرِّف بن عبد الله عن عيسى بن يزيد، قال:

وفَد الوليدُ بن عُقْبة، وكان جَوَادا، على معاوية؛ فقيل له: هذا الوليد بن عُقْبة بالباب؛ فقال: والله لَيَرْجِعَنّ مُعْطِيًا(٢) غيرَ مُعْطًى، فإنه الآن قد أتانا يقول: علىّ دَيْن وعلىّ كذا وكذا؛ يا غلام ائذَن له، فأذِنَ له؛ فسأله وتحدّث معه، ثم قال: أمَا والله إن كنّا لنُحبّ إيثارَ(٣) مالك بالوادى وقد أعجب أميرَ المؤمنين، فإن رأيت أن تَهَبه ليزيد فعلتَ؛ فقال الوليد: هو ليَزيدَ، ثم خرج وجعل يختلف إلى معاوية أياما، فقال له يوما: أُنظُر يا أميرَ المؤمنين فى شأنى، فإنّ علىّ مؤونةً وقد أرهقنى دَيْن؛ فقال له معاوية: ألّا تستحى لحَسَبك ونَسَبك! تأخذ ما تأخذ فتبذِّره ثم لا تَنْفكّ تشكو دَيْنا!؛ فقال له الوليد: أفعل، ثم انطلق مكانَه(٤) فصار إلى الجزيرة، فقال:

فإذا سُئلتَ تقـول لا * وإذا سألتَ تقول هاتِ
تأبَى فِعالَ الخيرِ لا * تُرْوِى وأنت على الفُراتِ
أفَـلا تَميـل إلى نَعَمْ * أو تَرْكِ لا حتى المماتِ

(١) فى حـ: «عبيد الله». (٢) فى م «منبطًا». (٣) فى ط، ء، م: «إتيان».
(٤) يريد أنه انطلق من فوره.

قال : فبلغ معاوية مَقْدَمُه الجزيرةَ، فخافه وكتب إليه : أن أقبِـلْ إلىّ ؛ فكتب إليـــه :

أَعِفُّ وأَستَحْيِي(١) كما قد أمرتَنِى * فأَعْطِ سواىَ ما بدا لك وَٱنْحَلِ
سأحْدُو ركابِى عنك إنّ عزيمتى * إذا نابَنِى أمرٌ كسَلَّةِ مُنْصُـــلِ(٢)
وإنى آمرؤ للرأى مِنّى تَطرُّفٌ * وليس شَبَـا قُفْلٍ علىّ بمُقْفَلِ

ورحَل إلى الحجاز ، فبعث إليه معاوية بجائزة .

[انقضت أخبـار الوليد بن عقبة(٣)]

٢/٥ صـــــوت

من المـــائة المختـــارة

ربمـا نَبّهَــنِى الإخـ * ـوانُ والليـــلُ بَهِيمُ
حين غارتْ وتدلَّتْ * فى مَهاوِيهـا النجومُ
ونُعاسُ الليل فى عيـ * ـنِىَ كالثّاوِى مُقِــيمُ
للّتى تُعْصَـــرُ لمّــا * أَينعتْ منهـا الكُرُومُ
أنا بالرّىّ مقـــيمٌ * فى قُرَى الرّىّ أَهِـيمُ
ما أُرانى عن قُرَى الرّ * ىِّ مَدَى دهرِى أَرِيمُ

الشعرُ والغناءُ لإبراهيم الموصلىّ . ولحنُه المختار ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . ولإبراهيم أيضا فيه خفيفُ ثقيل ، وقيل : إنه لأبنه إسحاقَ . وفيه لأحمد بن يحيى المكىّ ثانى ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامىّ وأحمد بن عُبَيد .

---

(١) كذا فى حـ ، م . وفى باقى الأصول : « وأستغنى » . (٢) المنصل (بضمتين وكمكرم) : السيف . (٣) زيادة عن م .

نسب إبراهيم الموصلىّ وأخبـاره

نسب إبراهيم الموصلىّ ونشأته

هو — فيما أخبرنا به يحيى بن علىّ بن يحيى المنجِّم عن حمّاد عن أبيه، وأخبرنى به عبدُ الله بن الرَّبيع عن وَسْوَاسَة، وهو أحمد[(١)] بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلىّ عن أبيه عن جدّه وعن حمّاد عن أبيه — إبراهيمُ بن ميمون أو آبن ماهان بن بَهْمَن[(٢)] ابن نسك، وكان سبب نسبه إلى ميمون أنه كتب إلى صديق له فعنْوَن كتابَه : من إبراهيم بن ماهان، فقـال له بعضُ فتيان الكوفة : أمَا تَسـتحى من هذا الآسم ! فقال : هو آسم أبى ؛ فقـال : غيِّره ؛ فقال : وكيف أُغيِّره ! فأخذ الكتابَ فمحا ماهان وكتب ميمونَ، فبقِى إبراهيمَ بنَ ميمون .

قال إسحاق عن أبيه : وأصلُنا من فارس، ولنا بيت شريفٌ فى العجم، وكان جدُّنا ميمون هرَب من جَوْر بعض عُمّال بنى أميّة، فنزل بالكوفة فى بنى عبد الله بن دارِم، فكان بين إبراهيم و بين وَلَدِ نَضْـلَةَ بن نُعَيْم رَضَاع . وأمُّ إبراهيم آمرأةٌ من بنات الدَّهَاقِين[(٣)] الذين هرَبوا من فارس لمـا هرب ميمون أبو إبراهيم، فنزلوا جميعا بالكوفة فى بنى عبـد الله بن دارِم، فتزوّجها ماهانُ[(٤)] بالكوفة فولَدتْ إبراهيمَ ومات ٣/٥

(١) كذا ورد هـذا الاسم فى جميع النسخ هنا وسيرد فيما سيأتى فى الصفحة التالية مضطربا فقـد ورد فى ب، س : «أحمد بن أحمد بن اسماعيل» وفى ط : «محمد بن أحمد بن اسماعيل» وفى ح : «أحمد بن اسماعيل وسوامة» وفى م : «محمد بن اسماعيل وسوامة» . (٢) فى م : «بهتر» . (٣) الدهاقين : جمع دهقان، وهو زعيم فلاحى العجم، وقيـل : رئيس الإقليم .

(٤) هو الذى يعرف بميمون كما تقدّم .

فى الطاعون الجارف[١]، وخلّف إبراهيمَ طفلا. وكان مولدُ إبراهيمَ سنةَ خمس وعشرين ومائة بالكوفة، وتوفِّى ببغداد سنة ثمانٍ وثمانين ومائة، وله ثلاثٌ وستون سنة.

مات أبوه وهو صغير فكفله آل خزيمة بن خازم

قال أحمد بن إسماعيل وَسْوَاسة[٢] فى خبره: ومات ماهان وخلّف إبراهيمَ طفلا، فكفَلَه آلُ خُزَيمة بن خازم.

وقال يحيى بن علىّ فى خبره: إنه كان لإبراهيم لما مات أبوه سنتان أو ثلاث، وخلّف معه أخوين له من غير أُمّه أكبرَ منه، فأقام إبراهيم مع أمّه وأخواله حتى تَرَعْرع، فكان مع ولد خُزَيمة بن خازم فى الكُتّاب[٣]، فبهذا السبب صار ولاؤه لبنى تميم. وسأله الرشيدُ فقال: ما السببُ بينك وبين بنى تميم؟ فاقتصّ عليه قِصّته،

---

(١) المعروف فى كتب التاريخ أن الطاعون الجارف وقع بالبصرة فى سنة تسع وستين هجرية، وهو سابع طاعون فى الإسلام، فإن الأوّل كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم، والثانى طاعون عمواس فى عهد عمر رضى الله عنه، والثالث بالكوفة فى زمن أبى موسى الأشعرى، والرابع بالكوفة أيضا فى زمن المغيرة بن شعبة، والخامس الطاعون الذى مات فيه زياد، ثم الطاعون بمصر فى سنة ست وستين، ثم الطاعون الجارف فى سنة تسع وستين، والطاعون الثامن بالشأم فى سنة تسع وسبعين، ثم الطاعون التاسع وهو طاعون القينات فى سنة ست وثمانين، وسمى بذلك لأنه بدأ فى النساء، وكان بالشأم وواسط والبصرة، ثم طاعون غراب بالشأم فى سنة سبع وعشرين ومائة (انظر النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٤٠، ١٩٩، ٢٠٩، ٢١٢، ٣٠٤ طبع دار الكتب المصرية). ولعل المؤلف يريد بالجارف وصف طاعون وقع بالكوفة بعد سنة خمس وعشرين ومائة (التى ولد فيها ابراهيم الموصلى) بسنتين أو ثلاث.

(٢) أنظر الحاشية رقم ١ فى الصفحة السابقة من هذا الجزء.

(٣) قال الجوهرى فى الصحاح: «الكتّاب والمكتب واحد وجمعه كتاتيب». ونقل صاحب اللسان هذا القول ثم نقل عن المبرد قوله: إن من جعل الموضع الكتّاب فقد أخطأ، وقال: المكتب: موضع التعليم والكتّاب: الصبيان. وذكر شارح القاموس عن شرح الشفاء أن استعمال الكتّاب للمكتب وارد فى كلامهم وأنه استفاض بهذا المعنى كقوله:

وأتى بكتّاب لو انبسطت يدى ٭ فيهم رددتهم إلى الكتّاب

(انظر الصحاح والأساس واللسان والقاموس وشرحه مادة كتب).

وقال : ربَّوْنا يا أمير المؤمنين فأحسنوا تربيتنا، ونشأتُ فيهم وكان بيننا رَضَاعٌ، فتولَّوْنا بهذا السبب؛ فقال له الرشيد : وَيْحك! فما أُرَاك إذًا إلّا مولاى؛ فقال: فهذه والله قصّتى يا أمير المؤمنين .

ما قيل فى سبب نسبته إلى الموصل

قال يحيى بن علىّ فى خبره : وكان سببُ قولهم إبراهيمَ الموصلىّ أنه لما نشأ وآشتدّ(١) وأدرك، صَحِب الفتيانَ وآشتهى الغناءَ فطلبه ، وآشتدّ أخوالُه عليه فى ذلك وبلغوا منه(٢)، فهرَب منهم إلى المَوْصل، فأقام بها نحوًا من سنة، فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانُه من الفتيان : مرحبًا بالفتى المَوْصِلىّ، فلُقِّب(٣) به . وقال أحمدُ فى خبره : إن سبب طلبه الغناءَ أنه خرج إلى الموصل، فصَحِب جماعةً من الصعاليك كانوا يُصيبون الطريق ويُصيبه معهم ، ويجمعون ما يُفيدونه فيَقْصِفون(٤) ويشربون ويغنّون، فتعلّم منهم شيئا من الغناء وشَدَا، فكان أطيبَهم وأحذقَهم، فلما أحسّ بذلك من نفسه آشتهى الغناءَ وطلبه وسافر إلى المواضع البعيدة فيه . وذكر آبنُ خُرْدَاذْبَه(٥) — وهو قليل التحصيل لما يقوله ويضمّنه كُتُبَه — أن سببَ نسْبتِه إلى الموصل أنه كان اذا سكِر، كثيراً ما يغنّى على سبيل الوَلَع :

(١) اشتد : قوى وهذه الكلمة مثبتة فى م ، ء وساقطة من باقى النسخ . (٢) أى استقصوا فى إيذائه وتعنيفه . (٣) فى ط ، م ، ء : «فلجت عليه» يريد : لصقت به وغلبت عليه . (٤) يقصفون : يرقصون ويلعبون . وفى القاموس وشرحه : «وأما القصف من اللهو واللعب فغير عربىّ . ونص الصحاح يقال : إنها مولدة . وقال آبن دريد فى الجمهرة : فأما القصف من اللهو فلا أحسبه عربيا صحيحا، وهكذا نقله الصاغانى . ويقال: هو الجلبة والإعلان باللهو . وفى الأساس : هو الرقص مع الجلبة ... الخ» . (٥) يلاحظ أن المؤلف وصف ابن خرداذبه بهذه العبارة فى غير موضع من كتابه، مع أن آبن النديم ذكر آبن خرداذبه ومؤلفاته فى كتابه الفهرست (ص ١٤٩ طبع أوربا) ولم يتهمه أو يصفه بقلة التحصيل وضعف الرواية وخصوصا كتابه : «المسالك والممالك» المطبوع بمدينة ليدن سنة ١٣٠٦ هـ فإنه معدود من المصادر القيمة التى يعوّل عليها ويوثق بها . وقد آعتمد عليه فى النقل ياقوت الحموى فى كتابه «معجم البلدان» . ووصفه المسعودى المؤرّخ المشهور — وهو من معاصرى ابن خرداذبه =

أنا جئت من طرق مَوْصل * أحمـــل قلل خَمْـــريا [1]

من شارب المـلوك فلا * بدّ من سُـــكْريا

وما سمعتُ بهذه الحكاية إلا عنه؛ وإنما ذكرتُها على غَثَاثتها لشهرتها عند الناس، وأنها عندهم كالصحيح من الرواية فى نِسْبة إبراهيم إلى الموصل، فذكرتُه دالًّا على عَوَاره.

أخبرنى الحسين بن يحيى المِرْداسىّ وٱبنُ أبى الأزهر قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: أُسْلِم أبى إلى الكُتّاب فكان لا يتعلّم شيئا، ولا يَزال يُضرب ويُحْبَس ولا يَنْجَع ذلك فيه، فهرب إلى المَوْصل وهناك تعلّم الغناءَ، ثم صار إلى الرّى وتعلّم بها أيضا، ومهر وتزوّج هناك آمرأته دُوشَار — وتفسير هذا الاسم أسَدان [2] —

= وأبى الفرج — فى مقدمة كتابه « التنبيه والإشراف » (ص ٧٥ طبع مدينة ليدن) بقوله: « ... وأبوالقاسم عبيد الله بن عبدالله بن خرداذبه فى كتابه المعروف بالمسالك والممالك، وهو أعم هذه الكتب شهرة فى خواص الناس وعوامهم فى وقتنا هذا ».

ولعل سبب هذه الخصومة التى حملت أبا الفرج على أن يتحامل على ابن خرداذبه هو المنافسة والمعاصرة. وقد وصف المسعودى المنافسة والحسد بين المعاصرين فى مقدمة كتابه التنبيه والإشراف (ص ٧٦، ٧٧) بقوله: «على أن من شيم كثير من الناس الإطراء للتقدمين وتعظيم كتب السالفين، ومدح الماضى وذم الباقى، وإن كان فى كتب المحدثين ما هو أعظم فائدة وأكثر عائدة. وقد ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: أنه كان يؤلف الكتاب الكثير المعانى الحسن النظم، فينسبه الى نفسه فلا يرى الأسماع تصغى اليه، ولا الإرادات تيمم نحوه؛ ثم يؤلف ما هو أنقص منه مرتبة وأقل فائدة، ثم ينحله عبدالله ابن المقفع أو سهل بن هارون أو غيرهما من المتقدمين ومن قد طارت أسماؤهم فى المصنفين، فيقبلون على كتبها ويسارعون الى نسخها، لا لشىء إلا لنسبتها الى المتقدمين، ولما يداخل أهل هذا العصر من حسد من هو فى عصرهم ومنافسته على المناقب التى يخص بها ويعنى بتشييدها. وهذه طائفة لا يعبأ بها كبار الناس، وإنما العمل على ذوى النظر والتأمل الذين أعطوا كل شىء حقه من العدل، ووفوه قسطه من الحق، فلم يرفعوا المتقدم اذ كان ناقصا، ولم ينقصوا المتأخر اذ كان زائدا، فلمثل هؤلاء تصنف الكتب وتدون العلوم» اهـ.

(١) لعل هذا الشعر من لغة العامة فى ذلك العهد كالأغانى التى يتغنى بها العامة الآن.

(٢) الأسد بالفارسية: «شير». ولعل «شار» لغة أو لهجة فى هذه اللفظة. و« دو » بمعنى اثنين.

وطال مُقامُه هناك، وأخذ الغناءَ الفارسىَّ والعربىَّ، وتزوج بها أيضا شاهَك أمّ إسحاقَ آبنِه وسائرِ ولده . قال : وفى دُوشار هــذه يقول إبراهيمُ، وله فيه غِناءٌ من الهَــزَج :

دُوشَــارُ يا سَــيِّدتى * يا غايتى ومُنْيَــتِى
و يا سرورى من جميـ * ـع الناس رُدِّى سِنَتِى

أول مال وصــله على الغناء من خادم لأبى جعفر، أنفقه فى تعلم صنعة الغناء

قال إسحاقُ وحدّثنى أبى قال : أوّلُ شىءٍ أُعطِيتُه بالغناء أنّى كنتُ بالرّىّ أُنادم أهلَها بالسَّوِيَّة لا أَرْزَؤُهم شيئا ، ولا أُنفِقُ إلا من بقيّــة مالٍ كان معى آنصرفتُ به من الموصل ؛ فمرّ بنا خادم أنفــذه أبو جعفر المنصور إلى بعض عمّاله برسالة، فسمِعَنى عند رجل من أهل الرّىّ، فشُغِف بى وخلَع علىَّ دُوّاجَ سَمّورٍ(١) له قيمة، ومضى بالرسالة ورجع وقد وَصَــله العاملُ بسبعة آلاف درهم وكساه كُسوةً كثيرة ، فجاءنى إلى منزلى الذى كنتُ أسكنه فأقام عندى ثلاثةَ أيام، ووهَب لى نصفَ الكُسوة التى معه وألفَىْ درهم، فكان ذلك أوّلَ ما آكتسبتُه بالغناء، فقلتُ : والله لا أُنفق هذه الدراهم إلا على الصناعة التى أفادَتْنيها، ووُصِف لى رجل بالأُبُلَّة(٢) يقال له جُوانُويَه(٣) كان حاذقا، فخرجتُ إليه وصحِبتُ فتيانَها، فأخذتُ عنهم وغنّيتُهم فشُــغِفوا بى . ٤/٥

(١) دوّاج سمور : ضرب من الثياب يتخذ من جلد حيــوان يشبه السنور وهى فراء ثمينة تتخذ للينها وخفتها وإدفائها وحسنها . وفى ب : «دراج سور» بالراء ، وهو تحريف .

(٢) الأبلة (بضم الهمزة والباء الموحدة وتشــديد اللام وفتحها) : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى فى زاوية الخليج الذى يدخل إلى مدينة البصرة، وهى أقدم من البصرة، لأن البصرة مصرت فى أيام عمر بن الخطــاب رضى الله عنــه ، وكانت الأبلة حينئذ مدينــة فيها مسالح من قبل كسرى وقائد .

(٣) فى م : «خولويه» .

قصته مع جوانويه الذى أراد أن يتعلم منه ثم سبب اتصاله بالمهدى

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن جدّه قال :

لمّا أتيتُ جُوانُويَه لم أصادفه فى منزله ، فانتظرتُه حتى جاء ، فلمّا رآنى احتشمنى وكان مجوسيًّا ، فأخبرتُه بصناعتى والحالِ التى قصدتُه فيها ؛ فرحّب بى وأفرد لى جَناحا فى داره ، ووكّل بى أُختَه(١) ، فتقدمتْ إلىّ ما أحتاج إليه ؛ فلما كان العَشىُّ عاد إلى منزله ومعه جماعةٌ من الفُرْس ممّن يُغنّى ، فنزلتُ إليه ، فجلسنا فى مجلس قد صُفّى(٢) لنا فيه نبيذٌ وأُعِدّتْ لنا فاكهة ورَياحينُ ، فجلسنا وأخذوا فى شأنهم وضربوا وغنّوْا ، فلم أجد عند أحدٍ منهم فائدةً ؛ وبلَغتِ النَّوْبةُ إلىّ ، فضربتُ وغنّيتُ ، فقاموا كلُّهم إلىّ وقبّلوا رأسى ، وقالوا : سَخِرتَ منّا ، نحن إلى تعليمك لنا أحوجُ منك إلينا ؛ فأقمتُ على تلك الحال أيّاما ، حتى بلَغ محمدَ بن سليمان بن علىّ خبرى ، فوجّه إلىّ فأحضرنى وأمرنى بملازمته ؛ فقلتُ له : أيها الأمير ، إنى لستُ أتكسّب بالغناء وإنما ألتذّه فلذلك تعلّمتُه ، وأريد العَوْدَ إلى الكوفة ، فلم أنتفع بذلك عنده وأخذنى بملازمته ، وسألنى : من أين أنا ؟ فانتسبتُ إلى الموصل ، فلزِمتنى وعُرِفتُ بها ؛ ولم أزل عنده أثيرًا مكرَّما حتى قدِم عليه خادمٌ من خدَم المهدىّ ، فلما رآنى عنده قال له : أميرُ المؤمنين أحوجُ إلى هذا منك ، فدافعه عنّى ؛ فلما قدِم الرسولُ على المهدىّ سأله عما رأى فى طريقه ومَقْصِده ، فأخبره بذلك حتى انتهى إلى ذكرى فوصَفَنى له ؛ فأمره المهدىّ بالرجوع إلى محمد وإشخاصى إليه ، ففعل ذلك وجاء فأشخصنى إلى المهدىّ ، فحَظِيتُ عنده وقدّمنى .

أوّل هاشمىّ صحبه وأوّل خليفة سمعه

قال وَسْواسة فى خبره عن إسحاق فحدّثنى أبى قال :

---

(١) فى م : « جارية » . (٢) فى مختار الأغانى لابن منظور (ص ١٠٣ طبع مصر) : « هىّ » .

كان أوّل هاشمىّ صَحِبته علىُّ[(١)] بن سليمان بن علىّ أخو جعفر ومحمد ، وكان فتاهم ظَرْفًا ولهوًا وسماحةً ، ووَصَفنى له جُوانُويَه ومضى بى إليه ، فوقعتُ من قلبه كلّ مَوْقع . وأوّلُ خليفة سمِعنى المهدىّ ، وُصِفتُ له فأخذنى من علىّ بن سليمان ، وما سمِع قبلى من المغنّين أحدا سوى فُلَيْح بن أبى العَوْراء وسِيَاط ، فإن الفضل بن الرَّبيع وصلهما به .

نهاه المهدى عن الشرب ومصاحبة ابنيه موسى وهارون فلما أبى ضربه وحبسه

قال إسحاقُ : فحدّثنى أبى قال : كان المهدىّ لا يَشرب فأرادنى على مُلازمته وترْكِ الشرب فأبيتُ عليه ، وكنتُ أَغيبُ عنه الأيامَ ، فإذا جئتُه جئتُه مُنْتشِيًا ، فغاظَه ذلك منّى فضرَبنى وحبَسنى ، فحذَقتُ الكتابةَ والقراءةَ فى الحبس ، ثم دعانى يوما فعاتَبنى على شربى فى منازل الناس والتَّبذُّل معهم ؛ فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، إنما تعلّمتُ هذه الصناعةَ للذّتى وعِشرتى لإخوانى ، ولو أمكننى تركُها لتركتُها وجميعَ ما أنا فيه لله جلّ وعزّ ؛ فغضِب غضبًا شديدا وقال : لا تَدْخل على موسى وهارون ألبتّةَ ، فوالله لئن دخلتَ عليهما لأفعلنّ ولأصنعنّ ؛ فقلتُ : نعم ؛ ثم بلغه أنى دخلتُ عليهما وشرِبتُ معهما ، وكانا مُستهترَيْن بالنبيذ ، فضربنى ثلثمائةِ سوط ، وقيّدنى وحبَسنى .

قال أحمدُ بن إسماعيل فى خبره قال عمّى إسحاق فحدّثنى أبى :

أنه كان معهما فى نزهة لهما ومعهم أَبَانُ الخادمُ ، فسَعَى بهما و بى إلى المهدىّ وحدّثه بما كنّا فيه ، فدعانى فسألنى فأنكرتُ ، فأمر بى فجُرِّدتُ فضُربت ثلثمائة وستين سوطا ؛ فقلتُ له وهو يضربنى : إن جُرْمى ليس من الأجرام التى يحلّ لك بها سَفْكُ

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « عيسى » ، وهو تحريف . (راجع المعارف لابن قتيبة ص ١٩٠)

دمى، والله لو كان سرُّ ٱبنيك تحت قدمىّ ما رفعتُهما عنـه ولو قُطعتا ، ولو فعلتُ ذلك لكنتُ فى حالة أَبَانَ السّاعى العبدِ؛ فلمّا قلتُ له هذا ضرَبنى بالسيف فى جَفْنه[1] فشجّنى به، وسقطتُ مغشيًّا علىّ ساعةً، ثم فتحتُ عينىّ فوقعَتا على عينَيِ المهدىّ، فرأيتُهما عَيْنَىْ نادمٍ؛ وقال لعبـد الله بن مالك : خُذْه إليـك . قال : وقَبْل ذلك ما تناول عبـد الله بن مالك السوط من يد سَلّام الأبرش فضربنى ، فكان ضربُ عبـد الله عندى بعد ضرب سَلّام عافيةً، ثم أخرجنى عبـدُ الله إلى داره وأنا أرى الدنيـا فى عينى صفراءَ وخضراء [وحمـراء][2] من حَرّ السَّوْط ، وأمَره أن يتّخذ لى شبيهًا بالقبر فيصيِّرنى فيـه ؛ فدعا عبدُ الله بكَبْش فذُبح وسُلخ وألبسنى جلده ليسكّن الضربُ ، ودفعنى إلى خادم له يقـال له أبو عثمان سَعيد التركىّ فصـيَّرنى فى ذلك القبر، ووكّل بى جاريةً له يقال لها جَشّة[3] ؛ فتأذّيتُ بنَزّ كان فى ذلك القبر[4] وبالبقّ ، وكان فيه حَلِيٌّ[5] أستريح إليه، فقلتُ لجشّة: اطلُبى لى آجُرّة عليها لحم وكُنْدُر[6] يذهب عنّى هذا البقّ، فأتتنى بذلك ، فلمـا دخّنتُ أظلم القبرُ علىّ وكادت نفسى تخرُج من الغمّ، فٱسترحتُ من أذاه إلى النّزّ فألصقتُ به أنفِى حتى خَفّ الدُّخان ، فلمّا ظننتُ أنى قد ٱسترحتُ ممّا كنتُ فيه، إذا حيّتان مُقبلتان نحوى من شقّ القبر تَدُوران حولى بحفيف شديد، فهَمَمْتُ أن آخذ واحدةً بيدى اليمنى والأُخرى بيدى

---

(١) جفن السيف : غمده . (٢) زيادة عن م . (٣) فى حـ : «حسنة» .

(٤) كذا فى م ، وهو قريب مما جاء فى مختار الأغانى لابن منظور (ص ١٠٤ طبع مصر) فقد ذكر فيه : «فتأذيت بنتن كان فى ذلك القبر وبالبق» . وفى سائر الأصـول : «فتأذيت بنزعيسى باذ وبالبق فى ذلك القبر» . وعيسى باذ : محلة كانت بشرقى بغداد منسوبة الى عيسى بن المهدى، وكانت إقطاعا له .

(٥) كذا فى ط ، ء . والحلىّ (وزان غنىّ) : يبيس ضرب من الكلأ يسمى النصىّ . وفى سائر الأصول : «وكان فيه خلاء» . (٦) الكندر (بضم فسكون فضم) : اللبان الذكر .

اليسرى فإمّا علىّ و إمّا لى، ثم كُفيتُهما، فدخلنا من الثَّقْب الذى خرجنا منه، فمكثتُ فى ذلك القبر ما شاء الله، ثم أُخرِجتُ منه؛ ووجّهتُ إلى أبى عثمان الخادم أسأله أن يبيعنى جَشَةَ لأُكافئها عمّا أولتْنى ففعل، فزوّجتُها من حاجبٍ لى، ولم تزل عندنا . قال إسحاق : مكثتْ عندنا حتى ماتت، و بقيتْ بنتٌ لها يقال لها جُمعة، فزوّجتُها من مولًى لى فى سنة أربع وثلاثين ومائتين .

قال إبراهيم : وقلتُ فى الحبس [وأنا مقيّد] (١) :

أَلَا طال ليلى أُراعى النجوم * أُعالج فى السّاق كَبْلًا ثقيلا
بدارِ الهَوانِ وشرِّ الديار * أُسامُ بها الخسفَ صبراً جميلا
كثيرَ الأخلّاء عند الرّخاء * فلمّا حُبِستُ أراهم قليلا
لطول بلائىَ مَلَّ الصديقُ * فلا يأمَنَنّ خليلٌ خليلا

قال : ثم أخرجنى المهدىّ وأحلفنى بالطّلاق والعِتاق وكلِّ يمين لا فُسحة لى فيها ألّا أدخل على آبنيه موسى وهارون أبدا ولا أُغنّيهما، وخلّى سبيلى . قال :

صنع وهو فى الحبس لحنا فى شعر أبى العتاهية

وصنعتُ فى الحبس لحنًا فى (٢) شعر أبى العتاهية لمّا حبسه المهدىّ بسبب عُتْبة، وهو :

٦ / ٥

صوت

أيا وَيْحَ قلبى من نَجِىّ البَلَابِل * و يا ويحَ ساقٍ من قُروح السّلاسلِ
و يا ويحَ نفسى وَيْحَها ثم ويحها * أَلَمْ تَنْجُ يومًا من شِباك الحبائل
و ياويحَ عينى قد أضرّ بها البُكا * فلم يُغْنِ عنها طِبٌّ ما فى المَكاحل
ذَرِينى أُعَلِّلْ نفسىَ اليوم إنها * رهينةُ رَمْسٍ فى ثَرًى وجَنادل
ذَرِينى أُعَلَّل بالشّراب فقد أرَى * بقيّةَ عيشى هذه غيرَ طائل

(١) زيادة عن حـ . (٢) كذا فى حـ ، م . وفى سائر الأصول : «من شعر ... الخ» .

الشعر لأبى العتاهية، وذكر حمّاد أنه لجدّه إبراهيم . والغناء لإبراهيم رَمَلٌ بالوسطى فى الثلاثة الأبيات الأُوَل، وله فى البيتين الأخيرين ثقيلٌ أوّل بالوسطى.

طلبه الهادى لما ولى الخلافة وكان استتر منه بزابجيه للمهدىّ

قال حمّاد : فلما وَلِىَ موسى الهادى الخلافةَ آستترَ جدّى منه ولم يَظهر له بسبب الأيمان التى حلّفه بها المهدىّ ، فكانت منازلُنا تُكبَس فى كل وقت وأهلُنا يُروَّعون بطلبه حتى أصابوه فمضَوْا به إليه، فلما عاينه قال : يا سيّدى، فارقتُ أمّ ولدى وأعزّ خلق الله علىّ، ثم غنّاه لحنَه فى شعره :

صوت

يابْنَ خيرِ الملوك لا تترُكَنّى * غَرَضًا للعدوّ يرمى حِبالى[(1)]
فلقد فى هواك فارقتُ أهلى * ثم عرَّضتُ مهجتى للزوال
ولقد عِفْتُ فى هواك حياتى * وتغرّبتُ بين أهلى ومالى

الشّعرُ والغِناءُ لإبراهيم خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى . قال إسحاق : فموّله[(2)] والله الهادى وخوّله، و بحَسْبك أنه أخذ منه فى يوم واحد مائةً وخمسين ألفَ دينار[(3)]، ولو عاش لنا لبنَيْنا حِيطانَ دُورِنا بالذهب والفضة .

ما وصل اليه من الأموال وما تركه وشىء عن مروءته

قال حمّاد قال لى أبى : نظرتُ إلى ما صار إلى جدّك من الأموال والغَلّات[(4)] وثمن ما باع من جواريه، فوجدتُه أربعةً وعشرين ألفَ ألفِ درهم سوى أرزاقِه الجارية، وهى عشرة آلاف درهم فى كلّ شهر، وسوى غَلّات ضِياعه ، وسوى الصِّلات النَّزْرَة التى لم يحفظها؛ ولا والله ما رأيتُ أكمَلَ مروءةً منه ، كان له طعامٌ

---

(١) كذا فى ط ، ء ، م . وفى سائر الأصول : «حبالى» بالباء، وهو تصحيف .

(٢) موّله وخوّله : أعطاه مالا وخولا . (٣) فى مختار الأغانى : «درهم» .

(٤) فى ط ، ء ، م : «والصلات» .

مُعَـدّ فى كل وقت؛ فقلت لأبى : أكان يُمكنه ذلك؟ فقال : كان له فى كل يوم ثلاثُ شِيَاه : واحدةٌ مقطَّعةٌ فى القدور، وأخرى مسلوخةٌ ومعلَّقة، وأخرى حيّة، فإذا أتاه قومٌ طَعِمُوا مافى القدور، فإذا فرغتْ قُطِّعت الشاة المعلّقة ونُصبت القدور وذُبِحت الحيّـة فعلِّقت وأُتِىَ بأخرى فجُعلت وهى حيّة فى المطبخ؛ وكانت وظيفتُه لطعامه وطِيبِه وما يُتخذ له فى كل شهر ثلاثين ألف درهم سوى ما كان يُجرِى وسوى كُسْوته؛ ولقـد آتفق عنـدنا مرّةً من الجـواري الودائع لإخوانه ثمانون جاريةً، ما منهنّ واحدة إلا ويُجرِى عليها من الطعام والكُسوة والطِّيب مثلَ ما يُجرِى لأخصّ جواريه ، فإذا رُدّت الواحدة منهنّ إلى مولاها وصَلها وكساها، ومات وما فى ملكه إلا ثلاثة آلاف دينار، وعليه من الدّين سبعمائة دينار قُضِيَتْ منها .

اشترى منه الرشيد جارية وسأله الحطيطة من ثمنها فكان منه ما دل على سمو نفسه

٧/٥ أخبرنى محمـد بن خَلَف وَكِيعٌ ويحيى بن علىّ بن يحيى وآبن المَـرْزُبان قالوا أخبرنا حمّاد بن إسحاق قال :

كان أبى يحدّث أن الرشيد آشترى من جَدّى جاريةً بستة وثلاثين ألفَ دينار، فأقامت عنده ليلةً ، ثم أرسل إلى الفضلِ بن الربيع : إنا آشترينا هذه الجاريةَ من إبراهيم ، ونحن نحسب أنها من بابَتِنا(١) وليست كما ظننتُها ، وما قَرِبتُها، وقد ثقُل علىّ الثمنُ و بينك و بينه ما بينكما، فآذهب إليه فسَلْه أن يَحُطّنا من ثمنها ستةَ آلاف دينار؛ قال: فصار الفضلُ إليه فآستأذن [عليه](٢) فخرج جدّى فتلقّاه؛ فقال : دَعْنى من هذه الكرامة التى لا مُؤْنة بيننا فيها، لستُ ممّن يُخدع، وقد جئتُك فى أمرٍ أَصْدُقُك عنه، ثم أخبره الخبرَ كلّه؛ فقال له إبراهيم : إنه أراد أن يبلوَ قَدْرَك عندى؛ قال : ذاك

(١) البابة : الوجه والطريق، و يقال : هذا شىء من بابتك، أى يصلح لك (راجع الحاشية رقم ٩ ص ١٧٩ من الجزء الأوّل من هذا الكتاب طبع دار الكتب المصرية) . (٢) زيادة عن م .

أراد! قال: فمالى كلّه صدقةٌ فى المساكين إن لم أُضعِفه لك، قد حَطَطْتُك(١) آثنى عشر ألف دينار، فرجع الفضلُ إليه بالخبر، فقال: وَيْلك! ادفعْ إلى هذا مالَه، فما رأيتُ سُوقةً قطُّ أنبلَ نفسًا منه . قال أبى : وكنتُ قد أتيتُ جدّك فقلتُ : ما كان لحطيطةِ هذا المال معنًى وماهو بقليل، فتغافل عنّى وقال: أنت أحمقُ، أنا أعرفُ الناس به، والله لو أخذتُ المالَ منه كَلًّا(٢) ما أخذتُه إلا وهو كاره، و يحقِد ذلك علىّ وكنتُ أكون عنده صغيرَ القَدْر، وقد منَنْتُ عليه وعلى الفضل، وآنبسطتْ نفسُه ونَشِط وعظُم قَدْرى عنده، وإنما آشتريتُ الجاريةَ بأربعين ألف درهم، وقد أخذتُ بها أربعة وعشرين ألف دينار، فلما حُمل المالُ إليه بلا حَطيطة دعانى فقال لى : كيف رأيتَ يا إسحاقُ! مَن البصيرُ أنا أم أنت؟ فقلتُ : بل أنت جعلنى الله فداءك .

حوار الفضل بن يحيى له وقد رآه خارجا من عند الفضل بن الربيع

حدّثنى وكيع قال حدّثنا حمّاد قال حدّثنى أبى قال :

لَقِى الفضل بن يحيى أبى وهو خارج من عند الفضل بن الرّبيع، وكانا متجاورَيْن فى الشّمّاسيّة(٣)، فقال : من أين يا أبا إسحاق؟ أمن عند الفضل بن الربيع؟ قلت : نعم، غيرَ معتذرٍ من ذلك، فقال : خروجٌ من عند الفضل بن الربيع إلى الفضل بن يحيى! هذان والله أمران لا يجتمعان لك! فقال : والله لئن لم يكن فىّ ما يتّسع لكما حتى يكون الوفاءُ لكما جميعا واحدا ما فىّ خيرٌ، والله لا أترك واحدا منكما

---

(١) كذا فى ط، ء. وفى م: «حططه». وفى سائر الأصول: «حططت».

(٢) كلا (بفتحتين) أى كاملا وافيا. قال الليث: هكذا يتكلم به فى الجمع والوحدان سواء، لا يثنى ولا يجمع وليس بمصدر ولا نعت وإنما هو كقولك: أعطيه المال كله. (انظر المصباح المنير واللسان مادة كلل). (٣) الشماسية: محلة مجاورة لدار الروم التى فى أعلى مدينة بغداد وإليها ينسب باب الشماسية. وفيها كانت دار معز الدولة أبى الحسين أحمد بن بويه.

لصاحبه، فمن قَبِلنى على هـذا قَبِلنى، ومن لم يقبلنى فهو أعلم؛ فقـال له الفضل بن يحيى : أنت عندى غير متَّهم، والأمرُ كما قلتَ، وقد قَبِلتُك على ذلك .

كان فى الحبس فذكره للرشيد فأحضره فغناه فوصله

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق قال حدّثنى أبى :

أن الرشيد غضب عليه فقيّده وحبسه بالرَّقّة[1]، ثم جلس للشرب يوما فى مجلس قد زيّنه وحسّنه، فقال لعيسى بن جعفر : هل لمجلسنا عيبٌ؟ قال : نعم، غَيْبةُ إبراهيمَ الموصلىِّ عنـه؛ فأمر بإحضارى فأُحضِرتُ فى قيـودى ، ففُكّت عنّى بين يديه ، وأمرهم فناولونى عُودا وقال : غنّنى يا إبراهيم؛ فغنّيته :

تَضوَّعَ مِسكًا بطنُ نَعْمانَ[2] أنْ مشتْ ✽ به زينبٌ فى نِسْـوةٍ خَفِـراتِ[3]

فاستعاده وشرِب وطرِب ، وقال : هَنأتنى يومى وسأُهَنِّئك بالصِّـلة ، وقد وهبتُ لك الهَنِىءَ والمَرِىءَ[4]؛ فانصرفتُ ، فلما أصبحتُ عُوِّضتُ منهما مائتى ألف درهم .

نسـبة هذا الصـوت

٨/٥

صـوت

تَضوَّعَ مِسكًا بطنُ نَعْمانَ أنْ مشتْ ✽ به زينبٌ فى نِسْـوةٍ خَفِـراتِ

مَرَرْنَ بفَـخٍّ[5] رائحـاتٍ عَشِـيّةً ✽ يُلَبِّـين للرحمن مُعتمِراتِ

---

(١) الرقة : مدينة على الجانب الشرقى من الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيام . (٢) بطن نعمان : واد بين مكة والطائف كثير الأراك . (٣) فى م : « عطرات » . (٤) يريد أنه أقطعه ضيعتهما ؛ والهنىء والمرىء كما فى ياقوت : نهران بازاء الرقة والرافقة حفرهما هشام بن عبد الملك وأحدث فيهما مدينة «واسط الرقة» . قال ياقوت نقلا عن البلاذرى : ثم ان تلك الضيعة (أعنى الهنىء والمرىء) قبضت فى أوّل الدولة العباسية وانتقلت الى أم جعفر وزادت فى عمارتهـا ، ثم قال : وهما يسقيان عدّة بساتين ، مستمدهما من الفرات ومصبهما فيه . (٥) فخ : موضـع بينه وبين مكة ثلاثة أميال ؛ روى أن النبىّ صلى الله عليه وسلم اغتسل به قبل دخوله مكة ، وبه كانت وقعة الحسين وعقبة ، وبه مقابر المهاجرين كل من جاور بمكة منهم فـات يوارى هناك . (معجم ما استعجم للبكرى) .

يُحَمِّرْنَ أطرافَ البَنانِ من التُّقَى (١) ❊ ويَقتُلْنَ بالألحاظ مُقْتَـدِراتِ (٢)

ولمّا رأتْ رَكْبَ النُّمَيْرِيّ أعرضتْ ❊ وكُنَّ مِنَ آن يَلْقَيْنَـه حَذِراتِ

الشعر للنُّمَيْرِيّ الثَّقَفيّ (٣). والغناء لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ويحيي المكّيّ وعمرو بن بانة. وذكر حَبَشٌ أن فيه لعزّةَ المَيْلاءِ لحنًا من الثقيل الأوّل.

أنشده يحيى بن خالد بيتا فثناه وغنى فيه فأجازه

أخبرني محمد بن مَزْيَد وأحمد بن جعفر جَحْظة قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال، وأخبرني الصُّوليّ قال حدّثني عَوْن بن محمد جميعا عن إسحاق عن أبيه قال:

رأيت يحيي بن خالد خارجا من قصره الذي عند باب الشَّمّاسيّة يريد قصرَه الذي بباب البَرَدان (٤) وهو يتمثّل:

صـــوت

هَـوًى بتِهامةٍ وهوًى بنجدٍ ❊ فأبلَتْني (٥) التَّهـائمُ والنُّجودُ

قال أبي: فزِدْتُه عليه:

أُقيم بذا وأذكُر عهدَ هـذا ❊ فَلِي ما بين ذَيْن هوًى جديدُ

---

(١) يحمّرن: يخطين. (٢) روى المبرد هذا البيت في الكامل هكذا:

يخبّئن أطراف البنان من التقى ❊ ويخرجن شطر الليل معتجرات

ومعتجرات: مختمرات بالمعاجر، والمعجر: ثوب تشده المرأة على رأسها. (٣) هو محمد بن عبد الله ابن نمير، شاعر غزل، من شعراء الدولة الأموية، مولده ومنشؤه بالطائف. وكان يهوى زينب بنت يوسف بن الحكم أخت الحجاج بن يوسف، وله فيها أشعار كثيرة يتشبب بها. وله ترجمة في الأغاني (ج ٦ ص ٢٤ طبع بولاق). (٤) البردان (بفتح الباء الموحدة والراء والدال المهملتين): قرية من قرى بغداد عامرة وهي على شاطئ دجلة الشرقي، وبينها وبين بغداد خمسة فراسخ. (٥) في م: «فأبكتني» بالكاف.

قال : وصنعت فيه لحنا — قال الصُّولىّ فى خبره : وهو من خفيف الثقيل — ثم صِرتُ إليه فغنّيته إيّاه ، فأمر لى بألف دينار وبدابّته[(١)] التى كانت تحته يومئذ بسَرْجها ولجامها ، فقلت له : جزاك الله من سيِّد خيرًا ، فإنك تأتى الأنفُسَ وهى شواردُ فتُقرّها ، والأهواءَ وهى سَقيمة فتُصحّحها ؛ فأمر لى بألف دينار أخرى .

قال إبراهيم : ثم ضَرَب الدهرُ من ضَرْبه[(٢)] ، فبينا أنا أسير معه إذ لقِيه العبّاس ابن الأحنف ، وكان ساخطا عليه لشىء بلغه عنه ، فترجَّل له وأنشده :

صـــوت

بالله يا غضبانُ إلّا رَضِيتْ * أذاكرٌ للعهدِ أم قد نسِيتْ

فقال : بل ذاكرٌ يا أبا الفضل ، فأضفتُ إلى هذا البيت :

لو كنتُ أبغى غيرَ ماتشتهى * دعوتُ أن تُبْلَى كما قد بُلِيتْ

وصنعت فيه لحنا — قال الصُّولىّ فى خبره : هو ثقيل أوّل — قال : وغنّيتُه به ، فأمر لى بألفَىْ دينار وضحِك ، فقلت : من أىّ شىء تَضْحك ياسيّدى ؟ لا زلتَ ضاحكا مسرورا ! فقال : ذكرتُ ما جرى فى الصوت الأوّل وأنه كان مع الجائزة دابّةٌ بسرجه ولجامه[(٣)] ، ولن تنصرف الليلةَ إلا على مثله ، فقمتُ فقبّلت يدَه ؛ فأمر لى بألفَىْ دينار آخرين ، وقال : تلك الكَرّة شكَرْتَ على الجائزة بكلام فزدناك ، والآن شكرتَ بفعلٍ أوجب الزيادة ، ولولا أنّى مُضيقٌ فى هـذا الوقت لضاعفتُها ، ولكنّ الدهرَ بيننا مستأنَفٌ جديد .

غنى الرشيد فى طريقه إلى طوس بشعر له فاستحسن الغناء دون الشعر

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المهدىّ عن أبيه قال :

(١) فى ط ، ء : « بدابته الذى كان ... » والدابة تطلق على المذكر والمؤنث . (٢) أى مرّ من مروره ومضى بعضه . (انظر اللسان مادة ضرب) . (٣) كذا فى ط ، ء ، وهو الذى يوافق الضمير فى : « الا على مثله » . وفى باقى الأصول : « بسرجها ولجامها » .

لمّا نَزل الرشيدُ فى طريقه إلى طُوس[1] بشَبْداز[2] جلس يشرب عنده، فكان إبراهيمُ الموصليّ أوّلَ من غنّاه، فابتدأ بهذا الصوت، والشعرُ له، :

٩/٥

صــــوت

رأيتُ الدِّينَ والدُّنيا * مُقيمَيْن بشَبْداز
أقاما بين حَجّاجٍ[3] * وغازٍ أيّما غازِ

— وهو من الثقيل الأول — فأمر له بألف دينار، ولم يَستحسن الشعرَ، وقال له: يا إبراهيم صَنْعتُك فيه أحسن من شعرك؛ فخجل وقال: يا سيّدى شغَل خاطرى الغناءُ فقلت لوقتى ما حضَرنى؛ فضحك الرشيد من قوله وقال له: صدقتَ.

كان كثير الأصدقاء من الأشراف

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال:

كان جدُّك محبًّا للأشراف كثيرَ الأصدقاء منه، حتى إنْ كان الرشيدُ ليَقولُ كثيرا: ما أعرف أحدًا أكثرَ أصدقاءَ من إبراهيم.

كان مع الغناء كاتبا وشاعرا وخطيبا

قال إسحاق: وما سمعتُ أحسنَ غناءً من أربعة: أبى، وحَكَم الوادى، وفُلَيح ابن أبى العَوْراء، وسِياط؛ فقلت له: وما بلغ من حِذْقهم؟ قال: كانوا يصنعون فيُحسنون، ويؤدّون غناءَ غيرِهم فيُحسنون؛ فقلت: فأيّهم كان أحذق؟ قال: كانوا

(١) طوس (بضم أوّله وسين مهملة): مدينة معروفة ما بين الرىّ ونيسابور فى أوّل عمل خراسان وفيها دفن هارون الرشيد. قال ابن حوقل: وعلى ربع فرسخ منها قبر على بن موسى الرضا. (٢) كذا فى ط، ء. وشبداز: موضع بين حلوان وقرميسين تبعد عن قرميسين يسرة بأقل من فرسخين. وفى سائر الأصول: «شيراز» وهو تحريف. (راجع معجم البلدان فى الكلام على شبداز والمسالك والممالك لابن خرداذبه فى كلامه على الطريق من مدينة السلام الى أقاصى خراسان ص ١٨ طبع مدينة ليدن).

(٣) كذا فى ب، سـ. وفى سائر الأصول: «أقاما مع حجاج». والحجاج: الكثير الحج. يريد أن الدين والدنيا قد اجتمعا للرشيد الذى كان كثير الحج والغزو.

بمنزلة خطيب أو كاتب أو شاعر يُحسن صناعته ، فإذا انتقل عنها إلى غيرها لم يبلُغ منها ما يبلُغ من صناعته، وكان جدُّك كرجل مفوَّه، إن خطب أجْزل، وإن كتب رسالة أحْسن، وإن قال شعرا أحْسن، ولم يكن فيهم مثلُه .

هو أوّل من علّم الجوارى الحسان الغناء، وشعر أبى عيينة فى ذلك

أخبرنى الحسين بن يحيى قال حدّثنا حمّاد عن أبيه، وأخبرنى علىّ بن عبد العزيز عن ابن خُرّداذْبه ، وأخبرنى إسماعيل بن يونس عن عُمر بن شبّة جميعا عن إسحاق قال :

لم يكن الناس يعلّمون الجاريةَ الحسناء الغناءَ، وإنما كانوا يعلّمونه الصُّفرَ والسُّودَ؛ وأوّل من علّم الجوارىَ المُثمَّناتِ أبى ، فإنه بلغ بالقِيان كلَّ مَبلغ ، ورفع من أقدارهنّ . وفيه يقول أبو عُيَيْنة بن محمد بن أبى عُيَيْنة المهلّبىّ وقد كان هَوِى جاريةً يقال لها أمان فأغلَى بها مولاها السَّوْمَ، وجعل يردّدها إلى إبراهيم وإسحاق ابنه فتأخذ عنهما ، فكلما زادت فى الغناء زاد فى سَوْمِه، فقال أبو عُيَينة :

قلتُ لما رأيتُ مولَى أمانٍ * قد طَغَى سومُه بها طُغْيانَا
لا جَزَى اللهُ المَوْصلىّ أبا إسـ * ـحاقَ عنّا خيراً ولا إحسانَا
جاءنا مُرسَلا بوَحْيٍ من الشيـ * ـطان أغلَى به علينا القِيانَا
من غِناءٍ كأنه سَكَراتُ الـ * ـحبِّ يُصْبِى القُلوبَ والآذانَا

شعر ابن سيابة فيه

وقال فيه ابن سيابة[1] :

صوت

ما لإبراهيمَ فى العِلْـ * ـمِ بهذا الشأن ثانِى
إنما عُمْرُ أبى إسـ * ـحاقَ زَيْنٌ للزمانِ

(١) هو ابراهيم بن سيابة مولى بنى هاشم ، وله ترجمة فى الجزء الحادى عشر من الأغانى طبع بولاق .

جَنّــةُ الدُّنيــا أبو إسـ * ـحاق فى كلّ مكانِ

فإذا غَـــنّى أبو إسحا(١) * ق أجابتْــــه المَثَــانى

منـه يُجْنَى ثَمَــرُ اللهـ * ـو وريحـانُ الجِنَـان

لإبراهيم فى هذا الشعر لحنان: خفيفُ ثقيل بالبنصر، وخفيفُ رَمَل بالوسطى عن عمرو والهِشَامىّ.

شعر أبي العتاهية فيه وهو محبوس

أخبرنى عمِّى عن أحمد بن أبى طاهر عن أبى دِعَامَةَ(٢) قال:

كان سَلْم الخاسر عند أبى العتاهية، فأخبره سلم أنّ الرشيد حبَس إبراهيم الموصلىّ فى المُطْبِق(٣)، فأقبل عليه أبو العتاهية فقال:

سَــلْمُ ياسَــلْمُ ليس دونك سِــتْرُ(٤) * حُبِس المَوْصِـــلىُّ فالعيشُ مُرُّ

١٠/٥

ما استطابَ اللّذاتِ مذ سَكَن المُطْـ * ـبِقَ رأسُ اللّذاتِ فى النـاس حُرُّ

تركَ الموصِــلىُّ مَنْ خَلَق اللهُ جميعـا وعيشُهــم مُقْشَــعِرُّ

حُبِس اللهوُ والسرور فمـا فى الـ * أرض شىءٌ يُلْهَى به أو يُسَــرُّ

وأنشــدنى بعضُ أصحابنا عن ابن المَرْزُبان عن أحمــد بن أبى طاهر عن ابن أبى فَنَن لأبى العتاهية يخاطب إبراهيم الموصلىّ لمّا حُبس:

أيا غَمِّى لغَمِّــك يا خليــلى * ويا وَيْــلى عليك ويا عَوِيلى

يَعِــزُّ علىّ أنّــك لا ترانى * وأنّى لا أراكَ ولا رســولى

وأنك فى محلّ أذًى وضَنْكٍ * وليس إلى لقــائك من سبيلِ

وأنى لستُ أملِك عنك دفعًا * وقد فُوجِئْتَ بالخَطْب الجليل

(١) سهل الهمز فى «إسحاق» لضرورة الشعر. (٢) هو على بن يزيد أبو دعامة، وقد مر فى الجزء الرابع من هذا الكتاب ص ٨ طبع دار الكتب المصرية. (٣) المطبق: السجن تحت الأرض. (٤) فى حـ: «سرّ».

قصته مع إبراهيم ابن المهدى فى لحن غناه عند الرشيد

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدّثنا عبد الله بن عمر قال حدّثنى أبو تَوْبة صالحُ بن محمد عن القِطرانىّ المغنّى عن محمد بن جبر، وكان المهدىّ رباه، قال حدّثنى إبراهيم بن المهدىّ قال:

انصرفتُ ليلةً من الشّمّاسيّة فمررتُ بدار إبراهيمَ الموصلىّ، وإذا هو فى رَوْشَن[1] له وقد صنع لحنه:

أَلَا رُبَّ نَدمانٍ علىّ دموعُه * تَفِيضُ على الخدّين سَحًّا سُجُومُها[2]

وهو يُعيده ويلعَب به بنَغَمه ويُكرِّره لتَسْتَوِى له أجزاؤه، وجواريه يضرِبْن عليه، فوقفتُ تحت الرَّوْشن حتى أخذتُه ثم انصرفت إلى منزلى، فما زلتُ أعيده حتى بلغتُ فيه الغايةَ، وأصبحتُ فغدوتُ إلى الشّمّاسيّة وآجتمعنا عند الرشيد، فآندفع إبراهيم فغنّاه أوّلَ شىء غنّى، فلمّا سمعه الرشيد طرِب وآستحسنه وشرب عليه، ثم قال له: لمن هذا يا إبراهيم؟ قال: لى يا سيِّدى، صنعتُه البارحة؛ فقلت: كذَب يا أمير المؤمنين، هذا الصوت قديمٌ وأنا أُغنّيه؛ فقال لى: غَنِّه يا حبيبى، فغنّيتُه كما غنّاه؛ فبُهِت إبراهيمُ وغضِب الرشيد، وقال له[3]: يآبن الفاجرة! أتكْذِبنى وتدّعى ما ليس لك!. قال: فظلّ ابراهيمُ بأسوأ حال؛ فلمّا صلّيتُ العصر قلت للرشيد: يا أمير المؤمنين، الصوتُ وحياتك له وما كذَب، ولكنّى مررتُ به البارحةَ وهو يردّده على جارية له فوقفتُ حتى دار لى وآستوى فأخذتُه منه؛ فدعا به الرشيد ورضى عنه، وأمر له بخمسة آلاف دينار.

---

(١) الروشن: خشب يخرج من حائط الدار الى الطريق ولا يصل الى جدار آخر يقابله وهو الشرفة.

(٢) سجوم الدمع: سيلانه كثيرا كان أو قليلا. (٣) فى الأصول ما عدا حـ: «وقال لى يابن الفاجرة» ولا يستقيم به الكلام. وكلمة "لى" ساقطة من حـ.

نســبة هذا الصوت

صـــوت

ألا رُبَّ نَدمانٍ علىَّ دموعُــه * تَفيضُ على الخَـدَّين سَحًّا سُجُومُها
حَليمٌ إذا ما الكأسُ دارتْ وهَرَّها(١) * رجالٌ لديهـا قـد تَخِفّ حُلومُها

الغناء لإبراهيمَ رَمَلٌ بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق .

قصته مع إبراهيم ابن المهدى وابن جامع عند الرشيد

١١ / ٥

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنا أبى عن طَيَّاب(٢) بن إبراهيم الموصلىّ قال :
كان إبراهيم بن المهدىّ يُقدِّم ابنَ جامع ولا يُفضِّل عليه أحدا ، فأخبرنى إبراهيم ابن المهدىّ قال : كنّا فى مجلس الرشيد وقد غلَب النبيذُ على ابن جامع ، فغنّى صوتا فأخطأ فى أقسامه ؛ فالتفت إلىّ إبراهيمُ فقال : قد خَرِى(٣) قد خرى أستاذك فيه ! وفهمتُ صِدْقَه فيما قال ، قال : فقلت له : انتبِهْ أيها الشيخ وأعِدِ الصوت ، ففَطِن وأعاده وتحفَّظ فيه وأصاب ؛ فغضب إبراهيم وأقبل علىّ فقال :

أُعلِّمــه الرِّماية كلَّ يومٍ * فلمّـا آسـتَدّ(٤) ساعدُه رمانى

وتنكَّر لى وحلَف ألّا يكلّمنى ؛ فقلت للرشيد بعد أيام : إنّ لى حاجةً ؛ قال : وما هى؟ قلت : تأمر إبراهيمَ الموصلىّ أن يرضى عنّى ويعودَ إلى ما كان عليه ؛ فقال :

---

(١) هرّ فلانٌ الكأس : كرهها . (٢) كذا فى أكثر الأصول هنا وفيما يأتى فى جميع الأصول فى أكثر من موضع . وفى ط ، ء هنا : « طباب » بالباء الموحدة من تحت . (٣) فى حـ : « قد خزى أستاذك فيه » بالزاى وبدون تكرار . (٤) كذا فى ط ، ء ، مـ وإحدى روايتى حـ ، وهى الرواية المشهورة . واستدّ : استقام . وفى سائر الأصول « اشتدّ » بالشين المعجمة . قال الأصمعىّ : اشتدّ بالشين المعجمة ليس بشىء . وقال ابن برّى : هذا البيت ينسب الى معن بن أوس قاله فى ابن أخت له . وقال ابن دريد : هو لمالك بن فهم الأزدى ، وكان اسم ابنه سليمة ، رماه بسهم فقتله فقال البيت . قال ابن برّى : ورأيته فى شعر عقيل بن علفة يقوله فى ابنه عميس حين رماه بسهم . وبعده :

فلا ظفرت يمينك حين ترمى * وشلّت منـك حاملة البنان

ومَنْ إبراهيم حتى يَطلب رضاه ! فقلت : يا أمير المؤمنين، إن الذى أُريده منه لا يُنالَ إلا برضاه؛ فقال : قم إليه يا إبراهيم فقبِّل رأسه؛ [فقام إلىّ ليقبل رأسى]، فلما أكبّ علىّ قال : تَعُود ؟ قلت : لا؛ قال : قد رضيتُ عنك رِضًا صحيحا، وعاد إلى ما كان عليه .

خرج مع الرشيد الى الحيرة وغناه فأجازه

أخبرنى أبو الحسن أحمد بن يحيى بن علىّ بن يحيى قال : سمعتُ جدّى عليًّا يحدِّث عن إسحاق قال :

قال أبى : خرجتُ مع الرشيد إلى الحِيرة، فساعةَ نَزل بها دعا بالغَداء فتغدّى ثم نام، فاغتنمتُ قائلتَه فذهبتُ فركبت أَدُور فى ظهر الحِيرة، فنظرت إلى بستان فقصدته فإذا على بابه شابٌّ حسن الوجه، فاستأذنته فى الدخول فأذن لى، فدخلت فإذا جَنّة من الجِنان فى أحسن تُرْبة وأغزرِها ماءً، فخرجتُ فقلت له : لمن هذا البستان؟ فقال : لبعض الأشاعِثة[3]؛ فقلت له : أيباع؟ فقال : نعم وهو على سَوْم؛ فقلت : كم بلغ؟ فقال : أربعةَ عشرَ ألفَ دينار؛ قلت : وما يُسَمَّى هذا الموضع ؟ قال : شُمَارَى؛ فقلت :

صوت

جِنانَ شُمَارَى ليس مثلَكِ مَنْظَرٌ * لذى رَمَدٍ أعيا عليه طبيبُ
تُرابُكِ كافورٌ ونَوْرُكِ[4] زهرةٌ * لها أَرَجٌ بعد الهُدُوّ يطيب[5]

---

(١) فى حـ ، م : «تطلب» . (٢) الزيادة عن م . (٣) الأشاعثة : منسوبون الى الأشعث بن قيس بن معديكرب الكندى أبى محمد الصحابى، وفد على النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه وعن عمر رضى الله عنه، ونزل الكوفة ومات بها فى آخر سنة أربعين هجرية وهو ابن ثلاث وستين سنة . (٤) فى حـ : «ونبتك» . (٥) فى حـ : «وطيب» .

قال : وحَضَرتْنى فيه صَنْعَةٌ حسنة ؛ فلما جلس الرشيد وأمر بالغناء غنّيته إياه أوّلَ ما غنّيتُ ؛ فقال : وَيْلَك ! وأين شُمَارَى ؟ فأخبرته القصّة ، فأمر لى بأربعةَ عشرَ ألفَ دينار ؛ وغَمَزنى جعفر بن يحيى فقال : خذ توقيعَه بها إلىّ ؛ وتشاغل الرّشيدُ عنّى ، فأعدتُ الصوتَ ، فقال : وَيْلكم ! أَعطُوا هذا دنانيره ؛ فوثبتُ وقلت : يا سيّدى ، وَقِّع لى بها الى جعفر بن يحيى ؛ فقال : أفعلُ ، ووقّع لى بها إليه ؛ فلمّا حصَل التوقيعُ عند جعفر أطلق لى المالَ وخمسةَ آلاف دينار من عنده ؛ فلما حصَلْ المالُ عندى كان أحبَّ إلىّ وأحسنَ فى عَيْنِى من شُمَارَى .

عرض الرشيد أبياتا ليجيزها الشعراء ثم أمره فغنى فيها

أخبرنى[(١)] جعفر بن قُدَامة قال أخبرنى أبو العَيْناء قال :

خرج الفضلُ بن الرَّبيع يوماً من حضرة الرشيد ومعه رقْعةٌ فيها أربعة أبيات ، فقال : إن أمير المؤمنين يأمر كلَّ مَن حضَر ممن يقول الشعر أن يُجيزها ، وهى :

أَهْدَى الحبيبُ مع الجَنوب سلامَه * فَارْدُدْ إليه مع الشَّمال سلامَا
وٱعرِفْ بقلبك ما تَضمَّن قلبُه * وتَداوَلاَ بهوا كما الأيّاما
وإذا بكيتَ له فأَيقِنْ أنه * ستجود أَدْمُعه عليك رِهَاما[(٢)]
فٱحبِس دموعَك رحمةً لدموعه * إن كنتَ تحفظُ أو تَحُوط ذِماما

فلم يوجد من يُجيزها ، فأمر إبراهيمَ فغنّى فيها لحناً من خفيف الثقيل .

١٢
―
٥

انقطع عن الرشيد فى سفره عند خمار وشعره فى ذلك

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثنى أبو العبّاس البصرى[(٣)] قال حدّثنى عبدالله بن الفَضْل بن الرَّبيع قال سمعت أبى يقول :

(١) هذا الخبر الذى يبتدئ من قوله : « أخبرنى جعفر » الى قوله : « لحنا من خفيف الثقيل » ساقط من ط ، ء ، م . (٢) الرهام : جمع رهمة (بالكسر) وهى المطر الضعيف .
(٣) فى حـ : «النصرى» بالنون .

لمّا خرج الرشيدُ إلى الرَّقّة(١) أخْرَج معه إبراهيمَ الموصلىّ ، وكان به مشغوفا ، ففقده فى بعض المنازل أيّاما وطلبه فلم يُخبره أحد بقصّته ؛ ثم أتاه ، فقال له : وَيْحك ! ما خبرُك وأين كانت غَيْبتك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين، حديثى عجيب ، نزلْنا بموضع كذا وكذا، فوُصِف لى خَمّارٌ، من ظَرْفه ومن نظافة منزله كيت وكيت، فتقدّمتُ أمام ثَقَلى(٢) وأتيته مُخِفًّا ، فوافيتُ(٣) أطيبَ منزل وأوسعَ رَحْل وأطيبَ طعام وأسخى نفْس، من شابٍّ حسن الوجه ظريف العِشْرة، فأقمت عنده، فلمّا أردتُ اللّحاق بأمير المؤمنين أقْسم علىّ وأخرج لى من الشراب ما هو أطيبُ وأجود مما رأيت ، فأقمت ثلاثا، ووهبتُ له دنانير كانت معى وكُسوةً، وقلت فيه :

صــــوت

سَقْيًا لمنزل خَمّارٍ قَصَفْتُ(٤) به * وَسْط الرُّصافة يومًا بعد يومين
ما زلتُ أرهَنُ أثوابى وأشْرَبها * صفراءَ قد عُتّقتْ فى الدَّنّ حَوْلين
حتى إذا نَفِدت منّى بأجمعها * عاودتُه بالرِّبا دَنًّا بدَنَّين
فقال «إزَلْ بشين» حين ودّعنى * وقد لَعَمْرُك زُلْنا عنه بالشَّين

— الشعر والغناء لإبراهيم خفيفُ رمل بالبنصر . قوله : "إزَلْ بشين" كلمة سريانية ، تفسيرها : اِمْضِ بسلام، دعا له بها لمّا ودّعه — قال إبراهيم : فقال لى الرشيد : غَنّنى هذا الصوتَ، فغنّيتُه إيّاه وزَمر عليه بَرْصُوما، فوهبَ لى الرشيد مائة ألف درهم وأقطعنى ضَيْعة ، وبعث إلى الخَمّارِ فأُحْضِر(٥)، وأَهْدى إلى الرشيد من ذلك الشراب فوصَله؛ ووهَب له إبراهيمُ عشرةَ آلاف درهم .

(١) فى حـ : « الكوفة » . (٢) الثقل (وزان سبب) : متاع المسافر وحشمه وكل شىء نفيس مصون . (٣) كذا فى م . وفى ط ، ء : « فأتيت » . وفى سائر الأصول : « فوافقت » ، وهو تحريف . (٤) أنظر الحاشية رقم ٤ ص ١٥٦ من هذا الجزء .
(٥) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « فأحضره » .

قصة مع ابن جامع ورؤياه

أخبرني الحسين بن يحيي ومحمد بن مَزْيَد ووكيع قالوا جميعا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال :

قال ابن جامع يومًا لأبي : رأيتُ في منامي كأنّي و إيّاك راكبان في مَحْمِل، فَسَفُلْتَ حتى كدتَ تَلْصَق بالأرض، وعلا الشّقّ الذي أنا فيه، فَلَأَعْلُوَنَّك في الغناء؛ فقال إبراهيم : الرؤيا حقٌّ والتأويل باطل، إنّي و إيّاك كنّا في ميزان، فرجحتُ بك وشالتْ كِفّتُك وعلوتَ فَلصِقتُ بالأرض ، فلأَبْقَيَنّ بعدك ولتموتنّ قبلي . قال إسحاق : فكان كما قال أبي، علا عليه وأفاد أكثر من فوائده، ومات ابن جامع قبله وعاش أبي بعده .

ألقى على جارية عبد الله بن الربيع صوتا أعجب ابن جامع فأخذ يستعيدها إياه

أخبرني عبد الله بن الرّبيع الرّبيعيّ قال حدّثتني خَديجة بنت هارون بن عبد الله بن الرّبيع قالت حدّثتني (١) خمار جارية أبي — وكانت قُنْدُهاريّة (٢)، اشتراها جدّي عبد الله وهي صَبِيّة رَيِّض (٣) من آل يحيي بن مُعاذ بمائتي ألف درهم — قالت :

ألقى عليّ إبراهيمُ الموصليّ لحنَه في هذين البيتين :

صــــوت

إذا سَرّها أمرٌ وفيــــه مَساءتي * قضيتُ لهـا فيما تريد على نفسي
وما مَرّ يومٌ أرتجي فيــه راحةً * فاذكُرَه إلّا بكيتُ عــلى أمسِ

(١) في ط : « قمار » . (٢) قندهارية : نسبة إلى قندهار، وهي بلد من بلاد السند أو الهند مشهورة في الفتوح . (٣) الرّيض كسيد : الدابة أوّل ما تُراض، يطلق على الذكر والأنثى، يقال : غلام ريض، وناقة ريض .

- الشعر لأبى حَفْص الشِّطْرَنْجىّ(١)، والغناء لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى —

فسمعنى ابن جامع يومًا وأنا أُغَنِّيه، فسألنى: ممن أخذتَه؟ فأخبرتُه؛ فقال: أَعِيديه، فأعدتُه مِرَارا، وما زال ابن جامع يتنغّم(٢) به معى حتى ظننت أنه قد أخذه، ثم كان كلما جاءنا قال لى: ياصَبِيَّةُ، غَنِّى ذلك الصوتَ، فكان صوتَه علىّ. ١٣/٥

قصته مع مخارق فى أخذه دراهم من يحيى البرمكى وأولاده

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنى عمر بن شَبّة قال قال مخارق:

أذِن لنا أميرُ المؤمنين الرشيدُ أن نُقيم فى منازلنا ثلاثةَ أيّام، وأعلمنا أنه مشتغل فيها مع الحُرَم، فمضى الجلساء أجمعون إلى منازلهم — وأخبرنى وَسْواسة وهو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلىّ بهذا الخبر فقال حدّثنى أبى عن أبيه عن مُخارق قال: اشتغل الرشيد يوما واصطبح مع الحُرَم وقد أصبحتِ السماء مُتغيِّمة، فانصرفنا إلى منازلنا. ولم يذكر فى الخبر ما ذكره عمر بن شَبّة مما قدمتُ ذكره، واتفقا هاهنا فى أكثر الحكايات، واللفظ فأكثره لرواية ابن الموصلىّ — قال مخارق: وأصبحت السماء مُتغيِّمة تَطُشّ طَشًّا خفيفا، فقلت: والله لأذهبنّ إلى أستاذى إبراهيمَ فأعرف خبره ثم أعود، فأمرتُ مَنْ عندى أن يُسَوُّوا مجلسًا لنا إلى وقت رجوعى؛ فجئت إلى إبراهيمَ الموصلىّ فإذا البابُ مفتوح والدِّهليز قد كُنِس والبوّاب قاعد؛ فقلت: ما خبر أستاذى؟ فقال: ادخُل، فدخلت فإذا هو جالس فى رِواق له و بين يديه قُدورٌ تُغَرْغِر(٣) وأباريق تَزْهَر، والستارة منصوبة والجوارى خَلْفَها، و إذا قُدّامه طَسْتٌ فيه رِطْلِيّة وكوزٌ وكأس، فدخلت أترنّم ببعض الأصوات، وقلت له: ما بالُ

(١) هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز مولى بنى العباس، نشأ فى دار المهدى وتأدّب وكان لاعبا بالشطرنج مشغوفا به فلقب به لغلبته عليه، فلما مات المهدى انقطع الى علية ابنته. وله ترجمة فى الجزء التاسع عشر من الأغانى طبع بولاق. (٢) تنغم المغنى: طرّب فى الغناء.

(٣) غرغرت القدر: صاتت عند الغلى.

الستارة لستُ أسمع من ورائها صوتا ؟ فقال : اقعُد وَيْحَك ! إنى أصبحت على الذى ظننتَ، فأتانى خبرُ ضَيْعة تجاورنى، قد والله طلبتُها زمانًا وتمنّيتها فلم أملكها، وقد أُعطِىَ بها مائةُ ألف درهم؛ فقلت : وما يمنعك منها ؟ فو الله لقد أعطاك الله أضعافَ هذا المال وأكثر؛ قال : صدقتَ، ولكن لستُ أطيب نفْسا أن أُخرِج هذا المال؛ فقلت : فمن يُعطيك الساعةَ مائة ألف درهم ؟ والله ما أطمع فى ذلك من الرشيد، فكيف بمن دونه ! فقال : اجلس، خذ هذا الصوت، ونَقَر بقضيب معه على الدواة وألقى علىّ :

صـــوت

نام الخَلِيُّـون من هَمٍّ ومن سَقَمِ * وبِتُّ من كَثْرة الأحزان لم أنَمِ
يا طالبَ الجود والمعروفِ مُجتهِدًا * اِعْمِدْ ليحيى حليفِ الجود والكرمِ

— الشعر لأبى النضير(١)، والغناء لإبراهيم الموصلىّ ثقيل أوّل بالبنصر — قال : فأخذتُه فأحكمتُه، ثم قال لى : اِمض الساعةَ إلى باب الوزير يحيى بن خالد، فإنك تجد الناس عليه وتجد الباب قد فُتح ولم يجلس بعدُ، فآستأذِنْ عليه قبل أن يَصل إليه أحد، فإنه سيُنكِر عليك مجيئك ويقول : من أين أقبلتَ فى هذا الوقت ؟ فحدِّثه بقصدك إياى وما ألقيتُ إليك من خبر الضَّيْعة، وأعلِمْه أنى صنعتُ هذا

(١) ورد هذا الاسم فى حـ : «لأبى النضر» . وفى سائر الأصول : «لأبى بصير» ، وكلاهما تحريف عن «أبى النضير» . واسمه عمر بن عبد الملك البصرى مولى بنى جمح، شاعر من شعراء البصرة صالح المذهب ليس من المعمودين المتقدمين ولا من المولدين الساقطين، وكان يغنى بالبصرة على جوار له مولدات، ويظهر الخلاعة والمجون والفسق، ويعاشر جماعة ممن يعرف بذلك الشأن، وكان أبان اللاحق يعاشره ثم تصارما وهجاه وهجا جواريه وافترقا على قلى؛ ثم انقطع أبو النضير الى البرامكة فأغنوه الى أن مات . (راجع ترجمته فى الأغانى ج ١٠ ص ١٠٠ طبع بولاق) .

الصوت وأعجبنى ، ولم أرَ أحدًا يستحقه إلا فلانةَ جاريتَه ، وأنى ألقيتُه عليك حتى أحكمْتَه لتطرحَه عليها؛ فسيدعو بهـا ويأمر بالسِّتارة أن تُنْصَب ويُوضع له كرسىّ ويقول لك : أَطْرَحه عليها بحضرتى ، فافعل وأْتنى بالخبر بعد ذلك . قال : فجئتُ بابَ يحيى فوجدتُه كما وَصف ، وسألنى فأعلمتُـه ما أمرنى به ، ففعل كلَّ شىء قاله لى إبراهيم ، وأحضَر الجـارية فألقيتُه عليهـا ، ثم قال لى : تُقيم عنـدنا يا أبا المهنّأ أو تنصرف ؟ فقلت : أنصرف أطال الله بقاءَك فقد علمتَ ما أُذِن لنا فيه ، قال : يا غلام ، احمِلْ مع أبى المهنّأ عشرة آلاف درهم ، واحمِلْ إلى أبى إسحاق مائةَ ألف درهم ثمنَ هذه الضَّيْعة ، فحُمِلَتِ العشرةُ الآلاف الدرهم إلىّ ، وأتيتُ منزلى فقلت : أُسَرّ يومى هذا وأُسَرّ من عندى ، ومضى الرسول إليه بالمـال؛ فدخلتُ منزلى ونثرتُ على من عنـدى من الجوارِى دراهمَ من تلك البَـدْرة ، وتوسّدتُها وأكلتُ وشربت وطربت وسُررت يومى كلَّه ؛ فلمـا أصبحتُ قلتُ : والله لآتينّ أُستاذى ولأعرفنّ خبره ، فأتيتُه فوجدت البابَ كهيئته بالأمس ، ودخلتُ فوجدته على مثـل ما كان عليـه ، فترنّمت وطَربتُ فلم يتلقّ ذلك بمـا يجب ؛ فقلت له : ما الخبر ؟ ألم يأتك المـال ؟ قال : بلى ! فمـا كان خبرُكَ أنت بالأمس ؟ فأخبرته بمـا كان وُهب لى وقلت : ما ينتظر(١) من خلف الستارة ، فقال : ارفع السَّجْف فرفعتُه فإذا عشر(٢) بِدَرٍ؛ فقلت : وأىّ شىء بقى عليك فى أمر الضيعة؟ قال : وَيْحك! ماهو والله إلا أن دخلتْ منزلى حتى شَحَحْتُ عليها فصارت مثلَ ما حَويتُ قديمـا ؛ فقلت : سبحان الله العظيم ! فتصنع ماذا ! قال : قم حتى أُلقِيَ عليـك صوتًا صنعتُه يفـوق ذلك الصوت ؛ فقمتُ وجلستُ بين يديه ، فألْقى علىّ :

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « ما كان ينتظر من خلف السـتارة » وعبارة نهـاية الأرب (ج ٤ ص ٣٥٤ طبع دار الكتب المصرية) : « فأخبرته بما كان وقلت : ما تنتظر ؟ فقال : ارفع السجف ... الخ » . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «عشرة» بتأنيث العدد .

صـــوت

ويَفْرَح بالمـــولود من آل بَرْمَك ✽ بُغاةُ النَّدَى والسيفُ والرمحُ ذو النصلِ(١)
وتَنْبسط الآمالُ فيـــه لفضـــله ✽ ولا سيما إن كان من وَلَدِ الفَضْلِ

— الشعرُ لأبى النَّضِير(٢). والغناءُ لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن الهِشَامىّ، وذكر عمرو بن بانة أنه لإسحاق، وهو الصحيح . وفيه خفيف ثقيـلٍ ، أظنه لحنَ إبراهيم. أخبرنى إسماعيل بن يونس عن عمر بن شَـبّة عن إسحاق أن أباه صنع هذا الصوت فى طريقة خفيف الثقيـل وعَرَضه على الفَضْل، فآستحسنه وأمر مخارقا بإلقائه على جواريه فألقاه على مراقش وقَضِيبَ فأخذتاه عنـه — قال مُخارِق : فلما ألقى علىّ الصوتَ سمعت ما لم أسمع مثـلَه قطُّ، وصغُر عندى الأوّل فأحكمْتُه ؛ ثم قال : انهض الساعةَ إلى الفَضْـل بن يحيى، فإنك تجِـدُه لم يأذن لأحد بعـدُ، وهو يريد الخَلْوة مع جواريه اليوم، فآستأذنْ عليه وحدِّثه بحديثنا أمس، وما كان من أبيه إلينا و إليك. وأعلمه أنّى قد صنعتُ هذا الصوتَ وكان عندى أرفعَ منزلةً من الصوت الذى صنعتُــه بالأمس، وأنى ألقيته عليك حتى أحكمْتَه ووَجَّهْتُ بك قاصدًا لتلقيه على فلانةَ جاريتــه ؛ فصرتُ الى باب الفَضْـل فوجدتُ الأمر على ما ذكَر، فآستأذنتُ فوصلتُ، وسألنى : ما الخبر؟ فأعلمتُه بخَبَرى فى اليوم المـاضى وما وصل إلىّ واليه من المـال؛ فقال : أخزَى الله إبراهيمَ فمـا أبخلَه على نفسه! ؛ ثم دعا خادما فقال : اضرب السِّتارة فضربها ، فقال لى : ألْقِه ، فلمّا غنّيتُه لم أُتِمَّه حتى أقبـل يجُرّ مِطْرَفَه ، ثم قعـد على وِسادة دون السّـتارة، وقال : أحْسَنَ والله

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « بغاة الندى والسيف والرمح والنصل » وكذلك فى نهاية الأرب (ج ٤ ص ٣٥٤ طبع دار الكتب المصرية) والقافية فيـه مرفوعة ، وآخر البيت الثانى فيـه : «ولا سيما إن كان والده الفضل» .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٧٩ من هذا الجزء .

أستاذُك وأحسنتَ أنتَ يا مخارق ؛ فلم أخرج حتى أخذَتْه الجاريةُ وأحكمَتْه ، فسُرّ بذلك سرورا شديدا، وقال : أقِم عندى اليوم ؛ فقلت : يا سيدى إنما بقى لنا يومٌ ١٥ / ٥ واحد، ولولا أنّى أُحبّ سرورَك لم أخرج من منزلى؛ فقال : يا غلام آحمِل مع أبى المهنأ عشرين ألف درهم وآحمل إلى إبراهيم مائتى ألف درهم؛ فانصرفتُ إلى منزلى بالمــال ، ففتحتُ بَدْرة فنثرت منها على الجوارى وشربت وسُررت أنا ومن عندى يومَنا؛ فلما أصبحتُ بكَّرتُ إلى إبراهيمَ أتعَرَّف خبَره وأُعرِّفه خبَرى ، فوجدتُه على الحال التى كان عليها أوّلًا وآخرا، فدخلتُ أترنّم وأُصفّق؛ فقال لى : ادْنُ؛ فقلت : ما بقى؟ فقال : اجلس وآرفع سَجْف هذا الباب فإذا عشرون بَدْرة مع تلك العشر[1]؛ فقلت : ما تنتظر الآن؟ فقال : وَيْحَــك! ما هو والله إلا أن حصلتْ حتى جرتْ مجرى ما تقدّم؛ فقلتُ : والله ما أظن أحدا نال فى هــذه الدولة ما نلتَه! فلِمَ تَبخل على نفســك بشىء تمنّيتَه دهرًا وقد ملّكك اللهُ أضعافَه ! ثم قال : اجلس فخُــذ هذا الصوتَ، وألْقِ علىّ صوتًا أنسانى والله صوتَىَّ الأوّلَيْن :

صـــــوت

أفى كلّ يومٍ أنتَ صبٌّ وليــلةٍ * إلى أمّ بكـرٍ لا تُفيــق فتُقْصِرُ
أُحِبّ على الهِجران أكنافَ بيتِها * فيــا لَكَ من بيتٍ يُحَبّ ويُهْجَـرُ
إلى جعفرٍ سارت بنــا كلُّ جَسْرةٍ[2] * طَـواهَا سُراها نحـــوه والتهجُّر
الى واســعٍ للمُجتَدين فِنــاؤه * تَروح عطــاياه عليهــم وتَبْكُـر

— الشعر لمروانَ بن أبى حَفْصة يمدح به جعفر بن يحيى . والغناءُ لإبراهيم، ولم تقع الينا طريقتُه — قال مُخارِق : ثم قال لى إبراهيم : هل سمعتَ مثلَ هذا ؟

(١) كذا فى حـ ، وفى سائر الأصول : «مع تلك العشرة» بتأنيث العدد . (٢) كذا فى ط ، ء ونهاية الأرب (حـ ٤ ص ٥٥ ٣ طبع دار الكتب المصرية) والجسرة : الناقة العظيمة . وفى سائر الأصول : «حرة» .

فقلت : ماسمعتُ قطُّ مثلَه . فلم يَزَلْ يُرَدِّده علىّ حتى أخذتُه، ثم قال لى : اِمض إلى جعفر فأفعل به كما فعلتَ بأخيه وأبيه ؛ قال : فمضيتُ ففعلتُ مثل ذلك وخبّرته ما كان منهما وعرَضْتُ عليه الصوت، فسُر به ودعا خادما فأمره بضرب الستارة وأحضَر الجارية وقعد على كرسىّ، ثم قال : هاتِ يا مُخارِق ؛ فأندفعتُ فألقيتُ الصوتَ عليها حتى أخذَتْه؛ فقال : أحسنتَ والله يامُخارق وأحسن أستاذُك، فهل لك فى المُقام عندنا اليومَ ؟ فقلت : ياسيِّدى هذا آخر أيّامنا، وإنما جئتُ لموقع الصوت منّى حتى ألقيته على الجارية؛ فقال : يا غلام احمِل معه ثلاثين ألف درهم والى المَوصلىّ ثلثمائة ألف درهم؛ فصرتُ إلى منزلى بالمال، فأقمتُ ومن معى مسرورين نشرَبُ بقيّةَ يومنا ونطرَب، ثم بكّرتُ إلى إبراهيم فتلقّانى قائما وقال لى : أحسنتَ يامُخارق؛ فقلت : ما الخبر؟ فقال : اجلس فجلستُ، فقال لمن خلف الستارة: خذوا فيما أنتم فيه، ثم رفع السَّجْف فإذا المال؛ فقلت : ما خبر الضَّيْعة ؟ فأدخل يده تحت مِسورة(١) هو مُتّكئٌ عليها فقال : هذا صَكُّ الضيعة، سئل عن صاحبها فوُجِد ببغداد، فأشتراها منه يحيى بن خالد، وكتب إلىّ : قد علمتُ أنك لاتسخو نفسًا(٢) بشراء الضيعة من مال يحصُل لك ولو حِيزتْ لك الدّنيا كلُّها، وقد آبتعتُها لك من مالى ووجّهتُ لك بصَكّها؛ ووجّه إلىّ بصكها وهذا المال كما ترى؛ ثم بكى وقال لى: يامخارِق إذا عاشرتَ فعاشر مثل هؤلاء، وإذا خنكرت(٣) فخنكر لمثل هؤلاء؛

(١) المسورة: الوسادة من جلد. (٢) فى ط، ء : «لاتسخو نفسك». (٣) لعله يريد: اذا غنيت فغن لمثل هؤلاء، فقد ورد فى الأغانى (ج ١٧ ص ١٢٣ طبعة بولاق) فى تعنيف الفضل بن الربيع لحفيده عبد الله بن عباس على تعلمه الغناء : «... وفضحت آباءك فى قبورهم وسقطت الأبد الا من المغنين وطبقة الخيناكرين». وقال صاحب «كتاب الألفاظ الفارسية المعربة»، بعد أن أشار الى هذه القصة، : «هى جمع خيناكر ومعناه المغنى». وأخبرنا من لديهم معرفة باللغة الفارسية أن "الخيناكر" هو المغنى المضحك.

هذه سمّائة ألف وضَيْعةٌ بمائة ألف وستون ألفَ درهم لك، حصّلنا ذلك أجمعَ وأنا جالس فى مجلسى لم أبرح منه، فمتى يُدْرِكُ مثل هؤلاء !. ١٦/٥

طلب اليه موسى الهادى أن يغنيه وله حكمه

أخبرنى يحيى بن على بن يحيى قال أخبرنى أبى عن إسحاق قال :

كان موسى الهادى شَكِسَ الأخلاق صَعْبَ المِزاج(١)، من توقّاه وعرَف أخلاقه أعطاه ما أمّل ، ومن فتح فاه فاتّفق له أن يفتحه بغـير ما يهواه أقصاه واطّرحه ، فكان(٢) لا يحتجب عن نُدَمائه ولا عن المغنّين ، وكان يُكثر جوائزهم وصِلاتِهم ويُواتِرها(٣)؛ فتغنّى أبى عنـده يوماً؛ فقال له : ياإبراهيم غنّنى جِنْساً من الغناء ألَذّ به وأطْرَب له ولك حُكْمُك؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إن لم يقابلنى زُحَلُ ببَرْده رَجَوْتُ أن أُصيب مافى نفسك . قال : وكنت لا أراه يُصغى إلى شىء من الأغانى إصغاءه إلى النَّسيب والرَّقيق منه ، وكان مذهبُ ٱبن سُرَيْج عنده أحمدَ من مذهب مَعْبَد ، فغنّيتـــه(٤) :

وإنّى لتَعْـرونى لذِكراكِ هِزّةٌ(٥) * كما ٱنتفض العصفورُ بلّله القَطْرُ

فضرب بيده إلى جيبِ دُرّاعته(٦) فحطّها ذراعا، ثم قال: أحسنتَ والله! زِدْنى، فغنّيتُ:

فياحُبَّها زدنى جَوًى كلَّ ليـلةٍ * ويا سَلْوةَ الأيّام موعدُكِ الحشرُ

---

(١) كذا فى حـ ، م . وفى سائر الأصول : «المرام» . (٢) لعله : «وكان» بالواو . (٣) واتر الصلات وغيرها : جعل بعضها يتبع بعضا . (٤) فى ب ، سـ : « فغنيته قوله » بزيادة كلمة « قوله » ، ولعلها زيدت سهوا من الطابع . (٥) كذا فى هامش حـ ، والأمالى (حـ ١ ص ١٤٩ طبع دار الكتب المصرية) ، وهى الرواية المشهورة فى هذا البيت والتى تلائم الشطر الثانى وما فيه من تشبيه . وفى جميع الأصول : «فترة» . والفترة : الضعف . (٦) الدراعة : جبة مشقوقة المقدم . وجيبها : طوقها .

فضرب بيده إلى ذُراعته فخطّها ذراعا آخر أو نحوه، وقال: زِدْنى وَيْلَك! أحسنتَ والله، ووجب حكمُك يا إبراهيم؛ فغنّيت:

هجرتُك حتى قِيل لا يعرف الهَوى * وزُرتُك حتى قيل ليس له صَبْرُ

ورفع صوتَه وقال: أحسنتَ، لله أبوك[1]! هات ما تريد؛ قلت: يا سيّدى، عَيْن مروانَ بالمدينة؛ فدارتْ عيناه فى رأسه حتى صارتا كأنهما جمرتان، وقال: يابن اللَّخْناء أردتَ أن تَشْهَرنى بهذا المجلس فيقول الناس: أَطْرَبه فحكّمه، فتجعلنى سَمَرا وحديثا! يا إبراهيم الحَرّانى: خُذْ بيد هذا الجاهل إذا قمتُ، فأَدْخِله فى بيت مال الخاصّة، فإن أخذ كلَّ ما فيه فخَلّه وإيّاه؛ فدخلتُ فأخذت خمسين ألفَ دينار.

نسبة هذا الصوت

صوت

عَجِبتُ لسعيِ الدّهرِ بيني وبينها * فلما آنقضَى ما بيننا سَكَن الدهرُ
فيا حُبَّها زِدْنِي جَوًى كلَّ ليلة * ويا سَلْوةَ الأيّامِ موعدُك الحَشْر
ويا هجرَ ليلى قد بلغتَ بي المَدَى * وزِدتَ على ما ليس يبلُغه الهجر
وإنى لَتعْرونى لذكراكِ هِزّةٌ * كما آنتفض العصفور بلّله القَطر
هجرتُك حتى قيل لا يَعرف الهوى * وزُرْتُك حتى قيل ليس له صبر
أمَا والذى أَبْكى وأضحك والذى * أمات وأحيا والذى أَمْرُه أمْر
لقد تركتنى أحسُد الوحشَ أنْ أرى * أَلِيفَيْن منها لا يروعهما الذُّعْر[2]

— الشعر لأبى صخرٍ الهُذَلىّ. والغناء لمَعْبَد، وأوّل لحنه "ويا هجرَ ليلى" وبعده الثانى ثم الأوّل من الأبيات ثانى ثقيل بالبنصر عن عمرو. ولأبن سُرَيْج فى السادس

(١) فى حـ: «لله درك».
(٢) كذا فى ب، سـ. وفى سائر الأصول: «النفر».

والسابع والرابع والخامس ثقيـلٌ أوّلُ عن الهشامىّ . ولعَرِيبَ فى السادس والسابع والرابع والخامس ثقيلٌ أوّلُ أيضا ، وللواثق فيها رَمَل، وهو ممـا صنعه الواثق قبلها فعارضَتْه بلحنهـا . وقد نَسَب قومٌ لحنَ مَعْبد إلى آبن سُرَيج ولحنَ ابن سريج إلى معبد . ١٧/٥

اشترى جارية لجعفر بن يحيى فاستكثر ثمنها فأجابه

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

اشترى جدّك إبراهيمُ لجعفر بن يحيى جارية مغنّية بمـال عظيم، فقال جعفر : أىّ شىء تُحسن هـذه الجاريةُ حتى بلغتَ بهـا هذا المـالَ كلَّه؟ قال : لو لم تُحسن شيئا إلا أنها تَحْكى قولى :

* لِمَنِ الدّيارُ بِبُرْقَةِ الرَّوْحَانِ[1] *

لكانت تساويه و زيادةً ؛ فضحك جعفر وقال : أفرطتَ !

نســبة هذا الصوت

صـــوت

لمنِ الديارُ ببُرْقَةِ الرَّوْحَانِ * إذ لا نبيــعُ زمانَنـا بزمانِ
صـدَعَ الغوانى إذ رَمَيْن فؤادَه * صَـدْعَ الزُّجاجة ما لذاك تَدَانِ
إن زرتُ أهلَكِ لم أُنَوَّلْ حاجةً * وإذا هجرتِكِ شَـفَّنى هِجْرانى

الغناء لمَعْبد، فيما ذكره الهشامىّ وأحمد بن المكىّ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى، ونَسَبه غيرُهما إلى حُنَين، وقال آخرون : إنه للغَـرِيض، وذكر حَبَش أنه ليَزِيد حَوْراء . وفيه لإبراهيمَ خفيفُ رملٍ بالبنصر .

(١) برقة الروحان : روضة باليمامة تنبت الرمث (وهو شجر يشبه الغضى) .

عدد أصواته

أخبرنى الحُسين عن حمّاد قال قال لى أبى :

صنَع جدُّك تِسعَمائةِ صوتٍ، منها دِيناريّة ، ومنها دِرْهَميّة، ومنهما فَلْسيّة، وما رأيت أكثرَ من صنعته؛ فأمّا ثلثُمائةٍ منها فإنه تقدّم الناسَ جميعا فيها، وأمّا ثلثُمائةٍ، فشاركوه وشاركهم فيها ، وأمّا الثلثُمائة الباقية، فلَعِبٌ وطَرَب؛ قال : ثم أسقط أبى الثلثَمائةَ الآخرةَ بعد ذلك من غناء أبيه، فكان إذا سُئل عن صنعة أبيه قال : هى سِتُّمائة صوت .

وقال أحمد بن حَمْدون قال لى إسحاق : من غناء أبى الذى أكرهه وأستزريه صوتُه فى شعر العبّاس بن الأحنف :

* أبْكِي ومثلى بكى من حُبّ جاريةٍ *

فما أعلم له فيه معنًى إلا آستحسانَه للشعر، فإن العباس أحسن فيه جدّا .

نسبة هذا الصوت

صوت

أبكى ومثلى بكى من حُبّ جاريةٍ * لم يَخْلُقِ الله لى فى قلبها لِينَا

هل تذكرين وُقوفى عند بابكُمُ * نصفَ النهار وأهلُ الدار لاهُونا

الشعر للعبّاس بن الأحنف، والغناء لإبراهيم خفيفُ رملٍ بالوسطى .

سئل ابنه إسحاق عن طعنه على أبيه فى صوت له فأجاب

أخبرنى جَحْظة قال أخبرنى حمّاد بن إسحاق قال :

قال رجل لأبى : أخْبِرنى عنكْ، لِمَ طعنتَ على أبيك فى صنعته :

قال لى فيها عَتِيقٌ مقالاً * فجرتْ مما يقول الدموعُ

قال : لأنه تعرّض لآبن عائشةَ وله فى هذا الشعر صنعةٌ ، وآبن عائشة ممن لا يُعارَض فلم يقارِبه ، وعلى أن صنعة أبى من جَيّد الغناء لو كان صنَعها فى غيرهذا الشعر، ولكنها آقترنتْ بصنعة آبن عائشة فلم تقاربْها، فسقط عندى لذلك .

نسبة هـــذا الصوت

صـــــوت

قال لى فيهـا عَتِيقٌ مقالًا * فجَرتْ ممّـا يقول الدموعُ
قال لى وَدِّعْ سُلَيمى ودَعْها * فأجاب القلبُ لا أسـتطيع

الشعرُ لعمر بن أبى ربيعة . والغناءُ لمَعْبد ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو، وقيل: إنه لآبن عائشــة . وفيه ثانى ثقيلٍ يُنْسَب إلى الهُذَلىّ . وفيه خفيفُ ثقيلٍ يُنسب إلى آبن عائشة وإلى إبراهيم .

قصتـه بالرىّ مع جارية من تلميذاته

أخبرنى الحسن بن علىّ قال أخبرنى عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثنى محمد بن(1) عبد الله بن مالك قال حدّثنى إسحاق عن أبيه قال :

دخلتُ الرَّىّ(2) فكنتُ آلَفُ فِتْيانًا من أهل النِّعم بها وهم لا يعرفوننى، فطال ذلك علىّ إلى أن دعانى أحدهم ليلةً إلى منزله فبِتُّ عنده، فأخرج جاريةً له ومدّ لها ستارةً فتغنّتْ خَلْفَها ، فرأيتُهـا صالحةَ الأداء كثيرةَ الرواية ، فشوّقتْنى إلى العراق وذكّرتْنى أيّامى بها، فدعوتُ بعُود، فلما جىء به آندفعتُ فغنّيتُ صوتى فى شعرى :

أنا بالرَّىّ مُقـــيم * فى قُرَى الرَّىّ أَهِيمُ

وقد كنتُ صنعتُ هــذا اللحن قديما بالرّىّ؛ فخرجت الجـارية من وراء السّــتارة مُبادِرةً إلىّ، فأكبّتْ على رأسى وقالت : أستاذى والله! ؛ فقال لها مولاها : أىّ أُستاذِيك هذا ؟ قالت : إبراهيم الموصلىّ؛ فإذا هى إحدى الجوارى اللّاتى أخذْن

(1) كذا فى ط ، ء هنا وفيما سيأتى فى جميع الأصول فى أكثر من موضع . وفى سائر الأصول هنا : « محمد بن عبد الملك» وهو تحريف . (2) الرىّ : مدينــة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات ، وهى محط الحاج على طريق السابلة ، وقصبة بلاد الجبال ، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخا . (راجع معجم ياقوت فى كلامه عليها) .

عنّي وطال العهدُ بها ؛ فأكرمني مولاها وبرّني وخلع عليّ ، فأقمت مدّة بعد ذلك بالرّيّ وانتشر خبري بها ، ثم كتب بحملي إلى والي البلد فأُشخصتُ .

أرسل وهو في الحبس شعرا لبعض إخوانه فلما وقف عليه المهدى رق له وأطلقه

أخبرني الحسن قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو توبة صالح ابن محمد قال حدّثني القطرانيّ عن محمد بن جبر عن يحيى المكّيّ قال :

كنّا يومًا بين يدي المهديّ وقد حبس إبراهيم الموصليّ وضربه وأمر بأن يُلبَس جُبّة صوف ، وكان يخرج على تلك الحال فيطرح على الجواري ؛ فكتب إلينا ذات يوم ، ونحن مُصطبحون وقد جادت(1) السماءُ بمطرٍ صيّف(2) ، وبحضرتنا شيء من ورد مُبكّر :

ألا مَن مُبلغٌ قومًا * مِن اخواني وجيراني

هنيئا لكمُ الشُّربُ * على وَرْدٍ وتَهْتانِ(3)

وأني مُفْرَدٌ وحدي * بأشجاني وأحزاني

فمَن جفّ له جفنٌ * فجفناي يَسيلانِ

قال : فوقف المهديُّ على رقعته وقرأها فرقّ له وأمر بطلبه في الوقت ، ثم أطلقه بعدُ بأيام .

شغف بجارية لعلىّ اليمانى وقال فيها شعرا

أخبرني الحسن قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني ابن المكّيّ عن أبيه قال :

كانت لعليّ اليمانيّ جارية مغنية ، فهويها إبراهيم واستُهيم بها زمانا ، وقال فيها :

---

(1) في الأصول : «جاءت» . (2) الصيف (بتشديد الياء) : المطر الذي يجيء في الصيف ، واحده صيّفة (بتشديد الياء) ، يقال : أصابتنا صيّفة غزيرة أي مطرة غزيرة في الصيف .

(3) هتنت السماء (من باب ضرب) هتنا وهتونا وهتانا وتهتانا : انصبت .

صـــــوت

كنتُ حُرًّا فصرتُ عبدَ اليمانى * من هوَى شادنٍ هواه برانى

وهو نِصْفان من قضيبٍ ودِعْصٍ(١) * زانَ صـــدرَ القضيبِ رُمّانتان

١٩/٥

اللحنُ لإبراهيمَ فى هذين البيتين ثانى ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو . وقد زعَم قوم أن الشعر للحسين(٢) بن الضّحاك .

نصح ابنه إسحاق بعض آل نهيك فى الغناء، فلامه فلما عرف هو أدب النهيكى غنى به

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق قال :

كان بعض أهل نَهِيك(٣) قد تعاطى الغناء، فلمّا ظنّ أنه قد أحكمه شاورنى وأبى حاضرٌ، فقلتُ له : إن قَبِلتَ منّى فلا تُغنّ فلستَ فيه كما أرضى؛ فصاح أبى علىّ صيحةً شديدةً ثم قال لى : وما يُدريك يا صبىّ ! ثم أقبل على الرجل فقال : أنت ياحبيبى بضدّ ما قال، وإن لَزِمتَ الصّناعةَ برعتَ فيها ؛ فلمّا خلا بى قال لى : يا أحمق ! ما عليك أن يُخزِى الله مائة ألف مثل هذا ! هؤلاء أغنياء ملوك، وهم يُعيّروننا بالغناء، فدعهم يتهتّكوا به ويُعيَّروا ويَفتضحوا ويحتاجوا إلينا فننتفع بهم، ويَبين فضلُنا لدى الناس بأمثالهم . قال : ولَزِمه النَّهِيكىّ يأخذ عنه ويَبَرّه فيُجزل ، فكان إذا غنّى فأحسن قال له : بارك الله فيك، وإذا أساء قال : بارك الله عليك؛ وكثُر ذلك منه حتى عرَف النَّهيكىّ معناه فيه، فغنّى يومًا وأبى ساهٍ عنه فسكتَ ولم يقل له شيئا؛ فقال له : جُعلت فداك، يا أستاذى، أهذا الصوت من أصوات "فيك"

---

(١) الدعص (بالكسر) : كثيب الرمل . (٢) كذا فى ط، ء . وقد أورد له أبو الفرج ترجمة فى (ج ٦ ص ١٧٠ طبع بولاق) . وفى سائر الأصول : «للحسن»، وهو تحريف . (٣) لعله من أسرة عثمان بن نهيك أحد قوّاد المنصور والذى كلفه المنصور قتل أبى مسلم الخراسانى حين يدخل عليه .

أم "عليك"؟ فضحك أبى ولم يكن علم أنه قد فطن لقوله (١)، ثم قال له : والله لأقبلن عليك حتى تصير كما تشتهى ، فإنك ظريف أديب ؛ وعُنِى به حتى حَسُن غناؤه وتقدّم . وفيه يقول أبى :

أوجب اللهُ لك الحقَّ على مثلى بظَرْفك
لن ترانى بعد هذا * ناطقًا إلّا بوصفك
وترى القوّةَ فيما * تشتهيه بعد ضعفك

احتكم اليه مخارق وإسحاق فحكم لإسحاق

أخبرنى إسماعيل قال حدّثنى عُمر بن شَبّة عن إسحاق، أخبرنى به الصُّولىّ عن عَوْن بن محمد عن إسحاق قال :

غنّى مُخَارِقٌ بين يدَي الرشيد صوتًا فأخطأ فى قِسْمته؛ فقلت له : أعِدْ فأعاده، وكان الخطأ خفيًا، فقلت للرشيد : يا سيّدى ، قد أخطأ فيه؛ فقال لإبراهيم بن المهدىّ : ما تقول فيما ذكره إسحاق ؟ قال : ليس الأمرُ كما قال ، ولا هاهنا خطأ؛ فقلتُ له : أترضى بأبى ؟ قال : إى والله، وكان أبى فى بقاياه علّة ؛ فأمر الرشيدُ بإحضاره ولو محمولا، فجىء به فى مِحَفّة، فقال لمُخَارِق: أعِدِ الصوتَ، فأعاده؛ فقال: ما عندك يا إبراهيم فى هذا الصوت ؟ فقال : قد أخطأ فيه؛ فقال له : هكذا قال ابنك إسحاق ، وذكر أخى إبراهيم أنه صحيح ؛ فنظر إلىّ ثم قال : هاتوا دواةً ، فأُتِى بها وكتب شيئا لم يَقِف عليه أحد ثم قطعه ووَضعه بين يدى الرشيد، وقال لى : اكتُب بذكر الموضع الفاسد من قِسْمة هذا الصوت ، فكتبتَه وألقيتُه فقرأه وسُرّ، وقام فألقاه بين يدى الرشيد، فإذا الذى قلناه جميعا متفق؛ فضحك وعجب، ولم يَبْق

(١) كذا فى حـ . وفى أ ، م : « ولم يكن علم الله أنه ... الخ » . وفى سائر الأصول : «ولم يكن علم أبى أنه ... الخ » .

أحدٌ فى المجلس إلا قرّظ وأثْنَى و وصَف، ولا أحدٌ خالَف إلّا تَجِل وذَلّ وأذْعن .

وقال أبى فى ذلك :

ليت من لا يُحسن العلـ * ـمَ كفانا شَرَّ عِلْمِـه

فأخْـبِرُ الحقَّ ابتـداءً * وقِس العـلْمَ بفهمـه

طَيِّبُ الرَّيْحان لا تعـ * ـرفـه إلا بشَـمّه

حديث بين ابنه إسحاق والرشيد فى المال الذى أخذه هو من الرشيد

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى هِبَةُ الله ، وحدّثنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد ابن إسحاق عن أبيه قال : ٢٠/٥

غنّى أبى يوما بحضرة الرشيد :

سَلِى هل قَلانِى من عَشيرٍ صَحِبتُه * وهل ذَمّ رَحْلى فى الرِّفاق رفيقُ

فطرِب وآستعاده وأمر له بعشرين ألفَ درهم ، فلمّا كان بعد سنين[(١)] ، خطر ببالى ذلك الصوتُ وذكرتُ قصّته ، فغنّيتُه إياه ؛ فطرِب وشرِب ، ثم قال لى : يا إسحاق ، كأنى فى نفسك ذكرتَ حديثَ أبيك وأنّى أعطيتُه ألف دينار على هذا الصوت فطمِعتَ فى الجائزة ! ؛ فضحكتُ ثم قلت : والله يا سيِّدى ما أخطأتَ ؛ فقال : قد أخذ ثمنَه أبوك مرّةً فلا تطمع ؛ فعجبتُ من قوله ، ثم قلت : ياسيِّدى ، قد أخذ أبى منك أكثر من مائتَىْ[(٢)] ألفِ دينار ما رأيتُك ذكرتَ منها غيرَ هذا الألف على بَخْتى[(٣)] أنا ؛ فقال : وَيْحَك ! أكثر من مائتَى[(٢)] ألف دينار؟! قلت : إى والله ! ؛ فوجَم وقال : أستغفر الله من ذلك ، وَيْحَك! فما الذى خلّف منها ؟ قلت : خلّف

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «سنتين» . (٢) فى م : «مائة ألف دينار» .

(٣) قال صاحب المصباح : البخت : الحظ وزنا ومعنى وهو أعجمىّ ومن هنا توقف بعضهم فى كون البخت التى هى أصل البخاتى (أى الإبل) عربية . وفى الصحاح والقاموس وشرحه : أنه معرّب أو مولد . وفى شفاء الغليل واللسان : أن العرب تكلمت به . وقال الأزهرىّ : لا أدرى أعربىّ هو أم لا .

عليّ ديونًا مبلغها خمسةُ آلاف دينار قضيتُها عنه؛ فقال: ما أدرى أيّنا أشدُّ تضييعا! والله المستعان .

نسبة هــذا الصوت

صــــوت

سَلِي هل قلانى مِنْ عَشيرٍ صَحِبتُه * وهــل ذمّ رَحْلى فى الرِّفاق رفيقُ
وهل يَجتوِى القومُ الكرامُ صَحابتى * إذا اغبرّ مَخْشِىٌّ الفِجاجِ عَميـقُ[1]
ولو تَعلمِـين الغيبَ أيقنتِ أنّنى * لـكُم والهَدايا المُشْعَراتِ[2] صديقُ

الشعر يُنسب الى مُضَرِّس بن قُرْط[3] الهِلالىّ وإلى قَيْس بن ذَرِيح، وفيـه بيت يقال: إنه لجَرير . والغناء مختلطٌ فى أشعار الثلاثة المذكورين، ونِسْبتُه تأتى فى أخبار قيس بن ذَرِيح، إلا أن الغناء فى هـذه الثلاثة الأبيات لمَعْبَـد ثقيلٌ أوّل بالخنصر فى[4] مجرى البنصر عن إسحاق .

رأى وهـو فى سرداب له سنورتين تغنيان فحفظ الصوت

أخبرنى عمّى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سَـعْد قال حدّثتنى نَشْوة الأُشْنانية[5] قالت أخبرنى أبو عثمان يحيى المكىّ قال :

تشوّق يومًا إبراهيمُ الموصلىّ إلى سرداب له، وكانت فيـه بِرْكة ماء تدخل من موضع إليه وتخرج إلى بستان، فقال : أشتهى أن أشربَ يومى وأبيتَ ليلتى فى هذا

---

(١) كذا فى ط ، ء، وهو الموافق لما جاء فى الأمالى (ج ٢ ص ٢٥٧ طبع دار الكتب المصرية). وفى سائر الأصول : «مخشىّ العجاج عميق» . (٢) الهدايا : ما يهدى الى البيت الحرام من النعم لتنحر . والمشعرات : المعلمات بعلامة يعرف بها أنها هدى . (٣) كذا فى ط ، ء والأمالى . وفى سائر الأصول : «قرظة» وهو تحريف . (٤) كذا فى ط ، ء ، م . وفى سائر الأصول : «ثقيل أول بالخنصر ومجرى البنصر» . (٥) فى ط ، ء : «نشو الأشناسية» .

السرداب ففعل ذلك، فبينا هو نائم فى نصف الليل فإذا سنّورتان(١) قد نزلتا من درجة السّرداب، بيضاء وسوداء، فقالت إحداهما : أتراه نائما(٢) ؟ فقالت السوداء : هو نائم ؛ فاندفعت السوداءُ فغنّت بأحسن صوت :

عفـا مُزْج(٣) إلى لَصَقٍ(٤) * إلى الهضبات من هَكِر(٥)
إلى قاع النَّقِــير(٦) إلى * قرار حِلَال(٧) ذى حدر(٨)

قال : فمات إبراهيمُ فرحًا وقال : ياليتهما أعاداه! فأعاداه مرارا حتى أخذه، ثم تحرّك فقامت السّنّورتان، وسمع إحداهما تقول للأخرى : والله لا طَرَحه على أحد إلا جُنّ، فطرحه من غدٍ على جارية له فجُنّت .

نسبة هذا الصوت

٢١/٥ الغناء فيه لمـالكٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن يحيى المكّىّ وعَمْرو بن بَانَةَ .

طلب من المفضل ابن يحيى مالا لحصل له عليه ممن قضى حوائجهم

أخبرنى الحسن بن علىّ وعمّى قالا حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثنى أبو محمد إسحاق بن إبراهيم عن أبيه قال :

---

(١) السنورة : الهرّة .   (٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب، س : «نرى نائما» .
(٣) كذا فى أكثر الأصول . ومزج (بالضم ثم السكون) : ماء بينه وبين المدينة ثلاثون فرسخا أو نحوها . وفى ب، حـ، س : «مرح» (بالحاء المهملة)، وهو تصحيف .   (٤) كذا فى جميع الأصول، ولم نعثر على هــذا الاسم فى المراجع التى بين أيدينا . ولعله مصحف عن «لصف» (بالفاء)، وهو بركة غربىّ طريق مكة بين المغيثة والعقبة على ثلاثة أميال من صبيب غربىّ واقصــة . (راجع معجم البلدان لياقوت والقاموس وشرحه فى «لصف») .   (٥) هكر (بفتح أوّله وكسر ثانيه وراء مهملة) : موضع على نحو أربعين ميلا من المدينة .   (٦) كذا فى ط، ء . والنقير (بفتح أوله وكسر ثانيــه) : موضع بين هجر والبصرة . وفى سائر الأصول : «البقير» بالباء الموحدة، ولم نعثر عليه فى المراجع التى بين أيدينا .   (٧) حلال (بكسر الحاء وتخفيف اللام) : من نواحى اليمن .   (٨) كذا فى ط، ء . والحــدر (بالدال المهملة) : ما انحدر من الأرض وهو الصبب . وفى سائر الأصول : «ذى حذر» بالذال المعجمة، وهو تصحيف .

أتيتُ الفضلَ بن يحيى يومًا، فقلت له : ياأبا العبّاس، جُعِلتُ فداك! هَبْ لى دراهمَ فإنّ الخليفة قد حبَس يدَه؛ فقال : وَيْحَك يا أبا إسحاق! ما عندى مال أرضاه لك، ثم قال : هَاه! إلّا أن هاهنا خَصْلةً (١) أتانا رسولُ صاحب اليمن فقضينا حوائجَه، ووجّه إلينا بخمسين ألف دينار يشترى لنا بها محبّتنا؛ فما فعلتْ ضِياءُ جاريتُك؟ قلتُ: عندى، جُعِلت فداك!؛ قال : فهو ذا، أقول لهم يشترونها منك فلا تَنْقُصْها من خمسين ألف دينار؛ فقبّلتُ رأسه ثم آنصرفتُ؛ فبكّر علىّ رسول صاحب اليمن ومعه صديقٌ لى، فقال : جاريتُك فلانةُ عندَك؟ فقلت : عندى؛ فقال : اعرِضْها علىّ، فأخرجتُها؛ قال : بكم؟ قلت: بخمسين ألفَ دينار ولا أنقُص منها دينارًا واحدا، وقد أعطانى بها الفضلُ بن يحيى أمسِ هذه العطيّة؛ فقال لى : أُريدها له؛ فقلت له : أنت أعلم، إذا آشتريتَها فصيّرها لمن شئت؛ فقال لى : هل لك فى ثلاثين ألفَ دينار مُسَلَّمة لك؟ قال: وكان شراء الجارية على أربعمائة دينار، فلما وقع فى أذنى ذِكْرُ ثلاثين ألفا أُرْتِج علىّ ولحقنى زَمَعٌ (٢)، وأشار علىّ صديقى الذى معه بالبيع، وخفتُ والله أن يحدُث بالجارية حَدَثٌ أو بى أو بالفضل بن يحيى، فسلّمتُها وأخذتُ المال؛ ثم بكّرتُ على الفضل بن يحيى، فإذا هو جالس وحدَه؛ فلما نظر إلىّ ضحِك، ثم قال لى : يا ضَيِّق الحَوْصَلة (٣)! حرَمتَ نفسك عشرين ألفَ دينار؛ فقلت له : جُعِلتُ فداك، دَعْ ذا عنك، فوالله لقد دخلنى شيء أعجَز عن وصفه وخفت أن تَحدُث بى حادثة أو بالجارية أو بالمشترى أو بك، أعاذك الله من

---

(١) كذا فى الأصول. وظاهر سياق الكلام يقتضى أن يكون المراد مخرجا أو فرصة ونحو ذلك. فلعل كلمة «خصلة» محرّفة عما يؤدّى هذا المعنى. (٢) الزمع (بالتحريك): شبه رعدة تأخذ الإنسان.

(٣) ضيق الحوصلة هنا كناية عن التسرّع وشدّة الحرص. وفى كتاب ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه أن ضيق الحوصلة يكنى به عن البخل.

كل سوء ، فبادرتُ بقبـول الثلاثين ألف دينـار ؛ فقال : لا ضَـيْر، ياغلام جئْ بالجارية، فجاء بجاريتى بعينها ؛ فقال : خُذْها مبارَكًا لك فيها ، فإنمـا أردنا منفعتك ولم نُرِدِ الجارية ؛ فلمـا نهضتُ(١)، قال لى : مكانَك، إنّ صاحب إرمينِيَة قد جاءنا فقضيْنا حوائجه ونفّذْنا كُتُبَه ، وذكر أنه قد جاءنا بثلاثين ألف دينار يشترى لنا بها ما نُحِبّ، فاْعرض عليه جاريتَك هذه ولا تَنْقُصها من ثلاثين ألف دينار، فانصرفتُ بالجارية وبكَّر إلىّ رسول صاحب إرْمِينِيَة ومعه صديقٌ لى آخر، فقاوَلَنى بالجارية، فقلتُ : لستُ أَنقصها من ثلاثين ألف دينار ؛ فقال لى : معى على الباب عشرون ألف دينار تأخذها مُسلَّمة ، بارك الله لك فيها ؛ فدخلنى والله مثلُ الذى دخلنى فى المرّة الأولى وخفت مثـلَ خوفى الأوّل ، فسلّمتُها وأخذتُ المـال ، وبكّرت على الفضل ابن يحيى فإذا هو وحدَه ؛ فلما رآنى ضحك وضرب برجله الأرض وقال : ويحك ! حَرَمتَ نفسـك عشرةَ آلاف دينار ؛ فقلت : أصلحك الله ، خِفتُ والله ما خفتُ فى المرّة الأولى ؛ قال : لا ضَيْر ، أَخرِجْ ياغلام جاريتَه ؛ فجاء بجاريتى بعينها ، فقال : خذها ، ما أردناها ولا أردنا إلا منفعتك(٢) ؛ فلما ولّتِ الجارية صِحْتُ بهـا : اِرجعى فرجعتْ ؛ فقلت : أُشهدكَ ، جُعلت فِداك ، أنهـا حُرّة لوجه الله وأنى قد تزوّجتها على عشرة آلاف درهم ، كَسَبتْ لى فى يومين خمسـين ألف دينار ، فمـا جزاؤها ٢٢ / ٥ إلا هذا ؛ فقال : وُفّقتَ إن شاء الله .

سمع أحد الخمارين غناءه فبهت

أخبرنى الحسن بن علىّ قال أخبرنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثنى إسحاق قال قال لى أبى :

---

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « ذهبت لأقوم » .

(٢) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « ما أردنا إلا منفعتك » .

كنت فى شبابى أُلازم أصحابَ قُطْرُبُّل(١) و بارِى(٢) و بِنَّى(٣) وما أشبه هـذه المنازل(٤)، فأتخذ فيهم الخَمّارَ اللطيفَ، يحسبونى بالشراب الجيّد ويَخْبَؤُه(٥) لى، فجئت إلى بارِى يومًا فلقِيَنى خَمّارِى، فقال لى : يا أبا إسحاق عنـدى شيء من بَابَتِك(٦)، وقد كنت عملتُ لحْنِى هذا :

صـــوت

اشرَبِ الرّاح وكُنْ فى * شُرْبك الرّاحَ وَقُـورَا
فاشرِبِ الرّاح رَوَاحًا * وظـلامًا و بُـكورا

— الشعر والغناء لإبراهيمَ خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة فى مجرى الوسطى(٧). وفيه لمنصور زَلْزَل الضاربِ خفيفُ رَمَلٍ عن حَبَش — قال : فدخلتُ بيته وبَزَلْتُ(٨) دَنَّه وجعلتُ أُرجِّع الصوتَ؛ فبُهِت ينظر إلىّ والنبيذُ يجرى حتى آمتلأ الإناء وفاض؛ فقلت له : وَيْحَك! شرابُك قد فاض؛ فقال : دَعْنى من شرابى، بالله مات لك إنسان فى هذه الأيام ؟ فقلت : لا ؛ قال : فما بال حَلْقِك هذا حزينا(٩) ؟ .

---

(١) قطربل (بضم أوّله و إسكان ثانيه وضم الراء المهملة أو فتحها، وتشديد الباء المضمومة، و يروى بفتح أوّله وطائه) : قرية بين بغداد وعكبرا تنسب اليها الخمر، كانت متنزها للبطالين وحانة للخمارين وقد أكثر الشعراء من ذكرها . (راجع معجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى) . (٢) بارى (بكسر الراء) : قرية من أعمال كلواذى من نواحى بغداد، كانت بها بساتين ومتنزهات، يقصدها أهل البطالة . (٣) بنّى (بكسر أوّله وتشديد ثانيه والقصر) : قرية على شاطئ دجلة من نواحى بغداد بينهما نحو فرسخين، وهى تحت كلواذى، وكانت فى بغداد قريتان تسميان بهذا الاسم . و إحداهما أراد أبو نواس حين قال :

ما أبعد الرشد من قلب تضمنه * قطربل فقـرى بنّى فكلواذى

(انظر معجم البلدان لياقوت). (٤) فى ط، ء : «المواخير». (٥) كذا فى ط، ء، م . وفى باقى الأصول : « فيجيئنى » . (٦) البابة : الوجه والمذهب . وفى اللسان : «يقال : هذا شىء من بابتك أى يصلح لك» . (٧) فى ط، ء : «فى مجرى البنصر» . (٨) بزل الدنّ : ثقبه ليسيل ما به من خمر. (٩) فى ب، س : « زين» بدون ألف فى آخره . وفى سائر الأصول : « حزين حزين » مكرّرا .

ألقى على مخارق صوتا فلما أخذه بكى ومدحه

أخبرنى الحسن بن على قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن عمّه طيّاب بن إبراهيم قال :

دخلتُ على أبى يومًا وعنده مُخارِق وأبى يُلْقِى عليه هذا الصوتَ :

صـــــوت

طَـــرِبتَ وأنت مَعْـــنِيٌّ كئيبُ * وقد يَشتاق ذو الحَزَن الغريبُ
وشاقَـــك بالمُوَقَّـــر[1] أهـــلُ خاخٍ[2] * فلا أَمَمٌ هنـاكَ ولا قـــريبُ
وكم لك دونهـا من عُرْض أرض * كأنّ سَرابَها الجـارى سَبيب
لَعَمْـــرُكِ إنّـــنى برَقِـــيم قَيْس[3] * وجارةِ أهلِها لأنا الحَـــرِيبُ

— الشعر للأحوص ، والغناء لإبراهيمَ ماخُورِىٌّ بالبنصر عن عمرو — قال : فلمـا أخذه مخارق جعل أبى يبكى ، ثم قال له : يا مخارق ، نِعمَ وسيلة[4] إبليس أنت فى الأرض، أنت والله بعدى صاحب اللّواء فى هذا الشأن .

---

(١) الموقر : اسم موضع من عمـل البلقاء بنواحى دمشق . ثم قال البكرىّ فى معجم ما استعجم : « وفى شعر الأحوص ما ينبئك أن الموقر من شق اليمن قال :

ألا طـرقتنا بالموقـــر شـنفر * ومن دون مسراها فديد وعزوور
بواد يمانٍ ناز جل نبتـه * غضاوأراك ينضح الماءأخضر »

(٢) خاخ : موضع بين الحرمين ، ويقال له : روضة خاخ بالقرب من حمراء الأسد بالمدينة .

(٣) لم نوفق الى « رقيم قيس » فى المراجع التى بين أيدينـا ، والموجود « الرقيم » بدون إضافة ، وهو موضع بقرب البلقاء من أطراف الشام ، كان ينزله يزيد بن عبد الملك . فلعل رقيم قيس هو هذا الرقيم . و يرجح هذا أن الشعر هنا يدل على أن « رقيم قيس » قريب من « الموقر » الذى هو بجهة البلقاء . وقد ورد « الرقيم » مع « الموقر » هذا فى شعر كثيِّر يمدح يزيد بن عبد الملك :

يزرن على تنائيـه يزيدا * بأكناف الموقر والرقيم

(٤) كذا فى حـ ، ء . وفى سائر الأصول : « نعم فتيلة ... » .

استفزه ابنه إسحاق فتفاخرا فى الغناء فحكم له

أخبرنى الحسن بن علىّ وعمّى قالا حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال :

لمـا صنع أبى لحنه فى :

ليتَ هنـدًا أنجزتنا ما تَعِدْ ﴿ وشَفَتْ أنفُسنا ممـا تجِـدْ

حاصمتُه وعِبْتُه فى صنعته، وقلت له : أمَا بإزائك من ينتقد أنفاسك ويَعيب محاسنك وأنت لا تفكّر ! تجىء الى صوت قد عمل فيه ٱبنُ سُرَيْج لحنًا فتُعارضه بلحن لا يقارِب والشعرُ أوسعُ من ذلك! فدَعْ ما قد ٱعتَوَرَتْه[(١)] صناعةُ القدماء وخُذْ فى غيره؛ فغضب، وكنت لا أزال أُفاخره بصنعتى وأَعيب ما يُعاب من صنعته، فإن قَبِل منّى فذلك، وإن غضب داريتُه وترضَّيتُه؛ فقال لى : ما يعلم الله أنى أدعك أو تفاخرَنى بخير صوتٍ صنعتَه فى الثقيل الثانى فى طريقة هذ الصوت؛ فلمـا رأيتُ الجدّ منه ٱخترت صنعتى فى هذا اللحن :

قل لمَنْ صَـدّ عاتبًا ﴿ ونأى عنـك جانبًا
قد بلغتَ الذى أرد ﴿ تَ وإن كنتَ لاعبا

٢٣
٥

وكان ما تجارينـاه ونحن نَتَساير خارجَين إلى الصحراء نقطع فَضْـلةَ خُمَارِنا[(٢)] ؛ فقال : مَنْ تُحب أن يحكم بينى وبينك؟ فقلت : من تُرَى أن يحكم هاهنا ؟ قال : أوّلُ من يطلُع [علينا][(٣)] أُغنّيه لحنى وتُغنّيه لحنَك ؛ فطمعتُ فيه وقلت نعم؛ فأقبلَ شيخ نَبَطىّ يحمل شوكًا على حمار له ، فأقبل عليه أبى فقال : إنّى وصاحبى هذا قد تَراضينا بك فى شىء؛ قال : وأىّ شىء هو ؟ فقلنا : زعَم كلُّ واحد منّا أنه أحسنُ غناءً من صاحبه ،

---

(١) اعتور الشىء : تداوله وتعاطاه . (٢) كذا فى ط ، ء والخمار : بقية السكر . وفى سائر الأصول : « خمارينا » بالتثنية . (٣) زيادة عن ط ، ء .

فتسمع منّى ومنه وتحكم؛ فقال : على آسم الله ؛ فبدأ أبى فغنّى لحنه، وتبعته فغنّيتُ لحنى، فلما فرغتُ أقبل علىّ فقال لى : قد حكمتُ عليك عافاك الله ومضى؛ فلطمنى أبى لطمةً ما مرّ بى مثلُها منه قطّ ، وسكتُّ فما أعدتُ عليه حرفًا ولا راجعتُه بعد ذلك فى هذا المعنى حتى آفترقنا .

نسبة هذين الصوتين

صوت

ليت هندًا أنجزتنا ما تَعِدْ * وشَفَتْ أنفُسنا ممّا تَجِدْ
وآستبدّتْ مرّةً واحدةً * إنما العاجز من لا يَسْتَبِدْ
زعموها سألتْ جاراتِها (١) * ذاتَ يومٍ وتعرّتْ تَبْتَرِد (٢)
أكما يَنْعَتُنى تُبصِرْنَنى * عَمْرَكُنّ اللهَ أم لا يقتصِدْ
فتضاحَكْن (٣) وقد قُلْن لها * حَسَنٌ فى كلّ عينٍ من تَوَدّْ
حسدًا حُمِّلْنَه من أجلِها * وقديمًا كان فى الناس الحَسَد

الشعر لعمر بن أبى رَبيعة . ولحنُ إبراهيم فيه ثانى ثقيلٍ بالوسطى . وفيه لآبن سُرَيج رَمَلٌ بالخنصر فى مجرى البنصر . وفيه لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ بالخنصر والبنصر عن يحيى المكّىّ ، وذكره إسحاق فى هذه الطريقة ولم ينسُبه إلى أحد ، وقال الهشامىّ : أدلّ شىء على أنه لمالكٍ شَبَهُه لحنه :

* اِسْلَمِى يادارُ من هندِ *

---

(١) فى ب، س : « جارتها » بالإفراد . (٢) تبترد : تغتسل بالماء البارد .

(٣) فى الكامل للبرد : « فتهانفن » . والإهناف والمهانفة والتهانف : ضحك فيه فتور كضحك المستهزئ . وخصه بعضهم بضحك النساء . (راجع الكامل للبرد ص ٥٩٤ طبع ليبزج والحاشية رقم ٣ ص ١٨٦ من الجزء الأول من الأغانى من هذه الطبعة) .

وفيه لمُتَيَّم ثقيلٌ أوّل . وأما لحن إسحاقَ الذى فاخر به صنعةَ أبيه ، فقد كُتب شعرُه والصنعةُ فيه — وهما جميعا لإسحاق، ولحنه ثانى ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو — فى أخبار إسحاق .

كان زلزل فى الحبس فعمل فيه إبراهيم شعرا وغناه الرشيد فأطلقه

وذكر أحمد بن أبى طاهر أنّ حمّاد بن إسحاق حدّثه عن أبيه قال :

كان الرشيد قد وَجَد على منصور زَلْزَل لشىء بلغه عنه ، فحبسه[2] عشرَ سنين أو نحوَها ؛ فقام الرشيد يومًا لحاجته ، فجعل إبراهيمُ يغنّى صوتًا صنعه فى شعر كان قاله فى حبس زَلْزَل، وهو :

هل دهرُنا بك راجعٌ يا زَلْزَلُ * أيّامَ يبغينا العدوُّ المبطِلُ
أيامَ أنت من المكاره آمنٌ * والخيرُ مُتَّسِعٌ علينا مُقْبِلُ
يا بؤسَ مَنْ فقد الإمامَ وقُرْبَه * ماذا به من ذلّةٍ لو يعقِلُ
ما زلتُ بعدك فى الهموم مُرَدَّدًا * أبكى بأربعةٍ[3] كأنى مُثكِلُ

— الشعر والغناء لإبراهيمَ خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو — قال: ودخل الرشيد وهو فى ذلك بجلس فى مجلسه، ثم قال : يا إبراهيم، أىّ شىء كنتَ تقول؟ فقال : خيرا يا سيّدى؛ فقال : هاته فتلكّأ، فغضب الرشيد وقال : هاته فلا مكروهَ عليك؛ ٢٤/٥ فردّ الغناء؛ فقال له : أتحبّ أن تراه؟ فقال: وهل يُنْشَر أهل القبور؟ فقال : هاتوا زَلْزَلًا ، فجاءوا به وقد ابيضّ رأسه ولحيته فسُرّ به إبراهيم؛ وأمره بجلس، وأمر

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « والشعر جميعا ... » .
(٢) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « لحبسه عنه » بزيادة كلمة عنه .
(٣) يريد بالأربعة : الحاظين والموقين للعينين ، فان الدمع يجرى من الموقين فاذا غلب وكثر جرى من الحاظين أيضا .

إبراهيمَ فغنّى وضرب عليه فزَلْزَلَا الدنيـا ، وشرب الرشيدُ على ذلك رِطلا ، وأمر بإطلاق زَلْزَل وأسْنَى جائزتهـما ورضى عنه وصرفه إلى منزله . قال : وزَلْزَلٌ أوّلُ من أحدث هذه العيدانَ الشَّبَابِيط[1] ، وكانت قديمًا على عمل عيدان الفُرْس ، فجاءت عَجَبًا من العَجَب . قال : وكانت أُخْتُ زلزل تحت إبراهيمَ ، وقد ولَدت منه .

حديثـه عن أوّل أستاذ له فى الغناء

أخبرنى محمد بن مَزْيَد عن حمّـاد بن إسحاق عن أبيه قال :

أوّلُ من تعلّمتُ منه الغناءَ مجنونٌ ، كان إذا صِيح به : يا مُضَر ، يَهِيج ويرجُم ؛ فبلغنى أنه يغنّى أصواتًا فيُجيدها ، أخذها عن قدماء أهل الحجاز ، فكنت أُدْخِله إلىّ فأُطْعِمه وأَسقيه وأَخدَعه حتى آخذَ عنه ، وكان حاذقا ؛ فأوّل صوت أخذتُه عنه :

أَرْسِـلى بالسّلام يا سَـلْمِ إنّى * منـذُ عُلّقتُـكم غنىٌّ فقـيرُ
فالغِنَى إن ملكتُ أمرَكِ والفقـ * ـرُ بأنّى أزورُ من لا يـزور
وَيْحَ نفسى ! تسلوالنفوسُ ونفسى * فى هـوَى الرِّيم ذكرُها ما يَحُور
مَنْ لنفسٍ تَتُـوق أنتِ هـواها * وفـؤادٍ يكاد فيـك يطـير

ثم مكثتُ زمانًا آخذ عنه ، وكان إذا عاد إليه عقلُه من أحذقِ الناس وأقوَمِهـم على ما يؤدّيه ؛ ثم غاب عنّى فمـا أعرف خبره .

وهذا الشعر للوليد بن يَزِيد . والغناء ليونس خفيفُ رَمَلٍ مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق ، وذكر غيره أنه لعمرَ الوادىّ[2] ، وفيـه لوجه القرعة ثانى ثقيـلٍ بالوسطى عن حَبَش .

(١) الشبابيط : جمع شبوط ، وهو ضرب من السـمك دقيق الذنب عريض الوسـط لين المس صغير الرأس كأنه بربط : (عود) .

(٢) فى ب ، سـ : «لعمرو الوادى» ، وهو تحريف .

خرج مع الرشيد الى الشام فأحسن اليه وخلع عليه ثيابه

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه قال : خرجتُ مع الرشيد إلى الشام لمّا غزا، فدعاني يومًا فدخلت إليه إلى مجلس لم أرَ أحسن منه مفروش بأنواع الرُّخام، فأكل وأمرني فأكلتُ معه، وجعلتُ أتولّى خدمتَه الى العصر، ثم دعا بالنبيذ فشرب وسقاني معه، ثم خلع عليّ خِلعةَ وَشْي من ثيابه وأمر لي بألف دينار، ثم قال : انظر يا إبراهيم، كم من يَدٍ أوْليتُك إيّاها اليومَ ! نادمتَني مفردًا، وآكلتَني، وخلعتُ عليك ثيابي من بدني، ووصلتُك، وأجلستُك في إيوان مَسْلَمة بن عبد الملك تشرب معي؛ فقلت: ياسيّدي، ما ذهب عليّ شيء من تفضّلك، وإنّ نِعَمَك عندي لأكثرُ من أن تُحصَى، وقبّلتُ رِجلَه والأرضَ بين يديه .

هو أوّل من غنى الرشيد بعد أن ولى الخلافة بشعرله فيه

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال قال دِعْبِل بن عليّ : لمّا وَلى الرشيدُ الخلافةَ وجلس للشرب بعد فراغه من إحكام الأمور ودخل عليه المغنّون، كان أوّلَ مَنْ غنّاه إبراهيمُ الموصليّ بشعره فيه، وهو :

صـــوت

إذا ظُلَمُ البلادِ تجلّلتنا[1] * فهارونُ الإمامُ لها[2] ضياءُ
بهارونَ استقام العدلُ فينا * وغاض الجَوْرُ وانفسح الرجاءُ
رأيتُ الناسَ قد سكنوا إليه * كما سكنتْ الى الحَرَم الظِّباءُ
تبِعتَ من الرسول سبيلَ حقّ * فشأنُك في الأمور به اقتداءُ

٢٥/٥

(١) كذا في الأصول. ومع استقامة الكلام به لا يبعد أن يكون : « اذا ظلم البلاد ... » .
(٢) في ط ، ء : « لنا » .

فقال له الخادم من خَلْف الستارة : أحسنتَ يا إبراهيم فى شعرك وغنائك، وأمر له بعشرين ألف درهم. لحنُ إبراهيمَ فى هذا الصوت ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة والوسطى عن أحمد بن المكّي .

دخل على قوم يغنيهم هاشم بن سليمان فلما عرفوه أكرموه، وشعره فى ذلك

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى يَزيد بن محمد المُهَلَّبيّ قال حدّثنى أبى قال : كنتُ أنا وأبو سَعيد النَّهْدىّ[(1)] وهاشم بن سليمان المغنّى يومًا مجتمعين فى بُستان لنا ونحن نشرب وهاشم يغنّينا؛ فلمّا توسّطْنا أمرَنا اذا نحن برجل قد دخل علينا البستانَ جميلِ الهيئة حسنِ الزِّيّ، فلمّا بصُرنا به من بعيد، وثَب هاشمٌ يعدو حتى لَقِيَه، فقبّل يدَه وعانقه، ولم يعرفه أحدٌ منا ، فجاء وسلّم سلامَ الصّديق على صديقه ، ثم قال : خذوا فى شأنكم ، فإنى اجتزتُ بكم فسمعتُ غناء أبى القاسم فاستخفّنى وأطربنى، فدخلت إليكم واثقـا بأنه لا يُعاشر إلّا فتًى ظريفا يستحسن هذا الفعلَ ويسرّه، ولى فى هذا إمامٌ وهو عبد الله بن جعفر بن أبى طالب عليه السلام ، فإنه سمع غناء عند قوم فدخل بغير إذن ثم قال : إنما أدخلني عليكم مغنّيكم لمّا غنّى :

قُـلْ لـلكرام ببابنا يَلِجُوا * ما فى التّصابى على الفتى حَرَجُ

وأنا أعلم أنّ نفوسكم متعلقة بمعرفتى، فمن عرفنى فقد اكتفى، ومن جَهِلنى فأنا إبراهيم الموصلىّ؛ فقُمنا فقبّلنا رأسه وسُررنا به أتمّ سرور، وانعقدتْ بيننا و بينه يومئذ مودّة، ثم غاب عنّا غيبةً طويلة، و إذا هاشم قد أنفذ إلينا منه رُقعةً فيها :

أهاشمُ هل لى مِن سـبيل إلى التى * تُفـرِّق همَّ النفس فى كل مَذْهبِ
مُعَتَّقةً صِرْفا كأنّ شُـعاعَها * تَضَرُّم نارٍ أو توقُّـدُ كوكبِ

---

(1) كذا فى ب ، سـ ، م ، أ . وفى ط ، ء ، حـ : « المهرى » بالميم والراء . وسيذكر هذا الاسم فى الشعر الآتى مضطربا أيضا ففى ب ، سـ : « النهدى » . وفى م ، أ : « المهدى » . وفى حـ : « البهرى » وفى ط ، ء : « المهرى » ، و « النّهدىّ » و « المهرىّ » من النسب المعروفة ولم نوفق الى وجه الصواب فى هذا الاسم .

ألَارُبَّ يومٍ قد لهوتُ وليلةٍ * بها والفتى النَّهدِىُّ وآبن المُهَلَّب
نُدِير مُداما بيننا بتحيَّة * وتفديَةٍ بالنفس والأمّ والأب

سرق عقعق لابنه إسحاق خاتما له فهجاه

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان لى[1] وأنا صبىّ عَقْعَقٌ[2] قد ربّيته وكان يتكلّم بكلّ شىء سمعه ، فسرق خاتَمَ ياقوتٍ كان لأبى قد وضعه على تُكَأَته[3] ودخل الخلاء ثم خرج ولم يجده ، فطلبه وضرب غلامَه الذى كان واقفا ، فلم يَقِف له على خبر ؛ فبينا أنا ذاتَ يوم فى دارنا إذ أبصرتُ العقعقَ قد نَبَش ترابا فأخرج الخاتَم منه ولعب به طويلا ، ثم ردّه فيه ودفَنه ، فأخذتُه وجئت به إلى أبى ، فسُرّ بذلك وقال يهجو العقعق :

إذا بارك الله فى طائرٍ * فلا بارك الله فى العقعقِ
طويل الذُّنابَى[4] قصير الجناح * متى ما يجد غفلةً يسرق
يُقلِّب عينين فى رأسه * كأنهما قَطْرتا زِئْبَق

قصته مع ابن جامع بين يدى الرشيد وما كان منه فى رضا الرشيد عن محمد الزف

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى أحمد ابن المكّىّ ، وذاكرت أبا أحمد بن جعفر جَحْظة بهذا الخبر فقال حدّثنى به محمد ابن أحمد بن يحيى المكى المرتجل[5] عن أبيه عن جدّه ، ووجدت هذا الخبر فى بعض
٢٦ / ٥
الكتب عن علىّ بن محمد بن نصر عن جدّه حَمْدون بن إسماعيل فجمعت الروايات كلّها :

---

(١) فى ب ، س ، م : «وكان» . (٢) العقعق : طائر على قدر الحمامة وهو على شكل الغراب ، وجناحاه أكبر من جناحى الحمامة ، والعرب تتشاءم به وتضرب به المثل فى السرقة والخيانة والخبث .
(٣) كذا فى ط ، ء . وفى سائر النسخ : «فوضعه» . (٤) الذنابى : الذنب .
(٥) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «المرتحل» بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

أنّ الرشيد قال يوماً لجعفر بن يحيى : قد طال سماعنا هذه العصابةَ على آختلاط الأمر فيها فهلمّ أُقاسمك إياها وأُخايرك ، فاقتسما المغنّين ، على أن جعلا بإزاء كلّ رجل نظيره ، وكان ابن جامع فى حيّز الرشيد و إبراهيم فى حيّز جعفر بن يحيى ، وحضر الندماءُ لمِحْنة[(١)] المغنّين ، وأمر الرشيدُ آبنَ جامع فغنّى صوتا أحسن فيه كلَّ الإحسان وطرِب الرشيد غايةَ الطرب ، فلمّا قطعه قال الرشيد لإبراهيم : هات يا إبراهيم هذا الصوتَ فغنّه ؛ فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرفه ، وظهر الانكسار فيه ؛ فقال الرشيد لجعفر : هذا واحد ، ثم قال لإسماعيل بن جامع : غنّ يا إسماعيل ، فغنّى صوتا ثانيا أحسن من الأول وأرضى فى كل حال ، فلما آستوفاه قال الرشيد لإبراهيم : هاته يا إبراهيم ، قال : ولا أعرف هذا ؛ فقال : هذان آثنان ، غنّ يا إسماعيل ، فغنّى ثالثا يتقدّم الصوتين الأوّلين و يفضُلهما ، فلما أتى على آخره ، قال : هاته يا إبراهيم ، قال : ولا أعرف هذا أيضا ؛ فقال له جعفر : أخزيتنا أخزاك الله . قال : وأتمّ آبنُ جامع يومَه والرشيدُ مسرور به ، وأجازه بجوائز كثيرة وخلَع عليه خِلَعا فاخرة ، ولم يزل إبراهيمُ مُنخذِلا مُنكسِرا حتى آنصرف . قال : فمضى إلى منزله ، فلم يستقرّ فيه حتى بعث إلى محمد المعروف بالزّف[(٢)] ، وكان محمد من المغنّين المحسنين ، وكان أسرعَ من عُرِف فى أيامه فى أَخْذ صوت يريد أَخْذَه ، وكان الرشيد قد وجَد عليه فى بعض ما يجده الملوك على أمثاله فألزمه بيتَه وتناساه ؛ فقال إبراهيم للزّف : إنى آخترتك على من هو أحبّ إلىّ منك ، لأمر لا يصلُح له غيرك ، فانظُر كيف تكون[(٣)] ! قال : أبلُغ فى ذلك محبّتك إن شاء الله تعالى ؛ فأدّى إليه الخبر وقال : أريد أن تمضى الساعة

---

(١) المحنة : الاختبار ، يقال : محنه اذا اختبره وجرّبه . (٢) فى ط ، ء : «الرف» (بالراء المهملة) . (راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٦ من الجزء الأوّل من الأغانى من هذه الطبعة) .
(٣) فى ب ، س ، حـ : «كيف يكون» .

إلى ابن جامع، فتُعلمه أنك صرت إليه مُهنّئا بما تَهَيّأ له عليّ، وتَنَقَّصني[1] وتَثْلِبُني[2] وتَشْتِمُني، وتحتال فى أن تسمع منه الأصوات وتأخذها منه، ولك ماتُحبّه من جِهَتى من عَرَض من الأعراض مع رضا الخليفة إن شاء الله . قال : فمضى من عنده وآستأذن على آبن جامع فأذِن له، فدخل وسلّم عليه وقال : جئتُك مهنّئا بما بلغنى من خبرك، والحمد لله الذى أخزى آبنَ الجُرْمُقانيّة[3] على يدك، وكشف الفضل فى محلّك من صناعتك؛ قال : وهل بلغك خبُرنا؟ قال: هو أشهر من أن يخفى على مثلى؛ قال: وَيْحَك ! إنه يقصُر عن العِيان؛ قال : أيها الأستاذ، سُرّنى بأن أسمعه من فيك حتى أرْوِيَه عنك، وأُسْقِط بينى و بينك الأسانيدَ؛ قال : أقم عندى حتى أفعلَ؛ قال : السمع والطاعة؛ فدعا له ابن جامع بالطعام فأكلا ودعا بالشراب، ثم آبتدأ فحدّثه بالخبر حتى آنتهى إلى خبر الصوت الأوّل؛ فقال له الزّفـ : وما هو أيها الأستاذ؟ فغنّاه ابن جامع إياه، فجعل محمد يُصفّق وينعِر[4] ويشرب وابن جامع مجتهدٌ فى شأنه حتى أخذه عنه. ثم سأله عن الصوت الثانى، فغنّاه إياه، وفعل مثلَ فعله فى الصوت الأوّل، ثم كذلك فى الصوت الثالث؛ فلما أخذ الأصوات الثلاثة كلَّها وأحكمها قال له : يا أستاذ، قد بلغتُ ما أُحبّ، فتأذن لى فى الانصراف؟ قال: إذا شئتَ؛ فانصرف محمد من وجهه إلى إبراهيم؛ فلما طلع من باب داره قال له : ما وراءك؟ قال : كلّ ماتحب، أُدع لى بعُود، فدعا له به، فضرب وغنّاه الأصوات؛ قال إبراهيم: وأبيك ٢٧/٥

(١) كذا فى ب، سـ . وفى ط، ء : «وتقصبنى» بالباء الموحدة أى تعيبنى وتشتمنى .
(٢) ثلبه : عابه وتنقصه . (٣) الجرمقانى، ومثله الجرمق : واحد الجرامقة، وهم قوم من العجم صاروا بالموصل فى أوائل الاسلام . (أنظر القاموس وشرحه مادة جرمق) . (٤) نعر الرجل (من بابى ضرب ومنع): صاح وصوّت بخيشومه .

هى بصُوَرها[(١)] وأعيانها، رَدّدها علىّ الآن ، فلم يزل يُرَدّدها حتى صحّت لإبراهيم ؛ وآنصرف الزّف إلى منزله ؛ وغدا إبراهيم إلى الرشيد، فلما دعا بالمغنّين دخل فيهم، فلما بَصُر به قال له : أوَ قد حضرت ! أما كان ينبغى لك أن تجلس فى منزلك شهرا بسبب ما لقيتَ من ابن جامع! قال: ولم ذلك يا أمير المؤمنين؟ جعلنى الله فداءك! والله لئن أذِنتَ لى أن أقول لأقولنّ ؛ قال : وما عساك أن تقول ؟ قل ؛ فقال : إنه ليس ينبغى لى ولا لغيرى أن يراك نشيطًا لشىء فيُعارِضَك، ولا أن تكون مُتعصّبا لجَنْبَة[(٢)] فيغالبَك، وإلا فما فى الأرض صوتٌ لا أعرفه، قال: دَعْ ذا عنك، قد أقررتَ أمسِ بالجهالة بما سمعتَ من صاحبنا، فإن كنتَ أمسكتَ عنه بالأمس على معرفة كما تقول فهاته اليومَ، فليس هاهنا عصبيّة ولا تمييز، فاندفع فأمرّ الأصوات كلّها، وآبن جامع مُصْغٍ يسمع منه، حتى أتى على آخرها؛ فآندفع ابن جامع يحلف بالأيمان المُحْرِجة أنه ما عرفها قطّ ولاسمعها ولا هى إلا من صَنْعته، ولم تخرج إلى أحد غيره؛ فقال له : وَيْحَك ! فما أحدثتَ بعدى ؟ قال : ما أحدثت حدَثا ؛ فقال : يا إبراهيم بحياتى اصدُقنى! فقال : وحياتك لأصْدُقنّك، رميته بحَجَره[(٣)]، فبعثت له بمحمد الزّف وضمِنتُ له ضمانات ، أوّلها رضاك عنه[(٤)] ، فمضى فاحتال لى عليه حتى أخذها عنه ونقلها الىّ، وقد سقط الآناللوم عنّى[(٥)] بإقراره، لأنه ليس علىّ أن أعرف ما صنعه هو ولم يُخرجه إلى الناس[(٦)]، وهذا باب من الغيب، وإنما يلزمنى أن يعرف هو شيئا من غناء الأوائل وأجهله أنا ، وإلّا فلو لزمنى أن أروىَ صنعته للزمه أن

---

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «بصورتها» . (٢) الجنبة : الناحية .

(٣) فى أساس البلاغة : «ورمى فلان بحجره اذا قرن بمثله» . (٤) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «فمضى حتى احتال ... الخ» . (٥) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «ونقلها حتى سقط» . (٦) فى ب ، س : «ألا يعرف» . والظاهر أنه تحريف .

يروى صنعتى، ولزم كلّ واحد منا لسائر[1] طبقته ونظرائه مثلُ ذلك، فمن قصّر عنه كان مذموما ساقطا؛ فقال له الرشيد: صدقتَ يا إبراهيم، ونَضَحتَ[2] عن نفسك، وقمت بحجّتك؛ ثم أقبل على ابن جامع فقال له: يا إسماعيل، أُتيتَ أُتيتَ! دُهِيتَ دُهِيتَ! أبطل عليك الموصليّ ما فعلته به أمسِ وانتصف اليومَ منك؛ ثم دعا بالزّقّ فرضى عنه.

الأصوات التي غنى بها ابن جامع وبيان ما يتصل بها

قال عليّ بن محمد: سألت خالى أبا عبد الله بن حَمْدون وقد تجارينا هذا الخبرَ: هل تعرف أصوات ابن جامع هذه؟ فأخبرنى أنه سمع إسحاقَ يحكى هذه القصّة، وذكر أنّ الصوت الأوّل منها:

صـــوت

بكيتُ نعمْ بكيتُ وكلّ إلفٍ * إذا بانت قرينتُه بكاها
وما فارقتُ لُبْنَى عن تقالٍ[3] * ولكن شِقْوةٌ بلغتْ مَداها

الشعر لقيس بن ذَرِيح. والغناء لابن جامع ثانى ثقيلٍ بالوسطى. وفيه ليحيى المكىّ ثانى ثقيلٍ آخرُ بالخنصر والبنصر من كتابه. وفيه لإبراهيم ثقيلٌ[4] أول عن الهشامىّ.

قال: والثانى منها:

صـــوت

عفت دارَ سَلْمَى بمُفضَى الرَّغام * رياحٌ تَعاقَبُها[5] كلَّ عامِ
خِلافَ[6] الحلولِ بتلك الطّلول * وسَحْبِ الذُّيول بذاك المقام

(١) كذا فى ط، ى، ح. وفى سائر الأصول: «كسائر»، وهو تحريف. (٢) كذا فى ط، ى. ونضح الرجل عن نفسه: دفع عنها بالحجة. وفى سائر الأصول: «نصحت» بالصاد المهملة، وهو تصحيف. (٣) كذا فى أكثر الأصول. والتقالى: التباغض. وفى ب، ح: «ثقال» (بالثاء المثلثة) وهو تصحيف. (٤) فى ط، ى: «ثقيل أوّل آخر». (٥) فى ط، ى: «توارثها». (٦) كذا فى ط، ى، ح. أى بعده. وفى باقى الأصول: «خلال» باللام.

٢٨ ٥ وأنس الديار وقرب الجِـــوار * وطيب المَــزار وردّ الســلامِ
ودهرٍ غَرِيرٍ(١) وعيش السّرور * ونأى الغَيور وحُسن الكلام

الشـعر لحمّاد الرّاوية . والغناء لابن جامع ثقيل أوّل بالبنصر؛ [ذكر ذلك الحَزَنْبَلُ(٢) عن عمرو بن أبى عمرو] . قال ابن حَمْدون : وهـذا الصوت عجيب الصنعة، كثير النَّغَم، مُحكَم العمل، من صدور أغانى ابن جامع ومتقدّم صنعته، وكان المعتصم مُعجَبا به، وكثيرا ما كان يُسْكِت المغنّين إذا غُنِّى بحضرته فلا يَسمع سائرَ يومه غيرَه .

قال : والثالث منها :

صـــــوت

نَزَفَ البكاءُ دموعَ عينك فاستَعِرْ * عينًا لغـــيرك دمعُها مِـــدْرارُ
مَنْ ذا يُعــيرك عينَه تبكى بهـا * أرأيتَ عينًــا للبـــكاء تُعــارُ

الشـعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء لابن جامع ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ؛ وقال ابن حمدون : وعارَضَه إبراهيم بعد ذلك فى [هذا](٢) الشعر، فصنع فيه لحنا من الرَّمَل بالبنصر فى مجراها، فلم يَلْحَقه ولا قاربه . قال : وقد صُنع أيضا فى هذا الشعر لحنٌ خفيف فاسد الصنعة مُحدَث ليس ينبغى أن يُذكر هاهنا .

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولِىّ قال حدّثنى أبو عبد الله الحَزَنْبَلُ قال حدّثنى أحمد ابن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال :

أُنْشِد بشّارٌ قولَ العبّاس بن الأحنف :

نَزَفَ البكاءُ دموعَ عينك فاستعِرْ * عينا لغـــيرك دمعها مـــدرارُ

---

(١) كذا فى حـ ، ط ، ى . وفى سائر الأصول : «عزيز» . (٢) زيادة عن ط ، ى .

فقال بشار: لحِق والله هذا الفتى بالمحسنين، وما زال يُدخل نفسَه معنا ونحن نُخرجه حتى قال هذا الشعر.

حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني ميمون بن هارون عن إسحاق قال:

أُنشد الرشيدُ قولَ العباس:

من ذا يُعيرك عينَه تبكي بها * أرأيت عيناً للبكاء تُعارُ

فقال: يُعيره مَنْ لا حاطَه الله ولا حفِظه.

ومما يُغنَّى فيه من قصيدة العبّاس بن الأحنف الرائيّة التي هذا الصوت الأخير منها قولُه:[1]

صوت

الحبُّ أوّلُ ما يكون لَجاجةٌ * تأتي به وتسوقُه الأقدارُ

حتى إذا سلَك الفتى لُجَجَ الهوى * جاءت أمورٌ لا تُطاق كِبارُ

غنّاه ابن جامع ثانيَ ثقيل بالبنصر. وفيه لِشاطرةَ امرأةِ منصورٍ زَلزَلٍ ثقيلٌ أوّلُ[2] بالوسطى عن الهشامي. وذكر ابن المكيّ المرتجِلُ أنّ هذه الأصوات الثلاثة المسروقةُ[3] من ابن جامع:

---

(١) في س، ب، م: «التي هي الصوت الآخر منها». وفي حـ: «التي هي الصوت الأوّل منها».

(٢) في حـ: «ثاني ثقيل أوّل بالوسطى».

(٣) في ط، ء: «المعروفة».

* يا قبرُ بين بيـوت آل مُحَـرِّقٍ (١) *

و : * عفا طَرَفُ القُـرَيَّةِ (٢) فالكثيبُ *

وأسقط منها قوله :

* نزف البكاء دموع عينك فاستعر *

و : * بكيتُ نعم بكيتُ وكلُّ إلف *

نسـبة هــذين الصوتين

صـــوت

يا قبرُ بين بيـوتِ آل مُحـرِّقٍ * جادت عليـك رَوَاعِدٌ وبُرُوقُ

أمّا البكاء فقـلَّ عنـك كثيرُه * ولـئن بكيتُ فبالبكاء حقيـق (٣) ٢٩/٥

---

(١) آل محرق هنا : هم ملوك الحيرة من لخم ، ومحرّق الذى أضيفوا اليه هو آمرؤ القيس بن عمرو ابن عدى أحد ملوكهم ، ويقال له : المحرّق الأكبر . ولقبّ به أيضا من اللخميين عمرو بن هنـد من ملوكهم ، ويقال له : المحرق الثانى ، وآبن النعمان بن المنـذر شاعر . وفيهم يقول الأسود بن يعفر :

ماذا أؤمل بعد آل محرّق * تركوا منازلهم وبعد إياد

ومحرق — أيضا — : لقب الحارث بن عمرو أبى شمر ملك الشام من آل جفنة لأنه أوّل من حرق العرب فى ديارهم . ويقال لآل جفنة أيضا : آل محرّق (ملخص عن اللسان ، والقاموس وشرحه مادة حرق ، والمعارف لابن قتيبة ص ٣١٧) . (٢) القرية (بضم أوّله وفتح ثانيه وتشديد الياء تصغير قرية) : تطلق على عدّة أماكن كما ذكر ياقوت فى معجمه ، ومنها موضع بنواحى المدينة ذكره ابن هرمة فى قوله :

انظر لعـلك أن ترى بسويقة * أو بالقـرية دون مفضى ناقل

والقرية أيضا : من أشهر قرى اليمامة ، لم تدخل فى صلح خالد بن الوليـد يوم قتل مسيلمة الكذاب . والمرجح أنها هى المعنية بهذا الشعر ، وذلك لذكرها مع ملحاء التى هى واد من أعظم أودية اليمامة ، وستأتى فيما بعد عند ذكر الشعر . (٣) فى ط ، ء : « خليق » .

الشعر لرجل من بنى أسد يَرْثى خالد بن نَضْلة[1] ورجلا آخر[2] من بنى أسد كانا نديمين للمنذر[3] بن ماء السماء، فقتلهما فى سُخْطه عليهما؛ وخبرُ ذلك مشهور فى أخبار ابن[4] جامع . والغناء لابن جامع، وله فيه لحنان: ثقيل أوّل بالوسطى، ورمل بالبنصر، وقيل: إن الرَّمَل لابن سُرَيج . وذكر حَبَش أن لمحمد صاحب البِرَام فيه لحنا من الثقيل الثانى بالوسطى .

---

(١) كذا فى جميع الأصول هنا ومعجم ما استعجم للبكرى (ص ٦٩٤ طبع أوربا) والشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ١٤٤ طبع أوربا) وسيرة ابن هشام (ج ١ ص ٤٠١ طبع أوربا) ومعجم البلدان لياقوت (ج ٣ ص ٧٩٢ طبع أوربا) . وفى أمالى القالى (ج ٣ ص ١٩٥ طبع دار الكتب المصرية) وشرح قصيدة ابن عبدون (ص ١٣٢ طبع أوربا) والأغانى (ج ١٩ ص ٨٦ طبع بولاق): «خالد بن المضلل» . وكلاهما محتمل هنا أن يكون هو المراد ولا سيما أنهما كانا يظلهما عصر واحد وأن كليهما أسدى . وقد عنى هذين الخالدين الأسود بن يعفر فى قوله :

فان يك يومى قد دنا وإخاله * كواردة يوما الى ظمء منهل
فقبلى مات الخالدان كلاهما * عميد بنى جحوان وابن المضلل

(٢) هو عمرو بن مسعود . وقد رثتهما هند بنت معبد بن نضلة — كما فى سيرة ابن هشام ومعجم ما استعجم للبكرى . وهذا يرجح أنه خالد بن نضلة — قالت لما قتلا :

ألا بكر الناعى بخيرى بنى أسد * بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وتعنى بالسيد الصمد : خالد بن نضلة عمها .

(٣) يؤيد الأصول هنا فى أن صاحب القصة هو المنذر بن ماء السماء ما ورد فى أمالى القالى (ج ٣ ص ١٩٥ طبع دار الكتب المصرية) وكتاب الأوائل لاسماعيل بن هبة الله الموصلى ، ومعجم البلدان لياقوت فى الكلام على الغريين (ج ٣ ص ٧٩٢) . والذى فى سيرة ابن هشام (ج ١ ص ٤٠١) وكتاب المعارف لابن قتيبة (ص ٣١٩) وشرح ابن بدرون على قصيدة ابن عبدون (ص ١٣٢ طبع أوربا) ومعجم ما استعجم للبكرى وطبقات الشعراء لابن قتيبة : أن صاحب القصة هو النعمان بن المنذر بن ماء السماء .

(٤) بالبحث فى أخبار ابن جامع التى ذكرت فى الجزء السادس من الأغانى طبع بولاق لم نجد بينها هذا الخبر، وإنما وجد فى أخبار عبيد بن الأبرص فى الجزء التاسع عشر طبع بولاق .

ومنها :

صــــوت

عفا رَسْمُ القُـرَيّة(١) فالكثيبُ * الى مَلْحاء(٢) ليس بها عَرِيبُ(٣)
تأبّد(٤) رسمُها وجرى عليها * سَفِىّ(٥) الريح والتُّربُ الغريبُ
فإنكَ وآطّراحَك وصلَ سُعْدى * لأخرى فى مودّتها نُكوبُ
كثاقبـةٍ لحَلْىٍ مسـتعار * بأذنيها فشانَهما(٦) الثُّقـوبُ
فـردّت حَلْىَ جارتها إليها * وقـد بَقِيتْ بأذنيها نُدوبُ(٧)

الشعر لابن هَرْمة . والغناء لابن جامع ثانى ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى . [عن إسحاق](٨) . وفيه للغريض ثانى ثقيل آخر بالبنصر عن عمرو . وقال عمرو : فيه لحنٌ للهذلىّ، ولم يُجنِّسه .

أخبرنى(٩) محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنى عيسى بن أيوب القُرَشىّ قال حدّثنى غَيْث بن عبد الكريم عن فُلَيْح ابن إسماعيل عن إسماعيل بن جعفر الفقيه مولى حَرْب(١٠) عن أبيه قال :

---

(١) فيا تقدم فى جميع الأصول وفى ط ، ء هنا : «طرف القرية» . (٢) ملحاء : واد من أعظم أودية اليمامة . (٣) عريب : أحد . (٤) تأبد المنزل : أقفر . (٥) السفىّ : التراب المتذرى المتبدد . (٦) فى ط ، ء : «فشانتها» . (٧) الندوب : آثار الجرح فى الجسم . (٨) الزيادة عن ط ، ء . (٩) كذا ورد هـذا الخبر مقدما فى ط ، ء على الذى يليه ، وهو الذى يناسب آطراد السياق . (١٠) فى ط ، ء : «مولى خزاعة» .

مررتُ بابن هَرْمة وهو جالس على دُكّان(١) فى بنى زُرَيق، فقلت له : يا أبا إسحاق، ما يُجلسك هاهنا ؟ قال : بيت كنت قلتـه ثم آنقطع علىّ الروىّ فيه وتعـذّر علىّ ما أشتهيه، فأبغضته وتركته؛ قلت : ما هو ؟ قال :

فإنك وآطّراحَك وصلَ سُعْدَى * لأخرى فى مودّتها نُكوبُ

قال : قلته ثم آنقَطع بى فيه؛ فمرّت بى جُوَيْرِيَة صـفراء مليحة كنتُ أستحسنها أبدا وأُكلّمها إذا مرّت بى، فمرّت اليوم فرأيتُها وقد وَرِم وجهها وتغـيّر خَلْقُها، [عمّـا أعرِف](٢)، فسألتُهـا عن خبرها فقالت : [كان فى بنى فلان عُرْسٌ أردت حضوره](٢) فاستعار لى أهلى حَلْيًا وثقبوا أذنى لألبَسه فورِم وجهى وأُذناى كما ترى، فردّوه ولم أشهد العُرْس؛ قال آبن هَرْمة : فآطّرَد لى الشعرُ فقلت :

كثاقبـةٍ لحَـلْىٍ مسـتعارٍ * بأذنيهـا فشانَهما الثقـوبُ
فـردّت حَلْىَ جارتهـا إليهـا * وقـد بقيت بأذنيهـا نُدوبُ

سرق إبراهيم بن المهدى شعره ولحنه وغنى به الرشيد

أخبرنى الحسين بن القاسم قال حدّثنى العبّاس بن الفَضْل قال حدّثنى أبى قال : قال الرشيد لإبراهيم بن المهدىّ و إبراهيم الموصلىّ وابنِ جامع وابنِ أبى الكَنّات : باكِرونى غدًا، وليكن كلّ واحد قد قال شعرا إن كان يقدِر أن يقولَه، وغنّى فيـه لحنا، وإن لم يكن شاعرا غنّى فى شـعر غيره . قال إبراهيم بن المهـدىّ : فقمتُ فى السَّحَر وجَهَدت أن أقدِر على شىء أصنعه فلم يتّفق لى، فلمّا خِفْتُ طلوع الفجر دعوتُ بغلمـانى وقلت لهم : إنى أُريد أن أمضى إلى موضع ولا يَشـعرُ بى أحد

(١) الدكان : الدكة المبنية للجلوس عليها . (٢) الزيادة عن ط ، ء .

حتى أصيرَ إليه ، وكانوا يَبيتون(١) على باب دارى ، فقمت فركبت وقصدتُ دارَ إبراهيمَ الموصلىّ ، وكان قد حدّثنى أنه إذا أراد الصنعة لم ينَمْ حتى يدُبِّر ما يحتاج إليه ، و إذا قام لحاجتــه فى السَّحر اعتمد على خشبة له فى المُسْتَراح(٢) ، فلم يزل يقرَع عليها حتى يَفْرُغَ من الصــوت و يرسَخ فى قلبه ، فجئت حتى وقفت تحت مُستَراحه ، فإذا هو يُردّد هذا الصوت :

صـــــوت

إذا سُكِبتْ فى الكأس قبل مِزاجها * ترى لونَهــا فى جِلدة الكأس مُذْهَبَا
و إن مُزِجتْ راعت بلونٍ تخاله * إذا ضُمّنتْــه الكأسُ فى الكأس كوكبَا
أبوها نِجــاء المُزْن(٣) والكَرْمُ أُمّهــا * فــلم أرَ زَوْجًا(٤) منــه أشهى وأطيبَا
فجاءتك صَــفْرا(٥) أشبهت غير جنسهــا * وما أشـبهت فى اللــون أُمًّا ولا أبا

قال : فمــا زلتُ واقفا أستمع منــه الصوتَ حتى أخذتُه ، ثم غدَوْنا إلى الرشــيد ، فلمّا جلســنا للشّرب خرج الخادمُ إلىّ فقــال : يقول لك أمير المؤمنين : يآبنَ أمّ غنّنى ؛ فآندفعتُ فغنّيتُ هــذا الصوت والموصلىّ فى الموت حتى فرَغتُ منه ، فشرب عليــه وأمر لى بثلثمائة ألف درهم ؛ فوثب إبراهيم الموصــلىّ فحلف بالطلاق وحياة ٣٠/٥

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «وكانوا فى زبيديات لى يبيتون فيها على باب دارى فقمت فركبت فى إحداها وقصدت ... » . ولم ندر ما الزبيديات التى كانوا يبيتون فيها ثم ركب هو إحداها . ولعلها ضرب من العجل (العربات) نسب الى زبيدة زوج الرشـيد . (٢) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «فى الحش» . والحش (مثلث الحاء) فى الأصــل : البستان ، وأطلق على موضع قضاء الحاجة والمتوضأ لأنهم كانوا يذهبون عند قضاء الحاجة الى البساتين . والجمع : حشوش .

(٣) النجاء : جمع النجو وهو السحاب الذى قد هراق ماءه ثم مضى ، وقيل : هو السحاب أوّل ما ينشأ .

(٤) الزوج : النوع والصنف . (٥) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « مخائل صفرا » وهو تحريف .

الرشيد أن الشعر له قاله البارحة وغنّى فيه ، ماسبقه إليه أحدٌ ؛ فقال إبراهيم : ياسيّدى ، فمن أين هو لى أنا لولا كذبُه وبُهْتُه(١)! وإبراهيم يضطرب ويضجّ(٢) ؛ فلمّا قضيتُ أرَبًا من العَبَث به قلتُ للرشيد : الحقُّ أحقّ أن يُتّبع ، وصَدَقتُه ؛ فقال للموصلى : أمّا أخى فقد أخذ المال ولا سبيل إلى ردّه ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم عوضا مما جرى عليه ، فلو بدأتَ أنتَ بالصوت لكان هذا حظّك ؛ فأمر له بها فحُمِلَتْ إليه .

سأله محمد بن يحيى أن يقيم عنده فى يوم مهرجان وله كل الهدايا التى تهدى إليه ، فلما صارت إليه فرّقها جميعا

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن مخارق قال :

أتى إبراهيمُ الموصلىّ محمدَ بن يحيى بن خالد فى يوم مِهْرجان ، فسأله محمدٌ أن يقيم عنده ؛ فقال : ليس يمكننى لأن رسول أمير المؤمنين قد أتانى(٣) ؛ قال : فتمرّ بنا إذا انصرفتَ ولك عندى كلُّ مايُهْدَى إلىّ اليومَ ؟ فقال : نعم ، وترك فى المجلس صديقا له يُحصى ما يُبعث [به](٤) إليه ؛ قال : فجاءت هدايا عجيبةٌ من كلّ ضَرْب ؛ قال : وأُهدِىَ إليه تِمْثالُ فيلٍ من ذهب عَيْناه ياقوتتان ؛ فقال محمد للرجل : لا تخبره بهذا حتى نبعثَ به إلى فلانة ففعل ؛ وانصرف إبراهيم إليه فقال : أَحضِرنى ما أُهدى لك ، فأحضره ذلك كلَّه إلا التمثالَ ، وقال : لا بدّ من صِدْقك ، كان من الأمر كذا وكذا ؛ فقال : لا ! إلّا على الشّريطة وكما ضَمِنْتَ ، فجِىءَ بالتمثال ؛ فقال إبراهيم : أليس الهديّة لى فأعملَ فيها ما أريد ؟ قال : بلى ، قال : فَرُدَّ التمثال على الجارية ؛ وجعل يُفرِّق الهدايا على جلساء محمد شيئا شيئا وعلى جميع من حضر من إخوانه وغلمانه وعلى من فى دُور الحُرَم(٥) من جواريه حتى لم يبقَ منها شىء ، ثم أخذ من

(١) البهت (بالضم) : الافتراء والكذب . (٢) فى ط ، ء : «ويصيح» . (٣) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «لأن رسول أمير المؤمنين قاعد» . (٤) الزيادة عن ط ، ء .
(٥) فى ب ، س : « فى دور الخدام » .

المجلس تُفّاحتين لمّا أراد الانصراف وقال : هذا لى ، وانصرفَ ؛ فجعل محمد يَعْجَب من كِبَر نفسه ونُبْله .

زاره الرشيد ليلا وغنته جواريه

وقال أحمد بن المَرْزُبان حدّثنى بعض كتّاب السلطان :

أنّ الرشيد هبّ ليلةً من نومه ، فدعا بحمار كان يركبه فى القَصْر أسودَ قريبٍ من الأرض فركبه ، وخرج فى دُرّاعة وَشْيٍ مُتلثِّمًا بعمامة وشيٍ ملتحفًا بإزارِ وَشْيٍ ، بين يديه أربعمائة خادم أبيض[1] سوى الفرّاشين ، وكان مسرورٌ الفَرْغانى[2] جريئا عليه لمكانه عنده ، فلما خرج من باب القصر قال : أين يريد أميرُ المؤمنين فى هذه الساعة ؟ قال : أردتُ منزل الموصلىّ . [قال مسرورٌ :][3] فمضى ونحن معه و بين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم ؛ فخرج فتلقّاه وقبّل حافرَ حماره وقال له : يا أمير المؤمنين ، أفى مثل هذه الساعة تظهر ! قال : نعم ، شوقٌ طَرَق لك بى ؛ ثم نزل فجلس فى طَرَف الإيوان وأجلس إبراهيم ؛ فقال له إبراهيم : ياسيّدى أتنشَط لشيء تأكله؟ فقال : نعم ، خَاميز[4] ظبي ، فأُتى به كأنما كان مُعَدًّا له ، فأصاب منه شيئا يسيرا ، ثم دعا بشراب حُمِل معه ؛ فقال الموصلىّ : يا سيّدى ، أأُغنّيك أم تغنّيك إماؤك؟ فقال : بل الجوارى ؛ فخرج جوارى إبراهيمَ فأخذنَ صدرَ الإيوان وجانبيه ؛ فقال : أيضرِبْن كلُّهن أم واحدة ؟ فقال : بل تَضرب اثنتان اثنتان وتُغنّى واحدة

٣١ / ٥

(١) فى ط ، ء : «أسود» . (٢) كذا فى ط ، ء . وفى باقى الأصول : «منذر الفرغانى» . ولم نعثر على هذا الاسم فيما بين أيدينا من الكتب التى تحدّثت عن حياة الرشيد الخاصة والعامة . (٣) الزيادة عن ط ، ء . (٤) الخاميز : اسم أعجمى تعريبه عامص وآمص ، و بعضهم يقول : عاميص وآميص ، وهو طعام يتخذ من لحم عجل بجلده ، أو مرق السكباج (الأكارع تطبخ بمرق فيه عصير الليمون ثم تغرف بمرقتها وتترك حتى تبرد و يجمد المرق فيكون فى قوام الفالوذج ، وهو أيضا لحم أو سمك يطبخ بخل) المبرد المصفى من الدهن .

فواحدة، ففعلن ذلك حتى مرّ صدرُ الإيوان وأحدُ جانبيه والرشيدُ يسمع ولا ينشط[1] لشيء من غنائهن، إلى أن غنّت صبيةٌ من حاشيته[2] :

يا مُورِيَ الزَّند قد أعيتْ قوادحُه * اِقبِسْ إذا شئتَ من قلبي بمقباسِ

ما أقبحَ الناسَ فى عينى وأسمجَهم * إذا نظرتُ فلم أبصرك فى الناس

قال : فطرِب لغنائها وٱستعاد الصوتَ مرارا وشرب أرطالا، ثم سأل الجاريةَ عن صانعه فأمسكتْ، فٱستدناها فتقاعَسَت، فأمَر بها فأُقيمت حتى وُقِفَت[3] بين يديه، فأخبرته بشيء أسرّته إليه، فدعا بحماره فركبه وٱنصرف، ثم ٱلتفت إلى إبراهيم فقال : ما ضَرّك ألّا تكون خليفة! فكادت نفسُه تخرج، حتى دعا به وأدناه بعد ذلك. قال : وكان الذى خبّرتْه [به][4] أن الصنعة فى الصوت لأخته عُلَيّة بنت المهدي، وكانت الجارية لها وجّهتْ بها إلى إبراهيم يُطارحها، فغار الرشيد. ولحنُ الصوت خفيفُ رَمَل.

شعره فى ابنة خمارة كان يألفها

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان أبى يألف خمّارةً بالرّقة يقال لها بِشرة[5] تنزِل الهنيءَ والمَرِىء[6]، وكانت لها بنت من أحسن الناس وجها فكان أبى يتحلّاها[7]، ثم رحل الرشيد عن الرّقة إلى بلاد الروم [فى بعض غزواته][4]، فقال أبى فيها :

---

(١) فى ط، ء : «ولاينبسط». (٢) أى من حاشية الايوان. وفى ط، ء ومختار الأغانى : «من حاشية الصفة». والصفة : شبه البهو الواسع الطويل السمك، وهى أيضا : طرته، أى طرفه وحرفه. (٣) كذا فى ط، ء. وفى سائر الأصول : «أوقفت» بزيادة الهمزة، وهى لغة رديئة. (٤) الزيادة عن ط، ء. (٥) فى شرح القاموس (مادة بشر) : «و بشرة بالكسر اسم جارية عون بن عبدالله»، ثم ذكر البيت إلا أنه نسبه الى اسحاق لا الى أبيه. (٦) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٦٦ من هذا الجزء. (٧) تحلى الشيء واستحلاه واحلولاه بمعنى.

أيَا بنتَ بِشْرةَ ما عاقَنِى * عن العهد بَعْدَكِ من عائق
نَفَى النَّومَ عنّى سنا بارق * وأشهقنى فى ذُرَى شاهق

قال : وفيها يقول [أيضا[1]] من أبيات له ، وله فيها صنعة من الرَّمَل الأوّل ، :

صــــوت

وزعمتِ أنِّى ظــالمٌ فهجرتِنى * ورَمَيتِ فى قلبى بسهمٍ نافذِ
ونَعَمْ ظلمتُكِ فاَغفرِى وتجاوَزِى * هــذا مَقامُ المســتجير العائذ

ذكر حمّاد فى هذا الخبر أن لحن جدّه من الرَّمَل . ووجدتُ فى كتاب أحمد بن المكىّ أنّ له فيهما لحنين : أحدهما ثقيل أوّل والآخر ثانى ثقيل .

أغانيه فى السجن

حدّثنى عيسى بن الحسين[2] الوَرّاق قال حدّثنى عبدالله بن أبى سعد[3] قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك الخُزَاعىّ قال :

حبس الرشيدُ إبراهيمَ الموصلىّ عنــد أبى العبّاس (يعنى أباه عبــد[4] الله بن مالك) فسمعناه ليلةً[5] وقد صنع هذا اللحن وهو يكرره حتى يستوى له : ٣٢/٥

يا أخــلاءِ قد مَلِلْتُ مكانى * وتذكّرتُ ما مضى من زمانى
شُرْبِىَ الراحَ إذ تقــومُ علينــا * ذاتُ دَلٍّ كأنّهــا غصنُ بانِ

قال : وغنّى فى الحبس أيضا :

ألَا طال ليلى أُراعى النّجوم * أُعالج فى السّاق كَبْلاً[6] ثقيلَا

(١) زيادة عن ط ، ء . (٢) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « الحسن » ، وهو تحريف . (٣) فى ب ، سـ فى هذا الموضع : « عبد الله بن أبى محمد » ، وهو تحريف . (٤) كان صاحب الشرطة فى أيام المهــدى فالهادى فالرشيد وكان مــن أكابر القوّاد وتولى أرمينيــة وأذربيجان . (انظر الحاشية رقم ١ من كتاب التاج للجاحظ ص ٨١ طبع بولاق) . (٥) كذا فى ط ، ء . وفى باقى الأصول : « حتى تستوى له » . (٦) الكبل (بالفتح و يكسر) : القيد .

زعم علويه الأعسر أنه دخل عليه في مرضه في علته وهو يترنم فأنكر ابنه إسحاق ذلك

حدّثني عيسى قال حدّثني عبد الله قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني علّويه الأعسر قال :

دخلتُ على إبراهيم الموصليّ في عِلّته التي توفّي فيها وهو في الأَبْزَن[1] وبه القُولَنج[2] الذي مات فيه، وهو يترنّم بهذا الصوت :

صـــوت

تغيّر مني كلُّ حُسْنٍ وجِدّةٍ * وعاد على ثَغري فأصبح أَثْرَما
وحَلّ أطرافي فزالتْ فصوصُها * وحَنّى عظامي عُوجَها والمُقَوَّما

قال محمد : فحدّثتُ بهذا الحديث إسحاقَ الموصليّ، فقال : كَذَب ٱبنُ الزانية ! والله ما كان يجترئ [أن][3] يدخل إلى أبي إسحاق وهو جالس للناس إلا بعد جَهْد، فكيف يدخل إلى أبي إسحاق وهو جالس في الأَبْزَن .

نسبة هذا الصوت

الشعر والغناء لإبراهيم ، وله فيه لحنان ماخُوريّ بالوسطى عن عمرو، وثاني ثقيل عن ابن المكيّ .

غنت المقتدر إحدى جواريه لحناله

حدّثني جَحْظة قال :

كان المقتدر يدعونا في الأحايين، فكان يحضُر من المغنّين إبراهيمُ بن أبي العُبَيْس وكُنَيْز وإبراهيم بن قاسم وأنا ووَصِيف الزّامر ، وكان أكثر ما نُدْعَى له أنّ جواريه

(١) الأبزن (مثلث الهمزة) : حوض من حديد أو من نحاس مصنوع على شكل التابوت على قدر قامة الإنسان أو أقصر منها، عليه غطاء مثقوب، يضع فيه الأطباء المريض ويخرجون رأسه من الثقب فيداوونه بصب المطبوخات أو الماء المغلي بالأدوية الحارة . (٢) القولنج (وقد تكسر لامه أو هو مكسور اللام وتفتح القاف وتضم) : مرض معوى مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح .

(٣) زيادة يقتضيها السياق . وفي ط، ء : «ما كان غيري يدخل على أبي إسحاق ... الخ» .

[كنّ](١) يطالبنه بإحضارنا ليأخذن منّا أصواتا قد عرفْنها و يسمَعْننا ، فنُغنّى فيأخذْنَ ما يستحسِـنّه ، فإذا انصرفنـا أمر لكلّ واحد من إبراهيم وكُنَيْز دُبّة وإبراهيمَ بثلاثمائة دينـار ، ولى بمائتى دينـار ، ولوَصيف بمـائتى دينار ، ولسائر مَن لعلّه أن يَحْضُر معنا بمائتين إلى المـائة الدّينار(٢) إلى الألف الدّرهم(٣) ، فيكون إذا حضرنا من وراء ستـارة وهو جالس مع الجوارى ، فإذا أراد اقتراح شيء جاءنا الخـدم فأمرونا أن نغنّيه ، وبين يدىْ كلّ واحد منا قِنّينةٌ فيها خمسة أرطال نبيذ وقدحٌ ومغسَلٌ(٤) وكوزُ ماء ؛ فغنّتْ يومًا صَلِفَةُ جارية زِرْياب بصنعة إبراهيم الموصلىّ :

تغيّر منّى كلُّ حُسن وجِدّةٍ * وعادَ على ثَغرِى فأصبح أثْرَمَا

فشَرِبتُ عليه ، فآستعاده المقتدر مرارا وأنا أشرب عليه ، فأخذ إبراهيم بن أبى العُبَيْس بكَتِفِى وقال : يامجنون! إنما دُعيتَ لتُغنّىَ لا لِتُغنَّى وتَطْرَب وتَشرَبَ ، فلعلّك تَسْكَرُ ، حَسْبُك ! ، فأمسكتُ طمعًا أن تَرِدَه بعد ذلك ، فما فعلتْ ولا آجتمعنا بعدها ، وما سمعتُ قبل ذلك ولا بعده أحدا غنّى هذا الصوتَ أحسنَ ممـا غنّته . قال : وكان المقتدر(٥) ابتاعها من زِرْياب .

رأى سوداء بمكة تبكى زوجها بشعر فبحث عنه حتى ردّه اليها

٣٣/٥ أخبرنى عمّى قال حدّثنى عبد الله(٦) بن أبى سعد قال حدّثنى أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان بن علىّ قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ عن أبيه قال :

---

(١) الزيادة عن ط ، ى .
(٢) كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : «بمائتين المـائة الدينار الى المـائة الدرهم» .
(٣) كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : «فنكون» بالنون .
(٤) المغسل (بكسر السين وفتحها) : ما يغسل فيه .
(٥) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : «المعتضد» . ويلاحظ أن جميع النسخ قد اتفقت فى أوّل الخبر على أنه المقتدر .
(٦) كذا فى ط ، ى هنا وفيما سيأتى فى جميع الأصول وفيما مر فى الجزء الثالث (ص ١٩٢ من هذه الطبعة) . وفى سائر الأصول هنا : «عبيد الله» ، وهو تحريف .

بينا أنا بمكة أجول فى سِكَكِها إذا أنا بسوداءَ قائمةٍ ساهيةٍ باكيةٍ، فأنكرتُ حالها وأدْمَنْتُ النظر إليها، فبكَتْ وقالت :

أعمــــرُو عَــلامَ تجنَّبتَنى * أخذتَ فؤادى وعذَّبْتَنِى
فلو كنتَ ياعمرُو خبرتَنى (١) * أخذتُ حِذارى فما نِلْتَنى

فقلتُ لها : ياهذه، من عمرٌو؟ قالت : زوجى، قلت : وما شأنه؟ قالت : أخبرنى أنه يَهْوَانى وما زال يطلبنى حتى تزوّجتُه، فلبِث معى قليلا ثم مضى إلى جُدَّةَ وتركنى؛ فقلتُ لها : صِفيه لى، قالت : أحسنُ مَن أنت رائيه سُمرةً وأحلاهم حلاوةً وقدًّا؛ قال : فركبتُ رواحلى مع غِلمانى وصرتُ إلى جُدَّةَ، فوقفتُ فى موضع المرْفأ أتبصَّرُ مَن يحمل من السفن، وأمرتُ مَن يَصوت : ياعمرُو ياعمرُو، وإذا أنا به خارجاً (٢) من سفينة على عنقه صَنٌّ (٣) فيه طعامٌ، فعرفتُه بصفتِها ونعتِها إياه، فقلتُ :

أعمــــرُو عَلامَ تجنَّبتَنِى * أخذتَ فؤادى وعذَّبتَنِى

فقال : هِيه (٤)! أرأيتَها وسمعتَ منها؟ فقلتُ : نعم، فأطرق هُنَيهةً يبكى، ثم آندفع فغنَّى به أملحَ غناءٍ سمعتُه، وردّده علىّ حتى أخذتُه منه، وإذا هو أحسنُ الناس غناءً؛ فقلتُ له : ألَا ترجع إليها؟ فقال : طلبُ المعاش يمنعُنى؛ فقلتُ : كم يكفيكَ معها فى كلّ سنةٍ ؟ فقال : ثلثمائة درهم — قال إسحاق : قال لى أبى : فوالله يابُنَىّ لو قال ثلثمائة دينــارٍ لطابتْ نفسى بها — فدعوتُ به فأعطيتُه ثلاثةَ آلافِ درهمٍ، وقلتُ له : هذا

---

(١) فى ط ، ء : «حذرتنى» . (٢) فى الأصول : «خارج» . (٣) كذا فى أكثر الأصول . والصنّ (بالفتح): شبه السلة المطبقة ، يجعل فيها الطعام والخبز . وفى ب ، سـ : «ضبن» بالضاد والباء ، والضبن : الحمل ، وهو لا يلتئم مع ما بعده . (٤) هيه (بكسر الهاء الأخيرة وفتحها): معناه طلب الحديث والاستزادة منه .

لعشر سنين على أن تُقيمَ معها ، فلا تَطلب المعاش إلا حيثُ هى مقيمةٌ معك، ويكون ذلك فضلا، ورددتُه معى إليها .

كان يغنى الرشيد ليلة فبلغه ما أغضبه فما زال يغنيه حتى سرّ الرشيد وأجزل صلته

أخبرنى حبيبُ بن نصر المهلّبىّ قال حدّثنا علىّ بن محمد النّوفلىّ (١) قال حدّثنا صالح بن علىّ (يعنى الأضخم) (٢) عن إبراهيم الموصلىّ — قال : وكان صالح جارَه — قال : بينا أنا عَشيّةً فى منزلى إذ أتانى خادم من خَدَم الرشيد فآستحثّنى بالركوب [إليه] (٣) فخرجتُ شبيهًا بالراكض ، فلما صرتُ إلى الدّار عُدِل بى عن المدخل إلى طرق لا أعرفها ، فآنتُهِى بى إلى دارٍ حديثةِ البناء ، فدخلتُ صحنًا واسعا ، وكان الرشيد يشتهى الصّحون الواسعة ، فإذا هو جالس على كرسىّ فى وسط ذلك الصّحن ، ليس عنده أحد إلا خادمٌ يسقيه ، وإذا هو فى لِبْسَتِه التى كان يلبَسُها فى الصيف : غلالةٌ (٤) رقيقة مُتَوشّح عليها بإزار رَشيدىّ (٥) عريض العَلَم مُضَرّج (٦) ؛ فلما رآنى هَشَّ لِى وسُرّ ، وقال : يامَوصِلىّ ، إنى آشتهيتُ أن أجلس فى هذا الصّحن فلم يتّفق لى إلا اليوم ، وأحببتُ ألّا يكون معى ومعك أحدٌ ، ثم صاح بالخُدّام (٧) ، فوافاه مائةُ وَصيف ، وإذا هم بالأَرْوِقة مستترون بالأساطين (٨) حتى لا يراهم ، فلما ناداهم جاءوا جميعا ، فقال : مُقطِّعة لإبراهيم ، وكان هو أوّل من قطع المُصَلّيات ، فأُتيتُ بمقعد فأُلقِى لى تُجاه وجهه بالقرب منه ؛

---

(١) كذا فى ط ، ء ، وهو الموافق لما جاء فى الأغانى (ج ٣ ص ١٧٤ من هذه الطبعة) والطبرى (قسم ٣ ص ٥٩٦ طبع أوربا) . وفى سائر الأصول : « محمد بن يحيى النوفلى » .

(٢) فى ب ، س « الأضخم » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف . (انظر الطبرى قسم ٣ ص ٥٩٦) .

(٣) زيادة عن ط ، ء . (٤) الغلالة : الشعار الذى يلبس تحت الثياب و يلى شعر الجسد .

(٥) فى مختار الأغانى : «سندى» . (٦) مضرج : مصبوغ بضرب من الصبغ أحمر .

(٧) عبارة ط ، ء : « ... ثم صاح ياغلام ... الخ » . (٨) الأساطين : الأعمدة .

ودعا بعود فقال : بحياتى أَطرِبنى بمـا قَدَرْتَ ، قال : ففعلتُ وٱجتهدتُ فى ذلك ونشِـطتُ ورجوتُ الجائزةَ فى عشيّتى ، فبينا أنا كذلك إذ جاءه مسرورٌ الكبيرُ، فقام مَقَامَه الذى كان إذا قامه علِم الرشـيدُ أنه يريد أن يُسارّه بشىء ، فأومأ إليه بالدنوّ ، [فدنا](١) فألقَى فى أذنه كلمةً خفيفةً(٢) ثم تنحَّى . فٱستشاط غضبًا وٱحمرّتْ عيناه وٱنتفختْ ٣٤ / ٥ أوداجُه ، ثم قال : حتَّامَ أصبِرُ على آل بنى أبى طالب ! واللهِ لأَقتلنّهم ولأقتلنّ شِيعتَهم ولأفعلنّ ولأفعلنّ ! ؛ فقلتُ : إنا لله ! ليس عند هذا أحدٌ يُخرِجُ غضبَه عليه ، أحسِبه واللهِ سيوقِـعُ بى ، فٱندفعتُ أُغنّى :

صـــــوت

نِعمَ عَونًا على الهمـوم ثلاثُ * مُترَعاتٌ من بعـدهنّ ثلاثُ
بعـــدها أربعٌ تَتِمّـةُ عشرٍ * لا بِطاءٌ لكنّهنّ حِثاثُ(٣)
فإذا ناولَتْكَهُـــنّ جـــوارٍ * عَطِراتٌ بيضُ الوجوه خِناثُ
تَمّ فيها لك السرورُ وما طَـ * ـيَّبَ عَيْشًا إلا الخِناثُ الإناثُ

قال : وَيْلَك ! اسقِنى ثلاثا لا أُمُتْ همًّا(٤) ، فشرب ثلاثا متتابعـة ، ثم قال : غنِّ ؛ فغنّيتُ ، فلمّا قلتُ :

ثلاثُ * مُترعاتٌ من بعدهنّ ثلاثُ *

قال : هاتِ وَيْلك ثلاثا ! ، ثم قال لى : غنّ ، فلمّا غنّيتُه قال : حُثَّ علىّ بأربع تتمّـةِ العشر ، ففعل ؛ فواللهِ ما ٱستوفَى آخرَهنّ حتى سَكِر ، فنهض ليدخل ، ثم قال : قم ياموصليّ فٱنصرِفْ ، يامسرورُ ، أقسمتُ عليك بحياتى و بحقّى إلّا سَبقتَه(٥) إلى منزله

(١) زيادة عن ط ، ء . (٢) فى ب ، س ، ح : « خفية » .
(٣) حثاث : مسرعات . (٤) كذا فى ط ، ء ، أ . وفى سائر الأصول : «لا أموت» .
(٥) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «إلا شيعته» .

بمائة ألف درهم، لا أُستأمر فيها ولا فى شىء منها؛ فخرجتُ والله وقد أَمِنتُ خوفى وأدركتُ ما أمّلتُ، ووافيتُ منزلى وقد سَبَقتنى المائةُ الألف الدرهمِ إليه .

أخذ عن ابن جامع فى سكره صوتا غنى به الرشيد فطرب وقرّبه

أخبرنى عمّى[1] قال حدّثنا عبدُ الله بن أبى سعد قال حدّثنى يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدّثنى عبدُ الله بن العباس بن الفضل بن الرّبيع قال :

خرج [رسول][2] الرشيد ذاتَ ليلةٍ إلى المغنّين فقال : غنُّوا :

ياخليلىَّ قد مَلِلْتُ ثَوائى * بالمُصلَّى[3] وقد سئِمتُ البَقِيعا[4]
بلِّغانِى[5] ديارَ هندٍ وسُعْدَى * وارجِعانى فقدهَوِيتُ الرجوعَا

قال : فغنّاه ابنُ جامع ، فلمّا فرَغ منه طرِب الرشيدُ وشرِب؛ فقال له إبراهيم الموصلىّ : ياسيِّدى، فاسمعه من نُبَيْطِك فغنّاه ، فجعل ابنُ جامع يزحَف من أوّل البيت الى آخره ، وطَرِب هارونُ فقال : ارفعُوا السّتارةَ؛ فقال له ابن جامع : منّى والله أخذه يا أميرَ المؤمنين ؛ فأقبل على إبراهيمَ فقال : بحياتى صَدَق ؟ قال : صدق وحياتِك ياسيّدى؛ قال : وكيف أخذتَه وهو أبخل الناس[6] إذا سُئل شيئا؟ قال: تركتُه يغنّيه وكان إذا سكِر يَسترسلُ فيه فيغنّيه مُستوياً ولا يتحرز منّى ، فأخذتُه على هذا منه حتى وفَيتُ[7] به .

(١) كذا فى ط ، ء والطبرى (قسم ٣ ص ٣٢٢ طبع أوربا) . وفى سائر الأصول : «الحسين» ، وهو تحريف . (٢) التكلة عن ط ، ء ، إذ المعروف عن الخلفاء أنهم كانوا يجلسون وراء ستارة بينها وبين الندماء عشرون ذراعا ، وكان يوكل بهذه الستارة حاجب ينهى الى المغنين ما يريده الخليفة . (انظر كتاب التاج للجاحظ ص ٣٧ طبع بولاق) فى كلامه على الرشيد وغيره من ملوك الإسلام والفرس ، وسيأتى فى بقية الخبر ما يؤيد ذلك . (٣) فى ط ، ء : «شنئت» . (٤) المصلى والبقيع : موضعان بالمدينة . (٥) فى ط ، ء : «بلغانى ... وارجعانى» . (٦) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «قال : وكيف أخذته؟ قال : هو أبخل الناس إذا سئل شيئا ، فتركته ... الخ» . (٧) يريد : جئت به وافيا تاما لم أنقص منه شيئا .

كانت لزلزل جارية مطبوعة فلما مات عنها أخبر هو به الرشيد فابتاعها وأعتقها

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان بَرْصُوما الزامرُ وزَلْزَلٌ الضاربُ من سَواد أهل الكوفة من أهل الخُشْنة(١) والبَذَاذة والدناءة . فقدم بهما أبي معه سنةَ حجّ ، ووقفهما على الغناء العربيّ وأراهما وجوهَ النَّغَم وثقّفهما حتى بلغا المبلغَ الذي بلغاه من خدمة الخليفة ، وكانا أطبعَ أهلِ دهرِهما في صناعتهما . فحدّثني أبي قال : كان لزلزل جاريةٌ قد ربّاها وعلّمها الضربَ وسألني مطارحتَها [فطارحتُها(٢)] ، وكانت مطبوعةً حاذقة ، قال : فكان يَصُونُها أن يسمعها أحدٌ ، فلما مات بلغني أنها تُعرَض في ميراثه للبيع ، فصرتُ إليها لأعترضَها ، فغنّتْ :

أقفــرَ من أوتاره العــودُ * فالعــودُ للأوتار معمودُ
وأوحش المزمارُ من صوته * فمــا لَه بعــدكَ تغريدُ
مَنْ للزامير وعِيدانهــا * وعامرُ اللّذات مفقــود
الخمــرُ تبكى في أباريقهــا * والقَيْنــةُ الخَمْصــانةُ الرُّود(٣)

٣٥
٥

قال : وهذا شعر رثاه به صديق له كان بالرَّقّة(٤) ؛ قال : فأبكت والله عيني وأوجعت قلبي . فدخلتُ على الرشيد فحدّثته بحديثها ، فأمر بإحضارها فحضرتْ ؛ فقال لها : غنّي الصوتَ الذي حدّثني إبراهيم عنك أنك غنّيته ، فغنّته وهي تبكى ؛ فرقّ الرشيدُ لهــا وتَغَرْغَرت عيناه(٥) ، وقال لها : أتحبّين أن أشترِيَك؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ،

(١) كذا في أكثر الأصول . والخشنة (بضم أوله وتسكين ثانيه) : الخشونة ، ورجل ذو خشنة : صعب لا يطاق . والبــذاذة : رثاثة الهيئة . وفي أ : « الخسة » بالسين المهملة . (٢) زيادة عن ط ، ء . (٣) الرؤد (وزان قفل وسهلت همزته) : الشابة الناعمة الحسنة . (٤) كذا في ط ، ء . وفي باقي الأصول « رثاه به صديق له كان يألفه فأبكت ... الخ » .

(٥) كذا في ط ، ء . وفي سائر الأصول : « فغنته وهي تبكى فتغرغرت عينا الرشيد ... الخ » .

لقد عرَضتَ علىّ ما يقصُر عنه الأملُ، ولكن ليس من الوفاء أن يملكنى أحد بعد سيّدى فينتفعَ بى؛ فآزداد رِقّةً عليها ، وقال : غَنّى صوتا آخر ، فغنّت :

العـينُ تُظهِر كتمانى وتُبــديه * والقلبُ يكتم ما ضَمّنتُه فيــه
فكيف ينكتم المكتـومُ بينهما * والعينُ تُظهره والقلبُ يُخفيه

فأمر بأن تُبتاعَ وتُعتَق، ولم يزل يُجْرى عليها إلى أن ماتت .

قصته مع الرشيد بشأن الجارية التى عرض بها فى مجلسه

أخبرنا محمد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه عن جدّه قال : قال لى الرشيدُ يوماً : يا إبراهيم ، بكِّرْ علىَّ غدًا حتى نَصْطبحَ ؛ فقلتُ له (١) : أنا والصبحُ كَفَرَسَىْ رِهَانٍ ؛ فبكَّرتُ فإذا أنا به خاليًا (٢) ، وبين يديه جاريةٌ كأنها خُوطُ بان أو جَدْلُ عِنان ، حُلْوةُ المنظر ، دَمِثةُ الشمائل ، وفى يدها عودٌ ؛ فقال لها : غَنّى ، فغنّتْ فى شعر أبى نُوَاس وهو :

توَهّمه قلبى فأصــبح خــدُّه * وفيه مكانَ الوَهْم من نظرى أُثْرُ (٣)
ومرّ بفكرى خاطرًا فجرحتُه * ولم أر جسمًا قطُّ يجـرَحُه الفكرُ
وصافَــه قلبى فآلَمَ كفَّــه * فمِنْ غَمْز قلبى فى أنامله عَقْرُ

قال إبراهيمُ : فذهبتْ والله بعقلى حتى كِدتُ أنْ أفتضحَ ، فقلتُ : مَنْ هذه يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : هذه التى يقول فيها الشاعر :

لهـا قلبى الغــداةَ وقلبُهـا لى * فنحن كذاك فى جَسَدَيْنِ رُوحُ

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « فكنت أنا والصبح ... الخ » .
(٢) فى الأصول : «خال» بالرفع ، والقواعد تأباه ، إذ هو حال من الضمير فى «به» .
(٣) أثر الجرح (بالضم و بضمتين أيضا) : أثره يبق بعد ما يبرأ .

ثم قال لها : غنّي، فغنّتْ :

صـــوت

تقول غداةَ البَيْنِ إحدى نسائهم * لِيَ الكَبِدُ الحرّى فسِرْ ولكَ الصّبرُ
وقــد خنَقتْها عَبْرةٌ فدموعُهــا * على خدِّها بِيضٌ وفي نحرِها صُفر

— الشعرُ لأبي الشِّيص . والغناء لعمرِو بن بانةَ، خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى من كتابه . وفيه لمُتيَّمَ ثاني ثقيــلٍ وخفيفُ رَمَلٍ آخر — قال : فشرب وسقاني ثم سقاها، ثم قال : غنِّ يا إبراهيم، فغنّيتُ حسبَ مَا في قلبي غيرَ مُتحفِّظ من شيء :

تَشَرَّبَ قلبي حبَّهــا ومشَى به * تَمَشِّيَ حُمَيَّا الكأس في جسم شاربِ
ودبَّ هـــواها في عِظامي فشفَّها * كما دبَّ في المَلْسوع سمُّ العقارب

قال : ففَطِن بتعريضي، وكانت جهــالةً منّي ؛ قال : فأمرني بالانصراف، ولم يدعُني شهراً ولا حضرتُ مجلسَه ؛ فلما كان بعد شهر دَسَّ إليّ خادماً معه رُقعةٌ، فيها مكتوب :

قد تخوّفتُ أن أموتَ من الوَجْـ * ـد ولم يَدْرِ مَنْ هَوِيتُ بمـا بِي
يا كتابي فأقرِ السّلامَ على مَنْ * لا أُسمِّي وقــل له يا كتابي ٣٦/٥
إنّ كفًّا إليــكَ قــد بعثتْني(١) * في شَـقاءٍ مُواصَــلٍ وعذاب

فأتاني الخــادمُ بالرقعة، فقلت له : ما هذا ؟ قال : رقعة الجارية فلانة التي غنّتك بين يدي أمير المؤمنين، فأحسَسْتُ القصّةَ فشتَمتُ الخادمَ ووثبتُ عليــه وضربتُه ضربا شَفَيْتُ به نفسي وغيظي ، وركبتُ إلى الرشــيد من فَوْري فأخبرتُه القصّــةَ

(١) في ط، ء ومختار الأغاني : « إن كفا إليكم كتبتني » .

وأعطيته الرقعة ، فضحك حتى كاد يستلقى ، ثم قال : على عَمْدٍ فعلتُ ذلك بك لأمتحنَ مذهبَك وطريقتَك ، ثم دعا بالخادم ؛ فلما خرج رآنى فقال لى : قطع الله يديك ورجليك ، وَيْحك ! قتلتَنى ؛ فقلت : القتلُ والله كان بعضَ حقِّك لمّا وردت به علىّ ، ولكن رحمتُك فأبقيتُ عليك ، [وأخبرتُ أميرَ المؤمنين ليأتىَ فى عقوبتك بما تستحقه . فأمر لى الرشيدُ بصلةٍ سنيّة (1)] ؛ والله يعلم أنى ما فعلتُ الذى فعلتُ عَفافًا ولكن خوفا .

سأله الرشيد كيف يصنع ألحانه فأجابه

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق قال :

أخبرنى أبى أنه سمع الرشيدَ وقد سأل جدّى إبراهيمَ كيف يصنع إذا أراد أن يصوغَ الألحانَ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أُخرِجُ الهمَّ من فكرى وأُمثِّل الطربَ بين عينىّ ، فتسوغ (2) لى مسالكُ الألحان [التى أريد] (1) فأسلكها بدليل الإيقاع ، فأرجع مُصيبا ظافرا بما أريد ؛ فقال : يحقّ لك يا إبراهيم أن تُصيبَ وتظفرَ ، وإنّ حُسْنَ وصفك لمُشاكِلٌ حُسْنَ صنعتك وغنائك .

فراسة يونس الكاتب فيه

أخبرنى ابن المرزُبان قال حدّثنى حمّاد عن أبيه عن جده قال :

أدركتُ يونس الكاتبَ وهو شيخ كبير فعرضتُ عليه غنائى ؛ فقال : إن عشتَ كنتَ مُغنّىَ دهرك .

كان أحد من يتصرّفون فى كل مذهب من الأغانى

قال حمّاد قال لى محمد بن الحسن : كان لكلّ واحد من المغنّين مذهب فى الخفيف والثقيل ، وكان مَعْبد ينفرد بالثقيل ، وابنُ سُرَيج بالرَّمَل ، وحَكَمٌ بالهَزَج ،

---

(1) الزيادة عن ط ، ء ومختار الأغانى . (2) كذا فى ط ، ء . وفى حـ : «فيشرع» . وفى سائر الأصول : « فيسرع » .

ولم يكن فى المُغنّين أحد يتصرّف فى كل مذهب من الأغانى إلا ابنُ سريج وإبراهيمُ جدّك وأبوك إسحاق .

رآه ثمامة بن أشرس مع يزيد حوراء مصطبحين يغنيان فأعجب بما كانا فيه

حدّثنى عمّى قال حدّثنى أحمد بن الطّيّب السَّرَخْسِىّ قال حدّثنى أحمد بن ثابت العَبْدىّ عن أبى الهُذَيل العلّاف رأس المعتزلة عن ثُمَامة بن أشْرَس قال :

مررتُ بإبراهيم الموصلىّ و يزيدَ حَوْراء وهما مُصطبِحان[(1)] ، وقد أخذا بينهما صوتا يُغنّيانه : هذا بيتا وهذا بيتا ، وهو :

صـــوت

أيا جبَلَىْ نَعمانَ باللهِ خلِّيا * سبيلَ الصَّبا[(2)] يَخْلُص إلىّ نسيمُها
فإنّ الصَّبا ريحٌ إذا ما تنسّمتْ * على نفس مهمومٍ تجلّت همومُها

قال ثُمامة : فوالله ما خِلتُ أنّ شيئا بقى من لذّات الدنيا بعد ما كانا فيه .

طلب الخلوة فى بيته يوما فزعم أن إبليس زاره وطارحه الغناء

أخبرنا محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه إبراهيم قال:

سألتُ الرشيد أن يهب لى يومًا فى الجمعة لا يبعث فيه إلىّ بوجه ولا بسبب، لأخلوَ فيه بجوارىّ وإخوانى، فأذن[(3)] لى فى يوم السبت، وقال لى : هو يوم أستثقله، فآلْهُ فيه بما شئتَ؛فأقمتُ[(4)] يوم السبت بمنزلى وتقدمتُ فى إصلاح[(5)] طعامى وشرابى بما آحتجتُ إليه، وأمرتُ بوابى فأغلق الأبوابَ وتقدّمتُ[(6)] إليه ألّا يأذنَ

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « مصطحبان » . (٢) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « نسيم الصبا » . (٣) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «فقال : هو ... الخ » . (٤) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « فأقمت فى يوم ... الخ » . (٥) فى ب : « فى اصطلاح » وهو تحريف . (٦) تقدمت اليه : أمرته .

علىّ لأحد ؛ فبينا أنا فى مجلسى والخدمُ قد حَفُّوا (١) بى وجَوَارِىّ يترَدَّدْن بين يدىّ ، إذا أنا بشيخ ذى هيئة وجمال ، عليه خُفَّان قصيران وقَميصان ناعمان ، وعلى رأسه قَلَنْسُوة لاطئة (٢) ، وبيده عُكَّازة مُقَمَّعة بفضّة ، وروائحُ المسك تفوح منه حتى ملأ البيتَ والدار ؛ فداخلنى بدخوله علىّ مع ما تقدّمت فيه غيظٌ ما تداخلنى قطّ مثلُه ، وهممتُ بطرد بوّابى ومَنْ حجبنى لأجله ؛ فسلّم علىّ أحسنَ سلام فرددت عليه ، وأمرته بالجلوس فجلس ، ثم أخذ [بى] (٣) فى أحاديث الناس وأيام العرب وأحاديثها وأشعارها حتى سَلَّى (٤) ما بى من الغضب ، وظننت أنّ غلمانى تَحَرَّوْا مَسَرَّتى بإدخالهم مثلَه علىّ لأدبه وظَرْفه ؛ فقلتُ : هل لك فى الطعام؟ فقال : لا حاجة لى فيه ؛ فقلت : هل لك فى الشراب ؟ فقال : ذلك إليك ، فشربتُ رطلًا وسقيتُه مثلَه ؛ فقال لى : يا أبا إسحاق ، هل لك أن تُغَنّى لنا شيئا من صَنْعتك وما (٥) قد نَفَقْتَ به عند الخاصّ والعامّ ؟ فغاظنى قولُه ، ثم سهّلتُ على نفسى أمرَه فأخذتُ العود فجسستُه ثم ضربت فغنّيتُ ؛ فقال : أحسنت يا إبراهيم ؛ فآزداد غيظى وقلت : ما رضى بما فعله من دخوله علىّ بغير إذن وآقتراحه أن أغنّيه حتى سمّانى ولم يُكَنِّنى ولم يُجمِل مخاطبتى ! . ثم قال : هل لك أن تزيدنا؟ فتذمَّمت (٦) فأخذتُ العود فغنّيتُ ؛ فقال : أجدت يا أبا إسحاقَ !

٣٧ / ٥

---

(١) فى ب ، س ، م : « والحرم » . (٢) يقال : تقلس باللاطئة وهى قلنسوة صغيرة تلطأ (تلزق) بالرأس . (٣) زيادة عن ط ، ء ، حـ . (٤) لعله ضمن « سلى » معنى أذهب وأزال ، على أنه لا يبعد أن يكون أصله « سل » . وفى ط ، ء : « سلا » . (٥) كذا فى ب ، س ، حـ ومختار الأغانى لابن منظور . وفى ط ، ء : « من صنعتك ما قد فقت به ... الخ » . وفى م : « من صنعتك ما قد تعنيت به ... الخ » . (٦) تذمم الرجل : استنكف ، يقال : لولم أترك الكذب تأثما لتركته تذمما ، أى مجانبة للذم .

فأتمّ[1] حتى نكافئك ونُغنّيك ، فأخذت العود وتغنّيت وتحفّظتُ وقمتُ بما غنّيته إياه [قياما][2] تامًّا ماتحفّظت مثله ولا قمتُ بغناء كما قمتُ به له بين يَدَىْ خليفة قطُّ ولا غيره ، لقوله لى : أكافئك ، فطرب وقال : أحسنتَ ياسيِّدى[3] ، ثم قال : أتأذن لعبدك بالغناء؟ فقلت : شأنَك ، وآستضعفتُ عقلَه فى أن يغنّيني بحضرتى بعد ما سمعه منّى ، فأخذ العود وجسّه وحبسه ، فوالله لخِلْتُه ينطِق بلسانٍ عربىّ لحسن ما سمعتُه من صوته[4] ، ثم تغنّى :

صوت

ولى كَبِدٌ مقروحةٌ مَنْ يبيعنى * بها كبِدًا ليستْ بذات قُروحِ
أباها علىّ النّاسُ لا يشترونها * ومَنْ يشترى ذاعِلّةٍ[5] بصحيحِ
أئنّ من الشوق الذى فى جوانحى * أنينَ غَصيصٍ بالشراب جَريحِ

قال إبراهيمُ : فوالله لقد ظننتُ الحيطانَ والأبوابَ وكلَّ مافى البيت يجيبه ويُغنّى معه من حسن غنائه ، حتى خلتُ والله أنّى أسمعُ أعضائى وثيابى تجاوبه[6] ، وبقيتُ مبهوتًا لا أستطيعُ الكلامَ ولا الجوابَ ولا الحركةَ لِمَا خالط قلبى ، ثم غنّى :

صوت

ألا ياحماماتِ اللّوَى عُدْنَ عَوْدَةً * فإنّى إلى أصواتكنّ حزينُ
فعُدْنَ فلمّا عُدنَ كِدْنَ يُمِتْنَني * وكدتُ بأسرارى لهنّ أُبينُ

---

(١) فى ط ، ء ومختار الأغانى : «فأتمم هزارك» . والهزار : كلمة فارسية من معانيها الأنشودة والمقدارية .
(٢) الزيادة عن ط ، ء . (٣) فى ط ، ء : «أحسنت ياسيدى ويا أوثق عددى» .
(٤) فى ط ، ء : «من ضربه» . (٥) فى ط ، ء : «ذا عرة» . والعرة : الجرب .
(٦) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «أنى وعظامى وثيابى ... الخ» .

دَعَوْنَ بتَرْدَادِ الهَـــديرِ كأنَّمـا * سُـــقِينَ حُمَيًّا أو بهِـنّ جُنونُ
فَـــلم تَرَ عينى مثلهنّ حمائمًـا * بكَيْنَ ولم تَدْمَعْ لهنّ عيونُ

— لم أعرف فى هذه الأبيات لحنًا يُنسب إلى إبراهيم، والذى عرفتُه لمحمد بن الحارث ابن بُسْخُنَّر(١) خفيفُ رمل — فكاد، والله أعلم، عقلى أن يذهب طربًا وارتياحًا لمـا سمعتُه؛ ثم غنّى :

صـــــوت

٣٨ / ٥ أَلَا يا صَبا نجدٍ متى هِجْتَ من نجـد(٢) * لقد زادنى مَسْراكِ(٣) وَجْدًا على وَجد
أَأَن هتفتْ وَرْقاءُ فى رَوْنَقِ الضُّحى(٤) * على فَنَنٍ غضّ النّبـات من الرَّنْد
بكيتَ كما يبكى الحـزينُ صبابةً(٥) * وذُبْتَ من الحـزن المبرِّح والجَهْد
وقـد زعمـوا أنّ المحبَّ إذا دنا(٦) * يَمَلُّ(٧) وأنّ النأىَ يَشْفِى من الوَجْد
بكلٍّ(٨) تداوينا فلم يَشْـفِ مابنـا * على أنّ قربَ الدار خيرٌ من البعد

(١) كذا فى ط ، ء . وقد صححه الأستاذ الشنقيطى فى عدّة مواضع بنسخته الخاصة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٤٤ أدب ش) . وقد ورد فى سائر الأصول « بشــخير » وهو تصحيف .

(٢) رونق الضحى : حسنه وإشراقه . (٣) كذا فى ط ، ء وشرح الحماسة للتبريزى (ج ٣ ص ١٤٥) . وفى سائر الأصول وديوان ابن الدمينة المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة تحت رقم (٦ أدب ش) : «عصن» . (٤) الرند : شجر طيب الرائحة من شجر البادية . وقد ورد هذا البيت فى أكثر الأصول بعد البيت الذى يليه ، وقد وضعناه كما ورد فى ط ، ء لانسجام الكلام بذلك .

(٥) روى هذا البيت فى شرح الحماسة هكذا :

بكيت كما يبكى الوليـــد ولم تكن * جليدا وأبديت الذى لم تكن تبدى

(٦) كذا فى ط ، ء ، م والأغانى (ج ١٥ ص ١٥٦ طبع بولاق) وهو الموافق لما جاء فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى وديوانه . وفى سائر الأصول : « إذا نأى » . (٧) فى ط ، ء : «يسلى» .

(٨) فى ط ، ء وشرح الحماسة : « على ذاك قرب ... الخ » .

ثم قال : يا إبراهيم ، هـذا الغناء المـاخُورىّ فخـذه وأنحُ نحوَه فى غنائك وعلِّمـه جواريَك ؛ فقلتُ : أعِدْه علىّ ، فقال : لستَ(١) تحتاج ، قد أخذتَه وفرغتَ منه ، ثم غاب من بين يدىّ(٢) ؛ فآرتعتُ(٣) وقمت إلى السيف فجرّدته ، وعدوتُ نحو أبواب الحُرَم فوجدتُها مُغْلقةً ، فقلتُ للجوارى : أىّ شىء سمعتنّ عنـدى؟ فقلن(٤) : سمِعنا أحسنَ غناءٍ سُمِـعَ قطّ ؛ فخرجتُ متحيرًا إلى باب الدار فوجدتُه مُغلقًا ، فسألتُ البوّابَ عن الشيخ ؛ فقال لى : أىّ شيخ هو؟ والله ما دخل إليك اليومَ أحد ؛ فرجَعتُ لأتأمّل أمرى ، فإذا هو قد هتَف [بى(٥)] من بعض جوانب البيت : لا بأسَ عليك يا أبا إسحاق ، أنا إبليس وأنا كنت جليسَك ونديمَك اليومَ ، فلا تُرَعْ . فركبت إلى الرشـيد وقلت : لا أُطرفه(٦) أبدًا بطُرْفة مثلِ هذه ، فدخلت إليه فحدّثته بالحديث ؛ فقال : وَيْحَك ! تأمّلْ هـذه الأصواتَ(٧) ، هل أخذتَهـا؟ فأخذت العـود أمتحنها ، فإذا هى راسخة فى صـدرى كأنها لم تزل ؛ فطرب الرشيد [عليها(٥)] وجلس يشرب ولم يكن عزَم على الشراب ، وأمر لى بصلةٍ وحُملانٍ(٨) وقال : الشيخ كان أعلم بمـا قال لك من أنك أخذتَها وفرغتَ منها ، فليتَه أمتعَنا بنفسه يومًا واحدا كما أمتعك .

---

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول . «ليس» . (٢) فى ط ، ء ومختار الأغانى : «من بين عينىّ» . (٣) كذا فى ط ، ء ومختار الأغانى . وفى سائر الأصول : «فارتفعت» . (٤) فى ب ، س : «فقلنا» وهو تحريف . (٥) الزيادة عن ط ، ء ومختار الأغانى . (٦) أطرفه : أتحفه وأتاه بالحديث الجديد . (٧) كذا فى ط ، ء ومختار الأغانى . وفى سائر الأصول : «الأبيات» . (٨) الحملان (بالضم) : ما يحمل عليه من الدواب فى الهبة خاصة .

نسبة هذه الأصوات

أمّا الصوت الأوّل فالذى أعرفه فيه خفيفُ رَمَلٍ لمحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر، ولم يقع إلىّ فيه صنعةٌ لإبراهيم . والصوت الثانى الذى أوّله :

* ألا ياصبا نجدٍ متى هِجْتِ من نجدِ *

فشعرُه ليزيدَ[1] بن الطَّثَرِيَّةِ[2] ، والغناءُ لإبراهيم خفيفُ ثقيل بالبنصر عن عمرو . وفيه لمحمد بن الحسن بن مصعَب ثانى ثقيل بالوسطى عن الهشامىّ وعمرو . وذكر إبراهيمُ أنّ فيه لحنا لدَحْمان ولحنا لابنه الزُّبَير ، ولم يَذْكر فى أىّ طريقةٍ هما . —

هكذا حدّثنا ابن أبى الأزهر بهذا الخبر، وما أدرى ما أقول فيه، ولعل إبراهيمَ صنع هذه الحكاية ليتنفّق بها ، أو صُنعتْ وحُكيتْ عنه . إلا أنّ للخبر أصلًا الأشبهُ بالحق منه ما حدّثنى به أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وأحمد بن عبيد الله بن عمّار قالا حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ عن أبيه قال :

صنعتُ لحنا فأعجبنى، وجعلت أطلب شعرا فعَسُر ذلك علىّ، ورأيتُ فى المنام كأنّ رجلا لَقِينى فقال: يا إبراهيم، أأعياك شعرٌ لغنائك هذا الذى تُعْجَب به ؟ قلت نعم؛ قال : فأين أنت من قول ذى الرُّمّة حيث قال :

(١) كذا فى جميع الأصول والأمالى لأبى على القالى (ج ٢ ص ١٠٤ طبع دار الكتب المصرية) . وقد نسبت هذه الأبيات فى الأغانى (ج ١٥ ص ١٥٦ طبع بولاق) وشرح الحماسة للتبريزى (ج ٣ ص ١٤٥) لعبد الله بن الدمينة ، وهى مذكورة فى ديوانه .

(٢) فى ب ، حـ : «الطبرية» بالباء الموحدة، وهو تصحيف .

ألا يا اسْلَمِي يادارَ مَيَّ على البِلَى * ولا زال مُنْهَلًّا بجَرْعائك القَطْرُ (١)
وإن لم تكوني غيرَ شَامٍ بقَفْرةٍ (٢) * تَجُرُّ بها الأذيالَ صَيْفِيَّةٌ (٣) كُدْرُ ٣٩/٥

قال: فانتبهتُ وأنا فَرِحٌ (٤) بالشعر، فدعوتُ مَنْ ضرب علىّ وغنّيتُه فإذا هو أوفقُ ما شئت الله، فلمّا علمتُ [ذلك، وعملتُ (٥)] هذا الغناء في شعر ذي الرمة، تنبّهتُ عليه وعلى شعره فصنعتُ فيه ألحانًا ماخُورِيّةً، منها:

صــــوت

أَمَــنْزِلَتَيْ مَيٍّ سَــلامٌ عليــكما * هل الأزمُنُ اللائى مَرَرْنَ رواجعُ
وهل يَرْجِعُ التسليمَ أو يكشِفُ العَمَى * ثلاثُ الأثافى (٦) أو رســومٌ بلاقعُ

صنعةُ إبراهيمَ في هذين الشعرين جميعا من الماخُوريّ بالوسطى، وهو خفيف الثقيل الثاني. وأخباره كلها في هذا المعنى تأتى في أخبار ذي الرُّمة مشروحةً.

---

(١) الجرعاء: الرملة المستوية لاتنبت شيئا. (٢) كذا في جميع الأصول وديوان ذي الرمة طبع أوربا. والشام: جمع شامة، وهي بقعة تخالف لون الأرض؛ أي وإن أصبحت جزءا أسود من الأرض قد فقد كل ما كان له من معالم. وقد ذكر ذو الرمة هذا المعنى أيضا في قوله:

كأن ديار الحيّ بالزرق خلقة * من الأرض أم مكتوبة بمداد

أي كأنها خلقة من الأرض سوداء. والزرق: كثيب بالدهناء. (٣) الصيفية: رياح الصيف. والكدر: جمع كدراء وهي التي في لونها غبرة. (٤) في ب، حـ: «جوح». (٥) الزيادة عن ط، ء. (٦) كذا في ط، ء هنا. وفيما سيأتى في الأغاني (ج ١٦ ص ١٢٩ طبع بولاق) والمخصص (ج ١٧ ص ١٠٠، ١٢٥):

* ثلاث الأثافى والديار البلاقع *

وورد في كثير من كتب الأدب ومنها ديوان ذي الرمة هكذا:

* ثلاث الأثافى والرسوم البلاقع *

وكذلك أوردته أكثر معاجم اللغة شاهدا على تعريف المضاف إليه في العدد. وفي باقي الأصول هنا: «ثلاث أثاف أو رسوم بلاقع». والأثافى: الأحجار التي توضع عليها القدر، واحدها أثفية (بضم الهمزة وكسرها).

سأل الرشيد أن يخصه بالغناء في شعر ذي الرمة وكان الرشيد يؤثره

حدّثنى [محمد بن] (١) مَزْيد (٢) قال حدّثنى حَمّاد عن أبيه قال قال [لى] (١) أبى :

قال [لى] (١) جعفر بن يحيى يوما وقد علم أنّ الرشيد أَذِن لى وللمغنّين فى الانصراف يومئذ: صِرْ إلىّ حتى أَهَبَ لك (٢) شيئا حسنا، فصِرْتُ إليه فقال لى : أيّما أحبُّ إليك: أَهَبُ لك الشيء الحسن الذى وعدتُك به، أم (٣) أُرشدك إلى شيء تكسب به ألفَ ألفِ درهم؟ فقلت: بل يرشدنى الوزير - أعزّه الله - إلى هذا الوجه فإنه يقوم مقام إعطائه إيّاى هذا الحَسَن (٤). فقال: إنّ أمير المؤمنين يحفَظ شعر ذى الرُّمّة حفظ الصِّبا (٥) ويُعجبه ويؤثره، فإذا سَمِع فيه غناءً، أطربه أكثرَ مما يُطربه غيره مما لا يحفظ شعره؛ فإذا غنّيتَه فأطربتَه وأمر لك بجائزة، فقُم على رجليك قائما وقبِّل الأرض بين يديه وقل له : لى حاجة غيرُ هذه الجائزة أريد أن أسألها أميرَ المؤمنين، وهى حاجة تقوم عندى مقامَ كل فائدة ولا تَضُرّه ولا تَرْزَؤه؛ فإنه سيقول لك : أىّ شيء حاجتُك؟ فقل: قَطيعةٌ تُقْطِعُنِيها سهلةٌ عليك لا قيمةَ لها ولا منفعةَ فيها لأحد؛ فإذا أجابك إلى ذلك، فقل له : تُقطعنى شعرَ ذى الرمّة أُغنّى فيه ما أختاره وتحظُر على المغنّين جميعا أن (٦) يداخلونى فيه، فإنى أُحبّ شعره وأستحسنه فلا أُحبّ أن يَنقصه علىّ أحدٌ منهم، وتَوَثَّقْ منه فى ذلك؛ فقبلتُ ذلك القولَ منه، وما انصرفت من عنده بعد ذلك إلا بجائزة،

---

(١) التكملة عن ط ، ء . (٢) كذا فى ط ، ء ، وهو الصواب لأن «وهب» يتعدى الى المفعول الأوّل باللام ، وقد جاء فى التنزيل (لأهب لك غلاما زكيا) . وأنكر سيبويه أن يقال : أهبك كذا ؛ ونقل عن أبى عمرو أنه سمع أعرابيا يقول لآخر : انطلق معى أهبك نبلا . وفى سائر الأصول : «حتى أهبك» . (٣) يراد هنا التعيين ، فلهذا وضعنا «أم» بدل «أو» التى وردت فى الأصول . (٤) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «المال» . (٥) فى ط ، ء : «كأنه حفظ الصبىّ» . (٦) كذا فى ط ، ء ، أ . وفى سائر الأصول «ألا يداخلونى» .

وتوخّيتُ وقت الكلام فى هذا المعنى حتى وجدتُه ، فقمت فسألت كما قال لى ، وتبيّنتُ السرور فى وجهه ، وقال : ما سألتَ شَطَطا ، قد أقطعتك سُؤْلَك (١) ؛ فجعلوا يتضاحكون من قولى ويقولون : لقد آستضخمتَ القطيعة وهو ساكت ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لى فى التوثّق ؟ قال : توَثَّقْ كيف شئت ؛ فقلت : بالله وبحقّ رسوله وبتُربة أمير المؤمنين المهدىّ إلّا جعلتَنى على ثِقَةٍ من ذلك بأنْ [تحلف لى أنك] (٢) لا تُعطى أحدًا من المغنّين جائزة على شىء يُغَنّيه فى شعر ذى الرُّمّة فى ذلك وبَعْدِى ؛ فحلف مجتهدًا لهم لئن غنّاه أحد منهم فى شعر ذى الرُّمّة لا أثابه بشىء ولا برّه ولا سمع غناءه ؛ فشكرتُ فعله وقبّلت الأرضَ بين يديه وآنصرفنا . فغنّيت مائة صوت وزيادة (٣) فى شعر ذى الرُّمّة ، فكان إذا سمع منها صوتا طَرِب وزاد طربُه ووصلنى فأجزَل ، ولم ينتفع به أحدٌ منهم غيرى ؛ فأخذتُ منه والله بها ألفَ ألفِ درهم وألفَ ألفِ درهم .

رأى فى منامه من أرشده الى الغنا فى شعر ذى الرمة فغنى به الرشيد فأجزل صلته

أخبرنى جعفر بن قُدامة بن زِيَاد الكاتب قال حدّثنى هارون (٤) بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنى أبو خالد الأَسْلَمىّ قال حدّثنى محمد بن عمر الجُرْجانىّ قال :

قال إبراهيم الموصلىّ : أُرْتِجَ علىّ فلم أجد شعرا أَصُوغ فيه غناءً أُغَنّى فيه الرشيدَ ، فدخلتُ إلى بعض حُجَر دارى مغموما ، فأَسْبلتُ الستورَ علىّ وغلبتْنى عينى ، فتمثّل لى

٤٠/٥

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « وقال : أقطعتك ... الخ » . (٢) زيادة عن ط ، ء . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « وزيادة عليها فى شعر ... الخ » . (٤) كذا ورد هذا السند فى ط ، ء . وقد ورد فى سائر الأصول هكذا : « أخبرنى جعفر بن قدامة آبن زياد الكاتب قال حدّثنى هارون بن عمرو الجرجانى قال ... الخ » .

فى البيت شيخٌ أَشْوَهُ الخِلْقة، فقال لى : ياموصلىّ، مالى أراك مغموما؟ قلت : لم أُصِبْ شِعْرًا أُغنّى فيه الرشيدَ الليلةَ؛ قال : فأين أنت عن قول ذى الرُّمّة :

أَلَا يا ٱسْلَمِى يادارَ مىَّ على البِلَى * ولا زال مُنْهَلًّا بجَرْعائك القَطْرُ (١)
وإن (٢) لم تكونى غيرَ شام بقَفْرة * تَجُرّ بها الأذيالَ صَيْفيّةٌ كُدْرُ (٣)
أقامت (٤) بها حتى ذَوَى العودُ فى الثَّرَى (٥) * وساق الثُّرَيّا فى مُلاءته الفجرُ (٦)
وحتى اعتلى (٧) البُهْمَى (٨) من الصيف ناقِضٌ * كما نَفَضَتْ خيلٌ نواصيَها شُقْرُ

قال : وغنّانى فيه بلحن وكرّره حتى عَلِقتُه (٩) فانتبهت وأنا أُديره، فناديت جارية لى وأمرتُها بإحضار عود، وما زلتُ أترنّم بالصوت وهى تضرب حتى ٱستوى [لى] (١٠)، ثم صرتُ إلى هارون فغنّيته إيّاه، فأسكتَ المغنّين (١١)، ثم قال : أَعِدْ فأعدتُ، فما زال ليلتَه يستعيدُنيه، فلمّا أصبح أمر لى بثلاثين ألف درهم وبفرش البيت الذى كنّا فيه، وقال : عليك بشعر ذى الرُّمّة فغنِّ فيه؛ فصنعتُ فيه غناءً كثيرا، فكنتُ أغنّيه به [فيُعجبه] (١٠) ويُجزل صِلتى .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٣٦ من هذا الجزء . (٢) فى ط ، ء وديوانه طبع أوربا : «فإن لم» بالفاء . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٣٦ من هذا الجزء . (٤) فى ط ، ء : «أقاموا» بالواو . (٥) فى شرح الشواهد الكبرى للإمام العينى (الموضوع على هامش الخزانة للبغدادى ج ٢ ص ٧ طبع بولاق) : «وٱلتوى» . (٦) ملاءة الفجر : بياضه؛ شبه بالملاءة وهى الثوب الأبيض . (٧) فى ديوانه وشرح الشواهد الكبرى المذكور : «اعترى» . (٨) البهمى (الواحد والجمع) : نبت تجد به الغنم وجدا شديدا ما دام أخضر، فإذا يبس وعظم خرج له شوك مثل شوك السنبل، ثم كان كلأ يرعاه الناس حتى يصيبه المطر من عام مقبل، وينبت من تحته حبه الذى سقط من سنبله . والناقض : يبس يقع فيها فينقضها؛ وهذا فى أوّل القيظ قبل شدّة الحر . وقال أبو عمرو : ناقض : يريد ريح صيف . وشبه شوك البهمى إذا وقعت عليه بالبيض بنواصى خيل شقر . (انظر شرح ديوان ذى الرمة طبع أوربا) . (٩) كذا فى ط ، ء ، ومعناه : حتى علمته وحفظته، يقال : علق فلان أمرا إذا علمه . وفى سائر الأصول : «حفظته» . (١٠) زيادة عن ط ، ء . (١١) فى ط ، ء : «فأمسك المغنون وسكتوا ثم قال ...» .

غنى الرشيد ومعه زلزل وبرصوما فأطربوه

أخبرني عمّي وابن المَرْزُبان والحسن بن علي قالوا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا محمد بن عبد الله السُّلَمي قال حدّثنا أبو غانم مولى جبلة بن يزيد(١) السُّلَمي قال:

اجتمع إبراهيم الموصلي وزَلْزَلٌ وبَرْصوماَ بين يدي الرشيد، فضرب زلزلٌ وزمر برصوما وغنّى إبراهيم:

صــــوت

صَحَا قلبي وراعَ(٢) إليّ عقلي * وأقصر باطلي ونسيتُ جهلي
رأيتُ الغانياتِ وكُنَّ صُورًا(٣) * إليّ صَرَمْنني وقطعْنَ حبلي

فطرِب هارون حتى وثب على رجليه وصاح: يا آدم، لو رأيتَ من يحضرني(٤) من ولدك اليومَ لسرّك! ثم جلس وقال: أستغفر الله.

الشعر الذي غنّى فيه إبراهيم لأبي العتاهية. والغناء لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر.

غاضب الرشيد جارية يحبها فغناه بشعر للعباس بن الأحنف فترضاها

حدّثني جَحْظَة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان الرشيد يَجِد بماردةَ وَجْدًا شديدا، فغضبت عليه وغضب عليها، وتمادى بينهما الهجرُ أياما، فأمر جعفرُ بن يحيى العباسَ بن الأحنف فقال:

راجعْ أحبّتك الذين هجرتَهم * إنّ المُتَيَّم قلّما يتجنّبُ
إنّ التجنُّبَ إن تطاولَ منكما * دَبَّ السُّلُوُّ له فعزّ المطلبُ

(١) في ط، ى: «مولى يزيد بن جبلة». (٢) كذا في أكثر الأصول. وراع بمعنى: رجع. وفي ب، س: «راغ» بالغين المعجمة، وهو تصحيف. (٣) كذا في حـ. وصور إلى كذا (من باب علم) إذا أمال عنقه ووجهه إليه فهو أصور والأنثى صوراء والجمع: صور. وفي سائر الأصول: «صورا». (٤) في حـ، ى: «من يحضرني».

وأمر إبراهيمَ الموصلىّ فغنّى فيه الرشيد ، فلما سمعه بادر إلى ماردةَ فترضّاها ، فسألتْ عن السبب فى ذلك فعرفتْه ، فأمرت لكل واحد من العبّاس و إبراهيم بعشرة آلاف درهم ، وسألتِ الرشيدَ أن يكافئهما عنها ، فأمر لهما بأربعين ألف درهم .

أوّل جائزة خرجت لشاعر من الرشيد

أخبرنى جعفر بن قُدامة عن حمّاد عن أبيه قال :

أوّلُ جائزة خرجتْ لشاعر من الرشيد لمّا وَلِىَ الخلافةَ جائزةٌ لإبراهيم[1] ، فإنه قال يمدحه لمّا وَلِى :

صـــوت

٤١ / ٥

أَلَمْ تَرَ أنّ الشمسَ كانتْ مريضةً . فلمّا وَلِى هارونُ أشرق نُـورُها

فأَلبستِ[2] الدنيا جمالًا بوجهــه . فهـارونُ واليهـا ويحيى وزيرُها

وغنّى فيه ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وأمر له يحيى بخمسين ألف درهم .

قامر الرشيد بالنرد فتقامر له

أخبرنا الحسن بن علىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك[3] قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ :

أنّ أباه لَعِب يوما مع[4] الرشيد بالنّرْد فى الخلْعة التى كانت على الرشيد والخلعة التى كانت عليه هو ، فتقامرَ[5] للرشيد ، فلمّا قَمَره قام إبراهيم فنزع ثيابه ، ثم قال للرشيد : حُكْمُ النّرد الوفاءُ به ، وقد قُمِرْتُ ووفَّيتُ لك ، فالبس ما كان علىّ ؛

(١) كذا فى ط ، ء . وابراهيم هذا هو ابراهيم الموصلى صاحب الترجمة ، وفى ابن خلكان فى ترجمة يحيى البرمكىّ ج ٢ ص ٣٦٠ الى ٣٦٦ بعد أن ذكر قصة هذا الشعر قال : «وفى ذلك يقول الموصلىّ وأظنه ابراهيم النديم أو ابنه اسحاق» . وفى سائر الأصول : «لأبى فائد» وهو تحريف . (٢) فى ط ، ء : «تلبست» . (٣) كذا فى ط ، ء ، وفيما سبق فى مواضع كثيرة فى جميع الأصول وفيما سيأتى أيضا . وفى سائر الأصول هنا : «محمد بن عبد الملك» ، وهو تحريف . (٤) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «معى» وهو تحريف . (٥) كذا فى ط ، ء ، ولعله يريد أنه تظاهر بالغلب للرشيد . وفى سائر الأصول : «فتقامر الرشيد» .

فقال له الرشيد : وَيْلك! أنا ألبس ثيابك ! ، فقال : إى والله إذا أنصفتَ ، وإذا لم تُنصف قدَرتَ وأمكنك ، قال : ويلك! أوَ أفتدى منك؟ قال : نعم ، قال : وما الفداء ؟ قال : قل أنتَ يا أمير المؤمنين فإنك أولَى بالقول ، فقال : أعطيك كلّ ما علىّ ، قال : فمُرْ به يا أمير المؤمنين وأنا أستخير الله فى ذلك ، فدعا بغير ما عليه فلبِسه ونزع ما كان عليه فدفَعه إلى إبراهيم .

فطنة ابن جامع وابراهيم فى صناعة الموسيق

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنى عُمَر بن شَبّة قال حدّثنى علىّ بن عبد الكريم قال :

زار ٱبنُ جامع إبراهيمَ [الموصلىّ][1] ، فأخرج إليه ثلاثين جارية فضربْن جميعا طريقةً واحدة وغنّين ، فقال ٱبن جامع : فى الأوتار وَتَرٌ غير مستوٍ ، فقال إبراهيم : يا فلانةُ شُدّى مَثْنَاكِ ، فشدّته فٱستوى ، فعجبتُ أوّلًا من فطنة ٱبن جامع لوتر فى مائة وعشرين وترا غيرِ مستو ، ثم ٱزداد عَجَبى من فِطْنة إبراهيم له بعينه .

غناؤه عند خمار بالرقة

أخبرنى إسماعيل بن يونس وحَبيب بن نَصْر [المُهَلَّبىّ][1] قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم قال حدّثنى أبى قال :

كنّا مع الرشيد بالرَّقّة وكان هناك خمّار أقصِده أشترى منه شرابا حسنا طيّبا ، وربما شربت فى حانته ، فأتيته يومًا فبزَل[2] لى دنًّا فى باطِيَة[3] له ، فرأيت لونه حسنا صافيا ، فٱندفعتُ أغنّى :

(١) زيادة عن ط ، ء . (٢) كذا فى ط ، ء . وبزل الدن : ثقبه ، ويقال : بزل الشراب اذا صفاه . وفى سائر الأصول : «فنزل» بالنون ، وهو تصحيف . (٣) الباطية : إناء من الزجاج يملأ من الشراب ويوضع بين الشرب يغترفون منه .

صـــــوت

اسـقِنى صَهْباءَ صِرْفًا * لم تُـدَنَّسْ بمِـزَاجِ
اسـقِنى والليـلُ داجٍ * قبـلَ أصوات الدَّجاجِ
يا أبا وَهْب خليـلى * كلُّ هَمٍّ لانفـراجِ
حين تَوَّهتَ(١) بقلـبى * فى أعاصِـيرِ الفِجاجِ(٢)

— الغناء فى هـذه الأبيات لإبراهيمَ هَزَجٌ بالوسطى عن عمرو . وفيها لِسيَّاط ثانى ثقيلٍ بالخِنْصر فى مجرى البِنْصر عن إسحاق — قال : فدَهِش الخمّار يسمع صوتى ، فقلت له : وَيْحَك ! قد فاض النبيذ من الباطِيَة ؛ فقال : دَعْنى من النبيذ يا أبا إسحاق ، مالى أرى صوتك حزينًا حَرِيقا(٣) ، مات لك بالله إنسان؟ ؛ فلما جئتُ إلى الرشيد حدّثته بذلك فجعل يضحك .

قصته مع الجوارى اللاتى عقنه عن موعد الرشيد وخروج الرشيد اليهن معه متخفيا

وذكر أحمد بن أبى طاهر أنّ المدائنىّ حدّث قال :

[قال](٤) إبراهيم الموصلىّ قال لى الرشـيد يوما : يا إبراهيم ، إنى قد جعلت غدا للحَرَم ، وجعلت ليلته للشرب مع الرجال ، وأنا مقتصرٌ عليك من المغنّين ، فلا تشتغل غدًا بشىء ولا تشرب نبيذا ، وكن بحضرتى فى وقت العشاء الآخرة ؛ فقلت : السمعُ والطاعةُ لأمير المؤمنين ؛ فقال : وحقِّ أبى لئن تأخرتَ أو اعتلَلْتَ بشىء لأضربنّ عنقك ، أفهمتَ ؟ فقلت : نعم ، وخرجتُ فما جاءنى أحد من إخوانى إلا احتجبت عنه

(١) كذا فى ط ، ء ، حـ . وفى سائر الأصـول : « نوهت » بالنون ، وهو تصحيف .

(٢) الفجاج : جمع فجّ وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين وهو أوسع من الشعب . وفى ط ، ء ، حـ : « فى أعاصير العجاج » بالعين المهملة بدل الفاء .

(٣) فى ط ، ء ، حـ : « حرقا » .

(٤) زيادة عن ط ، ء .

ولا قرأت رقعة لأحد، حتى إذا صلّيت المغرب ركبت قاصدًا إليه، فلما قرُبت من فناء داره مررت بفناء قصر، وإذا زَنْبِيلٌ(١) كبير مُستوثَق منه بحبال وأربع عُرَى أَدَمٍ وقد دُلِّىَ من القصر، وجاريةٌ قائمة تنتظر إنسانا قد وُعِد ليجلس فيه، فنازعتْنى نفسى إلى الجلوس فيه، ثم قلت: هذا خطأ، ولعله أن يجرى سبب يعوقنى عن الخليفة فيكون الهلاكُ، فلم أزل أنازع نفسى وتنازعنى حتى غلبتْنى، فنزلت فجلست فيه، ومُدّ الزنبيل حتى صار فى أعلى القصر، ثم خرجت فنزلت، فإذا جوارٍ كأنهنّ المَها جلوسٌ، فضحِكْنَ وطَرِبْنَ، وقلن: قد جاء والله من أردناه؛ فلما رأَيْنَنِى من قريب تبادرْنَ إلى الحِجاب وقُلْن: يا عدوّ الله، ما أدخلك إلينا؟ فقلت: يا عدوّاتِ الله، ومن الذى أردتُنّ إدخالَه؟ ولِمَ صار أولى بهذا منّى؟ فلم يزَل هذا دأْبَنا وهنّ يضحكن وأضحك معهنّ؛ ثم قالت إحداهنّ: أمّا من أردناه فقد فات، وما هذا إلا ظريف، فهلمّ نعاشرْه عشرةً جميلة؛ فأُخرِج إلىّ طعام ودُعيت إلى أكله، فلم يكن فىّ فضلٌ إلّا أنّى كرِهت أن أُنسب إلى سوء العشرة، فأصبتُ منه إصابة مُعَذِّر(٢)، ثم جىء بالنبيذ فجعلنا نشرب، وأَخرجن إلىّ ثلاث جَوارٍ لهنّ فغنّين غناء مليحا، فغنّتْ إحداهنّ صوتا لَمعبد، فقالت إحدى الثلاث من وراء الستر: أحسن إبراهيمُ، هذا له؛ فقلت: كَذَبتِ ليس هذا له، هذا لمعبد؛ فقالت: يافاسقُ، وما يُدْرِيك الغناءَ ما هو! ؛ ثم غنّت الأخرى صوتا للغَريض، فقالت [تلك](٣): أحسن إبراهيم، هذا له أيضا؛ فقلت: كذبتِ يا خبيثةُ، هذا للغريض؛ فقالت: اللهم أخْزِه، ويلك!

---

(١) فى ط، ء: «زبيل» وهى بمعنى «الزنبيل». (٢) كذا فى ط، ء. والمعذر: المعتذر. وفى باقى الأصول: «إصابة مقتدرة»، بالقاف والدال المهملة. (٣) زيادة عن ط، ء.

وما يدريك! ثم غنّت الجارية صوتا لى، فقالت تلك: أحسن آبْنُ سُرَيج، هذا له[1]؛ فقلت: كذبتِ هذا لإبراهيم، وأنت تنسُبين غناء الناس إليه وغناءه إليهم؛ فقالت: وَيْحَك! ومايدريك! ؛ فقلت: أنا إبراهيم، فتباشرنَ بذلك جميعا وطرِبْنَ كلُّهن وظهرْنَ كلُّهن لى وقلْنَ: كتمتَنا نفسَك وقد سررتَنا[2]؛ فقلت: أنا الآن أستودعكنّ الله؛ فقلن: وما السبب؟ فأخبرتهنّ بقصتى مع الرشيد؛ فضحكن وقلن: الآن والله طاب حبسك، علينا وعلينا إن خرجتَ أسبوعا؛ فقلت: هو والله القتل؛ قلن: إلى لعنة الله. فأقمت والله عندهنّ أسبوعا لا أزول، فلما كان بعد الأسبوع ودَّعْنَنى وقلن: إن سلّمك الله فأنت بعد ثلاث عندنا، قلت نعم؛ فأجلسْنَنى فى الزنبيل وسُرِّحتُ؛ فمضيت لوجهى حتى أتيت دارَ الرشيد، وإذا النداء قد أُشيع ببغدادَ فى طلبى وأنّ من أحضرنى فقد سُوِّغ ملكى وأُقطِع مالى؛ فآستأذنتُ فتبادر الخدمُ حتى أدخلونى على الرشيد؛ فلما رآنى شتمنى وقال: السيفَ والنِّطع! إيه يا إبراهيم، تهاونتَ بأمرى وتشاغلتَ بالعوامّ عما أمرتك به وجلستَ مع أشباهك من السفهاء حتى أفسدتَ علىّ لذّتى[3]! ؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا بين يديك، وما أمرتَ به غيرُ فائت، ولى حديث عجيب ما سُمع بمثله قطُّ وهو الذى قطعنى عنك ضرورةً لا آختيارا، فآسمعْه، فإن كان عذرًا فاقبلْه وإلّا فأنت أعلم؛ قال: هاته وليس يُنجيك؛ فحدّثته، فوجَم ساعةً ثم قال: إن هذا لعجبٌ، أفتُحضِرنى معك هذا الموضعَ؟ قلت: نعم، وأُجلسك معهنّ إن شئتَ قبلى حتى تحصل عندهنّ، وإن شئت فعلى موعد؛ قال: بل على موعد؛ قلت: أفعل؛ فقال: ٥٣ / ٤
انظر؛ قلت: ذلك حاصلٌ إليك متى شئت؛ فعدَل عن رأيه فىّ وأجلسنى وشرب

---

(١) كذا فى ط، ء. وفى سائر الأصول: «هذا له أيضا» بزيادة كلمة «أيضا»؛ وهو تحريف. (٢) كذا فى ط، ء. وفى سائر الأصول: «سررتنا». (٣) كذا فى ط، ء. وفى سائر الأصول: «حتى فسدت لذتى».

وطرِب؛ فلما أصبحتُ أمرنى بالانصراف وأن أجيئه من عندهنّ؛ فمضيت إليهنّ فى وقت الوعد، فلما وافيتُ الموضعَ إذا الزنبيل معلّق، فجلست فيــه ومدّه الجوارى فصعِدت ، فلما رأيْنَنى تباشرْنَ وحَمِدْنَ الله على سلامتى، وأقمتُ ليلتى(1)، فلما أردت الآنصراف قلت لهنّ: إن لى أخا هو عِدْلُ(2) نفسى عنــدى ، وقد أحَبَّ معــاشرتكن و وعدتُه بذلك؛ فقلن : إن كنت ترضاه فمرحبًا به؛ فوعدتهن ليــلةَ غدٍ وآنصرفتُ وأتيت الرشـيدَ وأخبرته ، فلما كان الوقتُ خرج معى متخفّيا(3) حتى أتينا الموضع ، فصــعِدت وصعِد بعــدى ونزلْنا(4) جميعا، وقد كان الله وفّقنى لأن قلت لهن: إذا جاء صديق فآســترنَ عنى وعنــه ولا يسمعْ لكُنّ نَطْقة، وليكن ما تختَرْنَه من غناء أو تَقُلْنَه من قولٍ مُراسَلةً؛ فلم يتعدّيْنَ ذلك وأقمْنَ على أتمّ سِتْر وخَفَر، وشربنا شربا كثيرا، وقد كان أمرنى ألّا أُخاطبَــه بأمير المؤمنين، فلما أخذ منّى النبيذُ قلت سهوا: يا أمير المؤمنين، فتواثبْنَ من وراء الستارة حتى غابت عنّا حركاتهنّ، فقال لى : يا إبراهيم لقــد أفلتَّ من أمر عظيم ، والله لو برزتْ إليــك واحدة منهنّ لضربتُ عنقك، قم بنا، فآنصرفنا، وإذا هنّ له، قد كان غضِب عليهنّ فحبسهنّ فى ذلك القصر، ثم وجّه من غد بخَدَم فردّوهنّ إلى قصره، و وهَب لى مائة ألف درهم، وكانت الهدايا والألطاف تأتينى بعد ذلك [منهنّ](5) .

غنى الرشيد فأجزل صلته

أخبرنى جعفــر بن قُدَامة قال حدّثنــا حَمّاد بن إسحاق عن أبيــه قال حدّثنى أبى قال :

---

(1) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « يلمننى » . (2) العدل : المثل .

(3) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « مختفيا » . (4) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «وبتنا» . (5) زيادة من ط ، ء .

دخلت على الرشيد [يوما] (١) فقال لى : أنا اليوم كسلانُ خاثِر (٢)، فإن غنّيتَنى صوتا يوقظ نشاطى أحسنتُ صلتك، فغنيتُه :

ولم يُرَ فى الدنيـا مُحبّانِ مثلُنا * على ما نلاقى من ذَوِى الأعين الخُزْرِ
صَفِيّانِ لا نرضى الوُشاةَ إذا وَشَوْا * عفيفانِ لا نَغْشَى (٣) من الأمر ما يُزْرِى

فطرِب، ودعا بالطعام فأكل وشرب، وأمر لى بخمسين ألف درهم .

طلب إليه يحيى بن خالد أن يمتحن صوتا لدنانير ثم أجازه

أخبرنى إسماعيـل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَـبّة قال حدّثنى إسحاق قال قال لى أبى قال لى يحيى بن خالد :

إنّ ابنتـك دَنانيرَ قد عمِلتْ صوتا أعجبنى وأُعجِبتْ أيضا هى به، فقلتُ لهـا : لا تُعْجَبى به حتّى أَعْرِضَـه على أبيك أبى إسحـاق؛ فقلتُ له : والله ما فى معرفة الوزير — أعزّه الله — به ولا بغيره من الصنائع مَطْعَن (٤)، وإنه لأصحّ العـالَم تمييزا وأثقبُه فِطْنةً، وما أعجبه إلّا وهو صحيحٌ حَسَن؛ فقال : إن كنتَ كما تقول أيضا، فإنّ أهلَ كلّ صناعة يُمارسونها أفهمُ بها ممّن يَعلَمها عن عُرُض من غير مُمارسة، ولو كنّا فى هذه الصناعة متساويَيْن لكان الآستظهار برأيك أجودَ، لأنّ ميلى إلى صانعة الصوت ربمـا حسّن عندى ما ليس بالحسن، وإنمـا يتمّ سرورى به بعـد سماعك إياه وآستحسانك له على الحقيقة؛ فمضيتُ فوجدت ستارةً منصوبةً وأمرًا قد تُقدّم فيه قبلى؛ فجلستُ فسلّمت على الجارية، وقلت لها : تغنّينى الصوتَ الذى

(١) زيادة عن ط، ء . (٢) كذا فى ط، ء . وخثرت نفسه ... وفى سائر الأصول : «حائر» وهو تحريف . (٣) كذا فى ط، ء . وفى سائر الأصول : «نخشى» بالخاء المعجمة وهو تحريف . (٤) فى ط، ء : «بهذه الصناعة ولا غيرها من الصنائع ... الخ» .

ذكره لي الوزير أعزه الله، فقالت : إن الوزير قال لي : إن آستجاده فعرّفيني ليتمّ سروري به، وإلّا فآطوِ الخبرَ عني لئلّا تزول رُتبتـه عندي ؛ فقلتُ : هاتيه حتى أسمعه، فغنّت تقول :

٤٤/٥

نفسي أكنتْ عليكِ مدَّعياً * أم حين أَزْمَعَ بينُهم خُنْتِ
إن كنتِ هائمةً بذكـرهمُ * فعلى فراقهمُ ألا مُتّ

قال : فأحسنتْ والله وما قصّرتْ، فآستعدتُه لأطلب فيه موضعاً لأُصلحه فيكون لي فيه معنى فما وَجدتُ؛ قلت : أحسنتِ والله يا بُنيّة ما شئتِ ؛ ثم عدتُ إلى يحيى فحلفت له بأيمان رضيها أنّ كثيرًا من حُذّاق المغنّين لا يُحسنون أن يصنعوا مثله، ولقد آستعدتُه لأرى فيه موضعا يكون لي فيه عمـلٌ فما وجدت؛ فقال : وصفُكَ لها من أجله(1) يقوم مقام تعليمك إياها، فقد والله سررتَني وسأسرّك؛ فلمّا انصرفتُ أتبعني بخمسين ألف درهم.

قصته مع فتاة شاعرة بحضرة الرشيد

حدّثني عمي وآبن المَرْزُبان قالا حدّثنا آبن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبدالله السُّلَمي قال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق، ولم يقل عن أبيه، قال :

والله إني لفي منزلي ذاتَ يوم وأنا مفكِّرٌ في الرّكوب مرّةً وفي القعود مرّة، إذا غلامي قد دخل ومعه خادم الرشيد يأمرني بالحضور من وقتي، فركبتُ وصرتُ اليه، فقـال لي : اجلس يا إبراهيم حتى أُرِيَك عجبًا، فجلستُ، فقال : عليّ بالأعرابية وآبنتها، فأُخرِجَتْ إليّ أعرابيّة ومعها بُنَيّة لهـا عشرٌ أو أرجح، فقال : يا إبراهيم، إن هـذه الصَّبيّة تقول الشـعر، فقلتُ لأمّها : ما يقول أمير المؤمنين؟ فقالت : هي هذه قدّامَك فسَلْها، فقلت : ياحبيبة، أتقولين الشعر؟ فقالت نعم، فقلت : أنشديني بعضَ ما قلتِ، فأنشدتْني :

(1) كذا في أ، م. وفي سائر الأصول : «من أجلك».

صـــوت

تقـول لأتراب لهـا وهى تَمْتَرِى (١) * دموعًا على الخدَّيْن من شدّة الوجدِ
أكلُّ فتـاةٍ لا محـالةَ نازلٌ * بها مثلُ مابى أم بُلِيتُ به وحدى
بَرانِى له حبٌّ تَنَشَّبَ فى الحَشَى * فلم يُبْقِ من جسمى سوى العظم والجلد
وجدتُ الهوى حُلْوًا لذيذا بَدِيئُه (٢) * وآخِرُه مرٌّ لصاحبـه مُرْدِى

قال الشَّبِّىّ (٣) فى خبره : قال إسحـاق : وكان أبى حاضرا ، فقال : والله لا تبرحْ يا أمير المؤمنين أوْ نصنعَ فى هـذه الأبيات لحنا ؛ فصُغْتُ فيها أنا وأبى وجميعُ من حضر . وقال الآخرون : قال إبراهيم : فما بَرِحتُ حتى صنعتُ فيه لحنًا وتغنّيتُ به وهى حاضرة تسـمع . قال ابن المَرْزُبان فى خبره ، ولم يذكره عمّى ، : فقالت : يا أمير المؤمنين، قد أحسنَ رِوَايةَ ماقلتُ، أفتأذَن لى أن أكافئه بمدح أقوله فيه ؟ قال : آفعلى ؛ فقالت :

صـــوت

ما لإبراهـيم فى العلـ * ـم بهذا الشأن ثانِى
إنمـا عُمْرُ أبى إسـ * ـحاقَ زينٌ للزمان
منـه يُجنَى ثَمَرُ اللهـ * ـو ورَيْحـانُ الجِنان
جنّة الدنيـا أبو إسـ * ـحاق فى كلِّ مكان

قال : فأمر لهـا الرشيد بجائزة ، وأمر لى بعشرة آلاف درهم ، فوهبتُ لهـا شَـطْرَها .

---

(١) تمترى دموعا : تستدرّها وتستخرجها. (٢) فى الأصول : «بدينه» وهو تحريف .

(٣) الشبى : هو أبو زيد عمر بن شبة ، منسوب الى والده شبة ، وعمر بن شبة هو الذى تقدم فى الخبر . وفى الأصول : « الشعبى » ، وهو تحريف .

اللحن الذى صنعه إبراهيم فى شعر الأعرابيّة ثقيلٌ أوّل بالوسطى . وفيه لعلّويه ثانى ثقيل . وأما الشعر الثانى فهو لآبن سيابة لا يُشَكّ فيه . ولإبراهيم فيه لحن من خفيف الثقيل .

٤٥/٥

غنى الرشيد وغناه غيره فأجازهم، وغناه علويه فغضب عليه

أخبرنى محمد بن مَزْيَد عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كنت أخذتُ بالمدينة من مجنونٍ بها هذا الصوت، وغنّيتُه الرشيدَ وقلتُ :

صـــوت

هما فتاتانِ لمّا[1] تعرِفا[2] خُلُقى * وبالشّبابِ على شَيْبى تُدِلّانِ[2]
رأيتُ عِرْسَىَّ لمّا ضَمّنى كِبَرى * وشِخْتُ أزمعتا صرمى وهجرانى
كلُّ الفَعالِ الذى يفعلْنَه حَسَنٌ * يُصبى فؤادى ويُبْدى سِرّ أشجانى
بل آحذَرا صَوْلةً من صَوْل شيخكما * مَهْلًا على الشيخ مَهْلًا يافتاتانِ

فطَرِب وأمر لى بظَبْيَةٍ[3] كانت مُلْقاة بين يديه، فيها ألفُ دينار مسيَّفة[4] ؛ وكان آبن جامع حاضرا، فقال : اسمع يا أمير المؤمنين غناء العقلاء ودع غناء المجانين، وكان أشدَّ خَلْقِ الله حسدًا، فغنّاه :

صـــوت

ولقد قالت لأتراب لها * كالمها يَلْعَبْن فى حُجْرتها
خُذْن عنّى الظّلّ لا يَتْبَعُنى * ومَضَتْ[5] سَعْيًا إلى قُبّتها

---

(١) كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : « لم » ولا يستقيم بها الوزن . (٢) كذا فى ط ، ى . وفى سائر الأصول : « يعرفا » و « يدلان » بالياء المثناة من تحت، ومرجع الضمير مؤنث . (٣) الظبية : الجراب، وقيل : الجراب الصغير خاصة . (٤) يقال : درهم مسيف اذا كانت جوانبه نقية من النقش . (٥) فى ط ، ى : « وعدت » .

فطَرِب وشَرِب ، وأمر له بألف وخمسمائة دينـار . ثم تَبِعه محمـد بن حمزة وَجْهُ القَرْعة [فغنّى][1] :

صـــــوت

يَمْشُـون فيهـا بكلّ سابغـةٍ * أُحكِم فيهـا القَتِـيرُ[2] والحَـلَقُ
يُعـرَف إنصافُهم إذا شهِدوا * وصبرُهم حين تَشْخَص الحَدَق

فاستحسنه وشرِب عليه، وأمر له بخمسمائة دينار . ثم غنّى علّويه :

صـــــوت

يَحْمَدْنَ دَيْنِى بالنّهـار وأقتضى * دَيْنِى إذا وَقَـذَ[3] النّعاسُ الرُّقَّدا
وأرَى الغَوانىَ لا يُواصِلْنَ آمرأً * فقَدَ الشّبابَ وقد يَصِلن الأَمْرَدَا

فدعا به الرشيد وقال له : ياعاضَّ بظرِ أُمّه ! أتغنّى فى مدح المُرْد وذمّ الشَّيب وسِتارتى منصوبة وقد شِبْتُ وكأنك تعرِض بى ! ثم دعا مسرورًا فأمره أن يأخذ بيده فيضربَه ثلاثين دِرّة ويُخرجَه من مجلســه ، ففعـل ؛ وما آنتفعنا به بقيّــة يومنا ولا آنتفع بنفسه، وجفا علّويه شهرا، ثم سألناه فيه فأذِن له[4] .

[قال أبو الفرج][5]: لإبراهيم أخبار مع خُنْث المعروفة بذات الخال، وكان يهواها، جعلتُها فى موضع آخر من هــذا الكتاب[6] ؛ لأنها منفردة بذاتها مســتغنية عن إدخالها فى غِمَار أخباره . وله فى هذه الجارية شعر كثير فيه غناء له ولغيره؛ وقد شرَطْتُ أن

(١) زيادة عن ط ، ء . (٢) القتير : رءوس المسامير فى الدرع . (٣) وقذه النعاس : أسقطه وغلبه . (٤) فى الأصول هنا ، ما عدا ط ، ء ، بعد هذا الكلام هذه العبارة : «نســبة ما فى هــذا الخبر من الأغانى لم يذكرها» ، ولعلها زيدت سهوا من النساخ ، اذ لا معنى لها فى سياق الكلام . (٥) زيادة عن ط ، ء . وفى باقى الأصول : «ولابراهيم» بزيادة الواو . (٦) هذا الموضع يقع فى الجزء الخامس عشر طبع بولاق ص ٧٩ — ٨٥

الشيء من أخبار الشعراء [و] المغنّين إذا كانت هذه سبيلَه أُفرِده ، لئلا يَقطع بين القرائن والنظائر ممـا تُضاف إليه وتدخل فيه .

شعره ومرضه وزيارة الرشيد له وموته

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى الحسين بن يحيى قال :

٤٦ ٥ سمعتُ إسحاقَ الموصليّ يقول : لمـّا دخلتْ سنة ثمان وثمانين ومائة اشتدّ أمر القُولَنْج على أبي ولزِمَه ، وكان يعتاده أحيانا ، فقعـد عن (١) خدمة الخليفة وعن نَوْبته فى داره؛ فقال فى ذلك :

صـــوت

مَـلّ والله طبيـبي * من (٢) مُقاساة الذى بى

سوف أُنْعَى عن قريب * لعــدوٍّ وحبـيب

وغنّى فيه لحنًا من الرَّمَل، فكان آخِرَ شعرٍ قاله وآخِرَ لحنٍ صنعه .

أخبرنى الصُّولىّ عن محمد بن موسى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه :

أن الرّشيد ركب حمارا ودخل إلى إبراهيم يعوده وهو فى الأَبْزَن جالس، فقال له : كيف أنت يا إبراهيم ؟ فقال : أنا والله ياسيّدى كما قال الشاعر :

سَـقيمٌ مَلّ منه أقربوه * وأَسْلَمه المُداوى والحميمُ

فقال الرشيد : إنّا لله! وخرج، فلم يبعُد حتى سمِـع الواعيةَ (٣) عليه .

---

(١) كذا فى أكثر النسخ . وفى ب ، سـ : « فقعد فى الأبزن عن خدمة ... الخ » .

(٢) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «عن» . (٣) كذا فى ط ، ء ، حـ . والواعية : الصراخ على الميت . وفى سائر الأصول : «الناعية» .

أمر الرشيد ابنه المأمون أن يصلى عليه مع آخرين

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنى عمر بن شبّة قال :

مات إبراهيم الموصلىّ سنة ثمانٍ وثمانين ومائة، ومات فى ذلك اليوم الكِسائى النحوىّ والعباس بن الأحنف الشاعر وهُشَيمة الخَمّارة(١)، فرُفع ذلك إلى الرشيد، فأمر المأمونَ أن يصلّىَ عليهم، فخرج فصُفُّوا بين يديه، فقال: مَنْ هـذا الأوّل ؟ قيل: إبراهيم؛ فقال : أخِّروه وقدّموا العبّاس بن الأحنف، فقُدّم فصَلَّى عليهم؛ فلما فرغ وآنصرف، دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخُزاعىّ فقال: ياسيِّدى، كيف آثرتَ العبّاسَ بالتّقدمة على من حضر ؟ قال : لقوله :

وسعَى بها ناسٌ فقالوا إنّها * لهى التى تَشْقَى بها وتُكابِدُ(٢)
فجحدتُهم ليكونَ غيرَكِ ظنُّهم(٣) * إنّى لَيُعجِبنى المحبّ الجاحد

ثم قال: أتحفظها ؟ قلت نعم؛ فقال : أَنشدنى باقيَها، فأنشدتُه :

لـمّا رأيتُ الليلَ سدّ طَريقَه * عنّى وعذّبنى الظـلام الراكد
والنّجم فى كَبِـد السماء كأنه * أعمى تحـيّر ما لديـه قائد
ناديتُ مَنْ طَرَد الرُّقادَ بصدّه * عمّـا(٤) أعالج وهـو خِلْوٌ هاجد
ياذا الذى صدَع الفؤادَ بهجره * أنت البَلاءُ طريفُه والتّـالد
ألقيتَ بين جفون عينى حُرْقةً * فإلى متى أنا ساهرٌ يا راقـد

(١) هكذا وردت مضبوطة فى ط (بضم الهاء وفتح الشين)، وهى : آمرأة كانت تبيع الخمر، وكانت جارة لإسحاق الموصـلى ، وقد رثاها بأبيات يرميها فيها بالقيادة . (انظر ترجمة إسحاق الموصلى فيما سيأتى من هذا الجزء) . (٢) فى ط ، ء : «وتجاهد» . (٣) فى ط ، ء : «همهم» .
(٤) كذا فى ط ، ء وديوانه . وفى سائر الأصول : «عنى» .

فقال المأمون : أليس من قال هذا الشعر حقيقا بالتقدمة ؟ فقلتُ : بلى والله يا سيِّدى .

ذهاب برصوما الزامر مع ابنه إسحاق إلى المجلس الذى كان يجلس فيه وبكاؤه عليه

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق قال حدّثنى أبى قال :

قال لى بَرْصُوما الزامر : أمَا فى حقّ وخدمتى وميْلى إليكم وشكرى لكم ما أَستوجِبُ به أن تَهَبَ لى يوما من عُمْرك تَفعل فيه ما أُريد ولا تخالفنى فى شىء ؟ فقلتُ : بلى ووعدتُه بيوم ؛ فأتانى فقال : مُرْ لى بخِلْعة ، ففعلتُ وجعلتُ فيها جبّةَ وَشْى ؛ فلبِسها ظاهرةً وقال : امضِ بنا إلى المجلس الذى كنتُ آتى أباك فيه ؛ فمضينا جميعا إليه وقد خَلَقتُه وطيّبتُه ؛ فلمّا صار على باب المجلس رمَى بنفسه إلى الأرض فتمرّغ فى التّراب وبكى وأخرج نايه وجعل ينوح فى زَمْره ويدور فى المجلس ويقبّل المواضع التى كان أبو إسحاق يجلس فيها ويبكى ويَزْمُر حتّى قضى من ذلك وَطَرا ، ثم ضرب بيده إلى ثيابه فشقّها[1] ، وجعلت أُسكّتُه وأبكى معه ، فما سكن إلا بعد حين ؛ ثم دعا بثيابه فلبِسها وقال : إنما سألتك أن تخلع علىّ لئلا يقال : إن برصوما إنما خرَق ثيابه ليُخْلَع عليه ما هو خير منها[2] ؛ ثم قال : امض بنا إلى منزلك فقد اشتفَيْتُ مما أردت ؛ فعُدت إلى منزلى وأقام عندى يومه ، وآنصرف بخلعة مجدّدة .

٤٧ / ٥

المراثى التى قيلت فيه

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنى عمر بن شبّة قال حدّثنى القاسم بن[3] يزيد قال :

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « يشدها » . (٢) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : « ليخلع عليه هو خيرا منها » . (٣) فى ط ، ء : « القاسم بن يزيد الموصلى » .

لمّا مات إبراهيم الموصلىّ دخلت على إبراهيم بن المهدىّ وهو يشرب وجواريه يُغنّين، فذكرنا[1] إبراهيمَ الموصلىّ وحذقه وتقدمه، فأفضنا فى ذلك وإبراهيمُ مُطْرِق، فلمّا طال كلامنا وقال كلّ واحد منا مثلَ ما قاله صاحبه، اندفع إبراهيم بن المهدىّ يغنى فى شعر لابن سيابة يرثى [به][2] إبراهيمَ — ويقال: إن الأبيات لأبى الأسد[3] —:

تولَّى الموصلىُّ فقد تولَّتْ * بشاشاتُ المَزَاهِرِ والقِيانِ
وأىُّ بشاشةٍ بَقِيَتْ فتبقَى * حياةُ الموصلىِّ على الزمانِ
ستَبْكيه المزاهِرُ[4] والمَلاهى * وتُسْعِدُهنّ عاتقةُ الدِّنانِ
وتَبْكيه الغَوِيّةُ إذ تولّى * ولا تبكيه تاليةُ القُرانِ[5]

قال: فأبكَى من حضر، وقلت أنا فى نفسى: أفتراه هو إذا مات من يبكيه: أَلمِحرابُ أم المصحفُ؟! قال: وكان كالشامت بموته.

أخبرنى يحيى بن علىّ قال قال أنشدنى حمّاد قال: أنشدنى أبى لنفسه يرثى أباه، وأنشدها غير يحيى وفيها زيادة على روايته،:

أقول لــــه لـمّا وقفتُ بقــبره * عليك ســـلامُ الله يا صاحبَ القبرِ
أيا قبرَ إبراهيم حُيِّيتَ حُفْرةً * ولا زلتَ تُسْقَى الغيثَ من سَبَلِ[6] القَطْرِ

(١) كذا فى ط، ى. وفى سائر الأصول: «فذكرن». (٢) زيادة عن ط، ى.
(٣) كذا فى ط، ى. وهو نباتة بن عبد الله الحمانى، من شعراء الدولة العباسية، وقد أورد له أبو الفرج ترجمة فى (ج ١٢ ص ١٧٤ طبع بولاق)، وقد ذكرت فى ترجمته هذه الأبيات يرثى بها ابراهيم الموصلى. وفى سائر الأصول: «الأسل» باللام، وهو تحريف. (٤) فى حـ: «المزامر» بالميم.
(٥) القران: القرآن. (٦) السبل (بالتحريك): ما سال من المطر.

لقد عزّنى[1] وَجْدى عليك فلم يَدَعْ * لقلبي نصيبًا من عَزاء ولا صبر
وقد كنتُ أبكى من فِراقك ليلةً * فكيف وقد صار الفِراقُ إلى الحشر

أخبرنى أحمد بن محمد بن إسماعيل [بن إبراهيم][2] الموصلي الملقب بوَسْوَاسة[3] قال : أنشدنى حمّاد لأبيه إسحاق يرثى أباه إبراهيم الموصلي :

سلامٌ على القبر الذى لا يُجيبنا * ونحن نُحيّي تُربَه ونخاطبُه
ستَبكيه أشرافُ الملوك إذا رأَوْا * محلّ التصابى قد خلا منه جانبُهْ
ويَبكيه أهلُ الظَّرْف طرًّا كما بكى * عليه أمير المؤمنين وحاجبُه
ولمّا بدا لى اليأسُ منه وأَنْزفتْ[4] * عيونُ بواكيه وملّتْ نوادبُه
وصار شفاءُ[5] النفس من بعض ما بها * إفاضةَ دمع تَسْتَهِلّ سواكبُه
جعلتُ على عينيّ للصبح عَبرةً * ولِلّيل أخرى ما بدتْ لى كواكبُه

قال : وأنشدنى أيضا حمّاد لأبيه يرثى أباه :

عليك سلامُ الله من قبرِ فاجع * وجادك من نَوْء السِّماكين وابلُ[6]
هَل انتَ مُحيِّ القبرِ أم أنت سائل * وكيف تُحيًّا تُربةٌ وجنادل ٤٨/٥
أَظَلُّ كأنى لم تُصبنى مصيبةٌ * وفى الصّدر من وَجْدٍ عليك بلابل
وهَوّن عندى فَقْدَه أنّ شخصه * على كل حال بين عينيّ ماثل

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنى أبو أيوب المَدِينيّ قال أنشدنى إبراهيم بن علي ابن هِشام لرجل يرثى إبراهيم الموصلي :

(١) عزه الوجد : غلبه . (٢) زيادة عن ط ، ء . (٣) فى الأصول : «وسواسة» ولقب تتعدى بالباء . (٤) أنزفت العين : فنى ماؤها ، و يقال أنزف الرجل البئر اذا استخرج ماءها كله ، فهو لازم متعد . (٥) كذا فى ط ، ء . وفى باقى الأصول : «شفاء الناس» .
(٦) وردت هذه الأبيات فى ط ، ء بزيادة هاء للوصل على رويها وورد فيها الشطر الأخير من البيت الثانى هكذا : «وكيف يحيا تربه وجنادله» .

أصبح اللهو تحت عَفْر الترابِ * ثاوياً فى مَحَلّة الأحبابِ
إذ ثوى الموصلىّ فانقرض اللهـ * ـو بخير الإخوان والأصحاب
بكت المُسْمِعاتُ حُزْناً عليه * وبكاه الهوى وصَفْوُ الشراب
وبكتْ آلةُ المجالس حتى * رحِم العودُ دمعةَ المِضراب (١)

ذكره ابنه إسحاق عند الرشيد وبكى فلاطفه ووصله

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال :

دخلتُ إلى الرشيد بعَقِب (٢) وفاة أبى ، وذلك بعد شهر من يوم وفاته ، فلمّا جلستُ ورأيت موضعه الذى كان يجلس فيه خالياً دَمَعتْ عينى، فكفَفْتُها وتصبّرتُ؛ ولحَنى الرشيد فدعانى اليه وأدنانى منه، فقبّلتُ يدَه ورجلَه والأرض بين يديه، فاستعبر، وكان رقيقا؛ فوثبت قائما ثم قلت :

فى بقاء الخليفة الميمون * خَلَفٌ من مُصيبة المحزونِ
لا يَضير المصابَ رُزْءٌ إذا ما * كان ذا مَفْزَعٍ الى هارون

فقال لى : كذاك والله هو، ولن تفقِد من أبيك ما دمتُ حيّاً إلا شخصَه ؛ وأمر بإضافة (٣) رزقه الى رزقى؛ فقلت : بل يأمر أميرُ المؤمنين به الى ولده، ففى خدمتى إياه ما يُغْنِينى؛ فقال : اجعلوا رزق إبراهيم لولده وأَضْعِفوا رزق إسحاق .

---

(١) فى ط ، ء : « دمعة المحراب » . ومن معانى المحراب صدر البيت وأكرم موضع فيه .
(٢) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «بعقب» . والعقيب : المعاقب، ويستقيم الكلام به على تقدير محذوف، أى بوقت عقيب وقت وفاة أبيه ، أو على أن يكون مصغرا . (٣) فى ط ، ء : « بإفاضة » .

صـــــوت

من المـائة المختـارة

أحد الأصـوات من المـائة المختارة

يادارَ سُـــعْدى بالجِزْع(١) من مَلَلِ(٢) * حُيِّيتِ من دِمْنــةٍ(٣) ومن طَلَلِ
إنّى اذا ما البخيــلُ أمّنهـا * باتت ضَمُــوزًا(٤) مــنّى على وجَلِ(٥)
لا أُمتِـعُ العُوذَ بالفِصـال ولا * أبتـاعُ إلا قَرِيبــةَ الأجَلِ

العوذ: الإبل التى قد نُتِجتْ، واحدتها عائذ . يقول : أنحرُها وأولادَها للأضياف فلا أُمتِعها . والضَّمُوز : المسكة عن أن تجترّ . ضَمَزَ الجملُ بجِرّته إذا أمسك عنها ، ودسع(٦) بها إذا استعملها . يقول : فهذه الناقة من شـدة خوفها على نفسها مما رأت من نَحْر نظائرها قد آمتنعتْ من جِرّتها فهى ضامِزةٌ .

الشعر لأبن هَرْمة . والغنـاء فى اللحن المختـار لمَرْزوق الصراف(٧) ثقيـلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر فى مجـرى البنصر عن إسحاق ، ويقال إنه ليحيى بن واصِـل . وذكر عمرو بن بَانةَ أنّ فيه لدَحْمانَ لحنًا من الثقيل الأوّل بالبنصر، [وأن فيه لأبن مُحْرِز لحنا من

---

(١) الجزع (بالكسر و يفتح) : منعطف الوادى ووسطه أو منقطعه . وفى ط ، ء : «الخيف» وهو ما انحدر عن غلظ الجبل وآرتفع عن مسيل المـاء . (٢) ملل (بالتحريك) : منزل على طريق المدينة الى مكة بينه وبين المدينة ثمانية وعشرون ميلا . (٣) فى ب : «دجنة» بالجيم ، وهو تحريف . (٤) كذا فى ط ، ء . وفى سائر الأصول : «بانت ضمورا» وهو تصحيف . (٥) ورد هذا البيت والذى بعده فى الأمالى (ج ٣ ص ١١٠ طبع دار الكتب المصرية) بتقديم الذى بعده عليه ، وهو الأنسب ليرجع الضمير فيه الى مذكور . وفى تفسير المؤلف للبيتين ما يشعر بهذا الترتيب .

(٦) كذا فى ط ، ء . ودسع الرجل : قاء ملء الفم . وفى ب ، سـ : «رسغ» (بالراء والغين المعجمة) . وفى سائر الأصول : «رسع» بالراء والعين المهملة ، وكلاهما تحريف .

(٧) كذا فى ط ، ء ، أ هنا وفيما سبق فى جميع الأصول فى الجزء الرابع فى آخر ترجمة طليح بن أبى العوراء . وفى سائر الأصول هنا : «لمرزوق الضراب» .

التقيل الثانى بالبنصر] (١) فى الثالث ثم الثانى، ووافقه ابن المكىّ . قال : وفيه لدَحْمان خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى فى الأول والثالث ؛ وذكر الهشامىّ أنّ هذا اللحن بعينه ليونس ٤٩/٥ وأن الثقيل الثانى لإبراهيم، وأنّ لمَعْبد فيه لحنا من الثقيل الأول بالوسطى، وأن فيه للهُذَلىّ خفيفَ ثقيل، وأن فيه رَمَلًا ينسب إلى ابن مُحْرِز [أيضا] (١) .

شىء من ذكر ابن هَرْمة أيضا

طلب يحيى بن عروة من ابنة ابن هرمة زادا فردته فذكرها بقول أبيها

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد العزيز الزُّهْرىّ ونَوْفل بن مَيْمون عن يحيى بن عُرْوة بن أُذَينة قال :

خرجتُ فى حاجة لى، فلمّا كنت بالسَّيالة (٢) وقفت على منزل إبراهيم بن علىّ بن هَرْمة، فصحتُ : يا أبا إسحاق، فأجابتنى ابنته : من هذا ؟ فقلت : انظرى، فخرجتْ إلىّ فقلت : أَعلِمى أبا إسحاق؛ فقالت : خرج والله آنفا؛ قال : فقلت : هل من قِرًى ؟ فإنى مُقْوٍ (٣) من الزاد؛ قالت : لا والله، ما صادفتَه حاضرا؛ قلت : فأين قولُ أبيك :

لا أُمتِع العُوذَ بالفِصال ولا * أبتاع إلا قريبةَ الأجلِ

قالت : بذاك (٤) والله أفناها — أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب ابن عَبَاية بمثل هذا الخبر سواء، وزاد فيه : — قال : فأخبرت إبراهيم بن هَرْمة بقولها، فضمّها إليه وقال : بأبى أنت وأمى ! أنت والله ابنتى حقا، الدارُ والمَزْرعةُ لك .

(١) زيادة من ط ، ء . (٢) السيالة (بفتح أوله وتخفيف ثانيه) : أوّل مرحلة لأهل المدينة اذا أرادوا مكة . (٣) أقوى القوم : فنى زادهم . (٤) فى ط ، ء ، ح : «فذاك» .

ذكر بشعره في الكرم فانتهب غنمه الناس وكان بخيلا

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني نوفل بن ميمون قال حدّثني مرقّع (١) قال :

كنت مع ابن هرمة في سقيفة أم أذينة (٢)، فجاءه راع بقطعة (٣) من غنم يشاوره فيما يبيع منها، وكان قد أمره ببيع بعضها؛ قال مرقّع : فقلت : يا أبا إسحاق، أين عزب عنك قولك :

لا غنمي مُدّ في الحياة لها * إلا لدرك (٤) القِرَى ولا إبلي

وقولك فيها أيضا :

لا أمتع العُوذَ بالفصال ولا * ولا أبتاع إلا قريبةَ الأجلِ

فقال لي : مالك أخزاك الله ! من أخذ منها شيئا فهو له ؛ فانتهبناها (٥) حتى وقف الراعي وما معه منها شيء .

وحدّثنا بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني عليّ بن محمد النّوفليّ عن أبيه :

أن ابن هرمة كان اشترى غنما للربح (٦)، فلقيه رجل فقال له : ألست القائل :

لا غنمي مُدّ في الحياة لها * إلا لدرك القِرَى ولا إبلي

قال : نعم ؛ قال : فوالله إني لأحسبك تدفع عن هذه الغنم المكروهَ بنفسك ، وإنك لكاذب؛ فأحفظه [ذلك] (٧) فصاح : من أخذ منها شيئا فهو له ؛ فانتهبها الناس جميعا؛ وكان ابنُ هرمة أحدَ البخلاء .

---

(١) في ط ، ى : « موقع » بالواو . (٢) كذا في ط ، ى . وفي سائر الأصول : «سقيفة ابن أذينة» . (٣) كذا في ط ، ى . وفي سائر الأصول : «بقطيعة» ، وهو تحريف (٤) في ط ، ى : « إلا دراك » . (٥) كذا في حـ . وفي ط ، ى : « فانتهبنا » . وفي سائر الأصول : «فانتهبناها له ...» . (٦) كذا في حـ ، ط ، ى . وفي سائر الأصول : «للذبح» ، وهو تحريف . (٧) زيادة عن ط ، ى .

أول شعر قاله ابن هرمة

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنى الزُّبَير بن بكّار قال حدثنى نوفل بن ميمون قال حدّثنى زُفَر بن محمد الفِهْرى (١) : أن هذه القصيدة أولُ شعر قاله آبن هرمة .

سمع مزبد بيتا له فى الفخر فتهكم به

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبى : حدّثنا عبد الله بن الوَليد الأَزْدىّ قال حدّثنى جعفر بن محمد بن زيد بن علىّ بن الحُسين (٢) قال :

سمع مَزْبد (٣) قول آبن هَرْمة :

لا أُمتِع العُوذَ بالفِصَال ولا * أبتاعُ إلّا قريبةَ الأَجَلِ

٥٠/٥

قال : صدَق آبن الخبيثة ، إنّما كان يَشترى الشاة للأُضحى فيَذْبحها من ساعته .

ذهب اليه قوم من قريش للعبث به فكان بينهم حوار ظريف

أخبرنا وَكيع قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه [عن عبد الله بن الوليد عن جعفر بن محمد بن زيد عن أبيه] (٤) قال :

اجتمع قوم من قريش أنا فيهم ، فأحببْنا أن نأتى آبنَ هَرْمة فنعبَثَ به ، فتزوّدنا زادا كثيرا ثم أتيناه لنقيم عنده ، فلما آنتهينا اليه خرج إلينا فقال : ما جاء بكم؟ فقلنا : سمعنا شعرك فدعانا اليك لمّا سمعناك قلت :

---

(١) فى ط ، ء : « زفر بن الحارث الفهرى » . (٢) كذا فى ط ، ء وهو الموافق لما جاء فى كتاب المعارف لابن قتيبة (ص ١١١ طبع أوربا) . وفى سائر الأصول : « الحسن » . (٣) كذا فى ط ، ء وكتاب البخلاء للجاحظ (ص ٩ طبع أوربا) وعيون الأخبار طبع دار الكتب المصرية (انظر مقدمته ص م حاشية رقم ٣) . وفى شرح القاموس (مادة زبد) : مزبد كمحدث اسم رجل صاحب النوادر، وضبط كمعظم ، ووجد بخط الذهبى ساكن الزاى مكسور العين . (باختصار) . وفى سائر الأصول : « مزيد » بالياء المثناة التحتية ، وهو تصحيف . (٤) التكملة عن ط ، ء .

إنّ آمرأ جعل الطريقَ لبيته * طُنُبًا(١) وأنكر حقّه للئيم

وسمعناك تقول :

وإذا تنوّر طارق مُسْتَنبِحٌ(٢) * بَحَّتْ فدلّته على كلابي

وعَوَين يستعجِلْنه فلقِينَه * يَضربْنه بشَرَاشِرِ(٣) الأذناب

وسمعناك تقول :

كم ناقة قد وجأتُ(٤) مَنحَرها * بُمسْتَهَل الشُّؤبوب أو جَمَل

لا أُمتع العُوذَ بالفِصال ولا * أبتاع إلّا قريبة الأجَل

قال : فنظر إلينا طويلًا ثم قال : ما على وجه الأرض عصابةٌ أضعفُ عقولًا ولا أسخفُ دِينًا منكم ؛ فقلنا له : يا عدوّ الله يا دعيّ ، أتيناك زائرين [و](٥) تُسْمِعُنا هذا الكلام ! ؛ فقال : أمَا سمعتم الله تعالى يقول للشعراء : ﴿وأنّهم يقولون ما لا يفعلون﴾ أفيُخبركم الله أنّى أقول ما لا أفعلُ وتريدون منّى أن أفعلَ ما أقول ! ؛ [قال](٥) فضحكنا منه وأخرجناه معنا ، فأقام عندنا فى نزهتنا يَشْرَكُنا فى زادنا حتى آنصرفنا إلى المدينة .

إعجاب الأصمعى :

أخبرنا عمّى قال حدّثنى محمّد بن سعيد الكُرّانى عن عبد الرحمن بن أخى الأصمعىّ عن عمّه قال :

---

(١) الطنب (بضم النون وتسكينها) : حبل الخباء والسرادق ونحوهما ، وقد يستعار للطرف والناحية . فلعله يريد أنه أقام بيته على الطريق فكانت الطريق طرفا له . وفى الحديث : "ما بين طنبي المدينة أحوج منى إليها" أى ما بين طرفيها . وفى حـ : «ضرب الطريق... طرقا ... الخ» . (٢) فى ط ، ى : «راكب» . (٣) شراشر الأذناب : أطرافها . (٤) وجأه : ضربه بسكين ونحوه . (٥) زيادة عن ط ، ى .

الحَكَم الخُضْرى، وٱبن مَيّادة، ورُؤْبة، وٱبن هَرْمة، وطُفَيل الكِنانى، ومَكين العُذْرى، كانوا على ساقة[1] الشعراء، وتقدّمهم ٱبن هَرْمة بقوله :

لا أُمتِع العُوذ بالفِصال ولا * أبتاع إلّا قريبةَ الأجل

قال عبد الرحمن : وكان عمّى مُعْجَبًا بهذا البيت مُستحسِنًا له ، وكان كثيرا ما يقول : أمَا تَرَوْن كيف قال ! والله لو قال هذا حاتم لما زاد ولكان كثيرا ؛ ثم يقول : ما يؤخّره عن الفحول إلا قُرْبُ عهده . انتهى .

تفضيل مروان بن أبي حفصة له

أخبرنى محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى ووَكيع عن حَمّاد عن أبيه قال : قلت لمروان بن أبى حَفْصة[2] : مَنْ أشعر المُحْدَثين من طبقتكم عندك؟ لا أعْنيك؛ قال : الذى يقول :

لا أُمتِع العوذ بالفصال ولا * أبتاع إلا قريبةَ الأجل

ناقض ابن الكوسج شعراً له فتهدّد مواليه إن لم يأتوه به مربوطا

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدثنا أبو أيّوب المَدينىّ عن أبى حُذافة قال : لمّا قال ٱبن هَرْمة :

لا أُمتِع العوذ بالفِصال ولا * أبتاع إلا قريبةَ الأجل

قال ٱبن الكَوْسَج مولى آل حُنَين يجيبه :

ما يشرب البارِدَ القَراحَ ولا * يذبح من جَفْرةٍ[3] ولا حَمَلِ[4]

كأنّه قِرْدةٌ يلاعبها * قردٌ بأعلى الهِضاب من مَلَل

---

(١) الساقة : المؤخرة، يقال : فلان فى ساقة الجيش أى فى مؤخرته . (٢) كذا فى ط، ى . وفى سائر الأصول : «مروان بن حفصة» ، وهو تحريف . (٣) الجفرة : من أولاد الشاء إذا عظم واستكرش، قال أبو عبيد : اذا بلغ ولد المعزى أربعة أشهر وجفر جنباه وفصل عن أمه وأخذ فى الرعى فهو : جفر، والأنثى جفرة . (٤) كذا فى ط ، ى ، ح ، وهو الأنسب للمعنى . وفى سائر الأصول : «جمل» بالجيم .

قال : فقال آبن هَرْمة : لئن لم أُوتَ به مربوطا لأفعلنّ بآل حُنَين ولأفعلنّ؛ فوهبوا لآبن الكَوْسج مائة درهم وربطوه وأتَوْا به آبن هَرْمة فأطلقه(١) ؛ فقال آبن الكوسج : والله لئن عاد لمثلها لأعودنّ(٢) . ٥١/٥

* * *

غنى ابن جامع الرشيد ما شغله عن غيره فعلم ابراهيم مخارقا لحنا تفوّق به عليه

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني هارون بن مُخَارق عن أبيه قال :

كنّا عند الرشيد في بعض أيامنا ومعنا آبن جامع، فغنّاه آبن جامع ونحن يومئذ بالرَّقّة :

هاج شوقًا فِراقُكَ الأحبابا * فتناسيتَ أو نَسيتَ الرِّبابا
حين صاح الغرابُ بالبَيْن منهم * فتصامَمْتَ إذ سمعتَ الغُرابا
لو علمنا أنّ الفراق وَشيكٌ * ما أتينا حتى نزورَ القِبابا
أو علمنا حين آستقلّتْ نَواهم * ما أقمنا حتّى نَزُمّ(٣) الرِّكابا

— الغناء لآبن جامع رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وله فيه أيضا ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو . وذكرتْ دَنانيرُ عن فُلَيح أنّ فيه لآبن سريج ولآبن مُحْرِز لحنين — . قال : فآستحسنه الرشيد وأُعجِب به وآستعاده مرارًا وشرب عليه أرطالا حتى سكر، وما سمع غيرَه ولا أقبل على أحد، وأمر لآبن جامع بخمسة آلاف دينار؛ فلمّا آنصرفنا قال لي إبراهيم : لا تَرِمْ(٤) منزلَك حتى أصير إليك؛ فصرت

(١) عبارة ط ، ء : «فأطلقه وقال : والله لئن عاد الى مثلها لأعودنّ» . وهي تفيد أن المهدّد ابن هرمة لا ابن الكوسج، على خلاف ما يفيده باقي الأصول . (٢) الى هنا انتهى المؤلف من أخبار ابن هرمة وعاد الى ابراهيم الموصلي، ولهذا عنونا به هذه الصفحة وما بعدها الى أخبار إسحاق .
(٣) زم البعير: خطمه ووضع فيه الزمام . (٤) رام المكان يريمه : برحه، وأكثر ما يستعمل منفيا .

إلى منزلى، فلم أُغيِّر ثيابى حتى أعلمنى الغلام بموافاته؛ فتلقَّيتُه فى دِهْليزى[١]، فدخل وجلس وأجلسنى بين يديه ثم قال لى: يا مُخارِق، أنت فَسِيلةٌ[٢] منّى وحَسَنى لك وقبيحى عليك، ومتى تركنا آبنَ جامع على ما ترى غَلَبَنا على الرّشيد، وقد صنعتُ صوتًا على طريقة صوته الذى غنّاه أحسنَ صنعةً منه وأجود وأشجى، وإنما يَغلبنى عند هذا الرجل بصوته، ولا مَطْمَعَ على صوتك، وإذا أطربتَه وغلبتَه عليه بما تأخذه منى قام ذلك لى مقام الظَّفَر[٣]؛ وسيُصبح أمير المؤمنين غدًا فيدخل الحمام ونحضُر ثم يخرج فيدعو بالطعام ويدعو بنا ويأمر آبنَ جامع فيردّ الصوت الذى غنّاه ويشرب عليه رِطلا ويأمر له بجائزة، فاذا فعل فلا تنتظره أكثر من أن يردّ ردّته حتى تُغَنِّيَ ما أُعلّمك إياه الساعةَ، فإنه يُقبل عليك ويَصلك، ولستُ أبالى ألّا يصلنى بعد أن يكون إقبالُه عليك؛ فقلت: السمع والطاعة؛ فألقى علىّ لحنَه:

* يا دارَ سُعْدَى بالجزع من مَلَلِ *

وردّده[٤] حتى أخذتُه وآنصرف؛ ثم بكّر علىّ فآستعاد الصوت فردّدْتُه حتى رَضِيَه، ثم ركبنا وأنا أدرسه حتى صِرْنا إلى دار الرشيد؛ فلمّا دخلنا فعل الرشيد جميع ما وصفه إبراهيم شيئا فشيئا، وكان إبراهيم أعلمَ الناس به، ثم أمر آبنَ جامع فردّ الصوت ودعا برطل فشربه، ولما آستوفاه واستوفى آبن جامع صوتَه لم أَدَعْه يتنفّس حتى آندفعتُ فغنّيت صوتَ إبراهيم، فلم يَزَلْ يُصغى إليه وهو باهتٌ حتى استوفيتُه؛

---

(١) الدهليز (بالكسر): اسم الممر الذى بين باب الدار ووسطها، فارسىّ معرّب. قال يحيى بن خالد: «ينبغى للانسان أن يتأنق فى دهليزه، لأنه وجه الدار، ومنزل الضيف، وموقف الصديق حتّى يؤذن له، وموضع المعلم، ومقيل الخدم، ومنتهى حدّ المستأذن».

(٢) الفسيلة: النخلة الصغيرة تقلع من الأرض أو تقطع من الأم فتغترس.

(٣) كذا فى ط، ء. وفى سائر الأصول: «قام ذلك منى». (٤) فى م: «ورددته».

فشرب وقال: أحسنتَ والله! لمن هذا الصوت؟ فقلت: لإبراهيم؛ فلم يزل يستدنيني حتى صِرتُ قُدّامَ سريره، وجعل يستعيد الصّوت فأُعيده ويشرب [عليه][1] رِطلا، فأمر لإبراهيم بجائزة سنيّة وأمر لي بمثلها، وجعل ٱبنُ جامع يَشْغَب ويقول: يجيء بالغناء فيَدُسّه في أَسْتاه الصّبيان! إن كان محسناً فليُغَنِّه هو، والرشيد يقول [له][1]: دع ذا عنك، فقد والله ٱستقاد منك وزاد عليك.

٥٢/٥

صوت

من المائة المختارة

تَوَلّى شبابُكَ إلا قليلَا * وحلّ المَشيبُ فصبراً جميلَا
كفى حَزَناً بفِراق الصِّبا * وإنْ أصبح الشَّيبُ منه بَديلا

الشعر والغناء لإسحاق. ولحنه المختار ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاقَ ابن عمرو.

(١) الزيادة عن ط، ء.

أخبار إسحاق بن إبراهيم

نسب إسحاق الموصلى وكنيته

قد مضى نسبه مشروحا فى نسب أبيه، ويكنى أبا محمد، وكان الرشيد (١) يولع به فيكنيه أبا صفوان، وهذه كنية أوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مصعب مزحا.

منزلته فى العلوم وتقدير الخلفاء والناس له

وموضعه من العلم، ومكانه من الأدب، ومحله من الرواية، وتقدمه فى الشعر، ومنزلته فى سائر المحاسن، أشهر من أن يدل عليه فيها بوصف؛ وأما الغناء فكان أصغر علومه وأدنى ما يوسم به وإن كان الغالب عليه وعلى ما كان يحسنه؛ فإنه كان له فى سائر أدواته نظراء وأكفاء ولم يكن له فى هذا نظير؛ فإنه لحق بمن مضى فيه وسبق من بقى، ولحب (٢) للناس جميعا طريقه فأوضحها، وسهل عليهم سبيله وأنارها؛ فهو إمام أهل صناعته جميعا، ورأسهم ومعلمهم؛ يعرف ذلك منه الخاص والعام، ويشهد به الموافق والمفارق (٣)؛ على أنه كان أكره الناس للغناء وأشدهم بغضا لأن يدعى إليه أو يسمى به. وكان يقول: لوددت أن أضرب، كلما أراد مريد منى أن أغنى وكلما قال قائل إسحاق الموصلى المغنى، عشر مقارع، لا أطيق أكثر من ذلك، وأعفى من الغناء ولا ينسبنى من يذكرنى إليه. وكان المأمون يقول: لولا ما سبق على ألسنة الناس وشهر به عندهم من الغناء لوليته القضاء بحضرتى، فإنه أولى به

---

(١) كذا فى جميع الأصول، والمعروف أن الرشيد لم يعاصر إسحاق بن إبراهيم بن مصعب فى بغداد، وأن إسحاق المصعبي وأهل بيته من أهل بوشنج من أعمال خراسان ولم يدخلوا بغداد إلا بعد دخول المأمون فيها، ومعلوم أيضا أن إسحاق المصعبي هو الذى أوقع هذه الكنية على إسحاق كما سيجىء فى شعر للموصلى بعث به إليه، والغالب أن فى الأصول تحريفا، والأجدر به أن يكون «المأمون» بدل «الرشيد» ليتسق التاريخ وتتلاءم الحوادث بعضها مع بعض (انظر التاج للجاحظ الحاشية رقم ١ ص ٣١ طبع المطبعة الأميرية).

(٢) لحب الطريق: سلكه وأوضحه، ويستعمل لازما فيقال: لحب الطريق إذا وضح. وفى ص: «ألحب» وهو بمعنى «لحب» المتعدى.

(٣) لعله «المرافق والمفارق» أى القريب والبعيد.

مشايخه الذين تلق عنهم

وأعفّ وأصدق وأكثر ديناً وأمانةً من هؤلاء القضاة . وقد روى الحديثَ ولقى أهلَه : مثل مالك بن أنس، وسفيان بن عُيَيْنة، وهُشَيم بن بَشير(1)، وإبراهيم بن سَعْد(2)، وأبي معاوية الضَّرير(3)، ورَوح بن عُبادة(4)، وغيرِهم من شيوخ العراق والحجاز . وكان مع كراهته الغناءَ أضنَّ خلق الله وأشدَّهم بُخلاً به على كل أحد حتى على جواريه

هو الذى صحح أجناس الغناء بطبعه من غير أن يطلع على كتب القدماء

وغلمانه ومن يأخذ عنه مُنتسبا إليه مُتَعَصِّبًا له فضلا عن غيرهم . وهو الذى صحّح أجناس الغناء وطرائقَه وميّزه تمييزا لم يقدِر عليه أحد قبله ولا تعلّق به أحد بعده ، ولم يكن قديما مميَّزا على هذا الجنس، إنما كان يقال الثقيل ، وثقيل الثقيل ، والخفيف، وخفيف الخفيف. وهذا عمرو بن بانة ، وهو من تلاميذه، يقول فى كتابه : الرمل الأوّل، والرمل الثانى؛ ثم لا يزيد فى ذكر الأصابع على الوسطى والبنصر ، ولا يعرف المجارىَ التى ذكرها إسحاق فى كتابه ، مثلَ ما ميّز الأجناس ، بجعل الثقيل الأوّل أصنافا، فبدأ فيه بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر، ثم تلاه بما كان منه بالبنصر فى مجراها، ثم بما كان بالسّبابة فى مجرى البنصر، ثم فعل هذا بما كان منه بالوسطى على هذه المرتبة ؛ ثم جعل الثقيل الأوّل صنفين، الصنف الأوّل منهما هذا الذى ذكرناه، والصنف الثانى القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل، ٥٣/٥ وأجراه المجرى الذى تقدّم من تمييز الأصابع والمجارى ، وألحق جميعَ الطرائق والأجناس بذلك وأجراها على هذا الترتيب . ثم لم يتعلّق بفهم ذلك أحدٌ بعده فضلا عن أن يُصنّفه فى كتابه؛ فقد ألف جماعةٌ من المغنِّين كتبا، منهم يحيى المكىّ

(1) هو هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمى ، يكنى أبا معاوية ، مات فى خلافة الرشيد سنة ١٨٣ هـ .

(2) هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ويكنى أبا إسحاق ، وكان ثقة كثير الحديث وربما أخطأ فيه ، توفى ببغداد سنة ١٨٣ هـ .

(3) اسمه محمد بن خازم مولى لبنى عمرو بن سعد ، وكان ثقة كثير الحديث يدلس ، توفى بالكوفة سنة ١٩٥ هـ .

(4) هو روح بن عبادة القيسى من بنى قيس بن ثعلبة ويكنى أبا محمد وكان ثقة ، توفى سنة ٢٠٥ هـ .

وكان شيخَ الجماعة وأستاذهم ، وكلُّهم كان يفتقر إليه و يأخذ عنه غناء الحجاز، وله صنعةٌ كثيرة حسنة متقدّمة، وقد كان إبراهيم الموصلىّ وآبن جامع يضطران إلى الأخذ عنه — ألّف كتاباً جمع فيه الغناء القديم ، وألحق فيه آبنهُ الغناءَ المُحْدَث إلى آخر أيّامه ، فأتَيَا فيه فى أمر الأصابع بتخليط عظيم، حتى جعلا أكثر ماجنّساه من ذلك مختلطا فاسدا،وجعلا بعضه، فيما زعما،تشترك الأصابع كلّها فيه؛ وهذا محال؛ ولو اشتركت الأصابع لَمَا احتيج إلى تمييز الأغانى وتصييرها مقسومةً على صِنفين: الوسطى والبنصر . والكلام فى هذا طويل ليس موضعه هاهنا ؛ وقد ذكرته فى رسالة عملتُها لبعض إخوانى ممن سألنى شرحَ هذا، فأثبتّه وآستقصيتُه استقصاءً يُستغنَى به عن غيره . وهذا كله فعله إسحاق واستخرجه بتمييزه، حتى أتى على كل ما رسمته الأوائلُ مثل إقْلِيدس ومَنْ قبلَه ومَنْ بعده من أهل العلم بالموسيقى، ووافقهم بطبعه وذهنه فيما قد أفنَوْا فيه الدهورَ، من غير أن يقرأ لهم كتابا أو يعرفه.

فأخبرنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى علىّ بن يحيى المنجم قال :

كنت عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب، فسأل إسحاقَ الموصلىّ ـ أوسأله محمد ابن الحسن بن مُصعب ـ بحضرتى، فقال له : يا أبا محمد، أرأيتَ لو أنّ الناس جعلوا للعود وترًا خامسا للنّغمة الحادّة التى هى العاشرة على مذهبك، أين كنت تخرج منه؟ فبقى إسحاق واجمًا ساعةً طويلةً مفكرًا، وآحمرّت أُذُناه وكانتا عظيمتين، وكان إذا ورد عليه مثل هذا آحمرّتا وكثُر وَلُوعه بهما ؛ فقال لمحمد بن الحسن : الجواب فى هذا لايكون كلامًا إنما يكون بالضرب، فإن كنتَ تضرب أريتُك أين تخرج! ؛ فخجل وسكت عنه مُغْضَبا ، لأنه كان أميرا وقابله من الجواب بما لا يَحْسُن، لحلمِ عنه . قال علىّ بن يحيى : فصار إلىّ به وقال لى : يا أبا الحسن، إنّ هذا

الرجل سألنى عما سمعتَ، ولم يبلُغ علمُه أن يستنبط مثلَه بقريحته، وإنما هو شىء قرأه من كتب الأوائل، وقد بلغنى أنّ التراجمة عندهم يترجمون لهم كتب الموسيقِى، فإذا خرج إليك منها شىء فأعطنيه؛ فوعدته بذلك، ومات قبل أن يخرج إليه شىء منها. وإنما ذكرتُ هذا بتمام أخباره كلّها ومحاسنه وفضائله، لأنه من أعجب شىء يُؤْثَر عنه: أنه آستخرج بطبعه عِلمًا رسمته الأوائل لا يُوصَل إلى معرفته إلا بعد علم كتاب إقليدس الأوّل فى الهندسة ثم ما بعده من الكتب الموضوعة فى الموسيقِى، ثم تعلّم ذلك وتوصّل إليه وآستنبطه بقريحته، فوافق مارسمه أولئك، ولم يَشِذّ عنه شىء يحتاج إليه منه، وهو لم يقرأه ولا له مدخلٌ إليه ولا عَرفه(١)، ثم تبيّن بعد هذا، بما أذكره من أخباره ومعجزاته فى صناعته، فضلَه على أهلها كلّهم وتميّزه عنهم، وكونَه سماءً هم أرضُها، وبحراً هم جَداوله.

اسم أمه وجنسها

٥٤ / ٥

وأمّ إسحاق آمرأة من أهل الرّىّ يقال لها شاهك؛ وذكر قوم أنها دُوشّار التى كانت تُغنّى بالدُّف، فهوِيها إبراهيم وتزوّجها. وهذا خطأ، تلك لم تلد من إبراهيم إلا بنتا، وإسحاقُ وسائرُ ولد إبراهيم من شاهكَ هذه.

برنامج دراسته اليومى

أخبرنى يحيى بن علىّ المنجم قال أخبرنى أبى عن إسحاق قال:

بقيتُ دهرًا من دهرى أُغلّس فى كلّ يوم إلى هُشَيم فأسمع منه، ثم أصير إلى الكِسائىّ أو الفَرّاء أو آبن غَزَالة(٢) فأقرأ عليه جزءا من القرآن، ثم آتى منصورَ

(١) كذا فى ب، س. وفى سائر الأصول: «وهو لم يقرأه ولا المدخل إليه ... الخ».

(٢) كذا فى جميع الأصول. وقد جاء فى شرح القاموس (مادة غزل): «وعبد الواحد بن أحمد بن غزال مقرئ».

زلزل فيضارِبنى طَرْقين(١) أو ثلاثة(٢) ، ثم آتى عاتكةَ(٣) بنت شُهْدَة فآخذ منها صوتا أو صوتين ، ثم آتى الأصمعىّ وأبا عُبَيدة فأناشدهما وأحدّثهما فأستفيد منهما ، ثم أصير إلى أبى فأُعلمه ما صنعتُ ومَنْ لقِيت وما أخذتُ وأتغدّى معه ، فإذا كان العشاء رُحت إلى أمير المؤمنين الرشيد .

تعلم الضرب بالعود من زلزل

أخبرنا محمد بن مَزْيد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

أخذ منّى منصورُ زلزل إلى أن تعلّمتُ مثْلَ ضربه بالعود أكثر من مائة ألف درهم .

جاء الى ابن عائشة فاكرمه

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا أحمد بن أبى خَيْثَمة قال :

كنت عند ابن عائشة فجاءه أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ ، فرحّب به وقال : هاهنا يا أبا محمد إلى جَنْبى ، فلئن بعُدَتْ بيننا الأنساب ، لقد قربتْ بيننا الآداب .

تقدير المأمون له

أخبرنى الحسن(٤) بن علىّ الخَفّاف قال حدّثنا يَزيد بن محمد المهلّبىّ قال حدّثنا ابن شَبِيب(٥) من جلساء المأمون عنه : أنه قال يوماً وإسحاق غائبٌ عن مجلسه : لولا

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، سـ : « ثم آتى منصورا زلزلا » . وإذا اجتمع علمان لمسمى واحد جازت الإضافة والإتباع على أن يكون الثانى بدلا أو عطف بيان . (٢) كذا فى أ ، م . والطرق (بالفتح) : صوت أو نغمة بالعود ونحوه ، يقال : تضرب هذه الجارية كذا طرقا . وفى ب ، سـ ، حـ : « طرفين » بالفاء . وفى ى : « طريقين » ، وكلاهما تحريف .

(٣) عاتكة بنت شهدة : إحدى المغنيات المحسنات ، وأمها جارية الوليد بن يزيد وكانت مغنية أيضا . (انظر الكلام عليها فى الأغانى ج ٦ ص ٥٧ طبع بولاق) . (٤) فى الأصول هنا : « الحسين » ، وهو تحريف . (٥) فى حـ ، ى وهامش أ : « حدّثنا من شئت من جلساء المأمون » .

ماسبَق على ألسِنة الناس واشتهر به عندهم من الغناء لَوَلِّيتُه القضاء، فما أعرف مثلَه ثقةً وصدقًا وعفةً وفقهًا . هذا مع تحصيل المأمون وعقلِه ومعرفته .

سأل الفضل بن الربيع أن يوصى به سفيان بن عيينة فى رواية الحديث وتقدير سفيان له

أخبرنا يحيى بن على قال حدّثنا الفَضْل بن العبّاس الورّاق قال حدّثنا المُخَرِّمىّ (١) عن أبيه قال : سمعتُ إسحاق الموصلىّ يقول :

صِرتُ إلى سُفيان بن عُيَينة لأسمع منه، فتعذّر ذلك علىّ وصعُب مَرامُه، فرأيته عند الفضل بن الرَّبيع، فسألتُه أن يعرّفه موضعى من عنايته ومكانى من الأدب والطلب وأن يتقدّم إليه بحديثى ؛ ففعل وأوصاه بى فقال : إنّ أبا محمد من أهل العلم وحَمَلَتِه . قال : فقلت : تَفرِضُ لى عليه ما يحدّثنى به ؛ فسأله فى ذلك ، ففرَض لى خمسةَ عشرَ حديثًا فى كل مجلس؛ فصرت إليه فحدّثنى بما فرض لى ؛ فقلت له : أعزّك الله ، صحيح كما حدّثتَنى به ؟ قال : نعم، وعقَد بيده شيئًا ؛ قلت : أفأَرْويه عنك ؟ قال : نعم، وعقَد بيده شيئًا آخر، ثم قال : هذه خمسة وأربعون حديثًا، وضحك إلىّ وقال : قد سرّنى ما رأيتُ من تَقَصّيك فى الحديث وتشدُّدك فيه على نفسك، فصِرْ إلىّ متى شئتَ حتى أحدّثك بما شئتَ .

تقدير أبى معاوية الضرير له

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى الحسين بن يحيى أبو الجُمَان وعَوْن ابن محمد الكِنْدىّ قالا : سمعنا إسحاق الموصلىّ يقول :

جئتُ يومًا إلى أبى معاوية الضَّرير ومعى مائة حديث، فوجدتُ حاجبَه يومئذ رجلا ضريرا، فقال لى : إنّ أبا معاوية قد ولّانى اليوم حِجْبتَه لينفعنى؛ فقلت : معى مائةُ حديث وقد جعلتُ لك مائة درهم إذا قرأتُها؛ فدخل واستأذن لى فدخلت؛

(١) المخرّمىّ : نسبة الى المخرّم (بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء مع الكسر) : محلة ببغداد .

فلمّا عرفني أبو معاوية دعاه فقال له : أخطأتَ، وإنما جعلت لك مثلَ هذا من ضعفاء أصحاب الحديث فأمّا أبو محمد وأمثاله فلا؛ ثم أقبل عليّ يُرَغّبني في الإحسان إليه ويذكر ضعفَه وعنايتَـه به؛ فقلتُ له : آحتكِمْ في أمره، فقال : مائة دينار؛ فأمرتُ بإحضارها الغلامَ، وقرأتُ عليه ما أردت وآنصرفت . ٥٥ ــ ٥

كان يجري على ابن الأعرابي ثلثمائة دينار في كل سنة وإكبار ابن الأعرابي له

أخبرني محمد بن يحيي الصُّولي قال حدّثني عليّ بن محمد الأَسَديّ قال حدّثني أحمد بن يحيي الشَّيْباني ثَعْلَب قال :

وقف أبوعبد الله بن الأعرابيّ على المَدَائنيّ، فقال له : إلى أين يا أبا عبد الله؟ فقال : أمضي إلى رجل هو كما قال الشاعر :

تَحمِلُ أشـباحَنا إلى مَلِكٍ * نأخذُ من ماله ومن أدبهْ

فقال له : ومَنْ ذلك يا أبا عبـد الله؟ قال : أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصليّ . قال أبو بكر : والبيت لأبي تمّام الطائيّ .

وقد أخبرني بهذا الخبر عن ثَعْلَب محمد بن القاسم الأنباريّ فقال فيه :

كان إسحاقُ يُجْرِي على آبن الأعرابيّ في كلّ سنة ثلثمائة دينار، وأهدى له ابن الأعرابيّ شيئا من كتاب النوادر كتبه له بخطّه؛ فمرّ آبنُ الأعرابيّ يوما على باب دار الموصليّ ومعـه صديق له؛ فقال له صديقه : هذه دار صديقك أبي محمد إسحاق؛ فقال : هذه دارُ الذي نأخذ من ماله ومن أدبه .

رأى في المنام جريرا يلقي كبة شعر في فيه فأوّل ذلك بتوريثه الشعر

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمـد المُهَلّبيّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

رأيتُ في منامي كأنّ جريرا جالس يُنشد شعرَه وأنا أسمع منه، فلمّـا فرَغ أخذ بيده كُبّة شَـعر فألقاها في فمي فآبتلعتها؛ فأوّلَ ذلك بعضُ من ذكرتُه له أنّه ورّثني الشعرَ . قال يزيد بن محمد: وكذلك كان، لقد مات إسحاق وهو أشعر أهل زمانه .

تعلم الضرب بالعود من زلزل وأعطاه مالا كثيرا

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى ومحمد بن مَزْيد قالا[1] حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال: قال لى أبى :

أعطيتُ منصورًا زَلزلًا من مالى خاصّة حتى تعلمتُ ضَرْبه بالعود نحوًا من مائة ألف درهم سوى ما أخذتُه له من الخلفاء ومن أبى . قال : وكانت فى زلزل قبل أن يعرف الصوتَ ويفهَمَه بلادةٌ أوّلَ ما يسمعه، حتى لو ضَرَب هو وغلامه على صوت لم يعرفاه قبلُ لكان غلامه أقوى منه؛ فإذا تفهّمه جاء فيه من الضَّرْب بما لا يتعلّق به أحد البتّةَ .

ثناء أبى زياد الكلابى عليه حين أجاز بيتاله ارتجالا

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدثنى عمّى الفضل عن إسحاق، [وأخبرنى به الأخفَش عن الفضل عن إسحاق، وأخبرنى به يحيى بن علىّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق][2]، وأخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المُهلّبىّ عن إسحاق قال :

قال لى أبو زِياد الكِلابىّ : أَوْلم جارٌ لى يُكنى أبا سُفيان وليمةً ودعانى لها؛ فانتظرتُ رسوله حتى تصرّم يومى فلم يأت، فقلت لامرأتى :

إنّ[3] أبا سفيان ليس بمُولِمٍ * فقُومى فهاتى فِلْقةً من حُوارِكِ[4]

قال إسحاق : فقلت له : أليس غيرُ هذا؟ فقال : لا، إنما أرسلتُه يتيمًا؛ فقلت : أفلا أُجيزه؟ قال : شأنَك؛ فقلت له :

فبيتُك خيرٌ من بيوتٍ كثيرةٍ * وقِدْرُك خيرٌ من وَليمة جارِكِ

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « قال » وهو تحريف . (٢) هذه الزيادة ساقطة من ب ، سـ . (٣) فى ب ، سـ : « وإن » . وظاهر من سياق الكلام أن البيت لم يتقدّمه شعر . (٤) كذا فيما سيأتى فى الأصول . والفلقة : القطعة . والحوار (بالضم وقد يكسر) : ولد الناقة من حين يوضع الى أن يفطم و يفصل . وفى الأصول هنا : «قفرة من حوارك» ، وهو تحريف .

قال : فضحك ثم قال : أحسنتَ بأبى أنت وأمى، جئتَ واللهِ به قَبَلًا[(١)] ما انتظرتَ به القَرَبَ، وما ألُوم الخليفةَ أن يجعلك فى سُمّاره ويتملّح بك، وإنك لمن طِراز ما رأيتُ بالعراق مثلَه، ولو كان الشباب يُشترَى لا بتعتُه لك بإحدى عينىَ ويُمنى يدىَ، وعلى أن فيك بحمد الله ومنّه بقيّةً تسرّ الوَدود، وتُرغِم الحسود . هذا لفظ يزيد المُهلّبىّ والأخفش . وأخبرنى بهذا الخبر محمد بن عبد الله بن عَمّار فقال حدّثنى عمر ابن شَبّة قال حدّثنى إسحاق قال قال لى إمّا شَدّاد بن عُقْبة وإما أبو مُجيب[(٢)] : ٥٦/٥

قالت امرأةُ القتّال الكلابىّ له : هل لكَ فى فِلْقة من حُوار نطبُخها لك ؟ فقال : لاوالله، نحن على ويمة أبى سُفْيان ودَعْوته، وكان أبو سفيان رجلًا من الحىّ زُفّت إليه امرأتُه تلك الليلةَ، فجعل يَنظر دُخانًا فلا يراه، فقال :

إنّ أبا سفيان ليس بمُولِم * فقومى فهاتى فِلقةً من حُوارِكِ

ثم ذكر باقى الخبر على ما تقدّم من الذى قبله .

أنشد أعرابيا شعرا له فدحه

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى قال حدّثنى إسحاق قال :

أنشدتُ أعرابيًّا فَهِمًا شِعرا لى، فقال : أقفَرتَ والله يا أبا محمد ؛ قلتُ : وما أقفرت؟ قال : رعيتَ قَفْرة لم تُرْعَ قبلك . (يريد : أبْدَعْتَ) .

---

(١) القبل (بالتحريك) : الارتجال أى التكلم بكلام لم يكن قد أعدّه ، يقال : تكلم قبلا فأجاد ، واقتبل الكلام والخطبة اقتبالا اذا ارتجلهما ولم يكن أعدّهما . والقبل أيضا : أن يورد الرجل إبله فيستق على أفواهها ولم يكن هيأ لها قبل ذلك شيئا . والقرب (بالتحريك) : أن يكون بين القوم وبين الماء ليلة أو عشية فيعجلون بإبلهم ويسوقونها اليه سوقا شديدا . يريد أنه جاء به ارتجالا وعفو الخاطر من غير أن يتريث به ويكد سعيا فى طلبه . (٢) كذا فى حـ وكذلك صححه المرحوم الشنقيطى فى نسخته ، وهو أبو مجيب الربعى ، كما سيأتى ذكره بعد قليل فى أخبار إسحاق . وقد جاء مضطربا فى سائر الأصول هنا .

دخل على المأمون وعقيد يغنيه فبين خطأ في الغناء لم يتبينه أحد ممن حضر

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش وعمّي قالا حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حدّثني بعض أصحاب السلطان بمدينة السلام قال سمعتُ إسحاق الموصليّ يقول : دخلتُ على المأمون يوماً وعَقيدٌ يغنّيه آرتجالا وغيرُه يضرب عليه ؛ فقال : يا إسحاق ، كيف تَسمع مغنّينا هذا ؟ فقلتُ : هل سأل أمير المؤمنين عن هذا غيري؟ قال : نعم، سألت عمّي إبراهيمَ فوصفه وقرّظه وآستحسنه ؛ فقلتُ له : يا أمير المؤمنين — أدام الله سرورك ، وأطاب عيشك — إنّ الناس قد أكثروا في أمري حتى نَسَبتْني فرقة إلى التَّزَيُّد في علمي؛ فقال لي : فلا يمنعك ذلك من قول الحق إذا لَزِمك ؛ فقلت لعَقيد : أُردُد هذا الصوت الذي غنّيتَه آنفا، وتحفّظ فيه وضَرب ضاربُه عليه ؛ فقلت لإبراهيم بن المهديّ : كيف رأيتَه ؟ فقال : ما رأيتُ شيئا يُكره ولا سمعتُه ؛ فأقبلتُ على عَقيد فقلت له حين آستوفاه : في أيّ طريقة هذا الصوتُ الذي غنّيتَه؟ قال: في الرَّمَل؛ فقلت للضارب: في أي طريقة ضربتَ أنت ؟ قال : في الهَزَج الثقيل؛ فقلت : يا أمير المؤمنين، ما عسيتُ أن أقول في صوت يغنّي مغنّيه رَمَلا و يضرب ضاربُه هَزَجا، وليس هو صحيحا في إيقاعه الذي ضرب عليه ! . قال : وتفهّمه إبراهيمُ بن المهديّ بعدي ، فقال : صدَق يا أمير المؤمنين، الأمرُ فيه الآن بيِّن؛ فغاظني، فقلت له : بأيّ شيء بانَ الآن ما لم يكن بيِّناً قبلُ ؟ أتُوهِم أنك استنبطتَ معرفة هذا ! وإنما قلتَه لمّا علمتَه من جهتي كما يقوله الغلمان العُجم وسائرُ من حضر اتّباعا لي واقتداءً بقولي . فقال له المأمون : صدَق، فأمسك؛ وجعل يتعجّب من ذهاب ذلك على كل من حضر، وكنّاني في ذلك اليوم مرّتين .

إعجاب الأصمعي ببيتين له في الفخر

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني أبو عبد الله أحمد بن حَمْدون قال حدّثني أبي :

أنّ الأصمعىّ أنشد قول إسحاق يذكر ولاءه لخُزَيْمَةَ بنِ خازم (١) :

إذا كانتِ الأحرارُ أصلى ومَنْصِبى * ودافِـعَ ضَيْمى خازمٌ وابنُ خازمِ

عَطَستُ بأنفٍ شامخ وتنــاولتْ * يداىَ الثريّا قاعـدًا غـيرَ قائم

قال : فجعل الأصمعىّ يَعْجَب منهما و يستحسنهما ، وكان بعـد ذلك يذكرهما و يُفضّلهما .

سبب ولائه لخازم ابن خزيمة

قال ابن حَمْـدون : وكان السبب فى تولّى إسحاق خازمَ بنَ خُزَيمـة بن خازم ، أنّ مناظرةً جرت بينه و بين ابن جامع بحضرة الرشيد فتغالطا (٢) ، فقال له ابن جامع : يا من إذا قلتُ له يا بنَ زانية لم أخَفْ أن يكذّبنى أحد ، فمضى إلى خازم بنِ خزيمة ، فتولّاه وانتمى إليه ، فقبِل ذلك منه ، وقال هذين البيتين .

امتحنه المعتصم فى صوت فأجاب بأنه محدث لامرأة وكان لعريب

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى قال : قال إسحاق : كانت عندى صَنّاجة (٣) كنت بها مُعْجَبا ، واشتهاها أبو إسحـاق المعتصم فى خلافة المأمون ، فبينا أنا ذاتَ يوم فى منزلى إذا ببابى يُدَقّ دقّا شديدا ، فقلت : انظروا من هذا ، قالوا : رسول أمير المؤمنين ، فقلت : ذهبتْ صَنّاجتى ، تجده ذَكَرها له ذاكر فبعث إلىّ فيها ، فلمّا مَضَى بى الرسول انتهيتُ إلى الباب وأنا مُثْخَن (٤) ، فدخلتُ فسلّمت ، فردّ السلام ، ونظر إلى تغيّر وجهى فقال : اسكُن فسكنتُ ، وسألنى عن صـوت وقال : أتدرى لمن هو ؟ فقلت : أسْمَعُه ثم أُخْبِر أميرَ المؤمنين إن شـاء الله بذلك ، فأمر

٥٧/٥

(١) هو خزيمة بن خازم بن خزيمة ، كان هو وأبوه من أشراف الدولة العباسية ، وقد ولى أبوه خراسان وعمان لأبى جعفر المنصور ، وكان هو من قوّاد الرشيد المبرزين الذين قاموا له بجلائل الأعمال (انظر كتاب المعارف لابن قتيبة ص ٢١٣ وتاريخ الطبرى قسم ٣ ص ٦٠٢ و ٦٤٨ و ٦٨٣ الخ) .

(٢) كذا فى ب . وتغالطا : تعاديا وتشاتما ، والمغالطة : شبه المعارضة ، يقال : مالك تغالطنى وتغالظنى ، وتعارضنى وتغايظنى . وفى سائر الأصول : « تغالطا » بالطاء المهملة ، والمغالطة : الإيقاع فى الغلط .

(٣) الصناجة : الضاربة بالصنج . والصنج (لفظ دخيل) : صفيحة مدورة تتخذ من صفر يضرب بها على أخرى مثلها للطرب .

(٤) مثخن : مهموم محزون ، يقال : أثخنه الهم إذا غلبه .

جاريةً من وراء الستارة فغنّته وضربتْ، فإذا هي قد شبّهتْه بالقديم؛ فقلت: زِدْني معها عُودا آخر فإنه أثبتُ لى، فزادنى عودا آخر؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا الصوت مُحْدَث لامرأة ضاربة؛ فقال: من أين قلت ذلك؟ فقلت: لمّا سمعته وسمعت لِينَه عرفتُ أنه من صَنْعة النساء، ولمّا رأيت جودة مَقَاطعه علمت أن صاحبته ضاربة؛ فقال: من أين قلت ذلك؟ فقلت: لأنها قد حَفِظتْ مقاطعه وأجزاءه، ثم طلبتُ عودا آخر ليكون أثبتَ لى فلم أشكُكْ؛ فقال: صدقتَ، الغناء لعَرِيب.

امتحن بادخال لحن رومى فى شعر عربى وغنى فى درج أصوات، فلما سمعه عرفه واستخرجه

نسخت من كتاب ابن أبى سعيد (١): حدّثنى إسحاق بن إبراهيم الطّاهرىّ (٢) قال: حدّثتْنى مُخارِقُ مولاتُنا قالت:

كان لمولاى الذى علّمنى الغناءَ قرّاش رُومىّ، وكان يغنّى بالروميّة صوتا مليحَ اللحن؛ فقال لى مولاى: يا مخارق، خذى هذا اللحنَ الرومىّ فانقُليه إلى شعر من أصواتك العربيّة حتى أمتحن به إسحاق الموصلىّ فأعلمَ أين يقع من معرفته، ففعلتُ ذلك؛ وصار إليه إسحاق فاحتبسه مولاى، فأقام وبعث إلىّ أن أدخِل اللحنَ الرومىّ فى وسط غنائك؛ فغنّيته إياه فى دَرْج أصوات مرّتْ قبله، فأصغى إليه إسحاق، وجعل يتفهّمه ويُقَسّمه ويتفقّد أوزانَه ومقاطعَه ويُوقِع عليه بيده، ثم أقبل على مولاى فقال: هذا صوت رومىّ اللحن، فمن أين وقع إليك؟

(١) هو أبو عبيد الله بن أبى سعيد الوراق، وكان أخباريا نسابة راوية للشعر. وفى ب، س: «ابن أبى سعد»، وهو تحريف.

(٢) كذا فى حـ (بالطاء المهملة)، وقد صححه كذلك الأستاذ الشنقيطى فى نسخته. وهو إسحاق بن إبراهيم بن مصعب حاكم بغداد فى أيام المأمون والمعتصم والواثق، وهو من قرابة طاهر بن الحسين، وإليه ينسب. وفى باقى الأصول هنا: «الظاهرى» بالظاء المعجمة، وهو تصحيف. على أنه سيأتى فى الأصول جميعا أكثر من مرة "الطاهرى" بالمهملة كما فى حـ هنا.

فكان مولاى بعـد ذلك يقول : ما رأيتُ شيئًا أحسن من استخراجِه لحنـا روميًّا لا يعرفه ولا العِـلّة فيه ، وقد نُقِـل الى غنـاء عربىّ وامتزجتْ نَغَمُه حتى عرَفه ولم يَخْفَ عليه .

فضـل فى مجلس الواثق زلزلا على ملاحـظ فتحدّاه ملاحظ فأظهر هو براعة فائقة

أخبرنى عمّى[1] قال حدّثنى محمـد بن موسى قال حدّثنى عبـد الله بن عمرو عن محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثنى عَلّويه الأعسر، ووجدت هذا الخبر فى بعض الكتب عن علىّ بن محمد بن نصر الشامىّ عن جدّه حَمْدون بن إسماعيل قال :

تناظر المغنّـون يومًا عند الواثق ، فذكروا الضُّرّاب وحِذْقهم ، فقـدّم إسحاقُ زَلْزَلًا على مُلَاحِظ ، ولملاحِظ فى ذلك الرياسة على جميعهم؛ فقال له الواثق : هذا حَيْف وتَعَدٍّ منك؛ فقال إسحاق : يا أمير المؤمنـين ، اِجمع بينهما وامتحنْهما، فإن الأمر سينكشف لك فيهما ؛ فأمر بهما فأُحضرا؛ فقال له إسحـاق : إن للضُّرّاب أصواتا معروفة ، أفأمتحنهما بشىء منها ؟ قال: أجلْ ، اِفعلْ؛ فسمّى ثلاثة أصوات كان أوّلهـا :

* عُلِّق قلبى ظبيةَ السِّيبِ[2] *

فضربا عليه ، فتقـدّم زَلْزَل وقصّر عنه ملاحظ؛ فعجِب الواثق من كَشْفه عما ادّعاه فى مجلس واحد . فقـال له ملاحظ : فـا بالُه يا أمير المؤمنين يُحيـلك على الناس! ولم لا يضرب هو! فقال: ياأمير المؤمنين، إنه لم يكن أحد فى زمانى أضربَ منى إلا أنكم أعفيتمونى ، فتَفَلَّتَ منّى ؛ وعلى أن معى بقيـةً لا يتعلّق بها أحد من

(١) تكرر هـذا السند أكثر من مرة فى أخبار إسحاق ، وفيه عبدالله بن أبى سعد بدل عبد الله بن عمرو

(٢) السِّيب (بكسر أوله وسكون ثانيه) : كورة من سواد الكوفة ، وهو أيضا نهر بالبصرة فيه قرية كبيرة ، وموضع بخوارزم . (مختصر من معجم البلدان لياقوت) .

هــذه الطبقة ؛ ثم قال : يا مُلَاحِظ ، شَوِّش عودَك وهاته ، ففعل ذلك ملاحظ ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، هــذا يخلّط الأوتار تخليط متعنِّت فهو لا يألو ما أفسدها ، ثم أخذ العــودَ بجَسّــه ساعةً حتى عرف مواقعــه ، (١) ثم قال : يا مُلَاحِظ ، غنّ أىّ صوت شئتَ ، فغنّى ملاحظ صوتا ، وضرب عليه إسحاقُ بذلك العود الفاسد التسوية فلم يُخرجه عن لحنه فى موضع واحد حتى اســتوفاه عن نَقْرة واحدة ، و يَدُه تصعَد وتحــدر على الدَّسَاتين (٢) ؛ فقال له الواثق : لا والله ما رأيتُ مثــلك ولا سمعت به ! اِطرَحْ هــذا على الجوارى ؛ فقال : هيهات يا أمير المؤمنين ، هذا لا تعرفه الجوارى ولا يصلُح لهنّ ، إنمـا بلغنى أن الفهليذ ضرب يوماً بين يدى كِسْرَى فأحسن ، فحسده رجل من حُذّاق أهل صنعته ، فترقّبه حتّى قام لبعض شأنه ، ثم خالفه إلى عوده فشــوّش بعضَ أوتاره ، فرجع فضرب وهو لا يدرى ، والملوك لا تُصْــلَح فى مجالسها العيدانُ ، فلم يزل يضرب بذلك العود الفاســد إلى أن فرغ ، ثم قام على رجله فأخبر الملك بالقصّة ، فامتحن العود فعرف ما فيه ، ثم قال : «زِهْ وزِهْ وزهَانْ زِهْ» (٣) ، ووصَله بالصِّلة التى كان يصل بها مَن خاطبه هــذه المخاطبة ؛ فلمّا تواطأت الروايةُ بهذا أخذتُ نفسى ورُضْتُها عليه وقلت : لا ينبغى أن يكون الفهليذ أقوى على هذا منّى ، فما زلتُ أستنبطه بضعَ عشرةَ سنةً حتى لم يبقَ فى الأرض موضع على طبقة من الطبقات إلا وأنا أعرف نغمته كيف هى ، والمواضعَ التى يخرج النغم كلها

٥٨/٥

(١) كذا فى مختار الأغانى لابن منظور . وفى الأصول : «حتى عرف مواقعه فغنى ، ثم قال ... الخ» بزيادة كلمة «فغنى» ، وظاهر أنها مقحمة . (٢) كذا فى حـ . والدساتين ، والدستانات : ما عليه أطراف أوتار العود من مقدمه ، وهى كلمة فارسية ، وتسمى العرب ذلك : العتب (بالتحريك) . وفى سائر الأصول : «الرساتين» بالراء ، وهو تحريف . (٣) كلمة فارسـية ومعناها : أحسنت أحسنت .

منه فيها، من أعاليها الى أسافلها، وكلّ شيء منها يجانس شيئا غيره، كما أعرف ذلك فى مواضع الدَّساتين؛ وهذا شيء لا تَفِى (١) به الجوارى. قال له الواثق : صدقتَ، ولئن متَّ لتموتنّ هذه الصناعة معك؛ وأمر له بثلاثين ألف درهم .

نسبة هذا الصوت

صــــوت

عُلِّقَ قلبي ظبيــةَ السِّيبِ * جهلًا فقد أُغرِى بتعذيبِي
نَمَّتْ عليها حين مرّتْ بنـا * مَجاسِـدٌ (٢) يَنفَحْنَ بالطِّيب
تَصُـدّها عنّـا عَجُوزٌ لهـا (٣) * مُنْكَرةٌ (٤) ذاتُ أعاجيب
فكلّمـا هَمْتُ (٥) بإتيانهـا * قالت : توقَّ عَدْوةَ الذِّيب

الشعر والغناء لإبراهيم، هَزَجٌ ثقيلٌ بالسبّابة فى مجرى البِنصر .

أخذت عنه جاريته دمن صوتا على غرة منه لبخله بالغناء

حدّثنى علىّ بن هارون قال حدّثنى محمد بن موسى اليَزيدىّ قال حدّثتنى دِمْن جاريةُ إسحاق الموصلىّ، وكانت من كبار جواريه وأَحظَى مَنْ عنده، ولقيتُها فقلت لهـا : أىّ شيء أخذتِ عن مولاك من الغنـاء ؟ فقالت : لا والله ما أخذت أنا عنه ولا واحدةٌ من جواريه صوتًا قطُّ! كان أبخلَ بذلك، وما أخذتُ منه قطُّ إلّا صوتا واحدا، وذلك أنه انصرف من دار الخليفة وهو مُثْخَنٌ سـكرا (٦)، فدخل

(١) كذا فى حـ ومختار الأغانى، إلا أنه رسم فى حـ : «لاتفى.» بالهمز، ولعله تحريف من الناسخ. ولاتفى : لاتأتى به وافيا، أى إن الجوارى يقصرن عنه ولايستطعن أداءه. وفى سائر الأصول : «لاتغنى».

(٢) المجاسد : القمصان، واحدها مجسد (بضم الميم من أجسده بالهمز، أوجسده بالتضعيف) وهو ما صبغ بالجسد أى الزعفران. (٣) كذا فى ب، سـ . وفى سائر الأصول : «لنا». (٤) منكرة : مبغضة مكروهة. (٥) همت : أصله «هممت» حذفت إحدى الميمين تخفيفا. وشرط جواز هذا الحذف فى الماضى أن تكون عينه مكسورة نحو ظل تقول فيه : «ظللت» على الاتمام و«ظلت» (بفتح أوّله أو بكسره بنقل حركة عين الفعل الى الفاء) على الحذف. ولكن ابن الانبارى حكى «همت» فى هممت مع أنه مفتوح العين. وهم بالشىء : نواه وأراده. (٦) كذا فى أكثر الأصول. وفى ب، سـ : «وهو مثخن سكران».

إلى بيت كان ينام فيه، فرأى عودًا معلّقا فأخذه بيده، وقال لخادمه: يا غلام، صِحْ لى بدِمْن، فجاءنى الغلام فخرجتُ، فلما بلغتُ البابَ إذا هو مُسْتَلْقٍ على فراشه والعودُ فى يده وهو يصنع هـذا الصوت ويردّده، وقد اخْتَنْفَر[1] فى نَغَمِه وتنوّق[2] فيها حتى استقام له، وهو:

٥٩
٥

صـــوت

ألَا ليــلُكِ لا يَذهَبْ * ونيطَ الطَّرْفُ بالكوكبْ

وهــذا الصّبح لا يأتى * ولا يــدنو ولا يَقــرُبْ

فلمّا سمعتُه علمتُ أنّى [إنْ][3] دخلتُ اليه أَمْسك، فوقفتُ أستمعه حتى فرغ منه وأخذته عنه، فلما فرغ منه وضع العود من يده، وذكر أنه قد طلبنى فقال: يا غلام، أين دِمْن؟ فقلت: هأنَذى، فقال: مذ كم أنتِ واقفة؟ فقلت: منـذ ابتدأتَ بالصوت وقد أخذته، فنظر إلىّ نَظَرَ مُغْضَب أسِف، ثم قال: غنّيه، فغنّيته حتى استوفيتُه، فقال لى وقد فتَر وخجِل: قد بقِيتْ عليكِ فيـه بقيّة أنا أُصلحها لك، فقلت: لست أحتاج إلى إصلاحكَ إياه، وقد والله أخذتُه على رَغْمِك، فضحك.

لحنُ هذا الصوت من المَزَج بالبنصر، والشعر والغناء لإسحاق.

غـنّى ابراهيم بن المهـدىّ عنـد المعتصم صوتا لابن جامع فأظهـر هو خطأً فيـه ثم هزأ بإبراهيم

أخبرنا يحيى بن علىّ قال قال لى إسحاق:

كنتُ عند المعتصم وعنـده إبراهيم بن المهدىّ، فغنّى إبراهيمُ صوتا لابن جامع أخَلّ ببعضه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، ترك ابنُ جامع النـاسَ يجهَلون خلقَه ولا يلحَقونه. وفى هـذا الصوت خاصّـة؛ فقلت: والله يا أمير المؤمنين، ما صدَق،

---

(١) كذا صححه الأستاذ الشنقيطى فى نسخته. واختنفر فى الشىء: مضى فيه ولم يتمكث. وفى الأصول: «استخفر». (٢) تنوّق فى الشىء: جوّده وتأنّق فيه. (٣) التكلة عن أ، حـ، م.

وماهذا الصوت بتامّ الأجزاء؛ فقال : كَذَب والله ياأمير المؤمنين؛ فقلت : ياسيِّدى، أنا أُوقِفه على نُقصانه، فَمُرْه فليُعِدْ يا أمير المؤمنين؛ فأعاد البيت الأوّل فأقامه وطمِع فى الإصابة؛ فقلت : آنته فى البيت الثانى، فليردُدْه؛ فردّه فنقَص من أجزائه وقِسمته، فعرّفتُـه فأقرّ به؛ فقلت : يا أمير المؤمنين، هذه صناعتى وصناعة آبائى وإبراهيم يكلّمنى فيها، وأنا أسأله عن ثلاثين مسألة من باب واحد فى طريق الغناء لا يعرف منها مسألةً واحدة؛ فقال : أَوَ يُعْفينى أمير المؤمنين من كلامه؟ فأعفاه .

وقد أخبرنى بهذا الخبر الحسنُ بن علىّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبى عن إسحاق؛ فذكر نحوًا مما ذكره يحيى، وذكر أنّ القصة كانت بين يدى المعتصم؛ وزاد فيها فقال:

أنا أسأله عن ثلاثين مسألة وأُوقِفـه على خطئه فيها ، فإن لم يُقِرّ بذلك أقرّ به مُخارِقٌ وعَلّويه؛ فقال: أَوَ يُعْفينى أميرُ المؤمنين من كلامه! فإنه يَعْدِل عندى البُخْتُجَ(١)؛ قلت: يا أميرَ المؤمنين، وما يفعل البُخْتُج؟ قال : يُسْلِح(٢)؛ قلت : قد والله فعل ذلك كلامى به، ومنه هرب؛ فضحك وغطّى فاه وقام؛ فظنّ إسحاقُ بن إبراهيم المُصعَبىّ أنّى قد أغضبته، فضرب بيده إلى السيف؛ فقلت له : لا تحسَبْ أنّى أغضبتُه؛ فما كنت لأُكلّم عمّه بين يديه بهُزْء(٣) من غير إذنه ، فأمسك؛ وكان لا يُقْدِم أحد أن يكلّم الخليفةَ بحضرته بما فيه الوَهْن إلا بادر إلى سيفه تعظيما للأمير(٤) وإجلالًا له .

عرف فى مجلس المأمون خطأ فى وتر بين ثمانين وترا وعشرين جارية يغنين

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم الهاشمىّ عن إسحاق، وأخبرنى الحسين بن يحيى قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

---

(١) البختج (كقنفذ كما جاء فى شرح القاموس) : العصير المطبوخ. (٢) فى جميع الأصول : « قال» وهو لا يتفق مع السياق . (٣) فى حـ : « بهرا » بالراء، والبهر : القذف والبهتان . وفى ا ، ء ، م : « بهـذا » . (٤) فى حـ ، ء : « للأمر» .

دعانى المأمون وعنده إبراهيم بن المهدىّ، وفى مجلسه عشرون جارية قد أجْلس عَشْرًا عن يمينه وعشرا عن يساره ومعهنّ العيدانُ يضرِبنَ بها؛ فلمّا دخلتُ سمعتُ من الناحية اليسرى خطأ فأنكرتُه؛ فقال المأمون : يا إسحاق، أتسمع خطأ ؟ فقلت: نعم والله يا أمير المؤمنين؛ فقال لإبراهيم : هل تسمع خطأ؟ فقال : لا ؛ فأعاد علىّ السؤال، فقلت : بلى والله يا أمير المؤمنين، وإنه لفى الجانب الأيسر؛ فأعاد إبراهيم ٦٠/٥ سَمْعَه إلى الناحيــة اليسرى ثم قال : لا والله يا أمير المؤمنين، ما فى هذه الناحية خطأ؛ فقلت يا أمير المؤمنــين : مُرِ الجوارىَ اللواتى على اليمين يُمْسِكْنَ ، فأمرهنّ فأمسكْنَ؛ فقلت لإبراهيم : هل تَســمع خطأ ؟ فتسمّع ثم قال : ما هاهنـا خطأ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين، يُمْسِكْنَ وتضرب الثامنةُ. فأمسكْنَ وضربتِ الثامنة، فعرف إبراهيمُ الخطأ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين، هاهنا خطأ؛ فقال عند ذلك لإبراهيم : يا إبراهيم، لا تُمَارِ إسحاق بعدها؛ فإن رجلا فَهِم الخطأ بين ثمانين وترا وعشرين حَلْقا لجديرٌ ألّا تماريَه؛ فقال: صدقتَ يا أمير المؤمنين . وقال الحسين بن يحيى فى خبره: وكان فى الأوتار كلِّها مَثْنًى فاسدُ التسوية . وقال فيه: فطرِب أمير المؤمنين المأمون، وقال : لله درُّك يا أبا محمد؛ فكّانى يومئذ .

ثناء الواثق عليه

أخبرنى أحمد بن جعفر جَحْظَة قال حدّثنى أحمد بن حَمْدُون قال :

سمعتُ الواثق يقول : ماغنّانى إسحاق قط إلا ظننتُ أنه قد زِيد لى فى مُلْكى، ولا سمعته يغنّى غناءَ ابن سُرَيج إلا ظننت أنّ ابن سريج قد نُشِر، وإنه ليحضُرنى غيرُه إذا لم يكن حاضرا، فيتقدّمه عنــدى وفى نفسى بطيب(١) الصوت ، حتى إذا اجتمعا عنــدى رأيت إسحاق يعلو ورأيت من ظننتُه يتقدّمه ينقص ؛ و إنّ إسحـاق لنعمةٌ

(١) فى ب، سـ : « يطيب الصوت » بالياء المثناة التحتية، وهو تصحيف .

من نعم الملك التى لم يُحظ(١) بمثلها ؛ ولو أنّ العمر والشباب والنشاط مما يُشترى لاشتريتهنّ له بشطر ملكى .

سأل المأمون أن يكون دخوله اليه مع العلماء ثم مع الفقهاء

أخبرنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى علىّ بن يحيى المنجّم قال :

سأل إسحاقُ الموصلىّ المأمونَ أن يكون دخوله إليه مع أهل العلم والأدب والرّواة لا مع المغنّين، فإذا أراده للغناء غنّاه؛ فأجابه إلى ذلك؛ ثم سأله بعد حين أن يأذن له فى الدخول مع الفقهاء؛ فأذن له . قال : فحدّثنى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر أنه كان هو ومُخارِق وعَلّويه جلوسًا فى حجرة لهم ينتظرون جلوسَ المأمون وخروجَ الناس من عنده، إذ دخل يحيى بن أكثم وعليه سَوادُه وطَويلتُه(٢)، ويدُه فى يد إسحاق يماشيه، حتى جلس معه بين يدى المأمون ، فكاد عَلّويه أن يُجنّ، وقال : يا قوم، أسمعتم بأعجب من هذا ! يدخل قاضى القضاة ويدُه فى يد مغنّ حتى يجلسا بين يدى الخليفة! . ثم مضت على ذلك مدّة ، فسأل إسحاق المأمونَ أن يأذن له فى لُبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه فى المقصورة ؛ قال : فضحك المأمون وقال : ولا كلّ ذا يا إسحاق! وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة ألف درهم؛ وأمر له بها .

ما كان يمتاز به فى مجلس الواثق

حدّثنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى أبو عبدالله بن حَمْدون قال :

كان المغنّون جميعا يحضُرون مجلسَ الواثق وعيدانُهم معهم إلا إسحاقَ، فإنه كان يحضُر بلا عود للشرب والمجالسة ؛ فإن أمره الخليفة أن يغنّى أحضر له عودًا، فإذا غنّى وفرَغ سُلّ من بين يديه إلى أن يطلبه . وكان الواثق كثيرا ما يكنّيه، رَفْعًا له

---

(١) فى ب ، سـ : « لم يحظ أحد بمثلها » . (٢) السواد : شعار بنى العباس كان يرتديه أشياعهم . والطويلة : قلنسوة عالية مدعمة بعيدان كان يلبسها القضاة . (انظر الحاشيتين رقم ٢ ، ٣ من الجزء الأوّل من هذا الكتاب ص ٤١٤ من هذه الطبعة) . وفى ب ، حـ ، سـ : « سوادة وطويلة » . وفى أ ، ء ، م : « سوادة وطويلة » ، وكلاهما تحريف .

من أن يدعوه بآسمه ، وكان إذا غنّى وفرغ الواثق من شرب قدحه قطع الغناءَ ولم يُعِد منه حرفا إلا أن يكون فى بعض بيت فيُتمّه ، ثم يقطع ويضع العود من يده .

علىّ بن يحيى يحدث عن تفوقه فى فنه

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى عن أبيه فى خبر ذَكَر إسحاق(١) فيه ، فقال : وعارض مَعْبدًا وابن سُرَيج فآنتصف منهما ، وكان إبراهيم بن المهدىّ يناظره ويجادله فى الغناء وينازعه فى صناعته ، ولم يَبلُغه ، وما رأيت بعد إسحاق مثلَه .

٦١ / ٥

عابه إبراهيم بن المهدى بترك التحريك فى الغناء فبعث هو إليه بكلام غاظه

أخبرنى عمّى قال حدّثنى عبدالله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك قال قال لى محمد بن راشد الخنّاق(٢) :

سمعتُ عَلّويه يقول لإسحاق بن إبراهيم الموصلىّ : إن إبراهيم بن المهدىّ يَعيبك بتركك تحريكَ الغناء ؛ فقال له إسحاق : ليتنا نَفِى بما علمناه ، فإنا لا نحتاج إلى الزيادة فيه . [ثم](٣) قال له : فإنه يزعم أن حلاوة الغناء تحريكه ، وتحريكُه عنده أن يكون كثيرَ النَّغَم ، وليس يفعل ذلك ، إنما يُسقط بعضَ عمله لعجزه عنه ، فإذا فعل ذلك فهو بالإضافة إلى حاله الأولى بمنزلة الأسْكُدار(٤) للكتّاب ، وهو حينئذ بأن يُسَمَّى المحذوفَ أشبهُ منه بأن يسمّى المحرَّكَ ؛ فضحك عَلّويه ثم قال : فإن إبراهيم يسمّى غناءكم هذا المسك المدادِىّ ؛ قال إسحاق : هذا من لغات الحاكة ؛ لأنهم يسمّون الثوب الحاقَ(٥) الكثير العرض والطول المدادىّ ؛ وعلى هذا القياس ينبغى لنا أن نسمّى غناءه المحرّك الضِّرابىّ ، وهو الخفيف السخيف(٦) من الثياب فى لغة الحاكة ، حتى نُدخل الغناءَ

(١) فى الأصول : « فى خبر ذكره إسحاق فيه » . (٢) كذا فى ب ، حـ هنا وفيما سيأتى فى أكثر الأصول ، وفى سائر الأصول هنا : « الخفاف » . (٣) زيادة يقتضيها السياق .
(٤) الأسكدار : كلمة فارسية معناها حامل البريد . (٥) الحاق من الثياب : الثليظ .
(٦) السخيف من الثياب : القليل الغزل .

فى جملة الجيـاكة ونخرجه عن جملة الملاهى؛ ثم قال لعلّويه : بحيـاتى عليك إلّا ما أعدتَ عليـه ما جرى؛ فقال له : لا وحياتك لا فعلتُ؛ فإنه يعلم مَيْلى إليكم، ولكن عليك بأبى جعفر محمد بن راشد الخنّاق؛ فكلمه إسحاق وأقسم عليه أن يؤدّيه(١)، ففعل وسار إلى إبراهيم فأخبره، فجعل كلّما أخبره شيئا تغيّظ وشتم إسحاقَ بأقبح شتم؛ ثم جاءه ابن راشـد فأخبره؛ فجعل(٢) كلّما أخبره بشىء من ذلك ضحك وصفّق سرورا لغيظ إبراهيم من قوله .

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبىّ قال حدّثنى على بن محمـد النّوفلىّ قال أخبرنى محمد بن راشد الخنّاق قال :

إنى لفى منزلى يومًا مع الظهر إذ دخل علىّ إسحاقُ بن إبراهيم الموصلىّ، فسُررتُ بمكانه؛ فقـال : قد جاءت بى إليك حاجة؛ قال قلت : قل ما شاء الله؛ قال : دَعْنى فى بيتك، ودَعْ غلامَيْك عندى : بُدَيحًا وسليمانَ — وكانا خادمين مغنّيين — ومُرْهما أن يغنّيانى، وأْتنى بفلان ليغنّينى أيضا، بحياتى عليك، وانطلقْ إلى إبراهيم ابن المهدىّ، فانه سيُسَرّ بمكانك، فاشرب معه أقداحا، ثم قل [له](٣) : يا سيّدى، أسألك عن شىء، فإذا قال : سَلْ، فقل له : أخبرنى عن قولك :

* ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتْ منّى *

أىّ شىء كان معنى صنعتك فيه ؟ وأنت تعلم أنه لا يجوز فى غنائك الذى صنعتَه فيه إلا أن تقول : "ذهبتو" بالواو، فإن قلتَ : «ذهبتُ» ولم تمُدَّها انقطع اللحن والشعر، وان مددتَها قبُح الكلام وصار على كلام النَّبَط؛ فقلت له : يا أبا محمد، كيف أخاطب

---

(١) كذا فى الأصول . ولعل صوابه : « يؤديه » أى يبلغه . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فجعل كلما جاءه وأخبره ... الخ» وظاهر أن كلمة «جاءه» هنا مقحمة .

(٣) الزيادة عن حـ .

إبراهيم بهـذا ؟ فقال : هو حاجتى إليـك وقد كلّفتـك إياها، فإن آستحسنتَ أن تردّنى فأنت أعلم، قال : أفعل ذلك لموضعك على ما فيـه علىّ. ثم أتيتُ إبراهيم ، وجلست عنده مَليًّا، وتجارينْا(١) الحديثَ إلى أن خرجْنا إلى ذكر الغناء، فخاطبته بما قال لى إسحاق ، فتغيّر لونه وآنكسر، ثم قال : يا محمد ، ليس هـذا من كلامك ، هـذا من كلام الجُرْمُقَانِىّ(٢) ابن الزانية، قل له عنّى : أنتم تصنعون هذا للصناعة، ونحن نصـنعه للّهو واللعب والعَبث . قال : فخرجتُ إلى إسحـاق فحدّثتـه بذلك فقال : الجُرْمُقَانِىّ والله منا أشبهُنا بالجَرامِقة لغةً وهو الذى يقول: «ذهبتو» ؛ وأقام ٦٢/٥ عندى يومَه فرِحًا بما بلّغته إبراهيمَ عنه من توقيفه على خطئه .

كان محمد بن راشد صديقا له فنقل عنه حديثا لابن المهدى فقسد ما بينهما وشعره فى ذلك

قال علىّ بن محمد قال لى أبى :

كان محمد بن راشـد صديقا لإسحاق ثم فسـد ما بينهما ؛ فإنه طابق(٣) إبراهيمَ آبن المهدىّ عليه، و بلغه عنه من توقيعه أنه يذكره . وكان فى محمد بن راشد رداءة ونقلٌ للأحاديث؛ فقال فيه إسحاق :

وندْمان صِـدْقٍ لا تُخاف أَذَاتُه * ولا يلفظ الأخبارَ لفظَ ابن راشدِ
دعانى إلى ما يشـتهى فأجبتُـه * إجابةَ محمـود الخلائق ماجــدِ
فلا خيرَ فى اللّذات إلّا بأهلها * ولا عيشَ إلا بالخليـل المُساعِد

قال : فجمع ابن راشـد عدّة من الشعراء وأمرهم بهجاء إسحاق ؛ فهجَوْه بأشـعار لم تبلغ مرادَه، فلم يُظهرها . و بلغ ذلك إسحاقَ فقال فيه :

(١) كذا فى الأصول . ولعله «تجاذبنا الحديث» . (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٧ من هذا الجزء . (٣) طابقه على الأمر : وافقه ومالأه .

وأبيات شعر رائعات كأنها * إذا أُنشدت فى القوم من حُسنها سِحْرُ
تحفّزَ وأقْلَوْلَى لرَدّ جوابها[1] * أبو جعفر يَغْلِى كما غَلَتِ القِدْر
فلم يستطعها غيرَ أنْ قد أعانه * عليها أُناس كى يكون له ذكر
فيا ضيعةَ الأشعار إذ يَقْرِضونها * وأضيعُ منها من يَرى أنها شعر

قال : فعاذ محمد بن راشد بإسحاقَ وٱستكفَّه وصالحه، فرجع إليه .

أخذ ابراهيم بن المهدى صوتا له وغير فيه فلما عرف ذلك غضب

أخبرنى عمِّى قال حدّثنى علىّ بن محمد بن نصر الشامىّ قال حدّثنى منصور ابن محمد بن واضح :

أن إبراهيم بن المهدىّ طَرَح فى منزل أبيه :

صــوت

أمِنْ آلِ لَيْلَى عرفتَ الطُّلولَا * بذى حُرُضٍ[2] ماثلاتٍ مُثولاَ
بَلِينَ وتحسَب آياتِهِنّ عن فَرْط حَوْلين رِقّا مُحِيلا[3]

ـــ الشعر لكعب بن زُهير[4]. والغناء لإسحاق، وله فيه لحنان: ثانى ثقيل مطلقٌ فى مجرى البنصر، وماخُورِىّ بالوسطى . وفيه للزُّبير بن دَحْمانَ خفيفُ ثقيل ـــ قال: فجاءنا إسحاق يومًا ، وأقام عند أبى ،وأخرجنا إليه جواريَنا، ومرّ الصوت الذى طرحه إبراهيم

(١) كذا فى حـ ، وكذلك صححها الأستاذ الشنقيطى فى نسخته . وتحفز الرجل واقلولى : إذا استقل على رجليه ولما يستو قائما وقد تهيأ للوثوب . وفى سائر الأصول : «تحفر» (بالراء المهملة) ، وهو تصحيف .

(٢) ذو حرض : وادلبنى عبدالله بن غطفان ، بينه وبين معدن النقرة خمسة أميال . (انظر معجم ياقوت فى اسم ذى حرض والنقرة) .   (٣) فرط الشىء : مضى وذهب . وأحال : أتى عليه أحوال أى سنون .

(٤) ورد هذا الشعر فى ديوان زهير بن أبى سلمى وشرحه للأعلم الشنتمرى وثعلب وغيرهما من النسخ المخطوطة والمطبوعة المحفوظة بدار الكتب المصرية ضمن قصائده ، وقد مدح به سنان بن أبى حارثة أبا هرم وهما ممدوحاه ولم يكونا ممدوحى كعب حيث يقول فيه :

إليك سنان الغداة الرحيـ * ـل أعصى النهاة وأمضى الفئولا

كما ذكره لزهير أيضا أبو عبيد البكرى و ياقوت الحموى فى معجميهما أثناء كلامهما على «حرض» ، وذكره المؤلف له أيضا فى ترجمته (ج ٩ ص ١٥٢ طبع بولاق) وقد ورد فى جميع هذه المصادر «سلمى» بدل «ليلى» وسلمى هذه محبوبته التى يشبب بها فى شعره .

ابن المهديّ من غنائه ؛ فقال إسحاق : من أين لك هذا ؟ قال : طرحه أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ أعزّه الله تعالى ؛ فقال إسحاق : وما لأبى إسحاقَ أعزّه الله ولهذا الصوت ! هذا أنا صنعتُه ، وليس هو كما طرحه . قال : فسأله أبى أن يغنّيه ، فغنّاه وردّده حتى صحّ لمن عنده[1] ؛ فقال لى أبى : اكتب إلى أبى إسحاق أن أبا محمد أعزّه الله صار إلىَّ فاحتبستُه ، وأنه غنّى بحضرتى الصوتَ الذى ألقيتَه فى منزلك الذى أسكنه ، فزعَم أنه صنَعه ، وأنه ليس على ما أخذه الجوارى عنك ، فأحببت أن أعلم ما عندك ، جعلنى الله فداك . قال : فكتبتُ الرُّقعة[2] وأنفذتها إلى إبراهيم . فكتب : نعم ، جُعلت فداك ، صدَق أبو محمد أعزّه الله ، الصوتُ له ، وهو على ما ذكره ، لكنّى لعبت فى وسطه لعبًا أعجبنى . قال : فقرأ إسحاقُ الرقعة فغَضب غضبا شديدا ، ثم قال لى : اكتب إليه : «إذا أردت ياهذا أن تلعب فالعَبْ فى غناء نفسك لا فى غناء الناس ، وما حاجتُك إلى هذا الشعر أكثر من ذلك ، فاصنع أنت إن كنت تُحسن ، والعبْ فى صنعتك كما تشتهى مبتدئا باللهو واللعب غيرَ مُشارك فى جِدّ الناس بلعبك ومُفْسد له بما لا تعلمه . يا أبا إسحاق ، أيّدك الله ، ليس هذا الصوت مما يتهيّأ لك أن تُمَخْرِق[3] فيه وتقول : جَنْدَرْتُه» . قال : وكان إبراهيم يقول : إنه يُجَنْدِر صنعةَ القدماء ويحسِّنها . ‏٦٣ / ٥

مناظرته إبراهيم ابن المهدى فى الغناء بين يدى المعتصم

قال علىّ بن محمد حدّثنى جدّى حَمْدُون :

أنّ إسحاق قال لإبراهيمَ بن المهدىّ بحضرة المعتصِم : ما تقول فيمن يزعُم أنّ ابن سُرَيج وابن مُحْرِز ومَعْبدا ومالكًا وابنَ عائشة لم يكونوا يُحْسنون تَمام الصَّنعة

(١) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : «فردده» بالفاء بدل الواو . (٢) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : «فكتبته الرقعة» ، وهو تحريف . (٣) مخرق : موّه . وجندره : أصلحه وصقله . قال فى اللسان (مادة جدر) : «قال الجوهرى : وجندرت الكتاب إذا أمررت القلم على ما درس منه ليتبين . وكذلك الثوب إذا أعدت وشيه بعد ما كان ذهب ؛ قال : وأظنه معرّبا» .

ولا ٱستيفاءَ الغناء، ويعجزون عمّا به يكْمُل ويتِمّ ويحسُن، وأنه أقدر على الصنعة منهم؟ قال : أقول : إنه جاهل أحمق ؛ قال : فأنت تزعم أنه قد كانت بَقِيَتْ عليهم أشياءُ لم يهتدوا لها ولم يحسنوها، فتنبّهتَ عليها أنت وتَمّمتها وحسّنتها بحَذَرتك؛ قال : فضحك المعتصم وبقى إبراهيم واجمًا مُطرِقا ، ولم ينتفع بنفسه بقيّةَ يومه؛ وما سمعتُه أنا ولا غيرى بعد ذلك اليوم يتبجّح بغناء يُصلحه من غناء المتقدمين، حتى يُطنِب فى صنعته ويُشتهى ٱستماعُه منه، كما كان يَدّعى قديما .

قال : وكان حَمْدون يقول : كان إبراهيم يأكل المغنّين أكلا ، حتى يحضُر إسحاق، فيُدار به إبراهيم ويطلب مكافأتَه، ولا يدَعُ إسحاقُ تبكيتَه ومعارضتَه؛ وكان إسحاقُ آفتَه، كما أن لكل شيء آفة .

غنى المأمون بشعر ذى الرمة فأجازه

أخبرنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : خرجتُ يومًا من دارى وأنا مَخمورٌ أتنسّم الهواء ، فمررت برجل يُنشد رجلا معه لذى الرُّمّة :

صــــوت

ألم تعلمى يا مىّ أنّى وبينَنا * مَهاوٍ[1] لطَرْف العين فيهنّ مَطرَح
ذكرتكِ أن مرّتْ بنا أمُّ شادنٍ[2] * أمامَ المَطَايا تَشْرئبّ وتَسْنَح
من المؤلفاتِ الرملَ أدماءُ[3] حُرّةٌ * شُعاعُ الضّحى فى مَتْنها يتوضّح

(١) مهاو : جمع مهواة وهى ما بين الجبلين . يريد الشاعر أن يصفها بأنها مهاو بعيدة يسرح فيها البصر فلا يرده شىء . (٢) أم شادن : كنية الظبية ، والشادن : ولدها الذى قد قوى وطلع قرناه واستغنى عن أمه . ويقال : ظبية مشدن أى ذات شادن يتبعها . وتشرئب : ترفع رأسها لتنظر، وكل رافع رأسه مشرئب . وفى ب ، حـ : « تسرّيب » وهو تحريف . وتسنح : تعرض، وقيل : تسنح : تأتى عن شمالك . (٣) كذا فى سـ ، وديوان ذى الرمة (ص ٨٠) طبع كلية كبردج . ويروى « من الآلفات الرمل » ، يقال : آلف المكان وألفه . وفى سائر الأصول : « المولعات » . ويروى : من الموطنات . والأدماء : واحدة الأدم ، وهى — كما قال الأصمعى — : الظباء البيض تعلوهن جدد فيهن غبرة ، فإن كانت خالصة البياض فهى الآرام . وحرة : كريمة . ويتوضح : يبرق .

هى الشّبْهُ أعطافًا وجيدًا ومُقلةً ... ومَيَّةُ منها بَعْدُ أبهى وأملَحُ
كأنّ البُرى(١) والعاجَ عِيجَتْ مُتُونُه ... على عُشَرٍ نَهّى(٢) به السيلَ أبطح
لئن كانت الدنيا علىّ كما أرى ... تَباريحَ من مَىٍّ فَلَلموتُ أروح

فأعجبنى، فصنعت فيه لحنا غنّيتُ به المأمونَ، فأخذتُ به منه مائة ألف درهم.

لحنُ إسحاقَ فى هذه الأبيات أوّلُ مُطلَقٌ فى مجرى البنصر.

دس اليه ابن الرشيد على أنهما وجوه ... هدية ... وقصة ... الو

حدّثنى يحيى بن محمد الطّاهرىّ قال حدّثنى ينشو مولى أبى أحمد بن الرشيد قال:

اشترانى مولاى أبو أحمد بن الرشيد، واشترى رَفيقى مَحموما(٣)، فدفعنا إلى وكيل له أعجمىّ خُراسانىّ، وقال له: انحدرْ بهذين الغلامين إلى بغداد إلى إسحاق الموصلىّ؛ ودفع إليه مائة ألف درهم، وشِهْرِيًّا(٤) بسَرْجه ولِجامه، وثلاثة أدراج(٥) من فِضّة

---

(١) البرى: الخلاخيل، الواحدة برة. وكل حلقة تسميها العرب برة. والعاج: أسورة تتخذها نساء العرب من العاج، وعيجت: لويت. والعشر: شجر ناعم لين مستو. شبه ساعديها وساقيها بشجر العشر فى الاستواء واللين. (٢) كذا فى حـ وديوانه ووردت مصححة بخط الأستاذ الشنقيطى أيضا. ونهى الشىء: أبلغه وأوصله، ونهاه: بلغ نهايته (بالتضعيف فيهما)، وهذا المعنى غير مراد. وفى سائر الأصول: «تهمى» وهو تحريف. والأبطح: بطن الوادى. ومرجع الضمير فى «به» شجر العشر مرادا به مكانه الذى ينبت فيه. وعدّى «نهى» بالباء لأنه ضمن معنى «حبس»، أى إن بطن الوادى حمل السيل وأبلغه للمكان الذى ينبت فيه شجر العشر وحبسه به فهو لذلك ريان ممتلئ. (انظر نسخة مخطوطة من ديوان ذى الرمة بشرح الأعلم الشنتمرى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٤٠ أدب ص ٤٣).
(٣) فى حـ: «بجبجا». (٤) الشهرية (بالكسر): ضرب من البراذين وهو بين البرذون والمقرف من الخيل، وفى الأساس: «بين الرمكة والفرس العتيق». والرمكة: البرذونة، والجمع الشهارى. (٥) الأدراج: جمع درج (بالضم) وهو سفيط صغير تدخر فيه المرأة طيبها وأداتها، ويجمع أيضا على درجة (بكسر ففتح).

مملوءة طِيبًا ، وسبعةَ تُخُوتٍ[1] من بَزٍّ خُرَاسانىّ ، وعشرةَ أسفاطٍ[2] من بَزٍّ مصر، وخمسة تخوتٍ وَشْيٍ كوفىّ ، وخمسة تخوتٍ خَزٍّ سُوسِىّ ، وثلاثين ألف درهم للنفقة ؛ وقال للرسول : عرِّف إسحاقَ أنّ هـذين الغلامين لرجل من وجوه أهل خُراسان ، وَجّه بهما إليه ليتفضّل ويعلّمهما أصواتًا اختارها ، وكتبها له فى دَرْج[3] ، وقال له : كلما علّمهما صوتا آدفع إليه ألف درهم ، حتى يتعلّما بها مائة صوت ، فإذا علّمهما الصوتين اللذين بعد المائة فادفع إليه الشِّهْرِىّ ، ثم إذا علمهما الثلاثة التى بعد الصوتين ، فآدفع إليه بكل صوت دُرْجا من الأدراج ، ثم لكل صوت بعد ذلك تختًا أو سَفَطا ، حتى يَنْفَد ما بعثتُ به معك ؛ نفعل ، وآنحدرْنا إلى بغداد ، فأتينا إسحاق ، وغنّينا بحضرته ، وبلّغه الوكيلُ الرسالةَ ؛ فلم يزل يُلقى علينا الأصوات حتى أخذناها كما أمرنا سيّدُنا . ثم سِرْنا[4] إلى سُرَّ مَنْ رأى ، فدخلنا إليه وغنّيناه جميعَ ما أخذناه فسَرّه ذلك . وقدم إسحاقُ سُرَّ مَنْ رأى ، ولقيه مولانا ، فدعا بنا وأوصانا بما أراد ، وغدا بنا إلى الواثق وقال : إنكما ستَرَيان إسحاقَ بين يديه ، فلا تُسلّما عليه ولا تُوهِماه أنكما رأيتماه قطّ . وألبسنا أقْبِيةً خُراسانية ومضينا معه ؛ فلمّا دخلنا على الواثق قال له : يا سيّدى ، هـذان غلامان اشتريا لى من خُراسان يغنّيان بالفارسيّة ؛ فقال : غنّيا ، فضربنا ضربًا فارسيًّا وغنّينا غناءً فهليذيًّا ؛ فطرِب الواثق وقال : أحسنتما ، فهل تغنّيان بالعربية؟ قلنا : نعم ، وآندفعنا نغنّى ما أخذناه عن إسحاق

(١) التخت : وعاء تصان فيه الثياب ، فارسىّ ، وقد تكلمت به العرب . (٢) أسفاط : جمع سفط (بالتحريك) وهو ما يعبى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء ، وقيل : هو كالجوالق أو كالقفة . (٣) الدرج (بالفتح وبالتحريك) : الذى يكتب فيه ، يقال : أنفذته فى درج الكتاب أى فى طيه . وهو يطلق على الصحيفة من أى نوع ومن أى مقياس . وقد فصل القلقشندى فى صبح الأعشى (ج ٦ ١٨٩ — ١٩٦) مقادير قطع الورق وما يناسب كل مقدار منها من الأقلام ومقادير البياض فى أوّل الدرج وحاشيته وبعد ما بين السطور فى الكتابات فارجع إليه . (٤) فى أ ، ء ، م : «ثم سرنا ثم دخلنا إلى سرّ من رأى» .

وهو ينظر إلينا ونحن نتغافل عنه، حتى غنّينا أصواتاً من غنائه؛ فقام إسحاق ثم قال للواثق: وحياتِك ياسيّدى وبَيْعتك، وإلّا كلّ مِلْكٍ لى صدَقة وكل مملوك لى حُرّ إن لم يكن هذان الغلامان من تعليمى ومن قصّتهما كيت وكيت؛ فقال له أبو أحمد: ما أدرى ما تقول! هذان اشتريتهما من رجل نخّاس خراسانىّ؛ فقال له: بَلَغ وَلَعُكَ(1) إلىّ! ونخّاس خراسانىّ من أين يحسن [أن] يختار مثلَ تلك الأغانى!؛ فضحك أبو أحمد ثم قال: صدَق، أنا احتلتُ عليه، ولو رُمْتُ أن يعلّمهما ما أخذاه منه إذا علم أنهما لى بعشرة أضعاف ما أعطيتُه لَمَا فعل؛ فقال له إسحاق: قد تمّت علىّ حيلتُه. وقال أبو أحمد للواثق: إن أردتَهما فخذهما؛ فقال: لا أَفْجَعُكَ بهما يا عمّ، ولكن لا تمنعنى حضورَهما؛ فقال له: قد بذلتُ لك المِلْك فلم تُؤثِرْه، أفتَرانى أمنعك الخدمةَ! فكانا يخدُمه بنَوْبة.

كان فى الواثق مع ا... المغنين فا... الواثق با... له بعود

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى أبو عبد الله بن حَمْدون قال حدّثنى ابن فيلا الطُّنْبورىّ وكان قد دخل على الواثق وغنّاه، قال:

قال الواثق فى بعض العَشايا: لا يبرحْ أحدٌ من المغنّين الليلةَ، فقد عزمتُ على الصَّبُوح فى غد؛ فأمسكوا جميعا عن معارضته إلا إسحاقَ فإنه قال له: لا وحياتِك ما أبِيتُ؛ قال: فلا والله ما كان له عند الواثق معارضةٌ أكثر من أن قال له: فبحياتى إلّا بَكَّرتَ(2) يا أبا محمد. قال: فرأيت مخارقًا وعَلّويه قد تقطّعا غيظا، وبِتْنا فى بعض الحُجَر، فقالا لى(3): اجلس على باب الحجرة، فإذا جاء إسحاق فعرِّفنا حتى ندخل بدخوله؛ فلم نلبث أن جاء إسحاقُ مع أحمد بن أبى دُوَاد يماشيه فى زِيّه وسَوَادِه وطَيْلَتُه(4) مثل طويلته، فدخلت فأعلمتهما؛ فقامت على عَلّويه القيامة

(1) الولع: الكذب. (2) فى الأصول: «إلا بكر». (3) فى الأصول: «فقال لى»، وهو تحريف. (4) انظر الحاشيتين رقم ٢ و٣ ص ٤١٤ من الجزء الأول من طبعة هذا الكتاب.

وقال : ياهؤلاء، خِيناً كر[١] يدخل إلى الخليفة مع قاضى القضاة ! أسمعتم بأعجبَ من هذا البَخْت قطّ ! ؛ فقال له مُخارق : دَعْ هــذا عنك، فقد والله بلغ ما أراد. ولم نلبث أن خرج ابن أبى دُوَاد ودُعِىَ[٢] بنا فدخلنا، فإذا إسحاق جالس فى صف الندماء لا يخرج منــه، فإذا أمره الواثق أن يُغنّى خرج عن صفّهم قليــلا وأُتى بعود فغنّى الصوتَ الذى يأمره به، فإذا فرَغ من القَــدَح قطع الصوت الذى يأمره به حيث بلغ ولم يُتِمّه، ورجع إلى صفّ الجلساء .

(إبراهيم [بن المه]دى فى [حضرة] الرشيد)

أخبرنى محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلىّ الملقّب بوَسْوَاسة قال حدّثنى حمّاد قال :

قال لى أبى : كنت عند الرشيد يوما ، وعنــده ندماؤه وخاصّته وفيهم إبراهيم ابن المهدىّ، فقال لى الرشيد : يا إسحاق تَغَنَّ :

٦٥/٥

شَرِبتُ مُدامةً وسُقِيتُ أخرى * وراح المُنتشون وما آنتشيتُ

فغنّيته، فأقبل علىّ إبراهيم بن المهدىّ فقال لى : ما أصبتَ يا إسحاق ولا أحسنت؛ فقلت : ليس هذا مما تُحسنه ولا تعرفه، و إن شئتَ فغنِّه، فإن لم أجِدْك أنك تُخطئ فيــه منذُ آبتدائك إلى انتهائك فدَمِى حلال . ثم أقبلت على الرشيد فقلت : يا أمير المؤمنين، هذه صناعتى وصناعة أبى ، وهى التى قربتْنا منك وآستخدمتْنا لك وأوطأتْنا بساطَك، فإذا نازعَنَاها[٣] أحدٌ بلا علم لم نجد بُدًّا من الإيضاح والذبّ؛ فقال : لا غَرْوَ[٤] ولا لوم عليك؛ فقام الرشيد ليبول؛ فأقبل إبراهيم بن المهدىّ علىّ وقال :

---

(١) انظر الحاشية رقم ٢ ص ١٨٢ من هــذا الجزء . (٢) فى أ ، ء ، ىـ : « ودعا بنا » . (٣) كذا فى حـ ، م ، ء . وفى سائر الأصول : «نازعنا بهــا» .

(٤) فى أ ، ء : «لا عدو» . والعدو (وزان غرو) : الظلم .

وَيْلَك يا إسحاق ! أتجترئ علىّ وتقول ما قلتَ يابْنَ الفاعلة ! لا يَكْنِي ؛ فداخلني مالم أملك نفسي معه ؛ فقلت له : أنت تشتُمني ، وأنا لا أقدِر على إجابتك وأنت ٱبن الخليفة وأخو الخليفة، ولولا ذلك لكنت أقول لك : يٱبن الزّانيـة ؛ أوَ تُرَى أنّى كنت لا أُحسِن أن أقول لك : يابن الزانيـة ؛ ولكن قولى فى ذَمّك ينصرف جميعه إلى خالك الأعْلَم (١) ، ولولاك لذكرتُ صناعتَه ومذهبه — قال إسحاق : وكان بَيْطارا — قال : ثم سكتُّ، وعلمتُ أنّ إبراهيم يشكونى وأن الرشيد سوف يسأل مَنْ حضر عما جرى فيخبرونه ،فتلافيتُ ذلك (٢) ، ثم قلت :أنت تظنّ أنّ الخلافة تصير إليك فلا تزال تهدّدنى بذلك وتُعاديني كما تُعادِي سائرَ أولياء أخيك حَسَـدًا له ولولده على الأمر! فأنت تضعُف عنه وعنهم وتستخِفّ بأوليائهم تَشَفّيًا ،وأرجو ألّا يُخرجها الله عن يَد الرشيد وولده، وأن يقتلك دونها؛ فإن صارت إليك — و بالله العِياذ — فحرامٌ علىّ العيش يومئذ،والموت أطيب من الحياة معك، فٱصنع حينئذ مابدالك .

قال : فلمّا خرج الرشـيد وثب إبراهيم فجلس بين يديه فقال : يا أمير المؤمنـين ، شتَمَني وذكر أُمّي وٱستخفّ بي؛ فغضِـب وقال : ما تقـول ؟ وَيْلَك ! قلت : لا أعلم ، فسَلْ مَنْ حضر؛ فأقبل على مسرورٍ وحُسَين (٣) ؛ فسألهما عن القصّة ؛ فجعلا يُخبرانه ووجهُه يتربّد (٤) إلى أن ٱنتهيا إلى ذكر الخلافة، فسُرِّى عنه ورجع لونُه، وقال لإبراهيم : ماله ذنب، شتمتَه فعرّفك أنه لا يقـدر على جوابك، ارجع إلى موضعك وأَمسِك عن هـذا . فلما انقضى المجلس وٱنصرف الناس ، أمر بألّا أبْرَح ، وخرج كُلّ من حضر حتى لم يبقَ غيرى ؛فساء ظنّي وأَهمّتني نفسى ؛فأقبل علىّ وقال: ويلك

(١) الأعلم : الذى بشفته العليا أو فى جانبيها شق . (٢) عبارة مختار الأغانى لابن منظور : «فتلافيت ذلك بأن قلت ...» . (٣) مسرور وحسين : خادمان كانا للرشيد . (٤) تربد وجهه : تغير وتعبس .

يا إسحاق ! أتُرانى لم أفهم قولك ومرادك ! قد والله زنّيته(١) ثلاث مرات ، أتُرانى لا أعرف وقائعك وأقدامَك وأين ذهبت ! ويلك ! لا تَعُدْ ، حدِّثنى عنك ، لوضربك إبراهيم ، أكنتُ أقتصّ لك منه فأضربه وهو أخى ياجاهل ؟ ! أتُرَاك لو أمر غلمانَه فقتلوك أكنتُ أقتله بك؟ ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد والله قتلتَنى بهذا الكلام ، ولئن بلغه ليقتلنّى ، وما أشك فى أنه قد بلغه الآن ؛ فصاح بمسرور الخادم وقال : علىّ بإبراهيم الساعة فأُحضر ، وقال : قم فآنصرف ؛ وقلت لجماعة من الخَدَم ، وكلّهم كان لى مُحبّا وإلىّ مائلا ولى مُطيعا ، : أخبرونى بما يجرى ، فأخبرونى من غد أنه لمّا دخل وبّخه وجهّله وقال له : أتستخفّ بخادمى وصَنيعتى ونَديمى وآبن نديمى وابن خادمى وصنيعتى وصنيعة أبى فى مجلسى ، وتُقْدِم علىّ وتستخفّ بمجلسى وحضرتى؟ ٦٦ هاه هاه(٢) ! أتُقدم على هذا وأمثاله ! وأنت مالك وللغناء ، وما يدريك ماهو ! ومَن أخذك(٣) به وطارحك إياه حتى تتوهّم أنك تبلُغ مبلغَ إسحاق الذى غُذِى به وعلّمه وهو صناعته ! ثم تظن أنك تُخطِّئه فيما لا تدريه ، ويدعوك إلى إقامة الحجة عليك فلا تثبُت لذلك وتعتصم بشَتْمه ! أليس هذا مما يدلّ على السقوط وضعف العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يُشبهك وغَلَبة لذّتك على مروءتك وشرفك ثم إظهارك إياه ولم تُحكمه ، وادّعائك مالا تعلمه حتى ينسُبك الناسُ إلى الجهل المُفْرِط ! ألّا تعلم — وَيْلَك — أنّ هذا سوءُ أدب وقلّة معرفة وقلّة مُبَالاة بالخطأ والتكذيب والردّ القبيح ! . ثم قال : والله العظيم وحقّ رسوله ، وإلا فأنا نَفِىٌّ من المهدىّ ، لئن أصابه أحدٌ بسوء ، أو سقط عليه حجرٌ من السماء ، أو سقط من على دابّته ، أو سقط

---

(١) زناه (بالتشديد) : قذفه ونسبه الى الزنا . (٢) هاه هاه : تكون حكاية لضحك الضاحك وللوعيد . وتكون أيضا فى موضع آه التى للتوجع . (٣) كذا فى حـ والمختصر . وفى سائر الأصول : «ومن أخذ لحنه وطارحك ... الخ » .

عليه سقفُه، أو مات بِخَاة، لأقتلنّك به؛ والله ! والله ! والله ! فلا تعرِض له وأنت أعلم، قم الآنَ فاخرج؛ فخرج وقد كاد أن يموت . فلما كان بعد ذلك دخلت إليه وإبراهيم عنده، فأعرضتُ عن إبراهيم، وجعل ينظر إليه مرّة وإلىّ مرّة ويضحك، ثم قال له : إنى لأعلم محبّتك فى إسحاق وميلك إليه وإلى الأخذ عنه، وإنّ هذا لايجيئك من جهته كما تريد إلّا بعد أن يرضَى، والرضا لايكون بمكروه، ولكن أحسِن إليه وأكرمه واعرِف حقّه وبرّه وصِله، فإذا فعلتَ ذلك ثم خالفك فيما تهواه عاقبتَه بيد منبسطة ولسان منطلق؛ ثم قال لى : قم إلى مولاك وابنِ مولاك فقبّل رأسه؛ فقمت إليه وقام إلىّ وأصلح الرشيدُ بيننا .

نسبة الصوت المذكور فى هذا الخبر

صــــوت

أعاذلُ قـد نَهَيتِ فما آنتهيتُ * وقد طال العتابُ فما آرعويتُ
أعاذل ماكبِرتُ وفِىّ مَلْهًى * ولو أدركتُ غايتَـك آنتهيت
شَرِبتُ مُدَامةً وسُقِيت أُخرَى * وراح المنتشون وما آنتشيت
أبِيتُ مُعــذَّباً قَلِقاً كئيباً * لِما ألقاه من ألم وفَوْتِ (١)

الغناء لآبن مُحْرِز ثقيلٌ عن آبن المكّىّ . وفيه رَمَلٌ بالوسطى .

أرسل إ ذات لي ثم غناء

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

أرسل إلىّ الرشيد ذاتَ ليلة، فدخلت إليه فإذا هو جالس وبين يديه جاريةٌ عليها قميص مُوَرّد وسَراويلُ مورّدة وقناعٌ مورّد كأنها ياقوتة على وردة؛ فلما رآنى قال لى : اجلس، فجلستُ؛ فقال لى : غنّ، فغنّيت :

---

(١) فى هذا الشعر إقواء، وهو اختلاف حركة الروىّ .

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجرىَ لمّا جَهَدتُه * وبيّن لو يَسْتطيعُ أن يتكلّما

فقال : لمن هذا اللحن؟ فقلت : لى ياأمير المؤمنين؛ فقال : هاتِ لحنَ آبن سُرَيج، فغنّيتُه إياه ؛ فطرِب وشرب رِطْلًا وسقى الجاريةَ رطلا وسقانى رطلا ؛ ثم قال : غنِّ، فغنّيته :

صوت

٦٧/٥ هاجَ شَوْقِى بَعْدَ ما شُيِّب أصداغِى بُرُوقُ
مَوْهِنًا[(1)] والبَرْقُ ممّا * ذا الهوى قِدْمًا يَشُوق

فقال : لمن هذا الصوت ؟ فقلت : لى؛ فقال : قد كنت سمعت فيه لحنًا آخر؛ فقلت : نعم، لحن آبن مُحْرِز؛ قال : هاته ، فغنّيته فطرب وشرب رطلا، ثم سقى الجارية رطلا وسقانى رطلا؛ثم قال : غنِّ، فغنّيته :

أفاطم مهلًا بعضَ هذا التدلُّلِ * وإن كنتِ قد أَزْمَعْتِ صرمى فأجملِي

فقال لى : ليس هذا اللحن أُريد ، غَنِّ رَمَل آبن سُرَيج ؛ فغنّيته وشرب رطلا وسقى الجارية رطلا ، ثم قال : حدّثنى ، فجعلتُ أحدّثه بأحاديث القِيان والمغنِّين طَوْرًا، وأحاديثِ العرب وأيامها وأخبارها تارة، وأُنشِده أشعار القدماء والمحدَثين فى خلال ذلك ، إذ دخل الفضلُ بن الرّبيع، فحدّثه حديثَ ثلاث جوارٍ ملَكَهنّ ووَصَفهنّ بالحُسن والإحسان والظَّرف والأدب؛ فقال له : يا عبّاسىّ، هل تَسخُو نفسُك بهنّ؟ وهل لك من سَلْوةٍ عنهنّ؟ فقال له : والله يا أمير المؤمنين، إنى لأسخو بهنّ وبنفسى، فبها فَدَاكَ الله؛ ثم قام فوجّه بهنّ إليه، فغَلَبْن على قلبه، وهنّ سِحْروضياء وخُنْث ذات الخال؛ وفيهنّ يقول :

(١) الموهن، ومثله الوهن : نحو من نصف الليل ، وقيل : هو بعد ساعة منه ، وقيل : هو حين يدبر الليل .

إنّ سحرًا وضـياءَ وخُنُثْ * هنّ سحرٌ وضـياءٌ وخُنُثْ
أخذتْ سحـرٌ ولا ذنبَ لها * ثُلُثَيْ قلـبي وتِرْباها الثُّلُثْ

نزل على عبيد الله ابن محمد بن عائشة بالبصرة ونادمه

حدّثني الصُّولِيّ قال حدّثني مَيْمون بن هارون عن إسحاق قال :

أتيتُ عُبَيد الله بن محمد بن عائشة بالبصرة، فلمّا دخلتُ إليه حَصِرْتُ، فقال لي: إنّ الحَصَر رائدُ(١) الحياء، والحياء عَقيدُ الإيمان، فانبسِطْ وأَزِل الوحشة، فلئن باعدتْ بيننا الأحساب، لقد قرّبتْ بيننا الآداب، فقلت [له](٢): والله لقد سررتَني بخطابك، وزِدْتَني ببرّك عجزًا عن جوابك، ولله دَرّ القُطاميّ حيث يقول :

أمّا قـريشٌ فلن تلقاهمُ أبدًا * إلّا وهم خيرُ من يَحْـفَى ويَنتعِـلُ

أهدى له أحمد بن هشام زعفرانا وكتب له شعرا فرد هو عليه بشعر

أخبرني عليّ بن صالح بن الهَيْثم قال حدّثني أبو هِفّان قال :

وجّه أحمد بن هشام إلى إسحاق الموصليّ بزعفران رَطْب وكتب إليه :

اِشربْ على الزعفرانِ الرَّطْبِ مُتّكِئًا * وانْعَمْ نَعِمْتَ بطول اللّهو والطَّرَبِ
فحُرمـةُ الكأس بين الناس واجبةٌ * كحرمـةِ الوُدّ والأرحام والأدبِ

قال : فكتب إليه إسحاق :

أذكرْ أبا جعـفرٍ حقًّا أَمُتّ به * أنّي وإيّاك مشغوفانِ بالأدبِ
وأنّنا قد رضـعنا الكأسَ دِرّتَهـا(٣) * والكأسُ حرمتُهـا أولى من النّسبِ

ودع الفضل بن يحيى في خروجه إلى خراسان بشعر فوصله

حدّثنا الصُّولِيّ قال حدّثني محمد بن موسى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

لمّا أراد الفضل بن يحيى الخروجَ إلى خُراسان ودّعته، ثم أنشدته بعد التوديع :

(١) كذا صححها الأستاذ الشنقيطي في نسخته . وفي الأصول : « زائد » بالزاي المعجمة .
(٢) زيادة عن ب ، حـ ، م .
(٣) أصل الدرة : اللبن .

فِراقُك مثــلُ فراق الحياةِ * وفقدُك مثــلُ ٱفتقاد الدِّيَمْ
عليك السلامُ فكم من وفاء * أُفارق فيــك وكم من كَرَمْ

٦٨/٥ قال : فضمنى إليه، وأمر لى بألف دينار، وقال لى : يا أبا محمد، لو حلّيتَ هذين البيتين بصنعة وأودعتَهما من يَصلُح من الخارجين معنا، لأهديتَ بذلك إلىّ أُنْسًا وأذكرتَنى بنفسك؛ ففعلتُ ذلك وطرحتُه على بعض المغنّين؛ فكان كتابه لا يزال يَرِد علىّ ومعه ألفُ دينار يَصِلُنى بذلك كلما غُنّى بهذا الصوت. قال الصُّولىّ : وهو من طريقة الرَّمَل .

حديثه عما حمله الأصمعى من كتب حين خرج مع الرشيد الى الرقة

أخبرنى عمى قال حدّثنى عمر بن شَبّة عن إسحاق قال :

قال لى الأصمعىّ : لمّا خرجنا مع الرشيد إلى الرَّقّة قال لى : هل حملت معك شيئا من كتبك ؟ فقلت : نعم، حملتُ منها ما خفّ حملُه؛ فقال : كم ؟ فقلت : ثمانيةَ عشرَ صُندوقًا ؛ فقال: هذا لمّا خفّفتَ، فلو ثقّلتَ كم كنتَ تحمل؟ فقلت: أضعافَها؛ فجعل يَعجَب .

شعر إسحاق فى المعتصم حين ولى الخلافة

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق قال :

لمّا وَلِى المعتصم دخلتُ إليه فى جملة الجلساء والشعراء؛ فهنّأه القوم نظمًا ونثرا وهو ينظر إلىّ مُسْتَنطِقًا؛ فأنشدتُه :

صــــوت

لاحَ بالمَفْــرِق(١) منك القَتِيرُ(٢) * وذَوَى غصنُ الشَّبابِ النَّضيرُ
هزِئتْ أسماءُ منّى وقالتْ * أنتَ يابنَ الموصلىّ كبيرُ

---

(١) المفرق (كمقعد ومجلس) : وسط الرأس وهو الذى يفرق فيه الشعر . (٢) القتير : الشيب، وقيل : هو أوّل ما يظهر منه .

ورأت شيبًا برأسي فصدّت[1] * وابنُ ستين بشيبٍ جديرُ
لا يَروعنْـك شيبي فإني * مع هـذا الشيب حلوٌ مزيرُ[2]
قـد يُفَلّ السيفُ وهو جُرازٌ[3] * ويصول الليثُ وهو عقيـر[4]
يا بني العبّـاس أنتم شفاءٌ * وضيـاءٌ للقـلوب ونور
أنتمُ أهـل الخلافةِ فينـا * ولـكم منـبرُها والسرير
لا يزال المُلك فيكم مَدى الدهـ * ـر مُقيمًا ما أقام ثَبيـر[5]
وأبو إسحاق خـير إمامٍ * ماله في العـالمـين نظـير
ماله فيما يَريش ويَـبْرى * غـير توفيق الإله وزير
واضح الغـرّة للخـير فيـه * حين يبدو شاهـدٌ وبشـير
زانه هَـدْىٌ تُقًى وجـلالٌ * وعـفافٌ ووقارٌ وخِـير
لو تُبارِى جودَه الريحُ يومًا * نَزَعَتْ وهى طَـليحٌ[6] حسير

قال: فأمر لي بجائزة فضّلني بهـا على الجماعة. ثم دخلتُ إليـه يوم مقدمه من غَزاته، فأنشدتُه قولي فيه: — شعره في المعتصم يوم مقدمه من غزاة

صـــوت

لأسمـاءَ رسمٌ عفـا باللِّوى * أقامَ رهينًا لطـول البِـلى
تعاوَرَه الدهرُ في صَرْفـه * بكَرِّ الجـديدين حتى عفا
إذ البينُ[7] لم تُخشَ رَوْعاته * ولم يصرِفِ الحيَّ صَرْفُ الرَّدى

(١) في تجريد الأغاني لابن واصـل: «علانى». (٢) المزير: الظـريف.
(٣) الفل: ثلم ينال حد السيف. والجراز (بالضم): المـاضي القطاع. (٤) عقير: مجروح أو مقطوع القوائم. (٥) ثبير: من جبال مكة بينها وبين عرفة. (٦) طليح: تعب هزيل. وحسير: كليل معي. (٧) في الأصول: «اذا».

وإذ مَيْعة[1] اللهو تجرى بنا * وحبلُ الوصال متينُ القُوى
فذلك دهرٌ مضى فأبْكِه * ومَنْ ضاق ذَرْعًا بأمرٍ بكى
وهل يَشْفِينَّك من غُلَّة * بكاؤك فى إثْر ما قد مضى
إلى ابن الرشيد إمامِ الهدى * بعثنا المطىَّ تجُوب الفَلا
إلى مَلِك حَلّ من هاشم * ذُؤَابةَ مجدٍ مُنيف الذُّرى ٦٩/٥
إذا قيل أىُّ فتى هاشم * وسيِّدُها كان ذاك الفتى
بـه نَعَش الله آمالَنا * كما نَعَش الأرضَ صوْبُ الحَيَا
إذا ما نوى فِعْلَ أُكْرُومة * تجاوز من جُوده ما نوى
كساه الإلهُ رداءَ الجمال * ونورَ الجلال وهَدْىَ التقى

قال: فأمر لى بجائزة[2]، وقال: لستُ أحسُب هذا لك إلا بعد أن تَقْرِن صناعتَك فيه بالأخرى (يعنى أن أغنّى فيه وفى: «هَزِئتْ أسماءُ منى»)؛ فصنعتُ فى:

* هزئت أسماء منى ... ... *

لحنا، وفى:

* لأسماء رسم عفا باللِّوى *

لحنا آخر وغنّيته بهما، فأمر لى بألفىْ دينار.

نسبة هذين الصوتين

هزِئتْ أسماءُ منّى وقالت * أنت يا ابنَ الموصلىّ كبيرُ

لحنُ إسحاقَ فى أربعة أبيات متوالية من الشعر ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى. والآخر:

لأسماءَ رسمٌ عفا باللِّوى * أقام رَهينًا لطُول البِلَى

الغناء لإسحاقَ ثانى ثقيلٍ بالوسطى.

(١) ميعة اللهو والشباب والنهار والسكر وكل شىء: أوله وأصله.
(٢) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «قال فأمر له»، وهو تحريف.

غنى أحمد بن عبيد الله بن أبي العلاء لحنا له فنظر إليه مخارق شزرا ثم بين له السبب

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني أحمد بن عُبَيد الله بن أبي العَلَاء قال : غنّيتُ يومًا بين يدي الواثق لحنَ إسحاق في :

هَزِئتْ أسماءُ منّي وقالت * أنت يابنَ الموصليّ كبيرُ

قال : فنظر إليّ مخارقٌ نظرا شَزْرًا وعضّ شَفَته عليّ؛ فلما خرجنا من بين يَدَي الواثق قلت : يا أستاذ، لِمَ نَظَرتَ إليّ ذلك النظرَ؟ أأنكرتَ عليّ شيئا أم أخطأتُ في غنائي ؟ فقال لي : وَيْحكَ! أتدرى أيّ صَوْت غنّيتَ! إن إسحاق جعل صَيْحة هذا الصوت بمنزلة طريق ضيّق وَعْرٍ صعبِ المُرْتَقَى ، أحدُ جانبيْ ذلك الطريق حرفُ الجبل، وعن جانبه الآخر الوادى؛ فإن مال مُرْتقيه عن مَحَجّته إلى جانب الوادى هوَى، وإن مال الى الجانب الآخر نطَحه حرفُ الجبل فتكسّر؛ صِرْ إليّ غدًا حتى اصحّحه لك .

بنى لحنه في «هزئت أسماء» على أذان عبد الوهاب المؤذن

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حُدّثت من غير وجه :

أن إسحاق بات ليلةً عند المعتصم وهو أمير، فسمع لحنا لعبد الوهاب المؤذّن أذّن به على باب المعتصم ، فأصْغى إليه فأعجبه ، فأعاد المَبيت ليلةً أخرى عنده حتى استقام له اللحن؛ فبنى عليه لحنَه :

* هزئتْ أسماءُ منّي وقالتْ *

فصد إبراهيم بن المهديّ يوما فأرسل هو اليه غلامه بديحا بلحن له يعنيه إياه

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبيّ :

أنّ إبراهيم بن المهديّ فُصِد يوما، فكتب إليه إسحاقُ يتعرّف خبرَه و يدعو له بالسلامة وحسن العُقبَى ، وكتب إليه : إني سأُهدى إليك هديّةً للفَصْد حسنةً؛ فوجّه إليه بُدَيحا غلامَه، فغنّاه لحنَه في :

* هزئتْ أسماءُ منّى وقالتْ *

فآستحسنه إبراهيم وقال له : قد قبِلنا الهديّة، فإن كان أَذِن لك فى طَرْحه على الجوارى فآفعل ؛ فقال له : بذلك أمرنى، وقال لى : إنك ستقول لى هذا القول، فقال : إن قاله لك فقل له : لو لم آمُرْك بطرحه لم يكن هديّة ؛ فضحك إبراهيم، وألقاه بُدَيح على جواريه . وقد ذكر علىّ بن محمد بن نصر هذا الخبر، فذكر أنه كتب إلى أبيه[(١)] بهذه الهديّة ؛ وهذا خطأ، لأن الشعر فى تهنئة المعتصم بالخلافة، وإبراهيم الموصلىّ مات فى حياة الرشيد، فكيف يُهدى إليه هذا الصوت ! .

٧٠/٥

غنى محمد بن الحارث بصوت له أمام مخارق فأعجب به

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى قال حدّثنى أحمد بن أبى العلاء[(٢)] قال :

اندفع محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر يومًا يغنّى هذا الصوت ؛ فالتفت إلينا مُخَارِق فقال : خرج[(٣)] آبن الزانية ! .

محاورة لعلويه فى مجلس الفضل آبن الربيع أو على آبن هشام ودفعه ما اتهمه به

حدّثنى عمّى قال حدّثنى أبو جعفر محمد بن الدِّهْقَانة النّديم قال حدّثنى أحمد آبن يحيى المكىّ قال :

دعانى الفَضْل بن الرّبيع ودعا عَلّويه ومخارقا، وذلك فى أيام المأمون بعد رجوعه ورضاه عنه إلا أنّ حاله كانت ناقصة متضعضعة ؛ فلمّا اجتمعنا عنده كتب إلى إسحاقَ الموصلىّ يسأله أن يصير إليه ويُعْلِمَه الحالَ فى آجتماعنا عنده، فكتب إليهم : لاتنتظرونى بالأكل فقد أكلت، وأنا أصير إليكم بعد ساعة ؛ فأكلنا وجلسنا نشرب حتى قرُب العصر، ثم وافى إسحاقُ بجلس، وجاء غلامه بقَطْرَمِيز[(٤)] نبيذ فوضعه

---

(١) فى الأصول : «فذكر أنك كتبت إلى أبيه بهذه الهدية ... الخ»، والظاهر أنه تحريف .

(٢) ورد هذا الاسم فيما سبق — قبل هذا الخبر بخبرين — : «... أحمد بن عبيد الله بن أبى العلاء» .

(٣) خرج : نبغ . (٤) القطرميز : قلة كبيرة من الزجاج . قال الشاعر :

أنا لا أرتوى بطاس وكاس * فآسقنيها بالزق والقطرميز

ناحيةً، وأمر صاحبَ الشراب بإسقائه منــه، وكان عَلّويه يغنّى الفضلَ بن الرّبيع فى لحنٍ لسِيَاط اقترحه الفضل عليه وأعجبه، وهو :

فإن تَعجَبِى أو تُبصرى الدّهرَ طَمَّنى[1] * بأحـداثه طَمَّ المقصّص بالجَـلَم[2]

فقد أترك الأضيافَ تَنْـدَى رِحالُهم * وأُكرمهم بالمَحْض[3] والتَّامِك السَّنِم

— ولحنــه من الثقيل الثـانى — فقال له إسحاق : أخطأتَ يا أبا الحسن فى أداء هذا الصوت، وأنا أُصلحه لك ؛ فجُنّ عَلّويه واْغتاظ وقامت قيامته؛ ثم أقبل على عَلّويه فقال له : ياحبيبى، ما أردتُ الوضعَ منك بما قلتُه لك، وإنما أردتُ تهذيبَك وتقويمك، لأنك منسوبُ الصواب والخطأ إلى أبى وإلىّ، فإن كرِهتَ ذلك تركتُك وقلت لك : أحسنتَ وأجملتَ ؛ فقال له عَلّويه : والله ما هـذا أردتَ، ولا أردتَ إلا مالا تتركه أبدًا من سـوء عشرتك ! أخبِرْنى عنـك حين تجىء هذا الوقتَ لمّـا دعاك الأمير وعرّفك أنه قد نشِط للاْصطباح : ما حملك على الترفّع عن مُبَاكرته وخدمته مع صنائعه عندك، وما كان ينبغى أن يَشْغَلك عنه شىء إلا الخليفة ! ثم تجيئــه ومعك قُطْرَمِيزُ نبيـذ ترفُّعـا عن شرابه كما ترفّعتَ عن طعامه ومجالسـته إلا كما تشتهى وحين تَنْشَط، كما تفعل الأكفاء، بل تَزيد على فعل الأكفاء؛ ثم تَعمِد إلى صوت قد اْشتهاه واْقترحه وسمعه جميعُ من حضر فما عابه منهم أحد فتَعيبه ليتمّ تنغيصُك إياه لذّته ! ؛ أمَا والله لو[4] الفضل بن يحيى أو[5] أخوه جعفر دعاك إلى مثـل

(١) طمنى : غمرنى . (٢) الجلم (بالتحريك) : الذى يجز به الشعر والصوف، ومثله الجلمان بلفظ التثنية . (٣) المحض : اللبن الخالص بلا رغوة . والتامك : العظيم السنام من الإبل، ومثله السنم . (٤) كذا فى حـ ومختار الأغانى لابن منظور (ص ١٤٧) . وفى سائر الأصول : «لولا الفضل» ، وهو تحريف . (٥) كذا فى مختار الأغانى لابن منظور . وفى الأصول : «الفضل بن يحيى وأخوه ... الخ» بالواو ، ولا تستقيم بها العبارة .

مادعاك إليه الأمير، بل بعضُ أتباعهم، لبادرت و باكرتَ وماتأخرتَ ولا ٱعتذرتَ؛ قال : فأمسك الفضلُ عن الجواب إعجابًا بمـا خاطب به عَلّويه إسحاقَ ؛ فقال له إسحاق : أمّا ماذكرتَه من تأخُّرى عنه إلى الوقت الذى حضرتُ فيه، فهو يعلم أنّى لا أتأخر عنه إلا بعائق قاطع، إن وثِق بذلك منّى و إلّا ذكرتُ له الحجة سرًّا من حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيه مدخل . وأما ترفّعى عنه، فكيف أترفّع عنه وأنا أنتسب إلى صـنائعه وأستمنحُه وأعيش من فضله مذ كنتُ، وهـذا تَضْرِيب(١) لا أُبالى به منك . وأما حَمْلى النبيذَ معى، فإن لى فى النبيذ شرطًا من طعمه وريحه، وإن لم أجده ٧١/٥ لم أقدِر على الشرب وتنغّص علىّ يومئذ ، و إنمـا حملته ليتمّ نشاطى و ينتفعَ بى . وأما طعنى على ما ٱختاره، فإنى لم أطعن على اختياره، و إنما أردتُ تقويمَك، ولست والله ترانى مُتبعا لك بعد هذا اليوم ولا مُقوِّما شيئا من خطئك؛ وأنا أغنَى له — أعزّه الله — هـذا الصوتَ فيعلم وتعلم و يعلم من حضر أنك أخطأتَ فيـه وقصّرت . وأما البَرَامكة وملازمتى لهم فأشهرُ من أن أجحـده ، و إنى لحقيقٌ فيـه بالمعذرة ، وأحرَى أن أشكرهم على صَنيعهم و بأن أُذيعه وأنشُره، وذلك والله أقلُّ ما يستحقُّونه منّى . ثم أقبل على الفضـل — وقد غاظه مدحُه لهم — فقال : اسمـع منّى شيئا أُخبرك به مما فعلوه ليس هو بكبير فى صنائعهم عندى ولا عند أبى قبلى، فإن وجدتَ لى عذرا و إلا فلُمْ : كنت فى ٱبتـداء أمرى نازلًا مع أبى فى داره، فكان لا يزال يجرى بين غلمانى وغلمـانه وجوارىّ وجواريه الخصـومة ، كما تجرى بين هـذه الطبقات، فيشكونهم إليه، فأتبيّن الضَّجَر والتنكُّرَ فى وجهه؛ فٱستأجرت دارًا بقربه وٱنتقلت إليها أنا وغلمانى وجوارىّ، وكانت دارا واسعة، فلم أرْضَ ما معى من الآلة لهـا ولا لمن يدخل إلىّ من إخوانى أن يَرَوْا مثلَه عندى؛ ففكرت فى ذلك وكيف

---

(١) التضريب : الإغراء بين القوم .

أصنع ، وزاد فكرى حتى خطر بقلبى قُبح الأُحدوثة من نزول مثلى فى دار بأجرة، وأنى لا آمنُ فى وقت أن يَستأذن علىّ [صاحبُ دارى](١)، وعندى من أحتشمه ولا يعلم حالى، فيُقال صاحبُ دارك، أو يُوجِّه فى وقت فيطلب أجرة الدار وعندى من أحتشمه ؛ فضاق بذلك صدرى ضِيقًا شديدا حتى جاوز الحدّ ؛ فأمرت غلامى بأن يُسرِجَ لى حمارا كان عندى لأمضىَ إلى الصحراء أتفرّج فيها مما دخل على قلبى ، فأسرجه وركبتُ برداء ونعل ؛ فأفضى بى المسيرُ وأنا مفكر لا أميز الطريق التى أسلك فيها حتى هجم بى على باب يحيى بن خالد ؛ فتواثب غلمانُه إلىّ ، وقالوا : أين هذا الطريق ؟ فقلت : إلى الوزير، فدخلوا فآستأذنوا لى، وخرج الحاجب فأمرنى بالدخول ، وبقيتُ خجلا ، قد وقعت فى أمرين فاضحين : إن دخلت إليه برداء ونعل وأعلمته أنى قصدته فى تلك الحال كان سوءَ أدب، وإن قلت له : كنت مجتازا ولم أقصِدك فجعلتك طريقا كان قبيحا، ثم عزمتُ فدخلت، فلمّا رآنى تبسّم وقال : ما هذا الزىّ يا أبا محمد ! احتبسنا لك بالبر والقَصْد والتفقّد ثم علمنا أنك جعلتنا طريقًا ؛ فقلت : لا والله ياسيّدى ، ولكنى أَصْدُقك؛ قال : هاتِ ؛ فأخبرته القصّة من أولها إلى آخرها ؛ فقال : هذا حقّ مستوٍ . أفهذا شغل قلبك ؟ قلت : إى والله ! وزاد فقال : لا تَشغَلْ قلبَك بهذا ، ياغلام ، ردّوا حماره وهاتوا له خِلعة؛ فجاءونى بخلعة تامّة من ثيابه فلبستها ، ودعا بالطعام فأكلت ووُضِع النبيذ فشربت وشرب فغنّيتُه ، ودعا فى وسط ذلك بدواة ورقعة وكتب أربعَ رِقاع ظننتُ بعضَها توقيعًا لى بجائزة ، فإذا هو قد دعا ببعض وكلائه فدفع إليه الرِّقاع وسارّه بشىء ، فزاد طمعى فى الجائزة ؛ ومضى الرجل وجلسنا نشرب وأنا أنتظر شيئا فلا أراه إلى العَتَمة ؛ ثم آتكأ يحيى فنام ، فقمت وأنا مُنكسر خائب فخرجت وقُدّم لى

(١) التكملة عن مختار الأغانى .

حمارى ؛ فلمّا تجاوزت الدارَ قال لى غلامى: إلى أين تمضى؟ قلت: إلى البيت ؛ قال: قد والله بِيعتْ دارك، وأشهِد على صاحبها، وآبتيع الدَّرْبُ كلّه ووُزِن ثمنه، والمشترِى ٧٢ / ٥ جالس على بابك ينتظرك ليعرّفك، وأظنه اشترى ذلك للسلطان، لأنى رأيت الأمر فى آستعجاله وآستحثاثه أمرًا سلطانيًا ؛ فوقعت من ذلك فيما لم يكن فى حِسابى، وجئت وأنا لا أدرى ما أعمــل ؛ فلمّــا نزلت على باب دارى إذا أنا بالوكيل الذى سَارّه يحيى قــد قام إلىّ فقال لى: ادخُل — أيّدك الله — دارَك حتى أدخل إلى مخاطبتك فى أمرٍ أحتــاج إليك فيــه ؛ فطابتْ نفسى بذلك، ودخلتُ ودخل إلىّ فأقرأنى توقيعَ يحيى: "يُطلَق لأبى محمد إسحاقَ مائةُ ألف درهم يبتاع له بها داره وجميع ما يجاورها ويلاصقها". والتوقيع الثانى إلى آبنه الفَضْل: "قد أمرتُ لأبى محمد إسحاقَ بمائة ألف درهم يبتاع له بها داره، فأطلِقْ إليه مثلَها ليُنفقها على إصلاح الدار كما يريد وبنائها على ما يشتهى". والتوقيع الثالث إلى جعفر: "قد أمرت لأبى محمد إسحاق بمائة ألف درهم يُبتاع له بها منزل يسكنه، وأمر له أخوك بدفع مائة ألف [درهم][(١)] يُنفقها على بنائها ومَرَمّتها على ما يريد، فأطلِقْ له أنت مائةَ ألف درهم يَبتاع بها فرشا لمنزله". والتوقيع الرابع إلى محمد: "قد أمرت لأبى محمد إسحاقَ أنا وأخواك بثلثمائة ألف درهم لمنزل يَبتاعه ونفقة يُنْفقها عليه وفَرش يَبْتذِلُه، فمُرْ له أنت بمــائة ألف درهم يصرفها فى سائر نفقته". وقال الوكيل: قد حملتُ المــال واشتريت كل شىء جاورك بسبعين ألفَ درهم، وهذه كتب الآبتياعات بآسمى والإقرار لك، وهذا المــال بُورِك لك فيه فآقبِضه ؛ فقبضتُــه وأصبحت أحسنَ حالًا من أبى فى منزلى وفرشى وآلتى ؛ ولا والله ما هذا بأكبرِ شىء فعلوه لى، أفألام على شكر هؤلاء! فبكى

(١) الزيادة عن م، ومختار الأغانى لابن منظور.

الفضل بن الربيع وكل من حضر،[1] وقالوا : لا والله لا تُلام على شكر هؤلاء . ثم قال الفضل : بحياتى غنِّ الصوت ولا تبخل على أبى الحسن بأن تُقوِّمه له ؛ فقال : أفعل ؛ وغنّاه، فتبيّن علّويه أنه كما قال، فقام فقبّل رأسه وقال : أنت أستاذنا وابن أستاذنا وأولى بتقويمنا وآحتمالنا من كل أحد ؛ وردّده[2] إسحاقُ مَرّاتٍ حتى آستوى لعلّويه .

ولقد رُوِى فى هذا الخبر بعينه أنّ هذه القصّة كانت عند علىّ بن هشام، وقد أخبرنى بهذا الخبر أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى مَيْمون بن هارون وأبو عبد الله الهاشمىّ قالا :

دعا علىّ بن هشام إسحاقَ الموصلىّ وسأله أن يصطبح عنده ويُبَكِّر فأجابه؛ فلمّا كان الغد وافاه ظهرًا وعنده مُخارِق وعلّويه ؛ فقال له علىّ بن هشام : أين كنتَ الساعةَ يا أبا محمد؟ قال: عاقنى أمر لم أجد من القيام به بدًّا ؛ فدعا له بطعام فأصاب منه، ثم قعدوا على نبيذهم، وتغنّى علّويه صوتا، الشعر فيه لآبن ياسين، وهو :

صــــوت

إلهى مَنَحتَ الوُدّ منّى بخيلةً * وأنت على تغيير ذاك قديرُ
شفاءُ الهوى بثُّ الهوى واشتكاؤُه * وإنّ آمرأً أخفى الهوى لصَبور

ــ الغناء لسليمان أخى أُحَيْحة، خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو ــ فقال له إسحاق: أخطأتَ وَيْلكَ ! فوضع علّويه العود وشرب رطلا وشرب علىّ بن هشام؛ثم تناول العود وغنّى :

(١) كذا فى مختار الأغانى . وفى الأصول : « حضره » بزيادة الهاء . (٢) رده : أعاده مثل ردّده .

٧٣ / ٥

صـــوت

ولقـد أسْمُو إلى غُرَفٍ * فى طريقٍ مُوحِشٍ جُدَدُه(١)

حوله الأحراسُ تحرُسـه * ولديه جاثمًا أسَـدُهْ

— الغنـاء لمَعْبد ثقيلٌ أولُ بالوسـطى عن عمرو — فقـال له إسحاق : أخطأتَ وَيْلَك ! فوضع العود من يده ثم أقبل على إسحاق فقال له : دعاك ٱلأمير — أعزّه الله — لتُبَكّر إليه ، بجئته ظُهْرًا ، وغنّيتُ صوتين يشتهيهما ٱلأمير — أعزّه الله — علىّ فخطّأتنى فيهما ، وزعمتَ أنك لا تغنّى بين يدى الأمير — أعزّه الله — ولا تغنّى إلا بين يدى خليفة أو ولىّ عهد ، ولو دعاك بعض البَرامكة لكنت تُسرع إليه ثم تغنّى مُنْذُ غُدْوةٍ إلى الليل ! ؛ فقال إسحاق : إنى والله ما أردت انتقاصًا منك ، ولا أقول مثلَه لغيرك ولا أريد ازدراءً من أحد ، ولكنى أردت بك خاصّةً التقويمَ والتأديبَ ؛ فإن ساءك ذلك تركتُك فى خطئك . ثم أقبـل على علىّ بن هشام ، فقـال له : أعزّك الله ، إنى أُحدّثك عن البَرامكة بمـا يُقيم عذرى فيما ذكره : دخلت على يحيى بن خالد يوما ، ولم أكن أردت الدخول عليـه ، وإنما ركبت متبذّلا(٢) لهمٍّ أهمّنى ، وكنت نازلًا مع أبى فى داره ، فضِقتُ صدرًا بذلك وأحببت النُّقْلة عنه ، ونظرت فإذا يدى تَقْصُر عما يُصْلحنى ؛ ثم ذكر الخبرَ نحوًا مما قلته . وزاد فيه : أنه دخل إلى يحيى بن خالد وهو مُصْطَبِح ، فلما رآه نعر(٣) وصفّق ، وأنه وقّع له بمائتى ألف درهم ، ووقّع له كلٌّ من جعفر والفَضْل بمائة وخمسين ألفا ، وكلٌّ واحد من موسى ومحمد بمائة ألف مائة ألف . وقال فيه : فبكى علىّ بن هشام ومن حضر ، وقالوا :

---

(١) جدده (بضم ففتح) : معالمه ، واحده جدّة . (٢) التبذل : ترك التزين والتهيؤ بالهيئة الحسنة الجميلة على جهة التواضع . (٣) نعر : صاح وصوّت

لا يُرى والله مثلُ هؤلاء أبدا، وأخذ إسحاقُ العودَ فغنّى الصوتين فأتى فيهما بالعجائب؛ فقام عَلّويه فقبّل رأسه وقال له : أنت أستاذنا وآبن أستاذنا، وما بنا عن تقويمك غِنًى؛ ثم غنّى بعد ذلك لحنَه : «تشكَّى الكميتُ الجرىَ»، ولم يزل يغنّى بقيّةَ يومه كلّما شرب علىّ بن هشام؛ ثم آنصرف فأتبعه علىّ بن هشام بجائزة سنيّة .

قال عبد الله بن العباس الربيعى : إنه لا يقاربه فى الصنعة أحد

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنا عَوْن بن محمد قال حدّثنى عبد الله بن العبّاس الرَّبيعىّ قال :

أحضرنى إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب، فلمّا جلست وآطمأننت، أخرج إلىّ خادمُه رقعةً، فقال : اقرأ ما فيها وآعمل بما رسَمه الأمير أعزّه الله؛ فقرأتها فإذا فيها قوله :

١ ## صــــوت

يرتاح للدَّجْن[(1)] قلبى وهو مقتسَمٌ * بين الهموم آرتياحَ الأرض للمطرِ

إنى جعلتُ لهــذا الدَّجْن نِحْلَتَه[(2)] * ألّا يزولَ ولى فى اللهو من وَطَرِ

وتحت هــذين البيتين : «تقدّمْ — جُعِلت فداك — إلى مَنْ بحضرتك من المغنّين بأن يُغنُّوا فى هذين البيتين، وألْقِ جميعَ ما يصنعونه على فلانة؛ فإذا أخذتْه فأنفذْها

١ إلىّ مع رسولى»؛ فقلت : السمعُ والطاعة لأمر الأمير أعزّه الله، فهل صنع فيهما أحد قبلى ؟ فقال : نعم، إسحاق الموصلىّ؛ فقلت : والله لو كُلِّف إبليسُ أن يصنع فيهما صنعةً يفضُل إسحاقَ فيها بل يساويه بل يقاربه، ما قدَر على ذلك ولا بلغ مبلغَه؛ فضحك حتى آستلقى، وقال : صدقتَ والله ! وهكذا يقول من يعقل لا كما يقول ٧٤ / ٥

(١) الدجن : إلباس الغيم الأرض، وقيل : إلباسه أقطار السماء . (٢) النحلة : المذهب

٢ والنوع، يعنى أنه جعل لهذا الدجن ما يناسبه من الشراب واللهو، وكان من عادتهم أنهم يستحسنون ذلك إذا أدجن اليوم .

هؤلاء الحَمْقَى، ولكن اصنعْ فيهما على كل حال كما أمر؛ فقلت : أفعل وقد بَرِئْتُ من العُهْدة؛ فانصرفت فصنعت فيهما صنعة كانت والله عند صنعة إسحاق بمنزلة غناء القَرّادين .

أخبره أحد الخلفاء بظهور الشيب فيه فبكى وقال فى ذلك شعرا وغنى فيه

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى ميمون قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ قال :

قال لى المعتصم أو قال لى الواثق : لقد ضحِك الشَّيْب فى عارضَيْك؛ فقلت : نعم يا سيِّدى، وبكيت؛ ثم قلت أبياتا فى الوقت وغنّيت فيها :

تولّى شبابُك إلا قليلَا * وحلّ المَشيب فصبرًا جميلَا
كفى حَزَنًا بفِراق الصِّبَا * وإن أصبح الشيبُ منه بَدِيلَا
ولمّا رأى الغانياتُ المَشيـ * ـبَ أغضَيْنَ دونك طَرْفًا كَلِيلَا
سأندُب عهدًا مضى للصِّبا * وأبكى الشبابَ بكاء طويلَا

فبكى الواثق وحزِن وقال : والله لو قدَرتُ على ردّ شبابك لفعلت بشَطْر مُلكى؛ فلم يكن لكلامه عندى جواب إلا تقبيل البساط بين يديه .

جهد المغنون أن يأخذوا لحنا له فلم يستطيعوا أن يفوا به

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال حدّثنى حَمْدون بن إسماعيل قال : لمّا صنع أبوك لحنَه فى :

قِفْ بالديار التى عَفَا القِدَمُ * وغيّرتْها الأرواحُ[1] والدِّيَمُ

رأيتهم (يعنى المغنِّين) يأخذونه عنه ويجْهَدون فيه ؛ فتُوُفِّى والله وما أخذوا منه إلا رَسْمَه .

(١) الأرواح : جمع ريح كالأرياح والرياح .

نسبة هــذا الصوت

صــوت

قِفْ بالديار التى عَفَا القِدَمُ * وغيَّرتْهــا الأرواحُ والدِّيَمُ
لمّــا وقفنا بهــا نسائلُها * فاضت من القوم أعينٌ سُجُمُ(١)
ذِكْرًا لعيشٍ مضى إذا ذكَروا * ما فات منــه فإنه سَقَمُ
وكل عيش دامت غَضَارتُه * منقطِــعٌ مرّةً ومنصَرِمُ

الشعر والغناء لإسحاق، ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من جميع أغانيه .

حدّثنى أبو أيّوب المَــدِينىّ قال حدّثنى هارون اليَتِيم قال حدّثنى عُجَيف آبن عَنْبَسة قال :

كنت عند أمير المؤمنين المعتصم وعنده إسحاق الموصلىّ، فغنّاه :

قُلْ لمن صَدّ عاتبًا * ونأى عنــك جانبًا

فأمره بإعادته، فأعاده ثلاثا، وشرب عليه ثلاثا؛ فقال له إبراهيم بن المهدىّ : قد آستحسنتَ هذا الصوت يا أمير المؤمنين، أفنأخذه؟ قال : نعم، خذوه فقد أعجبنى؛ فآجتمع جماعةُ المغنّين : مخارِقٌ وعَلّويه وعَمْرو بن بانة وغيرهم، فأمره المعتصم أن يُلقيَه عليهم حتى يأخذوه؛ فقال عُجَيف : فعددتُ خمسين مرّة قد أعاده فيها عليهم وهم يظنّون أنهم قد أخذوه ولم يكونوا أخذوه . قال هارون : فنحن فى هــذا الحديث إذ دخل علينا محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر، فقال له عُجَيف : يا أبا جعفر، كنت أحدّث أبا موسى بحديثنا البارحة مع إسحاقَ فى الصوت وأنّى عددت خمسين مرة؛ ٧٥ / ٥

(١) سجم : جمع سجوم، يقال : سجمت العين الدمع (من بابى ضرب وقعد) : أسالته قليلا كان أو كثيرا، فالعين ساجمة وسجوم . ويقال : سجم الدمع (من باب قعد) : سال، فالفعل لازم متعد .

فقال محمد : إى والله! — أصلحك الله — ولقد عددتُ أنا أكثرَ من سبعين مرّة وما فى القوم أحد إلا وهو يظن أنه قـد أخذه، والله ما أخذه أحد منهم وأنا أولهم ما قـدَرت — علم الله — على أخذه على الصحة وأنا أسرعُهم أخذا، فلا أدرى: ألِكثرة زوائده فيه أم لشدّة صعوبته، ومن يقدِر أن يأخذ من ذلك الشيطان شيئا! .

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثنى عُجَيْف بن عَنْبَسة بهذا الخبر فذكر مثله سواءً .

مر على المعتصم شعر أعجبه وزنه دون معناه فصاغ هو فيه معنى أعجبه فأجازه

قال أبو أيّوب وحدّثنى حمّاد عن أبيه قال :

كنت يومًا عند المعتصم، فمرّ شعر على هذا الوزن فقال : وَددت أنه على غير ما هو، فقلت له : أنا لك به على هذا الوزن فى أحسنَ من هذا الشعر :

صــوت

قُل لمن صـدّ عاتبًا * ونأى عنــك جانبـا

قـد بلغتَ الذى أرد * ت وإن كنت لاعبا

فأعجبـه، وقال لى : قـد والله أحسنت ! وأمر لى بألفىْ دينار، ووالله ما كانت قيمتهما عندى دَانِقين(١) .

الشعر والغناء فى هذين البيتين لإسحاقَ، ثانى ثقيلٍ بالسبّابة فى مجرى الوسطى.

غضب عليه الأمين فتشفع إليه بالفضل ابن الربيع ثم دخل عليه بالأنبار وغناه فأطربه فأجازه

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبو أيّوب المَدِينىّ قال حدّثنى ابن المكّىّ عن إسحاق قال :

غَضب علىَّ المخلوعُ(٢) فأقصانى وجفانى، فاشتدّ ذلك علىّ — قال : وجفانى وهو يومئذ بالأنبار — فحَملتُ عليه بالفضل بن الربيع، فطلب إليه فشفّعه المخلوعُ ودعانى

(١) الدانق : سدس الدرهم معرب «دانك» بالفارسية . (٢) المخلوع : هو محمد الأمين الخليفة ابن هارون الرشيد .

وهو مُضْطَجِع ، فلم أزل متـوقّفا وقد لبِستُ قَبَاءً وخُفًّا أحمـرَ واعتصبتُ بعصابة صـفراءَ وشدَدت وسطى بشُقّة حمـراء من حرير، فلما أخذوا[1] فى الأهزاج دخلتُ وفى يدىّ صَفّاقتان وأنا أتغنّى :

صـــوت

إسمع لصوتٍ طَرِيبٍ[2] * من صَـنْعةِ الأنْبارِى[3]
صوتٍ مليح خفيف * يطـــير فى الأوْتار

— الشعر والغناء لإسحـاق ، هزجٌ بالبنصر — فسُرّ بذلك محمد، وكان صوتهم فى يومهم ذلك، وأمر لى بثلثمائة ألف درهم . وأخبرنى جَحْظة بهذا الخبر عن محمد آبن أحمد بن يحيى المَكّىّ قال حدّثنى أبى أن إسحاق حدّثه بهـذا الخبر، وذكر مثل ماذكره يحيى، وزاد فيه قال : وكان سبب تسمية محمد لى بـ"الأنبارى" أنى دخلت عليه يوما وقد لُثْتُ[4] عمامتى على رأسى لَوْثًا غير مستحسَن، فقال لى : يا إسحاق، كأنّ عمامتك من عمائم أهل الأنبار .

أنشـد الأصمعى شعرا له فأعجب به فلما علم أنه له غير رأيه فيه

أخبرنا محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدّثنى عمّى الفضل عن إسحاق،وأخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى عمّى الفَضْل عن إسحاق، وأخبرنا يحيى بن علىّ ابن يحيى قال حدّثنى أبى :

قال إسحاق : قلت فى ليلة من الليالى :

(١) فى ١، ء، م : «فلما دخلوا» . (٢) فى حـ : «ظريف» . (٣) كذا فى حـ . والأنبارى : نسبة الى الأنبار، وهى مدينة على الفرات فى غربى بغداد بينهما عشرة فراسخ . وفى سائر الأصول : «... الأنبار» بدون ياء النسبة، وهو تحريف . (٤) لاث العمامة على رأسه يلوثها لوثا : لفها وعصبها .

صــــوت

هــل إلى نظرةٍ إليـك سبيلُ * يُروَ⁽¹⁾ منها الصَّدَى ويُشْفَى الغليلُ
إنّ ماقلّ منك يكثُر عنـدى * وكثيرٌ ممن تحبّ القليـلُ

قال : فلمّا أصبحت أنشدتهما الأصمعىّ، فقال : هـذا الدّيباج الخُسْرُوَانىّ⁽²⁾، هذا الوَشْى الإسكندرانىّ، لمن هذا؟ فقلت له : إنه ابن ليلته؛ فتبيّنت الحسدَ فى وجهه، ٧٦/٥ وقال : أفسدتَه ! أفسدتَه ! أمَا إنّ التوليد فيه لبيّن . فى هذين البيتين لإسحاق خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر .

كان يعجب بمعنى ويرى أنه ماسبق إليـه فلما أنشد له هذا المعنى لأعرابى حلف أنه ماسمعه

أخبرنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى علىّ بن يحيى قال حدّثنى إسحاق بهذا الخبر، فذكر مثل ماذكره من قدّمت الرواية عنه، وزاد فيه : فقال لى علىّ بن يحيى بعَقِب هذا الخبر : كان إسحاق يُعْجَب بهذا المعنى ويكرره فى شـعره، ويرى أنه ما سُبِق إليه؛ فمن ذلك قوله :

صــــوت

أيّهـا الظّبىُ الغَـريرُ * هـل لنا منـك مُجيرُ
إنّ ما نَولتنى منـ * ـكَ وإنْ قـلّ كثير

— لحنُ إسحاقَ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى — فقلت : إنك قد سُبِقت إلى هذا المعنى، فقال : ما علمتُ أنّ أحدا سبقنى إليه؛ فأنشدته لأعرابىّ من بنى عُقَيْل :

قِفِى وَدِّعينا يامليحُ بنظـرةٍ * فقد حان منّا يا مليح رحيـلُ

---

(١) جزم الفعل هنا لضرورة الشعر . (٢) الخسروانى : نوع من الثياب منسوب الى خسرو شاه من الأكاسرة .

أليس قليـــلًا نظرةٌ إنْ نظرتُها * إليك وكَلّا ليس منك قليـــل
عُقَيْلِيّـــةٌ أمّا مَلاثُ(1) إزارها * فوَعْثٌ وأما خَصْرها فضئيل

صـــوت

أيا جنّةَ الدنيـا ويا غايةَ المُنى * ويا سُؤْلَ نفسي هل إليك سبيلُ
أراجعـةٌ نفسي إليّ فأغتدي * مع الرَّكْب لم يُقْتل عليك قتيل
فما كلَّ يومٍ لي بأرضك حاجةٌ * ولا كلَّ يومٍ لي إليك رسول

قال: فحلف أنه ما سمِع بذلك قطُّ. قال عليّ بن يحيى: وصـدق، ما سمع بها. الغناء في الأبيات الأخيرة من أبيات العُقَيْليّ.

عاتبه ابراهيم بن المهدي في ترك المجيء له فكان بينهما حوار لطيف

حدّثني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الحسين(2) بن محمد بن أبي طالب الدِّيناريّ بمكة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال:

عاتبني إبراهيم بن المهديّ في ترك المجيء إليه، فقال لي: مَنْ جمع لك مع المودّة الصادقة رأيًا حازما، فأجمعْ له مع المحبة الخالصة طاعةً لازمة؛ فقلت له: جعلني الله فداك، إذا ثبتتِ الأصول في القلوب، نطقتِ الألسن بالفروع، والله يعلم أنّ قلبي لك شاكر، ولساني بالثناء عليك ناثر(3)، وما يظهر الودّ المستقيم، إلا من القلب

---

(1) ملاث الشيء: الموضع الذي يدار فيه ذلك الشيء ويلف. وملاث الإزار: مادون الخصر أي العجز وما تحته. ووعث: لين، يقال: امرأة وعثة، ووعثة الأرداف، كأن الأصابع تسوخ فيها من لينها وكثرة لحمها. (2) كذا في ح. وفي سائر الأصول هنا: «الحسن»، ولعل هذا تحريف، اذ سيأتي في جميع الأصول: «الحسين بن طالب». والظاهر من مقارنة الأسانيد بعضها ببعض في عدة أخبار هنا أن «الحسين بن طالب» هو «الحسين بن محمد بن أبي طالب الديناريّ». على أنه يبقى من بعد ذلك: أجدّه «طالب» أم «أبو طالب». (3) في أ، ء، م: «ناطق».

السليم؛ قال : فأَبْرِئْ ساحتَك عندى بكثرة مجيئك إلىّ؛ فقلت : أجعل مجيئى إليك فى الليل والنهار نُوَبًا أتيقّظ لها كتيقّظى للصلوات الخمس، وأكون بعد ذلك مقصّرًا؛ فضحك وقال : من يقـدر على جواب المغنّين ! ؛ فقلت : مَن اتخذ الغناءَ لنفسه ولم يتخذه لغيره؛ فضحك أيضا، وأمر لى بخِلَع ودنانيرَ وبِرْذَوْن وخادم . وبلغ الخبرُ المعتصمَ، فضاعف لإبراهيم ما أعطانى، فرُحتُ وقد ربِحت وأربحتُ .

عتب عليه الفضل بن الربيع فكتب إليه

حدّثنا الحَرَمىّ قال حدّثنا الدِّينارىّ قال حدّثنى إسحاق قال :

عتَب علىّ الفضلُ بن الرَّبيع فى شىء بلغه عنّى؛ فكتبت إليه : «إنّ لكل ذنب عفوًا وعقوبةً؛ فذنوب الخاصة عندك مستورة مغفورة، فأمّا مثلى من العامّة فذنبه لا يُغفر، وكسره لا يُجبر؛ فإن كنت لا بدّ معاقِبِى فإعراضٌ لا يؤدّى إلى مقت» .

جواب الأعرابىّ الذى كان عنده الفضل بن الربيع حين سأله عما كانوا فيه

[٧٧/٥]

حدّثنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الدِّينارىّ قال حدّثنى إسحاق قال :

كان يختلف إلىّ رجلٌ من الأعراب ، وكان الفضل بن الربيع يقـرّبه ويستظرف كلامَه، وكان عندى يومًا وجاء رسول الفضل يطلبه فمضى إليه؛ فقال له الفضل : فيم كنتم؟ قال : كنّا فى قِدْرٍ تفُور، وكأس تدُور، وغناء يَصُور(١)، وحديث لا يَحُور(٢) .

كان يصنع الشعر وينحله الأعراب

حدثنا الحَرَمىّ قال حدّثنا الحسين بن طالب(٣) قال :

كان إسحاق يقول الشـعر على ألسن الأعراب ، وينشده للأعراب ، وكان يُعَايِى بذلك أصحابَه ويُغْرِب عليهم به؛ فمن ذلك ما أنشدنيه لأعرابىّ :

---

(١) يصور : يصوت . (٢) لا يحور : لا يرجع؛ يريد أنه دائما مجدّد طلىّ غير معاد . وفى م : «لا يجور» بالجيم . (٣) تراجع الحاشية رقم ٢ من الصفحة السالفة .

لَفَظَ الخُدورُ عليك حُورًا عِينًا * أنسَيْنَ ما جمع الكِناسُ قَطِينَا (١)
فإذا بَسَمْنَ فَعَنْ كمثل غمامة * أو أُقْحُوانِ الرمل بات مَعِينَا (٢)
وأصحُّ من رأتِ العيونُ محاجرًا * ولهنّ أمرضُ ما رأيت عيونا
وكأنما تلك الوجوهُ أهِلَّةٌ * أَقْمَرْنَ (٣) بين العشرِ والعشرينا
وكأنهنّ إذا نَهَضْنَ لحاجةٍ * ينهضن بالعَقِدَاتِ (٤) من يَبْرِينَا

قال : وأنشدني أيضا مما كان يَنسُبه إلى الأعراب وهو له :

ومكحولة العينين من غير ما كُحْلِ * مُهَفْهَفَة الكَشْحَين ذات شَوًى خَدْلِ (٥)
مُنَعَّمَة الأطراف مُفْعَمة البُرَى (٦) * روادفُها تَحكى الدَّهاسَ (٧) من الرملِ
صَيُود لألباب الرجال، متى رنتْ (٨) * إلى ذى نُهًى جَلْدِ القُوَى وافرِ العقلِ
تخلّى النُّهى عنه وحالفه الصِّبا * وأسلمه الرأىُ الأصيل إلى الجهلِ

---

(١) لفظ : أخرج . والقطين : اسم جمع لقاطن ، وهو من قطن بالمكان اذا أقام به وتوطنه .

(٢) معين : ريان ، يقال : معن الموضع والنبت (بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع) اذا روى من الماء . ويقال : معن المطر الأرض اذا تتابع عليها فأرواها . فيحتمل هنا أن يكون «معين» فعيلا بمعنى فاعل على المعنى الأوّل ، وأن يكون فعيلا بمعنى مفعول على المعنى الثانى ، أى تتابع عليه المطر فأرواه .

(٣) أقمر الهلال : صار قمرا . (٤) العقدات : جمع عقدة (بفتح فكسر وبالتحريك لغة) وهى ما تراكم من الرمل وتعقد . ويبرين : من أصقاع البحرين ، وهناك الرمل المعروف بالكثرة . والظاهر أنه يريد أن يصف أعجازهن بالضخامة حتى كأنهن اذا نهضن ينهضن بكثبان يبرين . يشبه أعجازهن بالكثبان . وفى الأصول : «بالعقرات» بالراء المهملة ، وهو تحريف . (٥) الشوى : الأطراف . وخدل (بالخاء المعجمة والدال المهملة) : ممتلئ ضخم ، أى هى ممتلئة الذراعين والساقين . وفى الأصول : «جدل» بالجيم ، والتصويب للأستاذ الشنقيطى فى نسخته . (٦) البرى : جمع برة ، وهى الحلقة سوارا كانت أو خلخالا أو قرطا . يصف ذراعيها وساقيها بالامتلاء . (٧) الدهاس (بالفتح) : المكان اللين السهل الذى تغيب فيه القوائم ليه . أى إن روادفها ضخمة فى لين . ويقال : امرأة دهاس ، أى عظيمة العجيزة . (٨) فى حـ : «إذا رنت» .

شبيبة كُثْبانٍ يَرُوقُـك تحتهـا * عناقيدُ كرم جادَها غَدَقَ الوَبْلِ (١)

رمتْـنى لحلّت نائطىّ (٢) ولم تُصِب * لهـا نائطىْ قلبٍ ولا مَقتـلًا نَبْلى

أنشد الرشيد شعرا له فأعجبه وأجازه

حدّثنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حُدّثت عن الأصمعىّ قال :

دخلت أنا و إسحاق الموصلىّ يومًا على الرشيد فرأيناه لَقِسَ النَّفْس (٣) ؛ فأنشده إسحاق يقول :

صـــوت

وآمرةٍ بالبخل قلتُ لها اقْصِرِى * فــذلكِ شىءٌ ما إليــه سبيلُ (٤)

أرى الناس خُلّانَ الكرامِ ولا أرى * بَخيـلًا له حـتّى الممـاتِ خليل

و إنى رأيتُ البُخل يُزرِى بأهـله * فأكرمتُ نفسى أنْ يُقال بخيـل

ومن خير حالات الفتى لو علمتِه * إذا نال خيرًا أن يكون يُنيـل

فعالى فعـالُ المُكْثِرين تجمُّـلًا * ومالى كما قـد تعلمين قليـل

وكيف أخافُ الفقر أو أُحرَمُ الغِنَى * ورأىُ أمـير المؤمنين جميـل

قال : فقال الرشيد : لا تَخَفْ إن شاء الله ؛ ثم قال : لله دَرّ أبيات تأتينا بها ؛ ما أشدّ أصولَها ، وأحسن فُصولَها ، وأقلّ فضولَها ! وأمر له بخمسين ألف درهم ؛ فقال له إسحاق : وصفُك والله يا أمير المؤمنين لشعرى أحسن منه ، فعلام آخُذ الجائزة ! فضحك الرشيد وقال : اجعلوها لهـذا القول مائة ألف درهم . قال الأصمعىّ :

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا ، ء ، م : «شنيبة» بالنون قبل الياء ، وهو على كلتا الروايتين غير واضح . (٢) النائط : العرق المستبطن الصلب تحت المتن . (٣) كذا فى حـ . ولقست نفسه (من باب فرح) : غثت وخبثت . وفى سائر الأصول : «لقيس النفس» ، وهو تحريف . (٤) وردت هذه الأبيات فى أمالى القالى (ج ١ ص ٢١ طبع دار الكتب المصرية) مع اختلاف فى بعض الكلمات .

فعلمتُ يومئذ أنّ إسحاق أحذقُ بصيد الدراهم منّي . وأخبرني بهذا الخبر جعفر بن قُدامة عن حمّاد عن أبيه، وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق فذكر معنى الخبر قريبا مما ذكره الأصمعيّ والألفاظ تختلف . ٧٨/ه

دخل على الفضل ابن الربيع ابن ابنه فقال هو فيه شعرا سره، وقيل: بل قاله الفضل بن يحيى في ابنه

أخبرنا إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق، وأخبرني به جعفر ابن قُدَامة ووَكيع عن حمّاد عن أبيه قال :

كنتُ عند الفضل بن الرّبيع يوما، فدخل إليه ٱبن ٱبنه عبدُ الله بن العبّاس ابن الفضل وهو طفل، وكان يَرِقّ عليه لأن أباه مات في حياته، فأجلسه في حِجْره وضمّه إليه ودمعتْ عيناه؛ فأنشأتُ أقول :

صـــوت

مَـدّ لك الله الحيـاةَ مَدّا * حتى يكون ابنُك هذا جَدّا
مـؤزّرا بمجـده مُرَدّى(1) * ثم يُفـدّى مثلَ ما تُفَـدّى
أشـبه منـك سُـنّة وخَدّا(2) * وشِيَماً مَرضـيّة ومجـدا
كأنه أنت إذا تَبـدّى * شمـائلا محمـودةً وقَـدّا

قال : فتبسّم الفضلُ وقال : أَمتعني الله بك يا أبا محمد ، فقد عُوّضتُ من الحزن سرورًا وتسلّيتُ بقولك، وكذلك يكون إن شاء الله . قال جعفر بن قُدَامة : وحدّثني بهـذا الحديث عليّ بن يحيى، فذكر أن إسحاق قال هذه الأبيات للفضـل بن يحيى وقد دخل عليه وفي حِجْره آبنٌ له .

---

(1) مؤزر : من الإزار . ومردّى : من الرداء . (2) كذا في حـ وفي سائر الأصول : «وجدا» بالجيم، وهو تصحيف . والسنة : الوجه لصقالته وملاسته، أو هي الجبهة والجبينان .

غنّى فى هذه الأبيات أبو عيسى بن المتوكّل لحناً من الرَّمَل، يقال: إنه صنعه وقد وُلد للمعتمد ولدٌ ثم غنّى به . وأخبرنى ذُكاء وجه الرّزة عن بِذْعة الكبيرة: أنّ الرمل لعَرِيبَ، وأنّ لحن أبى عيسى خفيفُ رملٍ .

دخل على الفضل ابن الربيع عائدا وقال فيه شعرا كثر الفضل به

حدّثنى عمّى قال حدّثنى الفضل بن محمد اليَزيدىّ عن إسحاق قال:

أتيتُ الفضل بن الربيع يومًا عائدا وجاءه بنو هاشم يعودونه؛ فقلت فى مجلسى ذلك:

إذا ما أبو العباس عِيدَ ولم يَعُد * رأيتَ مَعُودًا أكرَمَ الناسِ عائدَا

وجاء بنو العبّاس يبتدرونه * مِراضًا لما يشكوه مَثْنَى وواحدا

يُفَدّونه عند السلامِ وكلّهم * مُجِلٌّ له يدعوه عمًّا ووالدا

قال: وكان الفضل مضطجعًا، فأمر خادما له فأجلسه، ثم قال لى: أعِد يا أبا محمد فأعدتُ، فأمرنى فكتبتُها، وسُرّ بها وجعل يردّدها حتى حفظها .

غضب عليه الفضل ابن الربيع مرة فاسترضاه بشعر

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال أخبرنى أبى قال قال إسحاق، وأخبرنى الحسن ابن علىّ الخفّاف قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنا محمد بن عبد الله ابنُ(1) مالك عن إسحاق قال:

جاءنى الزُّبير بن دَحْمان يومًا مسلّما فاحتبسته؛ فقال لى: أمرنى الفضل بن الربيع بالمسير إليه؛ فقلت له:

أقِمْ يا أبا العوّام وَيحك نَشْرَبِ * ونَلْهُ مع اللاهين يومًا ونَطْرَبِ

إذا ما رأيتَ اليومَ قد جاء خيرُه * فخُذْه بشكرٍ واترُكِ الفضلَ يغضَبِ

(1) كذا فى حـ ، وقد ورد كذلك فى الأصول فى غير هذا الموضع غير مرة . وفى سائر الأصول هنا: « ابن أبى مالك » ، وهو خطأ .

فأقام عندى وسُررنا يومَنا، ثم صار إلى الفضل، فسأله عن سببِ تأخّره عنه، فحدّثه الحديثَ وأنشده البيتين، فغضب وحوّل وجهَه عنّى، وأمر عوناً حاجبَه بألّا يُدخلنى إليه ولا يستأذنَ لى عليه ولا يُوصِلَ لى رقعةً، فقلت :

حرامٌ علىّ الكأسُ ما دُمتَ غضباناً * وما لم يَعُــد عنّى رضاك كما كانا ٧٩/٥
فأحسِنْ فإنّى قــد أسأتُ ولم تزَلْ * تُعوّدنى عنــد الإساءة إحسانا

قال : وأنشدته إيّاهما، فضحك ورضى عنّى وعاد إلى ما كان عليــه . وقد أخبرنى بهذا الخبر محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه، فذكر مثلَه وزاد فيه : فقلت فى عَوْن حاجبه :

عَوْنُ يا عونُ ليس مثلَك عونُ * أنت لى عُــدّةٌ إذا كان كَوْنُ
لك عندى واللهِ إن رَضِى الفضـ * ـل غلامٌ يُرضيــك أو بِرْذَوْنُ

قال : فأتى عَوْنٌ الفضــلَ بالشــعرَيْن جميعاً ، فقرأهما وضحك وقال : وَيْحَك ! إنمــا عرض لك بقوله : "غلامٌ يُرضيك" بالسَّوءة؛ قال : قد وعدَنى ما سمعت، فإن شئتَ أن تحرمنيه فأنت أعلم! ؛ فأمره أن يُرسل إلىّ، فأتانى رسولُه فصرتُ إليه فرضى عنّى .

أخبرنى جَحْظة قال حدّثنى محمد بن أحمــد بن يحيى المَكّىّ المرتجِل قال حدّثنى أبى قال حدّثنى الزُّبَير بن دَحْمان قال :

دخلتُ يوماً على الفضــل بن الرَّبيع مُسلِّماً ، فقال لى : قد عزمتُ غداً على الصَّبُوح، فصِر إلىّ بُكْرةً؛ فكنت أنا والصبحُ كفرَسَىْ رِهان؛ فلما أصبحتُ فى غد جعلتُ طريقى على إسحاق بن إبراهيم فدخلت إليــه ، فلمــا جلستُ قال لى : أقِمِ اليومَ عندى؛ فعرّفته خبرى؛ فقال :

أقِم يا أبا العوّام ويحك نشربِ * ونلْهُ مع اللاهين يومًا ونطربِ
إذا ما رأيتَ اليومَ قد جاء خيرُه * فخذه بشكرٍ واترُكِ الفضل يغضبِ

فقلت : إنى لا آمَنُ غضبَه ، وأنا بين يديك ؛ فقال لى : أنت تعلم أن صَبوح الفضل أبدًا فى وقت غَبُوق الناس ، فأقِمْ وارْفُقْ بنفسك ثم آمضِ إليه ؛ فأجبته إلى ذلك ؛ فلمّا شربنا طاب لى الموضع ، فأقمتُ حتى سَكِرتُ . وذكر باقىَ الخبر نحوًا ممّا ذكر إسحاق . انتهى .

كان المغنون يجتهدون ويطمعون فى غلبه فاذا غنى هو بذهم

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى محمد بن المكّىّ المُرْتَجِل قال: قلت لزُرْزُورٍ الكبير : كيف كان إسحاق يَنْفُق[1] على الخلفاء معكم وأنت وإبراهيمُ بن المهدىّ ومُخارِقٌ أطيبُ أصواتًا وأحسنُ نغمةً ؟ قال : كنّا والله يا بنىّ نحضُر معه فنجتهد فى الغناء ونُقيم الوَهَج[2] فيه ويُقبل علينا الخلفاء، حتى نطمعَ فيه ونظنّ أنا قد غلبْناه ، فإذا غنّى عمِل فى غنائه أشياء من مُدَاراته[3] وحِذْقه ولُطفه حتى يُسقطنا كلّنا ويُقبِلَ عليه الخليفةُ دوننا ويُجيزَه دوننا ويُصغىَ إليه ، ونرى أنفسنا اضطرارًا دونه .

هو أول من أحدث التخنيث فى الغناء ليوافق صوته

حدّثنا جَحْظة قال حدّثنى محمد بن أحمد المكّىّ قال حدّثنى أبى قال : كان المغنّون يجتمعون مع إسحاق وكلُّهم أحسن صوتًا منه ، ولم يكن فيه عيبٌ إلا صوتَه فيطمعون فيه ؛ فلا يزال بلُطفه وحِذْقه ومعرفته حتى يغلِبَهم ويبُذَّهم[4] جميعًا ويفضُلَهم ويتقدّمَهم . قال : وهو أوّلُ من أحدث التخنيثَ ليوافق صوتَه ويشاكلَه ،

(١) نفق الشىء : راج ورغب فيه . ولعله هنا مضمن معنى «يغلب» لكى تصح تعديته بـ «على» .
(٢) كذا فى أكثر الأصول . والوهج : التوقد ، ولعله هنا كناية عن اضطرام الأمر وحدته فيا هم فيه من شأن الغناء . وفى حـ : «الرهج» بالراء ، وهو الغبار أو ما أثير منه . (٣) داريت الظبى مداراة : احتلت له وختلته حتى أصيده . ولعله يريد أن إسحاق يحتال للانغام حتى يؤلف بينها ويأتى فى ذلك بما يعجزعنه غيره . (٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «وينبذهم» .

فجاء معه عجبًا من العَجَب، وكان فى حَلْقه نبوٌّ عن الوتر. أخبرنى يحيى بن علىّ قال أخبرنا أبو العَبَيْس[1] بن حَمْدون: أنّ إسحاق أوّل من جاء بالتخنيث فى الغناء ولم يكن يُعرف، وإنما آحتال بحذقه لمُنافرة حَلْقه الوتر، حتى صار يُجيبه ببعض التخنيث فيكون أحسنَ له فى السمع.

كان المغنون يتهاونون فى غيبته فاذا حضر جدّوا

أخبرنا جَحْظة قال حدّثنى الهِشامىّ عن أبيه قال:

٨٠ / ٥ كان المغنّون إذا حضروا وليس إسحاقُ معهم غنَّوْا هُوَيْنَى وهم غير مفكِّرين؛ فإذا حضر إسحاق لم يكن إلّا الجِدّ.

قصته مع جعفر بن يحيى ونافذ حاجبه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ قال:

قال لى أبى وقد آنصرف من دار الرشيد: رأيتُ الأمير جعفر بن يحيى يَستبطِئك ويقول: لستُ أراه ولا يَغشانى؛ فقلت: إنى لآتيه كثيرا فأُحْجَب عنه ويصرفنى نافذٌ حاجبُه ويقول: هو على شُغْل؛ قال: فبلَّغه أبى ذلك، فقال له: قل له: أَنِكْه أُمَّه إذا فعل؛ فأقمتُ أيّاما ثم كتبتُ إليه:

جُعلتُ فداءكَ من كل سوءٍ * إلى حُسْن رأيك أشكو أُناسَا
يَحُولون بينى وبين السلام * فلستُ أُسلِّمُ إلّا آختلاسا
وأنفذتَ أمرك فى نافذ * فما زاده ذاك إلّا شِماسا[2]

وقد أخبرنى الخبرَ محمدُ بن مَزْيَد عن حمّاد عن أبيه، فذكَرَ مثلَه وقال: كان خادمٌ يحجُبه يقال له: نافذ، فقال: إذا حجبك فَنِكْه؛ فلما كتبتُ إليه بهذه الأبيات بعث فأحضرنى؛ فلما دخلتُ إليه أحضر نافذًا وقرأ الأبيات عليه، وقال لى: أفعلتَها

---

(١) فى ب، س، حـ: «أبو العنبس» بالنون والباء الموحدة. (انظر الحاشية رقم ٤ ص ٩٦ ج ١ أغانى من هذه الطبعة).
(٢) شماسا: عنادا.

يا عدوّ الله! فغضب نافذٌ حتى كاد يبكى، وجعل جعفرٌ يضحك ويصفّق؛ ثم ما عاد بعد ذلك يتعرّض لى .

غضب المأمون عليه وشك أبى الفرج فى ذلك

حدّثنى الحسين[(1)] بن أبى طالب قال حدّثنى عبيد الله بن المأمون، وأخبرنا اليزيدىّ عن عمّه عُبيد الله عن أبيه قال :

غضب المأمونُ على إسحاق بن إبراهيم، ثم كُلِّم فيه فرَضِى عنه ودَعا به؛ فلمّا وقف بين يديه اعتذر وقبّل الأرضَ بين يديه واستقاله[(2)]؛ فأجابه المأمونُ جوابًا جميلا، ثم قال له فى أثناء كلامه :

فلا أنتَ أعتبتَ من زَلّة * ولا أنتَ بالغتَ فى المَعْذِرهْ

ولا أنتَ وَلِيتَنِى أمرَها * فأغفِرَ ذنبك عن مَقْدِرهْ

هكذا فى الخبر، وأظنّه إسحاق بن إبراهيم الطاهرىّ لا الموصلىّ .

أنشد أبا الأشعث الأعرابىّ شعرا له فأعجب به

أخبرنا الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الحسينُ بن أبى طالب قال حدّثنى إسحاقُ قال :

أنشدتُ أبا الأشعث الأعرابىّ شعرًا لى، فقال : والذى أصوم له مخافتَه ورجاءَه، إنك لمن طِرازٍ ما رأيت بالعراق شيئا منه، ولو كان شبابٌ يُشترى لاشتريتُه لك ولو بإحدى يدىّ، وإنّ فى كِبَرك لَمَا زان الجليسَ وسرّه .

حديث له مع زهراء الكلابية

أخبرنا الحَرَمىّ قال حدّثنا الدِّينارىّ قال حدّثنا إسحاق قال :

قالت لى زَهْراءُ الكِلابيّة : ما فعل عبدُ الله بن خُرْداذْبه؟ فقلتُ : مات؛ فقالت : غيرَ ذميم ولا لئيم، غفر اللهُ لصَداه[(3)]، لقد كان يُحبّك ويُعجبه ما سرّك . قال : فقلتُ لزَهْراء : حدّثينى عن قول الشاعر :

(1) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «الحسن» . (راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣١٩ من هذا الجزء) .
(2) استقاله : طلب منه أن يقيله . (3) الصدى : جسد الإنسان بعد موته .

أحبك أن أخبرت أنك فاركٌ[(١)] * لزوجك إنى مُولَعٌ بالفوارك

ما أعجبه من بغضها لزوجها؟ فقالت : عرّفته أن فى نفسها فضلةً من جمال وتمنّعًا بأنفها وأُبَهةً، فأعجبته .

غنى المعتصم وهو لقس النفس فأطربه فأجازه

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حُدِّثْتُ عن غير واحد :

أنّ إسحاق الموصلىّ دخل على المعتصم يومًا من الأيّام فرآه لقِسَ النّفْس[(٢)] ، فقال له : أمَا ترى يا أمير المؤمنين طِيبَ هذا اليوم وحُسْنَه ! ؛ فقال المعتصمُ : ما يدعونى حسْنُه الى شىءٍ مما تريد ولا أنشَطُ له ؛ فقال : يا أمير المؤمنين، إنه يومُ أكلٍ وشُربٍ ؛ فاشرب حتى أُنشِطَك ؛ قال : أوَ تفعل ؟ قال : نعم ؛ قال : ياغِلْمان ، قدِّموا الطعامَ والشرابَ ومُدُّوا الستارةَ، وأحضِروا الندماءَ والمغنّين؛ فأُتِى بالطعام فأكل وبالشرابِ فشرب وحضر الندماءُ والمغنّون؛ فغنّاه إسحاق :

٨١ / ٥

صـــوت

سُقِيتَ الغيثَ ياقصرَ السلامِ * فنِعْمَ محَلّةُ المَلِك الهُمَامِ

لقد نَشَر الإلهُ عليك نُورًا * وخصّك بالسّلامة والسلام

ـــ الشعرُ والغناءُ لإبراهيم الموصلىّ رَمَلٌ بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر حَبَش أنّ فيه للزُّبير بن دَحْمان لحنًا من الرَّمَل بالوسطى ـــ قال : فطرِب المعتصمُ وشرب شربًا كثيرا، ولم يبقَ أحدٌ بحضرته إلّا وصَلَه وخلَع عليه وحمَله ؛ وفَضَل إسحاق فى ذلك أجمع .

(١) الفارك من النساء : التى تبغض زوجها.

(٢) فى ب ، س : « لقيس النفس » بالياء بعد القاف ، وهو تحريف .

أول جائزة نالها من الرشيد ألف دينار

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثنا ابن أبى سعد قال حدّثنا علىّ بن الصبّاح عن إسحاق قال :

أوّلُ جائزة أخذتُها من الرشيد ألفُ دينــار فى أوّل يوم دخلتُ إليــه فغنّيتُه :

* عَلِق القلبُ بِزَوْعا[(١)] *

فاستحسنه واستعاده ثلاثَ مرّات وشرب عليه ثلاثةَ أرطالٍ وأمر لى بألف دينار، فكان أوّلَ جائزةٍ أجازَنيها .

أبى القدح من يد غلام قبيح الوجه وقال شعرا فجىء له بوصيفة

أخبرنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق قال :

كان أبى ذاتَ يوم عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب، فلمــا جلسوا للشراب جعل الغِلْمانُ يَسـقُون مَنْ حضَر، وجاء غلامٌ قبيحُ الوجه إلى أبى بقَدَحٍ نبيذٍ فـلم يأخذه، ورآه إسحاق فقال له : لِمَ لا تشرب ؟ فكتب إليه أبى :

اِصْبَحْ نديمَك أقــداحًا يُسَلْسِلُها * من الشَّـمُول[(٢)] وأتبِـعْها بأقــداحِ
من كفّ رِيمٍ مَليحِ الدَّلِّ رِيقتُــه * بعــد الهُجُوع كِمِسْــكٍ أو كتُفّاحِ
لا أشربُ الرّاحَ إلا من يدىْ رَشَإٍ * تقبيــلُ راحتِــه أشهى من الرّاحِ

فضحك وقال : صــدَقتَ والله، ثم دعا بوصيفةٍ كأنها صورةٌ، تامّةُ الحسن لطيفةُ الخَصْر فى زِىّ غُلام عليها أقْبِيَةٌ[(٣)] ومِنْطَقةٌ، فقال لها : تولَّىْ سَقْىَ أبى محمد، فما زالت تَسقيه حتى سكِر، ثم أمر بتوجيهها وكلِّ مالَها فى داره إليه، فحُمِلتْ معه .

كانت بينه وبين زهراء الكلابية مودة فكتبت اليه شعرا فرد عليها

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبدُ الله بن أبى سعــد قال حدّثنى علىّ بن الصَّبّاح قال :

---

(١) زوع : من أسماء النساء . (٢) الشمول : الخمر . (٣) الأقبية : (جمع قباء بالفتح) وهو ثوب يلبس فوق الثياب، وقيل : ثوب يلبس فوق القميص و يتمنطق عليه .

كانت امرأةٌ من بنى كِلاب يقال لها زَهْراء تحدّث إسحاق وتُناشدُه، وكانت تَميل إليه، وتَكْنِى عنه فى عشيرتها إذا ذكَرَتْه بجُمْل؛ قال: فحدّثنى إسحاقُ أنها كتبتْ إليه وقد غابت عنه تقول:

وَجْدِى بجُمْلٍ على أنّى أُجَمْجِمُه[1] * وجدُ السَّقيمِ ببُرءٍ بعد إدْنافِ
أو وجدُ ثَكْلَى أصاب الموتُ واحدَها * أو وجدُ مُغتربٍ من بين أُلّافِ

قال: فأجبتُها:

أقرِ السلامَ على الزَّهْراء إذ شَحَطَتْ * وقُلْ لها قد أذقْتِ القلبَ ما خافا
أمَا رَثَيْتِ لمن خلّفتِ مُكتئبًا * يُذْرِى مدامعَه سحًّا وتَوْكافا[2]
فما وَجَدْتُ على إلفٍ أُفارِقُه * وجْدِى عليكِ وقد فارقتُ أُلّافا

أخبرنى عمّى قال حدّثنى عبدُ الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك قال أنشدنى إسحاقُ لنفسه: (٨٢/٥)

أنشد محمد بن عبد الله بن مالك شعرا فسأله عن قصته فلم يخبره

سقَى اللهُ يوم الماوَشانِ[3] ومجلسًا * به كان أحلَى عندنا من جنَى النَّحلِ
غداةَ اجتنينا اللهوَ غضًّا ولم نُبَلْ[4] * حِجابَ أبى نصر ولا غَضْبةَ الفضلِ
غَدَوْنا صِحاحا ثم رُحْنا كأنّنا * أطاف بنا شرٌّ شديدٌ من الخَبْلِ

فسألتُه أن يكتبها ففعل؛ فقلت له: ما حديث الماوَشان؟ فضحك وقال: لو لم أكتُبك الأبياتَ لما سألتَ عما لا يَعنيك؛ ولم يخبرنى.

---

(١) أجمجمه: أكتمه وأخفيه. (٢) يقال: وكف الدمع توكافا، إذا سال وقطر قليلا قليلا. (٣) كذا فى حـ ومعجم البلدان لياقوت، وهو ناحية وقرى، فى واد فى سفح جبل أروند من همذان، وهو موضع نزه فرح. وفى سائر الأصول «الماوسان» بالسين المهملة، وهو تصحيف. (٤) لم نبل: أصله نبالى، حذف حرف العلة للجازم ثم سكنت اللام للتخفيف، كما حذفت النون فى «لم يك» بعد تسكينها، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين.

كان ابن الأعرابى يعجب بـه ويستحسن شـعراله

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا آبن مَهْرويه قال حدّثنى أحمد بن الحارث وأبو مسلم عن آبن الأعرابىّ :

أنه كان يَصِف إسحاق الموصلىّ ويُقرّظه ويُثْنى عليه ويذكر أدبَه وحِفْظَه وعلمَه وصدقَه، ويَستحسن قولَه :

صــــوت

هل إلى أن تنامَ عيـنى سبيلُ * إنّ عهدى بالنوم عهـدٌ طويلُ

غاب عنّى من لا أُسمّى فعيـنى * كلَّ يوم وجْدًا عليــه تَسيل

— الشـعرُ والغناءُ لإسحاق رَمَلٌ بالوُسْـطى — قال : وكان إسحاقُ إذا غنّاه تَفيض دموعُه على لحيته ويبكى أحرَّ بكاء . وأخبرنا به يحيى بن علىّ عن أبيه عن إسحاق . وحديثُ موسى عن حمّـاد أتمُّ، واللفظُ له .

أوّل صـوت وآخر صوت صنعه

أخبرنى الصُّولىّ والحسن بن علىّ قالا حدّثنا محمـد بن موسى عن حمّـاد بن إسحاق قال :

أوّلُ صوت صنعه أبى :

إنى لأَكْني بأجبالٍ عَنَ آجبُلِها * وبآسم أَوْدِيـةٍ عن اسم وادِيها

وآخر صوت صنعه مختاراً :

قِفْ نُحَيِّ المَغَانيَا * والطُّلولَ البواليَـا

ثم قطع الصنعةَ حتى أمره الواثقُ بأن يعارضَ صنعته فى :

* لقد بَخِلتْ حتى لَوَ آنّى سألتُها *

اتهمه المغنون بانتحال غناء أبيه بعد وفاته فامتحنه الرشيد ثم أذعنوا

قال حمّـاد وحدّثنى أبى قال :

كان المغنّون يَحسُدوننى مُذ كنتُ غلاما، فلمّا مات أبى صنعتُ هذا الصوتَ، فهو أوّل صوت صنعتُه بعد وفاته، وهو :

أمِنْ آلِ ليلَى عَرَفتَ الطّلولا * بذى حُرُضٍ ماثلاتٍ مُثُولَا (١)

فقالوا للرشيد : هذا من صنعة أبيه فقد ٱنتحله ؛ فقال لى الرشيدُ فى ذلك ؛ فقلتُ : هــذا ومائةٌ بعده خيرٌ منه لم ؛ فقال : اصنع فى شعر الأخطل :

أعاذِلَتىَّ اليــومَ وَيْحكما مَهْــلَا * وكُفّا الأذَى عنّى ولا تُكثِرا العَذْلَا

فصنعتُ فيه كما أمرنى ؛ فلمّا سمعوا بذلك وما جاء بعده أَذْعنوا ، وزال عن قلب الرشيد ما كان ظنّه بى . وقد ذكر غيرُ حمّاد أنّ اللحن الذى ٱختبره به الرشيدُ قولُه :

كنت صبًّا وقلبيَ اليومَ سالٍ * عن حبيبٍ يُسىء فى كل حال

وذكر أنّ الفضل بن الرّبيع قال الشعرَ فى ذلك الوقت ودفعه إليه وأمره الرشيدُ أن يصنع فيه ففعل . وأخبرنى بذلك محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق ، وأخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد قال :

٨٣ / ٥ أوّلُ ما سمعه الرشيد من غناء أبى :

ألم تسألْ فتُخبرَك المَغَــانى * وكيف وهنّ مُذْحِجَجٍ ثمانى

بَرِئتُ من المنازل غيرَ شوق * إلى الدار التى بلِوَى أبانِ

ديارٌ للّتى لَجْــلَجْتُ فيهــا * ولو أعربتُ لجّ بهــا لسانى

فكادَ يَظَلّ للعينين غَرْبٌ * برَبْعَىْ دِمنــةٍ لا يَنْطِقــان

قال : فحدّثنى أبى أن المغنّين قالوا للرشيد : هذا من صنعة أبيه ٱنتحله بعد وفاته ؛ فقلت له : أنا أَدَعُ لهم هذا ومائةَ صوتٍ بعده ؛ ثم نظروا إلى ماجاء بعد ذلك فأَذْعنوا .

---

(١) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٢٩٠ من هذا الجزء .

نسبة ما فى هذه الأخبار من الغناء

صــــوت

قِفْ نُحَيِّ المَغَانِيَـا * والطُّـلولَ البَوالِيَـا
وعلى أهلِهـا فنُـحْ * وابْكِ إن كنتَ باكيا

الشعر لابن ياسين . والغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

صــــوت

أمِن آلِ ليلى عرفْتَ الطُّلولَا * بذى حُرُضٍ ماثِلاتٍ مُثولَا
بَلِينَ وتحسَبُ آياتِهِنَّ * عن فَرْطِ حولَيْن رَقًّا مُحيلا

الشعر لكعب بن زُهَير (١) . والغناءُ لإسحاق ثانى ثقيلٍ بالبنصر .

صــــوت

أعاذِلتيَّ اليـومَ وَيْحكما مَهْـلَا * وكُفَّا الأذى عنّى ولا تُكْثِرا العَذْلا
دعانى تَجُـدْ كفّى بمـالى فإنّنى * سأُصبح لا أَسْطِيع جُودا ولا بُخْلا
إذا وضعوا فوق الصَّفيح (٢) جنادِلًا * علىّ وخلَّفْتُ المَطِيَّـةَ والرَّحْلا
فـلا أنا مجتـازٌ إذا ما نزلتُـه * ولا أنا لاقٍ ما ثَوَيْتُ به أهـلا

الشعر للأخطل، والغناء لإسحاق، ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

صــــوت

إنّى لأَكْنِي بأجبال عَنَ اَجْبلِها * وبآسم أوديةٍ عن اسم واديها
عَمْدًا ليَحْسَبها الواشون غانيـةً * أخرى وتحسَبَ (٣) أنّى لا أُباليها

---

(١) انظر الحاشية رقم ٤ ص ٢٩٠ من هذا الجزء. (٢) الصفيح : حجارة رقيقة عريضة يسقف بها القبر.
(٣) المعنى على نصب الفعل واضح ، وهو أنه يريد أن يعمى عليها كما عمى على الواشين فيجعلها تحسب أنه لا يباليها . ولا يبعد أن يرفع الفعل على أن يكون المعنى أنه ينسبها إلى الخطأ فى هذا الظن وينكره عليها .

ولا يُغيِّر وُدّى أن أهاجرَها * ولا فراقُ نَوًى فى الدار أنْويها

وللقَلُوص ولِى منها إذا بَعُدتْ * بوارحُ الشّوق تُنْضِينى وأُنْضِيها

الشعر لأعرابىّ، والغناء لإسحاق هَزَجٌ بالبِنصر.

حديثه مع الواثق بشأن الأهزاج من الأغانى

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى أبو عبد الله أحمد بن حَمْدون قال:

قال إسحاق للواثق يومًا: الأهزاج من أَمْلح الغناء؛ فقال الواثق: أمّا إذا كانت مثلَ صوتك:

إنّى لأَكْنى بأَجْبال عن أَجْبُلها * وبِاسْم أوديةٍ عن اسم واديها

فهى كذلك.

غنى لطلحة بن طاهر مرارا وأخذ جوائزه

قال أحمد بن أبى طاهر حدّثنى أحمد بن يحيى الرازىّ عن محمد بن المُثنّى عن الحجّاج بن قُتَيبة بن مُسْلم قال:

٨٤/٥

قال إسحاق: بعث إلىّ طَلْحةُ بن طاهر وقد انصرف من وقعة للشُّراة(1) وقد أصابته ضربة فى وجهه؛ فقال لى الغلام: أجِبْ؛ فقلت: وما يعمل؟ قال: يشرب؛ فمضيت إليه فإذا هو جالسٌ قد عصب ضربتَه وتَقَلْنَس بقَلَنْسُوة؛ فقلت له: سبحانَ الله أيها الأمير! ما حملك على لُبْس هذا؟ قال: التبرّم بغيره، ثم قال: غنّ:

* إنّى لأَكْنى بأَجْبال عن أَجْبُلها *

قال: فغنّيتُه إياه، فقال: أحسنتَ والله! أَعِدْ! فأعدتُ وهو يشرب حتى صلّى العَتَمة وأنا أُغنّيه؛ فأقبل على خادم له بالحَضْرة وقال له: كم عندك؟ قال: مقدارُ سبعين ألفَ درهم؛ قال: تُحْمَل معه. فلمّا خرجتُ من عنده تبِعنى جماعةٌ من الغِلْمان يسألونى، فوزّعتُ المال بينهم؛ فرُفِع الخبر إليه فأغضبه ولم يوجّه إلىّ ثلاثا؛ فجلست ليلا وتناولت الدّواة والقِرْطاس فقلت:

(1) الشراة: الخوارج.

علّمنى جُـودُك السّماحَ فما * أبقيتُ شيئاً لدىّ من صِلَتِكْ

لم أُبقِ شـيئاً إلا سمحتُ به * كأنّ لى قُـدرةً كقـدرتك

تُتلِف فى اليوم بالهبات وفى السّـاعة ما تجتنيـه فى سَـنَتك

فلستُ أدرى من أين تُنفق لو * لا أنّ ربّى يَجزِى على صِلَتك

فلما كان فى اليوم الرابع بعث إلىّ ، فصِرتُ إليه ودخلت عليه فسلّمت ؛ فرفع بصرَه إلىّ وقال : اسقُوه رطلا فسُقِيتُه، وأمر لى بآخَر وآخر فشربتُ ثلاثا، ثم قال لى : غنّ :

* إنى لأكْنى بأجبال عن أجبلها *

فغنّيتُه ثم أتبعتُه بالأبيات التى قلتها ، وقد كنتُ غنّيتُ فيها لحنا فى طريقة الصوت ؛ فقال : ادْنُ فدنوت ، وقال : اجلس فجلست ، فآستعاد الصوتَ الذى صنعتُه فأعدتُه . فلما فهِمه وعرَف معنى الشعر قال لخادم له : أحضِرنى فلانا فأحضره ؛ فقال : كم قِبَلَك من مال الضّياع ؟ قال : ثمانُمائة ألف درهم ؛ فقال : احضُرْ بها الساعةَ ؛ فجيء بثمانين بَدْرة ؛ فقال للخادم : جئنى بثمانين غلاماً مملوكا ، فأُحضِروا ؛ فقال : احملوا هـذا المـال ؛ ثم قال : يا أبا محمد ، خذ المـال والممـاليك حتى لا تحتاج أن تُعطى لأحد منهم شيئا .

مهاجاته محمد بن راشد وما كان بينهما

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الحسين بن محمد بن طالب قال :

كان إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ كثيرَ الغِشْيان لإسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب والحضورِ لسَمَره ، وكان إسحاق بن إبراهيم يرى ذلك له ويُسْنِى جوائزَه ويُواتِر[1] صِلاتِه ويشاوره فى بعض أموره ويسمع منه ؛ فأُصيب إسحاقُ ببصره قبل موته بسنتين ،

(١) يواتر : يتابع .

فترك زيارةَ إسحاقَ وغيرِه ممن كان يغشاهم ولزِم بيتَه . وخرج إسحاق يومًا إلى بستان له بباب قُطْرُبُّل وخرج معه ندماؤه وفيهم موسى بن صالح بن شَيْخ(1) بن عَمِيرة ومحمد ابن راشد الخنّاق والحَرّانى؛ فجرى ذكرُ إسحاقَ الموصلىّ، فتوجّع له إسحاق وذكر أُنسه(2) به وتمنّى حضورَه، وذكر[ه] القومُ فأطْنبوا فى نشر محاسنه وشيّعوا ما ذكره به إسحاقُ بما حَسُن موقعُه لهم عنده؛ وذكره محمد بن راشد ذكرا لم يحمَده أصحابه عليه، وزجره إسحاق، فأمسك عنه؛ فلما آنصرفوا من مجلسهم نُمِى إلى إسحاق الموصلىّ ما كان فيه القوم فى يومهم وما جرى من ذكره؛ فكتب إلى موسى بن صالح :

[85 / 5]

أَلا قُلْ لموسَى الخيرِ موسى بنِ صالحٍ * ومَنْ هو دون الخَلْق إلْفِى وخُلْصَانى(3)

ومَنْ لو سألتَ الناس عنه لأجمعوا * على أنه أفتى(4) مَعَدٍّ وقَحْطانِ

لَعَمْرِى لئن كان الأميرُ تمنّانى * بمجلس لذّاتٍ ونُزْهةِ بُستانِ

لقد زادنى ما كان منه صَبابةً * وجدّدَ لى شوقًا إليه وأبكانى

وما زال ممتنًّا علىّ يخُصّنى * بما لستُ أُحصى من أيادٍ وإحسانِ

هو السيّد القَرْم الذى ما يُرَى له * من النّاس إن حصّلته أبدًا ثانى

نَمَتْه رَوابى مُصْعَب وبَنَى له * كريمُ المساعى فى أُرومته بانى

يَعِزّ علىّ أن تفوزوا بقربه * ولستُ إليه بالقريب ولا الدّانى

فياليتَ شعرى هل أُرُوحَنّ مَرّةً * إليه فيلقانى كما كان يلقانى

---

(1) كذا فى ى . وفى حـ ، م : «شيخ عميرة» . وفى أ ، ب ، سـ : «سنح بن عميرة» بالسين والنون والحاء المهملة ، وكلاهما تحريف . (راجع الطبرى فى اسمى موسى بن صالح بن شيخ وعميرة أبى شيخ بن عميرة الأسدى قسم ٣ ص ١٦٤١ ، ٩٣٥) . (2) فى جميع الأصول : «وذكر أنسه كان به» . وظاهر أن كلمة «كان» هنا مقحمة . (3) الخلصان : الخالص من الأخدان ، يستوى فيه الواحد والجمع ، يقال : هم خلصانى ، وهو خلصانى . (4) أفتى : أفعل تفضيل من الفتوة وهى الكرم والمروءة .

وهل أرَيَنْ يومًا غضارة مُلكه * وسلطانه لا زال فى عزّ سلطان
وهل أسمَعَن ذاك المُزاحَ الذى به * إذا جئتُــه سلَيتُ همّى وأحزانى
إذا قال لى "يا مَرْدَ مَىْ خَرْ" وكَرّها * علىّ وكنّانى مُزاحًا(١) بصَفوان

(هذا كلام بالفارسية تفسيره : يا رجل آشرب النبيذ)

فيالكَ من مَلْهًى أنيقٍ ومجلسٍ * كريمٍ ومن مَزحٍ كثيرٍ بالوانِ
وهل يَغمِزَنْ بى ذو الهَنَاتِ ابنُ راشد * وذاك الكريمُ الجدِّ من آل حَرّان
وهل أرَيَنْ موسى الكريمَ آبنَ صالح * يُنازعنى صوتًا إذا هو غنّانى

(يريد الغناء فى :

فلم أرَ كالتجميرِ مَنظَرَ ناظرٍ * ولا كليالى النَّفْرِ أفتَنَّ ذا هوى)

إذا صاح بالتجميرِ ثم أعاده * بتحقيق إعراب صحيح وتِبْيانِ
أولئك إخوانى الذين أُحبّهم * وأُوثرهم بالودّ من بين إخوانى
وما منهمُ إلّا كريمٌ مهذّبٌ * حبيبٌ إلى إخوانه غيرُ خَوّانِ

فأجابه محمد بن راشد :

بعثتَ بشعرٍ فيه أنّ رسالةً * أتتك لموسى عن جماعة إخوانِ
بشوقٍ وذِكرٍ للجميل ولم يكن * لموسى لعَمرى فى سَلامته ثانى
ولكن نَطَقْنا بالذى أنت أهلُه * وما تستحق من صديقٍ ونَدْمان
وموسى كريمٌ لم يُحِطْ بك خُبْرُه(٢) * تَخَبَّرْ نَدامَى قد بلَوْكَ وإخوانِ
ولو قد بلاكَ قال فيك كقول مَنْ * فسَدْتَ عليه من خليل وخُلْصان
ولم يَعْرُه شوقٌ إليك ولم يجِدْ * لِفَقْدِك مَسًّا عند نُزهة بستان

(١) فى حـ : «مرارا» . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «خبرة» .

حَمِدتَ النَّدامى كلَّهم غيرَ إنسانِ (١) * أَلَا إنما يَجْني على نفسه الجاني
فلا تَعتِبِ الإخوانَ من بعدها فما (٢) * تَنَقُّصُ إخوانِ المودّة من شاني

قال : فأجابه إسحاق :

عجِبتُ لمخذولٍ تعرّض جانبًا (٣) * لِلَيثٍ أبي شِبْلَينِ من أُسْدِ خَفّانِ (٤)
أتانا بشعرٍ قاله مثلِ وجهه * تَزَخْرَفَ فيه واستعان بأعوانِ ٨٦/٥
بجاءَ بألفاظٍ ضِعافٍ سخيفةٍ * ومَضّغها تمضيغَ أهوجَ سكرانِ
دَعُوا الشعرَ للشيخ الذى تعرفونه * وإلّا وُسِمتم أو رُميتم بشُهبانِ
فإنكمُ والشعرَ إذ تدّعونه * كمُعتسِفٍ فى ظلمة الليل حَيرانِ
صَهٍ لا تعودوا للجواب فإنما * ترومون صَعْبًا من شماريخ ثَهلانِ (٥)
أنا الأسدُ الوَرْدُ (٦) الذى لا يَفُلُّه * تظاهُرُ أعداءٍ عليه وأقرانِ
ومن قد أردتم جاهدين سِقاطَه * فأعياكُمُ فى كلّ سرٍّ وإعلانِ
لَعَمْرى لئن قلتم بما أنا أهلُه * ليستنفدنّ (٧) القولَ تعظيمُكم شاني
وجَحْدُكُمُ إيّايَ ما تعلمونه * وإقرارُكم عندى بذلك سِيّانِ
ألا يزجُرُ الجُهّالَ عنّا أميرُنا * وموسى وذاك الشيخُ من آل حَرّانِ
ولا سيّما مَنْ بانَ للناس شرُّه * فما يتمارى فى مذاهبه آثنانِ

ذكر فى مجلس محمد ابن عمر الجرجاني فأثنى عليه

حدّثنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنى يعقوب بن إسرائيل قَرْقارَةُ قال :

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س . « أنسه » . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « فا » . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « جانبا » بالباء الموحدة ، وهو تصحيف . (٤) خفان (بفتح أوله وتشديد ثانيه) : موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحيانا وهو مأسدة . (٥) الشماريخ : رءوس الجبال وأعاليها . وثهلان : جبل باليمن ، وقيل : بالعالية . (٦) الورد : الجرىء . (٧) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « لايستبعدن القول » ، وهو تحريف .

قال لى محمد بن عمر الجُرْجانىّ وقد تذاكرنا إسحاقَ يومًا بحضرته : ما تذكرون من إسحاق شيئًا تقاربون به وصفَه . كان والله إسحاق غُرَّةً فى زمانه ، وواحدًا فى دهره علمًا وفقهًا وأدبًا ووَقارًا ووفاءً وجودةَ رأى وصحّةَ مودّة . كان والله يُخرِس الناطقَ إذا نطق، ويُحيِّر السامعَ إذا تحدّث، لايَملّ جليسُه مجلسَه ، ولا تَمُجّ الآذانُ حديثَه ، ولا تنبو النفوسُ عن مُطاولته . إن حدّثك ألهاك ، وإن ناظرك أفادك، وإن غنّاك أطربك . وما كنتَ ترى خَصْلةً من الأدب ولا جنسا من العلم يتكلم فيه إسحاقُ فيُقدِم أحدٌ على مُساجلته ومباراته .

أمره المأمون أن يغنى فى شعر رآه مكتوبا فى بساط فأعجبه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبىّ قال حدّثنى أحمد ابن يحيى المكىّ قال :

أمر المأمون يومًا بالفَرْش الصَّيْفىّ أن يُخرَج، فأُخرج فيما أخرج منه بساطٌ طَبَرِىّ أو أَصْبَهْبُذانىّ (١)، مكتوب فى حواشيه :

صـــوت

لُجّ بالعين واكْفُ * مِن هَوًى لا يُساعِفُ
كلّمـا جَفّ دمعُه * هيّجتْـه المعـازِفُ
إنـما الموتُ أن تفا * رقَ مَنْ أنت آلِفُ
لك حُبّـان فى الفؤا * د تليـدٌ وطارِفُ

قال : فاستحسن المأمون هـذه الأبيات ، وبعث إلى إسحاق فأحضره وأمره أن يصنع فيها لحنا ويُعجِّل به ، فصنع فيها الهَزَج الذى يُغَنَّى به اليومَ . قال أحمد :

(١) أصبهذان : مدينة فى بلاد الديلم ، بينها وبين البحر ميلان .

وسمعها أبى منه فقال : لو كان هـذا الهَزَج[1] لحَكَم الوادى لكان قد أحسن . يريد أنّ حكمًا كان صاحبَ الأهزاج .

أعجب يحيى المكى بصنعة له ومدحه وكذلك الواثق

أخبرنى الحسن قال حدّثنى يزيد بن محمد قال حدّثنى ٱبن المكىّ قال : تذاكرنا يومًا عند أبى صنعةَ إسحاق، وقد كنّا بالأمس عند المأمون فغنّاه إسحاقُ لحنًا صنعه فى شعر ٱبن ياسين :

صـــــوت

٨٧ / ٥

الطُّلول الدَّوارِسُ * فارقتْها الأَوانسُ
أَوْحشت بعد أهلها * فهى قَفْـرٌ بَسَابِسُ[2]

— الغناء لإسحاقَ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر — قال : فقال أبى : لو لم يكن من بدائع إسحاقَ غيرُ هذا لكفى، " الطلول الدوارس " كلمتان، و" فارقتها الأوانس " كلمتان، وقد غنّى فيهـما ٱستهلالاً و بسيطا وصاح وسَجَح ورجّع النغمةَ وٱستوفى ذلك كلّه فى أربع كلمات وأتى بالباقى مثله؛ فمن شاء فليفعل مثلَ هذا أو ليقاربْه . ثم قال: إسحاقُ[3] والله فى زماننـا فوق ٱبن سُرَيْج والغَـرِيض ومَعْبَـد، ولو عاشوا حتى يَرَوْه لعرَفوا فضـلَه وٱعترفوا له به . وأخبرنى عمّى عن يزيد بن محمـد المهلّبىّ : أنه كان عنـد الواثق فغنّته شجَا هذا الصوتَ؛ فقال الواثق مثلَ هذا القول . والمذكور أنّ ابن المكىّ قاله ؛ فلا أدرى أهذا وَهْمٌ من يزيد، أو ٱتّفق أن قال فيه الواثق كما قال يحيى، أو ٱتّفقت عليه قريحتاهما .

أعجب هو والزبير ابن دحمان بغناء خباز فلامه الزبير على ضنه بغنائه والخباز يتذلل

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى عن إسحاق قال :

(١) فى حـ : «معه» . (٢) البسابس : جمع بسبس وهو القفر .
(٣) فى الأصول : « ثم قال : إسحاق والله ما فى ... الخ » بزيادة « ما » . ولعلها مقحمة من الناسخ .

أرسل إلىّ الفضل بن الرَّبيع يومًا و إلى الزُّبَيْر بن دَحْمان، فوافق مجيئُنا شغلًا كان له ، فصِرْنا إلى بعض حُجَره، فنَعَستُ فنمتُ فإذا زُبير يحـرّكنى فٱنتبهتُ فإذا خَبّازٌ فى مطبخ الفضل يضرب بالشُّوبَق(١) يُغنّى :

صـــوت

بدير القائم الأقصى(٢) * غزالٌ شفّنى أحْوَى
بَرَى حبّى له جسمى * وما يدرى بما ألقَى
وأُخفِى حبّه جُهْدِى * ولا والله ما يَخْفَى

— الشعر والغناء لإسحاق خفيفُ ثقيل بالبنصر — قال : فقال لى الزُّبير : تَضَنّ بهذا وٱنظرْ من يبتذله ! ، فقلت : لا أضَنّ بغناء بعد هذا .

غنى للمأمون بأصوات له فأعجب بها فلما غناها هو لم يستحسنها منه ، وحوارد للغنين

حدّثنى عمّى قال حدّثنى أحمد بن الطيّب السَّرَخْسِىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى أحمد بن معاوية بن بكر قال قال لى صالح بن الرشيد :

كنّا أمس عند أمير المؤمنين المأمون وعنده جماعة من المغنّين ، فيهم إسحاق وعَلّويه ومُخارِق وعمرو بن بانة ؛ فغنّى مخارق فى الثقيل الأوّل :

صـــوت

أعاذلُ لا آلوكِ إلّا خَليقـتى * فلا تجعلى فوق لسانك مِبْرَدَا
ذَرِينى أكنْ للمالِ رَبًّا ولا يكن * لىَ المالُ رَبًّا تَحْمَدِى غِبَّه غدا

---

(١) الشوبق : خشبة الخباز ، والمشهور « الشوبك » بالكاف وفتح الشين .

(٢) دير القائم الأقصى : موضع على شاطئ الفرات من الجانب الغربى فى طريق الرقة من بغداد .

ذَرِينِى يكُنْ مالى لِعِرْضى وقايةً * يَقِ(١) المَالُ عِرْضِى قبلَ أن يتبدّدا
ألم تعلمى أنّى إذا الضيفُ نابنى * وعَزَّ القِرَى أَقْرِى السَّدِيفَ(٢) المُسَرْهَدَا

فقال له المأمون : لمن هذا اللحن ؟ قال : لهذا الهِزَبْرِ الجالس (يعنى إسحاق)؛ فقال المأمون لمخارق : قم فاقعد بين يدىّ وأعِدِ الصوت ؛ فقام فجلس بين يديه وأعاده فأجاده، وشرب المأمون عليه رطلا؛ ثم التفت إلى إسحاق فقال له : غنِّ هذا الصوت ؛ فغنّاه فلم يستحسنه كما آستحسنه من مخارق؛ ثم دار الدورُ إلى علّويه، فقال له : غنّ فغنّى فى الثقيل الأوّل أيضا :

صـــوت

٨٨ / ٥

أُرِيتُ اليومَ نارَكِ لم أُغَمِّضْ * بوَاقِصَةٍ(٣) ومَشْرَبُنا بَرُودُ(٤)
فلم أرَ مثلَ موقِدِها ولكن * لأيّة نظرةٍ زَهَرَ(٥) الوَقُودُ ١
فبِتُّ بليلةٍ لا نومَ فيها * أُكابدُها وأصحابى رُقودُ
كأنّ نجومَها رُبِطتْ بصَخْرٍ * وأَمْراسٍ(٦) تدور وتستريد(٧)

فقال له المأمون : لمن هذا الصوت؟ فقال: لهذا الجالس — وأشار إلى إسحاق — فقال لعلّويه : أعِدْه فأعاده، فشرِب عليه رطلا؛ ثم قال لإسحاق : غَنِّه فغنّاه ، فلم

(١) فى ب : « يفِ » بالفاء . وفى س : « بق » بالباء والقاف، وكلاهما تصحيف . ١
(٢) السديف : السنام وقيل : شحمه . والمسرهد : المقطع أو السمين . (٣) واقصة : منزل بطريق مكّة بعد القرعاء نحو مكّة، وقيل : العقبة لبنى شهاب من طيّ، و يقال لها : واقصة الحزون، وهى دون زبالة بمرحلتين . (انظر معجم البلدان لياقوت فى آسم واقصة) . (٤) البرود : البارد. (٥) زهر الوقود : أضاءت ناره . (٦) الأمراس : الحبال . (٧) كذا فى الأصول « تستزيد » بالزاى المعجمة . ولعلها «تستريد» بالراء المهملة . وتستريد : تذهب وتجىء؛ اذ الشاعر يريد أن يصف ليله ٢
بالطول حتى كأن نجومها ربطت بأمراس شدّت بصخر فهى تدور وترجع الى حيث كانت ولا تغور .

يطرَب له طَرَبَه لغلويه. فالتفت إلىّ إسحاق ثم قال لى: أيها الأمير، لولا أنه مجلسُ سرور وليس مجلسَ بحاج وجدال لأعلمتُه أنه طرب على خطأ، وأنّ الذى استحسنه إنما هو تزايدٌ(1) منهما يُفسد قسمةَ اللحن وتجزئتَه، وأنّ الصوت ما غنّيتُه لا ما زادا(2). ثم أقبل عليهما فقال: يامخنّثان(3)، قد علمتُ أنكما لم تُريدا بما فعلتماه مدحى ولا رفعتى، وأنا على مكافأتكما قادر؛ فضحك المأمون وقال له: ماكان ما رأيتَه من طَرَبى لهما إلّا استحساناً لأصواتهما لا تقديماً لهما ولا جهلاً بفضلك.

دخل على المعتصم وبين يديه صيد فغناه فطرب وأجازه

حدّثنى عمّى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعىّ قال حدّثنى إسحاق قال:

دخلتُ يوما على المعتصم وقد رجع من الصيد وبين يديه ظباء مذبّحة وطيرُ ماء وغير ذلك من الصيد وهو يشرب؛ فأمرنى بالجلوس والغناء؛ فجلستُ وغنّيته:

صـــوت

اشتهينا فى ربيــع مرّةً * زَهَمَ(4) الوحشِ على لحم الإبلْ
فغــدَونا بطُـوالٍ هَيْكَلٍ(5) * كَسيبِ النخل ميّاد خَضِلْ

ــ الشعر يقال: إنه لأعشى همْدان، والغناء لأحمد النَّصْبىّ(6) خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق ــ فتبسّم وقال: وأين رأيت لحم الإبل! فغنّيته:

---

(1) يقال: تزايد فلان فى كلامه وتزيد: اذا تكلف الزيادة فيه وجاوز ما ينبغى. (2) كذا فى أ، حـ، م. وفى باقى الأصول: «زاد» بدون ألف بعد الدال. (3) فى الأصول: «يا مخنثين» بالياء. (4) الزهم (بالتحريك): شحم الوحش من غير أن يكون فيه زهومة، أى كراهة ريح أو تغير. (5) الهيكل: الضخم من كل الحيوان. (6) كذا فى حـ فى ترجمته (وهى تقع فى حـ ٥ ص ١٦١ طبع بولاق) وهو منسوب الى النصب (بالفتح) وهو ضرب من الغناء أرق من الحداء. وقد ورد فى جميع الأصول هنا وكذلك فى ترجمته مضطربا.

صــــوت

ليس الفتى فيهـم إذا * شَرِب الشرابَ مُؤَنَّبًا
لكن يروحُ مُرَنَّحًا * حسَنَ الثيابِ مُطَيَّبًا
يسقونه صِرْفًا على * لحمِ الظِباءِ مُضَهَّبا (١)

فقال : هذا أشبه ، وشَرِب . ثم غنّيته بشعر وَضّاح اليمن — قال : والغناء لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ — :

صــــوت

أَبَى القلبُ اليمانىّ الذى تُحْمَدُ أخلاقُهْ
ويَرْفَضُّ له الحزنُ * فما تُفْتَقُ أرْتاقُه
غزالٌ أدعجُ العيـن * رَبيبٌ خَدَلَّجٌ (٢) ساقُه
رماني فسبَى قلبي * وأرميـه فأشتاقُه

فطرِب وقال : هـذا والله أحسن صيد وألذُّه ، وشرب عليه بقيّةَ يومه وخلَع علىّ وأمر لى بجائزة . هكذا ذُكِر فى هذا الخبر أن التقيل الأوّل لابن مُحْرِز وقد قيل ذلك . وذكر عمرو بن بانة أنّ الثقيل الأوّل بالبنصر لابن طُنْبورة ، وأن لحن ابن مُحْرِز خفيفُ ثقيل . ٨٩ / ٥

دقته في الوصف وإعجاب فضل اليزيدي به

حدّثني عمي قال حدّثني فَضْل اليَزيدىّ قال :

قال لى إسحاق يوما فى عُرْض حديثه : دخلت على المعتصم ذاتَ يوم وعليه قميصٌ دَبِيقىّ (٣) كأنما قُدّ من جِرْم الزُّهَرة (٤)؛ فضحِكتُ؛ فقال : ما أضحكك ؟ فقلت :

---

(١) لحم مضهب : مقطع . (٢) الخدلّج (بتشديد اللام) : الممتلئ الساقين .

(٣) دبيقىّ : منسوب الى دبيق وهى بليدة كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر، وقد خربت ولم يبق منها شىء ، وتنسب اليها الثياب الدبيقية وهى من دق الثياب كانت تتخذ بها ، وكانت العمامة منها طولها مائة ذراع وفيها رقمات منسوجة بالذهب ، تبلغ العمامة من الذهب خمسمائة دينار سوى الحرير والغزل . (راجع معجم ياقوت وشرح القاموس مادة « دبق ») . وفى ب ، س : « ديبق » بتقديم المثناة على الموحدة ، وهو تصحيف . (٤) الزهرة (بضم ففتح) : كوكب من السيارة معروف .

من مبالغتك فى الوصف، فتبسّم . قال الفضل : وما سمعتُ محدّثا قطُّ ولا واصفا أبلغ منه ولا أحسن لفظا وتشبيها .

تبرمه بالغناء وبالتسمية به

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدِينىّ قال حدّثنا محمد بن عبد الله ابن مالك قال :

قال لى إسحاق : وَدِدت أنّ كل يوم قيل لى : غَنّ أو قيل لى عند ذِكْرى : المغنِّى، ضُرِب رأسى خمسةَ عشرَ سوطا، لا أقوى على أكثر منها، ولم يُقَلْ لى ذلك .

صنع لحنا على لحن أذان سمعه

أخبرنا يحيى قال حدّثنا حمّاد قال: صنع أبى لحنه فى: "تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْىَ" على لحن أذانٍ سمِعه .

كثرة حفظه لأهزاج القدماء

أخبرنا يحيى قال حدّثنا حمّاد قال :

تذاكرنا يومًا الهَزَج عند المأمون؛ فقال عمرو بن بانة : ما أقلّه فى الغناء القديم! ؛ فقال إسحاق : ما أكثره فيه ! ثم غنّاهم ثلاثين هَزَجًا فى إصبع واحدة ومجرى واحد، ما عرفوا جميعا منها إلا نحو سبعة أصوات .

تقدير زرزور لقدرته فى الغناء

حدّثنى يحيى قال حدّثنى أخى قال حدّثنى عافية بن شَبيب قال :

قلت لزُرْزُور : مالكم تَذِلُّون لإسحاق هذا الذلّ، وما فيكم أحدٌ إلا وهو أطيب صوتا منه ، وما فى صنائعكم وَصْمة ! فقال لى : لا تقلْ ذلك، فوالله لو رأيتنا معه لرحِمْتنا و رأيتنا نذوب كما يذوب الرَّصاص فى النار ! .

غضب عليه الفضل ابن الربيع فمدحه بشعر وتوسل له بعون حاجبه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى عَوْن بن محمد قال حدّثنى إسحاق قال :

لاعَبتُ الفضل بن الربيع بالنَّرْد، فوقع بيننا خلاف، فحلف وحلفت، فغضب علىّ وهجرنى، فكتبت إليه :

يقـول أناسٌ شامتون وقـد رأَوْا * مُقَامِي و إغبابي الرواحَ إلى الفضلِ
لقد كان هذا خُصَّ بالفضل مرّةً * فأصبح منـه اليومَ مُنصرِمَ الحبل
ولو كان لى فى ذاك ذنبٌ علِمتـه * لَقَطّعتُ نفسى بالمَـلامة والعـذل

وعرضتُ الأبيات عليه ؛ فلمّا قرأها ضحِك وقال: أشدّ من ذنبك أنك لاترى لنفسك بذلك الفعل ذنبا ؛ والله لولا أنّى أدّبتك أدبَ الرجل ولدَه ، وأنّ حسنَك وقبيحَك مضافان إلىّ لأنكرتنى؛ فاصلح الآن قلبَ عون — وكان يَحْجُبه — فخاطبته فى ذلك فكلّمنى بمـا كَرِهت؛ فقلت : أتدخل بينى و بين الأمير أعزّه الله ! ؛ وكان عون يُرْمَى بالأُبْنة فقلت فيه :

وذاكرِ أمرٍ ضـاق ذرعًا بذكره * وناسٍ لداءٍ منـه مُتّسِع الخَـرْق

قال : ثم علِمت أنه لا يتمّ لى رضا الفَضْل إلا بعد أن يرضَى عون، فقلت فيه :

عَوْنُ يا عَوْنُ ليس مثلك عونُ * أنت لى عُـدّةٌ اذ كان كونُ
لك عندى والله إن رَضِىَ الفضـ * ـلُ غلامٌ يُرْضِيك أو بِرْذَوْنُ

فدخل إلى الفضل فترضّاه لى فرضِى ؛ ثم قال له : و يلك ياعون ! إنه والله إنمـا هجاك وأنت ترى أنه قد مدحك ، ألا ترى إلى قوله : « غلام يرضيك » ! هـذا تعريض بك؛ قال : فكيف أصنع به مع محلّه عند الأمير ! .

شكا اليه المأمون أصحابه ثم غناه وأطربه فأجازه

٩٠/٥ أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى عَوْن عن إسحاق، وأخبرنى بعضَ الخبر إسماعيلُ ابن يونس عن عمر بن شبّة عن إسحاق، ولفظُ الخبر وسِياقتُه للصُّولىّ، قال :

استدنانى المأمونُ(١) يوما وهو مُسْتَلْقٍ على فِراش حتى صارت ركبتى على الفراش، ثم قال لى : يا إسحاق، أشكو إليك أصحابى : فعلتُ بفلان كذا ففعل كذا، وفعلتُ

(١) فى مختار الأغانى (ص ١٥٦) : « الأمين » .

بفلان كذا ففعل كذا ؛ حتى عدّد جماعةً من خواصّه ؛ فقلت له : أنت يا سيّدى بتفضُّلك علىّ وحسنِ رأيك فىّ ظننتَ أنّى ممّن يُشاوَر فى مثل هـذا ، فجاوزتَ بى حدّى ، وهذا رأىٌ يَجِلّ عنّى ولا يبلُغه قدرى ؛ فقال : ولِمَ وأنت عندى عالم عاقل ناصح ؟ فقلت : هذه المنزلة عند سيّدى علّمتنى ألّا أقول إلّا ما أعرف ولا أطلبَ إلا ما أنال ؛ فضحك وقال : قـد بلغنى أنّك فى هـذه الأيام صنعتَ لحنًا فى شعر الرّاعى ولم أسمعه منك ؛ فقلتُ : يا سيّدى ، ما سمعه أحدٌ إلا جَوارِىّ ، ولا حضرتُ عندك للشرب منذ صنعتُه ؛ فقال : غنّه ؛ فقلتُ : الهيبةُ والصّحْو يمنعانى أنْ أؤدّيه كما تريد ، فلو آنس أميرُ المؤمنين عبدَه بشىء يُطربه ويقوى به طبعـه كان أجود ؛ قال : صدقت ، ثم أمر بالغداء فتغدّينا ، ومُدّت الستارةُ فغُنّى من ورائها وشربنا أقداحا ؛ فقال : يا إسحاق ، أمَا جاء أوانُ ذلك الصوت ؟ فقلت : بلى ياسيّدى ، وغنّيتُه لحنى فى شعر الراعى :

صـــــوت

ألم تسألْ بعارِمـةَ(1) الديارَا ❊ عن الحىّ المُفارِقِ أين صارا(2)

بلى سألتهـا فأبتْ جوابًا ❊ وكيف تُسائل الدِّمَنَ القِفَارا

ـــ لحنُ إسحاق فى هذين البيتين خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى ـــ قال : فاستحسنه ومازال يشرب عليه سائرَ يومه ، وقال لى : ياإسحاق ، لا طَلَبَ بعد وجود البُغْية ، ماأشرب بقيّةَ يومى هذا إلّا على هذا الصوت ؛ ثم وصلنى وخلَع علىّ خِلعةً من ثيابه .

---

(1) عارمة : موضع فى ديار بنى عامر بنجد ، وقيل : ماء لبنى تيم بالرمل . (انظر معجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى فى الكلام على عارمة) . (2) فى مختار الأغانى (ص ١٠٧) وشرح القاموس واللسان مادة (عرم) : «سارا» بالسين المهملة .

مدح أعرابية له

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى عَوْن بن محمد قال حدّثنى إسحاق قال :

كانت أعرابيّة تَقْدَم علىّ من البادية فأُفضِل عليها ، وكانت فصيحة ؛ فقالت لى ذاتَ يوم : والذى يعلم مغزى كل ناطق لكأنك فى علمك وُلدتَ فينا ونشأت معنا . ولقد أريْتَنى نجـدًا بفصاحتك ، وأحللتَنى الرَّبيع بسماحتك ؛ فلا اَطّرَدَ لى قولٌ إلا شكرتك ، ولا نَسَمتْ لى ريحٌ إلّا ذكرتك .

الحـل أبا المجيب الربعى صـداقا وداعبه بشعر

حدّثنى الصُّولىّ[1] قال حدّثنى عَوْن بن محمد قال حدّثنى المُغيرة بن محمـد المهلّبىّ عن إسحاق قال :

كان أبو المُجيب الرَّبَعىّ فصيحا عالمـا ، فقال لى : يا أبا محمد ، قد عزمتُ على التزوج فأعنّى وقوّنى ؛ قال : فأعطيتُه دنانيرَ وثيابا . فغاب عنّى أياما ثم عاد ؛ فقلت : يا أبا مُجيب ، هاهنا أبيات فاسمعها ؛ فقال : هاتها ؛ فقلت :

يا ليتَ شعرى عن أبى مُجيبِ * إذ بات فى مَجاسِـدٍ[2] وطِيبِ
معانقًـا للــرَّشَأ الرَّبِيبِ * أأحمَـدَ[3] الحفارُ فى القَلِيبِ
* أم كان رِخْوًا ذابلَ القضيبِ *

قال : فقال لى : الأخيرُ والله يا أبا محمد .

عاتب الخليـل بن هشام بشعر وكان بينهما تهاجر فعادا الى ما كانا عليه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى عَوْن بن محمد قال حدّثنى إسحاق قال :

كانت بينى و بين الخليل بن هشام صداقة ثم استوحشْنا ، فمررتُ ببابه يوما ، فتذمّمتُ[4] أن أجوزَه ولا أدخل إليه ، فدعوتُ بدَوَاةٍ وقِرْطاس وكتبتُ إليه :

---

(١) فى جميع الأصول : «حدّثنى عون بن محمد الصـولى» وهو خطأ ، فان اسم الصولى "محمد ابن يحيى" . وقد تقدّم هذا السند بنصه فى أكثر من موضع ، وسيأتى كذلك فى الخبر الذى يلى هذا الخبر.

(٢) المجاسد : جمع مجسد ، وهو القميص الذى يلى البدن . (٣) أحمد الشىء : أتى ما يحمد عليه . والحفار : المسحاة وما يحفر به ، وهو مستعمل هنا على سبيل المجاز . (٤) تذممت : استنكفت .

٩١ / ٥

رجعنا بالصفاء إلى الخليلِ * فليس إلى التّهاجُرِ من سبيلِ
عتابٌ فى مُراجعةٍ وصفحٌ * أحقُّ بنا وأشبهُ بالجميـلِ

قال : ووجّهت بالرُّقعة وقصدت بابَه، فخرج إلىّ حتى تلقّانى، ورجعنا إلى ما كنّا عليــه .

تعقب فيما رويه من الأخبار فوجد صادقا

حدّثنى الصُولىّ قال حدّثنى عبد الله بن المعتزّ عن الهِشامىّ قال :

كان أهلُنا يعتبرون(١) على إسحاق ما يقوله فى نسبة الغناء وأخباره، بأن يُجلسوا كاتبين فَهِمَين خَلْف السِّتارة، فتكتبان ما يقوله وتضبِطانه، ثم يتركونه مدّة حتى ينسى ما جرى ، ثم يُعيدون تلك المسألة عليه ، فلا يزيد فيها ولا ينقص منها حرفا كأنه يقرؤها من دفتر؛ فعلموا حينئذ أنه لا يقول فى شىء يُسأل عنه إلّا الحقّ .

غنى علويه لحنا لأبيه فخطاه هو فى مجلس المأمون

حدّثنى الصُولىّ قال حدّثنى أحمد بن مَزْيد(٢) المهلّبىّ قال حدّثنى أبى عن إسحاق قال :

كنّا عند المأمون، فغنّاه عَلّويه :

صـــــوت

لعَبْـــدةَ دارٌ ما تكلِّمُنـا الدارُ * تلُوح مَغَانيها كما لاح أَسـطارُ
أُسائل أحجـارًا ونُؤْيًا(٣) مُهَدَّما * وكيف يردّ القولَ نؤىٌ وأحجارُ

ـــ الشعر لبَشّار، والغناء لإبراهيمَ ثانى ثقيلٍ مطلق فى مجرى الوسطى عن إسحاق ـــ

قال : فقال المأمون : لمن هذا اللحن ؟ فقلت : لعبد أمير المؤمنين أبى، وقد أخطأ

(١) اعتبر الشىء : اختبره ونظر فيه وردّه إلى نظيره لحكم عليه بحكمه . (٢) كذا فى جميع الأصول، ولم يتقدّم لهذا الاسم ذكر قبل ذلك ولم نعثر عليه فى كتب التراجم . والمعروف أن الصولى يروى عن محمد بن يزيد المهلبى وعن يزيد بن محمد المهلبى، كما تقدّم فى هذا الكتاب أكثر من مرة. (٣) النؤى : الحفير أو الحاجز حول الخباء أو الخيمة يدفع عنها السيل يمينا وشمالا و يبعده .

فيه عَلّويه؛ قال: فغنّه أنت فغنّيته، فاستعادنيه مرارا وشرب عليه أقداحا، ثم تمثل قولَ جرير:

وابنُ اللّبونِ إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ[(١)] * لم يستطع صَوْلَةَ البُزْلِ القَناعِيسِ

ثم أمر لي بخمسين ألف درهم. ووجدتُ هذا الخبر بخطّ أبي العبّاس ثَوَابَة، فقال فيه: حدّثني أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال حدّثني عبد الله بن العباس الرّبيعيّ قال: اجتمعنا بين يدي المعتصم، فغنّى عَلّويه:

* لعبدةَ دارٌ ما تكلّمنا الدار *

فقال له إسحاق: أخطأت فيه، ليس هو هكذا؛ فقال عَلّويه: أُمّ من أخذناه عنه هكذا زانية؛ فقال إسحاق: شتمَنا قبحه الله، وسكت وبان ذلك فيه؛ وكان عَلّويه أخذه من إبراهيم.

حواره مع علويه حين أغرى الواثق بينهما

حدّثني جَحْظة قال حدّثني أبو العُبَيس بن حَمْدون عن أبيه عن جدّه قال: كان إسحاق بعد وفاة المأمون لا يغنّي إلا الخليفةَ أو وليَّ عهده أو رجلاً من الطاهريّة مثلَ إسحاق بنِ إبراهيم وطبقته؛ فاجتمعنا عند الواثق وهو وليّ عهد المعتصم، فاشتهى الواثق أن يُضَرِّبَ[(٢)] بين مخارق وعَلّويه وإسحاق، ففعل حتى تهاتروا؛ ثم قال لإسحاق: كيف هما الآن عندك؟ فقال: أمّا مُخارق فمُنَادٍ[(٣)] طيّبُ الصوت؛

---

(١) ابن اللبون: ولد الناقة اذا كان في العام الثاني واستكمله، وقيل: إذا دخل في الثالث، والأنثى: ابنة لبون، سمي بذلك لأن أمه وضعت غيره فصار لها لبن. ولز: شدّ ولصق. والقرن (بالتحريك): الحبل الذي يقرن به البعيران. والبزل: جمع بازل، وهو البعير الذي فطر نابه أي انشق. قال الأصمعي وغيره: يقال للبعير اذا استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة وفطر نابه: بازل. والقناعيس: جمع قنعاس، وهو الجمل الضخم العظيم الشديد.

(٢) التضريب: الإغراء. (٣) كذا في مختار الأغاني، وهو الذي يناسب السياق. وفي الأصول: «فياد» بالياء المثناة من تحت بدل النون.

وأمّا عَلّويه فهو خيرُ حِمارَىِ العِبَادىّ [(١)]، وهو على كل حال شُوَىْء [(٢)] (يريد تصغيره)؛ فوثب عَلّويه مُغْضَبا، ثم قال للواثق: جواريه حرائرُ ونساؤه طوالقُ، لئن لم تستحلفه بحياتك وحقّ أبيك، أن يصدُق عما أسألُه [(٣)] عنه، لأتوبنّ عن الغناء ما عِشْتُ؛ فقال له الواثق: لا تُعَرْبِدْ ياعلىّ، نحن نفعل ماسألت؛ ثم حلّف إسحاق أن يصدُق فحلف؛ فقال له: مَنْ أحسنُ الناسِ اليوم صنعةً بعدك؟ قال: أنت. قال: فمن أضربُ الناس بعد ثَقيف؟ قال: أنت. قال فمن أطيبُ الناس صوتاً بعد مُخارق؟ قال: أنت. قال عَلّويه لإسحاق: أهذا قولُك فىّ وأنت تعلم أنّى مُصلّى [(٤)] كلّ سابق فاضل، ٩٢ / ٥
وأنّى ثالثُ ثلاثةٍ أنت أحدهم لم يكن فى الدنيا مثلُهم ولا يكون! فما أنت وغناؤك الذى لا يُسْمَع انخفاضا!؛ فغضب إسحاقُ، وانتهر الواثقُ عَلّويه. ثم أخذ إسحاقُ عوداً فنقل مَثْناه إلى موضع البَمّ [(٥)]، وزِيرَه إلى موضع المَثْلَث، وجعل البمّ والمثلثَ مكان الزيروالمَثْنى، وضرب وقال: ليغنّ من شاء منكم؛ فغنّى مُخارِق عليه:

تَقَطَّع من ظَلّامةَ الوصلُ أجمعُ * أخيراً على أنْ لم يكن يَتَقطّعُ

وضرب عليه إسحاقُ فلم يَبِنْ فى الأوتار خلافٌ ولا فُقِد من الإيقاع شىء ولا بان فيه آختلال؛ فعظُمَ عَجَبُ الواثق من فعله؛ وقام إسحاق فرقَص طرباً، فكان والله

---

(١) يشير بهذا الى المثل المشهور، وهو مايقال من أنه كان لعبادى (نسبة الى العباد قوم من العرب نزلوا الحيرة وكانوا نصارى) حماران، فقيل له: أىّ حماريك شر؟ قال: هذا ثم هذا. ويروى أنه قال حين سئل عنهما: هذا هذا، أى لا فضل لأحدهما على الآخر. يضرب فى خلتين إحداهما شر من الأخرى. (انظر أمثال الميدانى حـ ٢ ص ٩٢ طبع بولاق). (٢) كذا فى مختار الأغانى. وفى الأصول: «شىء» بدون تصغير. (٣) كذا فى مختار الأغانى. وفى الأصول: «تسأله». (٤) المصلى: التالى للسابق من خيل السباق. والسابق: الأوّل. (٥) البم: الوتر الغليظ من أوتار المزاهر. وقد جاء فى مقدّمة الجزء الأول من الأغانى من هذه الطبعة كل ما يتعلق بآلات العود وأسمائها، فارجع إليه.

أحسنَ رقصًا من كُبَيْش وعبد السلام —وكانا من أرقص الناس— فقال الواثق : لا يكمُل أحدٌ أبدا في صناعته كمثل كمال إسحاق .

مدح لعبد الله بن طاهر فيه

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني عَوْن بن محمد قال حدّثني إسحاق قال : دخلت على عبد الله بن طاهر وهو يُلاعِب إبراهيمَ بن وَهْب بالشِّطْرَنْج، فغلبه عبد الله، وأومأ إليّ بأن أُكايده؛ فقلت :

قد ذهبتْ منك أبا إسحاقِ * مثلَ ذَهَابِ الشهرِ بالمُحاقِ (1)

فقال لي عبد الله : إنّ فضائلك يا أبا محمد لتتكاثر عندنا، كما قال الشاعر في إبله :

إذا أتاها طالبٌ يَستامُها * تكاثرتْ في عينه كِرامُها

صنع لحنا في بيتين وغناه الواثق فاستعاده حتى أخذه وأجازه

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال ذكر عليّ بن الحسن بن عبد الأعلى عن إسحاق قال :

أنشدتني أمّ محمد الأعرابية لنفسها هذين البيتين وأنا حاجٌّ، فاستحسنتُهما، وصنعت فيهما لحنا غنّيته الواثقَ؛ فاستعاده حتى أخذه، وأمر لي بثلاثين ألف درهم؛ وهما :

عسى اللهُ يا ظَمْياءُ أن يعكِسَ الهوى * فَتَلْقَيْنَ ما قد كنتُ منكِ لَقِيتُ
ثراء فتحتاجي إليّ فتعلمي * بأنّ به أَجْزيكِ حين غَنِيتُ

شوش عودا في مجلس المعتصم وتحدى ابن المهدي أن يضرب به ثم أظهر هو براعة فائقة

حدّثني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن مَرْوان قال قال لي يحيى بن مُعاذ :

كان إسحاق الموصليّ وإبراهيم بن المهديّ إذا خَلَوا فهما أخوانِ ، وإذا التقيا عند خليفة تَكاشحا أقبحَ تكاشُح؛ فاجتمعا يومًا عند المعتصم؛ فقال لإسحاق: يا إسحاق، إن إبراهيم يَثْلُبك ويَغُضّ منك ويقول : إنك تقول : إنّ مخارقا لا يُحسن شيئا

(1) المحاق (بالضم والكسر) : آخر الشهر إذا امحق الهلال فلم ير .

ويتضاحك منك؛ فقال إسحاق : لم أقل يا أمير المؤمنين : إن مخارقا لا يُحسن شيئا، وكيف أقول ذلك وهو تلميذ أبى وتخريجُه وتخريجى! ولكن قلت : إنّ مخارقا يملك من صوته ما لا يملكه أحد، فيتزايد فيه تزايدًا لا يُبقى عليه ويتغيّر فى كل حال، فهو أحلى الناس مسموعا وأقلّه نفعا لمن يأخذ عنه، لقلّة ثباته على شىء واحد. ولكنّى أفعل الساعةَ فعـلا إن زعَم إبراهيمُ أنه يُحسنه فلستُ أُحسِن شـيئا، وإلّا فلا ينبغى له أن يدّعىَ ما ليس يُحسنه . ثم أخذ عودا فشوّش أوتارَه، ثم قال لإبراهيم : غَنِّ على هذا أو يغنِّى غيرُك وتضرب عليه؛ فقال المعتصم : يا إبراهيم، قد سمعتَ، فما عندك؟ قال : ليفعلْه هو إن كان صادقا؛ فقال له إسحـاق : غنِّ حتى أضربَ عليك فأَبَى؛ فقال لزُرْزُور : غَنِّ فغنَّى وإسحاقُ يضرب عليه حتى فُرِغَ من الصـوت ما علِم أحد

٩٣/٥ أنّ العود مشوَّش . ثم قال : هاتوا عودا آخر، فشوّشه وجعل كلَّ وترٍ منه فى الشدّة واللين على مقدار العود المشوّش الأوّل حتى آستوفى؛ ثم قال لزُرْزُور : خذ أحدَهما فأخذه، ثم قال : آنظر إلى يدى وآعمل كما أعمل وآضرب ففعل؛ وجعل إسحاق يغنِّى ويضرب وزُرْزُور ينظر اليه ويفعل كما يفعل؛ فما ظنّ أحدٌ أن فى العودَ[ين][(١)] شيئا من الفساد لصحة نَغَمهما جميعا الى أن فُرِغ من الصوت . ثم قال لإبراهيم : خذ الآنَ أحدَ العودين، فآضرب به مبدأً أو عَمُودَ طريقةٍ أو كيف شئتَ إن كنت تُحسن شيئا؛ فلم يفعل وآنكسر انكسارا شديدا؛ فقال له المعتصم : أرأيتَ مثل هذا قطُّ ؟ قال : لا، والله ما رأيتُ ولا ظننت أنّ مثله يكون .

أعجبه يوم فتمثل فيه بشعر

حدّثنى أبو عبد الله محمد بن العباس اليَزِيدىّ قال حدّثنى عمّى الفَضْل قال :

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

دعاني إسحاقُ يومًا، فمضيتُ اليه وعنده الزُّبَير بن دَحْمان وعَلّويه وحسين بن الضحّاك، فمرّ لنا أحسنُ يوم؛ فالتفت الىّ إسحاقُ ثم قال : يومُنا هذا والله يا أبا العبّاس كما قال الشاعر :

أنت والله من الأيـ * ـام لَدْنُ الطَّـرَفَيْنِ
كلّما قلّبتُ عيني * فهي قُـرّةِ عيْنِ

غنى الواثق فشرب وخلع عليه

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :
دخلتُ يوما على الواثق فقال لي : يا إسحاق، إني أصبحت اليوم قَرِمًا(1) الى غنائك فغنِّني؛ فغنّيته :

من الظباءِ ظِباءٌ همُّها السُّخُبُ(2) * ترعى القلوبَ وفي قلبي لها عُشُبُ
لا يغْـتَرِبْنَ ولا يَسْكُنَّ بادِيَةً * وليس يَدْرِينَ ما ضَرْعٌ ولا حَلَبُ
إذا يدٌ سَرَقتْ فالقطـع يلزمها * والقطع في سَرَقٍ بالعين لا يجبُ

قال : فشرب عليه بقيّةَ يومه و بعضَ ليلته، وخلع عليّ خِلْعةً من ثيابه .

خرج مع الواثق الى الصالحية فحن الى بغداد وأنشده شعرا فأجازه وصرفه

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :
خرجتُ مع الواثق الى الصالحيّة(3) وهو يريد النزهة، فذكرتُ بغدادَ وعيالي وأهلي وولدي بها فبكيتُ؛ فقال لي : بحياتي أذكرتَ بغدادَ فبكيتَ شوقًا اليها ؟ فقلت : نعم، وغنّيتُه :

---

(1) القرم (بالتحريك) في الأصل : شدة الشهوة الى اللحم، ثم كثر حتى قالوا : قرمت إلى لقائك .
(2) كذا في حـ ، وفيما سيأتي في أكثر الأصول . والسخب (بضمين) : جمع سخاب (ككتاب) وهي قلادة تتخذ من قرنفل وغيره؛ وقال الأزهري : كل قلادة كانت ذات جوهر أو لم تكن . والمعنى : أن في الظباء صنفا (يكنى به عن النساء) همه التزين والتجمل يفتن القلوب ولا يألف إلا النعيم . وفي سائر الأصول : « السحب » بالحاء المهملة، وهو تصحيف . (3) الصالحية : محلة ببغداد تنسب الى صالح بن المنصور المعروف بالمسكين .

صـــــوت

وما زلت أبكى فى الديار وإنمـا * بكائى على الأحباب ليس على الدار

قال : فأمر لى بمائة ألف درهم وصرّفنى .

وأخبرنى محمد بن مَزْيد بهذا الخبر عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وحدّثنى به علىّ ابن هارون عن عمّه عن حمّاد عن أبيه وخبرُه أتمّ ، قال :

ما وصَلنى أحدٌ من الخلفاء قطُّ بمثل ما وصلنى به الواثق . ولقد انحدرتُ معه الى النَّجَف(١) ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، قد قلت فى النجف قصيدة ؛ فقال : هاتِها ؛ فأنشدتُه :

يا راكبَ العِيسِ لا تَعْجَلْ بنا وقِفِ * نُحَىِّ دارًا لسُعْدَى ثم نَنْصرِفِ

حتى أتيتُ على قولى :

لم يَنزِلِ الناسُ فى سهلٍ ولا جَبَلٍ * أَصْفَى هواءً ولا أَعْذَى(٢) من النَّجَفِ
حُفَّتْ ببَرٍّ وبَحْرٍ من جوانبهـا * فالبَرُّ فى طَرَفٍ والبحـر فى طرفِ
وما يَزالُ نسيمٌ من يمانيَـــةٍ(٣) * يأتيـك منهـا برَيَّا رَوْضَـةٍ أُنُفِ(٤) ٩٤/٥

(١) النجف (بالتحريك) : موضـع بظهر الكوفة وهو دومة الجندل بعينها ، وبالقرب منه قبر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضوان الله عليـه . (٢) كذا ورد فى معجم البـلدان لياقوت (بالعين المهملة) فى الكلام على النجف . وأعذى : أطيب هواء ، يقـال : عذا المكان يعـذو اذا طاب هواؤه . ومنه الأرض العـذاة وهى الأرض البعيـدة عن الأحساء والنزوز والريف ، السهلة المريئة التى يكون كلؤها ناجعا مريئا . وفى الأصول : « أغذى » بالغين المعجمة ، وهو تصحيف .
(٣) فى معجم البلدان :

« ... ... من أيامنـه * يأتيك منـه ... ... »

(٤) الروضة الأنف (بضم الهمزة والنون) : التى لم يرعها أحد .

فقال : صدقتَ يا إسحاق، هي كذلك . ثم أنشدتُه حتى أتيت على قولى فى مدحه :

لا يحسَبُ الجـــودَ يُفْنِي مالَه أبدًا * ولا يرى بدلَ مايحْوِى من السَّرَف

ومضيت فيها حتى أتممتُها، فطرِب وقال : أحسنتَ واللهِ يا أبا محمد، وكَنّانى يومئذ، وأمر لى بمائة ألف درهم، وانحدر الى الصالحيّة التى يقول فيها أبو نُوَاس :

* بالصالحيّة من أكنافِ كَلْواذِ (١) *

فذكرتُ الصبيانَ و بغدادَ فقلت :

أتبكى على بغـــدادَ وهى قريبـــةٌ * فكيف إذا ما ازددتَ منها غدًا بُعْدَا

لعَمْرُك ما فارقتُ بغـداد عن قِلًى * لَوَ انّا وجدنا عن فِـراقٍ لهـا بُدّا

إذا ذكرتْ بغدادَ نفسى تَقطَّعتْ * من الشوقِ أو كادت تموت بها وَجْدَا

كفى حَزَنًا أن رُحْتُ لم أستطع لها * وَدَاعًا ولم أُحدِثْ بساكنها عهـدا

قال : فقال لى : ياموصلىّ، أشتقتَ الى بغداد؟ فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين، ولكن من أجل الصبيان، وقد حضرنى بيتان؛ فقال : هاتهما؛ فأنشدتُه :

---

(١) كلواذا (بفتح فسكون وآخرها ألف مقصورة . ولعل أبا نواس كسرها هنا للقافية، فقد أوردها بالفتح فى قوله :

أحين ودّعنا يحـــيي لرحلته * وخلف الفرك واستعلى لكلواذا):

مدينة كانت قرب بغداد فى ناحيــة الجانب الشرق منها . وهــذا الشطر من قصيدة لأبى نواس وردت فى ديوانه، وقد ورد فيها على غير رواية الأصول هنا، مطلعها :

وقائل هــل تريد الحج قلت له * نعم اذا نفــدت لذات بغــداذ

أما وقطــربل منهـا بحيث أرى * فقبة الفــرك من أكاف كلواذ

فالصالحيــة فالكرخ التى جمعت * شــذاذ بغداذ ماهم لى بشــذاذ

والفرك (بالكسر) : قرية كانت قرب كلواذا .

حَنَنْتَ الى الأُصَيْبِيَةِ الصِّغارِ * وشاقك منهمُ قربُ المَزَارِ
وأَبْرَحُ ما يكون الشوقُ يوماً(١) * إذا دَنَتِ الدِّيارُ من الديار

فقال لى : يا إسحاق، صِرْ إلى بغداد فأقِمْ مع عيالك شهرا ثم صِرْ إلينا ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم .

صنع الواثق لحنا وأمره أن يغنى فيه فصنع هو لحنا أحسن منه

أخبرنا يحيى بن علىّ قال أخبرنى أبى قال :

لمّا صنع الواثق لحنَه فى :

أيا مُنْشِرَ المَوْتَى أَقِـدْنِى من التى * بها نَهِلَتْ(٢) نفسى سَقاماً وعَلَّتِ
لقد بَخِلَتْ حتى لَوَ آنِّى سألتُها * قَذَى العين من سَافِى التراب لَضَنَّتِ

أُعْجِب به إعجاباً شديدا ؛ فوجّه بالشعر الى إسحاق الموصلىّ وأمره أن يغنّى فيه ؛ فصنع(٣) فيه لحنَه الثقيل الأوّلَ، وهو من أحسن صنعةِ إسحاق؛ فلمّا سمعه الواثق عَجِبَ منه وصغُر لحنُه فى عينه ، وقال : ما كان أغنانا أن نأمر إسحاق بالصنعة فى هذا الشعر، لأنه قد أفسد علينا لحننا . قال علىّ بن يحيى قال إسحاق : ما كان يحضُر مجلسَ الواثق أعلمُ منه بهذا الشأن .

نسبة هذين الصوتين

صوت

أيا مُنْشِرَ المَوْتَى أَقِـدْنِى من التى * بها نَهِلَتْ نفسى سَقاماً وعَلَّتِ
لقد بَخِلَتْ حتى لَوَ آنِّى سألتُها * قَذَى العين من سَافِى التراب لَضَنَّتِ

(١) ستأتى فى الأغانى (ج ٨ ص ١٦٨ طبع بولاق) رواية أخرى لهذا الشطر :
* وكل مفارق يزداد شوقا *

(٢) النهل (بالتحريك) : الشرب الأوّل، يقال : نهلت الإبل وأنهلتها أنا، وهو أن تسق فى أوّل الورد فترد الى العطن (مناخ الابل ومبركها) ثم تسق الثانية وهو العلل فترد الى المرعى .

(٣) كذا فى ب ، س ، حـ . وفى سائر الأصول : « فغنى » .

الشعر لأعرابىّ . والغناء للواثق ثانى ثقيل فى مجرى البنصر . وفيه لمُخَارق رَمَلٌ، ولعَرِيبَ رمل. ومن الناس من ينسُب هذا الشعر الى كثيِّر، وهو خطأ من قائله .

أنشدنى هذه الأبياتَ عمّى قال : أنشدنى هارون بن علىّ بن يحيى، وأنشدنيها علىّ بن هارون عن أبيه عن جدّه عن إسحاق أنه أنشده لأعرابىّ فقال :

٩٥/٥

صــــوت

أَلَا قاتل اللهُ الحمامةَ غُـدْوةً * على الغصن ماذا هيّجتْ حين غنّتِ
تَغنّتْ بصــوتٍ أعجمىٍّ فهَيّجتْ[1] * من الشوق ما كانت ضلوعى أَجَنّتِ

غنّى فى هذين البيتين عمرو بن بانة ثانىَ ثقيلٍ بالوسطى .

فلو قَطَرتْ عينُ آمرئٍ من صَبَابةٍ * دمًا قطــرتْ عيــنى دمًا فألَمّتِ
فــا سكتتْ[2] حتى أَوَيتُ لصوتها * وقلت تُرَى هــذى الحمامةُ جُنّتِ
ولى زَفَـراتٌ لو يَدُمْنَ قتلْننى * بشـوقٍ إلى نأى[3] التى قــد تولّتِ
إذا قلت هذى زَفرةُ اليوم[4] قد مضتْ * فمَنْ لى بأخرى فى غدٍ قــد أظلّتِ
فيا مُحْيِيَ المَوْتَى أَقِــدْنى من التى * بها نَهِلتْ نفسى سَـــقامًا وعلّتِ
لقــد بخِلتْ حتى لَوَ أنّى سألتُها * قَذَى العينِ من سَافِى التراب لضَنّتِ
فقلتُ آرحَــلا يا صاحبىّ فليتنى * أرى كلّ نفسٍ أُعطِيتْ ما تمنّتِ

(١) كذا فى حـ وفيما سيأتى (ج ٨ ص ١٦٦ طبع بولاق) . وفى سائر الأصول هنا : «فهاجنى» . وقد وردت ثلاثة أبيات من هذه الأبيات فى أمالى القالى (ج ١ ص ١٣١ طبع دار الكتب المصرية) مع اختلاف فى بعض الكلمات .

(٢) كذا فيما سيأتى . وفى الأصول هنا : «سكنت» بالنون .

(٣) فيما سيأتى : « نادى » .

(٤) كذا فيما سيأتى . وفى الأصول هنا : «زفرة الموت» ، وهو مما يأباه سياق البيت .

حلفتُ لها بالله ما أُمُّ واحدٍ[1] * إذا ذكرتْه آخرَ الليل حَنَّتِ
وما وَجْدُ أعرابيّةٍ قذفتْ بها * صُرُوفُ النَّوى من حيث لم تكُ ظَنَّتِ
إذا ذكرتْ ماءَ العِضَاهِ[2] وطيبَه * وبَرْدَ الحِمَى من بطن خَبْتٍ أَرَنَّتِ[3]
بأكثرَ منّى لوعةً غيرَ أننى * أُجَمْجِمُ[4] أحشائى على ما أَجَنَّتِ

وأما لحن إسحاق فإنه غنّى فى :

* لقد بخلتْ حتى لوَ آنّى سألتُها *

وأضاف اليه شيئا آخر ليس من ذلك الشعر، وهو :

فإن بخلتْ فالبخل منها سجيّةٌ * وإن بذلتْ أعطت قليلاً وأَكْدَتِ[5]

قال : ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة فى مجرى الوسطى .

كاده مخارق عند الواثق فغضب عليه ولما عرف الحق من أمره رضى عنه

أخبرنى الحسن بن علىّ ومحمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبىّ، وحدّثنى به عمّى عن أبى جعفر بن دِهْقَانةَ النّديم عن أبيه قال :

كان الواثق إذا صنع صوتًا قال لإسحاق : هذا وقع الينا البارحةَ فأَسمَعْه، فكان ربّما أصلح فيه الشىءَ بعد الشىء. فكاده مخارق عنده وقال له : إنما يستجيد صنعتَك إذا حضر لِيُقَارِبَك ويستخرجَ ماعندك، فإذا فارق حضرتَك قال فى صنعتك غيرَ ما تسمع؛ قال الواثق : فأنا أحب أن أقف على ذلك؛ فقال له مخارق : فأنا أُغَنِّيه «أيا منشر

(١) كذا فى ا ، ء ، م ونسخة الأستاذ الشنقيطى مصححة بخطه وفيما سيأتى (ج ٨ ص ١٦٦ طبع بولاق) . وفى سائر الأصول : « يا أم واحد » ، وهو تحريف . (٢) العضاه : ضرب من الشجر له شوك . (٣) الخبت : الوادى العميق الوطىء ينبت ضروب العضاه ، وقيل : ما اطمأن من الأرض واتسع ، وهو أيضا علم لصحراء بين مكة والمدينة يقال لها خبت الجميش . وأرنت المرأة فى نوحها : صاحت مع البكاء ، وقيل : الإرنان : الصيحة الشديدة والصوت الحزين عند البكاء .

(٤) يقال : جمجم شيئا فى صدره اذا أخفاه ولم يبده . يريد أنه طوى أحشاءه على ما أجنه وجعلها غطاء له . (٥) أكدت : قلت عطاءها ومنعته ، وفى التنزيل العزيز : (وأعطى قليلا وأكدى) .

الموتى» فإنه لم يعلم أنه لك ولا سمعه من أحد؛ قال : فافعل. فلمّا دخل إسحاقُ غنّاه مخارق وتعمّد لأن يفسده بجَهْده، وفعل ذلك فى مواضعَ خفيّة لم يعلمها الواثق من قِسمته؛ فلمّا غنّاه قال له الواثق : كيف تَرَى هــذا الصوتَ؟ قال له : فاسدٌ غير مَرْضِىّ؛ فأمر به فسُحِب من المجلس حتى أُخرِج عنه ، وأمر بنفيه الى بغــداد . ثم جَرَى ذِكرُه يوما . فقالت له فَرِيدةُ : يا أمير المؤمنــين، إنما كاده مخارق فأفسد عليه الصوتَ من حيث أوهمك أنه زاد فيه بحذقه نَغَماً وجودةً، وإسحاق يأخذ نفسَه بقول الحق فى كل شىء ساءه أو سَرّه، و يفهم من غامض عِلَل الصنعة ما لا يفهمه غيره ؛ فليُحْضِرْه أمير المؤمنين ويحلِّفه بغليظ الأيمان أن يَصْدُقَه عما يسمع، وأُغنّيه إياه حتى يقف على حقيقة الصوت؛ فإن كان فاسدًا فصدَق عنه لم يكن عليه عتب، ووافقناه عليه حتى يستوى، فليس يجوز أن نتركه[1] فاسدا إذا كان فيه فساد؛ و إن كان صحيحا قال فيه ما عنــده ؛ فأمر بالكتاب بحمــله[2] فحُمِل وأُحضِر، فأظهر الرضا عنه ولزِمه أيامًا؛ ثم أَحْلفه لَيَصْدُقنّ عما يمرّ فى مجلسه فحلف له . ثم غنّى الواثقُ أصــواتا يسأله عنها أجمع فيُخبِر فيها بما عنده؛ ثم غنّته فريدةُ هذا الصوتَ وسأله الواثق عنه، فرضِــيه وآستجاده ، وقال له : ليس على هــذا سمعتُه فى المرّة الأولى ، وأبان عن المواضع الفاســدة وأَخبر بإفساد مُخَارِق إياها ؛ فسكن غضبُه و وصل إسحاقَ وتنكّر لمُخَارِق مدّة .

٩٦ / ٥

قصة له مع الواثق بشأن الغناء والألحان

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدِينىّ قال حدّثنا محمد بن عبد الله ابن مالك قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ :

---

(١) فى الأصــول : « ... أن يتركه .. » بالياء المثناة من تحت بدل النون، والتصويب عن مختار الأغانى.

(٢) فى الأصول : « فأمر بالكتّاب بحمله فحمله وأحضر ... » وعبارة مختار الأغانى : «فأمر بحمله فحمل وأظهر له الرضا عنه ... » .

أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطّاهرىّ ، وقد كان تكلّم له فى حاجة فقُضيت، فقال له :أعطاك الله أيها الأمير ما لم تُحِط به أُمنيةٌ ولا تبلُغه رغبة. قال: فآشتهى هـذا الكلامَ وآستعاده منّى فاعدتُه . ثم مكثنا ما شاء الله، وأرسل الواثق الى محمد بن إبراهيم (١) يأمره بإخراجى إليه فى الصوت الذى أمرنى به بأن أغنّى فيه، وهو:

* لقد بَخِلتْ حتّى لَوَ آنّى سألتُها *

فغنّيته إيّاه، فأمر لى بمائة ألف درهم . فخرجتُ وأقمتُ ما شاء الله ليس أحدٌ من مغنّيهم يقدِر أن يأخذ هذا الغناءَ منّى . فلمّا طال مُقامى قلت له : يا أمير المؤمنين، ليس أحدٌ من هؤلاء المغنّين يقدِر أن يأخذ هـذا الصوت منّى؛ فقال لى : ولِمَ ؟ وَيْحَك ! فقلت : لأنى لا أُصَحّحه ولا تسخو نفسى به لهم؛ فما فعلت الجارية التى أخذتْها منّى؟ (يعنى شجا، وهى التى كان أهداها إلى الواثق وعَمِل مجرّد أغانيها وجنّسه ونسبه إلى شعرائه ومُغنّيه، وهو الذى فى أيدى الناس إلى اليوم)؛ فقال : وكيف ؟ قال : لأنهـا تأخذه منّى و يأخذونه هم منهـا ؛ فأمر بهـا فأُخرجتْ وأخذتْه على المكان، فأمر لى بمائة ألف درهم وأَذِن لى فى الانصراف؛ وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهرىّ حاضرا، فقلت للواثق عند وَدَاعى له : أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تُحِط به أُمنيةٌ ولم تبلُغه رغبـة؛ فآلتفت إلىّ إسحاق بن إبراهيم فقال لى : أىْ إسحاقُ أتُعيد الدعاء ! فقلت : إى والله أُعيده قاض أنا أو مغنّ. وقدمتُ بغداد، فلمّا وافى إسحاقُ جئته مُسَلّما عليه؛ فقال لى : وَيْحَك يا إسحاق ! أتدرى ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده ؟ قلت : لا أيها الأمير ؛ قال قال لى : ويحك ! كنّا أغنَى

(١) هو محمد بن ابراهيم بن مصعب بن زريق أخو اسحاق بن ابراهيم الطاهرى، كان من القوّاد الكبار فى أيام المعتصم والواثق والمتوكل، قتل فى خلافة المتوكل سنة ٢٣٦ هـ (راجع الطبرى ص ١٢٩٠ — ١٢٩٢، ١٢٩٨ — ١٣٠٠، ١٤٠٤ — ١٤٠٦ من القسم الثالث) .

الناس عن أن نبعث إسحاقَ على لحننا حتى أفسده علينا. قال علىّ بن يحيى: فحدّثنى إسحاق قال: استأذنتُ الواثقَ عدّة دَفَعات فى الانحدار إلى بغدادَ فلم يأذن لى، فصنعتُ لحنا فى:

* خليلىّ عُوجَا من صدور الرّوَاحلِ *

ثم غنّيتُه الواثقَ فاستحسنه وعجِب من صحّة قِسْمته ومُكْث صوتِه أيّامًا، ثم قال لى: يا إسحاقُ، قد صنعتُ لحنًا فى صوتك فى إيقاعه وطريقته، وأمر من وراء السّتارة(1) فغنّوه؛ فقلت: قد والله يا أمير المؤمنين بغّضتَ إلىّ لحنى وسمّجتَه عندى؛ وقد كنتُ استأذنتُه فى الانحدار إلى بغداد فلم يأذن لى؛ فلمّا صَنَع هذا اللّحنَ وقلتُ له ما قلتُ، أتبعتُه بأن قلت له: قد والله يا أمير المؤمنين اقتصصْتَ منّى فى «لقد بخلت» وزدتَ؛ فأذن لى بعد ذلك. ٩٧/٥

نسبة هذا الصوت

صوت

خليلىّ عُوجَا من صدور الرّواحل * بجَرْعاءِ(2) حُزْوَى فابكيا فى المنازل
لعلّ انحدار الدّمع يُعقب راحةً * من الوَجْد أو يَشفِى نَجِىَّ البلابل(3)

الشعر لذى الرُّمّة، والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى فى البيتين. وللواثق فى البيت الثانى وحدَه رَمَلٌ بالبنصر.

(1) راجع أحوال خلفاء بنى أمية والدولة العباسية فى الشرب واللهو واحتجابهم عن الندماء والمغنين بالستارة فى كتاب التاج فى أخلاق الملوك للجاحظ (ص ٣١ — ٤٥ طبع المطبعة الأميرية).

(2) الجرعاء: الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل، وقيل: هى الرملة السهلة المستوية. وحزوى (بضم أوله وسكون ثانيه مقصورا): موضع بنجد فى ديار تميم، وقال الأزهرى: جبل من جبال الدهناء. وفى ديوانه طبع أوربا ومعجم ياقوت: «بجمهور حزوى». والجمهور: الرملة العظيمة المشرفة على ما حولها.

(3) البلابل: الهموم فى الصدور.

تأسى ابن عياش بشعر ذى الرمة فى البكاء عند المصائب

أخبرنى أحمد بن عمّار قال حدّثنى يعقوب بن نُعَيْم قال حدّثنى كَثِير بن أبى جعفر الحِزَامىّ[(١)] الكُوفىّ عن أحمد بن جَوّاس الحَنَفىّ عن أبى بكر بن عَيّاش قال:

كنتُ إذا أصابتنى المصيبةُ تصبّرتُ وأمسكت عن البكاء، فأجد ذلك يشتدّ علىّ، حتّى مررتُ ذات يوم بالكُنَاسة[(٢)]، فإذا أنا بأعرابىّ واقف على ناقة له وهو يُنشِد:

خليلىّ عُوجَا منْ صُدورِ الرّواحلِ * بجَرْعاءِ حُزْوَى فآبكيَا فى المنازلِ
لعلّ انحدار الدّمع يُعقِب راحةً * من الوجد أو يَشفِى نَجِىَّ البَلَابلِ

فسألتُ عنه فقيل لى: هذا ذو الرُّمّة؛ فكنتُ بعدُ إذا أصابتنى مصيبة بكيتُ فأجد لذلك راحة؛ فقلت: قاتل الله الأعرابىَّ! ما كان أعلمَه وأفصحَ لهجتَه!.

سئل أيهما أجود لحنك أم لحن الواثق فأجاب

أخبرنا يحيى بن علىّ عن أبيه قال:

قلت لإسحاق: أيّما أجودُ، لحنُك فى «خليلىّ عوجا» أم[(٣)] لحن الواثق؟ فقال: لحنى أجودُ قِسْمةً وأكثر عملا، ولحنُه أطرَبُ، لأنه جعل رَدّتَه من نفس قِسْمته، وليس يقدِر على أدائه إلّا متمكّن من نفسه. قال علىّ بن يحيى: فتأمّلت اللحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق. قال وقال لى إسحاق: ما كان بحضرة الواثق أعلمُ منه بالغناء.

فضل ابن المعتز لحنا للواثق على لحنه

أخبرنى علىّ بن هارون قال:

كان عبد الله بن المعتزّ يحلف أنّ الواثق ظلم نفسَه فى تقديمه لحنَ إسحاق فى «لقد بَخِلَتْ». قال: ومن الدّليل على ذلك أنه قلّما غُنِّىَ فى صوت واحد بلحنين

---

(١) فى جـ: «الحرامى» بالراء المهملة. (٢) الكناسة (بضم الكاف): محلة بالكوفة.
(٣) فى الأصول: «أو»، والسياق يقتضى «أم».

فسقَط أجودُهما وشُهِر الدُّون، ولا يُشْهَر من اللحنين إلا أجودُهمـا، ولحنُ الواثق أشهرُهما، وما يَروِى لحنَ إسحاقَ إلا العجائزُ ومن كَثُرتْ روايتُه .

كان الواثق يعرض عليه صنعته فيصلح فيها

حدّثنى جَحْظة عن آبن المكىّ المرتَجِل عن أبيه أحمد بن يحيى قال :

كان الواثق يَعْرِض صنعتَه على إسحاقَ فيُصلِح فيها الشىءَ بعد الشىء .

آخر صوت صنعه

أخبرنا حسين بن يحيى (١) عن حمّـاد :

أنّ آخر صوت صنعه أبوه : « لقد بَخِلَتْ » ، ثم ما صنع شيئا حتى مات .

غنى المعتصم بشعر أبى القنافذ فأجازها

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنى أبو زيد عمر بن شَـبَّة قال حدّثنى إسحاق قال :

دخل أعرابىّ من بنى سُلَيم سُرَّ مَنْ رأى — وكان يُكْنَى أبا القَنَافِذ — فحضر بابَ المعتصم مع الشعراء فأُذِن له ؛ فلمّا مَثَل بين يديه أنشده :

مِراضِ العيونِ خِماصِ البطون * طِوالِ المتونِ قِصارِ الخُطَا
عِتَـاقِ النحـورِ (٢) رِقاقِ الثغورِ * لِطافِ الخصورِ خِدالِ (٣) الشَّوَى
عَطابيـلُ (٤) من كلِّ رَقْراقةٍ (٥) * تَلُوثُ الإزارَ بِدِعْصِ (٦) النَّقَـا
إذا هُنّ مَنَّيْنَنا نائلًا * أبَى البُخلُ منهنّ ذاك المُنَى
إلى النَّفَرِ البِيضِ أهـلِ البِطاحِ * وأهـلِ السَّماحِ طَلَبنا النَّـدَى

٩٨ / ٥

(١) فى الأصول : «حسن بن يحيى» ، وهو تحريف . (٢) عتاق النحور : جيلاتها .
(٣) خدال : جمع خدلة وهى من النساء : الغليظة الساق المستديرتها . والشوى : الأطراف .
(٤) عطابيل : جمع عطبولة وعطبول وهى الجارية الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق . قال ابن برى : ولا يقال : رجل عطبول إنما يقال : رجل أجيد ، اذا كان طويل العنق . (٥) جارية رقراقة : كأن الماء يجرى فى وجهها . (٦) الدعص : كثيب الرمل المجتمع .

لهـم سَطَواتٌ إذا هُيِّجوا * وحِلمٌ إذا الجهـلُ حَلّ الحُبا[1]
يَبِيـن لك الخـيرُ فى أوجهٍ * لهـم كالمصابيح تجلُو الدُّجى
سَعَى الناسُ كى يُدركوا فضلَهم * فقصَّر عن سعيهم مَنْ سَعَى
سَـعَى للخـلافةِ فاقتـادَها * وبرَّز فى السَّبْقِ لمّا جرى

قال : فاستحسنها المعتصم وأمرنى فغنَّيت فيها ، وأمَر للأعرابىّ بعشرين ألفَ درهم ولى بثلاثين ألفَ درهم؛ وما خرج الناس يومئذ إلّا بهذه الأبيات .

طلب من على بن هشام نبيذا فأرسله اليه

حدّثنى عمّى قال حدّثنى فَضْل اليَزيدىّ عن إسحاق قال :

كتبت إلى علىّ بن هشام أطلب منه نبيذًا، فبعث إلىّ بُجَانَ[2] بما التمستُ، وكتب إلىّ : قد بعثتُ إليك بشَرابٍ أصْلَبَ من الصَّخْر، وأعْتَقَ من الدهر ، وأصْفَى من القَطْر .

تخلف عن عبد الله ابن طاهر فكلف لميس أن تسرق لحنا له وتذيعه

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى أبو عبد الله الهِشامىّ عن أحمد المَكّىّ قال :

لمّا صنع إسحاقُ لحنَه فى الرَّمَل :

أمَاوِىَّ[3] إنّ المـالَ غادٍ ورائحٌ * ويبقى من المـال الأحاديثُ والذِّكْرُ
وقد علم الأقوامُ لو أنّ حاتمـا * يريد ثَراءَ المـال كان له وَفْـرُ

---

(١) الحبـا : جمع حبوة (بضم الأوّل وكسره فى المفرد والجمع) ، وهى الثوب الذى يحتبى به . والاحتباء : ضم الانسان رجليه الى بطنه بثوب يجمعهما . و يكنى بحل الحبا عن القيام كما يكنى بعقدها عن القعود . يريد : أن للمدوحين حلما اذا استفز الجهل أهل الجهل غضبا وطيشا.

(٢) لعله يريد بجان هـذا : قهرمانا أو وكيلا لعلى بن هشام ، وقد سقطت هذه الكلمة فى جـ .

(٣) الشعر لحاتم الطائى ، يخاطب ماوية بنت عفزر وقد خطبها حاتم الى أهلها ، وله فى ذلك معها حديث طويل . (انظر كتاب الشعر والشعراء ص ١٢٦ طبع أوربا ، والأغانى ج ١٦ ص ١٠٥ طبع بولاق) .

وهو رَمَل نادرٌ، ابتداؤه صِيَاح، ثم لا يزال ينزل على تدريج حتى يقطعه على تَجْمِعة، وكان كثيرَ الملازمة لعبد الله بن طاهر، ثم تخلّف عنه مدّة وذلك فى أيّام المأمون؛ فقال عبد الله لِلَمِيس جاريته : خُذِى لحنَ إسحاق فى :

* أماوِىّ إنّ المـال غادٍ ورائحٌ *

فأخلعيه على :

وهبّتْ شَمالٌ آخرَ الليل قَرّةٌ (1) * ولا ثوبَ إلّا بُرْدُها وردائيا

وألقيه على كلّ جارية تُعلّمينها وأشهريه وألقيه على من يُجيده من جوارى زُبَيْدة ، وقولى : أخذتُه من بعض عجائز المدينة؛ ففعلتْ، وشاع أمرُه حتى غُنّى به بين يدى المأمون؛ فقال المأمون للجارية : ممّن أخذتِ هـذا ؟ فقالت : من دار عبد الله بن طاهر من لَمِيس جاريته، وأخبرتْنى أنها أخذتْه من بعض عجائز المدينة. فقال المأمون لإسحاقَ : وَيْلَك ! قد صِرتَ تَسرِق الغناءَ وتدّعيه ، اِسمع هذا الصوت ؛ فسمعه فقال : هذا وحياتِك لحنى، وقد وقع علىّ فيـه نَقْب من لصّ حاذق، وأنا أغوص عليه حتّى أعرفَه؛ ثم بكّر الى عبد الله بن طاهر فقال: أهذا حقّى وحُرْمتى وخدمتى! تأخذ لَمِيس لحنى فى :

* أماوىّ إنّ المـال غادٍ ورائحٌ *

فتغنّيه فى : «وهبّتْ شَمال» ! وليس بى ذلك، ولكن بى أنّها فضحتْنى عند الخليفة وادّعتْ أنها أخذتْه من بعض عجائز المدينة ؛ فضحك عبـد الله وقال : لو كنتَ تُكثِر عندنا كما كنت تفعل لم تُقْدِم عليك لَمِيسُ ولا غيرُها؛ فاعتـذر فقبل عذرَه، وقال له : أىّ شىء تريد ؟ قال : أُريد أن تُكذّب نفسَها عند من ألقتْه عليها حتى

(1) قرة : باردة .

يعلم الخليفة بذلك ؛ قال : أفعل ؛ ومضى إسحاقُ إلى المأمون وأخبره القصّة ؛ فآستكشفها من لَبِس حتى وقف عليها ، وجعل يعبَث بإسحاق بذلك مدّة .

غنى محمدا الأمين فى شعرله فيه فأجازه

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر قال حدّثتنى شَهَوات[1] الصَّنّاجة التى كان إسحاق أهداها إلى الواثق : 99 / 5

أن محمدا الأمين لمّا غنّاه إسحاقُ لحنَه الذى صنعه فى شعره وهو الثقيل الأوّل :

صـــوت

يأيهـا القائمُ الأمين فدَتْ * نفسَك نفسى بالمـال والوَلَدِ
بَسَطْتَ للنّـاس إذ وَلِيتَهُمُ * يدًا من الجود فوق كلّ يد

فأمر له بألف ألفِ درهم ؛ فرأيتُها قد وصلتْ إلى داره يحملها مائةُ فرّاش .

سأله الواثق ، وهو يغنيه شعرا ، عن أحسن ما فيه أعجب بجوابه وأجازه

حدّثنى جَحْظة ومحمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

غنّيتُ الواثقَ :

صـــوت

عَفَا طَرَفُ القُرَيّة فالكَثِيبُ * إلى مَلْحاءَ ليس بهـا عَرِيبُ[2]
تأبّد رسمُهـا وجرى عليهـا * سَوَافِى الريح والتُّربُ الغريبُ

ـ ولحنه ثقيلٌ ثانٍ ـ قال : فقال لى : يا إسحاق ، قد أحسن ٱبنُ هَرْمة فى البيتين ، فأىّ شىء هو أحسنُ فيهما من جميعهما ؟ قال قلت : قوله : «التُّرب الغريب» ، يريد أنّ الريح جاءت إلى الأرض بتراب ليس منها فهو غريب جاءت به من موضع بعيد ؛ فقال : صدقتَ وأحسنتَ ؛ وأمر لى بخمسين ألفَ درهم .

(١) فى مختار الأغانى (ص ١٥٩) : « شهوار » بالراء المهملة .
(٢) تقدّم هذا الشعر فى ص ٢١٤ من هذا الجزء مع التعليقات عليه فراجعه .

أمر ابن المدبر مغنيا أن يزيد بيتا على لحن له

حدّثنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى محمد بن الحسن بن الحَرُون قال: كنّا يوماً عند أحمد بن المُدَبّر، فغنّاه مغنٍّ كان عنده لحنَ إسحاقَ :

صـــــوت

فأصبحتُ كالحَوْمانِ[1] ينظُر حسرةً * إلى المـاء عطشاناً وقد مُنِـع الوِرْدَا

وقال ابن المُدَبّر : زد فيه :

وأمسيتُ كالمسلوبِ مهجةَ نفســه * يرى الموتَ فى صدّ الحبيب إذا صَدّا

لحنُ إسحاق فى هذا البيت من الثقيل الأوّل بإطلاقِ الوتر فى مجرى البنصر .

أنشد مروان بن أبى حفصة شعرا له فأدهشه

حدّثنى الأخفش قال حدّثنى محمد بن يزيد الأزْدىّ قال حدّثنى شيخ من وَلَد المهلّب قال :

دخل مَرْوانُ بن أبى حَفْصة يوماً على إبراهيمَ الموصلىّ، فجعلا يتحدّثان إلى أن أنشد إسحاقُ بن إبراهيم مروانَ بن أبى حَفْصة لنفسه :

إذا مُضَرُ الحمراءِ[2] كانت أَرُومَتى * وقام بنصرى خازمٌ وابنُ خازمِ[3]

عطَستُ بأنفٍ شامخٍ وتناولتْ * يداى الثُّرَيّا قاعدًا غــيرَ قائمِ

(١) الحومان : العطشان ، من حام يحوم اذا عطش . وفى حـ : «كالحيران» ، ولعـل صوابها «الحرّان» ، والحرّان : الشديد العطش. (٢) قيل لمضر : مضر الحمراء (بالإضافة) لأن أباهم مضر لما اقتسم هو وربيعة الميراث أعطى مضر الذهب (وهو يؤنث) وأعطى ربيعة الخيل ، فقيل لهذا : مضر الحمراء، ولذاك ربيعة الفرس . ويقال : لأنه كان شعار مضر فى الحرب العمائم والرايات الحمر. (راجع لسان العرب مادة «مضر»)

(٣) تقدّم هذان البيتان فى أوّل ترجمة إسحاق (ص ٢٧٨ من هذا الجزء) برواية البيت الأوّل هكذا :

إذا كانت الأحرار أصلى ومنصبى * ودافع ضيمى .. ... الخ

وهى الرواية التى تتفق مع الواقع ، إذ إسحاق الموصلى لم تكن أرومته مضر الحمراء بل كان أصله فارسيا . وورد فى بعض الأصول هنا : «حازم وابن حازم» بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

قال : وجعل إبراهيم يحدّث مروانَ وهو عنه ساهٍ مشغول، فقال له : مالك لا تجيبنى ؟ قال : إنك والله لا تدرى ما أفرغ ٱبنُك هذا فى أذنى .

طرب لشعر أعرابى وسكر حتى انصرف محمولا

حدّثنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنى موسى بن هارون عن يعقوب بن بِشْر قال :

كنتُ مع إسحاق الموصلىّ فى نُزْهة، فمرّ بنا أعرابىّ، فوجّه إسحاقُ خَلْفَه بغلامه زِيَادٍ الذى يقول فيه :

وقُولَا لساقِينـا زِيَادٍ يُرِقّهـا * فقد هَدَّ(١) بعضَ القوم سَقْىُ زِيادِ

قال : فوافانا الأعرابىّ، فلمّا شَرِب وسمِع حَنين الدّواليب قال :

١٠٠ / ٥

صـــوت

بَكَرتْ تَحِنُّ ومابهـا وَجْـدِى * وأَحِنُّ من وَجْـدٍ إلى نَجْـدِ

فدموعُها تَحْيـا الرِّياضُ بهـا * ودموعُ عَيْنِي أَقْرَحَتْ خَدِّى

وبساكِنِي نجـدٍ كَلِفتُ وبها * يُغْنِي لهم كَلَفِى ولا وَجْـدِى

لو قِيس وجـدُ العاشقين إلى * وَجْدِى لزاد عليه ماعنـدى

قال : فما ٱنصرف إسحاق إلى بيته إلّا محمولا سُكْرًا، وما شرب إلّا على هذه الأبيات. والغناء فيها لإسحاق هَزَجٌ بالبِنْصَر .

قصته مع الفضل بن الربيع بشأن البساط

أخبرنى محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرنى به الحسن بن علىّ عن عبد الله بن أبى سَعْد عن محمد بن عبد الله عن إسحاق قال :

---

(١) هدّه الأمر : بلغ منه وأعياه .

دخلتُ على الفَضْل بن الرَّبيع وهو على بساط سُوسَنْجِرِدِىّ[1] ستينىّ مُذهب يلمع عليه مكتوب : «مما أمر بصنعته حمّاد عَجْرد»؛ فقال لى : أتدرى مَنْ حمّاد عَجْرد؟ قلت : لا؛ قال : حمّاد عجرد كان والىَ تلك الناحية ؛ أفرأيتَ مثلَه قطُّ ؟ قلتُ : لا ، فسكتَ؛ ثمّ قلتُ : أهكذا يفعل الناس ؟ قال : أىّ شيء يفعلونه ؟ قلت : تَهَبُـه لى؛ قال : لا أفعل؛ قلت : إذًا أغضبُ؛ قال: ما شئتَ افْعَلْ؛ فخرجتُ مُتغاضباً؛ فلمّا وافيتُ منزلى إذا برسوله قد لَحِقنى بالبساط؛ فكتبتُ إليه بيتين لحمْزة ابن مُضَر :

ولقد عدَدْتُ فلستُ أُحصى كلَّ ما * قـد نِلْتُ منك من المتاع المُونِقِ
بخـدِيعتى فأراك مُنخـدِعًا لها * وفُكاهـتى وتَغَضُّـبى وتملُّـقى

— قال ابن أبى سعد فى خبره : — فلمّا دخلتُ عليه ضحك وقال لى : البيتان خير من البساط، فالفضلُ الآن لك علينا .

رآه ابن بانة يناظر ابراهيم بن المهدى فلم يفهم ما يقولان

أخبرنى يحيى بن علىّ وأحمد بن جعفر جَحْظة عن أبى العُبَيْس بن حَمْدون عن عمرو بن بانة قال :

رأيتُ إبراهيم بن المهدىّ يناظر إسحاقَ فى الغناء ، فتكلّما بما فهماه ولم أفهم منه شيئًا؛ فقلت لهما : لئن كان ما أنتما فيه من الغناء فما نحن منه فى قليل ولا كثير .

شعره فى الواثق

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى قال حدّثنى إسحاق قال :

قدمتُ على الواثق فى بعض قَدَماتى ، فقال لى : أمَا اشتقتَ إلىّ ؟ فقلتُ : بلَى والله يا أمير المؤمنين ، وأنشدتُه :

(١) فى أ ، ء ، م هكذا : «سوه منجرد ستينى» . وفى سائر الأصول : «سوسنجرد» من غير ياء النسب . وسوسنجرد : قرية من قرى بغداد .

أشكو إلى الله بُعـدى عن خليفته * وما أُعالج من سُقْمٍ ومن كِبَرِ
لا أستطيع رحيـلًا إن هَممتُ به * يوماً إليـه ولا أقوَى على السَّفَرِ
أنوِى الرَّحيـلَ إليـه ثمّ يمنعنى * ما أحدثَ الدهرُ والأيامُ فى بصرى

قال : [و] (1) قال وقد أشخصه إليه قصيدتَه الداليّة :

صـــوت

ضَنّتْ سـعادُ غَداة البَيْن بالزادِ * وأخلفتْــكَ فما تُوفِى بميعادِ
ما أنْسَ لا أنْسَ منهـا إذ تُودِّعنا * والحزنُ منها وإن لم تُبْدِه بادى

لإسحاق فى هذين البيتين رَمَلٌ بالوسطَى، يقول فيها :

لمّـا أمرتَ بإشخاصى إليك هَفَا * قلبى حنيناً إلى أهـلى وأولادى
ثم اعتزمتُ ولم أحفِـل ببَيْنِهمُ * وطابتِ النفسُ عن فضلٍ وحَمّاد ١٠١/٥
كمْ نعمةٍ لأبيك الخـيرِ أفردَنى * بهـا وعَمّ بأُخرى بعـد إفراد
فلو شـكرتُ أياديكم وأنْعُمَكم * لمـا أحاط بها وَصْفِى وتَعْدادى
لأشـكرنّك ما ناح الحَمـامُ وما * حَدَا على الصبح فى إثْرِ الدُّجى حادى

قال علىّ بن يحيى : قال لى أحمد بن إبراهيم : يا أبا الحسن، لو قال الخليفة لإسحاق : أَحضِرنى فَضْلًا وحَمّادًا أليس كان قد افتضح من دَمامة خَلْقهما وتخلّف شاهدِهما .

كتب إليه ابن المهدى يأسف لفقدان من يحكم بينهما

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى هِبة الله بن إبراهيمَ بن المهدىّ قال :
كتب أبى إلى إسحاق فى شىء خالفه فيه من التجزئة والقسمة : «إلى من أُحاكمك والنّاس بيننا حَمِير!» .

(1) الزيادة عن ا، ء، م .

قصة ذهابه الى تل عزاز حين خرج مع الرشيد

أخبرنى محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثنا سليمان بن أيّوب قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك الخُزَاعىّ قال حدّثنا إسحاقُ قال :

كنتُ مع الرشـيد حين خرج إلى الرَّقّـة، فدخل يوما إلى النساء، وخرجتُ فمضيتُ إلى تَلّ عَزَاز(١)، فنزلتُ عند خَمّارة هناك فسقَتْنى شَرابًا لم أَرَ مثلَه حُسْنًا وطيبًا وطيبَ رائحةٍ فى بيت مرشوش ورَيْحانٍ غَضّ، وبرزتْ بنتٌ لها كأنّها خُوط(٢) بانٍ أوجَدْل عِنَان، لم أرَ أحسنَ منها قدًّا، ولا أسْيَلَ خدًّا، ولا أعْتَقَ وجها، ولا أبرعَ ظَرْفا، ولا أفْتَن طَرْفا، ولا أحسنَ كلاما، ولا أتمّ تماما؛ فأقمتُ عندها ثلاثًا والرشيد يطلبنى فلا يقدِر علىّ؛ ثم آنصرفتُ فذهبتْ بى رُسُلُه، فدخلتُ عليه وهو غضبان؛ فلمّا رأيتُه خطَرْتُ فى مِشْيتى ورقَصْتُ، وكانت فىّ فضلةٌ من السُّكْر، وغنّيتُ :

صــــوت

إنّ قلبى بالتَّلِّ تَلِّ عَزَازِ * عنـد ظبى من الظِّباء الجَوازِى(٣)

شادنٍ يَسْكُنُ الشّآمَ وفيــه * مع دَلّ العِراق ظَرْفُ الحجـاز

يا لَقومِى لِبنت قَسٍّ أصابتْ * منك صفوَ الهوى وليست تُجازِى

حلفتْ بالمسيح أن تُنجز الوعـ * ـدَ وليست تجـود بالإنجـاز

— الغناء لإسحاقَ خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى عن عمرو بن بانة — قال إسحاق : فسكَن غضبُه، ثم قال لى : أين كنتَ ؟ فأخبرتُه؛ فضحك وقال : إنّ مثل هذا إذا اتّفق

(١) عزاز : ذكره ياقوت فى معجمه فقال : «ذكر أبو الفرج الأصبهانى فى كتاب الديرة : أن عزاز بالرقة، وأنشد عليه لإسحاق الموصلى ... » . ثم ساق ياقوت بعد ذلك البيتين الأولين من الأربعة الأبيات التالية . (٢) الخوط : الغصن الناعم . والجدل : الحبل المفتول . (٣) الجوازى (أصله بالهمز) : جمع جازئة ، وهى من الظباء التى استغنت بالرطب (الرعى الأخضر من البقل والشجر) عن الماء .

لَطِيبٌ، أَعِدْ غناءك، فأعدته، فأُعجِب به، وأمرني أن أُعيده ليلةً من أولها إلى آخرها، وأخذها المغنّون منّي(١) جميعا وشربنا إلى طلوع الفجر، ثم انصرفنا فصلّيت الصبحَ ونمت؛ فما استقررنا حتى أتى إليّ رسول الرشيد فأمرني بالحضور، فركبتُ ومضيت؛ فلمّا دخلتُ وجدت ابنَ جامع قد طرح نفسه يتمرّغ على دُكّان(٢) في الدار لغلبة السُّكْر عليه، ثم قال: أتدري لِمَ دُعينا؟ فقلت: لا والله؛ قال: لكنّي أدري، دُعينا بسبب نصرانيّتك الزانية، عليكَ وعليها لعنةُ الله؛ فضحكتُ. فلمّا دخلتُ على الرشيد أخبرتُه بالقصة، فضحك وقال: صدَق، عُودوا فيه فإنّي اشتقتُ إلى ما كنّا فيه لمّا فارقتموني؛ فعُدْنا فيه يومنا كلّه حتى انصرفنا.

شعره الى المأمون حين وجد عليه لما ترك الغناء

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبيّ قال:

١٠٢/٥ كان إسحاق قد أظهر التوبة وغيّر زِيّه واحتجر(٣) من حضور دار السلطان. فبلغه أنّ المأمون وَجَد عليه من ذلك وتنكّر؛ فكتب إسحاقُ إليه وغنّى فيه بعد ذلك:

صــوت

يا ابنَ عمّ النبيّ سمعًا وطاعهْ * قد خلعنا الرداءَ والدُّرّاعهْ
ورجعنا إلى الصِّناعة لمّا * كان سُخْطَ الإمامِ تركُ الصِّناعه

الغناء لإسحاق رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو — وقد ذكر الغلابيّ أن هذا الشعر لأبي العتاهية، قاله لمّا حبسه الرشيد وأمره بأن يقول الشعر — وذكر حبش أن هذا اللحن لإبراهيم.

(١) كذا في جميع الأصول، ولعله: «وأخذه» أي الغناء. (٢) الدكان: مقعد يبنى ويجلس عليه وهو يشبه ما يسمى بالمصطبة الآن. (٣) احتجر: امتنع. وفي ء: «احتجز» بالزاي المعجمة، ومعناه امتنع أيضا.

تفضيل لحنين له على لحنى ابن سريج ومعبد

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى قال :

قال لى محمد بن الحسن بن مُصعَب، وكان بصيرًا بالغناء والنَّغَم، : لحنُ إسحاق فى « تَشَكَّى الكُميتُ الجرىَ » أحسنُ من لحن ابن سُرَيج، ولحنُه فى « يوم تُبْدى لنا قُتَيْلة» أحسنُ من لحن مَعْبد، وذلك من أجود صنعة معبد . قال : فأخبرتُ إسحاق بقوله ،فقال: قد والله أخذتُ بزمامَىْ راحلتيهما و زَعْزعتُهما(١) وأنختُ بهما فما بلغتُهما. فأخبرتُ بذلك محمد بن الحسن؛ فقال : هو والله يعلم أنه بَرّز عليهما،ولكنه لا يدع تعصّبه للقدماء .

وأخبرنى جَحظة قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق :

أنّ رجلا سأل أباه فقال له : إنّ الناس قد كثّروا فى صوتيك : «تشكّى الكُميتُ الجرىَ» و «يوم تُبدى لنا قُتَيْلة» ، وقالوا : إنهما أجود من لحنَى ابن سُريج ومَعْبد؛ قال أبى : وَيْحك ! رُميت فى هذين الصوتين بمعبد وآبن سُريج وهُمَا هُمَا، فقرُبت ووقع القياسُ بينى و بينهما ،وعلى ذلك فقد والله أخذتُ بزمامَىْ راحلتيهما وآنتصفتُ منهمـا .

تحليل غنائه

قرأت فى بعض الكتب أن محمد بن الحسن — أظنّه آبن مصعَب — ذكَر إسحاقَ الموصلىّ فقال :

كانت صنعتُه مُحكَمةَ الأصول، ونغمتُه عجيبةَ الترتيب، وقسمتُه مُعدَّلةَ الأوزان، وكان يتصرّف فى جميع بُسُط الإيقاعات ، فأىّ بِساط منها أراد أن يتغنّى فيه صوتاً قصد أقوى صوت جاء فى ذلك البِساط لحُذّاق القدماء فعارَضه: وقد كان يذهب مذهبَ الأوائل ، ويسلُك سبيلَهم ، و يقتحم طُرُقَهم ؛ فيَبْنى على الرّسم فيصنعه ،

(١) زعزعهما : ساقهما سوقا عنيفا .

ويحتذى على المِثَال فيَحْكيه[1]، فتأتى صنعته قويّة وثيقة يجمع فيها حالتين : القوّةَ فى الطّبع وسهولةَ المسلك ، وخُنْثًا بين كثرة النّغَم وترتيبها فى الصِّياح والإسجاح ؛ فهى بصنعة الأوائل أشبهُ منها بصنعة المتوسّطين من الطبقات ؛ فأما المتأخرون فأحسنُ أحوالهم أن يَرْوُوها فيردّوها . وكان حسنَ الطبع فى صياحه ، حسنَ التلطُّف، لتنزيله[2] من الصّياح الى الإسجاح على ترتيب بنَغَم يشاكله، حتّى تعتدلَ وتتّزن أعجازُ الشعر فى القسمة بصدوره. وكذلك أصواتُه كلُّها، وأكثرها يبتدئُ الصوت فيصيح فيه — وذلك مذهبه فى جُلّ غنائه، حتى كان كثير من المغنّين يلقّبونه الملسوعَ ؛ لأنه يبدأ بالصّياح فى أحسن نغمة فتح بها أحدٌ فاه — ثم يردّ نغمتَه فيرجّحها ترجيحا و ينزّلها تنزيلا حتى يَحُطّها من تلك الشـدّة إلى ما يوازيها من اللين ، ثم يعُود فيفعل مثل ذلك، فيخرج من شـدّة إلى لين ومن لين إلى شـدّة ؛ وهذا أشدّ ما يأتى فى الغناء وأعزّ ما يُعرف من الصّـنعة . قال يحيى بن علىّ بن يحيى وقد ذكر إسحاقَ فى صدر كتابه الذى ألّف فى أخباره [وزاد فى بعض ما صنعه][3]: «وكان إسحاق أعلمَ أهل زمانه بالغناء، ١٠٣/٥
وأنفذَهم فى جميع فنونه، وأضربَهم بالعود وبأكثر آلات الغناء، وأجودَهم صنعةً، وقد تشـبّه بالقديم وزاد فى بعض ما صـنعه عليه ، وعارَض ٱبنَ سُريج ومعبـدًا فٱنتصف منهما ؛ وكان إبراهيم بن المهدىّ ينازعه فى هذه الصناعة ولم يَبْلُغه فيها، ولم يكن بعدَ إسحاقَ مثلُه » .

تشبيه لصوت له

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينىّ قال حدّثنى إبراهيم ٱبن علىّ بن هشام :

---

(١) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : « فيحكمه » . (٢) لعله «لتنزله» . والتنزل : النزول فى مهلة . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : « وزاد فى بعض ما صنعوا » . على أنه غير واضح وجه ارتباط هذه العبارة بما يتصل بها ؛ فلعلها زيدت من النساخ .

قال إسحاق وذكر صوته :

صــــوت

كان آفتتاحَ بــلائِي النَّظرُ * فآلحَيْنُ سبَّبَ ذاك والقَدَرُ
قد كان بابُ الصّبرِ مُفْتَتَحًا * فاليومَ أُغْلِقَ بابَهُ النَّظَـرُ

— الشعر والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى البنصر . وفيه لأحمد بن المَكّيّ خفيفُ ثقيلٍ ، ولعَرِيبَ ثانى ثقيلٍ، جميعًا عن الهِشاميّ — قال إسحاق : ما شبّهتُ صوتى هذا إلّا بإنسان أخذ الكُرَةَ على الطَّبْطَابة(١) وأهلُ الميدان جميعًا خَلْفَه، فلمّا بلغ أقصى ضربها أعجزها .

قصته مع يحيى بن معاذ والأمين

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن يزيد المُهلّبىّ قال حدّثنى إسحاق ، وأخبرنا يحيى بن علىّ عن أبى أيّوب المَدِينىّ عن آبن المَكّىّ عن إسحاق قال :

صنعتُ هذا الصوت فى آخر أيام الرشيـد وكان إذ ذاك يحيى بن مُعاذ يشرب النبيذ، فلمّا كان فى أيام محمد غنّيته، فآشتهاه وآشتَهَر به، و بعث إلى يحيى بن معاذ وأنا أغنّيه :

اِسـقنى وآبنَ نَهِيكٍ * وآبنَ يحيى بنِ مُعـاذِ

فلمّا حضر يحيى غنّيت :

فآسقنى وآسقِ نَهِيكًا * وآسقِ يحيى بنَ مُعاذِ

فبعث إليـه محمد فأحضره فقـال(٢) : لتشربنّ أو لأعاقبنّك ؛ فلم يبرح حتى شرب قدحا ، وغلّفه(٣) وأمر له بمال، وسُرّ بذلك محمد ووهب لى عليه مالًا، وآنصرفت إلى

(١) الطبطابة : خشبة عريضة يلعب بها بالكرة . (٢) سياق الكلام يقتضى أن تكون العبارة بعد البيت : « فقال محمد : لتشربن ... الخ » . مع حذف الباقى، ولعله زيد سهوا .

(٣) غلفه : طيبه بالطيب . وكان من أخلاق الملك تفرده بالتطيب والتجمل ونحوهما ولا تشركه فى ذلك بطانته وندماؤه . (راجع كتاب التاج للجاحظ طبع بولاق ص ٤٦ — ٤٩) .

البيت، فجاءنى رسول يحيى بن معاذ فصِرتُ إليه، فلم يزل يستحلفنى ألّا أعودَ فى هذا الصوت قُدّامَ محمد أبدًا، وأمر لى من المـال بشىء فلم أقبله، ولم أعُدْ فيه .

نسبة هذا الصوت

صـــــوت

شعر علىّ بن هشام الذى غنى فيه

يومُنـا يـومُ رَذَاذِ * وٱصطباحٍ والتـذاذِ
فٱسقنى وٱبنَ نَهِيكٍ * وٱبنَ يحيى بن مُعـاذِ
من كُمَيْتٍ(١) عُتّقت للشـ * ـيخ كِسرى بن قُبَاذِ
ليس للـمرء من الهـمّ * ســواها من مَلاذِ

الشعر لعلىّ بن هِشام، والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو .

أخبرنى بقوله علىّ بن هشام والحسن بن علىّ قالا حدّثنا عبد الله بن أبى سعد

١٠٤/٥ قال حدّثنى أحمد بن القاسم الهاشمىّ(٢) قال حدّثنى أبو عبد الله الهلالىّ قال :

كنتُ عند علىّ بن هشام يومًا إذ رَشّت السماءُ رشًا وطَشّت، فأنشأ علىّ يقول:

يومُنـا يـومُ رذاذِ * وٱصطباحٍ والتـذاذِ

— وذكر الأبيات الأربعـة — ثم قال لغلامه : اذهب إلى أحمد بن يحيى بن معاذ وقل له : يقول لك أخوك: هذا يوم طيّب، فتعالَ أنت وغلاماك بُنَان وعثعث، فجاء إلى بابه الرسولُ وعليه غُرَماءُ له، فمنعوه الدخولَ عليه، فقال لهم: كم لكم عليه؟ قالوا: مائتا ألف درهم، فرجع الغلام إلى علىّ بن هشام فأخبره بالخبر ومبلغ مالهم عليه من الدَّيْن، فقال له : احملْ إليه مائتى ألف درهم وجِئْ به وبغلامَيْـه الساعةَ فحملها، فجاء أحمدُ بن يحيى ومعه غلاماه، فقال لعلىّ بن هشام : لِمَ تحمّلتَ هذا لى! أنا والله

(١) الكميت : الخمر التى فيها سواد وحمرة . (٢) فى حـ : « الهشامى » .

مُنتظر مالا يجيء فأُعطيهم؛ فقال له : مالى ومالُك واحدٌ. فتغدّيتُ معهما حتى جاءت الحلواء؛ فقال : أكْثِر من الحلواء فلستَ تدخل معنا فى ديواننا (يعنى الشُّرْب)؛ فأكلتُ وغسلت يدىّ ؛ فقال لغلامه سِراج : احمِلْ مع أبى عبد الله الهلالىّ ثلاثين ألفَ درهم؛ فآنصرفتُ وهى معى .

تذكر فى كبره شعرا له فى صباه فبكى

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا سليمانُ المَدَائنىّ عن آبن المَكّىّ عن أبيه قال حدّثنى إسحاق قال :

تعشّقتُ جاريةً فقلت فيها :

هل إلى أن تنـام عينى سبيلُ * إنّ عهدى بالنوم عهدٌ طويلُ
غاب عنّى مَنْ لا أُسمّى فعَيْنى * كلَّ يـوم عليه حُزْنًا تَسِـيل

— الشعر والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو . وفيه لعَريبَ خفيفُ رَمَلٍ آخر. وفيه لمحمد بن حمزة وَجْه القَرْعة خفيفُ ثقيلٍ، وقيل : إنه لآبن المَكّىّ . وفيه رَمَلٌ بالوسطى يُنسب إلى عَلّويه وإلى حسين بن مُحْرِز — قال إسحاق : ثم ملكتُها ، فكنت مشغوفا بها، حتى كَبِرتُ وآعتلّتْ علىّ عيناى ، فذكرتُ هذا الصوتَ وأيامَه المتقدّمة، فما زلتُ أبكى وأذكر دهرى الذى تولّى . وأخبرنى بهذا الخبر الحسن بن علىّ عن يزيد المُهَلّبىّ عن إسحاق؛ وليس هذا على التمام .

حكم يحيى المكى على لحن له عند المأمون

أخبرنى جَحْظة عن محمد بن أحمد بن يحيى المَكّىّ عن أبيه قال :

دعا المأمونُ بإسحاق فأُحْضِرَه، فأمره أن يُغَنّى فى هذا الصوت [فغنّى](1) :

هل إلى أن تَنامَ عَيْنى سبيلُ *

(١) سياق الكلام يأبى هذه الكلمة ، ولعلها زيدت من النساخ .

فغنّاه؛ وكنتُ حاضرًا فقلت : أحسنَ والله يا أمير المؤمنين، وما عدَا بلحنه معنى شعره؛ فقال المأمون: فإنّا نَرُدّ الحُكمَ الى مَنْ هو أعلم بذلك منك؛ فبعث إلى أبى (يعنى يحيى المكىّ) فجىء به، فخبّره بما قلتُ وما قال، وأمر إسحاقَ بردّ الصوت فردّه؛ فقال يحيى: أحسنَ إسحاقُ فى غنائه وأحسنَ آبنى فى آستحسانه ، إلّا أنّ هـذا اللحنَ يحتاج أن يُسمَعَ من غير حَلْق إسحاق؛ فضحك المأمون ، وأمر لإسحاقَ بمال وأمر لأبى بمثله ولى بمثله . قال : ولم يكن فى إسحاق شىء يُعاب إلّا حَلْقُه ، وكان يغلب النـاسَ جميعا بطبعه وحِذْقه .

ضعف بصره والسبب فى ذلك

قال : وأما السبب فى علّة عين إسحاق وضعف بصره ، فأخبرنى به محمـد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنى به أبو أيّوب المَدينىّ قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعىّ :

أنّ إبراهيم ابن أخى سَلَمة(١) الوَصيف نازَع إسحاقَ فى شىء بين يدى الرشيد من الغناء، فردّ عليه، فشَتَمه، فردّ عليه إسحاقُ وأَرْبَى فى الردّ؛ فقال له إبراهيم : أتردّ علىّ ١٠٥/٥
وأنا مولى أمير المؤمنين! فقال له : أُسكُتْ فإنك من مَوالى العيدِين(٢)؛ فقال له الرشيد: وأىّ شىء موالى العيدِين ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، يُشتَرَى للخلفاء كلُّ صانع وكلُّ ضربٍ فى العبيـد للعتق؛ فيكون فيهـم الحجّامُ والحائك والسائس؛ فهو أحد هؤلاء الذين ذكرتُ . قال : وخرج إبراهيم فوقف له على طريقه، فلمّا جاز عليه مُنْصَرِفًا ضرب رأسَه بِمِقْرَعةٍ فيهـا مِعْوَلٌ ؛ فكان ذلك سببَ ضـعف بصر إسحاق . وبلغ الرشيـدَ الخبرُ ، فأمر بأن يُحجَب عنه إبراهيمُ ، وحلف ألّا يدخلَ عليه؛ فدسّ إلى الرشيدِ من غنّاه :

(١) فى جميع الأصول هنا : «إبراهيم بن أبى سلمة» . وقد آثرنا ما أثبتناه لأن الأصول قد اتفقت عليه عند ذكره فى المرات التالية . (٢) فى حـ ، سـ ، ب : «موالى العيرين» بالراء المهملة .

صـــوت

مَنْ لعبـــدٍ أذلَّه مولاهُ * ماله شافعٌ إليـــه سواهُ
يشتكي ما به إليه ويخشا * هُ ويرجوه مثلَ مايخشاه

— الشعر لأبى العتاهية، والغناء لإبراهيم ابن أخى سَلَمة الوَصيف خفيفُ رَمَلٍ. وفيه لعَرِيبَ ثقيلٌ أوّلُ . وقيل: إن لابن جامع فيه خفيفَ رملٍ آخر — فلما غُنِّيَ الرشيدُ بهذه الأبيات، سأل عن صاحب لحنهـا فعُرِّفَه، فحلف ألّا يرضَى عنه حتى يرضَى إسحاقُ؛ فقام إسحاق فقال : قد رَضِيتُ عنه يا سيّدى رضاءً حسنا، وقبّل الأرضَ بين يديه شكرًا لمـا كان من قوله ؛ فرضِى عنه وأُحضِر وأمره بتَرَضِّى إسحاقَ ففعل .

قصته مع إبراهيم ابن أخى سلمة بسبب الدخول على الرشيد

وأخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال :

جاء إبراهيم ابن أخى سَلَمة إلى الرشـيد فقال له : يا أمير المؤمنين، إنّى أُحبّ أن تشرّفنى بأن تكون نَوْبتى ونوبةُ إسحاقَ الموصـلىّ فى مكان، وأن يكون دخولى إليـك ودخوله فى مكان، فإنْ رأيتَ أن تجعـل ذلك كما سألتُ فعلتَ؛ قال : قد فعلتُ؛ ولم أكن حاضرًا لمسألته . فلمّـا كان يومُ دخولى عليه جاءنى إبراهيم فدقّ بابى دقًّا عنيفًا وعرّفنى الغـلامُ خبرَه ؛ فقلتُ له : يدخل ؛ فأبى وقال له : قل له اخرج أنت؛ فساء ظنّى وآغتممتُ ، فخرجتُ اليه فقلت له : ما الخبر؟ قال : إنّ أمير المؤمنين يأمرك بالحضور و يأمرك ألا تدخل الدارَ إلّا معى بعد أن أُوجِّه إليك فتركب إلىّ وتمضى معى ؛ فمضيت معه على رغمى وأنا منكسر ، وكنت بقيّةَ يومى على تلك الحال . ثم ركبت إلى الفضـل بن الرَّبيـع فشكوتُ ذلك إليـه؛ فقال : ما أرى أميرَ المؤمنين يُحِلُّك هذا المحلَّ، قم بنا إليه؛ فقمت معه، فدخل إلى الرشيد فقال له : يا أمير المؤمنين ، إسحاقُ وخدمتُـه وحقوقُ أبيه عليك وعلى أمير المؤمنين

المهدىّ تضع مقدارَه أن تجعله مضموماً إلى إبراهيم ابن أخى سَلَمة؛ قال : لا والله ما فعلتُ هذا؛ قال : إنه قد جاءنى يبكى ويحلف لئن جرى عليه هذا تاب من الغناء وتركه جملةً ، ثم لو قُتل لم يَعُدْ إليه؛ فقال : ويحك! والله ما جرى من هذا شىء، إلّا أنّ إبراهيم ابن أخى سَلَمة جاء فقال : تشرّفنى أن تجعل نوبتى مع نوبة إسحاق ووصولى مع وصوله ففعلت؛ فقل له : يجىء متى شاء وينفرد عنه ولا يجىء معه ولا كرامةَ؛ فأخبرنى فرجعت . فلمّا كانت نوبتى جاء إبراهيم إلىّ ففعل مثلَ فعله؛ فقلت لغلامى : اخرج اليه فقل له : ولا كرامةَ لك يا زانى يابنَ الزانية، لا أجىء معك ولا أدَعُك تجىء معى أيضا ، وشتَمه أقبحَ شتم ؛ فخرج الغلام فأدّى اليه الرسالة ؛ فعلم أن هذا لم يجترأ عليه إلّا بعد توثّق فخجل ، فقال له : قل له : ومَنْ أكرهك على هذا ! إنما أحببتُ أن نصطحب ونتأنّس فى طريقنا ، فإن كرِهتَ هذا فلا تفعلْه ؛ وانصرَف ولم يعاودْنى بعدها . ١٠٦/٥

كان له صوت اذا غناه أخذ بلحيته وبكى

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينىّ عن ابن المكّىّ عن أبيه قال :

كان إسحاق إذا غنّى هذا الصوتَ يأخذ بلحيته ويبكى :

إذا المرءُ قاسى الدهرَ وابيضّ رأسُه * وثُلِّم تثليمَ الإناء جوانبُهْ
فللموتُ خيرٌ من حياةٍ خسيسةٍ * تُباعده طوراً وطوراً تُقاربه

الشعر لزَبّان بن سَيّار الفَزارىّ ، حدّثنى بذلك الحَرَمىّ بن أبى العلاء عن الزُّبَير بن بكّار عن عمّه . والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى .

جفاه المأمون فأمر هو علويه أن يغنيه بشعرله فرضى عنه

أخبرنا محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه، وأخبرنا يحيى بن علىّ عن أبيه عن إسحاق قال :

أقام المأمون بعد قدومه عشرين شهرًا لا يسمع حرفًا من الأغانى، فكان أوّلَ من تغنّى بحضرته أبو عيسى بن الرشيد، ثم واظب على السماع متسترًا متشبهًا فى أول أمره بالرشيد، فأقام كذلك أربعَ حِجَج، ثم ظهر الى النُّدماء والمغنّين. وكان حينَ أحبّ السماعَ سأل عنّى، فجُرِحتُ بحضرته، وقال الطاعن علىّ: مايقول أمير المؤمنين فى رجل يَتيه على الخلافة ! قال المأمون : ما أبقَى هذا من التيه شيئا إلا آستعمله. فأمسك عن ذكرى، وجفانى من كان يصلنى، لسوء رأيه الذى ظهر فىّ؛ فأضرّ ذلك بى؛ حتى جاءنى عَلّويه يومًا فقال لى : أتاذَن لى فى ذكرك ؟ فإنّا قد دُعينا اليوم؛ فقلت : لا! ولكن غَنّه بهذا الشعر، فإنه سيبعثه على أن يسألك : لمن هذا؛ فاذا سألك آنفتح لك ما تريد، وكان الجوابُ أسهلَ عليك من الابتداء؛ فقال: هات، فألقيتُ عليه لحنى فى شعرى :

صـــوت

يا سَرْحةَ الماءِ[1] قد سُدّتْ مواردُه * أمَا إليـكَ طريقٌ غيرُ مسـدودِ
لحائمٍ حامَ حـتّى لا حِـيامَ[2] له * مُحلَّأٍ عن طـريق الماء مطرودِ

— الغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى عنه وعن عمرو — قال: فمضى عَلّويه، فلما آستقرّ به المجلس، غنّاه بالشعر الذى أمرتُه؛ فما عدا المأمون أن يسمع الغناء حتى قال : ويحك يا عَلّويه! لمن هذا ؟ قال : يا سيّدى، لعبد من عبيدك جفوتَه وآطّرحتَه من غير جُرْم؛ فقال : أإسحاقَ تَعْنِى؟ قال: نعم؛ قال : يحضر الساعةَ؛ فجاءنى رسوله

(١) سرحة الماء : كنى بها هنا عن المرأة، قال الأزهرى : «العرب تكنى عن المرأة بالسرحة النابتة على الماء»، واستشهد بهذين البيتين . والمحلأ : المطرود عن الماء، يقال : حلأه عن الماء: اذا طرده ومنعه وروده .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب، س : «لا حوام له» . ولم نجد الحوام مصدرا من مصادر حام . وفى اللسان ومختار الأغانى : «لا حراك به» .

فصرت اليــه . فلمّا دخلتُ عليه قال : ادنُ فدنوت، فرفع يديه مادَّهما، فانكببتُ عليــه، واحتضننى بيديه، وأظهر من برّى و إكرامى ما لو أظهره صــديق مؤانس لصديقه لَبَرّه .

غنى المعتضد بشعر له فدحه

أخبرنى محمد بن إبراهيم الجُرجانى قُرَيْض قال: قال لى أحمد بن أبى العلاء : غنّيت المعتضدَ يومًا وهو أميرٌ صوتَ إسحاق :

يا سرحةَ المــاء قد سُدَّتْ مواردُه * أما إليــك طريقٌ غيرُ مســدود

فطرب واستعاده مرارا، وقال : هذا والله الغناء الذى يُخالط الرُّوحَ و يُمــازِجُ اللحمَ والدم .

صوته فى شعر له، كان الناس يتهادونه كالطرف

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا أبو العُبَيْس بن حَمْدون قال أخبرنى أبى قال : لمّــا غنّى إسحاقُ فى شعره هذا :

١٠٧ / ٥

صــــوت

لأسماءَ رَسْمٌ عفا باللِّوَى * أقام رَهينًــا لطُول البِلَى

تَعاورَه الدهرُ فى صَرْفه * بكَرِّ الجــديدَيْنِ حتّى عفا

ـــ الشعر لإسحاق من قصيدة مدح بها الرشيدَ، والغناء له ثانى ثقيلٍ بالوسطى. وفيه لسُلَيْم ثقيلٌ أوّلُ من رواية الهِشَامىّ، وذكر حَبَشٌ أنه لإبراهيمَ بنِ المهدىّ ـــ قال: فكان الناس يتهادَوْنه كما يتهادَوْن الطُّرْفَةَ والباكورةَ . وقال أبو العُبَيْس حدّثنى ابنُ مُخارِق : أنّ الواثق بعث إلى أبيه مُخارق لمّــا صنع إسحاقُ هذا الصوتَ ليُلقيَه عليه، فصادفه عليلا ـــ ولم يكن أحد يلقَنُ عن إسحاق طَرْحَ الغناءِ كما يَلْقَنُه مُخارِق ـــ فأعاد اليه الرسولَ ومعه مِحَفّة، وقال : لا بدّ أن يجىء على كلّ حال؛ فتحامل وصار إليه حتى أخذ الصوتَ عن إسحاق ورجع .

كان يحب الشجاعة والفروسية وشعر أخيه فيه حين أصابه سهم

وذكر محمد بن الحسين الكاتب عن أبي حارثةَ الباهليّ عن أخيه أبي معاوية: أنّ إسحاق كان يتحلّى بالشجاعة والفُرُوسيّة ويحبّ أن يُنسَبَ اليهما، ويركب الخيل ويتعلّم بها آفة من الآفات المعترضة على العقول . وكان قد شهد بعضَ مشاهد الحروب فأصابه سهم فنكَصَ على عَقِبَيْه؛ فقال أخوه طَيّاب فيه :

وأنت تكلّفتَ مالا تُطيق * وقلتَ أنا الفارسُ المَوْصِلي
فلمّا أصابتــك نُشّـابةٌ * رجعتَ الى سنّك(١) الأوّل

حديث حمزة الزيات معه

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال :
قال حمزة الزيّات القارئ(٢) : يا موصليّ ، إنّ لى فيك رأيا ، أفترضى مع فهمك وأدبك ورأيك أن يكون عِوَضُك من الآخرة فضلَ مَطْعَم على مَطْعَم ! .

شعر الأصمعي أو ابن المنذر العروضي فيه

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال أنشدنى أبو سعيد السُّكَّريّ قال أنشدني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ لعمّه يقول لإسحاق :

أَئِنْ تغنّيتَ للشَّربِ الكرامِ « ألا * ردّ الخليط جمالَ الحيّ فأنفرقوا »
وقيل أحسنتَ فأستدعاك ذاك الى * ماقلتَ ويحك لا يذهَبْ بك الخَرَقُ
وقيـل أنت حَسّانُ الناسِ كلِّهـمُ * وآبنُ الحُسانِ فقد قالوا وقد صدَقوا
فـا بهـذا تقوم النـادباتُ ولا * يُغْنى عليـك إذا ما ضمّك الحَـرَقُ

قال يحيى بن عليّ : إنّ هذه الأبيات تُرْوَى لأبن المُنْذر العَرُوضيّ وللأصمعيّ .

(١) كذا في الأصول . ولعله محرف عن : « الى شأنك » ونحوه مما يستقيم به الكلام .

(٢) يلاحظ أن حمزة الزيات القارئ (صاحب قراءة القرآن المعروفة) توفى سنة ست وخمسين ومائة في خلافة أبي جعفر المنصور بمدينة حلوان وهي في أواخر سواد العراق مما يلي بلاد الجبل (كما في كتاب الطبقات الكبير في الكوفيين لأبن سعد — ج ٦ ص ٢٦٨ طبع مدينة ليدن سنة ١٣٢٥ ﻫ وفهرست ابن النديم ص ٢٩ طبع أوروبا وتاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٢٣٥ طبع بولاق) وأن إسحاق الموصلي ولد سنة خمسين ومائة ، فكيف يعقل أن يكون بينهما مثل هذا الحديث وإسحاق في هذه السن .

فسد ما بينه وبين الأصمعى وسبب ذلك وتهاجيه وشعره فيـــه

قال مؤلف هذا الكتاب : كان إسحاق يأخذ عن الأصمعىّ ويكثر الرواية عنه ، ثم فسد ما بينهما ، فهجاه إسحاق وثلبه وكشف للرشيد معايبَه ، وأخبره بقلّة شكره وبُخْله وضَعَة نفسه وأنّ الصَّنيعةَ لا تَزْكُو عنده ، ووصف له أبا عُبَيدة مَعْمَر بنَ المُثَنَّى بالثقة والصدق والسماحة والعلم ؛ وفعل مثلَ ذلك للفَضْل بن الرَّبيع وآستعان به ؛ ولم يزل حتى وضع مرتبةَ الأصمعىّ وأسقطه عندهم ، وأنفذوا إلى أبى عُبَيدة مَنْ أقدمه .

أخبرنى أبو الحسن الأَسَدىّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

أنشدتُ الفضلَ بن الرَّبيع أبياتاً كان الأصمعىّ أنشدنيها فى صفة فرس :

كأنه فى الجُلِّ(1) وهو سامِى * مُشتمِلٌ(2) جاء من الحَمّامِ
يَسُور(3) بين السَّرْج واللِّجامِ * سَوْرَ القَطامِىّ(4) إلى اليَمامِ

108
٥

قال : ودخل الأصمعىّ فسمعنى أُنشدها ، فقال : هاتِ بقيّتَها ؛ فقلت له : ألم تقل إنه لم يبقَ منها شىء؟ فقال : مابقى منها إلّا عيونها ، ثم أنشد بعد هذه الأبيات ثلاثين بيتا منها ، فغاظنى فعله ؛ فلمّا خرج عرّفت الفضلَ بن الربيع قلّة شكره لعارفة(5) وبخلَه بمـا عنده ؛ ووصفتُ له فضـلَ أبى عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنَّى وعلمَه ونزاهتَه وبذلَه لمـا عنده وآشتمالَه على جميع علوم العرب ، ورَغَّبتُه فيه ، حتى أنفذ إليه مالاً جليلا وآستقدمه ؛ فكنتُ سببَ مجيئه به من البصرة .

أخبرنى عمّى قال حدّثنا فَضْل اليَزيدىّ عن إسحاق قال :

(١) الجل للدابة : كالثوب للإنسان تصان به . وقد وردت هذه الكلمة فى ب ، س : «الحل» بالحاء المهملة ، وهو تصحيف. (٢) اشتمل الرجل : تلفف بثوبه وأداره على جسده كله . (٣) يسور : يثب ويثور . (٤) القطامى (بفتح أوّله وبضمه) : الصقر . (٥) العارفة : المعروف .

جاء عطاءُ المُلْك بجماعة من أهل البَصْرة إلى قُرَيْب أبى الأصمعىّ، وكان نَذْلًا من الرجال، فوجده ملتفًّا فى كِسائه نائمًا فى الشمس، فركَضه برجله وصاح به: يا قُرَيْب، قم ويلك! فقال له: هل لقيتَ أحدًا من أهل العلم قطُّ أو من أهل اللغة أو من العرب أو من الفقهاء أو من المحدِّثين؟ قال: لا والله؛ قال: ولا سمعتَ شيئا تَرويه لنا أو تُنشدناه أو نكتبه عنك؟ قال: لا والله؛ فقال لمن حضر: هذا أبو الأصمعىّ، فآشهدوا لى عليه وعلى ماسمعتم منه، لا يَقُلْ لكم غدًا أو بعده: حدّثنى أبى أو أنشدنى أبى؛ ففضَحه. قال الفضل: ثم مرِض الأصمعىّ، وكان الحال بينه وبين إسحاق الموصلىّ آنفرجتْ؛ فعاده أبو رَبيعة، وكان يرغب فى الأدب ويَبَرّ أهلَه؛ فقال له الأصمعىّ: أقرِضْنى خمسة آلاف درهم؛ فقال: أفعل. فقال له أبو ربيعة: فأىّ شىء تشتهى سوى هذا؟ فقال: أشتهى أن تُهدى الىّ فصًّا حسنا وسيفًا قاطعا وبُرْدًا[1] حسنا وسرجا مُحَلًّى؛ فقال: أفعل، وبعث بذلك اليه لمّا عاد الى منزله. وبلغ ذلك إسحاق فقال:

ألبس من العجائب أنّ قِرْدًا * أُصَيْمِعَ باهِلِيًّا يستطيلُ
ويزعُم أنه قد كان يُفْتِى * أبا عمرٍو[2] ويسأله الخليلُ[3]
إذا ما قال قال أبى عجِبنا * لما يأتى به ولما يقولُ
وما إن كان يَدْرِى ما دَبِيرٌ[4] * أبوه إن سألتَ وما قَبِيلُ

(١) كذا فى حـ: وفى سائر الأصول: «برذونا». والشعر الآتى يؤيد ما أثبتناه.

(٢) هو أبو عمرو بن العلاء أحد أئمة اللغة والأدب، كان إمام أهل البصرة فى القراءات والنحو واللغة، أخذ عن جماعة من التابعين؛ قال أبو عبيدة: أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر؛ وكان من أشراف العرب ووجهائها، مدحه الفرزدق ووثقه يحيى بن معين وغيره. مات سنة أربع وقيل: سنة تسع وخمسين ومائة.

(٣) هو الخليل بن أحمد اللغوى النحوى العروضى، الذى ابتدع علم العروض. مات سنة سبعين ومائة وقيل: سنة خمس وسبعين.

(٤) يقال: فلان لا يعرف ماقبيله وما دبيره: أى لا يعرف ما قدامه وما خلفه.

وجَــلّله عطــاءُ المُــلْك عارًا * تزول الراســياتُ ولا يزولُ
نصحتُ أبا ربيعةَ فيه جُهْدِى * وبعضُ النصح أحيانًا ثقيــلُ
فقــل لأبى رَبيعةَ إذ عصانى * وجارَ به عن القصــد السبيلُ
لقد ضاعتْ برودُك فآحتسِبْها (١) * وضاع الفَصُّ والسيفُ الصقيلُ
وسرجٌ كان للبِرذَوْنِ زَيْنًــا * له فى إثره جَــزَعًا صهيــلُ
وأمّا الخمســةُ الآلافِ فآعلمْ * بأنّك غَبْنَهــا لا تســتقيلُ
وأنّ قضاءها فتعزَّ عنهــا * ســيأتى دونه زمنٌ طويلُ

أعجبته وصيفة عند الواثق فأنشده شعرا للمرار وغناه فيه فوهبها له

حدّثنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنى حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كنت جالسا بين يدى الواثق وهو ولىّ عهــد، إذ خرجتْ وصيفةٌ من القصر كأنها خُوطُ بانٍ، أحسنُ مَنْ رأته عينى قطُّ، تَقْدُمُ عدّةَ وصائفَ بأيديهن المَذَابُّ (٢) والمناديل ونحوُ ذلك، فنظرتُ اليها نَظر دَهِشٍ وهو يَرْمُقُنى. فلمّا تبيّن إلحاحَ نظرى ١٠٩/٥
قال: مالكَ يا أبا محمد قد آنقطع كلامُك و بانت الحيرةُ فيك ! فتلجلجتُ، فقال لى : رمتْك والله هذه الوصيفةُ فأصابت قلبَك ! ، فقلت : غيرُ ملوم، فضحك ثم قال: أنشدْنى فى هذا المعنى، فأنشدتُه قولَ المَرّار (٣) :

أَلِكْنِى (٤) إليها عَمْرَكَ اللهَ يا فتى * بآيةِ ما قالت مــتَى هو رائحُ
وآيةِ ما قالت لهنّ عَشِــيّةً * وفى السِّتر حُرّاتُ الوجوه مَلَائحُ

(١) فى أكثر الأصول : « فاحتبسها » بتقديم الباء على السين ، والتصويب عن حـ .

(٢) المذاب : جمع مذبة وهى ما يذب به كالمروحة .

(٣) هو المرار بن سعيد الفقعسى وله ترجمة فى الجزء التاسع من هذا الكتاب (ص ١٥٨ طبع بولاق) .

(٤) ألكنى إلى فلان : أبلغه عنى وتحمل اليه رسالتى .

تَخَيَّرْنَ أرماكُنَّ فارمِينَ رميةً * أخا أسدٍ إذ طرّحتْه الطوارحُ (١)
فَلَبِّسْنَ مِسْلَاسَ الوِشَاحِ كأنها * مَهَاةٌ لها طِفْلٌ بِرُمَّانَ راشحُ (٢)

فقال له الواثق : أحسنتَ بحياتي وظَرُفتَ ، اصنع فيها لحنا ؛ فإن جاء كما نريد وأطربنا فالوصيفةُ لك ؛ فصنعتُ فيه لحنًا وغنّيته إيّاه ؛ فاصطبح عليه وشرب بقيّةَ يومه وليلته حتى سكِر ، [و] (٣) لم يقترح علىّ غيرَه ، وانصرفتُ بالجارية .

غنى الواثق وهو لقس النفس فأطربه

حدّثني عمّي قال حدّثني فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال :

دخلت على الواثق يوما وهو خاثِر النفْس (٤) ، فأخذتُ عودًا من الخزانة ووقفتُ بين يديه فغنّيته :

من الظباءِ ظباءٌ هَمُّها السُّخُبُ (٥) * ترعَى القلوبَ وفي قلبي لها عُشُبُ
أهوَى الظباءَ اللواتي لا قُرونَ لها * وحليُها الدُّرُّ والياقوتُ والذهبُ
لا يَغْتَرِبْنَ ولا يسكُنَّ باديةً * وليس يَعْرِفن ما صَرٌّ (٦) ولا حَلَبُ
وفي الذين غدَوْا نفسي الفداءُ لهم * شمسٌ تبرقَعُ أحيانا وتنتقبُ
يا حسنَ ما سرَقتْ عيني وما انتهبتْ * والعينُ تَسرِق أحيانًا وتنتهبُ
إذا يدٌ سَرَقتْ فالقطعُ يلزمها * والقطعُ في سَرَق العينين (٧) لا يجبُ

---

(١) صححها الأستاذ الشنقيطي في نسخته «طرّحته الطوائح» . وطرّحته الطوائح : قذفته القواذف ورمت به الحوادث . ولا يقال المطوّحات وهو من النوادر . (٢) قصر الرمان : بنواحي واسط القصب . وهي التي خربها الحجاج وسمى باسمها «واسط الحجاج» . والراشح : الصغير اذا قوى ومشى مع أمه وسعى خلفها . ويقال لأمه : راشح أيضا ومرشح (من أرشح) ومرشح (من رشح بالتضعيف) .
(٣) التكملة عن حـ . (٤) خاثر النفس : ثقيلها غير طيب ولا نشيط . (٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٥٥ من هذا الجزء . (٦) في أ ، ء ، م : «ما ضرع» . وكذلك وردت في جميع الأصول فيما مضى . (٧) في أ ، ء ، م : «في سرق بالعين» .

قال : فهَشّ إلىّ ونشِط ودعا بطعام خفيف وأكلنا واصطبح وأمر لى بمائة ألف درهم . [و] أخبرنى به الحسن بن علىّ عن آبن مَهْرويه عن علىّ بن الحسن عن إبراهيم بن محمد الكَرْخىّ عن إسحاق، فذكر مثلَه ؛ وقال فيه : فأمر لى بعشرة آلاف درهم .

طلب من المأمون أن يدخل المقصورة معه يوم الجمعة فاشترى ذلك منه بمال

حدّثنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى [عُبَيد الله بن][(١)] عبد الله بن طاهر عن أخيه محمد قال :

كان إسحاق الموصلىّ يدخل فى مُبَطَّنة وطَيْلَسان مثل زِىّ الفقهاء على المأمون؛ فسأله أن يأذَن له فى دخول المقصورة يوم الجمعة بدُرّاعة سوداءَ وطَيْلَسان أسود ؛ فتبسّم المأمون وقال له : ولا كلّ هذا بمرّة يا إسحاق . ولكن قد اشترينا منك هذه المسألة بمائة ألف درهم حتى لا تغتمّ، وأمر بحملها اليه فحُمِلت .

كان أبو خالد الأسلمىّ يمدحه و يقدم شعره

حدّثنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى عُبَيد الله بن عبد الله قال حدّثنى هارون ابن محمد بن عبد الملك الزيّات عن أبى خالد الأسْلَمىّ :

أنه ذكر إسحاق يومًا وكان يفضّله و يعظّم شأنه و يقدّمه فى الشعر تقديما مُفْرِطا، فقال : ما قولكم فى رجل محدَث تَشَبَّه بذى الرُّمّة وقال على لسانه شعرا وغنّى فيه ونَسَبه اليه ، فلم يَشكُكْ أحدٌ سمعه أنه له ولا فَطِن لما فعل أحد إلّا مَنْ حَصَّل شعرَ ذى الرمّة كلّه ورواه؛ فسئل أبو خالد عن هذا الشعر فقال :

١١٠
٥

ومَـدْرَجةٍ[(٢)] للريح تَيْهاءَ لم تكن * ليَجْشَمَها زُمَّيْلةٌ غيرُ حازمِ
يَضِلّ بها السارِى وإن كان هاديًا * وتَقْطَعُ أنفاسَ الرياح النواسمِ

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ب ، م ، سهوا من الطابع . (٢) المدرجة : الطريق . والتيهاء : المفازة التى لا يهتدى فيها . والزميلة : الضعيف الجبان .

تَعَسَّفتُ أَفْرِى جَوْزَها[(1)] بِشِمِلَّةٍ * بعيدةِ ما بين القَرَا والمَنَاسِمِ
كأنّ شِرارَ المَرْوِ[(2)] من نَبْذِها به * نجومٌ هوَتْ أُخرى[(3)] الليالى العواتمِ

غنى المأمون بشعر فى اللذات فرد عليه

حدّثنى عمّى وأحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثنا فَضْل اليَزيدىّ عن إسحاق قال :

غنّيتُ المأمون يومًا هذين البيتين :

لأحسنُ من قَرْعِ المَثَانى ورجعِها * تَوَاتُرُ صوتِ الثغرِ يُقْرَعُ بالثغرِ
وسكْرُ الهوى أروَى لعظمِى ومَفْصِلى * من الشُّربِ فى الكاسات من عاتقِ الخمرِ

فقال لى المأمون : ألا أخبرك بأطيبَ من ذلك وأحسن؟ الفراغُ والشباب والجِدَة .

أعتق غلامه فتحا لحسن جوابه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى الحسين بن يحيى قال :

كان لإسحاق غلام يقال له فَتْح، يستقى الماءَ لأهل داره على بغلين من بغاله دائمًا؛ فقال إسحاق : قلت له يومًا : أىُّ شىء خبرُك يا فتح؟ قال : خبرى أنه ليس فى هذه الدار أحدٌ أشقى منّى ومنك؛ قلت : وكيف ذلك؟ قال : أنت تُطعم أهل الدار الخبز وأنا أسقيهم الماء؛ فآستظرفتُ قوله وضحكتُ منه، [ثم] قلت له : فأىَّ شىء تحبُّ؟ قال : تُعتقنى وتَهب لى البغلين أستقى عليهما؛ فقلت له : قد فعلت .

شعره فى أبى البصير وكان يدعى الغناء بغير علم

أخبرنى أبو الحسن أحمد بن محمد الأَسَدىّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال : كان لأبى البَصير الشاعر قِيانٌ، وكان يتكلّم فى الغناء بغير علم ولا صواب فيُضْحَك منه، فقال أبى فيه :

(1) جوز الشىء : وسطه ومعظمه . والشملة : الناقة السريعة . والقرا : الظهر . والمناسم : الأخفاف .
(2) المرو : حجارة بيض رقاق برّاقة . (3) فى أ ، ء ، م : « إحدى الليالى » .

سكتُّ عن الغناء فما أُمارِى * بصيرًا لا ولا غيرَ البصيرِ
مخافةَ أن أُجَنَّ فيه نفسى * كما قد جُنَّ فيه أبو البصير

نهاه الرشيد عن الغناء إلا له أو لجعفر بن يحيى وقصته مع الفضل فى ذلك

أخبرنى الحسين بن يحيى المِرْداسىّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : نهانى الرشيدُ أن أغنّىَ أحدًا غيرَه، ثم آستوهبنى جعفرُ بن يحيى وسأله أن يأذَن لى فى أن أُغنّيه ففعل، وآتّفقنا يومًا عند جعفر بن يحيى وعنده أخوه الفضل، والرشيدُ يومئذ بعقب علّة قد عُوفِى منها وليس يشرَب؛ فقال لى الفضل : انصرفْ إلىّ الليلة حتى أهَبَ لك مائة ألف درهم؛ فقلت له : إنّ الرشيد قد نهانى[(١)] ألّا أغنّىَ إلّا له أو لأخيك، وليس يخفى عليه خبرى، وأنا متّهم عنده بالميل إليكم، ولست أتعرّض له ولا أعرّضك، ولم أُجبه . فلمّا نَكَبهم الرشيد قال : إيه يا إسحاق، تركتنى بالرّقّة وجلستَ ببغداد تغنّى للفضل بن يحيى ! فحلفتُ بحياته أنّى ما جالستُه قطُّ إلّا على المذاكرة والحديث، وأنه ما سمعنى قطّ أغنّى إلا عند أخيه جعفر، وحلفت بتربة المهدىّ أن يسأل عن هذا جميعَ مَنْ فى الدار من نسائه؛ فسأل عنه فحدّثْنَه بمثل ما ذكرتُه له، وعرف خبر المائة الألف الدرهم التى بذلها لى فرددتُها عليه . فلما دخلت عليه ضحك إلىّ ثم قال : قد سألتُ عن أمرك فعرَفتُ منه مثل ما عرّفتنى، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم عوضًا ممّا بذله لك الفضل .

تحدث بحديث لا إسناد فيه وسئل عن ذلك فأجاب

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى ميمون بن هارون عن إسحاق أنه كان يقول : الإسناد قيدُ الحديث؛ فتحدّث مرّةً بحديث لا إسنادَ له، فسئل عن إسناده، فقال : ١١١/٥
هذا من المُرْسَلاتِ عُرْفا .

(١) فى أ، ء، م : «إنه الرشيد وقد نهانى» .

أنشد الفضل شعر نصيب فأجازه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى ميمون بن هارون عن أبيه، وحدّثنى عمّى عبدالله ابن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال :
أنشدتُ الفضلَ بن يحيى قولَ أبى الحَنْاء نُصَيْبٍ مولى المهدىّ فيهم :

صـــوت

عنـد المـلوكِ مَضَرّةٌ ومنافعٌ * وأرى البَرامكَ لا تَضُرُّ وتنفـعُ
إنْ كان شرٌّ كان غيرُهم له * أو كان خيرٌ فهو فيهم أجمـعُ
إنّ العروقَ إذا آستَسَرَّ(١) بها الثَّرَى * أَشِرَ النباتُ(٢) بها وطابَ المَزْرَعُ
فإذا جَهِلْتَ من آمرئٍ أعراقَه * وقديمَـه فآنظر إلى ما يصنـعُ

قال فقال : كأنّا والله لم نسمع هذا الشعر قطُّ، قد كنّا وصلْناه بثلاثين ألف درهم، وإذًا نُجَدِّد له الساعةَ صلةً له ولك معه لحفظك الأبياتَ؛ فوصلَنا بثلاثين ألفَ درهم.

عتب عليه المأمون فى شىء فاسترضاه بشعر

وأخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى الحسن بن يحيى الكاتب أبو الجَمّاز قال :
عتَب المأمونُ على إسحاق فى شىء؛ فكتب إليه رُقعةً وأوصلها إليـه من يده؛ ففتحها المأمون فإذا فيها قولُه :

لا شىءَ أعظمُ من جُرْمى سوى أملى * لحسنِ(٣) عفوك عن ذنبى وعن زَللى
فإنْ يكن ذا وذا فى القَدْر قد عَظُما * فأنت أعظمُ من جُرْمى ومن أمـلى

فضحك ثم قال : يا إسحاقُ، عذرُك أعلى قدرًا من جُرمك، وما جال بفكرى، ولا أُخْطِرْتُهُ(٤) بعد آنقضائه على ذكرى .

(١) استسر : خفى . (٢) أشر النبات . مرح وطال . (٣) فى أ، ء، م : «وحسن ...» . (٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «أحضرته» .

ما كان بينه وبين ابن بانة فى مجلس الواثق وقصيدته فى ذمه ومدح الواثق

حدّثنى عمّى قال حدّثنى يزيد بن محمد المهلّبىّ قال :

خرجنا مع الواثق الى القاطول[(١)] للصيد ، ومعنا جماعةُ الجلساء والمغنّين وفيهم عمرو بن بانة وعَلّويه ومُخارق وعَقِيد ، وقدم إسحاقُ فى ذلك الوقت فأخرجه معه؛ فتصيّد على القاطول ثم عاد فأكل وشرب أقداحا ، ثم أمر بالبُكور الى الصَّبُوح فباكرْنا واصطبحْنا . فغنّى عمْرو بن بانة لحنَ إبراهيم الموصلىّ :

صوت

بلوتُ أمورَ الناس طُرًّا فأصبحتْ * مُذَمَّمةً عنـدى بَرَاءً من الحمد
وأصبح عنـدى من وَثِقتُ بغَيْبه * بفَيضَ الأيادى كلُّ إحسانه نَكْدُ[(٢)]

— ولحنه خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى — فغنّاه على ما أخذه من إبراهيمَ بن المهدىّ وقد غيّره . فقال الواثق لإسحاق : أتعرف هذا اللحنَ؟ فقال : نعم، هذا لحنُ أبى ولكنّه ممـا زعمَ إبراهيمُ بن المهدىّ أنه جَنْدَره وأصلحه فأفسـده ودَمَر[(٣)] عليه ؛ فقال له : غَنِّه أنت، فغنّاه فأتى به على حقيقته واستحسنه الواثق جدّا ، فغمّ ذلك عمْرو بن بانة فقال لإسحاق : أفأنت مثلُ إبراهيمَ بن المهدىّ حتّى تقول هذا فيه! ؛ قال : لا والله ما أنا مثله ، أمّا على الحقيقة فأنا عبدُه وعبدُ أبيه ، وليس هذا مما نحن فيه ، وأمّا الغناء فما دخولك أنت بيننا فيه! ما أحسنتَ قطُّ أن تأخذ فضلًا عن أن تغنّى ، ولا قمتَ بأداء غناءٍ فضلًا عن أن تميّز بين المحسنين ، وإلّا فغنّ أىَّ صوت شئت ممـا أخذتَه

(١) القاطول : اسم نهر يأخذ من دجلة فى الجانب الشرق ، حفره كسرى أنوشروان العادل . وهو اسم نهر آخر أيضا كان حفره الرشيد فى موضع « سر من رأى » قبل أن يعمرها المعتصم ، وكان يأخذ من دجلة أيضا . (٢) النكد (بالفتح وبالضم) : قلة العطاء وألا يهنأه من يعطاه . وفى هذا الشعر إقواء ، وهو اختلاف حركة الروىّ . (٣) يقال : دمر عليه (من باب نصر) دمرا ودمورا اذا دخل بغير إذن وهجم هجوم الشرّ .

عنه وعن غيره كائنًا مَنْ كان، فإن لم أُوضح لك ولمن حضر أنه لا يَسْلَم لك صوت من نقصانِ أجزاءٍ وفسادِ صنعةٍ فدمى به رهنٌ؛ فأساء عمرو الجوابَ وأغلظ فى القول؛ ١١٢/٥ فأمضّه الواثق وشتَمه وأمر بإقامته عن مجلسه فأُقيم. فلمّا كان من الغد دخل إسحاقُ على الواثق فأنشده:

ومجلسٍ باكرتُه بُكورا * والطيرُ ما فارقتِ الوُكورا
والصبحُ لم يَستنطقِ العُصفورا * على غديرٍ لم يكن دُعثورا(١)
لم تَرَ عينى مثلَه غديرا * يجرى حَبَابُ مائه مَسْجُورا(٢)
على حصًى تحسَبُه كافورا * تسمع للماء به خريرا
يَنْسِجُ أعلَى مَتْنِه سطورا * نسيمُ ريحٍ قد وَنَتْ فُتورا
حتى تخالَ متنَه حَصيرا * والشَّربُ قد حفُّوا به حُضورا
وأمروا الساقىَ أن يُديرا * كأسَهمُ الأصغرَ والكبيرا
وأعملوا البمَّ معا والزِّيرا * وجاوبتْ عيدانُهم زَميرا
وقرّبوا المُغَنِّىَ النِّحْرِيرا * مُقَدَّمًا فى حِذْقه مشهورا
فهم يطيرون به سرورا * ولا ترى فى شُربهم تقصيرا
ولا لِصفو عيشهم تكديرا * ولا لخُلْقِ منهمُ نظيرا
إلا رُجَيْلًا منهمُ سِكّيرا * مُعَرْبِدًا مُوَضِّحًا شِرِّيرا
مُدَّعِيًا للعلم مستعيرا * يوم سعيًا كاذبًا مغرورا
وأن يكون عالمًا بصيرا * مُفَضَّلا بعلمه مذكورا
غمَزْتُه ولم يكن صَبورا * فعاذ منّى هاربًا مذعورا

---

(١) الدعثور: الحوض المتلِّم، وقيل: هو الحوض الذى لم يتنوّق فى صنعه ولم يوسّع.
(٢) المسجور: المملوء المسترسل.

بمَعْشَرٍ تَحْسَبُهم حَمِيرا * أشَدَّ منهم حُمُقًا كثيرا
لا ينطِقون الدهرَ إلا زُورا * حتّى إذا كَسَّرتَه تكسيرا
كالليث لمّا ضَغَم الخِنْزيرا(١) * وَلَّى انهزامًا خاسئًا مدحورا
معترفًا بذُلِّه مقهورا * وكنتُ قِدْمًا ضَيْغمًا هَصُورا
معتليًا لقِرْنِه عَقُورا * وما أخاف الزمنَ العَثُورا
إذ كنتُ بالواثق مستجيرا * قد عَزَّ مَنْ كان له نصيرا
إمامُ عَدْلٍ دَبَّر الأُمُورا * برأيه ولم يُرِدْ مُشيرا
ترى من الحقّ عليه نورا * تَقَبَّلَ(٢) المَهْدِىَّ والمنصورا
وجدَّه الأدنى تُقًى وخيرا * وَرَّثه المعتصمُ التدبيرا
فأصبح المُلك به مُنيرا * وأصبح العدلُ به منشورا
قد أمِنَ الناسُ به المحظورا * إذا علَا المِنْبَرَ والسريرا
رأيت بدرًا طالعًا منيرا * بحرًا ترى الغَنِىَّ والفقيرا
يرجون منه نائلًا غزيرا * واللهِ لا زلتُ له شكورا
لا جاحدَ النُّعمَى ولا كَفُورا * وكنتُ بالشكر له جديرا

أنشده الأصمعى جملة أشعار فى الفروسية

١١٣/٥ حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى ميمون بن هارون قال : سمعت إسحاق يقول :

أنشدنى الأصمعىّ قولَ الأعشى :

إن تَركبوا فركوبُ الخيلِ عادتُنا * أو تنزلون فإنّا معشرٌ نُزُلُ

ثم قلت له : أىَّ شىء تحفظ فى هذا المعنى ؟ — وكان مع بخله بالعلم لا يبخَل بمثل هذا — فأنشدنى لرَبيعة بنِ مَقروم الضَّبّىّ :

---

(١) ضغمه : عضه ملء فيه . (٢) تقيل الرجل أباه : أشبهه .

ولقد شَهِدتُ الخيلَ يوم طِرَادِها[(١)] * بسَلِيم أَوْظِفَـةِ[(٢)] القوائمِ هَيْـكَلِ
فدعَـوْا نَزَالِ[(٣)] فكنت أوّلَ نازل * وعـلامَ أركبُه إذا لم أَنزِلِ

مر لغناء ملاحظ ومدحها بشعر

حدّثني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن محمد بن مروان قال حدّثني عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الربيع قال:

اجتمعنا يوما إمّا قال في منزلي أو في منزل محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر، ودخلنا ودخل إلينا إسحاق الموصليّ وعندنا ملاحظ تُغنّينا وقد قامت الصلاة، فدخل إسحاق وهي غائبة فقال: فيم كنتم ومَنْ عندكم؟ فأخبرناه بخبرها؛ فقال: لا تُعرِّفوها من أنا فيُخرِجها التصنّع لي والتحفّظ منّي عن طبعها، ولكن دعوها وهواها حتّى نَنتفعَ بها؛ وخرجتْ وهي لا تعرفه وجلستْ كما كانت أوّلا، وٱبتدأت وغنّت — والصنعة لفُلَيح بن [أبي][(٤)] العَوْراء، ولحنُه رَمَلٌ. هكذا أخبرنا إسحاق أنّ الغناء لفليح —:

صـــوت

إنّي تعلّقتُ ظبيًا شادنًا خَرِقًا * عُلِّقتُـه شِقوةً منّي وما عَلِقَا

قال: فطرب إسحاق وشرب حتى والَى بين خمسة أقداح من نبيذ شديد كان بين يديه وهو يستعيدها؛ فأخذ إسحاق دواة وكتب:

---

(١) أراد بالخيل الفرسان لا الأفراس، ألا ترى أنه قال: يوم طرادها. والطراد من الفرسان: حمل بعضهم على بعض، وعلى هذا ما روى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ياخيل الله اركبي». (راجع شرح أشعار الحماسة للتبريزي ص ٢٨ طبع أوربا). (٢) الأوظفة: جمع وظيف وهو ما فوق الحافر من الفرس. ولكل ذي أربع ثلاثة مفاصل في رجليه: الفخذ والساق والوظيف ثم الحافر أو الخف أو الظلف. وفي يديه ثلاثة مفاصل: العضد والذراع والوظيف ثم الحافر أو الخف أو الظلف. (راجع شرح أشعار الحماسة للتبريزي). والهيكل: الضخم. (٣) نزال (مثل قطام): بمعنى انزل وهو معدول من المنازلة لا بمعنى النزول الى الأرض. هكذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بهذين البيتين.

(٤) سقطت هذه الكلمة من الأصول هنا سهوا من النساخ.

سأشرب ما دامت تغــنّى ملاحظٌ * وإن كان لى فى الشّيب عن ذاك واعظُ
ملاحظُ غنّينا بعيشــك ولكن * عليك لمـا آستحفظتَه منــك حافظ
فأُقســم ما غــنّى غِناءَك مُحْسِنٌ * مُجيــدٌ ولم يَلْفِظ كلَفْظك لافــظ
وفى بعض هــذا القولِ منّى مَســاءةٌ * وغيــظٌ شــديد للمغنّين غائظ

حدث الرشيد عن البرامكة فزجره

أخبرنى الحسن[(١)] بن علىّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبىّ قال حدّثنى إسحاق قال :

قال لى الرشيد يومًا : بأىّ شىء يتحدّث الناس؟ قلت : يتحدّثون بأنك تَقبِض على البرامكة وتُولِّى الفضلَ بن الرّبيع الوزارةَ، فغضب وصاح بى : وما أنت وذاك وَيْلَك ! فأمسكتُ . فلمّا كان بعدَ أيامٍ دعا بنا، فكان أوّل شىء غنّيته :

صــــوت

إذا نحن صَــدَقْناكَ * فضَرَّ عندك الصدقُ
طَلبنا النفــعَ بالباطِ * ـلِ إذ لم يَنفعِ الحقُّ
فلو قَــدَّم صبًّا فى * هواه الصــبرُ والرِّفقُ
لقُدِّمتُ على النــاس * ولكنّ الهوى رزقُ

١١٤ / ٥ — فى هــذه الأبيات خفيفُ رَمَلٍ بالوســطى يُنسب الى إسحاق والى ابن جامع ، والصحيح أنه لإسحاق . وقيل : إن الشعر لأبى العتاهية — . قال : فضحك الرشيد وقال لى : يا إسحاق، قد صِرتَ حَقُودا .

غنى هو وعلويه ومخارق عند المعتصم فأجازهما دون مخارق

أخبرنى الحسن قال حدّثنا يزيد بن محمد قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

(١) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : « الحسين » وهو تحريف .

دخلتُ على المعتصم يومًا بسُرَّ مَنْ رأى ، فإذا الواثقُ بين يديه وعنده عَلّويه ومُخارِقٌ، فغنّاه مخارق صوتا فلم ينشَط له، ثم غناه عَلّويه فأطربه. فلما رأيتُ طربَه لغناء عَلّويه دون غناء مُخارِق آندفعتُ فغنّيته لحنى :

صــــوت

تجنَّبتَ ليــلَى أن يَلِجَّ بك الهوى * وهيهات كان الحبُّ قبل التجنُّبِ

فأمر لى بألف دينار ولعَلّويه بخمسمائة دينار، ولم يأمر لمخارق بشىء .

نســبة هذا الصوت

صــــوت

تجنَّبتَ ليلَى أن يَلِجَّ بك الهــوى * وهيهات كان الحبُّ قبل التجنُّبِ

ألَا إنّمـا غادرتِ يا أُمّ مالكٍ * صَدًى أينما تَذهَبْ به الريحُ يَذْهَبِ

الشعر للجنون . والغناءُ لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ باطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وغَنّى آبنُ جامع فى هذين البيتين وبيتين آخرين أضافهما إليهما ليسا من هذا الشعر، هَزَجًا بالبنصر . والبيتان المضافان :

بَرَى اللَّحمَ عن أحناءِ عظمى ومَنْكِبى * هَوَى لسُلَيمى فى الفؤاد المعــذَّبِ

وإنى ســعيدٌ أَنْ رأتْ لك مرّةً * من الدّهر عينى منزلًا فى بَنِى أبى

غنى علويه الواثق بلحن لإسحاق فأجازها

أخبرنا الحسن بن على قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبىّ قال :

غَنّى عَلّويه بين يدى الواثق يومًا :

صـــوت

خليـــلٌ لى ساهِجُرُه * لذنبٍ لستُ أذكُرُه
ولكنّى سأرعاه * وأكتُمه وأســتُره
وأُظهِـرُ أنّى راضٍ * وأسكُتُ لا أُخَبِّرُه
لكى لا يعلمَ الواشى * بمـا عندى فأكسِرُه

— الشعر والغناء لإسحاق هَزَجٌ بالوسطى — قال : فطرِب الواثقُ طربًا شديدا، وآستحسن اللحن، وأمر لعَلّويه بألف دينار، ثم قال : أهذا اللحنُ لك؟ قال : لا يا أمير المؤمنين، هو لهذا الهِزَبْرِ(١) (يعنى إسحاق) — قال : وكان إسحاقُ حاضرًا — فضحِك الواثق وقال : قد ظلمناه إذًا، وأمر لإسحاق بثلاثين ألف درهم .

عارض ثقيلا لأبن سريج بهزج له

أخبرنا علىّ بن عبد العزيز الكاتب عن عُبيد الله بن عبد الله بن خُرْداذْبَه عن أبيه قال :

كان إسحاق عند الفتح بن الخاقان الكَرْخىّ وعَلّويه حاضرٌ، فغنّاه عَلّويه :

١١٥ / ٥

صـــوت

عَلِقتُـــكِ ناشئًا حتّى * رأيتُ الرأسَ مُبْيَضَّا
على يُسْرٍ وإعســارٍ * وفَيْضِ نوالِكِم فَيْضا(٢)
ألَا أُحِبُّ بأرضِ كنـ * ـتِ تحتلّينها أرضا
وأهلَكِ حبّذا ما هم * وإن أبدَوْا لِىَ البُغضا

(١) فى حـ : « الهزبذ » . ومن معانى الهزبذ : عالم الهند .   (٢) فى م : « وقبض نوالكم قبضا » بالقاف والباء الموحدة .

— الشعر لابن أُذَينةَ . والغناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة فى مجرى البنصر، عن إسحاق . وفيه لإسحاق هَزَجٌ خفيفٌ مطلقٌ فى مجرى البنصر، عن إسحاق أيضا . وفيه للأَبْجَر ثقيلٌ أوّلُ، ولإبراهيمَ الموصلىّ رَمَلٌ، جميعُ ذلك عن الهشامىّ — . قال : فغنّاه إيّاه فى الثّقيل، ثم غنّاه هَزَجًا ؛ فقال له الفتحُ : لمَن الثقيلُ؟ فقال: لابن سُرَيج، قال : فلمَن ٱلهَزَجُ ؟ قال : لهذا الهِزَبْرِ(1) (يعنى إسحاق) ؛ فقال له الفتحُ : وَيْلَكَ يا إسحاق ! أتُعارِضُ ثقيلَ ٱبن سُرَيج بهَزَجِكَ ؟ ! قال : فقبض إسحاقُ على لِحيتِه ثم قال : على ذلك فوالله ما فاتنى إلّا بتحريكه الذَّقَنَ .

أخطأ المعتصم فى شعر لأبى خراش فصوّبه له

أخبرنى الحسن قال حدّثنى يزيد بن محمد قال حدّثنى إسحاق قال :

دخلتُ يومًا على المعتصم وعنده إسحاقُ بن إبراهيم بن مصعَب، وٱستدنانى فدنوتُ منه، وٱستدنانى فتوقّفتُ خوفًا من أن أكون مُوازِيًا فى المجلس لإسحاق بن إبراهيم؛ ففطِن المعتصمُ فقال : إنّ إسحاق لكريمٌ، وإنك لم تَستنزل ما عند الكريم بمثل إكرامه . ثم تحدّثنا وأفضتْ بنا المذاكرةُ الى قول أبى خِراش الهُذَلىّ :

حَمِدتُ إلٰهى بعد عُروةَ إذ نجا * خِراشٌ وبعضُ الشرّ أهونُ من بعض(2)

فأنشدها المعتصمُ الى آخرها، وأنشد فيها :

ولم أدرِ مَنْ ألْقَى عليه رِداءَه * سوى أنه قد حُطّ(3) عن ماجدٍ مَحْضِ

(1) فى أ ، ء ، م : «الهزبذ» (انظر الحاشية رقم ١ ص ٤٠٠ من هذا الجزء) .

(2) هذان البيتان من قصيدة لأبى خراش الهذلىّ يرثى بها أخاه عروة بن مرة ويذكر نجاة خراش ابنه . وكان من أمرهما أن خرجا مغيرين فأسرا فقتل عروة، وقيض لخراش من ألقى عليه رداءه وهيأ له أسباب الهرب . والقصيدة مذكورة فى أوّل باب المراثى من ديوان الحماسة لأبى تمام والأغانى (ج ٢١ ص ٦٣ طبع أوروبا) وأمالى القالى (ج ١ ص ٢٧١ طبع دار الكتب المصرية) . وفى شرح التبريزىّ لديوان الحماسة والأغانى بيان مستفيض لقصة عروة وخراش فراجعهما . (3) رواية الحماسة : «على أنه قد سل» .

والروايةُ "قد بُزّعن ماجد محض"؛ فغلطتُ(١) وأسأتُ الأدبَ، فقلت: ياأمير المؤمنين، هذه رواية الكُتّاب وما أُخذ عن المعلّم؛ والصحيح "بُزّعن ماجد محض"؛ فقال لى: نعم صدقتَ، وغمزنى بعينه، يحذّرنى من إسحاق؛ وفطِنتُ لغلطى فأمسكتُ، وعلمتُ أنه قد أشفق علىّ من بادرة تبدُر من إسحاق؛ لأنه كان لايحتمل مثلَ هذا فى الخلفاء من أحد حتى يُعظِمَ عقوبتَه ويُطيل حبسَه، كائنا من كان؛ فنبّهنى — رحمه الله — على ذلك حتى أمسكتُ وتنبّهت .

غنى المأمون ثلاثين صوتا من أهزاج القدماء

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى قال قال عبيد الله بن معاوية قال عمرو بن بانة : كنّا عند المأمون ، فقال : ما أقلّ الهزَج فى الغناء القديم ! ؛ وقال إسحاق : ما أكثره! ثم غنّاه نحوَ ثلاثين صوتا فى الهزَج القديم. فقلت لأصحابى : هذا الذى تزعمون أنه قليل الرواية ! .

أثنى عليه العباس ابن جرير

أخبرنا يحيى قال حدّثنا أبى عن إسحاق قال :

قال لى العباس بن جرير : قاتلَك الله ! مذكَّرُ فِطْنة ، ومؤنَّث طبيعة ، ما أمكرك ! .

أنشد بعض الأعراب شعرا له فدحه

حدّثنا يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى عن إسحاق قال، وأخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا يزيد بن محمد عن إسحاق قال :

أنشدتُ بعضَ الأعراب شعرًا لى أقول فيه :

أجرَتْ سوابقُ دمعِك المُهْـراقِ * لمّا جرى لك سانحٌ بفِـراقِ
إنّ الظعائنَ يومَ ناصِـفةِ اللِّوَى(٢) * هاجتْ عليك صـبابةَ المشتاق

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س : «فغلط وأسات ... » .

(٢) الناصفة : مجرى الماء ، وقيل : الرحبة فى الوادى . وقد ذكر ياقوت فى الكلام على ناصفة : ناصفة الشجناء ، وناصفة العمقين وغيرهما ؛ وقال : إنها مواضع ، ولم يذكر ناصفة اللوى هذه .

١١٦ / ٥

لم أنسَ إذ ألحَنْنَا فى رِقْبـةٍ * منهنّ بيـضَ ترائبٍ وتَـراقِ
وأشرْن إذ ودّعْننا بأنامـلٍ * حُمْـرٍ كهُدّاب الدِّمَقْسِ رِقاقِ
ورمَتْك هندٌ يوم ذاك فأقصَدَتْ(١) * بأغرَّ عـذْبٍ باردٍ بـرّاقِ
وتنفست لمّا رأتك صـبابةً * نَفَسًا تصـعَّد فى حَشًى خفّاقِ
ولقد حَذِرتُ فما نجوتُ مُسَلَّما * حتى صُرِعتُ مَصارعَ العشّـاقِ
إنّ الخـلافة أُثبتتْ أوتادُها * لمّا تحمّلها أبـو إسحـاقِ
مَلِكٌ أغرُّ يلوح فوق جَبينـه * نورُ الخـلافة ساطعَ الإشـراقِ
كُسِىَ الجلالَ مع الجمـال وزانَه * هَدْىُ(٢) التُّقَى ومكارمُ الأخـلاقِ
صحّتْ عروقُك فى الجِياد وإنما * يجرى الجـوادُ بصحّة الأعراقِ
ذخَر الملوكُ فكان أكثرُ ذُخرِهم * للمُـلْك ما جمعوا من الأوْراقِ(٣)
وذخرتَ أبناءَ الحروب كأنهم * أُسْدُ العـرينِ على مُتون عِتاقِ
كم من كريمةِ مَعْشَرٍ قد أُنكحتْ * بسـيوفهم قَسْرًا بغير صَـداقِ
وعزيزةٍ فى أهلها وقَطِينها(٤) * قـد فارقتْ بعْلًا بغير طـلاقِ

قال فقال لى : أَفْلَيْتَ والله يا أبا محمد؛ فقلت له : وما أفليت؟ قال : رَعَيْتَ فلاةً لم يرعَها أحدٌ غيرك .

كان المغنون يلاشون أمامه إذا غنى

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنى أخى أحمد بن علىّ عن عافيَة بن شَبيب قال : قلت لزُرْزور بن سعيد : حدّثنى عن إسحاق كيف كان يصنع إذا حضر معكم عند الخليفـة وهو منقطعٌ ذاهبٌ وحلوقُكم ليس مثلُها فى الدنيا؟ فقـال : كان والله لا يزال بحِذْقه ورفقه وتأنّيه ولُطفه حتى نصيرَ معه أقلّ من التراب .

(١) كذا فى حـ . وأقصدت : أصابت ولم تخطئ . وفى سائر الأصول : «فأقصرت» بالراء ، وهو تحريف .
(٢) الهدى : الطريقة والسيرة . (٣) الأوراق : الدراهم . (٤) القطين هنا : الإماء والخدم .

شعره للفضل بن الربيع فى الشيب

أخبرنا يحيى قال حدّثنى أبى قال حدّثنا إسحاق قال :

دخلتُ على الفضل بن الرّبيع فقال لى : يا إسحاق، كثُر واللّه شَيْبُك ! ؛ فقلت : أنا وذاك أصلحك الله كما قال أخو ثَقيف :

الشيبُ إن يَظْهَرْ فإنّ وراءه * عمــرًا يكون خِلالَه مُتَنَفَّسُ
لم يَنْتَقِصْ منّى المشيبُ قُلامةً * ولَنَحْنُ حين بدا ألَبُّ وأكيَسُ

قال : هاتِ يا غلام دواةً وقرطاسا، أُكتُبْهما لى لأتسلّى بهما .

قصته مع الفضل بن يحيى ونافذ حاجبه

أخبرنا يحيى قال حدّثنى أبى قال حدّثنى إسحاق، وأخبرنى الحسين[(1)] بن يحيى عن حمّاد عن أبيه، وأخبرنى الحسن بن علىّ عن[(2)] يزيد بن محمد بن عبد الملك عن إسحاق قال :

قال الفضــل بن يحيى لأبى : مالى لا أرى إسحاقَ، عرِّفنى ما خبرُه ؟ فقال : خير. ورأى فى كلامه شيئا يُشكِّك، فقال : أعليلٌ هو؟ فقال : لا، ولكنه جاءك مرّات فحجَبه نافذٌ الخادم ولحقتْــه جَفْوةٌ ؛ فقال له : فإن حَجَبه بعــدها فلْيَنِكْهُ . فجاءنى أبى فقال لى : الْقَه، فقد سأل عنك، وخبّرنى بمــا جرى. وجئتُ فحُجِبتُ أيضا، وخرج الفضل ليركَب، فوثبتُ إليه برُقعة وقد كتبتُ فيها :

جُعِلتُ فداءَك من كلّ سوءٍ * إلى حسن رأيك أشكو أُناسا
يحولون بينى و بين الســلام * فما إن أُسلِّمُ إلّا آختــلاسا
وأنفَــذتُ أمرَك فى نافذٍ * فما زاده ذاك إلا شِمَــاسا ١١٧/٥

---

(١) فى الأصول هـ : « الحسن » ، وهو تحريف . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « عن حماد عن أبيه قال حدّثنى إسحاق » . وظاهر أن جملة : « قال حدّثنى إسحاق » مقحمة من الناسخ .

فلمّا قرأها ضحك حتى غُلِب، ثم قال : أوَ قد فعلتَها يا فاسق ؟! فقلت : لا والله يا سيّدى، وإنما مَزَحتُ؛ فخجل نافذٌ خجلاً شديدا، ولم يَعُدْ بعد ذلك لمَسَاءتى .

سأل المعتصم عن رجل غائب ماذا يعمل فأجاب

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا أبو أيُّوب المَدِينىّ عن محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثنى إسحاق قال :

ذكر المعتصمُ يوماً بعضَ أصحابه وقد غاب عنه، فقال: تعالَوْا حتى نقولَ ما يصنع فى هذا الوقت، فقال قوم: يلعب بالنَّرْد، وقال قوم : يغنّى، فبلغتْنى النوبةُ، فقال : قل يا إسحاق؛ قلت : إذًا أقول وأُصيب؛ قال : أتعلم الغيبَ؟ قلت : لا، ولكنّى أفهم ما يصنع وأقدرُ على معرفته؛ قال: فإن لم تُصِبْ ؟ قلت : فإن أصبتُ؟ قال: لك حُكمك، وإن لم تُصِبْ؟ قلتُ: لك دمى؛ قال: وجَبَ؛ قلت : وجَبَ؛ قال: فقل؛ قلت: يتنفّس؛ قال : فإن كان ميتا؟ قلت : تُحفظ الساعةُ التى تكلّمتُ فيها، فإن كان مات فيها أو قبلها فقد قَمَرْتَنى؛ فقال: قد أنصفتَ؛ قلت : فالحُكْمُ؛ قال: احتكم ما شئتَ؛ قلت: ما حُكمى إلّا رضاك يا أمير المؤمنين؛ قال : فإنّ رضاى لك، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم، أترى مَزِيدا؟ فقلت : ما أَوْلَاكَ بذلك يا أمير المؤمنين؛ قال: فإنها مائتا ألف درهم، أترى مزيدا؟ قلتُ : ما أحوجنى إلى ذلك يا أمير المؤمنين؛ قال: فإنها ثلثمائة ألف، أترى مزيدا؟ قلت: ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين؛ قال : يا صفيقَ الوجه! ما نَزيدك على هذا شيئا .

مدح سفينة للأمين فأجازه

أخبرنا يحيى قال حدّثنى أبو أيوب قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثنى إسحاق قال :

عمِل محمد المخلوعُ[1] سفينةً فأُعجب بها، وركِب فيها يريد الأنبارَ. فلمّا أُمعنَ وأنا مُقبلٌ على بعض[2] أبواب السفينة صاحوا : إسحاق إسحاق، فوثبتُ فدنوتُ منه ؛ فقال لى : كيف ترى سفينتى؟ فقلت : حَسَنة يا أمير المؤمنين، عمّرها الله ببقائك. فقام يريد الخلاءَ وقال لى : قلْ فيها أبياتا، فقلت ، وخرج فقمتُ بالأبيات؛ فآشتهاها جدّا وقال لى : أحسنتَ يا إسحاق، وحياتك لأَهَبَنّ لك عشرة آلاف دينار؛ قلت : متى يا أمير المؤمنين؟ إذا وسّع الله عليك ! فضحك ودعا بها على المكان . ولم يذكر يحيى فى خبره الأبيـات .

عرض للواثـق بشـعر فى تشوّقه الى أهله

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

غنّيتُ الواثقَ فى شعر قلتُه وأنا عنده بسُرَّ مَنْ رأى وقد طال مُقامى وآشتقتُ الى أهلى ، وهو :

صـــــوت

يا حَبّذا ريحُ الجَنوبِ إذا بدتْ * فى الصبح وهى ضعيفةُ الأنفاسِ
قـد حُمِّلتْ بردَ النَّـدَى وتحمّلتْ * عَبقًا من الخَنْجاثِ[3] والبَسّــباسِ

فشرب عليه وآستحسنه وقال لى: يا أبا محمد، لو قلتَ مكان «ياحبّذا ريحُ الجنوب» : «يا حبّذا ريحُ الشّمال» ، ألم يكن أرقَّ وأَغْذَى[4] وأصحَّ للأجساد وأقلَّ وَخامةً وأطيبَ

(١) هو الخليفة محمد الأمين بن هارون الرشيد، سمى المخلوع لأن أهل مكة والمدينة وكثيرا من عماله خلعوه وبايعوا المأمون وهو بخراسان . (٢) فى حـ : «على باب السفينة» .

(٣) الخنجاث كما فى اللسان : شجر أصفر مرّ طيب الريح تستطيبه العرب وتكثر ذكره فى أشعارها . وقال أبوحنيفة الدينورى : إنه من أحرار الشجر وهو أخضر ينبت فى القيظ، له زهرة صفراء كأنها زهرة العرفجة طيبة الريح . وقال ابن البيطار فى مفرداته : أول ما رأيته بساحل نيل مصر فى أعلاه فى محروثة بمقربة من ضيعة هناك تسمى شاهو، وهى على طريق الطرانة . وقال داود فى تذكرته : إنه يسمى باليونانية ترديسيون . والبسباس : نبات طيب الريح وهو المعروف بالفارسية باسم الرازيانج وفى مصر والشام باسم الشمار . (٤) أغذى : أصلح .

للأنفس ؟ فقلت : ما ذهب علىّ ما قاله أميرُ المؤمنين ، ولكن التفسير فيما بعدُ ؛ فقال : قل؛ فقلت :

ماذا تَهِيج من الصَّبابة والهوى * للصَّبِّ بعد ذهوله واليأس

فقال الواثق : إنما آستطبتَ ماتجيء به الجَنوبُ من نسيم أهل بغداد لا الجنوبَ، وإليهم آشتقتَ لا إليها؛ فقلت : أجَلْ يا أمير المؤمنين؛ وقمتُ فقبّلتُ يده؛ فضحك وقال : قد أذِنتُ لك بعد ثلاثة أيام، فآمضِ راشدًا؛ وأمر لى بمائة ألف درهم . ١١٨/٥ لحنُ إسحاقَ هذا من الثقيل الأوّل .

جعفر بن يحيى البرمكى وعبد الملك ابن صالح الهاشمى

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى عن إسحاق قال :

لم أرَ قطُّ مثلَ جعفر بن يحيى ؛ كانت له فُتُوّةٌ وظَرْفٌ وأدبٌ وحسنُ غناء وضربٌ بالطبل، وكان يأخذ بأجزلِ حظٍّ من كل فنّ من الأدب والفتوّة . فحضرتُ بابَ أمير المؤمنين الرشيد، فقيل لى : إنه نائمٌ، فآنصرفت ؛ فلقِيَنى جعفرُ بن يحيى فقال لى : ما الخبر ؟ فقلت : أمير المؤمنين نائمٌ؛ فقال : قِفْ مكانَك ؛ ومضى إلى دار أمير المؤمنين فخرج اليه الحاجب فأعلمه أنه نائم ؛ فخرج إلىّ وقال لى : قد نام أمير المؤمنين ، فسِرْ بنا إلى المنزل حتى نخلوَ جميعا بقيّةَ يومنا وتغنّينى وأغنّيك ونأخذ فى شأننا من وقتنا هذا ؛ قلت نعم، فصِرْنا إلى منزله فطرحنا ثيابنا، ودعا بالطعام فطعِمنا، وأمر بإخراج الجوارى وقال : لِيَبْرُزْنَ، فليس عندنا من تَحْتَشِمْنَ منه . فلمّا وُضع الشرابُ دعا بقميص حرير فلَبِسه ودعا بخَلُوق فتخلّق به، ثم دعا لى بمثل ذلك، وجعل يغنّينى وأُغنّيه، ثم دعا بالحاجب فتقدّم إليه وأمره بألّا يأذن لأحدٍ من الناس كلّهم، و إن جاء رسول أمير المؤمنين أَعلَمَه أنه مشغول ؛ وآحتاط فى ذلك وتقدّم فيه إلى جميع الحُجّاب والخَدَم، ثم قال : إن جاء عبدُ الملك فأْذَنوا له — يعنى رجلا كان

يأنَس به ويمازِحه ويحضُر خَلَواتِه — ثم أخذْنا فى شأننا، فوالله إنّا لعلى حالة سارّة عجيبة إذ رُفع السِّتْر، وإذا عبـدُ الملك بن صالح الهاشمىّ قد أقبل، وغلِط الحاجبُ ولم يفرِّق بينه وبين الذى يأنَس به جعفر بن يحيى . وكان عبدُ الملك بن صالح الهاشمىّ من جلالة القَدْر والتقشّف وفى الامتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمرٍ جليل، وكان أميرُ المؤمنين قـد اجتهد به أن يشربَ معـه أو عنده قدحًا فلم يفعل ذلك رَفْعًا لنفسه . فلما رأينـاه مقبلا، أقبـل كلٌّ واحد منّا ينظر إلى صاحبـه، وكاد جعفر أن ينشقّ غيظا . وفهِم الرجلُ حالَنـا، فأقبل نحوَنا، حتى إذا صار إلى الرِّواق الذى نحن فيه نزَع قَلَنْسِيَتَه فرمَى بها مع طَيْلَسانه جانبًا، ثم قال : أَطعِمونا شيئا، فدعا له جعفر بالطعام وهو منتفخٌ غضبًا وغيظًا فطَعِم، ثم دعا بِرِطل فشربه، ثم أقبـل إلى المجلس الذى نحن فيه فأخذ بعِضَادَتَى الباب(١) ثم قال : اشركونا فيما أنتم فيـه، فقال له جعفر : ادخل، ثم دعا بقميص حرير وخَلوقٍ فلبِس وتخـلّق، ثم دعا بِرِطل ورِطل حتى شرب عدّة أرطال، ثم اندفع ليغنّينا، فكان والله أحسنَنا جميعا غناءً . فلما طابت نفسُ جعفر وسُرِّىَ عنه ما كان به التفت إليـه فقال له : ارفع حوائجَك، فقال : ليس هذا موضعَ حوائجَ، فقال: لَتَفعلنّ، ولم يَزل يُلِحّ عليه حتى قال له : أمير المؤمنين علىّ واجدٌ، فأُحبّ أن تترضّاه، قال: فإنّ أمير المؤمنين قد رَضِىَ عنك، فهاتِ حوائجَك، فقال: هذه كانت حاجتى، قال: ارفع حوائجك كما أقول لك، قال: علىّ دَيْنٌ فادحٌ، قال : هذه أربعة آلاف ألف درهم، فإن أحببتَ أن تقبِضها فاقبِضها من منزلى الساعة، فإنه لم يمنعنى من إعطائك إيّاها إلا أنّ قَدْرَك يَجِلّ على أن يصِلك مثلى، ولكنى ضامنٌ لها حتى تُحمَلَ من مال أمير المؤمنين غدا، فَسَلْ أيضا، قال: ابنى، تُكلِّمُ أميرَ المؤمنين حتى ينوِّه باسمه، قال: قد ولّاه أميرُ المؤمنين مصرَ وزوّجه

(١) عضادتا الباب : خشبتاه من جانبيه .

١١٩ / ٥

ابنته العالية[1] ومهرها ألفيْ ألف درهم . قال إسحاق : فقلت في نفسي : قد سكِر الرجل (أعني جعفرا). فلما أصبحتُ لم تكن لي همّةٌ إلا حضورَ دار الرشيد، وإذا جعفر بن يحيي قد بكّر، ووجدتُ في الدار جَلَبة، وإذا أبو يوسفَ القاضي ونظراؤه قد دُعي بهم، ثم دُعي بعبد الملك بن صالح وٱبنه فأُدخلا على الرشيد، فقال الرشيد لعبد الملك : إنّ أمير المؤمنين كان واجدًا عليك وقد رضيَ عنك، وأمر لك بأربعة آلاف ألف درهم، فٱقبِضها من جعفر بن يحيي الساعة. ثم دعا بٱبنه فقال: اشهدوا أنّي قد زوّجتُه العاليةَ بنت أمير المؤمنين وأمهرتُها عنه ألفيْ ألف درهم من مالي ووليّتُه مصرَ[2]. قال : فلمّا خرج جعفر بن يحيي سألتُه عن الخبر، فقال: بكّرتُ على أمير المؤمنين فحكيتُ له ما كان منا وما كنّا فيه[3] حرفًا حرفًا، ووصفتُ له دخولَ عبد الملك وما صنعَ، فعجب لذلك وسُرّ به، ثم قلت له : قد ضَمِنتُ له عنك يا أمير المؤمنين ضمانا، فقال : ما هو ؟ فأعلمتُه، قال : أَوْفِ له بضمانك، وأمر بإحضاره، فكان ما رأيتَ .

حمل علويه لحنا له الى أبيه فأعجب به وأثنى عليه

أخبرني عمّي قال حدّثني فَضل اليَزيديّ عن إسحاق قال : لمّا صنعتُ لحني في :

* هل إلى نظرة إليك سبيلُ *

ألقيتُه على علّويه ، وجاءني رسول أبي بطَبَق فاكهة باكُورة، فبعثتُ إليه : برّك الله يا أبَة ووصَلكَ ! الساعةَ أبعث اليك بأحسنَ من هذه الباكورة ، فقال : إني أظنّه قد أتى بآبِدة[4]، فلم يلبث أن دخل عليه علّويه فغنّاه الصوتَ، فعَجِب منه وأُعجِب به، وقال : قد أخبرتكم أنه قد أتى بآبدة. ثم قال لولده .: أنتم تلومونني على

---

(١) كذا في الأصول وابن الأثير (ج ٦ ص ١٤٨) والذي في الطبري (ص ٧٥٩ من القسم الثالث) «أم الغالية» بالغين المعجمة . (٢) الذي ذكر في كتب التاريخ أن الذي ولي مصر من قبل الرشيد هو عبد الملك بن صالح ولم يدخلها وإنما استخلف عليها عبد الله بن المسيب الضبي . ولم نعثر في كل هذه الكتب عند ذكر ولاة مصر عن ابن لعبد الملك هذا ، ولم نجد هذه القصة في مصدر آخر من كتب التاريخ والأدب ، غير أن ابن طباطبا أوردها بعبارة أوسع في الفخري (ص ٢٨٢ طبع أوروبا سنة ١٨٩٤) . (٣) في حـ : «ما كان منا وما كان منه» . (٤) الآبدة : الغريبة .

تفضيل إسحاق ومحبّتى له ، والله لو كان آبنَ غيرى لأحببتُه لفضله فكيف وهو آبنى ؛ وستعلمون أنكم لا تعيشون إلّا به . وقد ذكر أبو حاتم الباهلىّ عن أخيه أبى معاوية ابن سعيد بن سَلْم أنّ هذه القصة كانت لمّا صنع إسحاقُ لحنَه فى :

* غَيْضَنَ من عَبَراتِهن وقلن لى *

وقد ذكرت ذلك مع أخبار هذا الصوت فى موضعه .

مثل عن إبراهيم ابن المهدى فقال لا يحسن شيئا

حدّثنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى علىّ بن يحيى قال : سألت إسحاق عن إبراهيم بن المهدىّ ، فقال : دَعْنِى منه ، فليست له روايةٌ ولا دِراية ولا حكاية .

رثاؤه هشيمة الخمارة

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفّاف قال حدّثنى فَضْل اليَزيدىّ عن إسحاق قال : كانت هُشَيْمةُ الخَمّارة جارتى ، وكانت تَخُصّنى بأطيب الشراب وجيِّده ؛ فماتت فقلت أرثيها :

أضحتْ هُشَيْمةُ فى القبور مقيمةً * وخلتْ منازلُها من الفِتيانِ
كانت إذا هجَرَ المحبُّ حبيبَه * دَبّت له فى السرّ والإعلانِ
حتى يَلِينَ لما تُريد قيادُه * ويصيرَ سيِّئُه إلى الإحسانِ

قضى حاجة لإدريس بن أبى حفصة فدحه

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : سألنى إدريسُ بن أبى حَفْصة حاجة ، فقضيتُها له وزدت فيما سأل ؛ فقال لى(١) :

إذا الرجالُ جَهِلوا المكارما * كان بها آبنُ الموصلىّ عالما
أبقاك ذو العرش بقاءً دائما * فقد جُعِلتَ للكرام خاتما
إسحاقُ لو كنتَ لقِيتَ حاتما * كان نَدَاه لنَداك خادما

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « وقال لى » .

١٢٠ / ٥

قال حمّاد: وقال لى أبى: كان إدريسُ سخيًّا من بين آل أبى حَفْصة؛ فنزل به ضيفٌ، فتنمّرت امرأتُه عليه؛ فقال لها:

مِن شرّ أيّامك اللاتى خُلِقتِ لها * إذا فقدتِ نَدَى(١) صوتى وزُوّارى

تشاغل عن دعوة على بن هشام فنيل منه، وردّه على ذلك

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال:

كان علىّ بن هشام قد دعانى ودعا عبد الله بن محمد بن أبى عُيَيْنة، فتأخّرتُ عنه حتى اصطبحنا شديدا، وتشاغلتُ عنه برجل من الأعراب كان يجيئنى فأكتب عنه وكان فصيحًا؛ وكان عنـد علىّ بن هشام بعضُ من يُعاديني؛ فسألوا ابنَ أبى عُيَيْنة أن يُعاتبنى بشعر ينسُبنى فيه الى الخُلْف؛ فكتب إلىّ:

يا مَليًّا بالوعد والخُلْف والمَطْـ * ـل بَطيئًا عن دعوة الأصحابِ

لَهِجًا بالأعراب إنّ لدينا * بعضَ ما تشتهى من الأعرابِ

قـد عرَفنا الذى شُغلت به عنّا * وإن كان غيرَ ما فى الكتاب

قال: فكتبتُ الى الذى حمل ابن أبى عيينة على هذه الأبيات — قال حمّاد: وأظنه إبراهيم بن المهدىّ —:

قد فهِمتُ الكتابَ أصلحك اللهُ وعنـدى عليـه ردُّ الجوابِ

ولعَمْرى ما تُنصفون ولا كا * ن الذى جاء منكمُ فى حسابى

لستُ آتيك فاعلمنّ ولا لى * فيك حظٌّ من بعدِ هذا الكتاب

عاتب على بن هشام بشعر لأنه مرض ولم يعده

قال حمّاد: قال أبى: وكتبت الى علىّ بن هشام وقد اعتللتُ أيّاما فلم يأتنى رسولُه:

أنا عليلٌ منـذُ فارقتَنى * وأنت عمّن غاب لا تسألُ

ما هكذا كنتَ ولا هكذا * فيما مضى كنتَ بنا تفعلُ

فلمّا وصلتْ إليه رُقعتى ركب إلىّ وجاءنى عائدا.

(١) ندى الصوت: صداه.

شعره حين عودته من البصرة

أخبرنى محمد بن مَرْيد قال حدّثنا حمّاد قال :

لمّا خرج أبى إلى البصرة خَرْجته الأولى وعاد ، أنشدنى فى ذلك لنفسه :

صـــوت

ما كنتُ أعرف ما فى البين من حَزَنٍ * حتى تنادَوْا بأن قـد جِىء بالسُّفُنِ
قامتْ تودّعنى والعينُ تَغلِبها * فجَمْجمتْ(١) بعضَ ما قالت ولم تُبِنِ
مالت علىَّ تُفَـدِّينى وتَرشُفُنى * كما يميـل نسـيمُ الرّيح بالغُصُنِ
وأعرضتْ ثم قالت وهى باكيةٌ * يا ليت معـرفتى إيّاك لم تكُنِ
لمّا افـترقنا على كُرْهٍ لفُـرقتها * أيقنتُ أنّى رهينُ الهمِّ والحَـزَنِ

أنشده شداد بن عقبة شعرا لجميل فزاد عليه

أخبرنى محمد بن مَرْيد قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

أنشدنى شَدّاد بن عُقْبة لجَميل :

قِفِى تَسْلُ عنكِ النفسُ بالخُطّة التى * تُطيلين تخويفى بها ووعيـدى
فقد طالما من غير شكوى قبيحةٍ * رضينا بحـكمٍ منكِ غيرِ سـديدِ

قال : فأنشدتُ الزُّبَير بن بَكّار هذين البيتين ، فقال : لو لم أنصرف من العراق إلا بهما لرأيتُهما غُنْما . وأنشدنى شدّاد لجميل أيضا :

بُثَيْنَ سَليِنى بعضَ مالى فإنما * يُبَيَّن عنـد المـال كلُّ بخيـلِ
١٢١ ٥ فإنى وتَكرارى الزيارةَ نحـوَكم * لَبَيْن يَدَىْ هَجْرٍ بُثَيْنَ طويلِ

قال أبى : فقلت لشَدّاد : فهلا أزيدك فيهما ؟ فقال : بلى ؛ فقلت(٢) :

فياليتَ شِعْرى هل تقولين بعـدنا * إذا نحن أزْمَعنـا غدًا لرَحيـلِ
ألا ليت أيامًا مضَـيْنَ رواجـعٌ * وليت النَّوَى قد ساعدتْ بجميـلِ

(١) جمجم الكلام : لم يبينه . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصـول : «فيها» ، وهو تحريف .

فقال شدّاد : أحسنتَ والله ! وإن هـذا الشعر لضائعٌ؛ فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : نفيتَه عن نفسك بتَسْميتك جميلًا فيه، ولم يَلْحَق بجميل، فضاع بينكما جميعا .

اجتمع هو وجماعة من المغنين عنـد إسحاق المصعبي

حدّثني جَحْظة قال حدّثني عليّ بن يحيي المُنَجِّم قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال: دعاني إسحاق بن إبراهيم المُصْعَبيّ، وكان عبد الله بن طاهر عنده يومئذ، فوجه إليّ فحضرتُ وحضر عَلّويه ومخارقٌ وغيرُهمـا من المغنّين ؛ فبيناهم على شرابهم وهم أسرُّ ما كانوا، إذ وافاه رسولُ أمير المؤمنين فقال : أجبْ؛ فقال : السمع والطاعة؛ ودعا بثيابه فلبسها. ثم التفت الى محمد بن راشد الخنّاق فقال له : قد بلغني أنك أحفظ الناس لمـا يدور في المجالس، فآحفظ لي كلَّ صوت يمرّ وما يشرب به كلُّ إنسان، حتى إذا عدتُ أعدتَ عليّ الأصوات وشربتُ ما فاتني؛ فقال : نعم، أصلح الله الأمير. ومضى الى المأمون، فأمره بالشخوص الى بابَك(١) من غدٍ، وتقدّم اليه فيما يحتاج اليه ورجع من عنده . فلمّا دخل ووضع ثيابَه قال : يا محمد، ما صنعتَ فيما تقدّمتُ به إليك؟ قال: قد أحكمتُه أعزّك الله؛ ثم أخبره بمـا شرب القومُ وما آستحسنوه من الغناء بعده؛ فأمر أن يُجمَع له أكثرُ ما شرب به واحدٌ منهم في قدح، وأن يُعاد عليـه صوتٌ صوتٌ ممـا حفظه له حتى يَسـتوفيَ ما فاته القومُ به، ففعـل ذلك وشرب حتى آستوفى النبيذَ والأصواتَ . ثم قال لي : يا أبا محمد، إني قد عملتُ في مُنْصَرَفي من عند أمير المؤمنين أبياتًا فآسمعها؛ فقلت : هاتها أعزّ الله الأمير؛ فأنشدني :

صـــــوت

ألا مَنْ لقلبٍ مُسْـلَمٍ للنوائبِ * أحاطت به الأحزانُ من كلّ جانبِ
تبيّن يومَ البين أنّ اعترامه * على الصبر من بعض الظنون الكواذب

(١) هو بابك الخرّمي، وكان قد خرج على دولة بني العباس، وظهر بأذربيجان وكثر بها أتباعه وآستباحوا المحرمات وقتلوا الكثير من المسلمين، ثم أخذ في أيام المعتصم هو وأخوه اسحاق وصلبا .

صـــــوت

حرامٌ على رامى فــؤادِى بسهمـه * دمٌ صبّه بيـن الحشَى والترائبِ
أراق دمًا لولا الهـــوى ما أراقــه * فهـــل بدمِى[1] من ثائرٍ أو مُطالِب

قال : فقلت له : ما سمعتُ أحسنَ من هذا الشعر قطّ ؛ فقال لى : فاَصنعْ فيه ؛ فصنعت فيه لحنا ، وأحْضرنى وصيفةً له ، فألقيتُه عليها حتى أخذَتْه ؛ وقال : إنما أردتُ أن أتسلّى به فى طريق وتُذكّرنى به الجاريةُ أمرَكَ إذا غنّته . فكان كلما ذكرٍ أتانى برُّه ، إلى أن قَدِم ، عدّةَ دفعات . لم أجد لإسحاق صنعةً فى هذا الشعر . والذى وجدتُ فيـه لعبد الله بن طاهر خفيفُ رَمَلٍ ، ذكره آبنه عُبيد الله عنه . ولمُخارِق لحنٌ من الرمل . ولعمرو بن بانة هَزَجٌ بالوسطى . ولمخارِق والطاهريّة خفيفُ ثقيل .

سأل عنه المتوكل حين كف فأحضره ثم غناه فوصله

١٢٢ / ٥ حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى أبو عبد الله محمد بن حَمْدون قال :

سأل المتوكّل عن إسحاق الموصلىّ ، فعرف أنه قد كُفّ وأنه فى منزله ببغداد ؛ فكتب فى إحضاره . فلما دخل عليه رفَعه حتى أجلسه قُدّامَ السرير ، وأعطاه مِخَدّة ، وقال له : بلغنى أن المعتصم دفع إليك مخدّة فى أوّل يوم جلستَ بين يديه وهو خليفة ، وقال : إنه لا يُستجلب ما عند حُرّ بمثل الكرامة ؛ ثم سأله : هل أكل ؟ فقال نعم ؛ فأمر أن يُسقى ؛ فلما شرب أقداحا قال : هاتوا لأبى محمد عودا لجىء به ؛ فآندفع يغنّى بصوتٍ الشعرُ فيه والغناء له :

---

(١) فى حـ : « فهل يدرى ذامن ثائر أو مطالب » .

صـــــوت

ما علّةُ الشيخ عيناه بأربعةٍ (١) * تَغْرَوْرِقان بدَمع ثم تَنْسكِبُ

— قال أبو عبد الله : فوالله ما بقِىَ غلامٌ من الغلمـان الوقوفِ على الخَيْر (٢) إلا وجدتُه يرقُص طرباً وهو لا يعلم بما يفعل — فأمر له بمائة ألف درهم . ثم قال لى المتوكل : يآبن حَمْدُون، أتحسن أن تغنّيَنى هذا الصوت؟ فقلت نعم؛ قال : غنّه؛ فترنّمت به؛ فقال إسحاق : من هذا الذى يَحْكيني؟ فقال : هذا ابنُ صديقك حمدون؛ فقال : وَدِدتُ أنه يُحسن أن يَحْكيني؛ فقلت له : أنت عرّضتنى له يا أمـير المؤمنين . ثم آنحـدر المتوكل إلى رقّةِ (٣) بُوصَرَا ؛ وكان يَستطيبها لكثرة تغريد الأطيار بها، فغنّى إسحاقُ :

صـــــوت

أألن هَتَفتْ وَرْقاءُ فى رَوْنق الضُّحَى * على غُصُنٍ غَضّ الشباب من الرَّنْدِ

بكيتَ كما يبـكى الحزين صبابةً * وشـوقا وتابعتَ الحَنِينَ إلى نجـد

فضحك المتـوكل وقال له : يا إسحـاق ، هـذه أختُ فَعْلتك بالواثق لمّـا غنّيتـه بالصالحيّـة (٤) :

طَربتُ إلى الأُصَيْبِيَة الصِّغارِ * وذكّرنى الهوى قربُ المَزارِ

---

(١) يقال : عيناه تدمعان بأربعة ، أى تسيلان بأربعة آماق ، وذلك أشدّ البكاء .

(٢) كذا فى حـ . والخـير : اسم قصر بسر من رأى بناه المتوكل وأنفق على عمارته أربعـة آلاف ألف درهم . (راجع ياقوت فى الكلام على الخير) . وفى سائر الأصول : « الخير » بالخاء المعجمة والياء الموحدة ، وهو تصحيف .

(٣) الرقة : كل أرض إلى جنب واد ينبسط عليها المـاء . وبوصرا : قرية من قرى بغـداد .

(٤) الصالحية : قرية قرب الرها من أرض الجـزيرة ، اختطها عبد الملك بن صالح الهاشمى .

فكم أعطاك لمّا أذن لك فى الانصراف؟ قال : مائة ألف درهم؛ فأمر له بمائة ألف درهم، وأذن له بالانصراف إلى بغداد . وكان هذا آخرَ عهدنا به، لأن إسحاق توفّى بعد ذلك بشهرين .

أمره الواثق أن يغنى صوتا فطير معه وغناه

حدّثنى جحظة قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

دخلت على الواثق أستأذنه فى الانحدار إلى بغدادَ فوجدته مصطبحا ؛ فقال : بحياتى غنّ :

صــــوت

ألا إن أهلَ الدار قد ودّعوا الدارا * و إن كان أهلُ الدار فى الحىّ أجوارا(١)

وقــد تركوا قلبى حزينًــا متيَّماً * بذكــرهمُ، لو يَستطيع لقد طارا

فتطيّرتُ من اقتراحه له وغنّيته إياه؛ فشرب عليه مرارا، وأمر لى بثلاثين ألفَ درهم وأذن لى فانصرفت؛ ثم كان آخرَ عهدى به . الشعر لمُطيع بن إياس . والغناء لإبراهيم الموصلىّ ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو .

استنشق أحمد بن معاوية نبيذا فزحم حامل الدن فكسره وشعره فى ذلك

حدّثنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنا عبد الله ابن الفرج قال حدّثنا أحمد بن معاوية قال :

كنت فى بيتى وعَلّويه يُغنّينى :

صــــوت

أعرضْنَ من شَمَطٍ(٢) فى الرأس لاح به * فهُنّ عنــه إذا أبصرْنَه حِيــدُ

قد كُنّ يعهدْنَ منّى منظرًا حسَنًا * وجُمّةً(٣) حَسَرتْ عنهــا العناقيدُ

---

(١) الأجوار : جمع جار وهو الذى يجاورك فى دار أو غيرها . (٢) الشمط : بياض شعر الرأس يخالط سواده . (٣) الجمة : مجتمع شعر الرأس .

فوردتْ علىّ رُقعـة من إسحـاقَ الموصـلىّ يستسقينى نبيذًا ، فبعثت إليه بدَنّ مع غلام لى ؛ فلما توسّط الغلامُ به الجسرَ زُحِم فكُسِر ؛ فرجع الغلام إلى إسحاق فأخبره الخبرَ وسأله مسألتى الصَّفحَ عنه ، فكتب إلىّ : ١٢٣ / ٥

يا أحمـد بن معاويَهْ * إنّى رُميت بداهيَهْ
أشكو إليك فأشْكِنى * كَسْرَ الغلامِ الخابيَهْ
ياليتها سلمتْ وكا * ن فداءَها ابنُ الزانيَهْ

فبعثت إليه بأربعة أدنان(٢) ، وأعتقتُ الغلام بشفاعته فى أمره .

صنع صوتا أعجب به المعتصم والواثق وعجز المغنون عن أخذه عنه

أخبرنى جعفر بن قُدامة ومحمد بن مَزْيد قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق الموصلىّ قال قال لى حمدون بن إسماعيل رحمه الله :

لمّـا صنع أبوك رحمه الله هذا الصوت :

صـــــوت

قفْ بالديار التى عفا القِدَمُ * وغيّرتْهـا الأرواحُ والدِّيَمُ
لمّـا وقفْنـا بهـا نُسائلها * فاضتْ من القوم أعيُنٌ سُجُمُ
ذِكْرًا لعيشٍ مضى إذا ذُكرتْ * ما فات منـه فذكره سَـقَمُ
وكلُّ عيشٍ دامتْ غضارتُه * مُنقطِعٌ مرّةً ومُنصـرِمُ

— ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ — أُعْجِب به المعتصم والواثق جميعا ؛ فقال له المعتصم : بحياتى ارْدُدْه على مخارق وعلّويه والجماعة ليأخذوه عنك ، وانْصَحْهم فيه ؛ فإنهم إن أحسنوا فيـه نُسب إليك إحسانُهم ، وإن أساءوا بان فضلُك عليهم ؛ فردّه عليهم أكثرَ من

---

(١) فى ب ، سـ : « مسألة » . (٢) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول : « أدنّ » وجمع القلة لفعْل الصحيح أفعال مثل عم وأعمام ، وأفعل مثل كف وأكف إلا أن الكثير الأوّل . والذى ورد فى كتب ... جمعا لدنّ إنما هو دنان لا غير .

مائتى مرّة، وكانوا يقصِدون إلى منزله ويَرُدّه (١) عليهم، ومات وما أخذوا منه علم الله إلّا رَسْمَه. الشعر والغناء لإسحاق، ولحنه ثقيل أوّل.

خروجه مع الرشيد إلى الرقة وقصته بدير القائم وتل عزاز

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال:

خرجنا مع الرشيد يريد الرقّة (٢)، فلمّا صِرْنا بالموضع الذى يقال له القائم نزلْنا، وخرج يتصيّد وخرجنا معه، فأبْعد فى طلب الصيد، ولاح لى دَيْر فقصدته وقد تعبتُ، فأشرفتُ على صاحبه، فقال: هل لك فى النزول بنا اليوم؟ فقلت: إى والله، وإنى إلى ذلك لمحتاج، فنزل ففتح لى البابَ وجلس يحدّثنى، وكان شيخا كبيرا وقد أدرك دولة بنى أمية، فجعل يحدّثنى عمّن نزل به من القوم ومَوَاليهم وجيوشهم، وعرَض علىّ الطعامَ فأجبتُه، فقدّم إلىّ طعاما من طعام الدِّيارات (٣) نظيفا طيّبا، فأكلتُ منه، وأتانى بشرابٍ ورَيْحانٍ طَرِىّ فشربتُ منه، ووَكّل بى جاريةً تخدُمُنى راهبةً لم أر أحسن وجهًا منها ولا أشكَل، فشربتُ حتى سكِرتُ، ونِمتُ وآنتبهتُ عِشاءً، فقلتُ فى ذلك:

صــــوت

بدَيْرِ (٤) القــائم الأقصَى * غزالٌ شادنٌ أحْوَى

بَرَى حُبِّى له جِسْمِى * ولا يَعْــلَمُ ما ألْــقَى

وأكْتُمُ حبَّــه جُهدِى * ولا واللهِ ما يَخْفَى

---

(١) كذا فى م. وفى سائر الأصول: «يقصدونه إلى منزله». (٢) ورد هذا الخبر فى مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى (ج ١ ص ٢٦٩ طبع بولاق) مع اختلاف يسير فى بعض العبارات.

(٣) الديارات: جمع دير. وهذا الجمع لدير على كثرة وروده فى معاجم البلدان وكتب الأدب، لم نعثر على نص عليه فى معاجم اللغة التى بين أيدينا. (٤) دير القائم الأقصى: على شاطئ الفرات من جانبه الغربى فى طريق الرقة. وذكر ياقوت فى معجمه وابن فضل الله العمرى فى مسالك الأبصار بعد تعريفهما لهذا الدير قالا: «قال أبو الفرج: وقد رأيته، وهو مرقب من المراقب التى كانت بين الروم والفرس، على أطراف الحدود». وفيهما أن هذه الأبيات لعبد الله بن مالك المغنى، وقال الخالدى: هى لاسحاق الموصلىّ.

وركبتُ فلحقتُ بالمعسكر والرشيدُ قد جلس للشرب وطلبني فلم أُوجَد . وأُخبرتُ بذلك، فغنّيتُ فى الأبيات ودخلتُ اليه؛ فقال لى : أين كنتَ؟ وَيحك! فأخبرته ١٢٤/٥ بالخبر وغنّيته الصوتَ؛ فطرِب وشرب عليه حتى سَكِر، وأخّر الرحيلَ فى غد، ومَضَينا الى الدَّيْر ونزله، فرأى الشيخَ واستنطقه، ورأى الجارية التى كانت تخدُمنى بالأمس؛ فدعا بطعام خفيف فأصاب منه، ودعا بالشراب، وأمر الجاريةَ التى كانت بالأمس تخدُمنى أن تتولّى خدمتَه وسَقْيَه ففعلتْ، وشرب حتى طابت نفسه؛ ثم أمر للدَّيْر بألف دينار، وأمر باحتمال خراجه له سَبْعَ سنين؛ فرحَلْنا .

قال حمّاد : فحدّثنى أبى قال : فلما صرنا بتَلّ عَزاز من دَابِق (١) خرجتُ أنا وأصحاب لى نتنزّه فى قرية من قُراها، فأقمنا بها أيامًا، وطلبنى الرشيدُ فلم يجدنى . فلمّا رجَعتُ أتيتُ الفضلَ بن الربيع؛ فقال لى : أين كنتَ؟ طلبَك أميرُ المؤمنين؛ فأخبرته بنُزْهتنا فغضِب . وخِفتُ من الرشيد أكثرَ مما لقِيتُ من الفضل؛ فقلت :

صــــوت

إنّ قلبى بالتَّلّ تَلّ عَزازِ * عندَ ظَبْيٍ من الظِّباء الجَوَازِى (٢)
شادنٍ يسكُنُ الشآمَ وفيه * مع ظَرف العراق شَكْلُ (٣) الحجاز
يا لَقومى لبنتِ قَسٍّ أصابتْ * منك صفوَ الهوى وليست تُجازِى
حَلَفتْ بالمسيح أن تُنجِزَ الوعـ * ـدَ وليستْ تَهُمّ بالإنجاز

وغنّيتُ فيه؛ ثم دخلتُ على الرشيد وهو مُغْضَبٌ؛ فقال : أين كنت؟ طلبتُك فلم أجِدْك؛ فاعتذرتُ اليه وأنشدتُه هذا الشعرَ وغنّيته إياه؛ فتبسّم وقال : عذرٌ وأبيك

---

(١) دابق : قرية قرب حلب من أعمال عزاز، بينها وبين حلب أربعة فراسخ .

(٢) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٧٣ من هذا الجزء . (٣) الشكل (بالكسر والفتح) : الدل .

وأىُّ عذر ! وما زالَ يشربُ عليــه ويَستَعيدُنيه ليلتَه جَمْعاء حتى آنصرفنا مع طلوع الفجر. فلمّا وصلتُ الى رَحْلى إذا برســول أمير المؤمنين قد أتانا يَدْعونا ، فوافَيْتُ فدخلتُ ، وإذا ابنُ جامعٍ يتمرّغ على دُكّان فى الدار وهو سكْرانُ يتململ ؛ فقال لى : يآبنَ الموصليّ، أتدرى ما جاء بنا ؟ فقلت : لا والله ما أدرى ؛ فقال : لكنّى والله أدرى درايةً صحيحةً ، جاءت بنا نَصْرانيّتُك الزانية ، عليك وعليها لعنة الله . وخرج الآذِنُ فأذِنَ لنا، فدخلنا . فلما رأيتُ الرشــيد تبسّمت ؛ فقال لى : ما يُضحكك ؟ فأخبرته بقول آبن جامع ؛ فقال : صَــدَق(1)، ما هو إلا أن فقدتُكم فآشتقتُ الى ما كنّا فيه، فعودوا بنا، فعُدْنا فيه حتى آنقضى مجلسنا وآنصرفنا .

لحنُ إسحاقَ :

* بدير القــائم الأقصى *

خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى . وفيه للقاسم بن زُرْزُور ثقيلٌ أوّلُ . ولحنه فى :

* إنّ قلبى بالتّلّ تلّ عَزَازِ *

خفيفُ رَمَلٍ .

دخل على الرشيد ضاربا مغنيا بشعر له فطرب وأجازه

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنى حمّاد عن أبيه قال :

دخلتُ على الرشيد يومًا فى عمامة قد كَوَّرتُها على رأسى ؛ فقال : ما هذه العمامة ! كأنك من الأنبار . فلمّا كان من غدٍ دعا بنا اليه ، فأمهلتُ حتى دخل المغنّون جميعا قبــلى ، ثم دخلتُ عليه فى آخرهم ، وقد شددتُ وسطى بمِشَقّة حرير أحمر ، ولبِستُ لباسا مُشْتَهِرًا ، وأخذتُ بيدى صَفّاقَتَيْن وأقبلتُ أخْطِر وأضرب بالصَّفّاقتَيْن وأُغَنّى :

إسمــعْ لصــوتٍ مليحٍ * مِــن صنعة الأنبارِى
صوتٍ خفيفٍ ظريفٍ * يطــيرُ فى الأوتارِ

(1) فى الأصول : « ما صدق » . والظاهر أن « ما » مقحمة من الناسخ .

١٢٥ ٥ فبسط يده إلىّ حتى كاد يقوم ، وجعل يقول : أحسنتَ وحياتى ! أحسنتَ أحسنتَ ! حتى جلستُ ، ثم شرب عليه بقيّةَ يومه ، وما ٱستعاد غيرَه ، وأمر لى بعشرين ألف درهم . لحنُ إسحاق فى هذا الشعر هَزَج .

غنى مغن بصوت له عند الفضل بن الربيع فأعجب به

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد قال حدّثنى أحمد بن يحيى المكّىّ قال: كنتُ عند الفضل بن الربيع ، فغنّى بعضُ مَنْ كان عنده :

صــــوت

كلُّ شىء منك فى عينى حَسَنْ * ونَصيبى منك همٌّ وحَزَنْ
لا تَظُنّى أنه غيّرنى * قِدَمُ العهد ولا طولُ الزمنْ

فقال لى : أتدرى لمن هذا ؟ فقلت : لبعض الطُّنْبُورِيِّين؛ فقال : لا ولكنه لذلك الشيطان إسحاق . لحنُ إسحاق فى هذين البيتين رَمَلٌ بالوسطى من مجموع أغانيه .

استسقى جارية وهو فى ركب الرشيد إلى طوس فأعجبته فقال شعرا

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال : لمّا خرجنا مع الرشيد الى طُوس كنتُ معه أُسايرُه ، فٱستسقَيتُ ماءً من منزلٍ نزلناه يقال له سُحْنة(١) ، فخرجتْ إلينا جاريةٌ كأنها ظبيةٌ ، فسقتْنى ماءً ، فقلتُ هذا الشعر :

صــــوت

غزالٌ يَرْتَعِى جَنَباتِ وَادٍ * بسُحْنَةَ قد تمكّن فى فؤادى
سقانى شَرْبةً كانت شِفاءً * لِعِلّةِ حائمٍ حَرّانَ(٢) صادى

لِغُلّةِ

(١) كذا فى الأصول ومعجم ياقوت . والذى فى المسالك والممالك لابن حوقل ، والمسالك والممالك للاصطخرى : « صحنة » بالصاد المهملة المضمومة . وهى موضع بين الدينور وهمذان . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « غرثان » . والغرثان : الجائع . والحائم : العطشان .

وغنّيته الرشيدَ ، فقال لى : أتحبُّ أن أزوّجكها ؟ فقلتُ : نعم والله يا سيّدى ؛ قال : فآخطُبها والمهرُ علىّ وما يُصلحها ؛ فخطبتُها ، فأبى أهلها أن يُخرجوها من بلدهم. لحنُ إسحاقَ فى هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ . وفيه لعَلُّويه خفيفُ رَمَلٍ .

صنع صوتا فأخذه أحد العامة وهو يردّده فاغتم ولم ينسبه لنفسه

أخبرنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق قال :

قال لى أبى : ما آغتممتُ بشىء قطُّ مثلَ ما آغتممتُ بصوتٍ مليحٍ صنعتُه فى هذا الشعر :

صــــوت

كان لى قلبٌ أعيشُ به * فآكتَوَى بالنـارِ فآحترَقا
أنا لم أُرْزَقْ مَحبّتَهـا * إنمـا للعبـدِ ما رُزِقا
مَنْ يكنْ ماذاقَ طعمَ رَدًى * ذاقه لا شكَّ إن عَشِقا

فإنّى صنعتُ فيه [لحنًا] (١) وجعلتُ أردّده فى جَناحٍ لى سَحرًا ؛ فأظنّ أنّ إنسانا من العامة مرّ بى فسمعه فأخذه ، فبكَّرتُ من غدٍ الى المعتصم لأُغَنّيَه ، فإذا أنا بسَوّاط يَسُوط (٢) الناطِفَ (٣) وهو يُغَنّى اللحنَ بعينه إلا أنه غناء فاسدٌ . فعجبتُ وقلتُ : تُرَى من أين لهذا السّوّاط هذا الصوت ! ولعلّى إذ غنّيتُه أن يكون قد مرّ بى هذا فسمعنى أُغنّيه ؛ وبقيتُ مُتحيّرًا ، ثم قلت : يا فتى ، ممن سمعت هذا الصوت ؟ فلم يجبنى وآلتفتَ الى شريكه ، وقال : هـذا يسألنى ممن سمعته (٤) ! هـذا غنائى ، والله لو سمعه إسحاق الموصلىّ لَخَرِىَ فى سَرَاويله ؛ فبادرتُ والله هاربًا خوفَ أن يمرّ بى إنسانٌ فيسمع ما جرى علىّ فأفتضح ؛ وما علم الله أنى نطقت بذلك الصوتِ بعدها .

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) ساط الشىء : خلطه . (٣) الناطف : ضرب من الحلواء ، لأنه ينطف قبل استضرابه ، أى يقطر قبل خثورته . (٤) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « وقال خذ إليك . يسألنى ممن ... الخ » .

كتب اليه ابراهيم ابن المهدى فى أحجية فأجابه

١٢٦
٥

حدّثنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق قال :

كتب إبراهيمُ بن المهدىّ الى أبى : أىّ شىء تصحيفُ : "لايُرِيحُ مثلُ الأسنّة". فكتب اليه أبى : تصحيفُه : "لايَرِثُ جميلٌ إلا بُثَيْنةَ"، فكتب اليه : وَىْ منك ! .

مدح جعفر بن يحيى ببيتين وغناه فيهما فوصله

أخبرنا جعفر قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال :

دخلتُ يوما على جعفر بن يحيى، فرأى شَفَتَىَّ تتحرّكان بشىء(١) كنتُ أعمله ؛ فقال : أتدعو أم تَصنع ماذا(٢) ؟ فقلتُ : بل أمدح ؛ قال : قل؛ فقلت :

صـــوت

وكنتُ إذا إذنٌ عليك جَرَى لنا * تجلّى لنا وجهٌ أغرُّ وسيمُ
علانيــةٌ محمــودةٌ وسريرةٌ * وفعلٌ يَسُرُّ المُعْتَفِينَ كريمُ

فآحتَبَسنى وأمر لى بمال جليل وكُسوة ، وقال : زِدِ البيتين حُسنًا بأن تصنع فيهما لحنا؛ فصنعتُ لحنا من الثقيل الثانى؛ فلم يزل يَشربُ عليهما حتى سَكِر .

قصة دخوله بيتا طفيليا

أخبرنا محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنه حدّثه قال :

غدوتُ يوما وأنا ضَجِرٌ من ملازمةِ دار الخلافةِ والخدمةِ فيها؛ فخرجتُ وركبت بُكْرةً، وعزمتُ على أن أطوفَ الصحراءَ وأتفرّجَ؛ فقلتُ لغلمانى : إن جاء رسول الخليفة أو غيرُه فعرِّفوه أنى بكّرتُ فى بعض مُهِمّاتى، وأنكم لاتعرفون أينَ توجّهتُ؛ ومضيتُ وطُفتُ ما بدا لى ، ثم عُدتُ وقد حَمِى النهارُ ؛ فوقفتُ فى الشارع المعروف بالمخرِّم(٣) فى فِناءِ ثخينِ الظلّ وجَناحٍ رَحْبٍ على الطريق لأستريحَ . فلم ألبث

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «لشىء» . (٢) كذا فى أ، ء، م . وفى سائر الأصول : «أم تصنع أم ماذا ؟» . (٣) كذا فى معجم ما استعجم . وهى محلة ببغداد بالجانب الشرقىّ . وفى الأصول : «المحرّم» بالحاء المهملة، وهو تصحيف .

أن جاء خادمٌ يقودُ حمارا فارهًا عليـه جاريةٌ راكبة، تحتها منديلٌ دَبِيقىّ[(١)] وعليها من اللباس الفاخر ما لا غايةَ بعده، و رأيتُ لها قَوَاما حسنا وطَرْفا فاترا وشمائلَ حسنةً؛ فخَرَصْتُ[(٢)] عليها أنها مُغنّية، فدخلتِ الدار التى كنتُ واقفا عليها . ثم لم ألبث أن جاء رجلان شابّانِ جميلانِ ، فآستأذنا فأُذِن لهما فنزلا ونزلتُ معهما ودخلتُ؛ فظنّا أن صاحب الدار دعانى وظنّ صاحبُ الدار أنى معهما ؛ فجلسنا ، وأُتِى بالطعام فأكلنا و بالشراب فوُضِع، وخرجتِ الجاريةُ وفى يدها عودٌ فغنّتْ وشربنا ؛ وقمتُ قومةً، وسأل صاحبُ المنزل الرجلين عنّى فأخبراه أنهما لا يعرفانى ؛ فقال : هـذا طُفَيلىٌّ، ولكنه ظريفٌ، فأجْمِلوا عِشْرتَه . وجئتُ فجلستُ ، وغنّتِ الجاريةُ فى لحنٍ لى :

ذَكَرْتُك أن مرّتْ بنا أمُّ شادنٍ * أمامَ المطايا تَشْرئبُّ وتَسْنَحُ

من المؤلفاتِ الرملِ أَدْماءُ حُرّةٌ * شُعاعُ الضحى فى مَتْنِها يتوضّحُ[(٣)]

فأدّتْه أداء صالحا وشربت . ثم غنّتْ أصواتا شتّى ،وغنّتْ فى أضعافها من صنعتى :

الطُّـلُولُ الدوارِسُ * فارقتْهـا الأوانِسُ

أَوْحشتْ بعد أهلها * فهى قَفْـرٌ بَسَابِسُ

فكان أمرُها فيه أصلحَ منه فى الأوّل . ثم غنّتْ أصواتا من القديم والحديثِ،وغنّتْ فى أثنائها من صنعتى :

قُلْ لِمن صَـدّ عاتبًا * ونأى عنـكَ جانبًا

قد بلغتَ الذى أَرَدْ * تَ و إن كنتَ لاعبًا

فكان أصلحَ ما غنّته ؛ فآستعَدْتُه منها لأُصحِّحه لهـا ؛ فأقبل علىّ رجل من الرجلين وقال : ما رأيتُ طُفَيلِيًّا أصفقَ وجهًا منك ! لم تَرْضَ بالتطفيل حتى اقترحْتَ ، وهذا غايةُ

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٤٥ من هذا الجزء . (٢) خرصت : ظننت وخمنت .
(٣) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٩٢ من هذا الجزء .

المثل "طُفَيلِيٌّ مُقْتَرِحٌ"؛ فأطرقتُ ولم أُجِبه؛ وجعل صاحبُه يَكُفُّه عنّى فلا يَكُفُّ. ١٢٧/٥
ثم قاموا للصلاة وتأخرتُ قليلا، فأخذتُ عودَ الجارية، ثم شددتُ طبقتَه وأصلحتُه إصلاحا محكما، وعُدتُ الى موضعى فصلّيتُ، وعادوا؛ ثم أخذ ذلك الرجلُ فى عَرْبَدَته علىّ وأنا صامتٌ؛ ثم أخذتِ الجاريةُ العودَ فجَسّته وأنكرتْ حاله وقالت: مَنْ مَسّ عُودى؟ قالوا: ما مسّه أحدٌ! قالت: بلى! والله لقد مسّه حاذقٌ متقدّم وشدّ طبقتَه وأصلحه إصلاحَ مُتمكّن من صناعته؛ فقلتُ لها: أنا أصلحتُه؛ قالت: فبآلله خُذْه وآضرب به؛ فأخذتُه وضربتُ به مَبدَأً صحيحا ظريفا عجيبا صَعْبا، فيه نَقَراتٌ محرّكةٌ، فما بقى أحدٌ منهم إلا وثَبَ (١) [على قدميه] وجلس بين يدىّ؛ ثم قالوا: بآلله ياسيّدَنا أتُغنّى؟ فقلتُ: نعم، وأُعَرِّفُكم نفسى، أنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الموصلىّ، ووالله إنى لأَتِيهُ على الخليفة إذا طلبنى (٢) وأنتم تُسمِعُونَنى ما أكره منذ اليوم لأنى تملّحتُ معكم؛ فوالله لا نطقتُ بحرف ولا جلستُ معكم حتى تُخرجُوا هذا المُعَرْبِدَ المَقِيتَ الغَثّ؛ فقال له صاحبُه: مِن هذا حَذِرتُ عليك؛ فأخذ يعتذر؛ فقلتُ: والله لا نطقتُ بحرف ولا جلستُ معكم حتى يُخْرَجَ؛ فأخذوا بيده فأخرجوه وعادوا.
فبدأتُ وغنّيتُ الأصواتَ التى غنّتها الجاريةُ من صنعتى؛ فقال لى الرجلُ: هل لك فى خَصْلة؟ قلتُ: ما هى؟ قال: تُقيمُ عندى شهرا، والجاريةُ والحمارُ لك مع ما عليها من حُلِىّ؛ قلت: أفعل، فأقمتُ عنده ثلاثين يوما لا يَدرِى أحدٌ أين أنا، والمأمونُ يَطلُبنى فى كلّ موضع فلا يعرفُ لى خبرا. فلمّا كان بعد ثلاثين يوما أسلم إلىّ الجاريةَ والحمارَ والخادمَ؛ فجئتُ بذلك الى منزلى، وركبتُ الى المأمون من وقتى؛ فلمّا رآنى قال: إسحاقُ! وَيْحك! أين تكون؟ فأخبرتُه بخبرى؛ فقال: علىّ بالرجل

---

(١) زيادة عن ء. (٢) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «إذا كلّفنى».

الساعةَ، فدلَّتهم على بيته فأُحضِر، فسأله المأمونُ عن القصة فأخبره، فقال له: أنت رجل ذو مروءة وسَبيلُكَ أن تُعاوَنَ عليها، وأمر له بمائة ألف درهم، وقال: لا تُعَاشِرنَّ ذلك المعربِدَ النَّذْلَ ٱلبتَّةَ، وأمر لى بخمسين ألف درهم، وقال: أَحضِرْنى الجاريةَ، فأحضرتُها فغنّته، فقال لى: قد جعلتُ لها نوبةً فى كلّ يوم ثُلاثاء تُغَنّينى وراءَ الستارة مع الجوارى، وأمر لها بخمسين ألف درهم. فربحتُ والله بتلك الرَّكْبةِ وأربَحْتُ.

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

صـــــوت

ذكرتك أن مرّتْ بنا أُمُّ شادِنٍ * أمامَ المطايا تشرئبّ وتَسْنَحُ
من المؤلِفاتِ الرمــل أدماءُ حُرَّةٌ * شُعاعُ الضُّحَى فى مَتنِهـا يَتوضّحُ

الشعرُ لذى الرُّمّة. والغناءُ لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة والوسطى، عن ابن المكّى.

ومن أغانى إسحاق:

صـــــوت

قل لمن صَـدّ عاتبَا * ونأى عنـك جانبَـا
قد بلغتَ الذى أرد * تَ وإن كنتَ لاعبا

١٢٨/٥ الشعرُ والغناء لإسحاقَ. وقد تقدّم خبره قبل هذه الأخبار.

صـــــوت

الطُّـــلُولُ الدَّوارِسُ * فارقَتْهـا الأوانِسُ
أَوْحشتْ بعد أهلها * فهى قَفْـرٌ بَسَابِسُ

الشعرُ لابن ياسين، شاعر مجهول قليل الشعر، كان صديقا لإسحاق. والغناء لإسحاق خفيفُ ثقيلٍ. وهذا الصوت من أوابد إسحاق وبدائعه.

غنى صوتا له أمام الواثق فأعجب به وحلله

أخبرنى عمّى قال حدّثنى يزيدُ بن محمد المهلّبىّ قال :

كنتُ عند الواثق ، فغنّته "شجى" التى وهبها له إسحاقُ هذا الصوتَ ، فقال لمخارق وعَلّويه : والله لو عاش مَعْبدٌ ما شقّ غبارَ إسحاقَ فى هذا الصوتِ ، فقالا[1] له : إنه لحسنٌ يا أميرَ المؤمنين ، فغضب وقال : ليس عندكما فيه إلا هذا ! ثم أقبل على أحمدَ بن المكّىّ[2] فقال : دعنى من هذين الأحمقين ، أوّلُ بيتٍ فى هذا الصوت أربعُ كلمات : "الطلول" كلمة ، و"الدوارس" كلمة ، و"فارقتها" كلمة ، و"الأوانس" كلمة ، فأنظر هل ترك إسحاقُ شيئا من الصنعة يتصرَّف فيـه المغنّى لم يُدخِلْه فى هذه الكلماتِ الأربع ! بدأ بها نشيدا ، وتلاه بالبسيط ، وجعل فيه صِياحا ، وإسجاحا ، وترجيحا للنَّغَم ، وآختلاسا فيهـا ، وعمِل هذا كلَّه فى أربع كلمات ، فهـل سمِعتَ أحدا تقدّم أو تأخر فعل مثـل هذا أو قدر عليه ؟! فقال : صـدق أميرُ المؤمنين ، قد لحِق مَنْ قبله وسبق مَنْ بعده .

مر مع الواثق بدير مريم فقال فيه شعرا وغنى فيه فوصله

أخبرنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى ميمونُ بن هارون قال حدّثنى إسحاق قال :

لمّا خرجت مع الواثق الى النَّجَف دُرْنا بالحِيرة ومرَرْنا بديَاراتها ، فرأيتُ دير مريمَ[3] بالحِيرة ، فأعجبنى موقعُه وحسنُ بنائه ، فقلتُ :

---

(١) فى الأصول : « فقالوا » والسياق يقتضى التثنية ، كما هو ظاهر . (٢) فى الأصول : « محمد بن المكى » . والمعروف المشهور بهذه النسبة ما أثبتناه . (٣) دير مريم أو دير مارت مريم : يطلق على ديرين ، أحدهما : دير قديم من بناء المنذر حسن الوضع بين الخورنق والسدير و بين قصر أبى الخصيب مشرف على النجف ؛ وسياق الخبر هاهنا يدل على أن هذا الدير هو المراد . والآخر : دير قديم أيضا بالشام ؛ ذكره البكرى و ياقوت واستشهدا بهذين البيتين . قال البكرى : « هو بالشام وهو دير قديم من دياراتها لا أدرى أين موضعه ؛ وقد ذكره بعض الشعراء القدماء . وغنى فيه ابن محرز قال :

نعم المحـل لمن يسعى للذته * دير لمريم فوق الظهر معمور

ظل ظليل وماء غير ذى أسن * وقاصرات كأمثال الدمى حور

==

نِعَمَ المَحَلُّ لمن يسعَى لِلَــذّته * ديرٌ لمريمَ فوقَ الظهر معمورُ
ظِلٌّ ظليلٌ وماءٌ غيرُ ذى أَسَنٍ * وقاصِراتٌ(١) كأمثالِ الدُّمَى حُورُ

فقال الواثقُ : لا نَصطبِحُ والله غدًا إلا فيه ؛ وأمر بأن يُعَدَّ فيه ما يَصلُحُ من الليل ؛ وباكَرْناه فآصطبَحْنا فيه على هذا الصوتِ ؛ وأمر بمالٍ فَفُرِّق على أهل ذلك الدَّيرِ ؛ وأمر لى بجائزة . لحنُ إسحاق فى هذين البيتين ثانى ثقيلٍ بالبنصر .

غنى عبد الله بن طاهر فوصله

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاقَ عن أبيه قال :

أخرج إلىّ عبدُ الله بن طاهر يوما بيتَىْ شعرٍ فى رُقْعة وقال : هذان البيتان وجدتُهما على بِساطٍ طَبَرِىّ(٢) أَصْبَهْبَذِىّ أُهدى إلىّ من طَبَرِسْتَانَ ، فأُحبُّ أن تُغنّيَنى فيهما ؛ فقرأتُهما فإذا هما :

لَجَّ بالعــين واكِفُ * مِن هَوًى لايُساعِفُ
كُلّما كفّ غَرْبُهـا(٣) * هَيّجتْــه المعازِفُ

= قال أبو الفرج : حدّثنا الحسين بن يحيى عن حماد بن اسحاق عن أبيه قال : نزلنا مع الرشيد بدير مارت مريم فى بعض خرجاته الى الشام فرأى منه موضعا حسنا فنشط للشرب وقال : غنى صوتا فى معنى موضعنا ، فغنيته

* نعم المحــل لمن يسعى للذته *

البيتين ، فطرب وشرب ؛ فقال : أهذا لك ؟ قلت : لا ، هو لابن محرز ؛ فقــال لى : أنت اذا صــدى تؤدّى ما سمعت ؛ فقلت : فأنا أصنع فيه لحنا ، فصنعته فيه وغنيته . قال أبو الفرج : ولحن ابن محرز واسحاق فى هذا الشعر كلاهما من الثقيل الاوّل » اهـ . ولم نجد هــذه الرواية التى ذكرها البكرى فى أصول الأغانى التى بين أيدينا . ولعله نقلها من كتاب الديارات للؤلف . (راجع ما كتب على هذا الدير فى معجم البلدان ج ٢ ص ٦٩٢ ومعجم ما استعجم ص ٣٧١ ومسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ج ١ ص ٣١٧) .

(١) القاصرة من النساء : التى لا تمدّ عينها الى غير بعلها . (٢) طبرى : نسبة الى طبرستان وهى بلدان واسعة كثيرة ، قصبتها آمل . وأصبهبذى : نسبة الى أصبهبذان : مدينة فى بلاد الديلم بينها وبين البحر ميلان . (٣) الغرب : الدمع .

قال : فغنّيت فيهما وغدوتُ بهما إليه ، فأُعجِب بالصوت ووصلنى بصلة سنيّة ، وكان يَشتهيه و يَقترحه ، وطرحتُه على جميع جواريه ، وشاع خبر إعجابه [به][1] . فبينا المعتصمُ يوما جالسٌ يُعرَض عليه فرشُ الربيع ، إذ مرّ به بِساطُ ديباج فى نهاية الحسن عليه هذان البيتان ومعهما :

إنما الموتُ أن تفا * رقَ مَنْ أنت آلفُ
لك حُبّانِ فى الفؤا * د تَليـدٌ وطارِفُ ١٢٩ / ٥

فأمرَ بالبساطِ فحُمل إلى عبد الله بن طاهر ، وقال للرسول : قل له : إنى قد عرفتُ شغفك بالغناء فى هذا الشعر ، فلما وقع هذا البساط أحببتُ أن أُتمّ سرورَك به . فشكر عبدُ الله ما تأدّى إليه من هذه الرسالة وأعظمَ مقدارَه ، وقال لى : والله يا أبا محمد لسُرورى بتمام الشعر أشدُّ من سرورى بكل شىء ، فألحِقهما فى الغناء بالبيتين الأوّلين ، فألحقتهما .

نسبة هذا الصوت

صــــوت

لجَّ بالعـين وا كفُ * مِن هوًى لايُساعِفُ
كلّما كفَّ غربُهـا * هيّجَتْـه المَعازِفُ
إنمـا الموتُ أن تُفا * رِقَ مَنْ أنتَ آلفُ
لك حُبّـان فى الفؤا * د تَليـدٌ وطارِفُ

ولم أعرف من خبر شاعره غيرَ ما ذكرتُه فى هذا الخبر . والغناء لإسحاق هَزَجٌ بالوسطى .

---

(١) الزيادة عن ء .

مقدار صنعته

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المدينىّ عن آبن المكّىّ عن أبيه قال :

قلت لإسحاق يوما : يا أبا محمد، كم تكون صنعتُك؟ فقال : ما بلغت مائتين قطُّ.

مرضه و وفاته

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال :

قال لى وكيل بن الحَرُونىّ : قلت لأبيك إسحاق : يا أبا محمد، كم يكون غناؤك؟ قال : نحوًا من أربعمائة صوت . قال : وقال له رجل بحضرتى : مالك لا تُكثر الصنعة كما يُكثر الناس؟ قال : لأنّى إنما أنقُر فى صخرة .

ولإسحاق أخبار كثيرة قليلة الفائدة كثيرة الحَشْو، طرحتُها لذلك؛ وله أخبار أُخَر حسُن ذكرها فى مواضع تليق بها فأخّرتها وآحتبستها عليها؛ وفيما ذكرتُه هاهنا منها مقنع .

وتوفِّى إسحاق ببغداد فى أوّل خلافة المتوكّل (١) . فأخبرنى الصُّولىّ قال ذكرَ إبراهيمُ ابن محمد الشّاهينىّ :

أنّ إسحاق كان يسأل اللهَ ألّا يبتليَه بالقُولَنْج (٢) لِمَا رأى من صعوبته على أبيه؛ فرأى فى منامه كأنّ قائلا يقول له : قد أُجيبت دعوتُك ولستَ تموت بالقولنج، ولكنّك تموت بضدّه؛ فأصابه ذَرَبٌ (٣) فى شهر رمضان سنةَ خمسٍ وثلاثين ومائتين؛ فكان يتصدّق فى كل يوم أمكنه أن يصومه بمائة درهم؛ ثم ضعُف عن الصوم فلم يُطقه ومات فى شهر رمضان .

---

(١) الذى فى ابن خلكان والنجوم الزاهرة أن مولده كان فى سنة خمسين ومائة وهى السنة التى ولد فيها الإمام الشافعىّ ومات فيها الإمام أبو حنيفة رضى الله عنهما، فتكون سنه خمسا وثمانين سنة . (٢) القولنج : مرض معوى مؤلم، يعسر معه خروج الثفل والريح . (٣) الذرب : داء يعرض للمعدة فلا تهضم معه الطعام، و يفسد فيها فلا تمسكه .

أخبرنا الحسن بن علىّ قال حدّثنى يزيد بن محمد المهلّبىّ قال :

نُعِى إسحاقُ الى المتوكّل فى وسط خلافتــه، فغمّه وحَزِن عليه، وقال : ذهب صدرٌ عظيمٌ من جمــال الملك وبهائه وزينته؛ ثم نُعِى اليــه بعده أحمدُ بن عيسى بن زيد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليــه، فقال : تكافأت الحالتان، وقام الفتح بوفاة أحمــد — وما كنت آمَنُ وَثْبَتَــه علىّ — مقامَ الفَجيعة بإسحاق؛ فالحمد لله على ذلك .

حدّثنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى رجل من الكتّاب من أهل قُطْرَبُّل قال حدّثنى أبى عن أبيه قال : رأيت فيما يرى النائم قائلا يقول لى :

مات الحُسَان ابن الحُسَا * نِ ومات إحسانُ الزمانِ

فأصبحت من غد فركبت فى بعض حوائجى، فتلقّانى خبر وفاة إسحاق الموصــلىّ .

ما رثاه به الشعراء

١٣٠ / ٥ وقال إدريس بن أبى حَفْصة يرثى إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ :

سقى اللهُ يابْنَ الموصلىّ بوَابِلٍ * من الغيث قبرًا أنت فيــه مقيمُ
ذهبتَ فأوحشتَ الكرامَ فما يَنِى * بعَــبْرته يَبكى عليــك كريمُ
إلى الله أشكو فقدَ إسحاق إنّنى * وإن كنت شيخا بالعراق يَتيمُ

وقال محمد بن عمرو الجُرْجانى يرثيه :

على الجَــدَثِ الشرقىّ عُوجَا فسلّما * ببغداد لمّــا ضَنَّــت عنه عوائدُهْ
وقُولَا له لو كانــت للموت فِدْيةٌ * فَدَاك من الموت الطَّريفُ وتالدُه
أإسحاقُ لا تَبْعَدْ وإن كان قد رمَى * بك الموتُ وِرْدًا ليس يَصْدُر وارِدُه

إذا هزل آخضرّتْ فنونُ حديثه * ورقّتْ حواشيه وطابت مَشاهدُه
وإن جدّ كان القولُ جِدّا وأُقسمتْ * مَخارجُه ألّا تلينَ معاقدُه
فبَسكِ على آبن الموصليّ بعَبْرة * كما آرفضّ من نظمِ الجُمان فرائدُه

وقال مصعب بن عبد الله الزّبيرى يرثيه — نسخت ذلك من كتاب جعفر ابن قُدامة، وذكر أن حمّاد بن إسحاق أنشده إياها، ونسختُه أيضا من كتاب الحَرَميّ بن أبى العلاء يذكر فيه عن الزّبير عن عمّه مصعب أنه أنشده لنفسه يرثى إسحاق — :

أتدرى لمن تبكى العيونُ الذّوارِفُ * ويَنْهلّ منها واكفٌ ثم واكفُ
نعمْ لأمرئٍ لم يبقَ فى الناس مثلُه * مفيدٌ لعلم أو صديقٌ مُلاطِفُ
تجهّز إسحاقٌ الى الله غاديًا * فلله ما ضُمّتْ عليه اللفائفُ
وما حَمل النعشَ المزجّى عشيّةً * الى القبر إلا دامعُ العين لاهفُ
صدورهمُ مَرضَى عليه عَميدةٌ * لها أزْمةٌ(١) من ذكره وزَفازفُ
ترى كلّ محزون تَفيض جفونُه * دموعًا على الخدّين والوجهُ شاسِفُ(٢)
جُزيتَ جزاءَ المحسنين مُضاعفًا * كما كان جَدْواك النّدى المتضاعفِ
فكم لك فينا من خلائقَ جَزْلةٍ * سبقتَ بها منها حديثٌ وسالفُ
هى الشّهدُ أو أحلى إلينا حلاوةً * من الشهد لم يمُزج به الماءَ غارفُ
ذهبتَ وخلّيتَ الصديق بعَوْلةٍ * به أسفٌ من حزنه مترادفُ

(١) أزمة: ضيق وشدة . وزفازف (واحدها زفزفة) وهى فى الأصل حنين الريح وصوتها فى الشجر . يريد أنه يكون بصدورهم عند ذكره نشيج وزفير من الحزن عليه . (٢) الشاسف: اليابس ضمرا وهزالا .

إذا خطَرات الذكر عاودْنَ قلبَه * تتابع منهنّ الشؤونُ النوازف
حبيبٌ إلى الإخوان يَرْزُون ماله (١) * وآتٍ لما يأتى امرؤ الصدقِ عارف
هو المنّ والسَّلْوى لمن يستفيده * وسمٌّ على من يشرب السمّ زاعف
بكت داره من بعده وتنكّرتْ * مَعالمُ من آفاقِها (٢) ومعارف
فما الدار بالدار التى كنت أعترى * وإنّى بها لولا اْفتقاديك عارف
هى الدار إلا أنّها قد تخشّعتْ * وأظلم منها جانبٌ فهو كاسف
وبان الجمال والفَعال كلاهما * من الدار واْستَنّتْ (٣) عليها العواصف
١٣١ / ٥ خلت داره من بعده فكأنما * بعاقبة لم يُغْنِ فى الدار طارف
وقد كان فيها للصديق مُعرَّسٌ (٤) * وملتمَسٌ إن طاف بالدار طائف
كرامةُ إخوانِ الصفاء وزُلفةٌ * لمن جاء تُزْجيه اليه الرّواجف
صَحابتُه الغُرّ الكرام ولم يكن * ليَصْحبَه السُّودُ اللئام المَقارِف (٥)
يئول اليه كلّ أبلجَ شامخٍ * ملوكٌ وأبناء الملوك الغطارف
فلُقّيتَ فى يمنى يديك صحيفةً * إذا نُشرتْ يومَ الحساب الصحائف
يَسُرّ الذى فيها إذا ما بدا له * ويفترّ منها ضاحكا وهو واقف
بما كان ميمونًا على كلّ صاحب * يُعين على ما نابه ويُكانِف

---

(١) يرزون : أصله يرزءون ، سهلت همزته ثم حذفت لإسناد الفعل الى ضمير الجمع .

(٢) فى الأصول : «آفاتها» ، ولا يستقيم بها الكلام . وقد آثرنا ما أثبتناه لاستقامة الكلام به مع قرب رسمه من رسم ما فى الأصول . (٣) استنت : انصبت . (٤) المعرّس : موضع التعريس وهو نزول القوم آخر الليل للاستراحة من السفر، وقيل : التعريس النزول فى المعهد أىّ حين كان من ليل أو نهار . (٥) المقارف : الأنذال، وهم أيضا الذين أمهم عربية وأبوهم غير عربى .

سريعٌ إلى إخــوانه برضــائه * وعن كلّ ماساء الأخلاّءَ[1] صــارف
أرى الناسَ كالنَّسْناس[2] لم يبق منهمُ * خلافَــك إلا حُشْــوةٌ[3] وزَعانِف

أخبرنا يحيى بن علىّ قال : أنشدنى أبو أيّوبَ لأحمــد بن إبراهيم يَرْثِى إسحاق فى قصيدة له :

لقد طاب الحِمامُ غداةَ أَلْوَى * بنفس أبى محمــدٍ الحِمامُ
فلو قُبِــل الفِــداءُ إذًا فَدَتْه * ملوكٌ كان يألفها كرامُ
فلا تَبْعَد فكلُّ فتًى سيَثْوِى * عليــه التُّرْبُ يُحْثَى والرِّجامُ[4]

قال وقال أيضا يرثيه :

لله أىُّ فتًى إلى دار البِــلَى * حمَل الرجالُ عَشِيَّةً على الأعوادِ
كم من كريم مايَجِفُّ دموعُه * من حاضرٍ يبكى عليــه وبادِ
أمسى يؤبّنه ويعرف فضلَه * من كان يَثْلِبُــه من الحُسّاد
فسقتْكَ يابنَ الموصلىّ روائحٌ * تُرْوِى صداكَ بصَوْبها وغَوادِ

وقد بقيت من أخبار إسحاق بقايا مثلُ أخباره مع بنى هاشم، وأخباره مع إبراهيم ابن المهدىّ وغيرها، فإنها كثيرة، ولهـا مواضع ذُكِرت فيها وحسُن ذكرها هنالك، فأخّرتُها لذلك عن أخباره التى ذُكِرت هاهنا، حَسْبما شرَطنا فى أوّل الكتاب .

---

(١) فى أ ، ء ، ى : «نال» . (٢) النسناس : خلق فى صورة الناس، مشتق منه لضعف خلقهم . وذكر ابن منظور صاحب لسان العرب معانى أخرى فى مادة « نسس » فانظرها .
(٣) يقال : هو من حشوة بنى فلان ، أى من رذالهم . (٤) الرجام : الحجارة التى تجمع على القبور .

ومما فى المائة المختارة من صنعة إسحاق بن إبراهيم :

صـــوت

أَلَا قاتَلَ اللهُ اللِّوَى من مَحَلَّةٍ * وقاتَلَ دُنْيانا بها كيف ذَلَّت

غَنِينا زماناً باللِّـوَى ثم أصبحَتْ * عِراصُ اللِّوَى من أهلها قد تخلَّتِ

عَرُوضه من الطويل . الشعرُ للصِّمَّة القُشَيْرِىّ، والغِناء لإسحاق، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّلُ بالوسطَى فى مجراها .

انتهى الجزء الخامس من كتاب الأغانى

ويليه الجزء السادس

وأوّله أخبار الصِّمَّة القشيرىّ ونسبه

تراثنا

كتاب الأغانى

تأليف

أبى الفرج الأصبهانى على بن الحسين

٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

الجزء السادس

مصور عن طبعة دار الكتب

طبعة كاملة الأجزاء معها فهرس
جامع وتصويبات واستدراكات

وزارة الثقافة والارشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطابع كوستاتسوماس وشركاه

٥ شارع وقف الخربوطلي بالظاهر – ٤٤١١٨

القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء السادس

من كتاب الأغانى

أخبار الصِّمَّة القُشَيْرىّ ونَسَبُه

نسبه

هو الصِّمَّةُ بن عبد الله بن الطُّفَيْل بن قُرّة بن هُبَيْرة بن عامر بن سَلَمةِ الخَيْر بن قُشَير بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هَوازِن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان(1) بن مُضَر بن نِزار، شاعرٌ إسلامىّ بَدَوىٌّ مُقِلّ، من شعراء الدولة الأُمويّة . وجَدّه قُرّة بن هُبَيْرة صحبة بالنبىّ صلى الله عليه وسلم، وهو أحد وفود العرب الوافدين عليه صلى الله عليه وسلم وآله .

١٣٢ / ٥

هو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية

وفد جدّه قرّة على النبىّ صلى الله عليه وسلم وأسلم

أخبرنى بخبره عبيدُ الله بن محمد الرّازى وعمّى قالا حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنى عن أبى بكر الهُذَلىّ وابن دَأْب وغيرِهما من الرُّواة قالوا :

(1) قال فى القاموس : « وعيلان بلا لام أبو قيس ، أو الصواب قيس عيلان مضافا » اهـ .
ويؤيد القول بأنه أبوه قول سحبان :

لقد علمت قيس بن عيلان أننى * اذا قلت "أما بعد" إنى خطيبها

ويؤيد القول الثانى قول الآخر :

الى حكم من قيس عيلان فيصل * وآخر من حي ربيعة عالم

وعلى أنه مضاف قيل : إن « عيلان » اسم فرس لقيس فأضيف اليه ، أو هو عبد لمضر بن نزار حضن قيسا فغلب عليه ونسب اليه . (راجع القاموس وشرحه مادة عيل) .

وفد قُرّة بن هُبيرة بن عامر بن سَلَمة الخير بن قُشَيْر بن كعب بن رَبيعة إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فأسلم، وقال له : يارسول الله، إنا كنا نعبد الآلهة لا تنفعنا ولا تضرّنا ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "نِعْم ذا عقلا" .

قصته فى حبه وزواجه

وقال ابن دَأْب : وكان من خبر الصِّمّة أنه هَوِى آمرأةً من قومه ثم من بنات عمّه دِنْيَةً (١) يقال لها العامريّة بنت غُطَيْف بن حَبيب بن قُرّة بن هُبَيْرة ؛ فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوّجه إياها ؛ وخطبها عامر بن بشر بن أبى بَرَاء بن مالك بن مُلَاعِب (٢) الأسنّة بن جعفر بن كِلَاب، فزوّجه إياها . وكان عامر قصيرا قبيحا؛ فقال الصِّمّة بن عبد الله فى ذلك :

فإنْ تُنْكِحوها عامرًا لاطّلاعكم * إليه يُدَهْدِهْكم (٣) برجليه عامرُ

شبّهه بالجُعَل الذى يُدَهْدِهُ البعرةَ برجليه .

قال : فلما بَنَى بها زوجُها، وجَد الصِّمّةُ بها وَجْدًا شديدا وحزِن عليها ؛ فزوّجه أهلُه امرأةً منهم يقال لها جَبْرة بنت وَحْشىّ بن الطُّفَيل بن قُرّة بن هُبَيْرة ؛ فأقام عليها مُقَامًا يسيرا، ثم رحل إلى الشأم غضبًا على قومه، وخلّف آمرأته فيهم، وقال لها :

كُلِى التمرَ حتى تَهْرَمَ النخلُ وآضْفِرِى * خِطَامَكِ ما تدرين ما اليومُ من أمسِ

---

(١) دنية أى لاصقة النسب . (٢) كذا فى الأصول . والمعروف أن ملاعب الأسنة كنيته أبو براء، واسمه عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب . فصواب العبارة : «وخطبها عامر بن بشر بن أبى براء ملاعب الأسنة بن مالك ... الخ» . وسمى ملاعب الأسنة لقول أوس بن حجر :

ولاعب أطراف الأسنة عامر * فراح له حظ الكتيبة أجمع

(انظر شرح القاموس مادة لعب، و بلوغ الأرب فى أحوال العرب للآلوسى ج ٢ ص ١٤٠)

(٣) دهده : دحرج .

وقال فيها[1] أيضا :

لَعَمْرِى لئن كنتم على النأى والقِلَى * بكم مثلُ ما بى إنكم لصديقُ
إذا زَفَراتُ الحبّ صَعّدن فى الحَشَى * رُدِدن ولم تُنْهَجْ لهنّ طريقُ

وقال فيها أيضا :

إذا ما أتتنا الريحُ من نحو أرضكم * أتتنا بريّاكم فطاب هُبوبُها
أتتنا بريح المسك خالَطَ عنبرًا * وريحِ الخُزامَى باكرتْها جَنوبُها

وقال فيها أيضا :

هل تَجْزِيَنّ العامريّةُ موقفى * على نسوةٍ بين الحِمَى وغَضَى الجمرِ
مَرَرْنَ بأسباب الصِّبا فذكَرْنَها * فأومأْتُ إذ ما من جواب ولا نُكْرِ

موته بطبرستان

وقال ابن دَأْب : وأخبرنى جماعة من بنى قُشَير أنّ الصِّمّة خرج فى غُزًّى[2] من المسلمين إلى بلد الدَّيْلم فمات بطَبَرِسْتان .

قال ابن دَأْب : وأنشدنى جماعة من بنى قُشَير للصِّمّة :

صوت

ألَا تسألانِ اللهَ أن يَسقِىَ الحِمَى * بَلَى فسَقَى اللهُ الحِمَى والمَطَالِيَا[3]
وأسألُ من لاقيتُ هل مُطِرَ الحِمَى * فهل يسألنْ عنّى[4] الحِمَى كيف حاليا

(١) واضح من السياق أن مرجع الضمير هنا العامرية محبوبته لا جبرة زوجته . (٢) غزى : اسم جمع لغاز، أو هو جمع على وزن فعيل كقاطن وقطين وحاج وحجيج .

(٣) المطالى : جمع مطلاء (يمد ويقصر)، وهو مسيل ضيق من الأرض أو هو أرض سهلة لينة تنبت العضاه . وحكى ابن برى عن على بن حمزة أن المطالى روضات، واحدها مطلى بالقصر لا غير، وأما المطلاء لما انخفض من الأرض واتسع فيمد ويقصر والقصر فيه أكثر . وقيل المطالى : المواضع التى تغذو فيها الوحش أطلاءها . (عن اللسان مادة طلى بتصرف) . (٤) رواية تجريد الأغانى (نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٥٠٧١ أدب) : «فهل يسألن أهل الحمى ...» .

١٣٣/٥ الغناء فى هذين البيتين لإسحاق، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى، وهو من مختار الأغانى ونادرها .

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيع وعمّى قالا حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال قال عبد الله بن محمد بن إسماعيل الجعفرى حدّثنا عبد الله بن إسحاق الجعفرى عن عبد العزيز بن أبى ثابت قال حدّثنى رجل من أهل طَبَرِسْتَانَ كبيرُ السنّ قال :

بينا أنا يومًا أمشى فى ضَيْعة لى فيها ألوانٌ من الفاكهة والزعفران وغيرِ ذلك من الأشجار، إذ أنا بإنسان فى البستان مطروح عليه أهدامٌ خُلْقانٌ، فدنوتُ منه فإذا هو يتحرّك ولا يتكلّم، فأصغيت إليه فإذا هو يقول بصوت خفىّ :

تعزّ بصبرٍ لا وجَدِّك لا ترى * بَشَامَ(١) الحِمَى أُخْرى الليالى الغوابرِ
كأنّ فؤادى من تذكُّره الحِمَى * وأهلَ الحِمَى يهفو به ريشُ طائر

قال : فما زال يردِّد هذين البيتين حتى فاضت نفسُه ؛ فسألت عنه فقيل لى : هذا الصِّمَّة بن عبد الله القُشَيرىّ .

كان ابن الأعرابى يستحسن شعرا له

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الخزّاز أحمد بن الحارث قال :
كان ابن الأعرابىّ يستحسن قول الصمة :

صوت

أمَا وجلالِ الله لو تذكُرِينَنى * كذِكْرِيكِ ما كَفْكَفتِ للعين مَدْمَعَا
فقالت بَلَى والله ذِكرًا لو انّه * يُصَبّ على صُمِّ الصَّفَا لتصدّعا

(١) فى الأصول : « سنام الحمى » . والتصويب من كتاب تجريد الأغانى . والبشام : شجر طيب الريح والطعم يستاك به .

— غنّى فى هذين البيتين عُبيد الله بن أبى غسّان ثانىَ ثقيلٍ بالوسطى . وفيهما لعَرِيبَ خفيفُ رَمَل —

ولمّا رأيتُ البِشْرَ[1] قد حال بيننا * وجالتْ بناتُ الشوق فى الصدر نُزَّعَا
تَلَفَّتُّ نحوَ الحىّ حتى وجدتُنى * وَجِعتُ[2] من الإصغاء لِيتًا وأَخْدَعا

مدح ابراهيم بن محمد بن سليمان شعره

أخبرنى أبو الطيّب بن الوَشّاء قال :

قال لى إبراهيم بن محمد بن سليمان الأَزْدىّ : لو حلَف حالفٌ أنّ أحسنَ ابياتٍ قيلت فى الجاهليّة والإسلام فى الغزل قولُ الصِّمّة القُشَيرىّ ماحنِث :

حَنَنْتَ إلى رَيّا ونفسُك باعدتْ * مَزارَكَ من رَيّا وشَعْباكُما معا
فما حَسَنٌ أن تأتىَ الأمرَ طائعًا * وتجزَعَ أنْ داعى الصبابة أَسْمعا
بكتْ عينىَ اليُمْنَى فلما زجرتُها * عن الجهل بعد الحلم أَسْبلتا معا

صـــوت

وأذكرُ أيّامَ الحِمَى ثم أنثنى * على كَبِدى من خشيةٍ أن تَصدّعا
فليست عشيّاتُ الحِمَى برَوَاجعٍ * عليك ولكن خَلِّ عينيك تَدْمَعا

غنّت فى هذين البيتين قُرَشِيّةُ الزَّرْقاءُ لحنًا من الثقيل الأوّل عن الهشامىّ .

وهذه الأبيات التى أوّلها "حننت إلى رَيّا" تُرْوَى لقَيْس بن ذَرِيح فى أخباره وشعره بأسانيدَ قد ذُكرت فى مواضعها ، ويُروى بعضها للمجنون فى أخباره بأسانيد قد

(١) رواية ديوان الحماسة (طبع مدينة ليدن) :

ولما رأيت البشر أعرض دوننا * ... ... يطلن نزعا

والبشر : جبل . وأعرض : أبدى عرضه . (٢) فى س : « وجعت » . وفى سائر الأصول : «وخفت» . والتصويب عن ديوان الحماسة واللسان (مادة وجع) . والليت (بالكسر) : صفحة العنق . والأخدع : عرق فى العنق فى موضع الحجامة .

ذُكرت أيضا فى أخباره . والصحيح فى البيتين الأوّلين أنهما لقَيْس بن ذَرِيح وروايتهما [له](١) أثبت ، وقد تواترت الروايات بأنهما له من عدّة طرق ؛ والأُخَر مشكوك فيها أهى للمجنون أم للصِّمَّة .

١٣٤ / ٥

كان أبو حاتم يستجيد بيتين من شعره

أنشدنا محمد بن الحسن بن دُرَيد عن أبى حاتم للصِّمَّة القُشَيرىّ قال : وكان أبو حاتم يستجيدهما ، وأنشدنيهما عمّى عن الكُرّانىّ عن أبى حاتم ، وأنشدنيهما الحسن بن علىّ عن ابن مهرويه عن أبى حاتم :

إذا نأتْ لم تُفارِقْنى عَلاقتُها * وإن دنتْ فصدود العاتب الزّارِى

فحال عينىَ من يوميْكِ واحدةٌ * تبكى لفَرْطِ صدودٍ أو نَوَى دار

تذكر محبوبته وبكى وذكر شعره فيها

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبى قال حدّثنا عبيد الله بن إسحاق بن سَلّام قال حدّثنى أبى عن شُعيب بن صخر عن بعض بنى عُقَيل قال :

مررتُ بالصِّمَّة بن عبد الله القُشَيرىّ يومًا وهو جالس وحدَه يبكى ويخاطب نفسه ويقول : لا والله ما صدّقتْكَ فيما قالت ؛ فقلت : من تعنى ؟ وَيْحك ! أجُننتَ ! قال : أعنى التى أقول فيها :

أمَا وجلالِ اللهِ لو تذكُرِيننى * كذِكْرِيكِ ما كفكفتِ للعين مدمعا

فقالت بلى والله ذكرًا لو آنّه * يُصَبّ على صُمِّ الصَّفَا لتصدّعا

أسلى نفسى عنها وأُخبرها أنها لو ذكرتنى كما قالت لكانت فى مثل حالى .

قصته فى خطبة ابنة عمه ورحلته الى ثغر من الثغور وشعره فى ذلك

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى مسعود بن عيسى ابن إسماعيل العَبْدى عن موسى بن عبد الله التَّيْمىّ قال :

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ب، س .

خطب الصِّمّة القُشيرىّ بنتَ عمّه وكان لهـا مُحِبًّا، فٱشتطّ عليه عمّه فى المهر، فسأل أباه أن يعاونه وكان كثيرَ المـال فلم يُعِنْه بشىء، فسأل عَشيرتَه فأعطَوْه، فأتى بالإبل عمَّه، فقال: لا أقبل هذه فى مهر ابنتى، فاسأل أباك أن يُبْدِلَها لك، فسأل ذلك أباه فأبى عليه، فلما رأى ذلك من فعلهما قطع عُقُلَها وخَلّاها، فعاد كلّ بعير منها إلى أُلّافه. وتحمّل الصِّمّةُ راحلًا. فقالت بنت عمـه حين رأته يتحمّل: تالله ما رأيت كاليوم رجلًا باعتـه عشيرته بأَبْعِرة. ومضى من وجهه حتى لحق بالثغر، فقال وقد طال مُقامُه وٱشتاقها ونَدِم على فعله:

أتبكى على رَيّا ونفسُك باعدتْ * مَزارَكَ من رَيّا وشَعْباكُما معا
فما حسنٌ أن تأتىَ الأمرَ طائعا * وتجزَعَ أنْ داعى الصبابة أَسمعا

وقد أخبرنى بهذا الخبر جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيـه عن الهَيْثم بن عَدِىّ: أن الصِّمّة خطَب ٱبنة عمّه هذه إلى أبيها، فقال له: لا أزوّجكها إلا على كذا وكذا من الإبل، فذهب إلى أبيه فأعلمه بذلك وشكا إليه ما يَجِد بهـا، فساق الإبلَ عنه إلى أخيه، فلما جاء بها عدّها عمُّه فوجدها تنقُص بعيرا، فقـال: لا آخذها إلا كاملةً، فغضب أبوه وحلف لا يَزيده على ما جاء به شيئًا. ورجع إلى الصِّمّة، فقال له: ما وراءك؟ فأخبره، فقال: تالله ما رأيت قطُّ ألأمَ منكما جميعا، وإنى لَألْأم منكما إن أقمتُ بينكما، ثم ركب ناقتَه ورحل إلى ثغر من الثغور، فأقام به حتى مات. وقال فى ذلك:

أَمِنْ ذِكْرِ دارٍ بالرِّقَاشَيْنِ (١) أصبحتْ * بها عاصفاتُ الصيف بَدْءًا ورُجَّعا

(١) الرقاشان: جبلان بأعلى الشريف فى ملتقى دار كعب وكلاب. ورواية البيت فى معجم ما استعجم لأبى عبيد البكرى — وقد نسبه ليزيد بن الطثرية —:

أمن أجل دار بالرقاشين أعصفت * عليها رياح الصيف بدءا ورجعا

حننتَ إلى رَيّا ونفسُك باعدت * مزارَك من ريا وشعباكُما معا

١٣٥ / ٥ فما حسنٌ أن تأتى الأمرَ طائعا * وتجزَع أن داعى الصبابة أسمعا

كأنك لم تشهد وَدَاعَ مُفارِق * ولم تَرَ شَعْبَىْ صاحبين تقطّعا

بكت عينىَ اليسرى فلما زجرتُها * عن الجهل بعد الحلم أسبلَتا معا

تحمّل أهلى من قنين[1] وغادروا * به أهلَ ليلى حين جِيدَ[2] وأمْرعا

ألا يا خليلىّ اللذين تَواصيا * بلومىَ إلّا أن أُطيع وأسمعا

قفا إنه لا بدّ من رَجْع نظرة * يمانيةٍ شَتّى بها القومُ أو معا

لِمُغتصَب قد عَزّه[3] القومُ أمرَه * حياءً يكُفّ الدمعَ أن يتطلّعا

تَبرّضُ[4] عينيه الصَّبابةُ كلّما * دنا الليل أو أوْفَى من الأرض مَيْفَعا[5]

فليستْ عشيّاتُ الحِمَى برواجع * إليكَ ولكن خلِّ عينيْك تدْمَعا

صوت

من المائة المختارة من رواية يحيى بن علىّ

قُلْ لأسماء أنجِزى الميعادا * وانظرى أن تُزوِّدى منكِ زادا

إن تكونى حللتِ رَبْعًا من الشأ * م وجاورتِ حِمْيرًا أو مُرادا

أو تناءتْ بكِ النَّوَى فلقد قُدْ * تِ فؤادى لحَيْنه فانقادا

ذاك أنى عَلِقتُ منكِ جَوَى الحبّ وليدًا فزدتُ سِنًّا[6] فزادا

---

(١) لم نوفق الى هذا الاسم فى المعاجم التى بين أيدينا . والظاهر أنه اسم موضع أو محرف عن اسم موضع .
(٢) جيد : أصابه الجود وهو المطر الغزير .
(٣) عزه : غلبه وسلبه .
(٤) أى تأخذ الصبابة ماء عينيه شيئا فشيئا . يقال : تبرضت ماء الحسى إذا أخذته قليلا قليلا ، وفلان يتبرض الماء إذا كان كلما اجتمع منه شىء غرفه .
(٥) الميفع : المكان المشرف .
(٦) فى الأصول هنا وفيما يأتى « شيئا » . والتصويب عن تجريد الأغانى .

الشعر لداود بن سَلْم . والغناء لدَحْمان، ولحنه المختار من الثقيل الأول بالوسطى . وقد كنا وجدنا هـذا الشعر فى رواية علىّ بن يحيى عن إسحاق منسوباً إلى المرقِّش، وطلبناه فى أشعار المرقِّشين(١) جميعا فلم نجده، وكنا نظنـه من شاذّ الروايات حتى وقع إلينا فى شعر داود بن سلم، وفى خبرٍ أنا ذاكره فى أخبار داود . وإنمـا نذكر ما وقع إلينا عن رُواته؛ فما وقع من غلط فوجدناه أو وقفنا على صحته أثبتناه وأبطلنا ما فَرَط منا غيرَه، وما لم يجْرِ هـذا المجرى فلا ينبغى لقارئ هذا الكتاب أن يُلزمنا لومَ خطأ لم نتعمده ولا آخترعناه، وإنمـا حكيناه عن رواته وآجتهدنا فى الإصابة . وإن عرف صوابا مخالفا لمـا ذكرناه وأصلحه، فإن ذلك لا يضرّه ولا يخلو به من فضل وذكرٍ جميل إن شاء الله .

---

(١) يعنى بالمرقشين : المرقش الأكبر والأصغر . والأكبر هو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة بن بكر بن وائل . كذا قال ابن الكلبى وخالفه الجوهرى . فقال : إنه من بنى سدوس . والمرقش الأصغر هو ربيعة بن حرملة ، وهو ابن أخى المرقش الأكبر ، وهو أيضا عم طرفة بن العبد . (انظر شرح القاموس مادة رقش) وسيأتى الكلام عليهما فى هذا الجزء .

أخبـار داود بن سَلْم ونسبه

نسبه وولاؤه وهو من مخضرمى الدولتين

داود بن سَلْم مولى بنى تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤَىّ؛ ثم يقول بعضُ الرواة: إنّه مولى آل أبى بكر، ويقول بعضهم: إنه مولى آل طَلْحة. وهو مخضرَم من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، من ساكنى المدينة، يقال له داود الآدم[1] وداود الأرْمك[2].

رآه والى المدينة يخطر فى مشيته فضربه فمدحه ابن رهيمة لذلك

١٣٦ / ٥

وكان من أقبح الناس وجها. وكان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يستثقله؛ فرآه ذاتَ يوم يَخطِر خَطْرةً منكَرة فدعا به، وكان يتولّى المدينةَ، فضربه ضربا مبرِّحا، وأظهر أنه إنما فعل ذلك به من أجل الخَطْرة التى تخايل فيها فى مِشيته. فقال بعض الشعراء فى ذلك وأظنه آبنَ رُهَيمة:

ضرب العـادلُ سـعدٌ * اِبنَ سـلم فى السَّماجَهْ

فقضَى اللهُ لسـعد * من أميرٍ كلَّ حاجه

مدح آل معمر لأن أمه من مواليهم

أخبرنى محمد بن سليمان الطُّوسى قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال:

سألت محمدَ بن موسى بن طَلْحة عن داود بن سَلْم، هل هو مولاهم؟ فقال: كذلك يقول الناسُ، هو مولانا، أبوه رجل من النَّبَط، وأمه بنتُ حَوْط مولى عمر ابن عبيد الله بن مَعْمر؛ فآنتسب إلى ولاء أمه. وفى ذلك يقول ويمدح آبنَ مَعْمَر:

وإذا دعا الجانى النصيرَ لنصره * وارتَجَى الغُـرَرُ النصـيرةُ[3] مَعْمَرُ

(١) كذا فى ب، س، حـ. وفى سائر الأصول: "الأدلم" والآدم والأدلم بمعنى، وهو الأسود.

(٢) الأرمك: الأسود. وفى جميع الأصول: «الأدمك» (بالدال المهملة) وهو تحريف.

(٣) كذا فى جميع الأصول ولعلها مصحفة عن «النضيرة» بالضاد المعجمة.

مُتَخازِرِين(١) كأنّ أُسْدَ خَفِيَّةٍ(٢) * بمقامها مستبسلاتٌ تزْأَرُ

متجاسرين بحمل كل مُلِمَّةٍ * متجبِّرين على الذى يتجبّر

عُسُلَ الرِّضا فإذا أردتَ خصامَهم * خلَطَ السِّمَامَ بفيك صابٌ مُمْقِرُ(٣)

لا يَطْبَعون ولا تَرَى أخلاقهم * إلّا تطيبُ كما يطيب العنبر

رفعوا بِناءَ يعتَقٍ حَوْطِ دِنِيّةٍ * جدّى وفضلِهم الذى لا يُنْكَر

كان أسود بخيلا وله شعر فى الكرم كذبه فيه قوم ضافوه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيب بن نصر المهلّبىّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ قال :

كان داود بن سَلْم مولى بنى تَيْم بن مرّة، وكان يقال له : الآدم لشدّة سواده، وكان من أبخل الناس؛ فطرَقه قوم وهو بالعقيق، فصاحوا به : العَشاءَ والقِرَى يا بنَ سَلْم؛ فقال لهم : لا عَشاء لكم عندى ولا قِرى؛ قالوا : فأين قولك فى قصيدتك إذ تقول فيها :

يا دار هندٍ ألا حُيِّيتِ من دارِ * لم أَقْضِ منك لُباناتى وأوطارى

عُوِّدتُ فيها إذا ما الضيفُ نبَّهنى * عَقْرَ العِشارِ(٤) على يُسْرى وإعسارى

قال : لستم من أولئك الذين عنيتُ .

عزى السرى بن عبد الله عن ابنه

قال : ودخل على السَّرِىّ بن عبد الله الهاشمىّ، وقد أصيب بابن له؛ فوقف بين يديه ثم أنشده :

---

(١) تخازر الرجل ضيق جفنه ليحدّد النظر . (٢) الخفية : غيضة ملتفة يتخذها الأسد عرينه، وهى خفيته . وقيل : هى علم لموضع بعينه . قال الشاعر :

أسود شرى لاقت أسود خفية * تساقين سمًّا كلهن خوادر

فشرى وخفية علمان لموضعين (راجع اللسان مادة خفى) . (٣) عسل : جمع عاسل وعسول أى حلو. والممقر : الشديد المرارة . (٤) العشار جمع عشراء، وهى من الإبل ما مضى لحملها عشرة أشهر، فإذا وضعت لتمام سنة فهى عشراء أيضا . وأحسن ما تكون الإبل وأنفسها عند أهلها إذا كانت عشارا .

يامن على الأرض من عُجْمٍ ومن عَرَبٍ * اِسترْجِعوا خاستِ[(١)] الدّنيا بعبّاسِ
فُجِعتُ من سبعة قد كنتُ آملُهم * من ضِنْءٍ[(٢)] والدهم بالسيّد الرّاسِ

قال : وداود بن سلم الذى يقول :

قُلْ لأسماءَ أنجزى الميعادا * وٱنظُرى أن تزوّدى منك زادا
إن تكونى حَلَلْتِ ربعًا من الشا * م وجاورتِ حِميرًا أو مُرادا
أو تناءت بكِ النوى فلقد قُدْ * تِ فؤادى لحَينه فٱنقادا
ذاك أنى عَلِقتُ منكِ جَوَى الحـ * ـبّ وَليدًا فزدتُ سِنًّا فزادا

قال أبو زيد : أنشدنيها أبو غسّان محمد بن يحيى وإبراهيم بن المُنْذِر لداود ابن سَلْم .

نسبة ما فى هذا الخبر من الشعر الذى فيه غناء

١٣٧/٥

صوت

يا دارَ هند ألَا حُيِّيتِ من دارِ * لم أقْضِ منك لُباناتى وأوطارى

يُتَم ويُنسب[(٣)] .

مدح إسحاق بن إبراهيم بن طلحة بولاية القضاء فزجره

أخبرنا الطُّوسىّ قال حدّثنا الزبير قال أخبرنى مُصْعَب بن عثمان قال :

دعا الحسن بنُ زيد إسحاقَ بنَ إبراهيم بنِ طلحةَ بنِ عمر بنِ عُبَيد الله بن مَعْمَر التَّيمىّ أيامَ كان بالمدينة إلى ولاية القضاء فأبَى عليه فحبسه ، فدعا مسرقين[(٤)] يسرقون

(١) خاست : غدرت . (٢) الضنء : الولد ؛ ويطلق على الأصل أيضا .

(٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «وينسب . انتهى» . ولا معنى لهذه الزيادة .

(٤) كذا فى ب ، سـ . وفى أ ، ء ، م : «مسرفين يسرفون» (بالفاء) . وفى حـ : «مسروقين يسرقون له معسلا» . ولم نوفق الى وجه الصواب فيها .

له مغسلا فى السجن، وجاء بنو طلحة فآنسجنوا معه . وبلغ ذلك الحسنَ بن زيد، فأرسل إليه فأُتى به، فقال : إنك تلاججتَ علىّ، وقد حلفتُ ألّا أُرسلك حتى تعملَ لى ، فأَبرِرْ يمينى ، ففعل؛ فأرسل الحسن معه جندًا حتى جلس فى المسجد مجلسَ القضاء والجندُ على رأسه؛ فجاءه داود بن سَلْم فوقف عليه فقال :

طلبوا الفقه والمروءةَ والحِلْ * مَ وفيك آجتمعنَ يا إسحاقُ

فقال : ادفعوه، فدفعوه، فنُحِّىَ عنه[(1)]؛ فجلس ساعة ثم قام من مجلسه ؛ فأعفاه الحسن بن زيد من القضاء؛ فلما سار إلى منزله أرسل إلى داود بن سلم بخمسين دينارا، وقال للرسول: قل له : يقول لك مولاك : ما حملك على أن تمدحنى بشىء أكرهه؟ استعن بهذه على أمرك .

ضربه سعد بن ابراهيم فى المسجد والقصة فى ذلك

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى مُحْرِز آبن سعيد قال :

بينما سعد بن إبراهيم فى مسجد النبىّ صلّى الله عليه وسلم يقضى بين الناس إذ دخل عليه زيد بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر، ومعه داود بن سَلْم مولى التَّيْميِّين ، وعليهما ثياب ملوَّنة يجرّانها ؛ فأومأ أن يُؤْتَى بهما ، فأشار إلى زيد أن اجلس، فجلس بالقرب منه، وأومأ إلى الآخر أن يجلس حيث يجلس مثلُه، ثم قال لعَوْن من أعوانه : ادعُ لى نوحَ بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عُبيد الله، فدُعى له فجاء أحسنَ الناس سَمْتًا وتشميرا ونقاءَ ثياب ؛ فأشار إليه فجلس ؛ ثم أقبل على زيد فقال له : يآبن أخى، تَشبه بشيخك هذا وسَمْتِه وتشميره ونقاء ثوبه ، ولا تَعُد إلى هذا اللبس، قُمْ فآنصرف . ثم أقبل على آبن سَلْم وكان قبيحا، فقال له : هذا

(1) فى ب ، س : « فتنحى عنه » .

ابنُ جعفر أحتمل هـذا له ، وأنت لأىّ شىء أحتمل هـذا لك ؟ أَللؤم أصلك ، أم لسماجة وجهـك ! جَرِّد ياغلام ؛ فجُـرِّد فضرَبه أسواطا . فقال ابن رُهَيمة :

جلد العادلُ ســعدٌ * ابنَ سَلْمٍ فى السَّماجَهْ
فقضَى اللهُ لســعدٍ * من أمير كلَّ حاجه

أخبرنى الحَـرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى يعقوب بن حُميد بن كاسِب قال حدّثنى عبـد الملك بن عبد العزيز بن المـاجُشُون عن يوسف بن المـاجُشُون قال :

قال لى أبى — وقد عُزِل سعد بن إبراهيم عن القضاء — يابنىّ تعجَّلْ بنا عسى أن نروحَ مع سـعد بن إبراهيم، فإن القاضى إذا عُزِل لم يزل النـاسُ ينالون منه؛ فخرجنا حتى جئنا دارَ سـعد بن إبراهيم ، فإذا صـوتٌ عالٍ ؛ فقـال لى أىُّ شىء هذا ؟ أرى أنه قد أُعْجِل علىّ؛ ودخلنا فإذا داود بن سَلْم يقول له : أطال الله بقاءك يا أبا إسحاق وفعل بك؛ وقد كان سعدٌ جلَد داودَ بنَ سلم أربعين سوطًا، فأقبل علىّ ١٣٨/٥ سعدٌ وعلى أبى ، فقـال : لم تَرَ مثلَ أربعين سوطًا فى ظهر لئيم . قال : وفيه يقول الشـاعر :

ضرب العادلُ سعدٌ * ابنَ سَلْمٍ فى السماجَهْ
فقضى اللهُ لســعدٍ * من أمـيرٍ كلَّ حاجه

كان يمدح الحسن بن زيد وقد غضب منه لمدحه جعفر بن سليمان

أخبرنى محمـد بن خَلَف وَكيع قال قال الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى أبو يحيى الزُّهْرى واسمه هارون بن عبد الله (١) قال حدّثنى عبد الملك بن عبد العزيز عن أبيه قال :

(١) فى ء ، م « عبيد الله » .

كان الحسنُ بن زيد قد عوّد داودَ بن سَلْم مولى بنى تَيْم إذا جاءته غلّة من الخانِقين أن يَصِلَه[1] . فلما مدح داودُ بن سلم جعفرَ بن سليمان ، وكان بينه و بين الحسن بن زيد تباعدٌ شديد ، أغضب ذلك الحسنَ ؛ فقدِم من حجّ أو عُمْرة ، ودخل عليه داودُ مسلّما ، فقال له الحسن : أنت القائل فى جعفر :

وكنّا حديثًا[2] قبلَ تأميرِ جعفرٍ * وكان المُنَى فى جعفرٍ أن يُؤمَّرا
حَوَى المِنْبَرَيْن الطاهرَيْن كليهما * إذا ما خطا عن مِنبرٍ أمَّ مِنْبرا
كأن بنى حَوّاء صُفّوا أمامَه * فخُيِّر من أنسابهم فتخيّرا؟

فقال داود : نعم ، جعلنى الله فداءكم ، فكنتم خِيَرَة اختياره ، وأنا الذى أقول :

لَعَمْرِى لئن عاقبتَ أوجُدْتَ مُنعِمًا * بعفوٍ عن الجانى وإن كان مُعْذِرَا
لأنتَ بما قدمتَ أولى بِمِدْحةٍ * وأكرمُ فرعًا إن فخرتَ وعُنْصُرا
هو الغُرّةُ الزَّهْراءُ من فرع هاشمٍ * ويدعو عليًّا ذا المعالى وجعفرا
وزيدَ[3] النَّدَى والسِّبْطَ سِبْطَ محمدٍ * وعمَّك بالطَّفِّ الزَّكِىَّ المطهَّرا
وما نال مِن ذا جعفرٌ غيرَ مجلسٍ * إذا ما نفاه العزلُ عنه تأخّرا
بحقِّكمُ نالوا ذُرَاها فأصبحوا * يَرَوْن به عزًّا عليكم ومَفْخَرا

قال : فعاد الحسن بن زيد له إلى ما كان عليه ، ولم يزل يَصِلُه ويُحْسِن إليه حتى مات . قال أبو يحيى : يعنى بقوله : "وإن كان مُعْذِرا" أن جعفرًا أعطاه بأبياته الثلاثة ألفَ دينار، فذكر أن له عذرًا فى مدحه إياه بجزالة إعطائه .

(١) خانقين : بلدة من نواحى السواد فى طريق همذان من بغداد ، بينها و بين قصر شيرين ستة فراسخ لمن يريد الجبال ، و بين قصر شيرين إلى حلوان ستة فراسخ . وقال البشارى : وخانقين أيضا بلدة بالكوفة . (عن معجم البلدان) . (٢) كذا بالأصول . (٣) يعنى به زيد بن على ابن الحسين بن أبى طالب الذى خرج على هشام بن عبد الملك فى خلافته فقتله . والسبط : الحسن بن على ابن أبى طالب . وعمه يعنى به الحسين بن على بن أبى طالب ، وقد قتل بالطف ، وهو موضع قرب الكوفة .

إعجاب أبى السائب المخزومى بشعر له

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقدىّ عن آبن أبى الزّنَاد قال :

كنت ليلةً عند الحسن بن زيد ببَطْحاءِ آبنِ أزْهَر (على ستة أميال من المدينة، حِيالَ ذى الحُلَيْفة) نصفَ الليل جلوسًا فى القمر، وأبو السائب المخزومىّ معنا، وكان ذا فضل وكان مشغوفًا بالسّماع والغزَل، وبين أيدينا طَبَقٌ عليه فَرِيك[1] فنحن نُصيب منه، والحسن يومئذ عاملُ المنصور على المدينة؛ فأنشد الحسنُ قولَ داود بن سَلْم وجعل يمُدّ به صوتَه ويُطَرّبه :

صـــــوت

فعرَّسْنا ببطن عُرَيْتِنَاتٍ[2] * ليَجْمَعَنا وفاطمــةَ المَسِيرُ
أتَنْسَى إذ تَعَرّضُ وهو بادٍ * مُقَــلَّدُها كما بَرَقَ الصَّبِير[3]
ومَن يُطِعِ الهوى يُعْرَفْ هواه * وقد يُنْبِيك بالأمر الخبــير
على أنى زَفَرْتُ غَدَاةَ هَرْشَى[4] * فكاد يُرِيبهـــم منّى الزَّفِير

١٣٩
٥

— الغنـاءُ للغَرِيض ثانى ثقيل بالسّبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيـه للهُذَلىّ ثانى ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة ، وأظنّه هـذا اللحنَ — قال : فأخذ أبو السائب الطبَقَ! فوَحّش[5] به إلى السماء، فوقع الفَرِيكُ على رأس الحسن بن زيد؛

(١) الفريك : طعام يفرك و يلت بسمن وغيره . (٢) عرس القوم : نزلوا فى السفر فى آخر الليل للاستراحة ثم يرتحلون . وعريتنات : اسم واد . وقال أبو عبيدة : عريتنات ماء بعدنة . (راجع معجم البلدان والقاموس وشرحه مادة عرتن) . (٣) الصبير : السحاب الأبيض لا يكاد يمطر . (٤) هرشى (وزان سكرى) : ثنية قرب الجحفة فى طريق مكة يرى منها البحر، ولها طريقان يفضيان بمن سلكهما إلى موضع واحد، ولذلك قال الشاعر :

خذا أنف هرشى أو قفاها فإنما * كلا جانبى هرشى لهن طريق

(٥) وحش : رمى .

فقال له: مالك ؟ وَيْحك ! أجُننتَ ! فقال له أبو السائب : أسألك بالله وبقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلّا ما أعدتَ إنشادَ هـذا الصوتِ ومدَدْتَه كما فعلتَ ! قال : فما مَلَكَ الحسنُ نفسَه ضحكا ، وردّ الحسنُ الأبيات لآستحلافه إياه . قال آبنُ أبى الزِّناد : فلما خرج أبو السائب قال لى : يآبنَ أبى الزِّناد ، أمَا سمعتَ مَدَّه :

* ومن يُطع الهوى يُعْرَفْ هواه *

فقلت نعم ؛ قال : لو علمتُ أنه يقبل مالى لدفعتُه إليه بهذه الثلاثة الأبيات . أخبرنى بخبره عبيدُ الله بن محمد الرازىّ وعمّى قالا حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنى عن أبى بكر الهُذَلىّ .

ما وقع بين ضبيعة العبسىّ وظبية جارية فاطمة بنت عمر بن مصعب

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثتنى ظَبْيَةُ مولاةُ فاطمة بنت عمر بن مُصْعَب قالت :

أرسلتنى مولاتى فاطمةُ فى حاجة، فمررتُ برَحْبة القضاء، فإذا بضُبَيعةَ العَبْسىّ خليفةِ جعفر بن سليمان يَقضى بين الناس؛ فأرسل إلىّ فدعانى ، وقد كنت رَطَّلْتُ(١) شَعْرى وربطت فى أطرافه من ألوان العِهْن؛ فقال : ما هذا؛ فقلت شيء أتملّح به؛ فقال : ياحَرَسىّ قنّعها بالسَّوْط . قالت : فتناولتُ السوط بيدى وقلت : قاتلك الله! ماأبين الفرقَ بينك وبين سعد بن إبراهيم! سعدٌ يجلد الناس فى السَّماجة، وأنت تجلدهم فى المَلَاحة؛ وقد قال الشاعر :

جلَد العادل سعدٌ * آبنَ سَلْمٍ فى السماجهْ
فقضى اللهُ لسعدٍ * من أميرٍ كلَّ حاجه

(١) رطل شعره : لينه بالدهن وكسره ومشطه وأرسله .

قالت : فضحك حتى ضرب بيديه ورجليه، وقال : خَلِّ عنها . قالت : فكان يَسُوم بى، وكانت مولاتى تقول : لا أبيعها إلّا أن تهوَى ذلك، وأقول : لا أريد بأهلى بدلا ؛ إلى أن مررت يوما بالرَّحْبة وهو فى مَنْظَرة دارِ مَرْوان ينظر ؛ فأرسل إلىّ فدعانى ، فوجدتُه من وراء كِلَّة وأنا لا أشعر به، وحازمٌ وجَرير جالسان ؛ فقال لى حازم : الأمير يريدك ؛ فقلت : لا أريد بأهلى بدلا؛ وكُشِفتِ الكِلَّة عن جعفر بن سليمان، فآرتعتُ لذلك فقلت : آه؛ فقال : مالَكِ ؟ فقلت :

سمعتُ بذكر الناس هندًا فلم أَزَلْ * أخا سَقَمٍ حتى نظرتُ إلى هند

قال : فأبصرتِ ماذا ؟ وَيْحَكِ ! فقلت :

فأبصرتُ هندًا حُرّةً غيرَ أنها * تَصَدَّى لقتل المسلمين على عَمْد

قالت : فضحك حتى آستلقَى ، وأرسل إلى مولاتى ليبتاعَنى ؛ فقالت : لا والله لا أبيعها حتى تَسْتبيعَنى؛ فقلت : والله لا أستبيعُكِ أبدا .

أرسل شعرا لقثم بن العباس يذكره بجارية كان يهواها

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا يونس ابن عبد الله عن داود بن سَلْم قال :

كنت يوما جالسا مع قُثَمَ بنِ العباس قبل أن يُمَلَّكوا بفنائه، فمرّت بنا جارية، فأُعْجِب بها قُثَم وتمنّاها فلم يُمكِنْه ثمنُها . فلمّا وَلِى قُثَم اليمامةَ آشترى الجاريةَ إنسانٌ يقال له صالح . قال داود بن سلم : فكتبتُ إلى قُثَمَ :

١٤٠ / ٥

يا صاحبَ العِيسِ ثم راكبَها * أبلغْ إذا ما لقيتَه قُثَمَا

أنّ الغزال الذى أجاز بنا * مُعارِضًا إذ توسَّط الحَرَما

حَوّله صالحٌ فصار مع الإِنْس وخَلّى الوحوشَ والسَّلَمَا

قال : فأرسل قثم فى طلب الجارية ليشتريَها، فوجدها قد ماتت .

وفد على حرب ابن خالد ومدحه وأجازه

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنا عبد الله ابن محمد بن موسى بن طَلْحة قال حدّثني زُهَير بن حسن مولى آل الرّبيع[1] بن يونس:

أن داود بن سَلْم خرج إلى حَرْب بن خالد بن يزيد بن معاوية، فلما نزل به حطّ غلمانُه متاعَ داودَ وحلّوا عن راحلته، فلما دخل عليه أنشأ يقول:

ولمّا دَفَعْتُ لأبوابهم[2] * ولاقيتُ حَرْبًا لَقيتُ النجاحا
وجدناه يَحْمَده المُجتدُون * ويأبَى على العسر إلا سَماحا
ويُغْشَوْن حتى يُرَى كلبهم * يَهابُ الهَرِير ويَنْسَى النُّباحا

قال: فأجازه بجائزة عظيمة، ثم آستأذنه في الخروج فأذِن له وأعطاه ألفَ دينار. فلم يُعِنْه أحد من غلمانه ولم يقوموا إليه؛ فظنّ أن حَرْبًا ساخطٌ عليه، فرجع إليه فأخبره بما رأى من غلمانه؛ فقال له: سَلْهم لم فعلوا بك ذلك. قال: فسألهم، فقالوا: إننا نُنْزِل من جاءنا ولا نُرْحِل من خرج عنا. قال: فسمع الغاضريّ حديثَه فأتاه فحدّثه فقال: أنا يهوديّ إن لم يكن الذى قال الغلمانُ أحسنَ من شعرك.

شعر له في الغزل

وذكر محمد بن داود بن الجَرّاح أن عمر بن شَبّة أنشده آبن عائشة لداود بن سَلْم، فقال: أحسَنَ والله داود حيث يقول:

لَجَجْتُ من حبّي في تقريبه * وعُمِّيتْ عيناىَ عن عيوبِه
كذاك صرفُ الدهر في تقليبه * لا يلبَث الحبيبُ عن حبيبه
* أو يغفرَ الأعظمَ من ذنوبه *

قال: وأنشدني أحمد بن يحيى عن عبد الله بن شَبيب لداود بن سَلْم قال:

---

(١) في حـ: «مولى الربيع بن يونس» بدون كلمة «آل». (٢) في ء وإحدى روايتي أ: «إلى بابهم».

وما ذرّ قرنُ الشمس إلا ذكرتُها (١) * وأذكرُها فى وقت كلّ غروب
وأذكرها ما بين ذاك وهـذه * وبالليل أحلامى وعند هُبوبى
وقد شفّنى شوقى وأبعدنى الهوى (٢) * وأعيا الذى بى طبَّ كلِّ طبيب
وأعجبُ أنّى لا أموتُ صبابةً * وما كمدٌ من عاشقٍ بعجيب
وكلُّ محبٍّ قد سلا غيرَ أنّنى * غريبُ الهوى، ياوَيْحَ كلِّ غريب
وكم لام فيها من أخٍ ذى نصيحةٍ * فقلت له أقْصِر فغيرُ مُصيب
أتأمر إنسانًا بفُرْقة قلبه * أتصلُح أجسامٌ بغير قلوب

شعر له فى مدح قثم بن العباس

أخبرنى إسماعيل بن يونُس الشّيعى قال حدثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى أبو غسّان قال:

كان داود بن سَلْم منقطعًا إلى قُثَم بن العباس (٣)، وفيه يقول:

عتقْتِ من حِلّى ومن رِحْلتى * يا ناقُ إن أدْنيتِنى من قُثَمْ
إنكِ إن أدْنيتِ منه غدًا * حالفنى اليسر ومات العدم
فى وجهه بدرٌ وفى كفّه * بحرٌ وفى العِرْنين منه شَمَمْ
أصمُّ عن قِيل الخنا سمعُه * وما عن الخير به من صَمَمْ
لم يدر ما "لا" و"بلَى" قد درَى * فعافها واعتاض منها "نَعَمْ"

١٤١
٥

قال أبو إسحاق إسماعيل بن يونس قال أبو زيد عمر بن شَبّة قال لى إسحاق: لنَظْم العَمْياء فى هذه الأبيات صنعةٌ عجيبة، وكانت تجيدها ما شاءت (إذا غنتها) (٤).

---

(١) ذر: طلع. (٢) كذا فى أكثر الأصول. وأبعده: أهلكه وأقصاه. وفى ب، سـ: «وأبلانى الهوى». (٣) نسب هذا الشعر فى الكامل للمبرد (ص ٣٦٩ طبع أوربا) لسليمان ابن قتة مع اختلاف فى بعض الألفاظ. (٤) هذه العبارة ساقطة من الأصول ما عدا ب، سـ.

أخبـار دَحْمـان ونسبُه

كان مغنيا صالحا مقبول الشهادة ملازما للحج

دَحْمان لقبٌ لُقِّب به ، وآسمه عبد الرحمن بن عمـرو ، مَوْلَى بنى لَيْث بن بكر ابن عبد مَنَاة بن كِنَانة . ويُكنَى أبا عمرو ، ويقال له دَحْمان الأشقر . قال إسحاق : كان دَحْمان مع شهرته بالغناء رجلا صالحا كثير الصلاة معدَّل الشهادة مُدمِنًا للحجّ ؛ وكان كثيرا ما يقول : ما رأيت باطلا أشبه بحق من الغناء .

قال إسحاق : وحدّثنى الزُّبَيرى أنّ دَحْمـان شَهِد عنـد عبد العزيز بن المطَّلب [بن عبـد الله](١) بن حَنْطَب [المخزومى](١) ، وهو يَلِي القضاءَ لرجلٍ من أهل المدينـة على رجل من أهل العراق بشهادة ، فأجازها وعَدّله(٢) ؛ فقال له العِرَاقى : إنه دَحْمان ؛ قال : أعرِفه ، ولو لم أعرفه لسألتُ عنه ؛ قال : إنه يغنِّى ويعلِّم الجوارى الغناء ؛ قال : غفر الله لنا ولك ، وأيُّنا لا يتغنّى ! اخرُج إلى الرجل عن حقّه .

مدح أعشى سليم غناءه

وفى دحمان يقول أعشى بنى سُلَيم :

إذا ما هَزِج الوادِ ىُّ* أو تَقّــل دَحْمـانْ
سمعتَ الشَّدْوَ من هذا * ومن هــذا بميزانْ
فهذا سـيِّد الإنس * وهذا سـيِّد الجـانْ

وفيه يقول أيضا :

كانوا فحُولًا فصاروا عند حَلْبتهم * لمّـا آنبرى لهمُ دَحْمـانُ خِصْيانا

---

(١) زيادة عن ابن الأثير والطبرى وتهذيب التهذيب (ج ٦ ص ٣٥٧) . وعبدالعزيز هذا موصوف بالجود والمعرفة بالقضاء والحكم . ولى قضاء المدينة فى زمن المنصور ثم المهدى ، وولى قضاء مكة . وأمه أم الفضل بنت كليب بن جرير بن معاوية الخفاجية . (٢) كذا فى حـ . وعدّله : زكاه . وفى سائر الأصول : «وعدلها» .

فأبلغـوه عن الأعشى مقالتـــه * أعشى سُـلَيم أبى عمـــرو سليمانا
قولوا يقول أبو عمـرو لصُحْبته * ياليت دَحْمانَ قبـل الموت غنّانا

كان من تلاميذ معبد وأحد رواته

أخبرنى رِضْوان بن أحمد الصَّيْدَلانىّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم عن إبراهيم ابن المهدىّ أنه حدّثه عن ابن جامع وزُبَير بن دَحْمان جميعا :

أنّ دحمان كان معدّلا مقبولَ الشهادة عند القضاة بالمدينة، وكان أبو سعيد مولى فائد أيضا ممن تُقبل شهادته . وكان دَحْمان من رُواة مَعْبَد وغلمانه المتقدّمين . قال: وكان معبد فى أول أمره مقبولَ الشهادة ، فلما حضر الوليدَ بن يزيد وعاشره على تلك الهَنَات وغنّى له سقطتْ عدالته ، [لا لأن شيئا بان عليه من دخول فى محظور، ولكن][(1)] لأنه اجتمع مع الوليد على ما كان يستعمله .

منزلته فى الغناء عند إبراهيم الموصلى

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المَدِينىّ قال قال إسحاق :

كان دحمان يُكنَى أبا عمرو، مولى بنى لَيْث، واسمُه عبدالرحمن، وكان يَخضِب رأسَـه ولحيته بالحِنّاء؛ وهو من غلمان معبد . قال إسحـاق : وكان أبى لا يضعه بحيث يضعه الناس، ويقول : لو كان عبدًا ما اشتريته على الغناء بأربعمائة درهم . ١٤٢ / ٥
وأشبهُ الناس به فى الغناء ابنُه عبد الله، وكان يفضِّل الزُّبيرَ[(2)] ابنَه تفضيلًا شديدا على عبد الله أخيه وعلى دَحْمان [أبيه][(3)] .

كان المهدى يجزل صـلته

أخبرنى يحيى عن أبى أيّوب عن أحمد بن المَكّىّ عن عبد الله بن دَحْمان قال: رجع أبى من عند المَهْدىّ وفى حاصلِه مائةُ ألف دينار .

---

(١) هذه العبارة المحصورة بين قوسين زيادة عن ب ، س . (٢) فى ب ، س : «وكان يفضل الزبير ابنه عبدالله تفضيلا ... الخ » ، وهو تحريف . (٣) هذه الكلمة ساقطة فى ب ، س .

أخبرنا إسماعيل بن يونُس وحَبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

بلغنى أنّ المهدىّ أعطى دَحْمان فى ليلة واحدة خمسين ألفَ دينار ؛ وذلك أنه غنّى فى شعر الأَحْوص :

قَطُوفُ المَشْى إذ تمشِى * تَرَى فى مشـيها خَرَقَا (١)

فأعجبه وطرِب ، وآستخفّه السرور حتى قال لدَحْمان : سَلْنى ماشئت ؛ فقال : ضَيْعتان بالمدينة يقال لهما رَيّان وغالِب ؛ فأَقْطعه إيّاهما . فلما خرج التوقيع بذلك إلى أبى عبيد الله (٢) وعمر بن بَزِيع راجعا المهدىّ فيه وقالا : إنّ هاتين ضيعتان لم يملكهما قطُّ إلّا خليفة ، وقد استقطعهما ولاةُ العهود فى أيام بنى أمية فلم يُقْطَعُوهما ؛ فقال : والله لا أرجع فيهما إلا بعد أن يرضى ؛ فَصُولِح عنهما على خمسين ألفَ دينار .

نسبة هذا الصوت

سَرَى ذا الهمُّ بل طَرَقَا * فَبِتُّ مسهَّدًا قَلِقَا
كذاك الحُبّ مما يُحـ * ـدِث التسهيدَ والأرقا
قَطُوف المشيِ إذ تمشى * تَرَى فى مشـيها خَرَقَا
وتُثْقِلها عَجِيزتُها * إذا ولّت لتنطلقا

---

(١) قطوف المشى : بطيئته . وخرقا : تحيرا ودهشا . يريد أنها حيية خفرة حتى لترى آثار التحير والدهش بادية عليها إذا مشت . وفى اللسان : « وفى حديث تزويج فاطمة رضوان الله عليها : فلما أصبح دعاها فجاءت خرقة من الحياء ، أى خجلة مدهوشة ؛ من الخرق وهو التحير . وروى أنها أتته تعثر فى مرطها من الخجل » .

(٢) كذا فى ح . وهو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله الأشعرى الكاتب الوزير . وفى سائر الأصول : « إلى أبى عبد الله » ، وهو تحريف . (راجع الطبرى وابن الأثير فى غير موضع) .

الشعر للأحْوَص . والغناء لدَحْمان ثقيلٌ أولُ بالوسطى عن عمرو؛ وذكر الهِشَامىّ أنه لابن سُرَيج .

سئل عن ثمن ردائه فأجاب

أخبرنى إسماعيل بنُ يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق قال : مرّ دَحْمان المغنّى وعليه رداء جيّد عَدَنِىّ (١) ؛ فقال له مَنْ حضر : بكم اشتريتَ هذا يا أبا عمرو ؟ قال :

* ما ضَرَّ جيرانَنا إذ انْتَجَعُوا *

نسبة هذا الصوت

صوت

ما ضَرّ جيرانَنا إذ انتَجَعُوا * لو أنهم قبل بَيْنِهم رَبَعُوا (٢)
أَحْوَوْا (٣) على عاشقٍ زيارتَه * فَهْو (٤) بهِجْران بينِهم قُطُع (٥)
وهْو كأنّ الهُيَام خالطه * وما به غيرُ حبِّها ذَرَع (٦)
كأنّ لُبْنَى صَبِيرُ (٧) غادِيةٍ * أو دُمْيةٌ زُيِّنَتْ بها البِيَع
الله بينى وبين قيِّمها * يَفِرّ عنّى بها وأَتّبِع

اشترى منه الوليد جارية وهو لا يعرفه فلما عرفه أرسل اليه وأكرمه

أخبرنى وَكيع عن أبى أيُّوب المَدِينىّ إجازةً عن أبى محمد العامرىّ الأُوَيْسىّ قال :

---

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « غردنى » . (٢) ربعوا : تمهلوا وانتظروا . (٣) أحوا : حظروا ومنعوا . (٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « فهم » ، وهو تحريف . (٥) القطع (كصرد) : من يهجر رحمه و يعقها و يقطعها . (٦) الذرع : الطمع . وفى حـ : « درع » (بالدال المهملة) ولعلها مصحفة عما أثبتناه . وفى سائر الأصول : « ردع » ولا معنى له . (٧) الصبير : السحاب الأبيض الذى يصير بعضه فوق بعض درجا . والغادية : السحابة تنشأ غدوة .

كان دَحْمان جَمّالًا يُكْرِى إلى المواضع ويتَّجِر، وكانت له مروءةٌ؛ فبينا هو ذاتَ يوم قد أَكْرَى جِمالَه وأخذ مالَه إذ سمِع رنَّة، فقام واتَّبع الصوتَ، فإذا جاريةٌ قد خرجتْ تَبْكى؛ فقال لها : أمملوكةٌ أنتِ؟ قالت : نعم؛ فقال : لمن؟ فقالت : لامرأةٍ من قريش، وسمَّتْها له؛ فقال : أتبيعك؟ قالت : نعم، ودخلتْ إلى مولاتها (١٤٣ / ٥) فقالت : هذا إنسان يشتريني؛ فقالت : آئذنى له، فدخل، فسامها حتى ٱستقرّ أمرُ الثمن بينهما على مائتى دينار، فنقَدها إياها وٱنصرف بالجارية . قال دَحْمان : فأقامت عندى مدةً أطرَح عليها ويطرَح عليها مَعْبَد والأَبْجَر ونظراؤهما من المغنين؛ ثم خرجتُ بها بعد ذلك إلى الشأم وقد حَذَقتْ، وكنت لا أزال إذا نزلنا أُنْزِل الأَكْرِياء (١) ناحيةً، وأنزل معتزِلًا بها ناحيةً فى مَحْمِل وأطرَح على المَحْمِل من أَعْبِية (٢) الجَمّالين، وأجلس انا وهى تحت ظلّها، فأُخرج شيئا فنأكله، ونضع رَكْوة (٣) فيها (٤) لنا شراب، فنشرب ونتغنّى حتى نرحل . ولم نزل كذلك حتى قرُبنا من الشأم . فبينا أنا ذاتَ يوم نازلٌ وأنا أُلقى عليها لحنى :

صـــــوت

لو رَدّ ذو شَــفَق حِمـامَ منيّةٍ * لرددتُ عن (٥) عبد العزيز حِمـامَا
صلّى عليـكَ اللهُ من مستودَعٍ * جاورتَ بومًا (٦) فى القبور وهاما (٧)

---

(١) الأكرياء : جمع كَرِىّ وهو المكارى . (٢) الأعبية : جمع عباء وهو ضرب من الأكسية . (٣) الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء . (٤) فى ب ، سه : « ركوة لنا فيها لنا شراب » . (٥) فى ب ، سه : « من » . (٦) فى ب ، سه وتجريد الأغانى : « رمسا » . (٧) الهام : طير الليل وهو الصدى، وواحده هامة .

— الشعر لكُثَيِّر[(١)] يرثى عبدَ العزيزبن مَرْوان . وزعم بعضُ الرواة أن هذا الشعر ليس لكثيّروأنه لعبد الصمد بن علىّ الهشامىّ يرثى ابنًا له . والغناء لدَحْمان، ولحنه من الثقيل الأوّل بالخنصر فى مجرى البِنصر —

قال : فرددتُه عليها حتى أخذتْه وآندفعتْ تغنّيه ، فإذا أنا براكبٍ قد طلَع فسلّم علينا فردَدْنا عليه السلام؛ فقال : أتأذنون[(٢)] لى أن أنزل تحت ظلّكم هذا ساعةً؟ قلنا نعم، فنزل ؛ وعرضتُ عليه طعامَنا وشرابَنا فأجاب ، فقدّمْنا إليه السُّفْرةَ فأكل وشرب معنا، وآستعاد الصوت مرارًا . ثم قال للجارية : أتغنّين لدَحْمان شيئا؟ قالت نعم . قال : فغنّته أصواتا من صنعتى ، وغمزتُها ألا تعرّفَه أنى دَحْمان ؛ فطَرِب وآمتلأ سرورًا وشرب أقداحًا والجارية تغنّيه حتى قُرب وقتُ الرحيل؛ فأقبل علىّ وقال : أتبيعنى هذه الجاريةَ؟ فقلت نعم ؛ قال : بكم ؟ قلت كالعابث : بعشرة آلاف دينار ؛ قال : قد أخذتُها بها، فهلمّ دواةً وقِرْطاسا ، فجئته بذلك ؛ فكتب : " ادفع إلى حامل كتابى هذا حينَ تقرؤه عشرةَ آلافِ دينار ، وآستوصِ به خيرًا وأعلمنى بمكانه " وختَم الكِتابَ ودفعه إلىّ ؛ ثم قال : أتدفَع إلىّ الجاريةَ أم تَمضى بها معك حتى تقبض مالكَ؟ فقلت : بل أدفعها إليك ؛ فحملها وقال : إذا جئتَ البَخْراءَ[(٣)] فسَلْ عن فلان وآدفعْ كتابى هذا إليه واقبضْ منه مالك ؛ ثم انصرف بالجارية . قال : ومضيتُ، فلما وردت البَخْراءَ سألت عن اسم الرجل، فدُلِلت عليه، فإذا دارُه دارُ مُلْك، فدخلتُ عليه ودفعت إليه الكتابَ، فقبّله و وضعه

(١) نسب هذا الشعر فى تجريد الأغانى لإ سماعيل بن يسار. (٢) فى ب : «أتأذنوا» . وفى س : « أتؤذنوا » ، وكلاهما تحريف . (٣) البخراء : أرض وماءة على ميلين من القليعة فى طرف الحجاز، وبها قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك . وفى ب ، سـ : « النجراء » (بنون بعدها جيم) وهو تصحيف .

على عينيه، ودعا بعشرة آلاف دينار فدفعها إلىّ، وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين، وقال لى: اجلس حتى أُعلِم أميرَ المؤمنين بك؛ فقلتُ له : حيثُ كنتُ فأنا عبدُك و بين يديك، وقد كان أمر لى بأنزال(١) وكان بخيلًا، فاْغتنمتُ(٢) ذلك فاْرتحلتُ؛ وقد كنت أُصِبت بجملين، وكانت عدّةُ أجمالى خمسةَ عشرَ فصارت ثلاثةَ عشرَ. قال : وسأل عنّى الوليدُ، فلم يَدْرِ القَهْرمانُ أين يطلُبنى؛ فقال له الوليد : عدّةُ جماله خمسةَ عشرَ جملًا فاْرْدُدْه(٣) إلىّ؛ فلم أُوجَد، لأنه لم يكن فى الرُّفْقة من معه خمسةَ عشرَ جملا، ولم يَعْرِف اْسمى فيَسألَ عنّى. قال : وأقامت الجارية عنده شهرًا لا يَسأل عنها، ثم دعاها بعد أن اْستُبرِئَتْ(٤) وأُصلح من شأنها، فظلّ معها يومَه، حتى إذا كان فى آخر نهاره قال لها : غنِّينى لدَحْمان فغنّت؛ وقال لها : زيدينى فزادت . ثم أقبلت عليه فقالت : يا أمير المؤمنين، أوَما سمعتَ غناء دَحْمان منه؟ قال لا؛ قالت : بلى والله؛ قال : أقول لك لا، فتقولين بلى والله ! فقالت : بلى والله لقد سمعتَه؛ قال : وما ذاكِ؟ وَيْحكِ! قالت : إنّ الرجل الذى اشترينى منه هو دحمان؛ قال: أوَذلكِ هو؟ قالت: نعم، هو هو؛ قال: فكيف لم أعلم؟ قالت: غمزنى بألّا أُعلمك. فأمر فكُتب إلى عامل المدينة بأن يُحمل إليه دَحْمان، فحُمل فلم يزل عنده أثيرًا(٥).

١٤٤/٥

دحمان فى مجلس أمير من أمراء المدينة

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنا ابن جامع قال :

---

(١) الأنزال : جمع نزل (بضمتين و بضم فسكون) وهو ما هيئ للضيف أن ينزل عليه .

(٢) فى جميع الأصول : « فاغتنم »، ولا يستقيم بها الكلام . (٣) كذا فى أكثر الأصول وتجريد الأغانى . وفى ب، س : « فارددها »، وهو تحريف . (٤) استبراء الرجل الجارية : ألا يمسها بعد ملكها حتى تبرأ رحمها و يتبين حالها أهى حامل أم لا . (٥) كذا فى أكثر الأصول . والأثير : المكرم . وفى ب، س : « أسيرا »، وهو تحريف .

تذاكروا يومًا كِبَرَ الأيور بحضرة بعض أمراء المدينة فأطالوا القولَ، ثم قال بعضهم : إنما يكون كبر أَيْرِ الرجل على قَدْرِ حِرِ أُمّه ؛ فالتفت الأمير إلى دَحْمان فقال: يادَحْمان، كيف أيرك؟ فقال له : أيها الأمير، أنت لم تُرِد أن تعرف كبر أيرى، وإنما أردتَ أن تعرف مقدار حِرِ أمّى . وكان دَحْمان طيّبا ظريفا .

ظرفه وفكاهة له مع رجل شتمه

أخبرنى إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق قال :

أوّل ما عُرِف من ظَرْف دَحْمان أنّ رجلًا مرّ به يومًا، فقال له : أَيْرُ حمارى فى حِرِ أمّك يادُحَيم ؛ فلم يفهم ماقاله ، وفَهِمه رجل كان حاضرا معه فضحك؛ فقال: ممّ ضحكت ؟ فلم يُخْبِره؛ فقال له : أقسمتُ عليك إلّا أخبرتَنى؛ قال : إنه شتمك فلا أحبّ استقبالك بما قاله لك ؛ فقال : والله لتخبرنّى كائنًا ما كان ؛ فقال له : قال : كذا وكذا من حمارى فى حِرِ أمّك ؛ فضحك ثم قال : أَعجبُ والله وأغلظ علىّ من شَتْمه كِنَايتُك عن أيرِ حماره وتصريحُك بحِرِ أمّى لا تَكْنِى .

جعفر بن سليمان أمير المدينة والمغنون

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنى أبو خالد يزيد بن محمد المهلّبىّ قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ قال حدّثنا عبد الله بن الرّبيع المَدينى(١) قال حدّثنى الرَّبعىّ المغنّى قال :

قال لنا جعفر بن سليمان وهو أمير المدينة : اغْدُوا على قصرى بالعَقيق غدا ؛ وكنت أنا ودَحْمان وعَطَرّد(٢)، فغدوتُ للوعد، فبدأت بمنزل دحمان وهو فى جهينة ، فإذا هو وعَطَرّد قد اجتمعا على قِدْرٍ يطبُخانها ، وإذا السماء تَبْغَش(٣)، فأذكرتُهما الموعدَ، فقالا : أما ترى يومَنا هذا ما أطيبَه! اجلس حتى نأكل من هذه القِدْر ونُصيبَ شيئا

(١) فى حـ : « المدنى » . (٢) كذا فى جميع الأصول . ولعلها محرّفة عن : « جهنه » إذ جهينة قرية من نواحى الموصل على دجلة ، ويبعد أن تكون هى المرادة هنا . (٣) بغشت السماء تبغش (من باب قطع) : أمطرت البغشة وهى المطرة الضعيفة .

ونستمتعَ من هذا اليوم؛ فقال: ما كنت لأفعل مع ماتقدّم الأمير به إلىّ؛ فقالا لى: كأنّا بالأمير قد انحلّ عزمُه، وأخذك المطرُ إلى أن تبلغ، ثم ترجع إلينا مبتلًّا فتقرع الباب وتعود إلى ما سألناك حينئذ. قال: فلم ألتفت إلى قولهما ومضيت، وإذا جعفرٌ مُشرِف من قصره والمَضارِب(١) تُضرَب والقدور تُنصَب؛ فلما كنت بحيث يسمع تغنّيتُ:

وأستصحبُ الأصحابَ حتى إذا وَنَوْا * ومَــلُّوا من الإدلاج جئتكمُ وَحْدِى

قال: وما ذاك؟ فأخبرتُه؛ فقــال: يا غلام، هات مائتى دينــار أو أربعمائة دينار — الشك من إسحاق الموصلى — فانثرها فى حِجْر الرَّبعى، اذهب الآن فلا تحلّ لهــا عُقْدةً حتى تُرِيَهما إياها؛ فقلتُ: وما فى يدى من ذلك! يأتيانك غدًا فتُلحقهما بى؛ قال: ما كنتُ لأفعل؛ قلتُ: فلا أمضى حتى تحلف لى أنك لاتفعل، فحلَف. فمضيتُ إليهما، فقرعتُ الباب فصاحا وقالا: ألم نقل لك إن هذه تكون حالَك؛ فقلت: كلّا! فأريتُهما الدنانيرَ؛ فقالا: إنّ الأمير لَحَيِىٌّ كريم، ونأتيه غدا فنعتذرُ إليه فيدعوه كرمُه إلى أن يُلحقَنا بك؛ فقلت: كذبتْكما أنفسُكما، والله إنى قد أحكمتُ الأمر ووكّدتُ عليه الأيمانَ ألّا يفعل؛ فقالا: لا وصلتْك رَحِم.

١٤٥
٥

غنى هو وابن جندب بالعقيق

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن منصور بن أبى مُزاحِم قال أخبرنى عبد العزيز بن المـاجِشون قال:

صلّينا يومًا الصبحَ بالمدينة، فقال قوم: قد سال العَقيق، فخرجنا من المسجد مُبادِرين إلى العقيق، فانتهينا إلى العَرْصة(٢)، فإذا مِن وراء الوادى قُبالتنا دحْمانُ المغنّى وابن جُنْدَب مع طلوع الشمس قد تماسكا بينهما صوتًا وهو(٣):

(١) المضارب: جمع مضرب وهو الفسطاط العظيم. (٢) العرصة (بالفتح): بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء. وبالعقيق عرصتان من أفضل بقاع المدينة وأكرم أصقاعها. ذكر محمد ابن عبد العزيز الزهرى عن أبيه أن بنى أمية كانوا يمنعون البناء فى عرصة العقيق ضنا بها، وأن والى المدينة لم يكن يقطع بها قطيعة إلا بأمر الخليفة. (٣) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «وهو قوله».

أسكنُ البَدْوَ ما سكنْتِ ببدوٍ * فإذا ماحضرتِ طاب الحضورُ

وإذا أطيبُ صوتٍ فى الدنيا . قال : وكان أخى يَكره السَّماع ؛ فلمّا سمعه طرِب طربا شديدا وتحرّك ؛ وكان لغناء دَحْمانَ أشدَّ استحساناً وحركة وآرتياحا ؛ فقال لى : يا أخى ، اسمع إلى غناء دحمان ، والله لكأنّه يسكُب على الماء زيتا .

نسبة هذا الصوت

صوت

أَوْحشَ الجُنْبُذَانُ[1] فالدَّيْرُ منها * فقُرَاها فالمنزلُ المحظورُ
أسكنُ البدوَ ما أقمتِ ببدوٍ * فإذا ما حضرتِ طاب الحضور
أىُّ عيش أَلَذُّه لستِ فيه * أوْ تُرَى نَعْمةٌ به وسُرور

الشعر لحسّان بن ثابت . والغناء لابن مِسْجَح رَمَلٌ مطلَق فى مجرى البنصر عن إسحاق .

دحمان والفضل ابن يحيى

أخبرنا محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى أحمد بن عبد الرحمن عن أبى عثمانَ البَصْرى قال :

قال دَحْمان : دخلتُ على الفضل بن يحيى ذات يوم ؛ فلما جلسنا ، قام وأومأ إلىّ فقمتُ ، فأخذ بيدى ومضى بى إلى مَنْظَرة له على الطريق ، ودعا بالطعام فأكلنا ، ثم صِرنا إلى الشراب ؛ فبينا نحن كذلك إذ مرّت بنا جارية سوداء حِجَازيّة تغنّى :

اهْجُرينى أو صِلينى * كيفما شئتِ فكونى
أنتِ والله تحبّيـ * ـنى وإن لم تُخبرينى

(١) الجنبذ معرب كنبذ بالفارسية ، ومعناه : الأزج المدوّر كالقبة . والشاعر هنا يريد به مكانا بعينه .

٢٠

فطَـرِب وقال : أحسنتِ ! ادخلى فدخلتْ ، فأمر بطعام فقُدِّم إليهـا فأكلتْ ، وسقاها أقداحا ، وسألها عن مواليها فأخبرتْه ؛ فبعث فآشتراها ، فوجدها من أحسن الناس غناءً وأطيبهم صوتا وأملحِهم[1] طبعا ؛ فغلبتْنى عليه مدّةً وتناسانى ؛ فكتبتُ إليه :

أخرجتِ السَّوداء ما كان فى * قلبـك لى من شـدّة الحُبِّ
فإن يدُم ذا منـك لا دام لى * متُّ من الإعراض والكَرْب

قال : فلمّا قرأ الرُّقعـة ضحك ، وبعث فدعانى ووصلنى ، وعاد إلى ما كان عليـه من الأُنْس .

قال مؤلف هذا الكتاب : هكذا أخبرنا ابنُ المَرْزُبان بهذا الخبر ، وأظنّه غلطًا ؛ لأنّ دَحْمان لم يُدرك خلافة الرشيد ، وإنما أدركها ابناه زُبير وعبد الله ؛ فإما أن يكون الخبر لأحدهما أو يكون لدحمان مع غير الفضل بن يحيى . ١٤٦ / ٥

[ومما فى المـائة المختارة من صنعة دَحْمان][2]

صـــوت

من المـائة المختارة من رواية علىّ بن يحيى

وإنّى لآتى البيتَ ما إن أحِبُّـه * وأُكثِرُ هجرَ البيت وهو حَبِيبُ
وأُغضِى على أشـياءَ منكم تَسُوءنى * وأُدْعَى إلى ما سَرّكـم فأجيب
وأحبِس عنك النّفسَ والنفسُ صَبّةٌ * بقُـرْبك والمَمْشَى إليـك قـريب

الشعر للأَحْوَص . والغناء لدَحْمان ثقيلٌ أوّلُ . وقد تقدّمتْ أخبارُ الأحوص ودَحْمان فيما مضى من الكتاب .

---

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : «وأصلحهم» . (٢) هذه العبارة المحصورة بين قوسين ساقطة فى ب ، س .

صـــوت

من المـائة المختـارة

حَيِّيَا خَوْلَةَ مـــنِّى بالســـلامِ * دُرَّةَ البحـر ومِصْـباحَ الظلامِ
لا يكُن وَعْدُكِ برقا خُلَّبـا * كاذبًا يلمـع فى عُرْضِ الغَمام
واذكرى الوعدَ الذى واعدتنا * ليلةَ النصف من الشّهر الحرام

الشـعر لأعشى هَمْـدان . والغناء لأحمـد النَّصْبيّ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر . وعروضه من الرَّمَل . والخُلَّب من البرق : الذى لا غيث معه ولا يُنتفع بسـحابه . وتَضرِبُ المثلَ به العربُ لمن أخلف وعدَه؛ قال الشاعر :

لا يكنْ وعدك برقًا خُلَّبـا * إنّ خيرَ البرق ما الغيثُ مَعَهْ

وعرض السحابة : الناحية منها .

أخبار أعشى هَمْدان ونسبُه

نسبه وكنيته وهو شاعر أموى

اسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نِظَام بن جُشَم بن عمرو بن الحارث بن مالك بن عبد الحَق (١) بن جُشَم (٢) بن حاشد بن جُشَم بن خَيْوان (٣) بن نَوْف بن هَمْدان بن مالك بن زيد بن نِزار بن أَوْسلة (٤) بن ربيعة بن الخِيار بن مالك بن زيد ابن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان، ويُكْنَى أبا المُصَبِّح، شاعر فصيح، كوفىّ، من شعراء الدولة الأموية . وكان زوجَ أخت الشَّعبىّ الفقيه، والشعبىُّ زوجَ أخته . وكان أحدَ الفقهاء القُرّاء، ثم ترك ذلك وقال الشعرَ، وآخى أحمد النَّصْبى (٥) بالعَشِيريّة (٦) والبَلَديّة ، فكان إذا قال شعرًا غنّى فيه أحمدُ . وخرج مع ابن الأشعث، فأُتِى به الحَجّاجُ أسيرًا فى الأسرى، فقتله صَبْرًا .

قص رؤياه على صهره الشعبى فقال له تترك القرآن وتقول الشعر

أخبرنى (٧) بما أذكره من جملة أخباره الحَسَنُ بن علىّ الخَفّاف قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزىّ عن محمد بن معاوية الأَسَدى أنه أخذ أخباره هذه عن

(١) فى تجريد الأغانى : « ابن عبد الجن » . (٢) كذا فى حـ وكتاب الاشتقاق وتجريد الأغانى . وفى سائر الأصول : « حاشر » ، وهو تحريف . (٣) فى شرح القاموس (مادة خير) : «قال شيخ الشرف النسابة : هو خيوان بالواو فصحف» . (٤) فى ب ، سـ : « واسلة » . وفى سائر الأصول : « سلمة » . والتصويب عن كتاب تجريد الأغانى والقاموس وكتاب الاشتقاق . وضبط شارح القاموس « أوسِلة » (بكسر السين) . ويلاحظ أن صاحب كتاب الاشتقاق ذكر أن الخيار بن مالك ولد أوسلة وهو همدان ، ثم ولد همدان نوفا وخيران ولذلك تجده أسقط مابين همدان وأوسلة من أسماء . وفى القاموس أيضا : « وأوسلة هى همدان » . (راجع كتاب الاشتقاق ص ٢٥٠ طبع مدينة ليزج) . (٥) فى الأصول هنا وفيما يأتى : «النصيبى» . وهو تحريف . (راجع الحاشية رقم ٦ ص٣٤٤ ج ٥ من هذه الطبعة) . (٦) العشيرية : نسبة الى العشير أو العشيرة وهم رهط الرجل وقبيله . وسيأتى فى ترجمة أحمد النصبى أنه همدانى وأنه من رهط الأعشى الأدنين . (٧) يلاحظ فى هذا السند أن الضمائر فيه غير واضحة المراجع .

١ : ٠ ٥

ابن كُنَاسة عن الهَيْثم بن عَدِىّ عن حمّاد الراوية وعن غيرهم من رُوَاة الكوفيين . قال حدّثنا عمر بن شَبّة وأبو هِفّان جميعًا عن إسحاق الموصلىّ عن الهَيْثم بن عَدِىّ عن عبد الله بن عَيّاش الهَمْدانىّ . قال العَنَزىّ : وأخذت بعضها من رواية مسعود ابن بشر عن الأصمعى . وما كان من غير رواية هؤلاء ذكرتُه مفردا .

أخبرنى المهلّبى أبو أحمد حَبيب بن نصر وعلىّ بن صالح قالا حدّثنا عمر بن شَبّة وأبو هِفّان جميعًا عن إسحاق الموصلى عن الهَيْثم بن عَدِىّ عن عبد الله بن عَيّاش الهَمْدانى قال :

كان الشَّعْبىّ عامرُ بنُ شَراحيل زوجَ أخت أعشى هَمْدان، وكان أعشى هَمْدان زوجَ أخت الشعبى ؛ فأتاه أعشى همدان يومًا ، وكان أحدَ القُرّاء للقرآن، فقال له : إنى رأيت كأنى ادخلت بيتًا فيه حِنْطة وشعير، وقيل لى : خذ أيّهما شئتَ، فأخذتُ الشّعير؛ فقال : إن صدقتْ رؤياك تركتَ القرآن وقراءتَه وقلت الشعر؛ فكان كما قال :

ـر فى الديلم
ـحبته ابنة الأمير
ـربت معه
ـشعره فى ذلك

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا الحسن بن عُليل العَنَزىّ عن محمد بن معاوية الأسدى عن ابن كُنَاسة، قال العَنَزى وحدّثنى مسعود بن بِشر عن أبى عُبيدة والأصمعى قالا، وافق روايتَهم[(١)] الهَيْثمُ بن عَدِىّ عن حمّاد الراوية قال :

كان أعشى هَمْدان أبو المُصَبِّح ممن أغزاه الحَجّاجُ بلدَ الدَّيْلم ونواحىَ دَسْتَبَى[(٢)]، فأُسر، فلم يزل أسيرًا فى أيدى الديلم مدّة . ثم إن بنتًا للعِلْج الذى أسره هَوِيتْه،

(١) كذا فى الأصول . ولعل صواب العبارة : «ووافق روايتهما الهيثم بن عدى ... الخ » .

(٢) دستبى (بفتح أوّله وسكون ثانيه وفتح التاء المثناة من فوق والباء الموحدة) : كورة كانت مقسومة بين الرى وهمذان ، فقسم منها يسمى دستبى الرازىّ وهو يقارب التسعين قرية ، وقسم منها يسمى دستبى همذان وهو عدّة قرى . وربما أضيف الى قزوين فى بعض الأوقات لاتصاله بعملها . ولم تزل دستبى على قسميها الى أن سعى رجل من سكان قزوين من بنى تميم يقال له حنظلة بن خالد فصيرها بقسميها الى قزوين .

وصارت إليه ليلًا فمكّنته من نفسها، فأصبح وقد واقعها ثمانىَ مرّات؛ فقالت له الديلميةُ : يامعشر المسلمين ، أهكذا تفعلون بنسائكم ؟ فقال لها : هكذا نفعل كلّنا؛ فقالت له : بهذا العمل نُصرتم؛ أفرأيتَ إن خلّصتُك، أتصطفيني لنفسك ؟ فقال لها نعم ، وعاهدها . فلما كان الليلُ حلّت قيودَه وأخذتْ به طُرُقًا تعرفها حتى خلّصته وهربتْ معه . فقال شاعر من أَسْرى المسلمين :

فمن كان يَفْديه مِن الأَسْر مالُه * فهَمْدانُ تَفْديها الغداةَ أُيورُها

وقال الأعشى يذكر ما لحقه من أَسْر الديلم :

صــــوت

لمن الظّعائنُ سيرُهنّ تَزَجُّفُ[1] * عَوْمَ السَّفِين إذا تقاعس مِجذَفُ[2]
مرّتْ بذى خُشُبٍ[3] كأنّ حُمولَها * نَخْلٌ بيثْرِبَ طَلْعُه مُتضعِّفُ[4]

— غنّى فى هذين البيتين أحمد النَّصْبى، ولحنه خفيفُ ثقيلٍ مطلق فى مجرى البنصر عن عمرو وابن المكىّ . وفيهما لمحمد الزّفّ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو — :

عُولِينَ ديباجًا وفاخرَ سُنْدُسٍ * وبخَزِّ أكسيةِ العراق تُحفَّفُ
وغدتْ بهم يومَ الفراق عَرامِسٌ[5] * فُتْلُ المَرافق بالهوادج دُلَّفُ[6]

(١) التزجف : الاضطراب الشديد . (٢) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « تجذف » . (٣) ذو خشب (بضم الخاء والشين) : واد على مسيرة ليلة من المدينة . وقد ذكر كثيرا فى الشعر والمغازى . قال بعض بنى مرة يصف ناقته :

فـــرّت بذى خشب غدوة * وجازت فويق أريك أصيلا

(راجع معجم البلدان وكتاب ما يعول عليه فى المضاف والمضاف اليه) . (٤) كذا فى تجريد الأغانى، والرواية فيه : « حمله متضعف » . وفى ب ، س : « متعصف » . وفى سائر الأصول : « متعطف » . (٥) العرامس : جمع عرمس (كزبرج) وهى الناقة الصلبة . (٦) فتل المرافق : مندمجاتها . والواحد أفتل وفتلاء ، وصف من الفتلة (بالتحريك) وهى اندماج مرفق الناقة . ودلف : جمع دالف وهو الماشى بالحمل الثقيل مقاربا الخطو .

بان الخليط وفاتنى برحيله * خَوْدٌ إذا ذُكِرت لقلبك يُشْغَف
تجلو بمسواك الأراك مُنَظَّماً * عَذْباً إذا ضحكتْ تهلَّل يَنْطِف
وكأنّ ريقتها على عَلَل الكَرَى * عَسَلٌ مصفًّى فى القِلال وقَرْقَف(1)
وكأنما نظرت بعينَىْ ظبية * تحنو على خِشْف لها وتَعَطَّف
وإذا تنوء(2) إلى القيام تدافعتْ * مثلَ التَّزيف(3) ينوء ثُمّتَ يَضْعُف ١٤٨ / ٥
ثقُلتْ روادفُها ومال بخَصْرِها * كَفَلٌ كما مال النَّقا المتقصِّف
ولها ذراعا بَكْرة رحبيّة * ولها بَنَانٌ بالخضاب مُطَرَّف(4)
وعوارضٌ مصقولةٌ وترائبٌ * بيضٌ وبطنٌ كالسَّبيكة مُخْطَف(5)
ولها بَهاءٌ فى النساء وبَهجةٌ * وبها تَحُلّ الشمسُ حين تُشَرِّف
تلك التى كانت هوایَ وحاجتى * لو أنّ داراً بالأحبّة تُسْعِف
وإذا تُصِبْك من الحوادث نكبةٌ * فآصبر فكلّ مصيبة ستَكَشَّف
ولئن بكيتُ من الفراق صَبابةً * إنّ الكبير إذا بكى لَيُعَنَّف
عجبًا من الأيام كيف تصرَّفتْ * والدارُ تدنو مَرّةً وتقذَّف
أصبحتُ رَهْناً للعُداة مكبَّلاً * أُمسِى وأُصبح فى الأداهم أرْسُف
بين القليسم فالقبول لخامن * فاللهزمين ومضجعى متكنَّف

— هذه أسماء مواضع من بلد الديلم تكنَّفته الهموم بها —

بجبال ويمة ما تزال مُنيفة * يا ليت أنّ جبال ويمة تُنْسَف

— ويمة وشلبة : ناحيتان من نواحى الرىّ —

---

(1) القلال : جمع قلة وهى الجرة العظيمة أو عامة ، وقيل الكوز الصغير . والقرقف : الخمر .

(2) تنوء : تنهض بجهد ومشقة . (3) التزيف : السكران ، ومن ذهب عقله ، والذى سال دمه حتى يفرط فيضعف . (4) طرّفت المرأة بنانها : خضبت أطراف أصابعها بالحناء .

(5) مخطف : ضامر .

ولقد أرانى قبل ذلك ناعمًا * جذلانَ آبَى أن أُضام وآنَفُ
وآستنكرتْ ساقى الوَثاقَ وساعدى * وأنا آمرؤٌ بادِى الأَشاجع أعجَفُ (١)
ولقد تُضرِّسنى الحروبُ و إننى * أُلفَى بكلّ مخافة أتعسّف
أتسربل الليلَ البهيمَ وأَسترى * فى الجَبْت إذ لا يَسْتَرُونَ (٢) وأُوجِف
ما إن أزال مقنَّعا أو حاسرًا * سَلَفَ (٣) الكتيبة والكتيبةُ وُقَّف
فأصابنى قومٌ فكنتُ أُصيبهم * فالآن أصبِر للزمان وأعرف
إنى لطَلّابُ التِّرَاتِ مطلَّبٌ * وبكل أسباب المنيّة أُشرِف
باقٍ على الحِدْثان غيرُ مكذِّب * لا كاسفٌ بالى ولا متأسِّف
إن نلتُ لم أفرح بشىء نِلتُه * وإذا سُبِقتُ به فلا أتلهّف
إنى لأَحْمِى فى المَضيق فوارِسى * وأَكُرُّ خلفَ المُسْتضافِ (٤) وأعطف
وأشُدّ إذ يكبو (٥) الجبان وأَصْطَلِى (٦) * حَرَّ الأسنّة والأسنّة تَرْعُف

صــــوت

فلئن أصابتْنى الحروبُ فربّما * أُدْعَى إذا مُنِع الرِّدافُ فأُردِف
ولربّما يَرْوَى بِكفّى لَهْذَمٌ * ماضٍ ومُطَّرِدُ الكُعوبِ مُثقَّف (٧)
وأُغِير غاراتٍ وأَشْهَد مَشهدًا * قلبُ الجبان به يَطير و يَرجُف
وأَرى مغانمَ لو أشاء حويتُها * فيصُدّنى عنها غِنًى وتَعفّف

(١) الأشاجع : أصول الأصابع أو عروق الكف . وأعجف : قليل اللحم . (٢) فى ب ، س : « وأشتدى ... لا يشتدون » وفى سائر الأصول : « وأستدي » ، وكلاهما تحريف . واسترى بمعنى سرى . (٣) السلف : المتقدّم . (٤) المستضاف : من يفزع اليه غيره و يلتجئ به ، يريد به الكمِىّ الشجاع . (٥) فى حـ وتجريد الأغانى : « ينبو » . (٦) كذا فى أكثر الأصول وتجريد الأغانى . وفى ب ، س : « الجواد » . (٧) مطرد الكعوب : الرمح ، واطراد كعوبه : تتابعها . والمثقف : المقوّم المسوّى .

— غنّى فى هـذه الأبيات دَحْمانُ ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن الهشامىّ . قال الهشامىّ : فيها لمـالكٍ خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى، ووافقه فى هذا ابن المكىّ — قالوا جميعا :

١٤٩ / ٥

خرج مع جيش الحجاج الى مكران فرض وقال شعرا

ثم ضُرِب البَعْثُ على جيش أهل الكوفة إلى مُكْرانَ(١)، فأخرجه الحجّاج معهم ، فخرج إليها وطال مُقامه بها ومرِض ، فاجتواها وقال فى ذلك — وأنشدنى بعض هذه القصيدة اليزيدىّ عن سليمان بن أبى شيخ — :

طلبتَ الصِّبا إذ علا المَكْبَرُ * وشاب القَـذالُ(٢) وما تُقصِرُ
وبانَ الشـبابُ ولذاتُه * ومثلُك فى الجهـل لا يُعـذَر
وقال العـواذل هـل يَنْتهى * فَيَقْـدَعه(٣) الشيبُ أو يُقصِر
وفى أربعينَ توفّيتَها * وعَشْرٍ مضتْ لىَ مُستبصَر
وموعـظةٌ لامرئٍ حازمٍ * إذا كان يَسمع أو يُبْصِر
فلا تأسفنَّ على ما مضى * ولا يَحْـزُنَنْك ما يُـدْبِر
فإنّ الحوادث تُبلى الفتى * وإنّ الزمان به يعـثُر
فيـومًا يُساء بما نابَـه * ويـومًا يُسَـرّ فيَستبشِرُ
ومِن كلّ ذلك يَلْقى الفتَى * ويُمْنَى لـه منه ما يُقـدَر

(١) مكران (بالضم ثم السكون وأكثر ما تجىء فى شعر العرب مشددة الكاف مفتوحتها) : ولاية واسعة تشتمل على عدة مدن وقرى وهى بين كرمان من غربيها وسجستان شمالها والبحر جنوبيها والهند فى شرقيها . وقال الإصطخرى : هى ناحية واسعة عريضة والغالب عليها المفاوز والضر والقحط . (راجع معجم البلدان) . (٢) القذال : جماع مؤخر الرأس ، وقيل : ما بين نقرة القفا إلى الأذن .
(٣) يقدعه : يكفه .

كأنّى لم أرْتَحِــلْ جَسْرةً * ولم أُجْفِهـا بعــد ما تضمُر (١)
فأُجْشِمَها كلّ دَيْمُومـةٍ (٢) * ويَعرفهـا البــلدُ القَفْـفر
ولم أشهدِ البأسَ يـومَ الوَغَى * علىّ المُفَاضَــةُ والمِغْـفر (٣)
ولم أَخـرِق الصفَّ حتى تَميـ * ـلَ دَارِعةُ القــومِ والحُسَّر (٤)
وتحـتى جَــرْداءُ خَيْفـانةٌ * من الخيل أو سابحٌ مُجْفَر (٥)
أُطـاعِن بالرمح حتى اللَّبـا * نُ يَجـرى به العَلَق الأحمـر (٦)
وما كنتُ فى الحرب إذ شمَّرت * كمَنْ لا يُذيب ولا يُخْثِر (٧)
ولكنّنى كنتُ ذا مِرّة * عَطوفًا إذا هتفَ المَحْـجر (٨)
أُجيب الصَّريخ إذا ما دعا * وعنــد الهِيَـاج أنا المِسْعر (٩)
فإن أُمْسِ قـد لاح فى المَشيـ * ـبُ أُمَّ البنين، فقـد أَذكُر
رَخاءً من العيش كُنّا بِه * إذِ الدهرُ خالٍ لنـا مُصْحِر (١٠)
وإذ أنا فى عُنفوانِ الشبا * بِ يُعجبنى اللّهــو والسَّمَر

---

(١) ارتحل الرجل البعير: شد عليه الرحل . والجسرة: الناقة العظيمة الطويلة . وأجفاها: أتعبها ولم يدعها تأكل ولا علفها قبل ذلك، وذلك إذا ساقها سوقا شديدا . (٢) الديمومة: الفلاة الواسعة . (٣) المفاضة: الدرع الواسعة . والمغفر: زرد ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة للوقاية به . (٤) دارعة القوم: الفرقة اللابسة الدروع . (٥) الجرداء: القصيرة الشعر . والخيفانة: السريعة . والمجفر: الواسع الجفرة أى الوسط . (٦) اللبان: الصدر أو وسطه . (٧) لا يذيب ولا يخثر: أى متردد متحير، مأخوذ من المثل: «وما يدرى أيخثر أم يذيب» . وأصله أن المرأة تسلأ السمن فيختلط خاثره — أى غليظه — برقيقه فلا يصفو؛ فتبرم بأمرها فلا تدرى أتوقد حتى يصفو وتخشى إن أوقدت أن يحترق فتحار . (٨) المحجر (كمجلس ومنبر): لعله يريد به هنا ما حول القرية . ومنه محاجر أقيال اليمن وهى الأحماء، كان لكل قيل حمى لا يرعاه غيره؛ على أن يكون المعنى إذا هتف أهل المحجر . (٩) المسعر: موقد نار الحرب كأنه آلة فى إيقادها .
(١٠) المصحر: المتسع الواضح المنكشف .

أَصيد الحسانَ ويَصْطَدْننى * وتعجبنى الكاعبُ المُعصِر (١)
وبيضاءُ مثلُ مَهاة الكَثيـ * ـب لا عَيْبَ فيها لمن ينظُر
كأنّ مُقَلَّدَها إذ بدا * به الدُّرّ والشَّذْر (٢) والجوهر
مُقَلَّدُ أَدْماءَ نجديّةٍ * يَعِنُّ لها شادنٌ أحور (٣)
كأنّ جَنَى النحل والزنجبيـ * ـلَ والفارسيَّةَ (٤) إذ تُعْصَر
يُصَبّ على بَرْد أنيابها * تُخالِطُه المسكُ والعنبر
إذا انصرفتْ وتَلَوَّتْ بها * رِقاقُ المَجاسِد (٥) والمِئْزر ١٥٠/٥
وغَصّ السِّوارُ وجال الوِشاح * على عُكَنٍ (٦) خَصْرُها مُضْمَر
وضاق عن الساق خَلْخالُها * فكاد مُخَدَّمها (٧) يَنْدُر
فَتُورُ القيام رخيمُ الكلا * م يُفْزِعها الصوتُ إذ تُزْجَر
وتُنْمَى إلى حَسَب شامخ * فليستْ تُكذِّب إذ تَفْخَر
فتلك التى شَفَّنى حبُّها * وحمّلنى فوق ما أقدر
فلا تعذُلانىَ فى حبِّها * فإنّى بمعذرةٍ أجْدَر

— ومن ها هنا رواية اليَزيدىّ —

وقُولا لذى طَرب عاشقٍ : * أشطُّ المزارُ بمن تَذْكُر؟
بكوفيّة أصلُها بالفُرا * ت تبدو (٨) هنالك أو تَحْضُر

(١) المعصر من النساء : التى بلغت شبابها أو أدركت ؛ وقيل : التى راهقت العشرين .

(٢) الشذر : اللؤلؤ الصغير؛ وقيل : خرز يفصل به بين الجواهر فى النظم ؛ أو هو قطع من الذهب تلقط من معدنه بدون إذابة الحجارة . (٣) الأدماء من الظباء : البيضاء تعلوها جدد فيهن غبرة . والشادن : ولد الظبية . (٤) الفارسية : الخمر . (٥) المجاسد : الأثواب التى تلى البدن، جمع مجسد (كمنبر). (٦) العكن : جمع عكنة ، وهى ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنا . (٧) المخدم : موضع الخلخال . وندر الشىء يندر ندورا (من باب نصر) : سقط ، وفى الحديث : «فضرب رأسه فندر» .
(٨) بدا : أقام بالبادية . وحضر : أقام بالحضر .

وأنت تسير إلى مُكْران * فقد شحط الوِرْدُ والمَصْدَر
ولم تك من حاجتى مُكْران * ولا الغزوُ فيها ولا المَتْجَر
وخُبِّرْتُ عنها ولم آتها * فما زلتُ من ذكرها أُذْعَر
بأنّ الكثيرَ بها جائعٌ * وأنّ القليل بها مُقْتر
وأنّ لِحَى الناس من حرّها * تطول فتُجْلَم (١) أو تُضْفَر
ويزعُم مَنْ جاءها قبلَنا * بأنّا سَنُسْهَم (٢) أو نُحْسَر (٣)
أعوذ بربّى من المُخْزيا * ت فيما أُسِرّ وما أَجْهَر
وحُدِّثت أنْ مالنا رَجْعَةٌ * سنينَ ومِنْ بعدها أشهر
إلى ذاك ما شاب أبناؤنا * وبادَ الإخلّاء والمَعْشَر
وما كان بى من نشاطٍ لها * وإنّى لَذو عُدّةٍ مُوسِر
ولكنْ بُعِثْتُ لها كارهًا * وقيل انطلق كالذى يُؤمَر
فكان النَّجاءُ (٤) ولم ألتفت * إليهم وشَرُّهمُ مُنكَر
هو السيف جُرِّد من غمده * فليس عن السيف مستأخَر
وكم من أخٍ لىَ مستأنِسٍ * يَظَلّ به الدمعُ يَسْتَحْسِر
يودّعنى وانتحتْ عبرةٌ * له كالجداول أو أغزر
فلستُ بلاقيه من بعدها * يَدَ الدهر (٥) ما هبّت الصَّرْصَر
وقد قيل إنكمُ عابرو * ن بحرًا لها لم يكن يُعْبَر
إلى السِّند والهند فى أرضهم * همُ الجنّ لكنّهم أنْكَر

(١) تجلم: تقطع بالجلم، وهو المقص. (٢) سهم الرجل (من بابى قطع وكرم) سهوما وسهومة: تغير لونه وبدنه مع هزال ويبس. (٣) كذا بالأصل. ولعلها مصحفة عن: «تخجر» (بالجيم المعجمة). وخجر الرجل يخجر (من باب علم): أصابه عطش شديد. (٤) النجاء: السرعة فى السير. (٥) يد الدهر: كناية عن الأبد. يقال: لا أفعل كذا يد الدهر، أى أبدا.

وما رام غزوًا لها قبلَنا * أكابرُ عادٍ ولا حِمْيَر
ولا رام سابورُ غزوًا لها * ولا الشيخُ كِسْرى ولا قيصر
ومِنْ دونها مَعْبَرٌ واسعٌ * وأجرٌ عظيم لمن يؤجَر

قصته مع جارية خالد بن عتاب الرياحى

وذكر محمد بن صالح بن النَّطّاح أنّ هشام بن محمد الكلبيّ حدّث عن أبيه : ١٥١/٥

أن أعشى هَمْدان كان مع خالد بن عَتّاب بن وَرْقاء الرِّياحيّ بالرَّيّ ودَسْتَبَى(١)، وكان الأعشى شاعرَ أهل اليمن بالكوفة وفارسَهم، فلما قدم خالدٌ من مَغزاه خرج جَوارِيه يتلقَّيْنه وفيهنّ أمُّ ولدٍ له كانت رفيعةَ القَدْر عنده، فجعل الناسُ يمرُّون عليها إلى أن جازَ بها الأعشى وهو على فرسه يميل يمينا ويسارا من النُّعاس، فقالت أمُّ ولَد خالد بن عتّاب لجواريها : إن امرأة خالد لَتُفاخرني بأبيها وعمّها وأخيها ، وهل يَزيدون على أن يكونوا مثلَ هذا الشيخ المرتعش. وسمعها الأعشى فقال : مَنْ هذه؟ فقال له بعضُ الناس: هذه جاريةُ خالد؛ فضحك وقال لها : إليك عني يالَكْعاء؛ ثم أنشأ يقول :

وما يُدْرِيكِ ما فرسٌ جَرُورٌ(٢) * وما يدريكِ ما حَمْلُ السّلاحِ
وما يدريكِ ما شيخٌ كبيرٌ * عَدَاه الدهرُ عن سَنَنِ المِراحِ
فأُقْسِمُ لو ركبتِ الوَرْدَ يومًا * وليلتَه إلى وَضَحِ الصَّباحِ
إذًا لنظرتُ منكِ إلى مكانٍ * كسَحْقِ(٣) البُرْدِ أو أثَرِ الجِراحِ

قال : فأصبحت الجاريةُ فدخلَتْ إلى خالد فشكَتْ إليه الأعشى ؛ فقالت : والله ما تُكْرَم، ولقد اجتُرِئَ(٤) عليك! فقال لها: وما ذاكِ؟ فأخبرتْه أنها مرّت برجل فى وجه الصبح، ووصفتْه له وأنه سبّها؛ فقال : ذلك أعشى هَمْدان؛ فأىّ شئ قال لك ؟

---

(١) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٣٤ من هذا الجزء. (٢) الفرس الجرور : الذى لا ينقاد ولا يكاد يتبع صاحبه. (٣) السحق : الثوب البالى ، ويضاف للبيان فيقال : سحق برد وسحق عمامة. (٤) فى ب، س : « . . ولقد اجترأ » .

فأنشدته الأبيات . فبَعث إلى الأعشى، فلما دخل عليه قال له : ما تقول؟ هذه زَعَمتْ أنك هجوْتَها؛ فقال : أساءت سمعًا، إنما قلتُ :

مررتُ بنسوة متعطِّرات * كضوء الصبح أو بَيض الأَداحِى[1]
على شُقْر البغال فَصِدْن قلبى * بحسن الدَّلّ والحَدَق المِلاح
فقلتُ مَنِ الظباءُ فقلن سِرْبٌ * بدا لك من ظِباء بَنى رِياح

فقالت : لا والله، ما هكذا قال، وأعادت الأبياتَ ؛ فقال له خالد : أمَا إنّها لولا أنّها قد وَلَدتْ منّى لوهبتُها لك، ولكنّى أفتدى جنايتَها بمثل ثمنها، فدفعه إليه وقال له : أقسمتُ عليك يا أبا المصبّح ألّا تُعيد فى هذا المعنى شيئا بعد ما فرَط منك .

وذكر هذا الخبرَ العنزىُّ فى روايته التى قدمتُ ذكرَها ، ولم يأتِ به على هذا الشرح .

وقال هو وابنُ النَّطّاح جميعا :

خبره مع خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحى

وكان خالد يقول للأعشى فى بعض ما يمنّيه إيّاه ويَعِدُه به : إن وُلِّيتُ عملًا كان لك ما دون الناس جميعا، فمتى استُعمِلتُ فخذ خاتَمى واقْضِ فى أمور الناس كيف شئتَ . قال : فاستُعمِل خالدٌ على أصبهان وصار معه الأعشى، فلما وصل إلى عمله جفاه وتناساه، ففارقه الأعشى ورجع إلى الكوفة وقال فيه :

تُمَنِّينى إمارتَها تَميم * وما أُمّى بأُمّ بنى تَميمِ
وكان أبو سليمانٍ أخًا لى * ولكنّ الشِّراكَ[2] من الأديم
أتينا أصبهانَ فهزّلتنا * وكنّا قبلَ ذلك فى نعيم
أتذكرنا ومُرّةَ إذ غزونا * وأنتَ على بُغَيْلك ذى الوُشُوم

١٥٢
٥

(١) الأداحى : جمع أدحية وهى مبيض النعام فى الرمل .
(٢) الشراك : أحد سيور النعل التى تكون على وجهها .

ويركب رأسه فى كل وحل * ويعثر فى الطريق المستقيم
وليس عليك إلا طيلسانٌ * نصيبىٌّ وإلّا تخـق نيم (١)
فقد أصبحتَ فى خزّ وقزّ * تبختر ما ترى لك من حميم
وتحسب أن تلقاها زمانا * كذبتَ وربِّ مكّة والحطيم

— هذه رواية ابن النطّاح، وزاد العنزىّ فى روايته — :

وكانت أصبهانُ نكير أرضٍ * لمغترب وصعلوكٍ عديم
ولكنّا أتيناها وفيها * ذوو الأضغان والحقد القديم
فأنكرتُ الوجوهَ وأنكرتنى * وجوهٌ ما تُخبّر عن كريم
وكان سفاهة منّى وجهلا * مسيرى لا أسير إلى حميم
فلو كان ابنُ عتابٍ كريمًا * سما لرواية الأمر الجسيم (٢)
وكيف رجاءُ من غلبتْ عليه * تنائى الدارِ كالرّحِم العقيم

قال ابنُ النطّاح : فبعث إليه خالد : مَن مُرّة هذا الذى آدعيتَ أنى وأنت غزونا معه على بغل ذى وشوم؟ ومتى كان ذلك؟ ومتى رأيتَ علىّ الطّيلسان والنِّمَ اللذين وصفتهما؟ فأرسل إليه : هذا كلام أردتُ وصفَك بظاهره (٣)، فأمّا تفسيره، فإن مُرّة مرارةُ ثمرةِ ما غرستَ عندى من القبيح . والبغل المَركَبُ الذى ارتكبتَه منى لا يزال يعثر بكَ فى كل وَعْثٍ وجَدَد ووَعْرٍ ومَنْهل . وأما الطيلسان فما أُلبسك إياه من العار والذمّ ؛ وإن شئتَ راجعتَ الجميل فراجعتُه لك ؛ فقال : لا، بل أراجع الجميلَ وتُراجعه؛ فوصَله بمال عظيم وترضّاه . هكذا روى من قدّمتُ ذكره .

(١) النيم : الفرو، أو هو ثوب ينام فيه من القطيفة . (٢) كذا فى الأصول . ولعلها : « لذؤابة الأمر الجسيم » . وذؤابة الشىء : أعلاه . وتستعار للعز والشرف وعلو الرتبة .
(٣) فى حـ : « وضعك » .

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا الرِّياشىّ قال حدّثنا الأصمعى قال :

لمّا ولِى خالدُ بنُ عتّاب بن وَرْقاء أصبهانَ، خرج إليه أعشى هَمْدان، وكان صديقَه وجارَه بالكوفة، فلم يَجِد عنده ما يحبّ، وأعطى خالدٌ الناس عطايا فجعله فى أقلّها وفضّل عليه آلَ عُطارد، فبلغه عنه أنه ذمّه فحبسه مدّةً ثم أطلقه، فقال يهجوه :

وما كنتُ ممن ألجأتْه خَصاصةٌ * إليك ولا ممن تَغُرّ المواعدُ
ولكنّها الأطماعُ وهى مُذِلّةٌ * دنتْ بى وأنت النازح المتباعد
أتَجْبَسُنى فى غير شئ وتارةً * تلاحظنى شَزْرًا وأنفُك عاقد[1]
فإنك لا كابْنَىْ فَزارة فاعلَمَنْ * خُلِقتَ ولم يُشبِهْهما لك والد
ولا مُدْرِكٌ ما قد خلا من نَداهما * أبوكَ ولا حوضَيْهما أنت وارد
وإنك لو ساميتَ آلَ عُطارد * لَبذّتْك أعناقٌ لهم وسواعد
ومأثُرةٌ عاديّةٌ لن تنالَها * وبيتٌ رفيع لم تخنْه القواعد
وهل أنت إلا ثعلبٌ فى ديارهم * تُشَلُّ[2] — فتعسًا — أو يقودُك قائد
أرى خالدًا يختال مشيًا كأنه * من الكبرياء نَهْشَلٌ أو عُطارِدُ[3]
وما كان يَرْبُوع شبيهًا لدارِم * وما عَدَلَتْ شمسَ النهار الفراقد

١٥٣ / ٥

مدح ابن الأشعث وحرض أهل الكوفة للقتال معه ضد الحجاج

قالوا: ولمّا خرج ابنُ الأشعث على الحَجّاج بن يوسف حشَد معه أهل الكوفة، فلم يَبْقَ من وجوههم وقرّائهم أحدٌ له نَباهة إلّا خرج معه لثِقَل وطأة الحجّاج عليهم. فكان عامر الشَّعْبىّ وأعشى هَمْدان ممّن خرج معه، وخرج أحمد النَّصْبىّ[4] أبو أُسَامة

(١) يريد أنه غضبان معرض عنه . (٢) تشل : تطرد . (٣) نهشل وعطارد : قبيلتان من العرب ينتسبان الى دارم بن مالك بن حنظلة . وخالد — المقصود فى الشعر هنا — من رياح ورياح من دارم . (٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «النصيبى» وهو تحريف .

الهَمْدانى المغنّى مع الأعشى لالفته إياه، وجعل الأعشى يقول الشعر فى ابن الأشعث يمدحه، ولا يزال يحرّض أهلَ الكوفة بأشعاره على القتال، وكان مما قاله فى ابن الأشعث يمدحه :

يأبَى الإلهُ وعزةُ ابنِ محمد * وجدودُ مَلْك قبلَ آل ثمودِ
أن تأنسوا بمذمَّمين، عروقُهم * فى الناس إنْ نُسبوا عروقُ عَبيد
كم من أبٍ لك كان يعقِد تاجَه * بجبين أبلجَ مِقْوَلٍ صِنْديد
وإذا سألتَ : المجدُ أين محلّه * فالمجدُ بين محمد وسعيد
بين الأشجّ وبين قيس باذخٌ * بَخٍ بَخٍ لوالده وللمولود
ما قصَّرتْ بكَ أن تَنال مَدَى العُلا * أخلاقُ مَكْرُمةٍ وإرثُ جدود
قَرمٌ (٣) إذا سامَى القُرُومَ ترى له * أعراقَ مجدٍ طارفٍ وتَليد
وإذا دعا لعظيمة حُشِدتْ له * هَمْدانُ تحت لوائه المعقود
يَمْشُون فى حَلَق الحديد كأنهم * أُسْدُ الإباء سمعنَ زَأرَ أسود
وإذا دعوتَ بآلِ كِنْدة أجْفَلوا * بكهول صدقٍ سيِّدٍ ومَسُود
وشبابِ مأسَدةٍ كأنّ سيوفَهم * فى كلّ مَلْحَمةٍ بروقُ رعود
ما إن ترى قيسًا يقارب قيسَكم * فى المَكْرُمات ولا ترى كسعيد

طلب من ابن الأشعث فى سجستان زيادة عطائه فرده فقال شعرا

وقال حمّاد الراوية فى خبره : كانت لأعشى هَمْدان مع ابن الأشعث مواقفُ محمودةٌ وبلاءٌ حسن وآثارٌ مشهورة؛ وكان الأعشى من أخواله، لأن أمّ عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث أمُّ عمرو بنتُ سعيد بن قيس الهَمْدانى . قال : فلما صار ابنُ الأشعث إلى سِجِسْتانَ جَبى مالًا كثيرا، فسأله أعشى همدان أن يُعطيَه منه زيادةً على عطائه فمنعه؛ فقال الأعشى فى ذلك :

(٣) القرم : السيد العظيم .

هـل تعرف الدارَ عفا رسمُها * بالحَضْر(١) فالروضـةِ من آمِـد(٢)
دارٌ لخَــوْدٍ طَفْـلةٍ رُودةٍ * بانَتْ فأمسى حبُّها عامِـدِى(٣)
بيضاءَ مثلِ الشمس رَقْراقةٍ * تَبْسِم عن ذى أُشُرٍ(٤) بارد
لم يُخْطِ(٥) قلبى سهمُها إذ رمتْ * ياعجبًا من سهمها القاصـد
يأيهـا القَـرْمُ الهِجَانُ(٦) الذى * يَبْطِش بطشَ الأسـد اللَّابد
والفاعلُ الفعلَ الشريفَ الذى * يُنْمَى إلى الغـائب والشاهـد
كم قد أُسَدِّى لك من مِدْحةٍ * تُرْوَى مـع الصادر والوارد
وكم أجبنا لك من دَعوةٍ * فاعرِفْ فما العارفُ كالجاحد
نحن حَمَيْناكَ وما تحتمى * فى الرَّوْع من مَثْنًى ولا واحدِ
يومَ انتصرنا لك مِن عابد * ويومَ أنجيناك من خالد ١٥٤/٥
ووقعــة الرَّىِّ الــتى نِلْتَهـا * بجَحْفلٍ من جَمْعنا عاقــد
وكم لَقينـا لك من واترٍ * يصرِف نابَىْ حَنِــق حارد(٧)
ثم وَطِئْنـاه بأقدامنـا * وكان مثـلَ الحيَّة الراصــد
إلى بلاء حسنٍ قـد مضى * وأنتَ فى ذلك كالزاهــد
فاذكُـر أياديـنا وآلاءَنا * بعودةٍ من حِلْمـك الراشـد

---

(١) الحضر: مدينة بإزاء تكريت فى البرية بينها وبين الموصل والفرات. (٢) آمد: أعظم مدن ديار بكر، وهى قديمة حصينة مبنية بالحجارة السـوداء وعلى نشز، ويحيـط دجلة بأكثرها، وفى وسطها عيون وآبار قريبة يتناول ماؤها باليد، وفيها بساتين. (٣) الخود: المرأة الشابة ما لم تصر نصـفا. والطفلة: الرخصة الناعمة. والرودة: الشابة الحسـنة. وعامدى: مضنىّ ومهلكى.
(٤) الأشر: التحزيز الذى يكون فى الأسـنان، يكون خلقة ومصنوعا. (٥) أصلها: «لم يخطىء» فسهلت الهمزة ثم حذفت الياء. (٦) الهجان: الخالص وخيار كل شىء.
(٧) صرف نابه وبنـابه: حرقه فسمع له صـوت. والحارد: الغاضب.

ويومَ الأهــواز فلا تَنْسَــــه * ليس النَّثــا (١) والقــولُ بالبائد
إنا لنرجــوك كما تَرْتجى * صوبَ الغمام المُــبرق الراعد
فانفعْ بكفَّيك وما ضَــمَّنتا * وافعل فَعالَ السَّــيِّد المــاجد
ما لكَ لا تُعطى وأنتَ امرؤٌ * مُـــثرٍ منَ الطارف والتــالد
تَجْـــبى سجِسْتانَ وما حولهـا * مُتكئًا فى عيشــك الراغد
لا تَرهبُ الدهرَ وأيامَــــه * وتَجْـرُدُ (٢) الأرضَ مع الجــارد
إنْ يكُ مكروهٌ تَهجْنا له * وأنتَ فى المعــروف كالراقد
ثم تَرى أنّا سنَرضى بذا * كلَّا وربِّ الراكع السَّاجد
وحُرمــةِ البيت وأســتاره * ومَنْ به مِنْ ناسكٍ عابد
تلك لكم أمنيــةٌ باطـــلٌ * وغفــوةٌ من حُــلُمُ الراقــد
ما أنا إنْ هاجك مِنْ بعــدها * هَيْــجٌ بآتيــكَ ولا كابِد
ولا إذا ناطُـوك (٣) فى حَلْقــة * بحامــلٍ عنــك ولا فاقــد
فأعْـــطِ ما أعطيتَه طيِّبًا * لا خيرَ فى المَنْكود والناكد (٤)
نحن ولدناك فــلا تَجْفُنا * واللهُ قـــد وصَّــاك بالوالد
إن تك من كِنْدةَ فى بيتهـا * فإنّ أخوالَكَ من حاشـــد (٥)
شُمُّ العــرانين وأهــلُ الندى * ومُنْتَهى الضِّــيفان والرائد
كم فيهــمُ من فارس مُعْــلَم * وسائسٍ للجيش أو قائد

---

(١) كذا فى حـ . والنثا (بالتحريك والقصر) : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ . وفى سائر الأصول : « الثنا » (بثاء مثلثة بعدها نون) . (٢) جرد الأرض : جعلها جرداء .
(٣) ناطه : علقه . (٤) المنكود الذى يلح عليه فى المسألة . والناكد : الملح .
(٥) حاشد : حى من همدان .

وراكبٍ للهَـوْل يجتابُه ★ مثلَ شِهاب القَبَس الواقد

أو ملأٍ يُشْـفَى بأحلامهـم ★ من سَـفَه الجاهل والمـارد (١)

لم يجعـلِ اللهُ بأحسابنـا ★ نقصًـا وما الناقص كالزائد

وربَّ خالٍ لك، فى قومـه ★ فرعٌ طويلُ البـاع والساعد

يَحتضِر البأسَ وما يبتـغى ★ سـوى إسَار البَطَل الناجد (٢)

والطعنِ بالراية مستمكِنًا ★ فى الصفّ ذى العادية الناهد (٣)

فأرتَحْ لأخـوالك وأذكرهمُ ★ وأرحمهـمُ للسَّلَف العـائد

فإنّ أخوالَك لم يَبْرحوا ★ يُرْبُون بالرِّفـد على الرّافـد

لم يَخْـلوا يومًا ولم يَجْبُنوا ★ فى السَّلف الغازى ولا القاعد

ورُبَّ خالٍ لكَ فى قومـه ★ حمّال أثقـال لهـا واجـد

مُعْـتَرِفٍ للـرزء فى ماله ★ والحـقِّ للسائل والعـامد

١٥٥ / ٥

مدح النعمان بن بشير عامل حمص لوساطته له فى عطاء.

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيْد الأَزْدى قال حدثنى عمّى عن العبّاس بن هشام عن أبيه، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن آبن الكلْبى، وأخبرنى عمّى عن الكُرَانىّ عن العُمَرىّ عن الهَيْثم بن عدىّ، وذكره العَنَزىّ عن أصحابه، قالوا جميعا :

خرج أعشى هَمْدان إلى الشأم فى وِلاية مَرْوان بنِ الحَكَم، فلم يَنَلْ فيها حظًّا؛ فجاء إلى النعمان بن بشِير وهو عامل على حِمْص، فشكا إليه حالَه؛ فكلّم له النعمانُ ابنُ بشير اليمانيَةَ وقال لهم : هذا شاعرُ اليمن ولسانُها، وآستماحهم له؛ فقالوا : نعمْ،

---

(١) المارد : العاتى والباغى . (٢) فى ب، س : « الماجد » .

(٣) الناهد : الأسد .

يعطيه كلّ رجل منا دينارين من عطائه ؛ فقال : لا، بل أعطوه دينارًا دينارًا وٱجعلوا ذلك مُعجَّلا ؛ فقالوا : أعطه إيّاه من بيت المال وٱحتسبها على كلّ رجل من عطائه ؛ ففعل النُّعمان — وكانوا عشرين ألفًا — فأعطاه عشرين ألف دينار وٱرتجعها منهم عند العطاء . فقال الأعشى يمدح النعمان :

ولم أرَ للحاجاتِ عند ٱلتماسها * كنُعْمانَ نُعمانِ النَّدَى ابن بَشيرِ
إذا قال أوْفَى ما يقول ولم يكن * كمُدْلٍ إلى الأقوام حبلَ غُرُورِ
متى أكفرِ النعمانَ لم ألْفَ شاكرًا * وما خيرُ من لا يقتدِى بشَكُورِ
فلولا أخو الأنصارِ كنتُ كنازلٍ * ثوَى ما ثوَى لم ينقلِبْ بنَقيرِ (١)

شعره فى حرب نصيبين بين المهلب بن أبى صفرة ويزيد بن أبى صخر

وقال الهيثم بن عدىّ فى خبره : حاصَرَ المُهلَّبُ بن أبى صُفْرة نَصيبينَ، وفيها أبو قارب يَزيد بن أبى صَخْر ومعه الخَشَبيّة (٢) ؛ فقال المهلّب : يأيها الناس، لا يَهُولنّكم هؤلاء القومُ فإنما هم العَبيد بأيديها العِصيّ . فحَمَل عليهم المهلّبُ وأصحابُه فلقُوهم بالعِصيّ فهزموهم حتى أزالوهم عن موقفهم . فدسّ المهلّبُ رجلًا من عبد القيس إلى يزيد بن أبى صَخْر ليغتاله، وجعل له على ذلك جُعْلا سَنيًّا — قال الهيثم : بلغنى أنه أعطاه مائتى ألف درهم قبلَ أن يمضىَ ووعَده بمثلها إذا عاد — فٱندسّ له العَبْدىُّ فٱغتاله فقتله وقُتِل بعده . فقال أعشى هَمْدان فى ذلك :

يُسمُّون أصحابَ العِصيّ وما أرى * مع القوم إلا المَشْرفيّةَ من عَصا
ألَا أيُّها اللّيثُ الذى جاء حاذرًا (٣) * وألْقَى بناجِرىِ (٤) الخيامَ وعَرّصا

---

(١) النقير : النكتة فى ظهر النواة . (٢) الخشبية : أتباع المختار بن أبى عبيد .
(٣) حاذرا : متأهبا مستعدا . (٤) كذا فى حـ . وفى ب ، سـ : « وألقى بناجرم » . وفى أ ، ء : « وألقى بناجرى » . والظاهر من السياق أنه اسم موضع . ولم نوفق فى المظان التى بين أيدينا إلى وجه الصواب فيه .

أتحسَب غزوَ الشأم يومًا وحربَه * كبِيضٍ يُنظِّمن الجُمانَ المفصَّصا

وسيرَك بالأهواز إذ أنت آمنٌ * وشربَك ألبانَ الخلايا المُقَرَّصا (١)

فأقسمتُ لاتَجْبِي لك الدهرَ درهمًا * نَصيبُون حتَّى تُبْتلَى وتُمَحَّصا

ولا أنتَ من أثوابها الخُضْرِ لابسٌ * ولكنَّ خُشبانًا شِدادًا ومِشْقَصا (٢)

فكم ردّ من ذى حاجةٍ لاينالُها * جُدَيْعُ العَتِيك ردّه الله أبْرَصا

وشيّد بنيانا وظاهرَ كسوةً * وطال جُدَيْعُ بعد ما كان أوْقَصا

١٥٦/٥ [تصغير جدْع جديع بالدال غير معجمة] (٣) . والأبيات التى كان فيها الغناء المذكورُ معه خبرُ الأعشى فى هذا الكتاب يقولها فى زوجة له من هَمْدان يقال لها جَزْلة ، هكذا رواه الكوفيون ، وهو الصحيح . وذكَرَ الأصمعى أنها خَوْلة ، هكذا رواه فى شعر الأعشى . فذكَر العَنَزىّ فى أخبار الأعشى المتقدّم إسنادُها : أنها كانت عند الأعشى آمرأةٌ من قومه يقال لها أمُّ الجَلال (٤) ، فطالت مدتُها معه وأبغضها ، ثم خطب آمرأة من قومه يقال لها جَزْلة — وقال الأصمعى : خولة — فقالت له : لا ، حتى تُطلِّقَ أمّ الجلال ؛ فطلَّقها ، وقال فى ذلك :

طلق زوجته أم الجلال وتزوج غيرها وشعره فى ذلك

تقادَم وُدّك أمَّ الجَلالِ * فطاشت نبالُكِ عند النِّضالِ (٥)

وطال لزومُك لِى حِقْبةً * فرَثَّتْ قُوَى الحبل بعد الوِصالِ

وكان الفؤاد بها مُعجَبًا * فقد أصبح اليومَ عن ذاك سالى

---

(١) الخلايا : الإبل المخلاة للحلب ، الواحدة خلية . والمقرص : اللبن الذى يجعل فى المقارص ليصير قارصا أى حامضا . والمقارص : الأوعية التى يقرّض فيها اللبن . (٢) المشقص : نصل عريض ، وقيل : سهم فيه ذلك يرمى به الوحش . (٣) هذه الجملة ساقطة من جميع الأصول ما عدا ب ، سـ . (٤) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول هنا وفيما سيأتى : أم الحلال (بالحاء المهملة) . (٥) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول : « بعد النصال » .

صحا لا مُسيئاً ولا ظالماً * ولكنْ سَلا سَلْوةً فى جمال
ورُضْتِ خلائقَنا كلَّها * ورُضْنا خلائقكم كلَّ حال
فأعْيَيْتِنا فى الذى بيننا * تَسُومينَنى كلَّ أمرٍ عُضال
وقد تأمُرِينَ بقَطع الصديق * وكان الصديقُ لنا غيرَ قالى
وإتيانِ ما قد تجنَّبْتُه * وليداً ولُمْتُ عليه رجالى
أفاليومَ أركبُه بعد ما * علا الشَّيبُ منِّى صَميمَ القَذال (١)
لعمرُ أبيكِ لقد خِلْتِنِى * ضعيفَ القُوَى أو شديدَ المِحَال
هلُمِّى آسالى نائلاً فانظُرى * أأحرِمُك الخيرَ عند السؤال
ألمْ تعلمى أنَّنى مُعْرِقٌ * نَمانِى إلى المجد عمِّى وخالى
وأنِّى إذا ساءنى منزلٌ * عزمتُ فأوشكْتُ منه ارتحالى
فبعضَ العتاب، فلا تَهْلِكِى * فَلا لكِ فى ذاكِ خيرٌ ولا لى
فلما بدا لىَ منها البَذا * ءُ صبَّحتُها بثلاثٍ عِجالِ
ثلاثاً خرجْنَ جميعاً بها * فخلَّيْنَها ذاتَ بيْتٍ ومال
إلى أهلها غيرَ مخلوعةٍ * وما مَسَّها عندنا من نَكال
فأمستْ تَحِنّ حنينَ اللِّقا * حِ من جَزَعٍ إثْرَ مَن لا يُبالى
فحِنِّى حنينَكِ واستيقنى * بأنا اطَّرَحْناكِ ذاتَ الشمال
وأن لا رجوعَ فلا تكْذِبِيـ * ـنَ ما حنَّت النِّيبُ إثْرَ الفِصال
ولا تحسِبِينى بأنِّى ندمـ * ـتُ كلَّا وخالقِنا ذى الجَلال

فقالت له أمُّ الجلال : بئس والله بعلُ الحُرَّة وقرينُ الزوجة المسلمة أنت! وَيْحك! أعَدَدْتَ طولَ الصحبة والحرمة ذنباً تسبّنى وتهجونى به! ثم دعتْ عليه أن يُبغِّضه

(١) القذال : جماع مؤخر الرأس، أو هو مابين نقرة القفا إلى الأذن .

الله إلى زوجته التى اختارها، وفارقته. فلما انتقلت إلى أهلها، وصارت جزلة إليه، ودخل بها لم يَحْظَ عندها، ففَرِكَتْه(١) وتنكّرت له واشتدّ شغفُه بها؛ ثم خرج مع ابن الأشعث فقال فيها:

حَيِّيا جَزْلَةَ مِنّى بالسّلامِ * دُرّةَ البحرِ ومصباحَ الظّلامِ ١٥٧/٥

لا تَصُدّى بعد وُدّ ثابتٍ * واسمَعى يا أمَّ عيسى من كلامى(٢)

إنْ تَدُومى لى فوَصْلى دائمٌ * أو تَهُمّى لى بهَجْرٍ أو صِرام

أو تكونى مثلَ برقٍ خُلَّبٍ * خادعٍ يلمَعُ فى عُرْضِ الغمام

أو كتخييلِ سَرابٍ مُعْرِضٍ * بفَلاةٍ أو طُروقٍ فى المنام

فاعلمى إن كنتِ لمّا تعلمى * ومتى ما تفعلى ذاك تُلامى

بعد ما كان الذى كان فلا * تُتْبِعى الإحسانَ إلا بالتّمام

لا تَناسَىْ كلَّ ما أعطيْتِنى * مِنْ عهودٍ ومواثيقَ عِظام

واذكرى الوعدَ الذى واعدْتِنى * ليلةَ النِّصفِ من الشهر الحرام

فلئن بَدّلْتِ أو خُنْتِ بنا * وتجرّأتِ على أمِّ صَمامِ(٣)

[أم صمام: الغدر والحنث(٤)].

لا تُبالِينَ إذًا مِنْ بعدها * أبدًا تركَ صلاةٍ أو صيام

راجعى الوصلَ ورُدّى نظرةً * لا تَلَجّى(٥) فى طِمَاحٍ وأثام

---

(١) فركته: أبغضته. (٢) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «من كلام».

(٣) كذا فى أكثر الأصول. وفى م: «على أمر صمام». ولعل هذا أقرب الى الصواب، إذ لم نجد فى المظان ما يؤيد ما ورد فى أكثر الأصول، على أن يكون المعنى: على أمر شديد، و يكون التفسير الذى ورد فى ب، سـ بأنه الغدر والحنث تفسيرا بالمراد. وصمام (وزان قطام): الداهية الشديدة.

(٤) زيادة عن ب، سـ. (٥) لا تلجى (من بابى ضرب وعلم): لا تمادى. وفى الأصول: «لا تلحى» بالحاء المهملة.

وإذا أنكرتِ منّى شيمةً * ولقد يُنْكَرُ[1] ما ليس بذام
فاذكريها لى أزُلْ عنها ولا * تُسفحى عينيك بالدمع السِّجام
وأرى حبلكِ رثًّا خَلَقًا * وحبالى جُدُدًا غيرَ رِمام[2]
عَجِبتْ جزلةُ منّى أن رأتْ * لِمّتى حُفّتْ بشيب كالثَّغام[3]
ورأت جسمى علاه كَبْرةٌ * وصروفُ الدهر قد أبلتْ عظامى
وصَليتُ الحربَ حتى تركتْ * جسدى نِضوًا كأشلاء اللِّجام[4]
وهى بيضاءُ على مَنكِبها * قَطَطٌ جَعْدٌ ومَيّالٌ سُخامُ[5]
وإذا تضحك تُبدى حَبَبًا * كرُضاب المسك فى الرّاح المُدام
كَمَلتْ ما بين قَرْنٍ فإلى * موضع الخَلْخال منها والخِدام[6]
فأراها اليومَ لى قد أحدثتْ * خُلُقًا ليس على العهد القُدام

تمثل الشعبى بشعره لغربه على البصريين فى حضرة الأحنف

أخبرنى عمّى قال حدّثنا محمد بن سعيد الكُرانى قال حدّثنا العُمَرى عن الهيثم ابن عَدِىّ عن مُجالد عن الشَّعْبىّ :

أنه أتى البصرةَ أيامَ ابن الزبير، فجلس فى المسجد إلى قوم من تميم فيهم الأحنفُ ابن قَيس فتذاكروا أهلَ الكوفة وأهلَ البصرة وفاخروا بينهم ، إلى أن قال قائل مِنْ أهل البصرة : وهل أهل الكوفة إلا خَوَلُنا ؟ استنقذناهم من عَبيدهم ! (يعنى الخوارج) . قال الشعبى : فهجس فى صدرى أن تمثّلتُ قولَ أعشى همدان :

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « ولقد أنكرت » . (٢) حبل رمام : بالٍ . (٣) الثغام : نبت يكون فى الجبل ينبت أخضر ثم يبيض اذا يبس فيشبه به الشيب ؛ (٤) النضو : المهزول . وأشلاء اللجام : حدائده بلا سيور . (٥) القطط : الشعر القصير . والسخام : الشعر اللين الحسن . وفى هذا البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الروىّ . (٦) كذا فى الأصول . والخدام : الخلاخيل ، واحده خدمة (بالتحريك) . وفى ب ، س : « الحزام » .

أفخرتم أنْ قتلتمْ أعبُـدًا * وهزمتمْ مَرّةً آلَ عَزَلْ (١)

نحن سُقناهمْ إليكم عَنْوةً * وجمعنا أمرَكم بعد فشل

فإذا فاخرتمونا فاذكروا * ما فعلنا بكمُ يومَ الجمَـل

بين شيخٍ خاضبٍ عُثْنونَه * وفتًى أبيضَ وَضّاحٍ رِفَلّ (٢)

جاءنا يرفُـل فى سابغـةٍ * فذبحناه ضُحًى ذبحَ الجمَل

وعَفَونا فنَسِيتم عفـوَنا * وكفرتم نعمةَ الله الأجَلّ

١٥٨ / ٥

قال : فضحك الأحنف ، ثم قال : ياأهل البصرة ، قد فخر عليكم الشعبيّ وصدق وآنتصف ، فأحْسِنوا مجالسته .

شعره فى هزيمة الزبير الخثعمىّ بجلولاء

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرَفىّ قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنا الرياشىّ عن أبى مُحَلِّم (٣) عن الخليل بن عبد الحميد عن أبيه قال :

بعث بِشْر بن مروان الزبيرَ بنَ خُزَيمة الخَثْعَمىّ إلى الرىّ ، فلقيه الخوارج بجَلُولاء (٤) ، فقتلوا جيشَه وهزموه وأبادوا (٥) عسكره ، وكان معه أعشى هَمْدان ، فقال فى ذلك :

---

(١) العزل : الاعتزال والتنحى . ويريد بآل عزل الخوارج لاعتزالهم جماعة المسلمين .

(٢) العثنون : اللحية أو ما فضل منها بعد العارضين . والرفل من الناس : الطويل الذيل .

(٣) هو أبو محلم الشيبانى . واسمه محمد بن سعد ، ويقال محمد بن هشام بن عوف السعدى . وكان يسمى محمدا وأحمد . أعرابى ، أعلم الناس بالشعر واللغة ، وكان يغلظ طبعه ويفخم كلامه ويعرب منطقه . وقال ابن السكيت : أصل أبى محلم من الفرس ومولده بفارس ، وإنما انتسب الى أبى سعد . وقال مؤرج : كان أبو محلم أحفظ الناس ، استعار منى جزءا ورده من الغد وقد حفظه فى ليلة ، وكان مقداره نحو خمسين ورقة . وقال أبو محلم : ولدت فى السنة التى حج فيها المنصور . وتوفى سنة ثمان وأربعين ومائتين . وله من الكتب كتاب الأنواء ، وكتاب الخيل ، وكتاب خلق الإنسان (راجع كتاب الفهرست ص ٤٦ طبع أوربا) . (٤) جلولاء (بالمد) : طسوج (ناحية) من طساسيج السواد فى طريق خراسان بينها وبين خانقين سبعة فراسخ . وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦ هـ فاستباحهم المسلمون ، فسميت جلولاء الوقيعة لما أوقع بهم المسلمون . (٥) فى حـ : « وأباحوا » .

أُمِّرتْ خَثْعمٌ على غير خَيْرٍ * ثم أوصاهمُ الأمـــيرُ بسيرِ
أين ما كنتمُ تَعيفــون للنا * سِ وما تزجُرون من كل طير
ضلّت الطــيرُ عنكمُ بجَلُولا * ءَ وغرّتكمُ أمانى الزُّبـــير
قدرٌ ما أُتيح لى من فلسطيـ * ـنَ على فالجٍ(١) ثَقَال(٢) وعَيْر
خَثعمىّ مغضّص جرجمانى(٣) * محلّ غزا مع ابن نمـــير

مدح الأصمعى شعره وفضله

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم قال :

سألت الأصمعىّ عن أعشى هَمْدان فقال : هـو من الفحول وهو إسلامى كثير الشعر؛ ثم قال لى : العجب من ابن دَأْب حين يزعُم أن أعشى همدان قال :

من دعا لى غُزَيِّلِى * أربح اللهُ تجـارتُه

ثم قال : سبحان الله ! أمثلُ هذا يجوز على الأعشى ؟ أن يجزم آسمَ الله عزّ وجلّ ويرفعَ تجارتَه وهو نصب . ثم قال لى خَلَفٌ الأحمـر : والله لقد طَمِـع ابنُ دأب فى الخلافة حين ظنّ أن هــذا يُقبَل منه وأن له من المحل مثلَ أن يجوّز مثلَ هذا . قال ثم قال : ومع ذلك أيضا إن قوله :

* من دعالى غزيِّلى *

لا يجوز، إنما هو : من دعا لغزيِّلى، ومن دعا لبعير ضال .

مدح خالد بن عتاب فأجازه

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق ومحمـد بن مَزْيد بن أبى الأزهر قالا(٤) حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدىّ قال :

---

(١) الفالج : الجمل الضخم ذو السنامين يحمل من السند للفحلة . (٢) كذا فى ب ، س ، حـ والثقال (بالفتح و بالضم) : الثقيل . وفى سائر الأصول : «ثفال» (بالفاء)، والثفال (بالفتح) : البطىء من الدواب والناس . (٣) ورد هذا البيت هكذا بالأصول . (٤) فى جميع الأصول : «قال» ، وهو تحريف .

أَمْلق أعشى هَمْدان فأتى خالدَ بنَ عَتّاب بن وَرْقاء فأنشده :

رأيتُ ثناءَ الناس بالقول طيبًا * عليكَ وقالوا ماجدٌ وآبن ماجدِ
بَنِي الحارثِ السامين للجد، إنكم * بنيتم بنـاءً ذكـرُه غيرُ بائد
هَنيئًا لِما أعطاكُمُ الله واعلموا * بأنى سأُطْرِى خالدًا فى القصائد
فإن يك عَتّـابٌ مضى لسبيله * فما مات من يبقى له مثلُ خالد

فأمر له بخمسة آلاف درهم .

أنشد سابق البربرى من شعره عمر بن عبد العزيز فأبكاه

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعى قال حدّثنا أبو غسّان [قال](1) : قال عمر بن عبد العزيز يوما لسابق البربرىّ — ودخل عليه — : أنشدْنى ياسابقُ شيئا من شعرك تذكّرنى به ؛ فقال : أَوَ خيرا من شعرى ؟ فقال : هات ؛ قال قال أعشى همدان :

١٥٩ / ٥

وبينما المرءُ أمسى ناعمًا جذِلًا * فى أهله معجَبًا بالعيش ذا أَنَقِ(2)
غِرًّا، أُتيح له من حَينه عرض * فما تلبَّث حتى مات كالصَّعِق
ثُمّتَ أضحى ضُحًى من غِبّ ثالثة * مقنَّعا غيرَ ذى رُوح ولا رَمَق
يُبكَى عليـه وأدْنَوْه لمُظلِمة * تُعْلَى جوانبُها بالتُّرب والفِلَق(3)
فما تزوّد ممّا كان يجْمعه * إلّا حَنُوطًا(4) وما واراه من خِرَق
وغيرَ نفحةِ أعوادٍ تُشَبّ له * وقلّ ذلك من زادٍ لمُنطلِق

قال : فبكى عمر حتى أخضلَ لحيتَه .

---

(1) زيادة عن ا ، ء ، م .
(2) الأنق (محركة) : الفرح والسرور .
(3) فى جميع الأصول : « القلق » (بالقاف) وهو تصحيف .
(4) الحنوط : طيب يخلط للميت خاصة .

هجا شجرة العبسى بشعر أجازه عليه الحجاج

أخبرنى الحَرَمى بن أبى العَلاء قال حدثنا الحسين بن محمد بن أبى[(١)] طالب الدينارىّ قال حدثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ عن الهَيْثم بن عَدِىّ عن حَمّاد الراوية قال:

سأل أعشى همدان شَجَرةَ بن سليمان العَبْسىّ حاجةً فردّه عنها، فقال يهجوه:

لقد كنتَ خيّاطًا فأصبحتَ فارسًا * تُعَدّ إذا عُدّ الفوارس من مُضَرْ
فإن كنتَ قد أنكرتَ هذا فقُلْ كذا * وبيّن لى الجُرحَ الذى كان قد دَثَرْ[(٢)]
وإصبعُكَ الوسطى عليه شَهيدةٌ * وما ذاك إلا وَخزُها[(٣)] الثوبَ بالإبر

قال وكان يقال: إن شجرة كان خيّاطا، وقد كان ولى للحجّاج بعض أعمال السواد. فلما قدم على الحجّاج قال له: يا شجرة، أَرِنى إصبعك أَنْظُرْ إليها؛ قال: أصلح الله الأمير، وما تصنع بها؟ قال: أنظر إلى صِفَة الأعشى؛ فخجل شجرة. فقال الحجاج لحاجبه: مُرِ المُعْطِىَ أن يُعطىَ الأعشى من عطاء شجرة كذا وكذا. يا شجرة، إذا أتاك آمرُؤٌ ذو حَسَب ولسان فآشترِ عِرضَك منه.

أسره الحجاج وذكره بشعر قاله ليبكته ثم قتله

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد الأَزْدىّ قال حدثنا أحمد بن عمرو الحنفىّ عن جماعة — قال المبرّد: أحسَب أن أحدهم مؤرِّج بن عمرو السَّدُوسىّ — قالوا:

لمّا أُتِىَ الحجاجُ بن يوسف الثقفىّ بأعشى همدان أسيرًا، قال: الحمد لله الذى أمْكَن منك، ألستَ القائل:

(١) كلمة: «أبى» ساقطة فى جميع الأصول. راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣١٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة. (٢) فى ب، سـ: «دبر». وهو تصحيف. (٣) كذا فى ب، سـ. وفى سائر الأصول: «وخزك».

لمّا سَفَوْنا[1] للكَفُور الفَتّانْ * بالسيّد الغِطْرِيف عبد الرحمنْ[2]
سار بجَمع كالقَطَا[3] من قَحْطان * ومن مَعَدّ قد أتى ابن عَدْنان
أمكن ربّى من ثَقِيف هَمْدان * يوماً إلى الليل يُسَلّى ما كان
إنّ ثقيفًا منهم الكذّابان * كذّابُها الماضى وكذّابٌ ثان

أولستَ القائل :

يابنَ الأشجّ[4] قَريعِ كنـ * ـدةَ لا أبالى فيك عَتْبا
أنت الرئيسُ ابنُ الرئيـ * ـسِ وأنت أعلى الناس كعبا
نُبِّئْتُ حَجّاجَ بنَ يو * سفَ خَرّ من زَلَقٍ فتبّا
فانهض فُدِيتَ لعلّه * يجلو بك الرحمنُ كَرْبا
وابعث عطيّةَ[5] فى الخيو * ل يكُبّهنّ عليه كَبّا

كلّا يا عدوّ الله، بل عبد الرحمن بن الأشعث هو الذى خَرّ من زَلَقٍ فتَبّ ، وحار وانكبّ ، وما لقِى ما أحبّ ، ورفع بها صوته واربدّ وجهُه واهتزّ منكباه ، فلم يبق أحد فى المجلس إلا أهمّته نفسُه وارتعدت فرائصُه . فقال له الأعشى بل أنا القائل أيها الأمير :

١٦٠ / ٥

(١) كذا فى أكثر الأصول . وسفا : خف وأسرع . وفى ب ، سـ : « سمونا » .
(٢) ورد هذا الشعر فى الطبرى (ق ٢ ص ١٠٥٦) على غير هذا الترتيب و بزيادات كثيرة .
(٣) فى الطبرى : « كالدبى » والدبى : الجراد . (٤) الأشج : هو الأشعث بن قيس الكندى جد عبد الرحمن بن محمد المعنى فى هذا الشعر . والقريع : السيد . (٥) هو عطية بن عمرو العنبرى، وكان على مقدّمة جيوش عبد الرحمن بن الأشعث إلى العراق . وقد بعث إليه الحجاج بالخيل فجعل عطية لا يلق خيلا إلا هزمها . فقال الحجاج من هذا؟ فقيل عطية . فذلك قول الأعشى : وابعث عطية ... الخ .

أبى اللهُ إلا أن يتمّ نورَه * ويُطفئ نارَ الفاسقين فتخمُدَا
وينزل ذُلًّا بالعراق وأهلِه * كما نقضوا[1] العهدَ الوثيق المؤكّدا
وما لبث الحجاجُ أن سَلّ سيفَه * علينا فولّى جمعُنا وتبدّدا
وما زاحَف الحجاجُ إلا رأيتَه * حُساماً مُلَقًّى للحروب مُعوَّدا
فكيف رأيتَ الله فرّق جمعَهم * ومزّقهم عُرْضَ البلاد وشرّدا
بما نكثوا من بَيْعة بعد بيعة * إذا ضَمِنوها اليوم خاسُوا[2] بها غدا
وما أحدثوا من بِدعة وعَظيمة * من القول لم تصعَدْ إلى الله مَصْعَدا
ولمّا دَلَفْنا لابن يوسف ضِلّةً[3] * وأبرق منا العارضان وأرعدا
قطعنا إليه الخندقين وإنما * قطعنا وأفضينا إلى الموت مُرْصِدا[4]
فصادَمنا الحجاجُ دون صفوفنا * كِفاحًا ولم يضرب لذلك موعدا
بجُند أمير المؤمنين وخيلِه * وسلطانه أمسى مُعاناً مؤيَّدا
ليهنئْ أميرَ المؤمنين ظهورُه * على أمة كانوا بُغاةً وحُسّدا
وجدنا بنى مروان خيرَ أئمة * وأعظمَ هذا الخَلْق حلمًا وسُؤدُدا
وخيرَ قريش فى قريش أَرُومةً * وأكرمَهم إلّا النبىَّ محمدا
إذا ما تدبّرنا عواقبَ أمرنا * وجدنا أميرَ المؤمنين المُسَدَّدا
سيَغلِب قوما[5] غالبوا اللهَ جَهْرةً[6] * وإن كايدوه كان أقوى وأكيدا
كذاك يُضِلّ الله من كان قلبُه * ضعيفا ومن والى النفاقَ وألْحدا

---

(١) فى الطبرى (ق ٢ ص ١١١٤) : «لما نقضوا» . وفيه رواية أخرى فى بعض نسخه أشير إليها فى هامشه وهى : «بما نقضوا» . (٢) خاس : غدر ونكث . (٣) الضلة (بالكسر) : ضد الهدى .

(٤) مرصدا : مترقبا . (٥) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : «قوم» .

(٦) كذا فى الطبرى . وفى م : «حيلة» . وفى سائر الأصول : «جهلة» .

فقد تركوا الأموالَ والأهلَ خلفَهم * وبِيضًا عليهن الجلابيبَ خُرَّدا[(١)]

يناديْنهم مستعبراتٍ إليهمُ * ويُذْرِين دمعا فى الخدود وإثمِدا

وإلا تَناوَلْهُنّ منك برحمة * يكنّ سَبايا والبُعولةُ أعبُدا

تَعطّفْ أميرَ المؤمنين عليهمُ * فقد تركوا أمرَ السفاهة والرّدى

لعلهمُ أن يُحدِثوا العامَ توبةً * وتعرِفَ نُصحًا منهمُ وتودُّدا

لقد شَمِتَتْ يابنَ الأشعث العامَ مِصرَنا[(٢)] * فظلّوا وما لاقوا من الطير أَسْعُدا

كما شاءم اللهُ النُّجَيرَ[(٣)] وأهلَه * بجَدِّك مَنْ قد كان أشقى وأنكدا

فقال من حضر من أهل الشام : قد أحسن أيها الأمير، خلِّ سبيلَه ؛ فقال : أتظنون أنه أراد المدح ! لا والله ! لكنه قال هذا أسفًا لغلبتكم إياه وأراد به أن يحرّض أصحابه . ثم أقبل عليه فقال له : أظننت يا عدوّ الله أنك تخدعنى بهذا الشعر وتنفلتَ من يدى حتى تنجوَ ! ألستَ القائل ! ويحك ! :

وإذا سألتَ : المجدُ أين محلُّه * فالمجدُ بين محمد وسعيدِ

بين الأغرِّ وبين قيس باذخٌ * بَخْ بَخْ لوالدِه وللمولود ١٦١ / ٥

---

(١) الخرد : جمع خريدة، وهو جمع نادر، لأن فعيلة لا تجمع على فعل، بل القياس : خرائد وخرد (بضمتين) . والخريدة من النساء البكر التى لم تمسس قط ؛ وقيل : هى الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخفرة المستترة قد جاوزت الإعصار ولم تعنس .

(٢) رواية هذا البيت فى الطبرى هكذا :

لقد شأم المصرين فرخ محمد * بحق وما لاقى من الطير أسعدا

ولعل رواية الأصل كانت : «لقد شأمت» فسهلت الهمزة ثم حذفت . يقال : شأم فلان أصحابه يشأمهم إذا أصابهم شؤم من قبله .

(٣) النجير : حصن باليمن قرب حضرموت منيع، لجأ اليه أهل الردة مع الأشعث بن قيس فى أيام أبى بكر رضى الله عنه فحاصره زياد بن لبيد البياضى حتى افتتحه عنوة وقتل من فيه وأسر الأشعث بن قيس وذلك فى سنة ١٢ الهجرة (راجع معجم البلدان لياقوت) .

والله لا تجبخ بعدها أبدا . أو لست القائل :

وأصابنى قومٌ وكنتُ أصيبهم * فاليوم أصبِر للزمان وأعرف!

كذبتَ والله، ما كنت صبورا ولا عروفا . ثم قلت بعده :

وإذا تُصبْك من الحوادث نكبةٌ * فاْصبِرْ فكل غَيَابة ستكشَّف

أمَا والله لتكوننَّ نكبة لا تتكشف غَيَابتُها عنك أبدا ! يا حَرَسِىّ ، اضربْ عنقه ؛ فضرب عنقه .

وذكر مُؤَرِّج السَّدُوسىّ أن الأعشى كان شديدَ التحريض على الحجّاج فى تلك الحروب ، بجال أهلُ العراق جولةً ثم عادوا ، فنزل عن سرجه ونزَعه عن فرسه، ونزع درعه فوضعها فوق السرج ، ثم جلس عليها فأحدث والناس يَرَوْنه ، ثم أقبل عليهم فقال لهم : لعلكم أنكرتم ما صنعتُ ! قالوا : أوَ ليس هذا موضعَ نَكير؟ قال : لا ، كلُّكم قد سَلَح فى سرجه ودِرْعه خوفا وفَرَقا ، ولكنكم سترتموه وأظهرتُه ؛ فحَمِىَ القومُ وقاتلوا أشدَّ قتال يومَهم إلى الليل ، وشاعت فيهم الجراح والقتلى، وانهزم أهل الشأم يومئذ، ثم عاودوهم من غد وقد نَكَأتْهم[(1)] الحرب ؛ وجاء مَدَدٌ من أهل الشأم، فباكروهم القتالَ وهم مستريحون فكانت الهزيمة وقُتِل ابن الأشعث . وقد حُكِيَتْ هذه الحكاية عن أبى كَلَدة[(2)] اليَشْكُرِىّ أنه فعلها فى هذه الوقعة، وذكر ذلك أبو عمرو الشَّيْبانى فى أخبار أبى كَلَدة[(2)] ، وقد ذُكر ما حكاه مع أخباره فى موضعه من هذا الكتاب .

(١) نكأ (بالهمز) لغة فى نكى بمعنى أثخن وأكثر الجرح والقتل .

(٢) فى جميع الأصول هنا : «ابن حلزة» وهو تحريف . وقد وردت هذه القصة فى أخبار أبى كلدة اليشكرى فى الجزء العاشر من الأغانى (ص ١١٠ — ١٢٠) طبع بولاق . وقد ذكر أبو كلدة هذا فى الشعر والشعراء والطبرى باسم : أبى جلدة (بالجيم) وذكره اللسان فى مادة : كلد (بالكاف) كما فى الأغانى .

أخبار أحمد النَّصْبي ونسبه

نسبه، وهو مغن طنبوري كان ينادم عبيد الله ابن زياد

النَّصْبيّ هو صاحبُ الأنصاب . وأوّلُ من غنّى بها وعنه أُخِذ النَّصْبُ[(١)] في الغناء هو أحمد بن أُسامة الهَمْدانى، من رَهْط الأعشى الأدنَيْن . ولم أجد نسبَه متّصلا فأذكرَه . وكان يغنى بالطُّنبور في الإسلام . وكان، فيما يُقال، ينادم عُبَيْدَ الله بن زِياد سرًّا ويغنّيه . وله صنعةٌ كثيرة حسنة لم يَلْحَقها أحد من الطُّنبوريّين ولا كثير ممّن يغنّى بالعود .

حديث جحظة عنه

وذكَره جَحْظَةُ في كتاب الطُّنبوريين فأتى من ذكره بشيء ليس من جنس أخباره ولا زمانه، وثَلَبه فيما ذكره . وكان مذهبُه — عفا الله عنا وعنه — في هذا الكتاب أن يَثْلِب جميعَ من ذكره من أهل صناعته بأقبح ما قَدَر عليه، وكان يجب عليه ضدُّ هذا، لأن من انتسب إلى صناعة، ثم ذكر متقدِّمى أهلها، كان الأجملَ به أن يذكر محاسنَ أخبارهم وظريفَ قصصهم ومليحَ ما عرفه منهم لا أن يثلبهم بما لا يعلم وما يعلم . فكان فيما قرأتُ عليه من هذا الكتاب أخبارُ أحمد النَّصْبي، وبه صَدَّر كتابَه فقال : أحمد النَّصْبي أوّلُ من غنّى الأنصاب على الطنبور وأظهرها وسيّرها، ولم يخدُم خليفة ولا كان له شعر ولا أدب .

كان بخيلا مرابيا ومات بفالوذجة حارة

وحدّثنى جماعةٌ من الكوفيّين أنه لم يكن بالكوفة أبخلُ منه مع يساره[(٢)]، وأنه كان يُقرِض الناسَ بالرِّبا[(٣)]، وأنه اغتصّ في دعوة دُعى إليها بفالُوذَجةٍ حارّة فبلعها فجمعت

---

(١) النصب : ضرب من الغناء أرق من الحداء . (٢) كذا في حـ . وفي سائر الأصول : « مع أنه كان ... الخ » . (٣) كذا في ب، سـ . وفي سائر الأصول : « بعينة » والعينة (بالكسر) : الربا .

١٦٢ / ٥ أحشاءه فمات . وهذا كلّه باطل . أما الغناء فله منه صنعة فى الثقيل الأول وخفيف الثقيل والثقيل الثانى، ليس لكثيرِ أحدٍ (١) مثلُها . منها الصوت الذى تقدّم ذكره وهو قوله :

* حيِّيا خولةَ منّى بالسلامِ *

ومنها :

سَلَبتَ الجوارىَ حَلْيَهنّ فلم تَدَعْ * سِوارًا ولا طَوْقا على النحر مُذْهَبَا

وهو من الثقيل الثانى ، والشعر للعُدَيْل بن الفُرْخ (٢) ، وقد ذكرتُ ذلك فى أخباره (٣) .

ومنها :

يأيها القلبُ المطيعُ الهوى * أنّى ٱعتراك الطّربُ النازحُ

وهو أيضا من الثقيل الثانى، وأصواتٍ كثيرةٌ (٤) نادرة تدل على تقدمه .

وأما ما وَصفه من بخله وقَرْضه للناس بالرِّبا وموته من فالوذجة حارة أكلها ، فلا أدرى مَنْ مِنَ الكوفيين حدّثه بهذا الحديث ، ليس يخلو من أن يكون كاذبا ، أو نَحَل هو هذه الحكايةَ ووضعها هنا ، لأن أحمد النّصْبى خرج مع أعشى همدان وكان قرابتَه و إلفَه فى عسكر ٱبن الأشعث ، فقُتل فيمن قُتل . رَوى ذلك الثّقات من أهل الكوفة والعلم بأخبار الناس، وذلك يُذكر فى جملة أخباره .

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « لكبير » وهو تصحيف . (٢) كذا فى حـ والشعر والشعراء (ص ٢٤٤) وخزانة الأدب (حـ ٢ ص ٣٦٨)، وهو العديل بن الفرخ (بضم الفاء وسكون الراء وخاء معجمة) شاعر إسلامى فى الدولة المروانية ، ولقبه : العباب (بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة الأولى)، والعباب : اسم كلبه . وفى سائر الأصول : « للعديل بن الفرج » (بالجيم) وهو تصحيف . (٣) تقع أخباره فى (حـ ٢٠ ص ١١ — ١٩ طبع بولاق) . (٤) فى م ، ء : « وذكرت أصوات ... الخ » .

اتصاله بأعشى همدان وغناؤه بشعره فى سليم بن صالح إذ نزلا عليه

أخبرنا محمد بن مَزْيد بن أبى الأزهر والحسين بن يحيى قالا حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه، وذكره العَنَزى فى أخبار أعشى هَمْدان المذكورة عنه عن رجاله المُسَمَّيْن قال:

كان أحمد النَّصْبى مواخيًا لأعشى همدان مواصلا له، فأكثرُ غنائه فى أشعاره مثلُ صنعته فى شعره:

* حيِّيا خولةَ منِّى بالسلامِ *

و * لمن الظّعائن سيرُهن تَزَحُّفُ *

و * يأيها القلب المطيعُ الهوى *

وهذه الأصوات قلائدُ صنعته وغُرَر أغانيه. قال: وكان سبب قوله الشعرَ فى سَلِيم بن صالح بن سعد بن جابر العَنْبرىّ — وكان منزلُ سَلِيم ساباطَ المدائن[(1)] — أن أعشى هَمْدان وأحمدَ النَّصْبىّ خرجا فى بعض مغازيهما، فنزلا على سليم فأحسن قِراهما وأمر لدوابّهما بعُلُوفة[(2)] وقَضِيم[(3)]، وأقسم عليهما أن ينتقلا إلى منزله ففعلا، فعرض عليهما الشراب فأنْعَما به وطلباه فوضعه بين أيديهما وجلسا يشربان؛ فقال أحمد النَّصْبى للأعشى: قل فى هذا الرجل الكريم شعرا تمدحه به حتى أُغَنِّىَ فيه؛ فقال الأعشى يمدحه:

(١) ساباط: موضع بالمدائن لكسرى أبرويز، وهو معرب: «بلاس أباد»، وبلاس: اسم رجل. وقد ذكره الأعشى فى شعر له — يذكر النعمان بن المنذر وكان أبرويز قد حبسه بساباط ثم ألقاه تحت أرجل الفيلة — منه:

فذاك وما أنجى من الموت ربه * بساباط حتى مات وهو محرزق

(الحرزقة: التضييق). (٢) العلوفة (بالضم كما فى شرح القاموس): جمع علف، وهو ما تطعمه الدواب. (٣) كذا فى حـ. والقضيم: شعير الدابة. وفى سائر الأصول: «قضم». والقضم (بضمتين) جمع قضيم بمعنى الأديم، واسم الجمع: «قضم» (بفتحتين) عند سيبويه وقيل هو جمع أيضا، ولم تنص كتب اللغة على جمع للقضيم بمعنى الشعير.

يأيها القلبُ المطيع الهوى * أنّى اعتراك الطَّرَبُ النازحُ
تذكُر جُمْلًا فإذا ما نأتْ * طار شَعاعًا قلبُك الطامحُ
هلّا تناهيتَ وكنتَ امرأً * يزجُرك المُرشِد والنّاصح
ما لك لا تترُك جهلَ الصِّبا * وقد علاك الشَّمَط الواضح
فصار من ينهاك عن حبّها * لم تَرَ إلا أنه كاشح
يا جُمْل ما حُبّي لكم زائلٌ * عنّي ولا عن كَبِدى نازح
حُمّلت وُدًّا لكمُ خالصًا * جِدًّا إذا ما هزَل المازح
ثم لقد طال طِلابيكمُ * أسعى وخيرُ العمل النّاجح
إنى توسّمت امرأً ماجدًا * يصدُق فى مِدْحته المادح
ذؤابةَ العنبر فاخترتُه * والمرء قد يَنْعشُه الصالح
أبلَجَ بُهْلولًا(١) وظنّى به * أنّ ثنائى عنده رابح
سَلِمْ ما أنتَ بِنِكْسٍ(٢) ولا * ذمُّك لى غادٍ ولا رائح ١٦٣ ٥
أُعطيتَ وُدّى وثنائى معا * وخَلّةً ميزانُها راجح
أرعاك بالغيب وأهوى لك الرّشد وجيبى(٣) فاعلمن ناصح
إنى لِمَن سالمتَ سِلْمٌ ومن * عاديتَ أُمسى وله ناطح
فى الرأس منه وعلى أنفه * من نَقَماتى مِيسَمٌ لائح
نِعْم فتى الحىّ إذا ليلةٌ * لم يُورِ فيها زَنْدَه القادح

(١) البهلول: السيد الجامع لكل خير. (٢) النكس (بالكسر): الضعيف الدنىء الذى لا خير فيه والمقصر عن غاية النجدة والكرم. (٣) كذا فى أكثر الأصول. والجيب: القلب والصدر. يقال فلان ناصح الجيب أى أمين، ومنه قول الشاعر:

* وخشنت صدرا جيبه لك ناصح *

وفى ب، س: «وحي».

وراح بالشَّوْل(١) إلى أهلها * مغبرّةً أذقانُها(٢) كالح(٣)
وهبّت الريحُ شآميةً * فانجحر القابسُ والنابح
قد علم الحيّ إذا أمحلوا * أنك رفّادٌ لهم مانح
في الليلة القالي قِراها التي * لا غابقٌ فيها ولا صابح
فالضيف معروفٌ له حقُّه * له على أبوابكم فاتح
والخيلُ قد تعلم يومَ الوغى * أنك من جمْرتها(٤) ناضح

قال : فغنّى أحمد النَّصْبيّ في بعض هذه الأبيات ، وجاريةٌ لسَلِم في السطح ، فسمعت الغناءَ،فنزلتْ إلى مولاها وقالت : إني سمعت من أضيافك شعرًا ما سمعتُ أحسنَ منه ؛ فخرج معها مولاها فاستمع حتى فهِم، ثم نزل فدخل عليهما ، فقال لأحمد : لمن هذا الشعر والغناء؟ ومن أنتما؟ فقال : الشعر لهذا، وهو أبو المصبّح أعشى همدان، والغناء لي، وأنا أحمد النَّصْبيّ الهَمْداني؛ فانكبّ على رأس أعشى هَمْدان فقبّله وقال : كتمتُماني أنفسكما ، وكِدْتما أن تفارقاني ولم أعرفكما ، ولم أعلم خبركما، واحتبسهما شهرًا ثم حملهما على فرسين، وقال : خلّفا عندي ما كان من دوابّكما، وارجعا من مَغْزاكما إليّ . فمضيا إلى مغزاهما، فأقاما حينًا ثم انصرفا، فلما شارفا منزلَه قال أحمد للأعشى : إني أرى عجبًا! قال: وما هو؟ قال : أرى فوق قصر سَلِم ثعلبًا؛ قال : لئن كنتَ صادقا فما بقي في القرية أحد . فدخلا القرية،

---

(١) الشول : جمع شائلة على غير قياس . والشائلة من الإبل : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها . (٢) في حـ : «أرقابها» وفي ا ، ء ، م : «أذنابها» . (٣) الكالح : الأمر الشديد، وهو فاعل «راح» . (٤) الجمرة : القبيلة فيها ثلثمائة فارس، وقيل : ألف . أو هي كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لايحالفون أحدا ولا ينضمون إلى أحد، تكون القبيلة نفسها جمرة تصبر لقراع القبائل كما صبرت عبس لقبائل قيس . والناضح : المدافع الرامي .

فوجدا سَلْمًا وجميعَ أهل القرية قد أصابهم الطاعون، فمات أكثرهم وانتقل باقيهم. هكذا ذكر إسحاق، وذكر غيره: أن الحجاج طالبَ سَلْمًا بمال عظيم، فلم يُخرِج منه حتى باع كل ما يملكه، وخَرِبتْ قريتُه وتفرّق أهلها، ثم باعه الحجاج عبدًا، فاشتراه بعضُ أشراف أهل الكوفة، إما أسْماءُ بنُ خارجةَ وإما بعض نظرائه، فأعتقه.

نسبة هذا الصوت الذى قال الأعشى شعرَه (١) وصنع أحمد النصبىُّ لحنَه فى سَلْم

صوت

يأيها القلبُ المطيع الهوى * أنّى اعتراك الطربُ النازحُ
تذكُرُ جُمْلا فإذا ما نأت * طار شَعاعًا قلبُك الطامحُ
أُعطيتَ ودّى وثنائى معًا * وخَلّةً ميزانُها راجحُ ١٦٤/٥
إنى تخيرت امرأ ماجدا * يصدُق فى مِدْحته المادحُ
سَلْمُ ما أنت بنِكْسٍ ولا * ذَمُّك لى غادٍ ولا رائحُ
نِعْم فتى الحىّ إذا ليلةٌ * لم يُورِ فيها زَنْدَه القادحُ
وراح بالشَّوْل إلى أهلها * مُغْبَرّةً أذقانُها كالحُ
وهبّتِ الريحُ شآميةً * فانجحَر القابسُ والنابحُ

الشعر لأعشى همدان. والغناء لأحمد النُّصْبى، ولحنه ثانى ثقيل بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر يونس أن فيه لمالكٍ لحنا ولسنان الكاتب لحنا آخر.

---

(١) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «الذى قاله الأعشى فى شعره ... الخ» وهو تحريف.

صـــوت
من المـائة المختـارة

تَنَكَّرَ من سُعْدَى وأقفر من هندِ * مُقامُهما بين الرَّغامين[1] فالفردِ[2]
مَحَلٌّ لسُعْدَى طالمـا سكنتْ به * فأوحشَ ممن كان يسكنه بَعْدِى

الشعر لحمّاد الراوية . والغناء لعَبَادِل، ولحنـه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيف ثقيل أوّل بالوسطى، ذكر[3] الهشامىّ أنه للهُذَلىّ ، وذكر عمرو بن بانة أنه لعَبَادِل بن عطيّة[4] .

---

(١) الرغام : اسم رملة بعينها من نواحى اليمامة بالوشم ، وقد ثناه الشاعر لضرورة الشعر. (٢) كذا فى حـ ، ب ، س . والفرد : موضعان . أحدهما (بفتح الفاء) : جبـل من جبلين يقال لهما الفردان فى ديار سليم بالحجاز . والآخر (بالكسر) : موضع عند بطن إياد من ديار يربوع . والظاهر أن كلا الموضعين ليس مرادا هنا لبعد ما بينهما وبين الرغام . وفى سائر الأصول : « بالقرد » (بالقاف) ولم نعثر فى المظان التى بين أيدينا على موضـع بهذا الاسم ، والظاهر أنه اسم موضع قـريب من الرغامين .
(٣) فى جميع الأصول : « وذكر » بزيادة الواو . (٤) فى جميع الأصـول هنا : «عقبة» وهو تحريف . وستأتى ترجمته فى هذا الجزء بعد قليل .

أخبار حمّاد الراوية ونسبه

نسبه وولاؤه وعلمه بأخبار العرب وأيامها

هو حمّاد بن مَيْسرة، فيما ذكره الهيثم بن عَدِىّ، وكان صاحبه وراويته وأعلمَ الناس به، وزعم أنه مولى [بنى][1] شَيْبان . وذكر المَدائنىّ والقحذَمىّ أنه حماد بن سابور، وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها . وكانت ملوك بنى أمية تقدّمه وتؤثره وتستزيره، فيفِد عليهم وينادمهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها ويُجزلون صلته .

حدّثنا محمد بن العبّاس اليَزيدىّ وعمّى وإسماعيل العَتَكىّ قالوا حدّثنا الرِّياشىّ قال :

قال الأصمعىّ : كان حمّاد أعلمَ الناس إذا نَصَح . قال وقلت لحماد : ممن أنتم ؟ قال : كان أبى من سَبْى سَلْمان بن ربيعة، فطرحَتْنا[2] سَلْمانُ[3] لبنى شَيْبان، فولاؤنا لهم . قال : وكان أبوه يُسمَّى مَيْسرة، ويُكنى أبا ليلى . قال العَتَكىّ فى خبره : قال الرِّياشىّ : وكذلك ذكر الهيثم بن عَدِىّ فى أمر حمّاد .

سأله الوليد عن سبب تلقيبه بالراوية فأجابه

أخبرنى عمى قال حدّثنى الكُرانى قال حدّثنا العُمَرى عن العُتْبىّ والهيثم بن عَدِىّ ولَقيط[4] قالوا :

---

(١) زيادة عن حـ ومختار الأغانى وتجريد الأغانى . (٢) فى ب، س : «فطوحتنا» .

(٣) كذا فى ا، ى، م . وفى سائر الأصول : «سهمان» وهو تحريف .

(٤) هو أبو هلال لقيط بن بكر المحاربى الكوفى من بنى محارب، من الرواة للعلم المصنفين للكتب، وكان شاعرا سيىء الخلق، عاش إلى سنة تسعين ومائة، وله من الكتب : كتاب السمر، وكتاب الحراب واللصوص، وكتاب أخبار الجن . (راجع فهرست ابن النديم ص ٩٤ طبع أوربا) .

قال الوليد بن يزيد لحمّاد الراوية : بِمَ ٱستحققتَ هذا اللقب فقيل لك الراوية؟ فقال : بأنى أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعتَ به ، ثم أروى لأكثر منهم ممن تعرف أنك لم تعرفْه ولم تسمع به، ثم لا أُنشَد شعرا قديما ولا محدَثا(١) إلا ميّزتُ القديم منه من المحدَث ؛ فقال : إنّ هــذا لعلم وأبيك كثير(٢) ! فكم مقدارُ ما تحفظ من الشعر؟ قال: كثيرا، ولكنى أُنشِدك على كل حرف من حروف المعجم مائةَ قصيدة كبيرة سوى المقطَّعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام ؛ قال : سأمتحنك فى هذا، وأمره بالإنشاد؛ فأنشد الوليدَ حتى ضَجِر، ثم وكّل به من ٱستحلفه أن يصدُقه عنه و يستوفىَ عليه؛ فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين، وأخبر الوليدَ بذلك، فأمر له بمائة ألف درهم .

١٦٥ / ٥

ما كان بينه وبين مروان بن أبى حفصة فى حضرة الوليد

أخبرنى يحيى بن علىّ المنجِّم قال حدّثنى أبى قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ عن مَرْوانَ بن أبى حَفْصة، وأخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى أبو بكر العامرىّ عن الأثْرم(٣) عن مروان بن أبى حَفْصة قال :

دخلت أنا وطُرَيح بن إسماعيل الثَّقَفِى والحسين بن مُطَير الأَسَدى فى جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد وهو فى فُرُش قد غاب فيها، وإذا رجل عنده، كلّما أنشد شاعرٌ شعرًا، وقف الوليدَ بن يزيد على بيت بيت من شعره وقال: هذا أخذه من موضع كذا وكذا، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان، حتى أتى على أكثر الشعر؛ فقلت : من هذا ؟ فقالوا : حمّاد الراوية . فلما وقفت بين يدى

(١) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : «شعرا لقديم ولا محدث» . (٢) كذا فى تجريد الأغانى ومختار الأغانى . وفى الأصول : « كبير » (بالباء الموحدة) وهو تصحيف .

(٣) هو أبو الحسن على بن المغيرة صاحب الأصمعى وأبى عبيدة، روى عن جماعة من العلماء وعن فصحاء العرب، وتوفى سنة ثلاثين ومائتين . (راجع فهرست ابن النديم ص ٥٦ طبع أوربا) .

الوليدِ أُنشِـده قلت: ما كلام هذا فى مجلس أمير المؤمنين وهو لُحَنة لَحّانة؛ فأقبل الشيخ علىّ وقال: يابن أخى، إنى رجل أُكلِّم العامة فأتكلم بكلامها، فهل تروى من أشعار العرب شيئا؟ فذهب عنّى الشعرُ كله إلا شعرَ ابن مُقْبِل؛ فقلت له: نعم، شعرَ ابن مُقبل؛ قال: أَنشِدْ، فأنشدتُه قوله:

سَلِ الدارَ من جَنْبَىْ حِبِرٍّ فواهبٍ * إذا ما رأى هَضْبَ القَليبِ المُضَيَّحُ (١)

ثم جُزْتُ؛ فقال لى: قف فوقفت؛ فقال لى: ماذا يقول؟ فلم أدر ما يقول! فقال لى حماد: يابن أخى، أنا أعلم الناس بكلام العرب. يقال: تراءَى الموضعان إذا تقابلا.

سأل الهيثم بن عدىّ عن معنى شعر فعجز

حدّثنى عمّى قال حدّثنى الكُرّانى عن العُمَرى عن الهيثم بن عدىّ قال: قلت لحماد الراوية يوما: أَلْقِ علىّ ما شئت من الشعر أفسِّره لك؛ فضحك وقال لى: ما معنى قولِ ابن مُزَاحِم الثُّمَالىّ (٢):

تَخَوَّفَ السيرُ منها تامكًا قَرِدًا * كما تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعةِ السَّفَنُ (٣)؟

---

(١) كذا فى معجم ما استعجم. وحبر (بكسر أوله وثانيه وبالراء المهملة المشدّدة): جبل لبنى سليم وكذلك واهب. وهضب القليب: ماء لبنى قنفذ من بنى سليم، وهناك قتلت بنو قنفذ المقصص العامرى. والمضيح (بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد الياء المثناة المفتوحة بعدها حاء مهملة): ماء لبنى البكاء. وقد ورد هذا البيت فى الأصول محرّفا هكذا:

سل الدار من خبىّ خيبر فذاهب * إذا ما رأى هضب القليب المصبح

(٢) كذا فى مختار الأغانى وهامش لسان العرب (مادة سفن). وفى جميع الأصول: «مزاحم». وقد نسب هـذا البيت لذى الرمة كما نسب لابن مقبل ولعبد الله بن عجلان النهدى. (راجع اللسان والصحاح مادتى سفن وخوف). (٣) التامك: السنام. والقرد: المتلبد الصوف. والسفن: الحديدة التى تبرد بها القسىّ. ورواية هذا البيت فى الصحاح (مادتى سفن وخوف):

تخوف الرحل منها ... * ... ظهر النبعة السفن

فلم أَدْرِ ما أقول ؛ فقــال : تخوُّف : تنقُّص . قال الله عز وجل : ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾ أى على تنقُّص .

قال الهَيْثم : ما رأيت رجلا أعلمَ بكلام العرب من حمّاد .

كذب الفــرزدق فى شعر نسبه لنفسه فأقــر

حدّثنى محمد بن خَلَف وَكِيع قال حدثنى الكُرَانىّ محمد بن سعد عن النَّضْر بن عمرو عن الوليد بن هشام عن أبيه قال :

أنشدنى الفرزدق وحمادٌ الراوية حاضر :

وكنتَ كذئب السَّوْء لـمّا رأى دمًا * بصاحــبه يومًا أحالَ على الدمِ (١)

فقال له حماد : آنت تقوله؟ قال : نعم؛ قال : ليس الأمر كذلك، هذا لرجل من أهل اليمن ؛ قال : ومن يعلم هذا غيرُك ! أفأردتَ (٢) أن أتركه وقد نَحَلَنيه الناسُ ورَوَوْه لى لأنك تعلمه وحدَك ويجهله الناسُ جميعًا غيرَك ! .

كان هو وأبو عمرو كل منهما يقــدم الآخر على نفسه

حدّثنى (٣) محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدّثنى الفَضْل قال حدّثنى ابن النَّطّاح قال حدّثنى أبو عمرو الشَّيْبانى قال :

ما سألت ابا عمرو بنَ العَلاء قطُّ عن حَمّاد الراوية إلا قدّمه على نفســه ، ولا سألت حَمّادا عن أبى عمرو إلا قدّمه على نفسه .

هو أحد الحمادين الثــلاثة

١٦٦ / ٥

حدّثنا إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم، وذكر عبد الله بن مسلم عن الثَّقفىّ عن إبراهيم بن عُمَر [و] (٤) العامرى قالا :

---

(١) أحال على الدم : أقبل عليــه . (٢) فى ب ، سـ : « فأردت » . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « قال حدثنى » . (٤) زيادة عن م . ولا تستقيم العبارة بغير هذه الزيادة .

كان بالكوفة ثلاثةُ نفر يقـال لهم الحمّادون : حماد عَجْرد، وحماد بن الزِّبْرِقان، وحماد الراوية، ، يتنادمون على الشراب و يتناشدون الأشـعار و يتعاشرون معاشرة جميلة، وكانوا كأنهم نفس واحدة، وكانوا يُرمَوْن بالزندقة جميعا .

كان بخيلا فداعبه مطيع وابن زياد عن سراجه

أخبرنى الحسن[1] بن يحيى المِرْداسىّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : دخل مُطيع بن إياس ويحيى بن زِياد على حماد الراوية، فإذا سِراجه على ثلاث قَصَبات[2] قد جُمع أعلاهنّ وأسفلهنّ بطين ، فقال له يحيى بن زياد : ياحماد، إنك لمُسْرِف مبتذِل لحُرّ المتاع؛ فقال له مُطيع : ألا تبيع هذه المنارة وتشترى أقلّ ثمنا منها وتنفق علينا وعلى نفسك البـاقى ونتّسع به ؟ فقال له يحيى : ما أحسنَ ظنَّك به ! ومن أين له مثلُ هذه ؟ إنمـا هى وديعة أو عارية؛ فقال له مطيع : أمَا إنه لعظيم الأمانة عند الناس ! قال له يحيى : وعلى عظيم أمانته فما أجهل من يُخرِج مثلَ هذه من داره و يأمَن عليهـا غيرَه ! قال مطيع : ما أظنها عاريةً ولا وديعة ولكنى أظنها مرهونة عنـده على مال، وإلا فمن يُخرج هذه من بيته ! فقال لهما حماد : قوما عنى يأبْنَىِ الزانيتين وآخرُجا من منزلى، فشرٌّ منكما من يُدخلكما بيتَه .

كان منقطعا ليزيد لجفاء هشام ولما ولى الخلافة كتب ليوسف بن عمر بارساله ليسأله عن شعر وأكرمه

حدّثنى الحسن بن على قال حدّثنا أحمد بن عُبيد أبو عَصيدة قال حدّثنى محمد ابن عبد الرحمن العَبْدى عن حُميد بن محمد الكُوفى عن إبراهيم بن عبد الرحمن القُرَشى عن محمد بن أنَس، وأخبرنى الحسين[3] بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهَيْثم بن عَدِىّ عن حمّاد الرواية، وخبر حمّاد بن إسحاق أتمّ واللفظ له .

(١) فى جميع الأصول هنا : « الحسن » ، وقد مر فى أكثر من موضع من الأجزاء السابقة باسم «الحسين» وفى القليل منها باسم «الحسن» ولم نوفق إلى تصويبه . (٢) فى حـ : «قضبات» (بالضاد المعجمة) : جمع قضبة وهى القضيب أو القدح من نبع يجعل منه سهم . (٣) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : « الحسن » . (راجع الحاشية الأولى من هذه الصفحة) .

قال حماد الراوية : كان انقطاعى إلى يزيد بن عبد الملك،فكان هشام يجفونى لذلك دون سائر أهله من بنى أميــة فى أيام يزيد، فلما مات يزيد وأفضت الخلافةُ إلى هشام خِفْتُه، فكثت فى بيتى سنةً لا أخرج إلا لمن أثق به من إخوانى سراً؛ فلما لم أسمع أحدا يذكرنى سـنةً أَمِنتُ فخرجت فصلّيت الجمعة، ثم جلست عنـد باب الفيل فإذا شُرَطيّان(٢) قد وقفا علىّ فقالا لى : ياحمّاد، أجب الأمير يوسف ابن عمر، فقلت فى نفسى : مِنْ هذا كنت أحذَر، ثم قلت للشُّرَطيَّيْن : هل لكما أن تَدَعانى آتى أهلى فأودّعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبدا ثم أصير معكما إليه ؟ فقالا : ما إلى ذلك من سبيل . فآستسلمتُ فى أيديهما وصرت إلى يوسف بن عمر وهو فى الإيوان(٣) الأحمر، فسلّمت عليه فردّ علىّ السلامَ، ورمى إلىّ كتاباً فيه : "بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هشـام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر، أما بعـد ، فإذا قرأتَ كتابى هـذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غيرَ مُرَوَّع ولا مُتعتَع، وادفع إليـه خمسمائة دينـار وجملا مَهْريا(٤) يسير عليه آثنتى عشرة ليـلةً إلى دمشق" . فأخذتُ الخمسمائة الدينار ، ونظرت فإذا جمل مَرْحول، فوضعت

(٢) يستبعد أن تكون هـذه القصة مع يوسـف بن عمر الثقفى لأنه لم يكن واليا بالعراق فى التاريخ المذكور بل كان متوليه إذ ذاك خالد بن عبد الله القسرى . لأن هشاما تولى الخلافة لليال بقين من شعبان سنة ١٠٥ هـ . والخبر صريح فى أن هذه الحادثة وقعت بعد عام من تولى هشام الخلافة وكان الوالى على العراق حينذاك القسرى لا الثقـفى ، لأن هشاما عزل عمر بن هبيرة عن العـراق وولى مكانه خالدا فى شوّال سـنة ١٠٥ هـ، وبقى خالد واليا عليه حتى سنة ١٢٠ هـ وهى السنة التى عزله فيها عنه هشام وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفى . (راجع ابن خلكان — فى ترجمتى حماد وخالد — والطبرى ق ٢ ص ١٤٦٦).

(٣) الإيوان : الصفة العظيمة كالأزج وهو البيت يبنى طولا .

(٤) المهرية من الإبل : نسبة إلى مهرة بن حيدان وهو حى من قضاعة من عرب اليمن ، وهى نجائب تسبق الخيل ، وقيل : إنها لا يعدل بهـا شىء فى سرعة جريانها ، ومن غريب ما ينسب إليها أنها تفهم مايراد منها بأقل أدب تعلمه ، ولها أسماء إذا دعيت بها أجابت سريعـا .

رجلى فى الغَرْز(١) وسرتُ اثنتى عشرةَ ليلةً حتى وافيتُ بابَ هشام، فاستأذنتُ فأُذن لى، فدخلت عليه فى دارٍ قَوْراء(٢) مفروشة بالرُّخام، وهو فى مجلس مفروش بالرخام، و بين كل رخامتين قضيبُ ذهبٍ، وحيطانه كذلك، وهشام جالس على طِنْفِسَةٍ حمراءَ وعليه ثياب خَزٍّ حُمْرٌ وقد تضمَّخ بالمسك والعنبر، و بين يديه مسك مفتوت فى أوانى ذهب يقلِّبه بيده فتفوح روائحه، فسلّمت فردّ علىّ، وآستدنانى فدنوت حتى قبّلت رجلَه، وإذا جاريتان لم أَرَ قبلهما مثلهما، فى أُذُنَىْ كلّ واحدة منهما حَلْقتان من ذهب فيهما لؤلؤتان تتوقّدان، فقال لى: كيف أنت ياحماد وكيف حالك؟ فقلت بخير ياأمير المؤمنين؛ قال: أتدرى فيمَ بعثتُ إليك؟ قلت: لا؛ قال: بعثت إليك لبيتٍ خطر ببالى لم أدر مَنْ قاله؛ قلت: وما هو؟ فقال: ١٦٧/٥

فدعَوْا بالصَّبُوح يوماً فجاءت * قَيْنَةٌ فى يمينها إبريقُ

قلت: هذا يقوله عَدِىّ بن زيد فى قصيدة له؛ قال: فأنشِدْنيها، فأنشدتُه:

بكَر العاذلون فى وَضَح الصبـ * ـح يقولون لى ألَا تستفيقُ
و يلومون فيك ياَبنةَ عبد الله والقلب عندكم مَوْهوق(٣)
لستُ أدرى إذ أكثروا العذلَ عندى * أعدوٌّ يلومنى أو صديق
زانها حسنُها وفَرْعٌ عَمِيم * وأَثِيثٌ(٤) صَلْتُ الجبين أنيق
وثنايا مُفَلَّجات عِذاب * لا قِصارٌ تُرى ولا هُنّ رُوق(٥)
فدعَوْا بالصَّبُوح يوما فجاءت * قَيْنةٌ فى يمينها إبريق

(١) الغرز: ركاب الرحل من جلد، فاذا كان من خشب أو من حديد فهو ركاب. (٢) قوراء: واسعة. (٣) الموهوق: المشدود بالوهق، وهو الحبل المغار يرمى فيه أنشوطة فتؤخذ فيه الدابة والإنسان. (٤) الفرع: الشعر. والأثيث: الكثير، يطلق على الشعر وعلى البدن الممتلىء اللحم، وهو المراد هنا. والصلت: الواضح. (٥) روق: طوال.

قــدّمتْه على عقــار كعين الـ ـدّ يــك صَــفّى سُلافَهــا الرّاووق(١)
مُرّة قبــل مزجهــا فإذا ما * مُزجت لذّ طعمَها من يذوق
وطفَت فوقهــا فقاقيــعُ كالد رّ صِــغار يُثــيرها التَّصْــفيق
ثم كانــ المِــزاج ماءَ سمــاء * غــيرَ ما آجِنٍ ولا مَطْــروق

قال : فطرب ، ثم قال : أحسنت والله يا حَمّاد، يا جاريةُ اسقيه، فسقتني شَرْبة ذهبت بثلث عقلي . وقال : أَعِد ، فأعدت ، فآستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه ، ثم قال للجــارية الأخرى : اسـقيه، فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي . فقلت : إن سقتني الثالثــةَ آفتضحت ، فقــال : سَلْ حوائجَك، فقلت : كائنــةً ما كانت؟ قال : نعم؛ قلت : إحدى الجاريتين؛ فقال لي : هما جميعا لك بما عليهما وما لهما ، ثم قال للأولى : اسقيه ، فسقتْني شَرْبةً سقطتُ معها، فلم أعقِل حتى أصبحتُ فإذا بالجاريتين عند رأسي، وإذا عِدّة من الخدم مع كل واحد منهم بَدْرة، فقال لي أحدهم : أميرُ المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك : خذ هذه فآنتفع بها، فأخذتُها والجاريتين وآنصرفت . هذا لفظ حَمّاد عن أبيه . ولم يقل أحمد بن عُبيد في خبره أنه سـقاه شيئا ، ولكنّه ذكر أنه طرِب لإنشاده ، ووهب له الجاريتين لمّــا طلب إحداهما، وأنزله في دار، ثم نقــله من غدٍ إلى منزل أعدّه له ، فآنتقل إليــه فوجد فيــه الجاريتين وما لهما وكلّ ما يحتــاج إليه ، وأنه أقام عنــده مدّة فوصل إليــه مائةُ ألف درهم ، وهــذا هو الصحيح ؛ لأن هشاماً لم يكن يشرب ولا يسقي أحد بحضرته مسكرا، وكان يُنكر ذلك ويَعيبه ويعاقب عليه .

(١) الراووق : المصفاة وناجود الشراب الذي يروق فيه . والناجود : الوعاء .

فى أبيات عدىّ المذكورة فى هذا الخبر غناءٌ، نِسْبته :

صــــوت

بكَر العاذلون فى وَضَح الصبـ * ـح يقولون ماله لا يُفيـق

ويلومون فيـكِ يابنـةَ عبـد الله والقلبُ عنـدكم مَوْهـوق ١٦٨/٥

ثم نادَوْا إلى الصَّبُوح فقامت * قَيْـنة فى يمينهـا إبريـق

قدّمتْـه على عُقار كعين الدِّيك صفّى سُلافَهـا الراووق

فى البيتين الأوّلين لحن من الثقيل الأوّل مختلَفٌ فى صانعه، نَسَبه يحيى بن المكىّ إلى معبد، ونسبه الهشامىّ إلى حُنين . وفى الثالث وهو "ثم نادوا" والرابع لعبد الله ابن العباس الرَّبيعىّ رَمَلٌ، وفيهما خفيفُ رَمَلٍ يُنسب إلى مالك وخفيف ثقيل، ذكر(١) حَبَش أنه لحُنَين .

أجازه يوسف ابن عمر بأمر الوليد وأرسله إليه مكرما

أخبرنى(٢) محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الأصمعىّ قال :

قال حماد الراوية : كتب الوليدُ بن يزيد وهو خليفة إلى يوسف بن عمر: آحمِلْ إلىّ حمادًا الراوية على ما أَحبّ من دوابّ البريد، وأعطِه عشرة آلاف درهم مَعُونة له ؛ فلما أتاه الكتاب وأنا عنده نبذه إلىّ، فقلتُ : السمع والطاعة ، فقال : يادُكَين بن شَجَرة، أعطه عشرة آلاف درهم، فأخذتُها . فلما كان اليوم الذى أردت الخروج فيه أتيت يوسف مودّعا، فقال : ياحماد ، أنا بالموضع الذى قد عرفتَ من أمير المؤمنين، ولستُ مستغنيًا عن ثنائك، فقلت : أصلح الله الأمير :

(١) فى جميع الأصول : « وذكر » ولا تستقيم العبارة بزيادة الواو .

(٢) وردت هذه القصة فى أخبار ابن عائشة فى الجزء الثانى من هذه الطبعة مع اختلاف يسير .

"إنّ العوانَ لا تعلَّم الخِمْرة"[١] . فخرجتُ حتى أتيتُ الوليـد بن يزيد وهو بالبَخْراء[٢]، فاستأذنتُ فأذن لى، فإذا هو على سرير ممهّد وعليه ثوبان : إزار ورداء يقيئان الزعفران قيئًا، وإذا عنـده معبَد ومالكٌ وأبو كامل مولاه، فـتركنى حتى سكن جاشى، ثم قال : أنشِدْنى :

* أَمِنَ المنونِ ورَيْبِها تتوجّعُ *

فأنشدتُه إيّاها حتى أتيتُ على آخرها . فقال لساقيه : اسقه ياسَبْرة أكؤسا، فسقانى ثلاث أكؤس خدّرتْ ما بين الذؤابة والنعل . ثم قال : يامعبد غنّنى :

ألا هل جاءكَ الأظعا * نُ إذ جاوزن مُطَّلَحا[٣]

فغنّاه . ثم قال : غننى :

أتنسى[٣] إذ تودّعنا سُلَيمى * بفرع بَشَامةٍ، سُقِىَ البَشَامُ[٥]

فغنّى . ثم قال : غننى :

جلَا أُميّـــة عنّـا كلَّ مَظْلِمة * سهلُ الحِجابِ وأوْفَى بالذى وعَدا

(١) العوان : النصف فى سنها . والخمرة : من الاختمار اسم هيئة . وهذا مثل يضرب للرجل المجرب الذى لا يحتاج إلى أن يعلم كيف يفعل .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . وهى ماءة منتنة على ميلين من القليعة فى طرف الحجاز . وفى سائر الأصول : « النجراء » (بنون بعدها جيم) وهو تصحيف .

(٣) قال ياقوت فى معجمه فى الكلام على مطلح : «هو موضع فى قوله :

* وقد جاوزن مطلحا * »

ولم يتعرض له بأكثر من هـذا ولم نجده فى غيره من المظان .

(٤) ورد صدر هـذا البيت فى اللسان مادة «بشم» هكذا :

* أتذكر يوم تصقل عارضيها *

وصدر هذا البيت فى التهذيب :

* أتذكر إذ تودعنا سليمى *

(٥) البشام : شجر طيب الريح والطعم يستاك به . يعنى بالبيت أنها أشارت بسواكها فكان ذلك وداعها ولم تتكلم خيفة الرقباء .

فغنّاه . ثم قال : اسقنى ياغلام بزُبِّ فرعون ، فأتاه بقدح معوَّج فيه طول فسقاه به عشرين قدحا . ثم أتاه الحاجب فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ، الرجلُ الذى طلبتَ بالباب؛ فقال : أدخله ، فدخل غلام شابٌّ لم أر أحسن منه وجها (١) فى رجله فَدَع (٢) ، فقال : ياسَبْرة اسقه كأسا، فسقاه، ثم قال له : غنّى :

وهْى إذ ذاك عليها مئزر * ولها بيتُ جَوَارٍ من لُعَبْ

فغنّاه، فنبذ إليه أحد ثوبيه، ثم قال : غنّى :

طَرَق الخيالُ فمرحَبَا * ألفًا برؤية زينبا

فغضب معبد وقال : يا أمير المؤمنين، إنا مُقْبلون إليك بأقدارنا وأسناننا، وإنك تتركنا بمَزْجر الكلب وأقبلتَ على هذا الصبى؛ فقال : والله يا أبا عبّاد ما جهلت قدرَك ولا سِنّك، ولكن هذا الغلام طرحنى على مثل الطّياجن (٣) من حرارة غنائه . فسألتُ عن الغلام؟ فإذا هو ابن عائشة .

١٦٩ / ٥

كان فى حانة فطلبه المنصور فجاءه وأنشده من شعر عفان بن همام

حدّثنى الحسن بن محمد المادَرَانىّ الكاتب قال حدّثنى الرياشىّ عن العُتْبىّ، وأخبرنى به هاشم بن محمد عن الرياشى — وليس خبره بتمام هذا — قال :

طلب المنصور حمّادًا الراوية ، فطُلب ببغداد فلم يوجد ، وسئل عنه إخوانه فعرّفوا من سألهم عنه أنه بالبصرة ، فوجّهوا إليه برسول يُشْخِصُه . قال الرسول : فوجدته فى حانة وهو عُرْيان يشرب نبيذًا من إجّانة (٤) وعلى سوأته رأس دَسْتَجة (٥) ، فقلت : أجب أمير المؤمنين . فما رأيتُ رسالةً أرفع ولا حالة أوضع من

(١) فى ب ، س : «لم أر ... وجها من رجل فى رجله ...الخ» ولايستقيم الكلام بهذه الزيادة .

(٢) الفدع : عوج وميل فى المفاصل كلها خلقة أو داء . (٣) كذا فى أكثر الأصول . والطياجن : الطوابق يقلى عليها . وفى ب ، س : «الطناجير» وهو تحريف . (٤) الإجانة : آنية تغسل فيها الثياب . (٥) كذا فى أ ، ء . والدستجة : الإناء الكبير من الزجاج معرب : «دستة» وفى حـ ، م : «دسيتجة» (بالتصغير) . وفى ب ، س : «دستيجة» ولعلها محرفة عما فى حـ ، م .

تلك . فأجاب، فأشخصتُه إليه . فلما مَثَل بين يديه، قال له : أنشدنى شعرَ هِفّان ابن هَمّام بن نَضْلة يرثى أباه؛ فأنشده :

خليلَىَّ عُوجَا إنها حاجةٌ لنا * على قبر هَمّامٍ سقتْه الرواعدُ
على قبر مَنْ يُرجى نداه ويُبتَغى * جَداه إذا لم يَحمَد الأرضَ رائد
كريم النَّثا(1) حلو الشمائل بينه * وبين المُزَجَّى(2) نَفْنفٌ متباعد
إذا نازع القومَ الأحاديثَ لم يكن * عَيِيًّا ولا ثِقْلًا على من يقاعد
صبورٌ على العِلّات يُصبح بطنُه * خَميصا وآتيه على الزاد حامد
وضعنا الفتى كلَّ الفتى فى حَفِيرة * بُحُرِّين(3) قد راحتْ عليه العوائد
صريعا كنصل السيف تضرِبُ حوله * ترائبَهن(4) المُعْوِلاتُ الفواقد

قال : فبكى أبو جعفر حتى أخضل لحيته، ثم قال : هكذا كان أخى أبو العباس رضى الله عنه .

ذكره ابن إياس لابن الكردية فطلبه واستنشده فأنشده شعرا أغضبه فضربه

أخبرنى الحسين(5) بن يحيى المِرْداسىّ قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان جعفر بنُ أبى جعفر المنصور المعروف بابن الكُرْدِيّة يَستخفّ مُطيع بن إياس ويحبه، وكان منقطعا إليه وله معه منزلة حسنة ، فذكر له حمادا الراوية ،

---

(1) النثا (بالتحريك والقصر) : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ . وفى الأصول : «النسا» . (2) المزجى : الضعيف . وسمى مزجى لتأخره وحاجتهم إلى تزجيته واستحثاثه فيما يعن . والنفنف : المهواة بين الجبلين . (3) كذا فى ب ، سه . وحرين (بالضم ثم الكسر والتشديد وآخره نون) : بلد قرب آمد . وفى سائر الأصول : «بجوين» ولم نجد بلدا بهذا الاسم فى المظان التى بين أيدينا . (4) الترائب : عظام الصدر، واحدها تريبة . والفواقد : من فقدن أزواجهن أو أولادهن . (5) فى جميع الأصول هنا : «الحسين» ويلاحظ أن هذا الاسم ورد مضطربا فيما مر من الكتاب بين : «الحسن» و «الحسين» ولم نوفق إلى مرجع نرجح به إحدى الروايتين .

وكان صديقَه، وكان مُطَّرَحًا مجفوّا فى أيامهم ، فقال : ائتنا به لنراه . فأتى مطيع حمّادًا فأخبره بذلك وأمره بالمَسير معه إليه ؛ فقال له حماد : دعنى فإن دولتى كانت مع بنى أمية ومالى عند هؤلاء خير ، فأبى مطيعٌ إلّا الذهابَ إليه ، فآستعار حماد سَوَادا وسيفا ثم أتاه ، ثم مضى به مطيعٌ إلى جعفر . فلما دخل عليه سلّم عليه سلاما حسنا وأثنى عليه وذكر فضله ؛ فردّ عليه وأمره بالجلوس فجلس . فقال جعفر : أنشِدْنى ؛ فقال : لمن أيها الأمير ؟ ألشاعرٍ بعينه أم لمن حضَر؟ قال : بل أنشدنى لجَرير . قال حمّاد : فسُلِخ والله شعرجرير كلُّه من قلبى إلا قولَه :

بانَ الخليطُ برامتَيْن(١) فودّعوا * أوَ كلّما اعتزموا(٢) لبَيْنٍ تجزَعُ

فاندفعتُ فأنشدتُه إياه، حتى آنتهيتُ إلى قوله :

وتقول بَوْزَعُ قد دبَبْتَ على العصا * هلّا هَزِئتِ بغيرنا يابَوْزَعُ

قال حماد : فقال لى جعفر : أعِد هذا البيت، فأعدته؛ فقال : بَوْزع، أىُّ شىء هو؟ فقلت : اسم آمرأة ؛ فقال : أَمرأة آسمها بَوْزع! هو برىء من الله ورسوله ونفىٌّ من العباس بن عبد المطلب إن كانت بَوْزع إلا غُولا من الغِيلان ! تركتَنى والله يا هذا لا أنام الليلةَ من فزع بَوْزع ؛ يا غلمان! قفّاه ؛ فصُفِعتُ والله حتى لم أدرِ أين أنا ؛ ثم قال : جُرّوا برجله : فجَرُّوا برجلى حتى أُخرجت من بين يديه مسحوبًا ، فتخرّق السواد وآنكسر جفن السيف ولقيتُ شرًّا عظيما مما جرى علىّ؛ وكان أغلظَ من ذلك كلِّه وأشدّ بلاءً إغرامى ثمنَ السّواد وجفنِ السيف ؛ فلما

١٧٠ / ٥

(١) رامتين : تثنية رامة ، وكثير من أسماء المواضع يأتى فى الشعر مفردا ومثنى ومجموعا حسب الضرورة الشعرية . ورامة : منزل بينه وبين الرمادة ليلة فى طريق البصرة إلى مكة ومنه إلى إمرة . وهى آخر بلاد بنى تميم ، وبين رامة وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة ، وقيل هى هضبة أو جبل لبنى دارم .

(٢) فى النقائض (ص ٩٦١ طبع أوربا) : « وضعوا » . ووضع القوم : أمعنوا فى البلاد .

انصرفت أتانى مُطيع يتوجّع لى؛ فقلت له : ألم أخبرك أنى لا أصيب منهم خيراً وأنّ حظّى قد مضى مع بنى أمية ! .

حديثه مع مأبون

حدّثنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال :

بلغنى أن رجلا تحــدّث فى مجلس حماد الراوية فقال : بلغنى أن المأبون له رحم كرحم المرأة — قال : وكان الرجل يُرمَى بهذا الداء — فقال حماد لغلامه : اكتب هذا الخبرَ عن الشيخ، فإن خير العلم ما حُمل عن أهله .

كتب إلى بعض الأشراف شعرا يسأله جبة فأرسلها إليه

قال : وكتب حماد الراوية إلى بعض الأشراف الرؤساء قال :

إن لى حاجةً فـرأيَك فيهـا * لك نفسى فِدًى من الأوصابِ
وهى ليست ممـا يبلّغهـا غيـ(١) * ـرى ولا يسـتطيعها فى كتاب
غيرَ أنّى أقولها حين ألقا * كَ رُوَيْدًا أُسِرُّها فى حجـاب

فكتب إليه الرجل : اكتب إلىّ بحاجتك ولا تَشْهَرنى بشعرك؛ فكتب إليه حماد :

إننى عاشـق لجُبّتك الدّكـ * ـناءِ عشقًا قد حال دون الشرابِ
فاكسُنيها فدتْك نفسى وأهـلى * أتَبـاهَى بهـا على الأصحـاب
ولك الله والأمانة أن أجـ * ـعلها عمرَها أمـيرَ ثيـابى

فبعث إليه بها . وقد رُويتْ هذه القصة لمُطيع بن إياس .

هو والخزيمى وغلام أمرد

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنى أبو يعقوب الخُزَيمىّ(٢) قال :

---

(١) كذا فى مختار الأغانى وتجريد الأغانى . وفى الأصول : «يبلغه» . (٢) الخزيمى : هو إسحاق بن حسان، ويكنى أبا يعقوب . وقد ورد فى الشعر والشعراء باسم الخريمى (بالراء) . والظاهر أن هذه الرواية أصح لأنه كان مولى ابن خريم الذى يقال لأبيه : خريم الناعم وهو خريم بن عمرو من بنى مرة (راجع الشعر والشعراء ص ٥٤٢ طبع ليدن والكامل للبرد ص ٣٢٨ طبع أوربا) .

كنت فى مجلس فيه حماد عَجْرَد وحماد الراوية ومعنا غلام أمرَدُ، فنظر إليه حماد الراوية نظرا شديدا وقال لى : يا أبا يعقوب، قد عزمت الليلةَ على أن أدِبَّ على هذا الغلام؛ فقلت : شأنَك به. ثم نِمْنا، فلم أشعُر بشىء إلا وحماد ينيكنى، وإذا أنا قد غَلِطت ونِمْت فى موضع الغلام، فكرهت أن أتكلّم فينتبهَ الناس فأفتضحَ وأُبطلَ عليه ما أراد، فأخذت بيده فوضعتها على عينى العوراء ليعرفَنى؛ فقال : قد عرفتُ الآن، فيكون ماذا ! وفديناه بذِبْح عظيم . قال : وما بَرِح (١) علم الله وأنا أعالجه جهدى فلا ينفعنى حتى أنزل .

أهدى إلى صديق له غلاما

قال إسحاق :

وأهدى حماد إلى صديق له غلامًا وكتب إليه : قد بعثت إليك غلاما تتعلمُ عليه كَظْم الغيظ .

استهدى نبيذا من صديق له فأجابه

قال :

واستهدى من صديق له نبيذًا فأهدى إليه دُسَيْتِجة نبيذ . فكتب إليه : لو عرفتَ فى العدد أقلَّ من واحد، وفى الألوان شرًّا من السواد، لأهديتَه إلىّ .

رد على مغنية أخطأت فى شعر

قال :

وسمع مغنية تغنى :

* عاد قلبى من الطويلة عاد *

فقال : وثمود، فإن الله عز وجل لم يفرق بينهما . والشعر :

* عاد قلبى من الطويلة عيد (٢) *

---

(١) فى جميع الأصول : «قال : وما علم الله برح ... الخ» وهو خطأ يحتمل أن يكون من الناسخ، إذ لا يصح الفصل بين ما النافية والأفعال الناقصة، لأن ما لما لزمت هذه الأفعال وصارت معها بمعنى الإثبات صارت بجزئها .

(٢) هذا الشعر للفضل . وأراد بالطويلة روضة بالصمان عرضها ميل فى طول ثلاثة أميال . والعيد : ما يعتاد من نوب وشوق وهم .

أنشده رجل شعرا فأنكره عليه وقال اهجنى فهجاه

أخبرنى أبو الحسن الأسَدى قال حدّثنا الرِّيَاشىّ قال حدّثنى أبو عثمان اللاحِق، وأخبرنى به محمد بن مَزْيَد عن حماد عن أبيه عن محمد بن سَلّام عن بِشْر بن المفضَّل ابن لاحِق قال :

جاء رجل إلى حَمّاد الراوية فأنشده شعرا وقال : أنا قلته؛ فقال له أنت لا تقول مثل هذا، هذا ليس لك، وإن كنتَ صادقا فاْهْجُنى . فذهب ثم عاد إليه فقال له : قد قلت فيك :

١٧١ / ٥

سيعلم حَمّاد إذا ما هجوتُه * أأنتحل الأشعار أم أنا شاعرُ
ألم تر حمّاداً تقدّم بطنُه * وأُخِّر عنه ما تُجِنّ المآزر
فليس براءٍ خُصْيتَيْه ولو جثا * لُركبته، ما دام للزيت عاصر
فياليته أَمْسى قعيدةَ بيته * له بعلُ صدقٍ كَوْمه[1] متواتِر
لحِماد نعم العِرْسُ للرء يبتغى النّكاح وبئس المرء فيمن يفاخِر

فقال حماد : حسبُنا، عافاك الله، هذا المقدارُ وحسبُك! قد علمنا أنك شاعر وأنك قائل الشعر الأول وأجودَ منه ، وأُحب أن تكتم هذا الشعر ولا تذيعَه فتفضَحَنى؛ فقال له : قد كنتَ غنيًّا عن هذا . وانصرف الرجل وجعل حماد يقول: أسمعتم أعجب مما جَرَرْتُ على نفسى من البلاء ! .

عاب شعرا لأبى الغول فهجاه

حدّثنى الأَسدى أبو الحَسَن قال حدّثنا الرِّيَاشى قال حدّثنا أبو عبد الله الفَهْمِىّ قال :

عاب حَمّاد الراوية شعرًا لأبى الغُول[2] فقال يهجوه :

---

(١) الكوم : النكاح . (٢) نسبت هذه الأبيات لحماد بن الزبرقان كما نسبت لبشار بن برد يهجو بها حماد عجرد (راجع الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ١٤٢ طبع الساسى . وابن خلكان فى ترجمة حماد عجرد) .

نعم الفتى لو كان يعرف ربَّهُ * ويُقيمُ وقتَ صلاته حمّادُ
هَدَلتْ مشافره الدِّنان فأنفُه * مثل القَدُوم يَسُنُّها الحدّاد
وأبيض من شرب المدامة وجهه * فبياضه يوم الحساب سواد
لا يُعجبنْك بَزُّه وثيابُه * إن اليهود تُرَى لها أجْلاد (١)
حمّاد يا ضَبُعًا تَجُرّ جِعارَها (٢) * أخْنَى (٣) لها بالقريتين جراد
سبعا يلاعبها ابنها وبناتها (٤) * ولها من الخرق الكبار وساد

قال معنى قوله :

* أخنى لها بالقريتين جرادُ *

هو مثل قول العرب للضَّبُع : خامِرِى (٥) أمَّ عامر، أبْشِرى بجرادٍ عِظَال (٦) وكَمَرِ رجال ؛ فإن الضبع تجئ إلى القتيل وقد آستلق على قفاه، وآنتفخ غُرْمُوله فكان كالمُنعظ، فتَحْتكّ به وتَحيض من الشهوة، فيَثِب عليها الذئب حينئذ فتلد منه السِّمْع، وهو دابة، لا يولد له مثل البغل . وفى مثل هذا المعنى يقول الشَّنْفَرى (٧) الأزْدِى .

(١) أجلاد الإنسان : جماعة شخصه أو جسمه وبدنه ، يقال فلان عظيم الأجلاد إذا كان ضخما قوى الأعضاء والجسم . (٢) الجعار : جمع جعر (بفتح فسكون)، والجعر : نجو كل ذات مخلب من السباع . وجعار (كقطام) : اسم للضبع لكثرة جعرها . (٣) كذا فى ب ، س . وأخنى الجراد : كثر بيضه . وقد وردت هذه الكلمة فى سائر الأصول محرفة . (٤) كذا ورد هذا البيت فى جميع الأصول وهو غير ظاهر المعنى . (٥) خامرى : استترى . وأم عامر : الضبع، وهى كما زعموا من أحمق الدواب لأنهم إذا أرادوا صيدها رموا فى جحرها بحجر فتحسبه شيئا تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك . و يقال لها : أبشرى بجراد عظال وكمر رجال، فلا يزال يقال لها ذلك حتى يدخل عليها رجل فيربط يديها و رجليها ثم يجرها . يضرب هذا المثل لمن يرتاع من كل شىء جبنا وقيل هو مثل لمن عرف الدنيا ثم يسكن إليها مع ما علم من عادتها كما تغتر الضبع بقول القائل : خامرى أم عامر . (٦) الجراد العظال : الذى ركب بعضه بعضا كثرة . (٧) فى نسبة القصيدة التى منها هذا البيت للشنفرى خلاف، فقيل إنها لتأبط شرا، وقيل لابن أخته، كما رجح أن تكون لخلف الأحمر (راجع شرح أشعار الحماسة للتبريزى ص ٣٨٢ طبع أوربا) .

تضحك الضّبع لقتلى هُذَيل * وترى الذئب لما يَستهلّ (١)

تضحك : (٢) تحيض .

كان لصا ثم تاب وطلب الأدب والشعر

وقال آبن النطّاح :

كان حمّاد الراوية فى أوّل أمره يتشطّر ويصحَب الصعاليكَ واللصوص، فنقَب ليلةً على رجل فأخذ مالَه وكان فيه جزءٌ من شِعْر الأنصار، فقرأه حماد فآستحلاه وتحفّظه، ثم طلب الأدبَ والشعر وأيامَ الناس ولغاتِ العرب بعد ذلك، وترك ما كان عليه فبلغ فى العلم ما بلغ .

استنشده المهدى أحسن أبيات فى السكر ثم أجازه

حدّثنا محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدّثنى عمّى الفضل عن أبيه عن جدّه عن حمّاد الراوية قال :

دخلت على المهدىّ فقال : أنشِدْنى أحسنَ أبيات قيلت فى السُّكْر، ولك عشرة آلاف درهم وخِلعتان (٣) من كُسْوة الشتاء والصيف؛ فأنشدتُه قولَ الأخطل (٤) :

(١) يستهل : يصيح ويستغوى الذئاب . واستهل الصبى بالبكاء : رفع صوته وصاح عند الولادة وكل شىء ارتفع صوته فقد استهل . (٢) قال التبريزى فى شرح الحماسة فى التعليق على هذا البيت : «قول من قال تضحك بمعنى تحيض ليس بشىء» . وفى لسان العرب مادة ضحك فى الكلام على هذا البيت : «قال أبو العباس : تضحك هاهنا : تكشر وذلك أن الذئب ينازعها على القتيل فتكشر فى وجهه وعيدا فيتركها مع لحم القتيل و يمر... وقال ابن الأعرابى : أى أن الضبع إذا أكلت لحوم الناس أوشربت دماءهم طمثت؛ وكان ابن دريد يردّ هذا ويقول : من شاهد الضباع عند حيضها فيعلم أنها تحيض، و إنما أراد الشاعر أنها تكشر لأكل اللحوم، وقيل معناه أنها تستبشر بالقتلى إذا أكلتهم فيهر بعضها على بعض فجعل هريرها ضحكا، وقيل أراد أنها تسرّبهم فجعل السرور ضحكا لأن الضحك إنما يكون منه» . اه ببعض تصرف .

(٣) كذا فى ب، س . وفى سائر الأصول : «وخلعتان وكسوة ... الخ» . (٤) لم نجد هذه الأبيات بين شعر الأخطل المجموع فى دواوينه الثلاثة التى نشر الأوّل منها المرحوم الدكتور أو جينوس غرفينى الميلانى الإيطالى مدير مكتبة جلالة ملك مصر سابقا (وهو محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٢٣ أدب) ونشر الثانى والثالث منها الأب أنطون صالحانى اليسوعى (وهما محفوظان بدار الكتب المصرية تحت رقمى : ٣٩٣٧، ١١٠٢ أدب) . وجميعها طبع بيروت .

تَرَى الزُّجاجَ ولم يُطْمَثْ(١) يُطيفُ به * كأنه من دم الأجواف مُختضَبُ
حتى إذا افتَضَّ ماءُ المُزن عُذرتَها * راحَ الزجاجُ وفى ألـوانه صَهَبُ
١٧٢/٥ تَنزو إذا شجَّها بالمـاء مازجُهـا * نَزْوَ الجنـادب فى رَمْضـاءَ تلتهب(٢)
راحوا وهم يحسَبون الأرض فى فُلُك * إن صُرِّعوا وقتَ الراحاتُ والرُّكَب

فقال لى : أحسنتَ وأمر لى بمـا شَرَطه و وعدنى به فأخذتُه .

مدح بلال بن أبى بردة فأنكر ذو الرمة أنه شعره

حدّثنى اليَزيدىّ قال حدّثنى عمى عبيدُ الله قال حدّثنى سليمان بن أبى شيخ قال حدّثنى صالح بن سليمان قال :

قدم حَمّاد الراوية على بلال بن أبى بُرْدة البصرةَ، وعند بلال ذو الرُّمّة، فأنشده حمادٌ شعرًا مدحه به؛ فقال بلال لذى الرُّمّة : كيف ترى هذا الشعر ؟ قال : جيّدًا وليس له؛ قال : فمن يقوله ؟ قال : لا أدرى إلا أنه لم يقـله ؛ فلمـا قضى بلالٌ حوائجَ حماد وأجازه ، قال له : إن لى إليـكَ حاجةً ؛ قال : هى مقضيةٌ ؛ قال : أنت قلت ذلك الشعرَ؟ قال : لا؛ قال: فمن يقوله؟ قال : بعضُ شعراء الجاهلية، وهو شعر قديم وما يرويه غيرى؛ قال : فمن أين علم ذو الرمة أنه ليس من قولك ؟ قال : عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام .

أنشد بلالا شعرا فى مدح أبى موسى نسبه للحطيئة

قال صالح :

وأنشد حَمّاد الراوية بلالَ بن أبى بُرْدة ذاتَ يوم قصيدةً قالهـا ونحلها الحطيئةَ يمدح أبا موسى الأشعرى يقول فيها :

---

(١) الطمث : المس . قال تعـالى : « لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان » . يريد أنه لم يفترع ولم يمسسه إنسان . (٢) تنزو : تثب وذلك إذا مزجت . وشجها : مزجها . والجنادب : ضرب من الجراد . والرمضاء : الأرض الحارة الحامية من شدّة حر الشمس .

جَمَعْتَ(١) من عامرٍ فيها ومن جُشَمٍ * ومن تميم ومن حَاء ومن حامِ
مُسْتحقِبات رواياها جحافلَها * يسمو بها أشعرِىٌّ طَرْفُه سامى

فقال له بلال : قد علمتُ أن هـذا شىء قلتَه أنت ونسبتَه إلى الحطيئة، وإلا فهل كان يجوز أن يمدح الحطيئةُ أبا موسى بشىء لا أعرفه أنا ولا أرويه! ولكن دَعْها تذهب فى الناس وسيِّرها حتى تشتهِرَ، ووصَله .

يرى المفضل الضبى أنه أفسد شعر العرب بخلطه ونحله شعره للقدماء

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال سمعت أحمد بن الحارث الخَرّاز يقول سمعت ابن الأعرابى يقول سمعت المفضَّل الضَّبِّى يقول :

قد سُلِّط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبدا . فقيل له : وكيف ذلك؟ أيخطئ فى روايته أم يلحَن؟ قال : ليته كان كذلك، فإن أهل العلم يردّون من أخطأ إلى الصواب، لا ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها، ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يُشبه به مذهبَ رجل ويُدخله فى شعره، ويُحمَل ذلك عنه فى الآفاق، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد، وأين ذلك ! .

اجتمع مع المفضل الضبى عند المهدى فأجازه لجودة شعره وأبطل روايته

أخبرنى رِضْوان بن أحمد الصَّيْدلانى قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثنى أبو إسحاق إبراهيم بن المهدى قال حدّثنى السَّعِيدى الراوية وأبو إياد المؤدِّب — وكان مؤدِّبى ثم أدَّب المعتصمَ بعد ذلك وقد تعالت سنُّه — وحدّثنى بنحوٍ من ذلك عبد الله بن مالك وسَعيد بن سَلْم(٢) وحدّثنى به ابن غَزَالة أيضا واتفقوا عليه :

---

(١) تقدّم شرح هذين البيتين فى الجزء الثانى من هذه الطبعة (فى الحواشى ٤ ، ٥ ، ٦ ص ١٧٥ والحواشى ١ ، ٢ ، ٣ ص ١٧٦) .

(٢) كذا فى حـ . ولعله سعيد بن سلم الباهلى أبو عمرو وقد كان معاصرا لعبد الله بن مالك الخزاعى. وفى ب ، س : «سعيد بن مسلم» . وفى سائر الأصول : «سعيد بن سليم» .

أنهم كانوا فى دار أمير المؤمنين المهدى بعيساباذ(١)، وقد اجتمع فيها عدةٌ من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب، فدعا بالمفضّل الضّبّى الراوية فدخل، فمكث مليًّا ثم خرج إلينا ومعه حمّاد والمفضّل جميعا وقد بان فى وجه حمادٍ الانكسارُ والغم، وفى وجه المفضّل السرور والنشاط، ثم خرج حُسين الخادم معهما(٢)، فقال يا معشر من حضر من أهـل العلم : إن أمير المؤمنين يُعلمكم أنه قد وصل حمادًا الشاعرَ بعشرين ألف درهم لجودة شعره وأبطل روايته لزيادته فى أشعار الناس ما ليس منها، ووصل المفضّلَ بخمسين ألفا لصدقه وصحة ١٧٣/٥
روايته، فمن أراد أن يسمع شعرا جيدا محدَثا فليسمع من حماد، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضّـل؛ فسألنا عن السبب فأُخبرنا أن المهدى قال للمفضل لمـا دعا به وحدَه: إنى رأيتُ زُهَيرَ بن أبى سُلْمَى افتتح قصيدته بأن قال :

* دع ذا وعدِّ القول فى هَرِم *

ولم يتقدّم له قبـل ذلك قول، فـما الذى أمَر نفسَـه بتركه؟ فقال له المفضّـل : ماسمعتُ يا أمير المؤمنين فى هذا شيئًا إلا أنّى توهمته كان يفكّر فى قول يقوله، أو يُرَوِّى فى أن يقول شعرًا فعـدل عنه إلى مدح هرِم وقال دع ذا، أوكان مفكرا فى شىء من شأنه فتركه وقال دع ذا، أى دع ماأنت فيـه من الفكر وعَدِّ القولَ فى هرِم؛ فأمسك عنه. ثم دعا بحماد فسأله عن مثل ماسأل عنه المفضّل، فقال ليس هكذا قال زهيرٌ ياأمير المؤمنين؛ قال فكيف قال؟ فأنشده :

---

(١) عيسا باذ : أى عمارة عيسى، لأن كلمة «باذ» فارسية معناها عمارة، وهذه محلة كانت شرقى بغداد ومنسوبة إلى عيسى بن المهـدى وكانت إقطاعا له . وبها مات موسى بن المهدى بن الهادى . وبها بنى المهدى قصره الذى سماه قصر السلام . (٢) كذا فى جميع الأصول . ولعل هذه الكلمة مقحمة أو محرّفة عن «بعدهما» .

لمَــن الديار بقُنَّــة[١] الحِجْـر * أقْوَيْنَ مُذْ[٢] حِجَجٍ ومُــذْ[٢] دَهْرِ
قفــر بمُنْدَفَــع النحائت[٣] من * ضَفْوَى[٤] أُوْلَات[٥] الضَّالِ والسِّدْر[٦]
دع ذا وعَــدِّ القول فى هرِم * خيرِ الكهول وســيِّد الحَضْرِ[٧]

قال : فأطرق المهــدىُّ ساعةً ، ثم أقبل على حمــاد فقال له : قد بلغ أميرَ المؤمنين عنك خبرٌ لا بد من آستحلافك عليــه ، ثم استحلفه بأيمــان البَيعة وكل يمين مُحْرِجة ليَصْدُقَنَّه عن كل ما يسأله عنه ، فحلف له بمــا توثّق منه . قال له : آصدُقنى عن حال هــذه الأبيات ومن أضافها إلى زُهــير ؛ فأقر له حينئذ أنه قائلُها ؛ فأمر فيه[٨] وفى المفضَّل بما أمر به من شُهرة أمرهما وكَشْفه .

سأله الوليد عن مقدار روايته واستنشده شعرا فى الخمر وأجازه

أخبرنى الحسين بن القاسم الكوكبىّ قال حدّثنا أحمد بن عُبيد قال حدّثنا الأصمعىّ قال :

قال حمــاد الراوية : أرسل إلىّ أميرُ الكوفة فقال لى : قد أتانى كتابُ أمــير المؤمنين الوليدِ بن يزيد يأمرنى بحملك . فحُملت فقدِمت عليه وهو فى الصيد، فلما

---

(١) القنة : أعلى الجبــل ، وأراد بها هنا ما أشرف على الأرض . والحِجر : موضع بعينه وهو حجر اليمــامة . (٢) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول وديوانه : « من » وهى بمعنى مذ .
(٣) كذا فى ديوانه . والنحائت : آبار فى موضع معروف . وليس كل الآبار تسمى النحائت . وفى جميع الأصول : «النجائب» وهو تصحيف. (٤) كذا فى ديوانه . وضفوى (بالفتح ثم السكون وفتح الواو والقصر . ورواه ابن دريد بسختين) : مكان دون المدينــة . وقد وردت هــذه الكلمة فى جميع الأصول محرفة . (٥) فى ب، س : «ألاف» . (٦) الضال : السـدر البرى فان نبت على شطوط الأنهار فهو عبرى . وكأنه أراد بالسدر ما كان غير برى فلذلك عطفه على الضال .
(٧) فى ديوانه : « البداة » . (٨) كذا فى تجريد الأغانى ومختار الأغانى . وفى الأصول : «فأمر له فيه ... الخ» .

رجع أذن لى، فدخلت عليه وهو فى بيت منجّد(١) بالأرمنيّ(٢) أرضُه وحيطانُه؛ فقال لى : أنت حماد الراوية؟ فقلت له : إن الناس ليقولون ذلك ؛ قال : فما بلغ من روايتك؟ قلت : أروى سبعمائةقصيدة أوّلُ كلّ واحدة منها : بانت سعاد؛ فقال : إنها لرواية ! ثم دعا بشراب فأتته جارية بكأس وإبريق فصبّت فى الكأس ثم مزجته حتى رأيتُ له حَبَابا ؛ فقال : أنشدْنى فى مثل هذه ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين، هى كما قال عدىّ بن زيد :

بكَرَ العاذلون فى وَضَح الصبـ * ـح يقولون لى ألا تستفيقُ
ثم ثاروا إلى الصَّبُوح فقامت * قَيْنةٌ فى يمينها إبريق
قدّمته على سُلافٍ كريح الـ * ـمسك صفّى سُلافَها الرَّاوُوق
فترى فوقها فقاقيعَ كاليا(٣) * قوت يَجْرى خلالَها التصفيق

قال : فشربها ولم يزل يستعيدنى الأبياتَ ويشرب عليها حتى سَكِر؛ ثم قام فتناول مِرْفَقةً من تلك المرافق فجعلها على رأسه ونادى : من يَشترى لحومَ البقر؟ ثم قال لى : يا حماد، دونك ما فى البيت فهو لك؛ فكان أوّلَ مالٍ تأثّلتُه(٤) .

حقد خلف الأحمر وطعن فى روايته

حدّثنى هاشم بن محمد الخُزَاعى قال حدّثنا دِمَاذ(٥) عن أبى عُبَيدة قال : ١٧٤ / ٥

قال خَلَف : كنت آخذ من حماد الراوية الصحيحَ من أشعار العرب وأُعطيه المنحول، فيقبل ذلك منى ويدخله فى أشعارها . وكان فيه حمق .

---

(١) المنجد : المزين . (٢) لعله يريد به نوعا من الحرير منسوبا إلى أرمن وهى إقليم جبلى من أذربيجان اشتهر بصناعة الحرير . (٣) مر هذا البيت فى ترجمة حماد هذه (ص ٧٧) على غير هذه الرواية . (٤) تأثل المال : اكتسبه . (٥) دماذ : هو أبو غسان رفيع بن سلمة صاحب أبى عبيدة . ودماذ لقب كان ينبز به .

أنشد زيادا شعرا للأعشى فيه اسم أمه فغضب

أخبرنى محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثم بن فِراس قال حدّثنى العُمَرىّ عن الهَيْثم بن عَدىّ قال حدّثنى المِسْوَر العَنَزىّ — وكان من رُوَاة العرب وكان أسنّ من سِمَاك بن حَرْب — [عن حماد][1] قال :

دخلت على زياد[2] فقال لى : أنشدْنى؛ فقلت : مِنْ شعر مَنْ أيها الأمير؟ قال: من شعر الأعشى؛ فأنشدتُه :

* بكَرَتْ سُمَيّةُ غُدْوَةً أجمالَها *

قال: فما أتممتُ القصيدةَ حتى تبيّنت الغضبَ فى وجهه؛ وقال الحاجب للناس : ارتفعوا؛ فقاموا؛ ثم لم أَعُد والله إليه . قال حماد : فكنت بعد ذلك إذا آستنشدنى خليفة أو أمير تنبّهت قبل أن أُنشده لئلا يكون فى القصيدة اسم أمّ له أو آبنة أو أخت أو زوجة .

سأله الوليد عن سبب تسميته بالراوية فأجابه

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَـرّاز عن المدائنىّ قال :

قال الوليد بن يزيد لحَمّاد الراوية : لِمَ سُمّيت الراوية؟ وما بلَغ من حفظك حتى استحققتَ هذا الاسم ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين، إن كلام العرب يجرى على ثمانية وعشرين حرفا، أنا أنشدك على كل حرف منها مائةَ قصيدة ؛ فقال : إنّ هذا لحفظ ! هاتِ، فآندفع يُنشد حتى ملّ الوليد، ثم آستخلف على الاستماع منه خليفةً حتى وفّاه ما قال؛ فأحسن الوليد صلتَه وصرَفه .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) هو زياد ابن أبيه، وأمه سمية .

أمر الوليد يوسف ابن عمر بإرساله إليه واستنشده شعرا فى الخمر

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدثنى الحُسين بن محمد بن أبى طالب[١] الدِّينارىّ قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ قال :

قال حماد الراوية : أرسل الوليد بن يزيد إلىّ بمائتى دينار، وأمر يوسفَ بن عمر بحملى إليه على البريد . قال فقلت : لا يسألنى إلا عن طرفَيْه قريش وثقيف ، فنظرت فى كتابَىْ قريش وثقيف . فلما قَدِمت عليه سألنى عن أشعار بَلِىّ، فأنشدته منها ما آستحسنه[٢]؛ ثم قال : أنشدنى فى الشراب — وعنده وجوه من أهل الشام — فأنشدته :

اِصْبَحِ القومَ قهوةً * فى أباريق تُحتَذَى
من كُمَيتٍ[٣] مُدامةٍ * حبّذا تلك حبذا
يترك الأُذْنَ شربُها * أرجُوانًا بها خُذا

فقال : أعدها ، فأعدتها؛ فقال لخدمه : خذوا آذان القوم، فأُتينا بالشراب فسُقينا حتى ما درَيْنا متى نُقلنا؛ قال : ثم حُملنا وطُرحنا فى دار الضِّيفان، فما أيقظنا إلا حرُّ الشمس . وجعل شيخ من أهل الشام يشتُمنى و يقول : فعَل الله بك وفعل، أنت الذى صنعت بنا هذا .

أنشده الطرماح شعرا فزاد فيه وادّعاه لنفسه

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا أبو غسّان دَمَاذ قال حدّثنى أبو عُبيدة قال حدّثنى يحيى بن صُبيرة بن الطِّرِمّاح بن حَكيم عن أبيه عن جدّه الطِّرِمّاح قال :

أنشدتُ حمّادا الراوية فى مسجد الكوفة — وكان أذكى[٤] الناس وأحفظَهم — قَوْلى :

---

(١) راجع الحاشية (رقم ٢ ص ٣١٩ ج ٥) من هذه الطبعة . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «ما أحسنته» . (٣) الكميت : الخمر التى تضرب حمرتها إلى السواد .
(٤) هذه الكلمة زيادة عن ب ، س، ومختار الأغانى وخزانة الأدب .

* بانَ الخليطُ بسُحْرةٍ فتبدَّدُوا[1] *

وهى ستون بيتــا، فسكتَ ساعةً ولا أدرى ما يريد ثم أقبــل علىّ فقال : أهــذه لك؟ قلت: نعم؛ قال : ليس الأمر كما تقول، ثم ردّها علىّ كلّها وزيادةَ عشرين بيتًا زادها فيها فى وقته؛ فقلت له : وَيْحَك ! إن هذا الشعر قلتُه منذ أيام ما اطلع عليه أحد؛قال: قد والله قلتُ أنا هذا الشعر منذ عشرين سنة وإلا فَعَلَىّ وعلىّ؛ فقلتُ: ١٧٥/٥
لله علىّ حِجّة حافيًا راجلًا إن جالستُك بعد هذا أبدًا؛ فأخذ قبضةً من حَصَى المسجد وقال : لله علىّ بكل حَصاة من هــذا الحصى مائةُ حِجّــة إن كنتُ أبالى؛ فقلت : أنت رجل ماجنٌ والكلام معك ضائع ثم انصرفت . قال دَمَاذ : وكان أبو عبيدة والأصمعى يُنشدان بيتَىِ الطِّرِمّاح فى هذه القصيدة وهما :

مُجتــابُ حُــلّةَ بُرْجدٍ لسَرَاته * قِدَدًا وأخلفَ ما سواه البُرجدُ[2]
يبــدو وتُضمره البــلادُ كأنه * سَيْفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغمَدُ

وكانا يقولان : هذا أشعر الناس فى هذين [البيتين][3] .

(١) السحرة (كظلمة) : السحر الأعلى أى أوّل السحر . (٢) هذان البيتان فى وصف ثور . يقال : اجتاب القميص : لبسه . والبرجد : كساء من صوف أحمر، وقيل : هو كساء غليظ ، أو هو كساء مخطط مخمل يصلح للخباء . وسراته : ظهره . (٣) زيادة عن أ ، ء .

أخبار عَبَادِل ونسبه

نسبه ومنزلته من الغناء

عَبَادِل بن عطيّة مولى قريش، مَكّىّ، مغنٍّ مُحْسِنٌ متقدّم من الطبقة الثانية التى منها يونُس الكاتب وسِيَاطٌ ودَحْمان . وكان حسنَ الوجه، نظيف الثياب ظريفًا، ولم يفارق الحجاز ولا وفَد إلى ملوك بنى أمية كما وفد غيرُه من طبقته ومَنْ (1) هو فوقها. ويقال إنه كان مقبولَ الشهادة .

صفته، وكان يغنى مشيخة قريش وله صنعة كثيرة

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنا حَمّاد (2) عن ابن أبى جَنَاح (3) قال :

كان عَبَادِل بن عطيــة سَرِيًّا نبيلا نظيفا ساكنَ الطَّرْف (4) حسنَ العشرة ، وكان يعاشر مَشْيخةَ قريش وجِلّةَ أحداثها ، فإذا أرادوا الغناء (5) منه غنّى فأحسن وأطرب . وكانت له صنعة كثيرة .

منهـا :

تقول يا عَمّتــا كُفِّى جوانبَــه * وَيْلِى بَلِيتُ وأَبْلَى جِيدىَ الشَّعَرُ

ومنهـا :

أمِن حَذَرِ البيـن ما ترقُـــدُ * ودمعُـــك يجرى فما يَجْمُـــدُ

(1) فى حـ : «ومن دونها ومن فوقها» . (2) كذا فى حـ . والمعروف أن هارون بن محمد يروى عن حماد بن إسحاق وحماد عن أبيه وهذا عن ابن أبى جناح ، ولم تعرف لحماد رواية عن ابن أبى جناح مباشرة . وفى سائر الأصول : «حماد بن أبى جناح» وهو خطأ . (3) ورد هذا الاسم فيما مر من الكتاب مضطربا بين : « ابن أبى جناح » و « ابن جناح » ولم نوفق إلى ترجيح إحدى الروايتين على الأخرى . (4) فى حـ : «ظريفا» . (5) فى أ ، حـ ، ء : « فإذا أراد الغناء أو سئل غنى ... الخ » .

ومنهـا :

إنى آستحيتُكَ أن أفوه بحاجتى * فإذاقرأتَ صحيـفتى فتفهّـمِ

ومنهـا :

قُولَا لنائلَ ما تَقضِين فى رجلٍ * يَهْوَى هواكِ وما جَنّبتِه(١) آجتَنبا

ومنهـا :

علام تَرَيْن اليـومَ قَتْلِي لديكمُ * حلالًا بلا ذنبٍ وقتـلى محرّمُ

[قال](٢) : وكانوا يقولون له : ألا تُكثر الصنعة ؟ فيقول : بأبى أنتم، إنمـا أنحتُه من صخر، ومَنْ أَكْثَر أَرْذل .

نسبة هـذه الأصوات

صـوت

أمن حَذَرِ البَيْن ما ترقـد * ودمعُـك يجرى فمـا يجمُـدُ

دعانى إلى الحَيْن فأقتادنى * فـؤادٌ إلى شِـقْوتى يَعْمِد

فلو أن قلبى صحـا وٱرْعَوَى * لكان لـه عنكمُ مَقْعَـد

يَبِيـدُ الزّمان وحُبّى لكم * يَزِيـد خَبـالًا وما يَنفَـد

الغناء لعَبَادل ثقيـلٌ أوّلُ بالسبابة والوسـطى عن ابن المَكّىّ . وفيـه لإبراهيم خفيف ثقيل .

ومنهـا : ١٧٦/٥

صـوت

إنى آستحيتُكَ أن أفوه بحاجتى * فإذا قـرأتَ صحيفتى فتفهّـمِ

وعليكَ عهدُ الله إن أنبأته * أهلَ السّيَالة إن فعلتَ و إن لَمِ

(١) جنبه (بالتضعيف) كتجانبه واجتنبه وتجنبه وجانبه . (٢) زيادة عن ح .

هكذا قال ٱبن هَرْمة، والمغنّون يغنّونه :

وعليكَ عهــدُ الله إن أخبرتَه * أحدًا وإنْ أظهــرته بتكلّمِ

الشعر لٱبن هَرْمة . والغناء لعَبادِل .

طلب ابن هرمة بشعره من الحسن ابن حسن خمرا فوشى به إلى الوالى ففرّ هو وصحبه

أخبرنى عمّى[1] قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنى عبد الله ابن محمد بن إسماعيل الجَعْفَرىّ عن أبيه :

أنّ حسن بن حسن بن علىّ[2] كان صاحبَ شراب، وفيه يقول ابنُ هَرْمة :

إنى ٱستحيتُك أن أفوه بحاجتى * فإذا قــرأتَ صحيفتى فتفهَّــمِ

وعليــك عهــد الله إن أنبأتَه * أحدًا ولا أظهــرتَه بتــكلّمِ

قال عبدُ الله بن محمد الجعفَرىّ : وكان ابن هرمة — كما حدّثنى أبى — يشرب هو وأصحابٌ له بشَرَف السَّيالة[3] عند سَمُرَة بالشَّرَف يقال لها سَمُرَةُ جرانة[4] فنفِد شرابُهم؛ فكتب إلى حسن بن حسن بن علىّ[2] يطلب منه نبيذا، وكتب إليه بهذين البيتين . فلما قرأ حسنٌ رقعتَــه قال : وأنا علىَّ عهدُ الله إن لم أُخبِر به عامل السَّيَالة، أمِنّى يطلب الدعىُّ الفاعل نبيذا ! وكتب إلى عامل السيالة أن يجىء إليه لوقتــه؛ فجاء فقال له : إن ٱبنَ هرمة وأصحابَه السفهاء يشربون عند سَمُرَةِ جرانة، فٱخرج فخُذْهم؛

(١) يلاحظ أنه من هذا الموضع إلى آخر الترجمة أخبار لابن هرمة وللوابصى ونصيب ولم يرد بها عن . . . شىء يذكر .

(٢) كذا فى جميع الأصول هنا وفيما يأتى بعدا (ح) فقد أوردته فيما يأتى : «حسن بن حسن بن حسين» . لا يمكن أن تكون هذه الحادثة مع حسن بن حسن بن على لتقدّم عصره على عصر ابن هرمة الذى ولد سنة ٩٠ هـ . والصحيح أنها مع ابنه إبراهيم وقد كان ابن هرمة متصلا به . . . ويه . وقد أورد صاحب الأغانى هذه القصة فى أخبار علويه (ج ١٠ طبع بولاق) منسوبة إلى ابنه إبراهيم هذا .

(٣) شرف السـيالة : منزل بين ملل والروحاء . وفى حديث عائشة رضى الله عنها : «أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحد بملل على ليلة من المدينة ثم راح فتعشى بشرف السيالة وصلى الصبح بعرق الظبية» . (٤) لم نستطع ضبط هذا الاسم لخلو المعاجم التى بين أيدينا منه .

فخرج إليه العامل بأهل السَّيالة ، وأُنذِرَ بهم ابنُ هرمة فسبَقهم هَرَبًا ، وتعلّق هو وأصحابُه بالجبل ففاتوهم . وقال فى حسن :

كتبتُ إليك أَسْتَهدِى نبيذًا * وأُدْلِى بالجِوار وبالحقوقِ
فخُبِّرتَ الأميرَ بذاك غَدْرًا * وكنتَ أخا مُفاضحةٍ ومُوقِ(١)

ومنها :

صوت

علامَ تَرَيْنَ اليومَ قَتْلِى لديكمُ * حلالًا بلا ذنب وقتلى مُحَرَّمُ
لكِ النفس ماعاشت وِقاءً من الرَّدَى * ونحن لكم فيما تَجنَّبْتِ(٢) أظلمُ

وأما صنعته فى :

* قولا لنائلَ ما تَقْضِين فى رجلٍ *

فإن الشعر لمَسْعَدةَ(٣) بن البَخْتَرِىّ ابن أخى المهلّب بن أبى صُفْرة . والغناء لعَبادِل . وقد ذكرتُ ذلك فى موضع من هذا الكتاب مفرد ، لأن نائلة التى عُنِيتُ(٤) بهذا الشعر هى بنت المَيْلاء(٥) ، ولها أخبار ذُكرت فى موضع منفرد صَلَحتْ له .

---

(١) الموق : الحمق . (٢) يحتمل أن تكون الرواية فيه : « فيما تجنيت » (بالياء المثناة من تحت) . (٣) كذا فى حـ . وله ترجمة فى الأغانى (ج ١٢ ص ٧٧ — ٧٨ طبع بولاق) . وفى سائر الأصول هنا : «لسعيد بن البحترى» وهو تحريف . (٤) فى ب ، سـ : «عنت» وهو تحريف . (٥) كذا فى جميع الأصول . والمعروف أن نائلة التى شبب بها ابن البخترى كما ذكر أبو الفرج هى نائلة بنت عمر بن يزيد الأسيدى أحد بنى أسيد (بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد الياء المثناة وكسرها) بن عمرو بن تميم . وكان أبوها سيدا شريفا ، وكان على شرط العراق من قبل الحجاج . ولم نجد ذكرا لنائلة بنت الميلاء فى أخبار مسعدة ولا فى موضع آخر من هذا الكتاب .

ومنهـا :

صــــوت

تقول يا عَمَّتا كُفِّى جوانبَه * وَيْلِى بَلِيتُ وأبْلَى جِيدِىَ الشَّعَرُ
مثلُ الأساوِدِ قد أعيا مَواشطَه * تَضِلُّ فيـه مَدَارِيهـا وتنكسر (١)
فإن نشرْتَ على عَمْد ذوائبَهـا * أبصرتَ منه فَتِيتَ المِسك يَنتثر

الشـعر لعمر بن أبى ربيعـة . والغناء لعَبَادل ثقيـلٌ أوّل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيفُ ثقيل أوّل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيـه خفيف ثقيل يُنسب إلى دَحْمان و إلى الغَرِيض و إلى عَبادل أيضا . ١٧٧ / ٥

صــــوت

من المـائة المختـارة

ليستْ نَعَمْ منكَ للعافين مُسْجَلَةً (٢) * من التخلّق لكنْ شيمةٌ خُلُقُ
يكاد بابُك من عِلْمٍ بصاحبه * من دون بَوّابه للنـاس يَنْـدلِق (٣)

شعران متشابهان لابن هرمة وطريح ابن إسماعيل الثقفى

لإسحاق فى هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو . وذكر يحيى ابن على بن يحيى عن أبيه عن إسحاق أن الشعر لطُرَيح . وذكر يعقوب بن السِّكِّيت أنه لابن هَرْمة . والغناء فى اللحن المختار لشهيّة مولاةِ العَبَلاتِ خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر فى مجراها . فمن روى هـذه الأبيات لابن هَرْمة ذكر أنها من قصيدة له يمدح بها عبدَ الواحد بن سليمان بن عبد الملك؛ ومن ذكر أنها لطُرَيح ذكر أنها من قصيدة له

(١) الأساود : الحيات السود، واحدها أسـود . والمـدارى : جمع مدرى، وهـو المشط .

(٢) مسجلة : مبـذولة أو مرسـلة . (٣) اندلاق البـاب : انفتاحه سريعـا وهو مطاوع دلق الباب إذا فتحه فتحا شديدا .

يمدح بها الوليدَ بن يزيد . والصحيح من القولين أن البيت الأوّل من البيتين لطُرَيح والثانى لابن هَرْمة . فبيت طُرَيح من قصيدته التى مدح بها الوليد بن يزيد وهى طويلة ، يقول فى تشبيبها :

تقول والعِيسُ قد شُدّتْ بأرحُلِها (١) * أَلحقٌّ أنّكَ (٢) منا اليومَ منطلقُ؟
قلتُ نعمْ فٱكظِمى قالت وما جَلَدِى * ولا أظنّ اجتماعًا حين نفترقُ
فقلت إن أَحْىَ لا أُطْوِل بِعادَكُمُ * وكيفَ والقلبُ رهنٌ عندكم غَلِقُ (٣)
فارقتُها لا فؤادى من تذكُّرها * سالى الهمومِ ولا حَبْلى لها خَلَقُ
فاضت على إثْرِهم عيناكَ دمعُهما * كما تَتابَعَ يجرى اللؤلؤ النَّسَقُ (٤)

صوت

فٱستبقِ عينكَ (٥) لا يُودِى البكاءُ بها * وٱكفُفْ بوادرَ دمعٍ منك تَستبق
ليس الشؤونُ وإن جادت بباقيةٍ * ولا الجفونُ على هذا ولا الحَدَقُ

— لإسحاق (٦) فى هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو — يقول فيها فى مدح الوليد :

وما نَعَمْ منكَ للعافين مُسْتَجَلة * من التخلُّق لكنْ شيمةٌ خُلُقُ
ساهمتَ فيها وفى لا فٱختصصتَ بها * وطار قومٌ بلا والذمِّ فانطلقوا

(١) فى حـ : «بأرحلنا» . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س : «الحق فإنك» . (٣) كذا فى حـ . وغلق الرهن غلقا (من باب فرح) : استحقه المرتهن . وفى سائر الأصول : «علق» (بالعين المهملة) وهو تصحيف . (٤) النسق : المنظم . (٥) كذا فى حـ . وفى ب ، س : «عينيك» . (٦) فى حـ : «لإسماعيل» وهو ابن جامع . وله ولإسحاق يروى عمرو بن بانة .

قوم هم شرف الدنيا وسُوددها (١) * صفوٌ على الناس لم يُخلط بهم رَنَق
إن حاربوا وَضَعوا أو سالموا رفَعوا * أو عاقدوا ضَمِنوا (٢) أو حدّثوا صدَقوا

وأما قصيدة إبراهيم بن هَرْمة التى فيها هذا الشعر فنذكر خبرها، ثم نذكر موضع الغناء وما قبله وما بعده منها. ومِنْ أبى أحمد (٣) رحمه الله سمِعْنا ذلك أجمع. ولكنه حكى عن إسحاق فى الأصوات المختارة ما قاله إسحاق. ولعله لم يتفقّد ذلك، أو لعلّ أحدَ الشاعرين أغار على هذا البيت فانتحله وسرقه من قائله.

ابن هرمة ومدحه عبد الواحد بن سليمان وتعريضه بالعباس بن الوليد

أخبرنى يحيى بن علىّ قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن رجل من أهل البصرة، وحدّثنى به وَكيع قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك عن حماد عن أبيه عن رجل من أهل البصرة — وخبره أتم — قال:

١٧٨/٥

قال العبّاس بن الوليد بن عبد الملك — وكان بخيلا لا يحبّ أن يُعطِى أحدا شيئا — ما بالُ الشعراء تمدح أهلَ بيتى أجمع ولا تمدحنى! . فبلغ ذلك ابنَ هَرْمة، وكان قد مدحه فلم يُثبه، فقال يعرّض به ويمدح عبدَ الواحد بن سليمان:

ومُعجَب بمديح الشِّعر يمنعه * من المديح ثوابُ المدح والشَّفَق
يا آبىَ المدح مِنْ قولٍ يُحبّره (٤) * ذو نِيقة (٥) فى حواشى شعره أَنَق (٦)
إنك والمدحَ كالعذراء يُعجبها * مسُّ الرجال ويَثنى قلبَها الفَرَق

(١) كذا فى ب، حـ. وفى سائر الأصول: «قوم لهم». (٢) كذا فى أكثر الأصول. وفى ب، حـ: «حكموا». (٣) هو أبو أحمد يحيى بن على بن يحيى المنجم من شيوخ أبى الفرج. (راجع ترجمته فى الحاشية رقم ٣ ص ١٧ من تصدير هذا الكتاب).
(٤) فى حـ: «تحبره». (٥) النيقة: اسم من التنوق. يقال تنوق فلان فى منطقه وملبسه وأموره إذا تجوّد وبالغ. (٦) كذا فى حـ. والأنق (بفتح النون): الروعة والحسن. وفى سائر الأصول: «من حواشى شعره أنق».

لكنْ بمَدْيَنَ من مفضَى سُوَيمرةٍ[(١)] * من لا يُذَمّ ولا يُشْنا له خُلُق

أهلُ المدائح تأتيه فتمدحه * والمادحون إذا قالوا له صَدَقوا

— يعنى عبد الواحد بنَ سليمان —

لا يستقرّ[(٢)] ولا تخفى علامته * إذا القنا شالَ فى أطرافها الحرَقُ[(٣)]

فى يومِ لا مالَ عند المرء ينفعه * إلا السِّنانُ[(٤)] وإلا الرمحُ والدَّرَقُ

يَطعن بالرمح أحياناً ويضربهم * بالسيف ثم يُدانيهم فيعتنق

وهذا البيت سرقه آبن هرمة من زُهَير ومن مُهلهل جميعًا، فإنهما سبقا إليه .

قال مُهلهل وهو أقدمهما :

أَنْبَضُوا[(٥)] مَعْجِسَ[(٦)] القِسِيّ وأبرقْـ[(٧)] * ـنا كما تُوعِد الفُحولُ الفحولا

يعنى أنهم لما أخذوا القِسِيّ ليرموهم من بعيد انتضَوْا سيوفهم ليخالطوهم ويكالحوهم بها[(٨)] .

وقال زهير — وهو أشرح من الأوّل — :

يَطعنُهم ما آرتمَوْا حتى إذا آطّعنوا * ضارَبَ حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

فما ترك فى المعنى فضلًا لغيره .

رجع إلى شعر ابن هرمة :

يكاد بابُك من جود ومن كرم * من دون بَوّابه للناس يَنْدلقُ

---

(١) كذا فى حـ ومعجم البلدان (ج ٣ ص ٢٠٢) . ومدين : مدينة تجاه تبوك بين المدينة والشام على ست مراحل . وسويمرة : موضع فى نواحى المدينة . وفى أ ، ء ، م : « مقصى سوتمرة » وفى ب ، سـ : « مقصى سويمرة » . (٢) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : « لا يستفز » . (٣) شال : ارتفع . والحرق (محركة) : لهب النار . (٤) فى حـ : « وإلا السيف » . (٥) كذا فى حـ . وأنبض الرامى القوس وعن القوس : جذب وترها لتصوت . وفى سائر الأصول : « انتضوا » ، وهو تصحيف . (٦) المعجس (كمجلس) : مقبض القوس . (٧) أبرق الرجل : لمع بسيفه . (٨) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « ويكالحوهم بالسيوف » .

— ويُروى : « إذا أطاف به الجادون » . و « العافون » أيضا . ويروى : « ينبلق » —

إنّى لأَطْوِى رجالًا أن أزورَهمُ * وفيهمُ عَكَرُ الأنعام والوَرِقُ(١)
طىَّ الثياب التى لو كُشِّفت وُجِدتْ * فيها المَعاوزُ(٢) فى التفتيش والخِرَق
وأتركُ الثوبَ يومًا وهْو ذو سَعة * وأَلْبَس الثوب وهو الضيِّق الخَلَق
إكرامَ نفسى وأنّى لا يوافقنى * ولو ظَمِئتُ لَحُمْتُ المَشْرَبُ الرَّنِق(٣)

قال هارون(٤) بن الزيات فى خبره : فلما قال ابن هرمة هذه القصيدةَ أنشدها عبدَ الواحد بن سليمان — وهو إذ ذاك أميرُ الحجاز — فأمر له بثلثمائة دينار وخِلْعة موشّية من ثيابه، وحَمَله على فرس وأعطاه ثلاثين لَقْحة ومائةَ شاة، وسأله عما يكفيه فى كل سنة و يكفى عياله من البُرّ والتمر، فأخبره به ؛ فأمر له بذلك أجمعَ لسَنَة، وقال له : هذا لك علىّ ما دمتُ ودمتَ فى الدنيا ، واقتطعه لنفسه(٥) وأَنِس به ، وقال له : لستُ بُحوجك إلى غيرى أبدا . فلما عُزِل عبد الواحد بن سليمان عن المدينة، تصدّى للوالى مكانَه وامتدحه . ولم يلبث أن ولى عبدُ الواحد بعد ذلك ١٧٩/٥ وبلغه الخبرُ، فأمر أن يُحجب عنه ابنُ هرمة وطرده وجفاه ، حتى تحمّل(٦) عليه بعبدالله بن الحسن [بن الحسن](٧)، فٱستوهبه منه فعاد له إلى ما أحبه .

مدح والى المدينة بعد عبدالواحد بجفاه ثم رضى عنه بشفاعة عبد الله ابن الحسن

(١) العكر (محركة) : جمع عكرة وهى القطيع الضخم من الإبل ؛ قيل : هى ما فوق خمسمائة من الإبل ؛ وقيل : ما بين الخمسين إلى المائة . والورق : المال من الإبل والغنم . (٢) كذا فى حـ . والمعاوز : خلقان الثياب المبتذلة ، واحدها معوز . وفى سائر الأصول : « العواوير » وهو تحريف . (٣) الرنق : الكدر . (٤) هو هارون بن محمد بن عبد الملك الذى ورد فى سند هذا الخبر . (٥) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « واقتطعه إلى نفسه » . (٦) تحمل بفلان على فلان : تشفع به إليه . (٧) زيادة عن حـ .

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال حدّثنا الرِّياشىّ، وأخبرنى به علىّ بن سليمان الأخفش عن أحمد بن يحيى ثَعْلب عن الرياشىّ — وخبره أتم — قال الرياشىّ حدّثنى أبو سَلَمة الغِفارىّ قال قال ابن رُبَيْح[1] راوية ابن هرمة قال حدّثنى ابن هرمة قال :

أوّل من رفعنى فى الشعر عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك، فأخذ علىّ ألّا أمدح أحدًا غيرَه، وكان واليًا على المدينـة، وكان لا يدع بِرّى وصلتى والقيامَ بمؤونتى. فـلم ينشَب أن عُزل ووُلّى غيرُه مكانَه، وكان الوالى من بنى الحارث بن كعب، فدعتنى نفسى إلى مدحه طمعًا أن يَهَب لى كما كان عبد الواحد يهب لى، فمدحتـه فلم يصنع بى ما ظننت. ثم قَدِم عبد الواحد المدينةَ، فأُخبِر أنّى مدحت الذى عُزل به، فأمر بى فَحُجِبت عنه، ورُمْتُ الدخولَ عليـه فمُنِعتُ، فلم أَدَع بالمدينة وجهًا ولا رجلا له نباهةٌ وقدر من قريش إلا سألته أن يشفع لى فى أن يُعيدنى إلى منزلتى عنـده، فيأبى ذلك فلا يفعله. فلما أعوزتنى الحيل أتيت عبـدَ الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب — صلوات الله عليه وعليهم — فقلت : يآبن رسول الله، إن هذا الرجل قد كان يُكرمنى وأخذ علىّ ألّا أمدحَ غيرَه، فأعطيتُه بذلك عهدًا، ثم دعانى الشَّرَه والكَدّ إلى أن مدحت الوالى بعده. وقصصت عليه قصتى وسألته أن يشفع لى، فركب معى. فأخبرنى الواقف على رأس عبـد الواحد أن عبد الله بن حسن لمـا دخل إليه قام عبـ[illegible]ـد فعانقه وأجلسه إلى جنبه، ثم قال : أحاجةٌ غدت بك أصلحك الله؟ قال نعم؛ قال : كل حاجة لك مقضيّة إلا ابنَ هرمة؛ فقال له : إن رأيتَ ألّا تستثنى فى حاجتى فآفعل؛ قال : قد فعلتُ؛ قال : فحاجتى ابن هرمة؛

(١) فى أكثر الأصول هنا : «قال ربيح». وفى حـ : «قال ربيحة» وكلاهما تحريف (راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٤ من الجزء الرابع من هذه الطبعة).

قال : قد رضيتُ عنه وأعدته إلى منزلتـه؛ قال : فتأذن له أن يُنشـدك؛ قال : تُعفينى من هذه؛ قال : أسألك أن تفعل؛ قال ائتوا به؛ فدخلت عليه وأنشـدته قولى فيه :

وجدنا غالبًـا كانت جنـاحًا * وكان أبوك قادمةَ الجناح

قال فغضب عبـد الله بن الحسن حتى انقطع رِزّه(١) ثم وثب مُغضَبًا ، وتجوزت فى الإنشاد ثم لحِقتُـه فقلت له : جزاك الله خيراً يابن رسول الله؛ فقـال : ولكنْ لا جزاك الله خيراً ياماصّ بَظْر أمه، أتقول لابن مروان :

* وكان أبوك قادمةَ الجَناح *

بحضرتى وأنا ابن رسول الله — صلّى الله عليه وسلّم— وابن علىّ بن أبى طالب — عليه السـلام— ! فقلت : جعلنى الله فـداك، إنى قلت قولًا أخدَعُه به طلبًا لدنياه، ووالله ماقِسْت بكم أحدًا قطُّ . أفلم تسمعنى قد قلتُ فيها :

* وبعضُ القول يذهب بالرياح *

فضحك عبد الله وقال : قاتلك الله، ما أظرفكَ ! .

حائية ابن هرمة فى مدح عبد الواحد

وهذه القصيدة الحائية التى مدح بها عبدَ الواحد من فاخر الشعر ونادر الكلام ومن جيّد شعر ابن هرمة خاصةً، وأولُها :

صَرَمتَ حبائلًا من حبّ سَلْمَى * لهنـدٍ ما عَمَـدتَ لمُسـتَراح(٢)
فإنك إن تُقِم لا تلقَ هنـدًا * وإن ترحـل فقلبُـك غير صاحى
يظَـلّ نهـارَه يَهْـذِى بهنـد * ويأرَق ليـلَه حتى الصـباح ١٨٠ / ٥

(١) الرز : الصوت . وفى جميع الأصول : « زره » وهو تصحيف .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : « ما عهدت بمستراح » . وفى ب ، سـ : « ما عهدت لمستراح » .

أعبدَ الواحد المحمودَ إنى * أَغَصُّ حِذارَ سخطك بالقَراحِ
فشُلَّتْ راحتاىَ وجال مُهْرى * فألقانى بمُشتجَر الرماح
وأقعدنى الزمانُ فبِتّ صِفراً * من المال المُعزَّب والمُراح
إذا نَخَّمتُ غيرَك فى ثنائى * ونصحى فى المَغيبة وأمتداحى
كأنّ قصائدى لك فأصطنعنى * كرائمُ قد عُضِلن عن النكاح
فإن أكُ قد هفوتُ إلى أمير * فعن غير التطوع والسماح
ولكن سَقْطةٌ عِيبتْ علينا (١) * وبعضُ القول يذهب فى الرياح
لعمرك إننى وبنى عَدِىٍّ (٢) * ومَنْ يهوَى رشادى أو صلاحى
إذا لم ترضَ عنّى أو تَصِلْنى * لفى حَيْنٍ أعالجه مُتاح
وإنك إن حططتُ إليك رحلى * بغربىِّ الشَّراة (٣) لذو ارتياح
هششتَ لحاجة ووعدتَ أخرى * ولم تبخل بناجزة السَّراح
وجدنا غالبًا خُلقتْ جناحًا * وكان أبوك قادمةَ الجناح
إذا جعل البخيلُ البخلَ تُرسًا * وكان سلاحُه دون السلاح
فإنّ سلاحك المعروفُ حتى * تفوزَ بعِرْض ذى شِيَمٍ صِحاح

سئل عن سبب مدحه لعبد الواحد فأجاب

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنى إبراهيم بن إسحاق العُمرىّ قال حدّثنى عبد الله بن إبراهيم الجُمَحىّ قال:

قلت لابن هرمة: أتمدح عبدَ الواحد بن سليمان بشعر ما مدحتَ به غيرَه فتقول فيه هذا البيت:

(١) كذا فى حـ . وفى ب، سـ : «عيبت» . وقد ورد هذا الشطر فى سائر الأصول غير مستقيم المعنى . (٢) بنو عدى : هم قوم ابن هرمة . وعدى هذا : هو عدى بن قيس بن الحارث بن فهر . (٣) الشراة : صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وجـــدنا غالبـا كانت جنـاحا * وكان أبوك قادمـــةَ الجنـاحِ

ثم تقول فيها :

أعبـدَ الواحد الميمونِ[١] إنى * أَغَصّ حِذَارَ سخطك بالقَـراحِ

فبأى شيء آستوجب ذلك منك ؟ فقال : إنى أخبرك بالقصة لتعذرنى : أصابتنى أزمة[٢] بالمدينة، فآستنهضتْنى بنتُ عمّى للخروج؛ فقلت لها : ويحك! إنه ليس عندى ما يُقِلّ جناحى؛ فقالت : أنا أُنهضك بمـا أمكننى، وكانت عندى نابٌ لى فنهضتُ عليها تُهجِّد النوّام وتؤذى السمّار، وليس من منزل أنزله إلا قال الناس : ابن هرمة! حتى دَفَعتُ إلى دمشق ، فأويت إلى مسجد عبد الواحد فى جوف الليل ، فجلست فيه أنتظره إلى أن نظرت إلى بزوغ الفجر، فإذا الباب ينفلق[٣] عن رجل كأنه البدر، فدنا فأذّن ثم صـلّى ركعتين، وتأملته فإذا هو عبـد الواحد، فقمتُ فدنوت منـه وسلّمت عليه؛ فقال لى : أبو إسحاق! أهلا ومرحبا؛ فقلت لَبّيك، بأبى أنت وأمى! وحيّاك الله بالسلام وقرّبك من رضوانه؛ فقال : أمَا آن لك أن تزورنا ؟ فقد طال العهد واشتدّ الشوق، فما وراءك؟ قلت : لا تسلنى — بأبى أنت وأمى — فإن الدهر قد أخنى علىّ فمـا وجدت مستغاثا غيرك ؛ فقال : لا تُرَعْ فقد وردتَ على ما تحب

181 / ٥ إنْ شاء الله . فوالله إنى لأخاطبه فإذا بثلاثة فِتْية قد خرجوا كأنهم الأَشْطان[٤] ، فسلّموا عليه، فاستدنى الأكبرَ منهم فهَمَس إليه بشىء دونى ودون أخويه ؛ فمضى إلى البيت ثم رجع، فجلس إليه فكلّمه بشىء دونى ثم ولّى، فلم يلبَث أن خرج ومعه عبدٌ ضابط[٥] يحمل عِبئًا من الثياب حتى ضرب به بين يدىّ؛ ثم همس إليه ثانيةً فعاد،

---

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « المحمود » وقد اتفقت عليها جميع الأصول قبل هذا الموضع بقليل . (٢) فى ح : « أصابتنى أزمة وقحمة بالمدينة » . والقحمة السنة الشديدة والقحط . (٣) فى ح : « ينبلق» . (٤) الأشطان : جمع شطن وهو الحبل، وقيل الحبل الطويل . (٥) ضابط : قوى شديد .

و إذا به قد رجع ومعه مثلُ ذلك، فضرب به بين يدىّ . فقال لى عبد الواحد : ٱدْنُ يا أبا إسحاق ، فإنى أعلم أنك لم تَصِر إلينا حتى تفاقم صَدْعُك، فخذ هذا وارجع إلى عيالك، فوالله ما سَلَلْنا لك هذا إلا من أشداق عيالنا ؛ ودفع إلىّ ألفَ دينار، وقال لى : قُمْ فارحل فأَغِثْ مَنْ وراءك؛ فقمت إلى الباب، فلما نظرت إلى ناقتى ضِقتُ؛ فقال لى : تعال، ما أرى هذه مُبلغتَك، يا غلامُ، قَدِّم له جملى فلانًا . فوالله لقد كنتُ بالجمل أشدَّ سرورًا منى بكل ما نِلْته ؛ فهل تلومنى أن أَغَصّ حِذارَ سخط هذا بالقَراح! ووالله ما أنشدتُه ليلتئذ بيتًا واحدًا .

مدح المنصور فعاتبه لمدحه بنى أمية ثم أكرمه

أخبرنى محمد بن خلف وَكيع قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدّثنى محمد بن عمر الجُرْجانىّ قال حدّثنى عثمان(١) بن حَفْص الثَّقَفىّ قال حدّثنى محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين — صلّى الله عليه — قال :

دخلت مع أبى على المنصور بالمدينة وهو جالس فى دار مروان ، فلما اجتمع الناس قام ٱبن هَرْمة فقال : يا أمير المؤمنين، جعلنى الله فداءك، شاعرك وصنيعتك إن رأيت أن تأذن لى فى الإنشاد؛ قال هاتِ؛ فأنشده قولَه :

* سَرَى(٢) ثوبَه عنك الصِّبا المتخايِلُ *

حتى انتهى إلى قوله :

له لَحَظاتٌ عن حِفَافَىْ(٣) سريره * إذا كَرّها فيها عِقابٌ ونائلُ
فأُمُّ الذى آمنتَ آمنـةُ الرَّدَى * وأُمُّ الذى خوّفتَ بالثُّكل ثاكلُ

---

(١) كذا فى حـ . وقد مر فى أكثر من موضع فى الأجزاء السابقة : وفى سائر الأصول هنا : « عمر بن حفص الثقفى » . (٢) سرى عنه الثوب : كشفه . (٣) حفاف الشىء : جانبه .

فقال له المنصور : أمَا لقد رأيتك فى هـذه الدار قائمـًا بين يدى عبـد الواحد بن سليمان تُنشده قولكَ فيه :

وجدنا غالبـًا كانت جَناحًا * وكان أبوك قادمةَ الجَناح

قال : فقُطع بآبنِ هرمة حتى ما قدَر على الاعتذار ، فقال له المنصور : أنت رجل شاعر طـالب خير، وكل ذلك يقول الشاعر ، وقد أمر لك أمير المؤمنين بثلثمائة دينـار . فقام إليه الحسن بن زيد فقال : يا أمير المؤمنين ، إن ابن هرمة رجل مِنْفاق مِتْلاف لا يُليق شيئا (١) ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر له بها يُجرَى عليه منها ما يكفيه ويكفى عياله ويكتبَ بذلك إلى صاحب الجارى (٢) أن يُجريَها عليهم فعل؛ فقال : افعلوا ذلك به . قال : وإنما فعل به الحسن بن زيد هذا لأنه كان مُغضَبًا عليه لقوله يمدح عبدَ الله بن حسن :

ما غَيّرتْ وجهَـــه أمٌّ مهجّنة * إذا القَتامُ تَغشّى أَوْجُهَ الهُجُنِ

حدّثنى يحيى بن على بن يحيى ، وأخبرنا آبن أبى الأزهر وجَحْظة قالا حدّثنـا حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال يحيى بن على فى خبره عن الفضل بن يحيى، ولم يقله الآخران :

دخل ابن هرمة على المنصور وقال : يا أمير المؤمنين، إنى قد مدحتك مديحًا لم يمدح أحد أحدًا بمثله ؛ قال : وما عسى أن تقول فىّ بعد قول كعب الأشـقرىّ (٣) ١٨٢/٥
فى المهلّب :

---

(١) لا يليق شيئا : أى ما يمسكه ولا يلصق به . (٢) كذا فى ب ، س . والظاهر أنه يريد بالجارى الدائم المتصل من الوظائف . وفى سائر الأصول : « الجار » .

(٣) هو كعب بن معدان ، من الأزد وأمه من عبد القيس ، شاعر فارس خطيب معدود فى الشجعان ، من أصحاب المهلب . وهذا البيت من قصيدة له يمدح بها المهلب ويذكر قتاله الأزارقة . وله ترجمة تقع فى الأغانى (ج ١٢ ص ٥٦ — ٦٤ طبع بولاق) .

براكَ اللهُ حين براك بحرًا * وفجَّر منك أنهارًا غِزارًا

فقال له : قد قلتُ أحسنَ من هذا؛ قال : هات، فأنشده قولَه :

له لحَظات عن حِفَافَىْ[(١)] سَرِيره * إذا كرّها فيها عقابٌ ونائلُ

قال : فأمر له بأربعة آلاف درهم . فقال له المهدىّ : ياأمير المؤمنين، قد تكلّف في سفره إليك نحوَها؛ فقال له المنصور : يا بُنَىّ، إنى قد وهبت له ما هو أعظم من ذلك، وهبتُ له نفسَه، أليس هو القائل لعبد الواحد بن سليمان :

إذا قيل مَنْ خيرُ مَنْ يُرتجى * لمُعْـتَرِّ[(٢)] فِهْـرٍ ومحتاجِهـا
ومن يُعجِل الخيلَ يومَ الوغى * بإلجامهـا قبلَ إسراجهـا
أشارت نسـاءُ بنى غالب * إليـكَ به قبْـلَ أزواجهـا

وهذه القصيدة من فاخر شعر ابن هرمة، وأولُها :

أجارتَنـا رَوِّحى نَغْمـةً * على هائم النفس مُهتاجِهـا
ولا خـيرَ فى وُدِّ مُستكرَهٍ * ولا حاجةٍ دون إنضاجها

— يقول فيها يمدح عبدَ الواحد بن سليمان — :

كأن قُتودى على خاضبٍ * زَفُوفِ العَشِـيّات هَدّاجِها[(٣)]
إلى مَلِكٍ لا إلى سُـوقة * كسَتْه الملوك ذُرَا تاجهـا
تحُـلُّ[(٤)] الوفـود بأبوابه * فتلْقى الغِنى قبْـلَ إرتاجها
بقَـرّاع أبواب دور الملو * كِ عنـدَ التحية ولّاجهـا

(١) كذا فى حـ هنا وفيما مضى فى جميع الأصول . وفى سائر الأصول هنا : « فى » .
(٢) المعتر : الفقير والمتعرض للمعروف من غير أن يسأل (٣) القتود : جمع قتد وهو خشب الرحل . والخاضب : ذكر النعام . وزفوف : حسن المشى سريعه . والهداج : الذى فى مشيه أو عدوه أو سعيه ارتعاش . (٤) فى س : « تحلى » وهو تحريف .

إلى دار ذى حسبٍ ماجدٍ * حَمُــول المَغارم فَرّاجهــا
رَكُودِ[1] الجفان غداةَ الصَّبا * ويومَ الشَّمال وإرهاجِهــا[2]
وقفتُ بمَدْحِيه عنــد الجِمَا * رِ[3] أنشده بين حُجّاجهــا

دس المنصور اليه من يسمع منه مدحه لعبد الواحد ففطن لذلك وأنشده من شعره فى المنصور وأخذ جائزته

أخبرنى محمــد بن جعفر النحوىّ صهرُ المبرّد قال حدّثنى أبو إسحاق طلحةُ بن عبد الله الطلحىّ قال حدّثنى محمد بن سليمان[4] بن المنصور قال :

وجّه المنصور رسولًا قاصــدا إلى ابن هرمة ودفع إليــه ألفَ دينار وخِلعة ، ووصفه له وقال: امض إليه؛ فإنك تراه جالسًا فى موضع كذا من المسجد ، فانتسبْ له إلى بنى أمية أو مواليهم ، وسَلْه أن يُنشدك قصيدتَه الحائية التى يقول فيها يمدح عبدَ الواحد بن سليمان :

وجدنا غالبًا كانت جناحًا * وكان أبوك قادمةَ الجناح

فإذا أنشــدكها فأخرجه من المسجد واضرب عنقَه وجئنى برأســه ؛ وإن أنشدك قصيدته اللامية التى يمدحنى بها فادفع إليه الألفَ الدينار والخِلعة، وما أُراه يُنشدك غيرَها ولا يعترف بالحائية . قال: فأتاه الرسول فوجده كما قال المنصور، فجلس إليــه واستنشده قصيدته فى عبد الواحد؛ فقال : ما قلت هذه القصيدةَ قطُّ ولا أعرفها وإنما نحلها إياى مَنْ يُعادينى، ولكنْ إن شئتَ أنشدتك أحسنَ منها؛ قال: قد شئتُ فهات؛ فأنشده : ١٨٣ / ٥

* سَرى ثوبَه عنك الصِّبا المتخايلُ *

حتى أتى على آخرها؛ ثم قال له : هاتِ ما أمرك أمــير المؤمنيــن بدفعــه إلىّ ؛ فقال : أىّ شىء تقول يا هذا وأىّ شىء دَفع إلىّ ؟ فقال : دَعْ ذا عنك ، فوالله

(١) الركود من الجفان : الثقيل المملوء . (٢) الإرهاج : الإمطار . (٣) الجمار : اسم موضع بمنى وهو موضع الجمرات الثلاث . (٤) فى حـ : « محمد بن سليمان المنصور » .

ما بعثك إلا أميرُ المؤمنين ومعك مالٌ وكسوة إلىّ، وأمرك أن تسألنى عن هذه القصيدة فإن أنشدتك إياها ضربتَ عنقى وحملتَ رأسى إليه، و إن أنشدتك هذه اللامية دفعتَ إلى ما حمّلك إياه؛ فضحك الرسول ثم قال: صدقتَ لعمرى؛ ودفع إليه الألف الدينار والخلعة . فما سمعنا بشيء أعجب من حديثهما .

استقل المهدى على المنصور جائزته له فأجابه

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثنا عمّى عن جدّى قال :

لما أنشد ابنُ هرمة المنصورَ قصيدتَه اللامية التى مدحه بها أمر له بألف(١) درهم ؛ فكلّمه فيه المهدىّ واستقلّها ؛ فقال يا بُنى ، لو رأيتَ هذا بحيث رأيتُه وهو واقف بين يدى عبد الواحد بن سليمان يُنشده :

وجدنا غالبًا كانت جناحًا * وكان أبوك قادمةَ الجناحِ

لاستكثرتَ له ما استقللتَه ، ولرأيتَ أنّ حياته بعد ذلك القول ربح كثير . والله إنى يابُنىّ ما هممت له منذُ يومئذ بخير فذكرتُ قولَه إلا زال ما عرض بقلبى الى ضده حتى أهُمّ بقتله ثم أعفوَ عنه . فأمسك المهدىّ .

بعض شعره الذى يغنى فيه

ومما يُغَنّى فيه من مدائح ابن هرمة فى عبد الواحد بن سليمان قولُه من قصيدة أنا ذاكرها بعد فراغى من ذكر الأبيات ، على أن المغنين قد خلطوا مع أبياته أبياتًا لغيره :

صــوت

ولما أنْ دنا منّا ارتحالٌ * وقُرِّب ناجياتُ السيرِ كُومُ(٢)

تحاسَرَ واضحاتُ اللونِ زُهْرٌ * على ديباجِ أوجهها النعيم

(١) فى أ ، ء : « بألفى » .

(٢) الناجيات : النوق السريعة تنجو بمن ركبها . والكوم : النوق الضخمة السنام .

أَتَيْنَ مودِّعاتٍ والمطايا * لدَى أكوارها خوصٌ هُجُوم [١]
فكم من حُرّة بين المُنَقَّى [٢] * إلى أُحُدٍ إلى ما حاز رِيم [٣]

ويروى :

* فكم بين الأقارع فالمُنَقَّى [٤] *

وهو أجود .

إلى الجَمَّاء [٥] من خدٍّ أَسيل * نقِىّ اللون ليس به كُلُوم
كأنى من تذكُّر ما أُلاقى * إذا ما أظلم الليلُ البهيم
سَلِيمٌ مَلَّ منه أقربوه * وأسلمه المُداوِى والحميم

ذكر الزُّبير بن بكّار أن هذا الشعر كله لأبى المِنْهال نُفَيلة [٦] الأشجعىّ . قال [٧] : وسمعتُ بعض أصحابنا يقول : إنه لمَعْمَر بن العَنْبَر [٨] الهُذَلِىّ . والصحيح من القول، أن بعض هذه الأبيات لابن هرمة من قصيدة له يمدح بها عبدَ الواحد بن سليمان

---

(١) خوص : جمع أخوص وخوصاء، والخوص : ضيق العين وصغرها وغؤورها . وهجمت العين هجوما : غارت ودخلت فى موضعها .
(٢) المنق : طريق بين أحد والمدينة .
(٣) الريم : (بالكسر والهمز ويهمل) : واد لمزينة قرب المدينة .
(٤) الذى فى المعاجم : الأقرع (بالإفراد) وهو جبل بين مكة والمدينة بالقرب منه جبل يقال له الأشعر . وقد تقدم غير مرة أنه يسوغ فى الشعر أن يجىء اسم المكان مفردا ومثنى ومجموعا حسب الضرورة الشعرية والكل واحد .
(٥) الجماء : جبيل من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الجرف (بضم الجيم وسكون الراء)، وقيل : هى إحدى هضبتين عن يمين الطريق للخارج من المدينة إلى مكة . وقيل : الجماوات ثلاث بالمدينة : جماء تضارع التى تسيل على قصر أم عاصم وبئر عروة ، وجماء أم خالد التى تسيل على قصر محمد بن عيسى الجعفرى وما والاه، وجماء العاقر وبينها وبين جماء أم خالد فسحة وهى تسيل على قصور جعفر بن سليمان وما والاها .
(٦) فى أ ، ء هنا وفيما سيأتى فى جميع الأصول ما عدا ب ، س : «بقيلة» (بالباء والقاف) .
(٧) كلمة «قال» ساقطة فى حـ .
(٨) فى حـ : «العنبرى» . ولم نوفق لترجيح إحدى الروايتين .

مخفوضة الميم، ولمّا غُنّي فيها وفي أبيات نُفَيْلة وخلط فيه ما أوجب خفض القافية غُيّر إلى ما أوجب رفعها. فأمّا ما لابن هرمة فيها فهو من قصيدته التي أولها:

أجارتَنا بذي نَفَرٍ(١) أقيمي * فما أبكى على الدهر الذميم
١٨٤/٥ أقيمي وجهَ عامك ثم سيري * بلا واهي الجِوار ولا مُليم
فكم بين الأقارع فالمُنَقَّى * إلى أُحُدٍ إلى أكناف ريم
إلى الجمّاء مِنْ خدٍّ أسيلٍ * نقيّ اللون ليس بذي كُلُوم
ومن عينٍ مكحَّلةِ الأماقي * بلا كُحْلٍ ومن كَشْحٍ هَضيم
أرِقتُ وغاب عنّي من يلوم * ولكنْ لم أنَمْ أنا للهموم
أرِقتُ وشفّني وَجَعٌ بقلبي * لزينبَ أو أُميمةَ أو رَعُوم
أقاسي ليلةً كالحَوْل حتى * تبدّى الصبحُ مُنقطعَ البَريم(٢)
كأنّ الصبح أبلقُ في حُجُول * يَشُبُّ ويتّقي ضربَ الشَّكيم
رأيتُ الشَّيب قد نزلتْ علينا * روائعُه بحجة مستقيم
إذا ناكرْتُه ناكرتُ منه * خصومةَ لا ألدَّ ولا ظَلُوم
وودّعني الشباب فصرتُ منه * كراضٍ بالصغير من العظيم
فدعْ مالا يُرَدُّ عليك شيئًا * من الجارات أو دِمَن الرسوم
وقُلْ قولا تُطَبِّق(٣) مِفصَلَيْه * بمِدحة صاحب الرأي الصَّروم(٤)

(١) كذا في أكثر الأصول. وذو نفر (بالتحريك، ويروى بالسكون): موضع على ثلاثة أيام من السليلة بينها وبين الربذة، وقيل: خلف الربذة بمرحلة في طريق مكة. وفي حـ: «بذي بقر». وذو بقر: واد بين أخيلة الحمى حمى الربذة. وذو نفر وذو بقر متقاربان.

(٢) البريم: ضوء الشمس مع بقية سواد الليل. (٣) تطبق مفصليه: تصيب فيه الحجة، وأصله: إصابة المفصل وهو طبق العظمين أي ملتقاهما فيفصل بينهما. (٤) الصروم: القاطع.

لعبد الواحد الفَلْجُ[1] المعلَّى * علا خُلُقَ النَّفُورة[2] والخُصُومِ
دعتْه المَكْرُماتُ فناولتْه * خِطامَ المجد فى سِنّ الفَطِيمِ

وهى طويلة . فمن الأبيات التى فيها الغناء أربعةُ أبياتٍ لابن هرمة قد مضت فى هذه القصيدة ؛ وإنما غُيِّرت حتى صارت مرفوعةً ، فاتّفقت الأبياتُ وغُنّى فيها . وأما أبيات نُفَيلة فما بقى من الصوت المذكور بعد أبيات ابن هرمة له . ويتلو ذلك من أبيات نُفَيلة قولُه :

يُضىء دجى الظلام إذا تبدَّى * كضوء الفجر منظرُه وَسِيمُ
وقائلةٍ ومُثْنيةٍ علينا * تقول وما لها فينا حَمِيمُ
وأُخرى لُبُّها معنا ولكنْ * تَصَبَّرُ وهى واجمةٌ كَظومُ
تَعُدّ لنا الليالى تحتصيها * متى هو حائنٌ[3] منه قُدومُ
متى تَرَ غفلةَ الواشين عنها * تَجُدْ[4] بدموعها العينُ السَّجومُ

والغناء فى هذه الأبيات المذكورة المختلط فيها شعرُ ابن هرمة ونفيلة لمعبد، ولحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو ويونس . وفيها لحن من الثقيل الثانى ينسب إلى الوابصىّ . وفيها خفيف ثقيل ينسب إلى معبد وإلى ابن سريج .

الوابصى وأخباره

وهذا الوابصىّ هو الصَّلْت بن العاصى بن وابِصة بن خالد بن المُغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم . كان تنصّر ولحق ببلاد الروم؛ لأن عمر بن عبد العزيز — فيما ذُكر — حدّه فى الخمر، وهو أمير الحجاز ، فغضب فلحق ببلاد الروم وتنصّر هناك، ومات هنالك نصرانيا .

حدّه عمر بن عبد العزيز فى الخمر فذهب إلى بلاد الروم وتنصر ومات نصرانيا

(١) الفلج : الظفر والغلب . (٢) نفورة الرجل : نافرته وهى أسرته وفصيلته التى تغضب لغضبه .
(٣) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « منا » . (٤) فى جـ : « يوما » .

رآه رسول عمر بن عبد العزيز الذى ذهب الى الروم لفك الأسرى

فأخبرنا محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدثنا أحمد بن زُهير قال حدثنا الزبير ابن بكّار قال حدثنى عبد الله بن عبد العزيز قال أخبرنى ابن العلاء[1] — أظنه ١٨٥/٥ أبا عمرو أو أخاه — عن جُوَيرِيَة بن أسماء عن إسماعيل بن أبى حَكيم، وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدثنا عمر بن شَبّة قال حدثنا سعيد بن عامر[2] عن جويرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبى حَكيم، وقد جمعت الروايتين، قال اليزيدىّ فى خبره: إن إسماعيل حدّث: أن عمر بن عبد العزيز بَعث فى الفداء. وقال عمر بن شَبّة: إن إسماعيل حدّث قال: كنت عند عمر بن عبد العزيز فأتاه البريد الذى جاء من القسطنطينية فحدّثه قال: بينا أنا أَجُول فى القسطنطينية إذ سمعت رجلا يغنّى بلسان فَصيح وصوت شَجٍ:

فكم من حُـرَّة بين المُنَقّى * إلى أُحُدٍ إلى جَنَبات رِيمِ

فسمعتُ غناءً لم أسمع قطُّ أحسنَ منه. فلما سمعت الغناء وحُسنَه، لم أدر أهو كذلك حَسَنٌ، أم لغربته وغربة العربيّة فى ذلك الموضع. فدنوت من الصوت، فلما قرُبت منه إذا هو فى غرفة، فنزلت عن بغلتى فأوثقتها ثم صَعِدت إليه فقمت على باب الغرفة، فإذا رجل مُسْتلقٍ على قَفَاه يغنّى هذين البيتين[3] لا يزيد عليهما وهو واضعٌ إحدى رجليه على الأخرى، فإذا فرَغ بكى فيبكى ما شاء الله ثم يعيد الغناء. ففعل ذلك مرارا، فقلت: السلام عليكم، فوثب وردّ السلام، فقلت: أَبشِر فقد فَكّ الله أسرك، أنا بريد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى هذا الطاغية فى فداء

(١) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «ابن أبى العلاء» وهو تحريف.

(٢) هو سعيد بن عامر الضبعى (بضم المعجمة وفتح الموحدة) أبو محمد البصرى وهو ابن أخت جويرية بن أسماء وعنه يروى. وقد ورد فى حـ: «سعيد بن عامر بن جويرية ... الخ». وورد فى سائر الأصول: «سعيد بن عباس» وكلاهما تحريف.

(٣) يلاحظ أن الذى تقدم بيت واحد.

الأسارى . ثم سألته : من أنت؟ فقال : أنا الوابصىّ، أُخذت فعُذّبت حتى دخلت فى دينهم ؛ فقلت له : أنت والله أحبُّ مَنْ أفتديه إلى أمير المؤمنين وإلىّ إن لم تكن دخلتَ فى الكفر؛ فقال : قد والله دخلت فيه؛ فقلت : أَنْشُدك اللهَ إلّا أسلمتَ؛ فقال : أأُسلم وهذان ابناى وقد تزوجت آمرأة منهم وهذان ابناها، وإذا دخلتُ المدينة قيل لى يا نصرانىّ وقيل مثل ذلك لولدىّ وأمهما! لا والله لا أفعل . فقلت له : قد كنتَ قارئا للقرآن فما بقى معك منه؟ قال : لا شىء إلا هذه الآية ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ . قال : فعاودته وقلت له : إنك لا تُعيَّر بهذا ؛ فقال : وكيف بعبادة الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ؟ فقلت : سبحان الله ! أما تقرأ : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ فجعل يُعيد علىّ قولَه : فكيف بما فعلت! ولم يجبنى إلى الرجوع . قال : فرفع عمر يديه وقال : اللهم لا تمتنى حتى تمكننى منه . قال : فوالله مازلت راجيا لإجابة دعوة عمرَ فيه . قال جويرية فى حديثه : وقد رأيت أخا الوابصىّ بالمدينة .

لقيه رجل بصرى فأخبره أن سبب تنصره عشقه لامرأة منهم

وقال يعقوب بن السِّكِّيت فى هذا الخبر . أخبرنى ابن الأزرق عن رجل من أهل البصرة أُنسيت آسمَه قال :

نزلنا فى ظلّ حصن من الحصون التى للروم، فإذا أنا بقائل يقول من فوق الحصن :

فكم بين الأقارع فالمُنَقَّى ❊ إلى أُحُدٍ إلى ميقات رِيم
إلى الزَّوراء(١) من ثغر نَقِيٍّ ❊ عوارضه ومن دَلٍّ رخيم
ومن عين مُكَحَّلة الأماقى ❊ بلا كُحْلٍ ومن كَشْحٍ هضيم

(١) الزوراء : اسم يطلق على أكثر من موضع . والظاهر أنه يريد بها هنا موضعا عند سوق المدينة يطلق عليه هذا الاسم لقرب هذا الموضع من المواضع المذكورة فى البيت السابق .

وهو يُنشد بلسان فصيح ويبكى، فناديته : أيها المنشد، فأشرف فتًى كأحسن الناس . فقلت : مَن الرجل وما قصتك ؟ فقال : أنا رجل من الغُزاة من العرب نزلتُ مكانَك هذا، فأشرفتْ علىّ جارية كأحسن الناس فعشقتُها فكلّمتها؛ فقالت : إن دخلتَ فى دينى لم أخالفك؛ فغلب علىّ الشيطان فدخلت فى دينها، فأنا كما ترى. فقلت : أكنتَ تقرأ القرآن؟ فقال: إى والله لقد حفظته. قلت: فما تحفظ منه اليوم؟ قال: لا شىء إلا قوله عزّ وجل: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾. قلت: فهل لك أن نُعطيَهم فداءك (١) وتخرج ؟ قال : ففكّر ساعة ثم قال : انطلقْ صَحِبك الله .

١٨٦ / ٥

بعض ما ورد فى شعر ابن هرمة من الأخبار

ومما فى الأخبار من شعر ابن هرمة :

صوت

من المائة المختارة

فى حاضِرٍ لَجِبٍ (٢) بالليل سامرُه * فيه الصواهلُ والرايات والعَكَرُ

وخُرّد كالمَهَا حُور مدامعُها * كأنها بين كُثْبان النَّقا البَقَر

الشعر لابن هرمة . والغناء فى اللحن المختار لحُنين، ولحنه من الثقيل الأوّل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق . قال إسحاق : وفيه لأبى هَمْهَمة لحن من الثقيل الأوّل أيضا . وأبو هَمْهَمة هذا مغنٍّ أسودُ من أهل المدينة ، ليس بمشهور ولا ممن نادم الخلفاء ولا وجدت له خبرا فأذكره .

---

(١) فى حـ : « أن نعظم لهم فداءك » . (٢) الحاضر : الحى العظيم . والسامر : المتسامرون . والعكر : جمع عكرة (محركة) وهى القطعة من الإبل ، قيل : ما فوق خمسمائة ، وقيل : ما بين الخمسين إلى المائة .

صـــوت
من المـائة المختارة

بزينب أَلْمِمْ قبل أن يرحل الركبُ * وقُلْ إن تَمَلَّينا فما مَلَّكِ القلبُ
وقل فى تَجَنِّيها لكَ الذنبَ : إنما * عتابُكَ مَنْ عاتبتَ فيما له عَتْبُ

الشعر لنُصَيب . والغناء فى اللحن المختار لكَرْدَم بن معبد ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمعبد لحن آخر من خفيف الثقيل عن يونس والهشامىّ ودَنانيرَ . وفيه لإبراهيم لحن آخر من الثقيل الأوّل ذكره الهشامىّ .

بعض أخبار نصيب

وقد تقدّم من أخبار نُصيب ما فيه كفاية ، وإنما تأخر منها ما له موضع يصلُح إفرادُه فيه ، مثل أخبار هذا الصوت .

ذكر عن نفسه أنه قال شعرا فعلم أنه شاعر

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدى قال حدّثنا عمى الفضل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلى عن ابن كُناسة قال :

قال نصيب : ما توهمت أنى أُحسن أن أقول الشعرَ حتى قلت :

* بزينبَ أَلْمِمْ قبلَ أن يرحل الركبُ *

سمع جميل وجرير من شعره فتمنيا لو أنهما سبقاه إليه

أخبرنا الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحِزامىّ عن محمد بن مَعْن الغِفارىّ قال أخبرنى ابن الربيح (١) قال :

مرّ بنا جَميل ونحن بضَرِيّة (٢) ، فاجتمعنا إليه فسمعته يقول : لأن أكون سَبقتُ الأسود إلى قوله :

(١) كذا فى أ ، ء . وفى ب ، س : « الذبيح » . وفى حـ ، م : « الزبيح » ، وكلاهما تحريف . (راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٤ من الجزء الرابع من هذه الطبعة) .

(٢) ضرية : قرية عامرة قديمة فى طريق مكة من البصرة من بلاد نجد . وقيل : هى صقع واسع بنجد ينسب إليه حمى ضرية المعروف ، يليه أمراء المدينة و ينزل به حاج البصرة بين الجديلة وطخفة .

* بزينبَ ألمِمْ قبل أن يرحل الركبُ *

أحبُّ إليّ مِنْ كذا وكذا — لشىءٍ قاله عظيم — .

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنى الزبير قال حدّثنى سعيد بن عمرو عن حَبيب(١) بن شَوذب الأَسَدىّ قال :

مرّ بنا جَرير بن الخَطَفَى ونحن بضَرِيّة ، فاجتمعنا إليه فسمعتُه يقول : لَأَنْ أكونَ سَبقتُ العبدَ إلى هذا البيت أحبُّ إلىّ من كذا وكذا ، يعنى قولَه : ١٨٧ / ٥

* بزينبَ ألمِمْ قبلَ أن يرحل الركبُ *

أنشده الكميت من شعره وبكى

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدىّ قال حدّثنى عمّى الفضل عن إسحاق الموصلى عن ابن كُناسة قال :

اجتمع الكُميت بن زيد ونُصيب فى الحمّام ، فقال له الكميت : أنشدنى قولك :

* بزينبَ ألمِمْ قبلَ أن يرحل الركبُ *

فقال : والله ما أحفظها ، فقال الكميت : لكنّى أحفظها ، أفأنشدك إياها ؟ قال : نعم ، فأقبل الكميت يُنشده وهو يبكى .

كان مع زوجته فمر به ابن سريج يتغنى بشعره فيها فلامته

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيب بن نصر المهلّبى قالا(٢) حدّثنا عمر بن شَبّة قال ذكر ابن أبى الحُوَيرث عن مولاة لهم ، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص عن مولاة لهم قالت : إنا لبِمِنًى إذ نظرتُ

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : « حبيب بن شوذب » . والمعروف بابن شوذب هو عبد الله أبو عبد الرحمن البلخى ، وقد تقدم فى الأجزاء السابقة من هذا الكتاب .

(٢) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : « قال » . وهو تحريف .

إلى أبنيـة مضروبة وأثاث وأمتعة ، فلم أدرِ لمن هى ، حتى أُنيخ بعير، فنزل عنـه أسودُ وسوداء فألقيا أنفسهما على بعض المتاع ، ومَرّ راكب يتغنّى غناء الركبان :

* بزينبَ ألمِم قبلَ أن يرحل الركبُ *

فرأيت السـوداء تخبط الأسود وتقـول له : شهّرتنى وأذعت فى النـاس ذكرى(١)؛ فإذا هو نُصيب وزوجته . قال إسحاق فى خبره : وكان الذى اجتاز بهم وتغنّى ابن سريج .

كان ابن سريج يغنى لنسوة فى شعره فلم يشأ أن يتعرف بهن

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن كُناسة عن أبيه قال : [قال](٢) نُصيب : والله إنى لأسير على راحلتى إذ أدركت نسوةً ذواتِ جمال يتناشدنَ(٣) قولى :

* بزينبَ ألمِم قبل أن يرحل الركبُ *

وإذا معهنّ ابن سُرَيج؛ فقلن له : يا أبا يحيى، غَنِّنا فى هذا الشعر، فغناهنّ فأحسن ؛ فقلن : وَدِدْنا والله يا أبا يحيى أن نُصيبا معنا فيتمّ سرورنا ؛ فحرّكتُ بعيرى لأتعرّف بهنّ وأُنشدهنّ؛ فالتفتت إحداهنّ إلىّ فقالت حين رأتنى : والله لقد زعموا أن نُصيبا يشبه هذا الأسود لاجَرَم؛ فقلت : والله لا أتعرّف بهنّ سائرَ اليوم، ومضيت وتركتهنّ . قال : وكان الذى تغنى به ابنُ سُرَيج من شعرى :

بزينب ألمِم قبل أن يرحل الركبُ * وقُـل إن تَمَلّينا فما ملّك القلبُ
وقُل إن تُنَـل بالحبّ منكِ مودّةٌ * فما مثلُ ما لُقِّيت من حُبكم حب
وقل فى تجنّبهـا لكَ الذنبَ إنما * عتابكَ من عاتبتَ فيما له عتْب

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فكرى» ، وهو تحريف . (٢) التكلة عن حـ .
(٣) فى الأصول : « يتناشدون » وهو تحريف .

فمن شاء رام الوصلَ أو قال ظالمًا * لذى ودّه ذنبٌ وليس له ذنبُ

سأله جد جمال بنت عون أن ينشده قصيدته فى زينب فأنشده

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى إبراهيم ابن عبد الله السّعْدى (١) عن جدّته جَمال بنت عَوْن عن جدّها قال :

قلت للنُّصَيب : أنشدنى يا أبا مِحْجَن من شعرك شيئا؛ فقال : أيّه تريد؟ قلت : ما شئتَ ؛ قال : لا أُنشدك أو تقترحَ ما تريد؛ فقلت : قولك :

* بزينبَ أَلْمِمْ قبلَ أن يرحلَ الركبُ *

قال : فتبسّم وقال : هذا شعرٌ قلته وأنا غلام ؛ ثم أنشدنى القصيدةَ . قال الزبير : وهى أجود ما قال .

لامه عمر على تشبيره بالنساء فأخبر أنه تاب واستجازه فأجازه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى وحبيب بن نصر المهلّبى قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا المَدائنى عن أبى بكر الهُذَلِىّ قال حدّثنى أيوب بن شاس، ونسخت هذا الخبرَ من كتاب أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنى عن أبى بكر الهذلى عن أيوب بن شاس — وروايته أتم من رواية عمر بن شَبّة — قال أيوب : حدّثنى عبد الله بن سعيد :

١٨٨/٥

أن النصيب دخل على عمر بن عبد العزيز لمّا ولى الخلافة؛ فقال له : هِيه يا أسود :

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب * وقُلْ إن تملّينا فما ملّكِ القلبُ

أأنت الذى تَشْهَر النساء وتقول فيهنّ ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إنى قد تركت ذلك وتُبْت من قول الشعر ، وكان قد نسك؛ فأثنى عليه القوم وقالوا فيه قولا

(١) فى ب ، س : « السعيدى » .

جميلا(١)، فقال له : أمّا إذ أثنى عليك القوم فسَلْ حاجتَك، فقال : يا أمير المؤمنين، لى بُنَيّاتٌ سويداوات أرغَب بهنّ عن السودان ويرغب عنهنّ البيضان، فإن رأيتَ أن تفرض لهنّ فافعل، ففعل .

رأى عثمان بن الضحاك امرأة فتمثل بشعره فى زينب فكانت هى وأخبرته أنه آت لزيارتها

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا عبد الله بن شَبيب عن محمد بن المؤمّل ابن طالوت عن أبيه عن عثمان بن الضحّاك الحِزامى قال :

خرجت على بعير لى أريد الحج، فنزلت فى فِناء خيمة بالأبواء(٢)، فإذا جارية قد خرجت من الخيمة ففتحت الباب بيديها، فآستلهانى حسنُها، فتمثّلتُ قولَ نُصيب :

بزينبَ ألمِم قبل أن يرحل الركبُ * وقل إن تملّينا فما ملّكِ القلبُ

فقالت الجارية : أتعرف قائلَ هذا الشعر ؟ قلت : نعم، ذاكِ نصيب، قالت : أفتعرف زينبَ هذه ؟ قلت : لا، قالت : فأنا والله زينبُه، وهو اليومُ الذى وعدنى فيه الزيارةَ، ولعلك لا ترحَل حتى تراه . فوقفتُ ساعة فإذا أنا براكب قد طلع بجفاء حتى أناخ قريبًا منها، ثم نزل فسلّم عليها وسلّمتْ عليه، فقلت : عاشقان التقيا ولا بدّ أن يكون لهما حاجة، فقمت إلى راحلتى فشددتُ عليها، فقال : على رِسْلك، أنا معك، فلبث ساعةً ثم رحل ورحلت معه، فقال لى : كأنك قلت فى نفسك كذا وكذا، قلت : قد كان ذاك، فقال لا، وربِّ الكعبة البَنِيّة المستورة ما جلستُ معها مجلسًا قطُّ هو أقرب من هذا .

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « فأثنى عليه القوم خيرا وقالوه فيه فقال ... الخ » .

(٢) الأبواء : قرية من أعمال الفرع (بضم الفاء وسكون الراء) من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا . وقيل : هى جبل على يمين آرة ويمين الطريق للصعد إلى مكة من المدينة، وهناك بلد ينسب إلى هذا الجبل . وبالأبواء قبر آمنة بنت وهب أم النبى صلى الله عليه وسلم .

شبه حماد بن إسحاق قصيدة له بشعر امرئ القيس

حدّثنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنى حماد بن إسحاق قال قال لى أبو ربيعة :

لو لم تكن هذه القصيدة :

* بزينبَ ألمم قبل أن يرحل الركبُ *

لُنصيب، شِعْرَ مَنْ كانت تُشبه ؟ فقلت : شعر ٱمرئ القيس، لأنها جزلة الكلام جيدة . قال : سبحان الله ! قلت: ما شأنُك ؟ فقال : سألت أباك عن هذا فقال لى مثلَ ما قلتَ، فعجبتُ من ٱتّفاقكما .

منقذ الهلالى وطربه بشعر نصيب

قال هارون وحدّثنى حماد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص الثَّقفى عن رجل سمّاه قال :

أتانى مُنقذ الهلالى ليلةً وضرب علىّ البابَ، فقلت : من هذا؟ فقال : منقذ الهلالىّ؛ فخرجت فزِعا، فقلت : فيم السُّرى[1] — أى ما جاء بك تسرى إلىّ ليلا — فى هذه الساعة ؟ قال : خير، أتانى أهلى بدجاجة مشويّة بين رغيفين[2]، فتغذّيت بها معهم، ثم أُتيتُ بقنّينة نبيذ قد التق طرفاها، فشرِبتُ وذكّرت قول نُصَيْب :

* بزينب ألمِمْ قبل أن يَرحلَ الرّكبُ *

فانشدتُها فأطربَتْنى ، وفكّرت فى إنسان يفهم حُسْنَ ذلك ويعرف فضله فلم أجد غيرَك فأتيتك . فقلت : ما جاء بك إلا هذا ؟ ! قال : لا، وٱنصرف .

قال حماد : معنى قوله «التق طرفاها» أى قد صَفَت وراقت فأسفلها وأعلاها سواء فى الصفاء .

١٨٩ / ٥

وممّا يُغنّى فيه من قصيدة نُصيب البائيّة المذكورة قولُه :

(١) كذا فى حـ . وفى أ ، ى ، م : «فا السرى أى ما جاء بك ... الخ» وفى ب، سـ : فا السر الذى جاء بك ... الخ» . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فتغديت» (بالدال المهملة) .

صـــــوت

خليلىّ من كَعْبٍ ألِمّـا هُدِيتُما * بزينب لا يَفْقِدْكُما أبدًا كعبُ
مِنَ اليــومِ زُوراها فإن رِكابَنا * غداةَ غدٍ عنها وعن أهلها نُكْبُ

الغناء لمـالك خفيفُ ثقيل أول بالوسطى عن عمرو بن بانة .

صـــــوت

من المـائة المختارة على رواية جحظة عن أصحابه :

النَّشْرُ مِســكٌ والوجـــوهُ دنا * نيرٌ وأطــرافُ الأكــفِّ عَنَمْ
والدار وَحْشٌ والرســوم كما * رَقَّش فى ظهــر الأديم قَــلَمْ
لستُ كأقــوام خلائقُهــم * نَثُّ أحاديث وهتــكُ حُرَمْ

— نَثُّ الحديث : إشاعته . والعَنَم : شجر أحمر، وقيل : بل هو دود أحمر كالأَسَاريع[1] يكون فى البقل فى أيام الربيع . والأديم : الجلد . وجلد كل شىء أديمه . ورقَّش : زين — الشعر لمرقِّش[2] الأكبر، والغناء لابن عائشة هزج بالبنصر فى مجراها .

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « كالتساريع » . ولعلها مصحفة عن « اليساريع » وهى بمعنى الأساريع . (٢) هــذا الشعر من قصيدة للرقش يرثى بها ابن عمه ثعلبة بن عوف بن مالك ابن ضبيعة ، قتله مهلهل فى ناحية التغلبين ، وكان معه مرقش فأفلت ، ثم إنه طلب بدم ثعلبة فقتل رجلا من تغلب يقال له عمرو بن عوف . وقد وردت هذه الأبيات فى المفضليات (ص ٤٨٤ — ٤٩٢ طبع أوربا) على غير هذا الترتيب وباختلاف يسير .

أخبار المرقش الأكبر ونسبه

نسبه وسبب تسميته بالمرقش وقرابته للمرقش الأصغر

المرقِّش لقب غلب عليه بقوله :

الدار وَحْشٌ والرسـوم كما * رقّش فى ظهـر الأديم قـلَمْ

وهو أحد من قال شعرا فلُقّب به . واسمُه — فيما ذكر أبو عمرو الشَّيْبانى — عمرو . وقال غيره : عوف[1] بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثَعْلبة الحِصْن[2] ابن عُكَابة بن صَعْب بن على بن بكر بن وائل . وهو أحد المتيَّمين . كان يهوى ابنة عمه أسماءَ بنت عوف بن مالك بن ضُبيعة، وكان المرقِّش الأصغر ابنَ أخى المرقش الأكبر. واسمه — فيما ذكر أبو عمرو — ربيعةُ بن سفيان بن سعد بن مالك. وقال غيره: هو عمرو بن حَرْملة بن سعد بن مالك .. وهو أيضا أحد المتيَّمين، كان يهوى فاطمة بنت المنذر الملك و يتشبّب بها. وكان للمرقِّشين جميعا موقعٌ فى بكر بن وائل وحروبها مع بنى تغلب، و بأسٌ وشجاعة ونجدة وتقدُّم فى المَشَاهد ونكايةٌ فى العدو وحسنُ أثر.

عوف بن مالك المعروف بالبرك

وكان عوف بن مالك بن ضُبَيعة عمُّ المرقِّش الأكبر من فرسان بكر بن وائل . وهو القائل يوم قِضَة : يا لَبكر بن وائل، أفى كل يوم فرار! ومحلوفى[3] لا يمرّ بى رجل من بكر بن وائل منهزماً إلّا ضربتُه بسيفى . و بَرَك يقاتل؛ فسمِّىَ البُرَكَ يومئذ .

عمرو بن مالك وأسره لمهلهل

وكان أخوه عَمْرو بنُ مالك أيضا من فُرْسان بكر، وهو الذى أسر مُهلهِلا ، التقيا فى خَيْلين من غير مُزاحفة فى بعض الغارات بين بكر وتَغلِب، فى موضع يقال له نقَا

(١) قيل سمى عوفا باسم عمه والد أسماء التى كان يهواها و يتشبب بها . (راجع المفضليات) .

(٢) كذا فى حـ وقد صححها الأستاذ الشنقيطى كذلك فى نسخته المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٤٤ أدب ش) . وفى سائر الأصول : « الحصين » وهو تحريف . (راجع المعارف لابن قتيبة ص ٤٧ ، ٤٨) .

(٣) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « أما ومحلوفى » .

الرَّمْل، فانهزمتْ خيلُ مهلهل وأدركه عمرو بن مالك فأسَره فانطلق به إلى قومه، وهم فى نواحى هَجَر[1]، فأحسَنَ إسارَه. ومرَّ عليه تاجر يبيع الخمر قَدِم بها من هجر، وكان صديقا لمهلهل يشترى منه الخمر، فأهدى إليه وهو أسيرٌ زِقَّ خمر؛ فاجتمع إليه ١٩٠ ٥
بنو مالك فنحروا عنده بَكْرًا وشربوا عند مهلهل فى بيته — وقد أفرد له عمرٌو بيتا يكون فيه — فلما أخذ فيهمُ الشرابُ تغنّى مهلهل فيما كان يقوله من الشعر وينوح به على كليب؛ فسمع ذلك عمرُو بن مالك فقال: إنه لريّانُ، والله لا يشرب ماءً حتى يَرِد رَبِيبُ — يعنى جملًا كان لعمرو بن مالك، وكان يتناول الدَّهاس[2] من أجواف هجر فيرعى فيها غِبًّا بعد عشر فى حَمارّة القَيْظ — فطلبت رُكْبانُ بنى مالك رَبيبًا وهم حِراص على ألّا يُقتَل مهلهل، فلم يقدروا على البعير حتى مات مهلهل عطشا. ونحر عمرو بن مالك يومئذ نابًا فأسرج جلدها على مهلهل وأخرج رأسه. وكانت بنتُ خال مهلهل امرأتُه بنتُ المُحَلِّل[3] أحدِ بنى تغلب قد أرادت أن تأتيَه وهو أسير؛ فقال يذكرها:

ظَبْيَةٌ ما ابنةُ المحلِّل شَنْبا[4] * ءُ لَعُوبٌ لذيذةٌ فى العِناق[5]

فلما بلغها ما هو فيه لم تأته حتى مات. فكان هَبَنَّقَةُ القيسىّ أحدُ بنى قيس ابن ثعلبة واسمه يزيد بن ثَرْوان يقول — وكان مُحمَّقا وهو الذى تضرب به العربُ المثلَ

(١) هجر: اسم يطلق على أكثر من موضع. والظاهر أنه يريد به هنا هجر التى قصبتها الصفا وبينها وبين اليمامة عشرة أيام وبينها وبين البصرة خمسة عشر يوما على الإبل لقربها من ديار بكر وتغلب.
(٢) الدهاس: المكان السهل ليس برمل ولا تراب.
(٣) كذا فى الطبرى وفيما مر فى أكثر الأصول من الجزء الخامس من هذه الطبعة (ص ٥١). وفى ب، س هنا وفيما مر من الجزء الخامس وهامش الطبرى: «المجلل» (بالجيم). وفى سائر الأصول هنا غير ب، س: «المجالد».
(٤) الشنباء: التى فى أسنانها ماء ورقة وبرد وعذوبة.
(٥) رواية هذا البيت فى الجزء الخامس من هذه الطبعة (ص ٥١):

طفلة ما ابنة المحلل بيضا * ء لعوب لذيذة فى العناق

فى الحق — : لا يكون لى جمل أبدًا إلا سميتُه رَبِيبًا (يعنى أن ربيبا كان مباركا لقتله مهلهِلا) . ذكر ذلك أجمعَ ابنُ الكلبى وغيرُه من الرواة . والقصيدة الميميّة التى فيها الغناء المذكورة بذكر أخبار المرقّش يقولها فى مَرْثِيَة ابن عم له . وفيها يقول :

بل هل شَجَتْك الظُّعْنُ(١) باكِرَةً * كأنها النخيلُ(٢) من مَلْهَم(٣)

عشق المرقش أسماء بنت عوف وخطبها فزوّجها أبوها فى بنى مراد فى غيبته

قال أبو عمرو — ووافقه المفضّل الضبى — : وكان من خبر المرقّش الأكبر أنه عشِق ابنة عمه أسماءَ بنتَ عوف بن مالك، وهو البُرَك، عشِقها وهو غلام فخطبها إلى أبيها، فقال : لا أزوّجك حتى تُعرَفَ(٤) بالبأس — وهذا قبل أن تخرج ربيعة من أرض اليمن — وكان يَعده فيها المواعيد . ثم انطلق مرقّش إلى ملك من الملوك فكان عنده زمانًا ومدحه فأجازه . وأصاب عوفًا زمانٌ شـديد ؛ فأتاه رجل من مُراد أحدُ بنى غُطَيْف(٥)، فأرغبه فى المـال فزوّجه أسماءَ على مائةٍ من الإبل، ثم تنحّى عن بنى سعد ابن مالك . ورجع مرقّش، فقال إخوته : لا تخبروه إلا أنها ماتت؛ فذبحوا كبشا وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه ولفّوها فى مِلْحَفة ثم قبَروها . فلما قدِم مرقّش عليهم أخبروه أنها ماتت، وأتَوْا به موضعَ القبر؛ فنظر إليه وصار بعد ذلك يعتاده ويزوره . فبينا هو ذات يوم مضطجع وقد تغطّى بثوبه وابنا أخيه يلعبان بكعبين لهما إذ آختصما فى كعب، فقال أحدُهما : هـذا كعبى أعطانيه أبى من الكبش الذى دفنوه وقالوا إذا جاء مرقّش أخبرناه أنه قبرُ أسماء . فكشَف مرقّش عن رأسه ودعا الغلام — وكان قد ضَنِيَ ضَنًا شديدا — فسأله عن الحديث فأخبره به وبتزويج المرادىّ أسماءَ؛

أخبره أهله بموت أسماء ولما علم بزواجها من المرادى رحل إليها ومات عندها

(١) الظعن : النساء بهوادجهن . (٢) فى المفضليات : «كأنهن النخل ...» . (٣) ملهم : أرض من أرض اليمامة موصوفة بكثرة النخيل . (٤) فى المفضليات : «حتى ترأس» أى تكون رئيسا . (٥) كذا فى حـ والمفضليات . وغطيف : بطن من مراد، وهم بنو غطيف بن ناجية بن مراد . وفى سائر الأصول : «عطيف» (بالعين المهملة) وهو تصحيف .

فدعا مرقّش وليدةً له ولها زوج من غُفَيْلة(١) كان عَسِيفًا(٢) لمرقّش، فأمرها بأن تدعوَ له زوجَها فدعته، وكانت له رواحلُ فأمره بإحضارها ليطلب المرادىّ [عليها](٣) فأحضره إياها، فركبها ومضى فى طلبه، فرض فى الطريق حتى ما يُحمَل إلا معروضًا . وإنهما نزلا كهفًا بأسفل نجْران، وهى أرض مراد، ومع الغُفَلىّ(٤) امرأته وليدةُ مرقّش؛ فسمع مرقّش زوجَ الوليدة يقول لها : اتركيه فقد هَلك سقمًا وهلكنا معه ضُرًّا وجُوعًا . فجعلت الوليدةُ تبكى من ذلك؛ فقال لها زوجها : أطيعينى، وإلا فإنى تاركُك وذاهب . قال : وكان مرقّش يكتب، وكان أبوه دفعه وأخاه حَرْملةَ — وكانا أحبّ(٥) ولده إليه — إلى نَصرانىّ من أهل الحيرة فعلّمهما الخطّ . فلما سمع مرقّش قولَ الغُفَلىّ(٤) للوليدة كتب مرقّش على مُؤَخَّرة الرحل هذه الأبيات :

١٩١ / ٥

يا صاحبىّ تلَبّثا لا تعجَلَا * إنّ الرواح رهينُ ألّا تفعَلا(٦)
فلعلّ لُبثكما يُفرّط سَيّئا(٧) * أو يَسبِقُ الإسراعُ سَيْبًا مُقبِلا(٨)

---

(١) فى أكثر الأصول : «عقيلة» . وفى حـ : «عقيل» (بالعين المهملة والقاف) . وفى تجريد الأغانى : «عفيل» (بالفاء) . والتصويب عن المفضليات وكتاب المعارف والقاموس . وغفيلة : حى من ولد عمرو بن قاصد ولهم عدد بالجزيرة فى بنى تغلب .

(٢) كذا فى حـ وتجريد الأغانى والمفضليات . والعسيف : الأجير والعبد المستعان به . وفى سائر الأصول : «عشيقا» وهو تصحيف .

(٣) زيادة عن حـ .

(٤) فى الأصول هنا وفيما يأتى : «العقيلى» والتصويب عن المفضليات .

(٥) كذا فى ب، س . وفى سائر الأصول والمفضليات وتجريد الأغانى : «وكان ... الخ» .

(٦) فى هذا البيت عدة روايات ذكرها ابن الأنبارى شارح المفضليات . (ص ٤٥٨ طبع مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت) .

(٧) كذا فى المفضليات ولسان العرب مادة «فرط» . وقد وردت هذه الكلمة فى سائر الأصول محرّفة .

(٨) قال صاحب المفضليات فى التعليق على هذا البيت : «قال أبو عكرمة : يفرط : يقدّم، مأخوذ من الفارط وهو المتقدّم قبل الماشية يصلح الدلاء والأرشية والحياض . يقول : لعل انتظاركما يقدّم عنكما مكروها . ولعل سيبا مقبلا يكون بعد عجلتكما، فانتظاركما أوفق . قال : وقال أبو عمرو : الإفراط : التقدّم والعجلة، يقول إن أبطأتما فعرض لكما شر فلعله أن يخطئكما وإن تقدّمتما فعرض خير بعدكما فلعله لا يصادفكما» .

يا راكبًا إمّا عرضتَ فبلِّغَنْ * أنَسَ(١) بنَ سعدٍ إن لقيتَ وحَرْمَلا
لله دَرُّكما ودَرُّ أبيكما * إن أفلتَ العَبْدان(٢) حتى يُقتَلا
مَنْ مُبْلِغُ الأقوام أنّ مرقِّشًا * أضحى على الأصحاب عبئًا مُثقِلا(٣)
وكأنما تَرِدُ السباعُ بِشِلْوِه * إذْ غاب جمعُ بنى ضُبَيْعة مَنْهَلا

قال : فانطلق الغُفَلِىّ وامرأتُه حتى رجعا إلى أهلهما، فقالا : مات المرقِّش . ونظر حرملةُ إلى الرَّحْل وجعل يُقلِّبه فقرأ الأبيات؛ فدعاهما وخوّفهما وأمرهما بأن يَصدُقاه ففعلا ، فقتلهما . وقد كانا وصفا له الموضعَ ، فركب فى طلب المرقِّش حتى أتى المكانَ(٤)، فسأل عن خبره فعَرف أنّ مرقِّشا كان فى الكهف ولم يزل فيه حتى إذا هو بغنم تنزو على الغار الذى هو فيه وأقبل راعيها إليها . فلما بَصُر به قال له : من أنت وما شأنُك؟ فقال له مرقِّش : أنا رجل من مُراد، وقال للراعى(٥) : من أنت ؟ قال : راعى فلان، وإذا هو راعى زوج أسماءَ . فقال له مرقِّش : أتستطيع أن تكلّم أسماء امرأةَ صاحبِك؟ قال : لا ، ولا أدنو منها، ولكن تأتينى جاريتُها كلَّ ليلة فأحلُب لها عنزًا فتأتيها بلبنها . فقال له : خذ خاتمى هذا، فإذا حلبتَ فألقه فى اللبن، فإنها ستعرفه ، وإنك مُصيبٌ به خيرًا لم يُصبه راعٍ قطُّ إن أنت فعلت ذلك. فأخذ الراعى الخاتم . ولما راحت الجارية بالقدح وحلب لها العنزَ طرح الخاتم فيه ؛ فانطلقت الجارية به وتركته بين يديها. فلما سكنت الرَّغوة أخذته فشربته، وكذلك كانت تصنع، فقرع الخاتم ثَنِيَّتَها، فأخذته واستضاءت بالنار فعرفته؛ فقالت للجارية :

(١) أنس بن سعد وحرملة : هما أخوا مرقش . (٢) فى المفضليات : «إن أفلت الغفلى... الخ» .
(٣) زاد صاحب المفضليات بعد هذا البيت وقبل الأخير بيتا وهو :
ذهب السباع بأنفه فتركنه * أعثى عليه بالجبال وجيئلا
ويعنى بالأعثى : الضبعان وهو ذكر الضباع . والجيئل : الأنثى .
(٤) كذا فى جـ وتجريد الأغانى . وفى سائر الأصول : «هم» وهو تحريف .
(٥) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «قال فراعى من أنت» .

ما هذا الخاتم؟ قالت: مالى به علم، فأرسلتْها إلى مولاها وهو فى شَرَف[(١)] بَجْران، فأقبل فَزِعًا، فقال لها: لِمَ دعوتِنى؟ قالت له: ادْعُ عبدَك راعىَ غنمك فدعاه، فقالت: سَلْه أين وجد هذا الخاتم! قال: وجدتُه مع رجل فى كهف خُبّان[(٢)]. — قال: ويقال كهف جبّار — فقال: اطرحه فى اللبن الذى تشرب به أسماء فإنك مصيبٌ به خيرا، وما أخبرنى مَنْ هو، ولقد تركته بآخر رَمَق. فقال لها زوجها: وما هذا الخاتم؟ قالت: خاتم مرقِّش، فأَعْجِل السّاعةَ فى طلبه. فركب فرسه وحملها على فرس آخر وسارا حتى طرَقاه من ليلتهما فاحتملاه إلى أهلهما، فمات عند أسماء. وقال قبل أن يموت:

سَرى ليلًا خيالٌ من سُلَيْمَى * فأرّقنى وأصحابى هُجُودُ
فبِتّ أُدير أمرى كلّ حالٍ * وأذكرُ أهلَها وهُمُ بعيد
على أنْ قد سما طَرْفى لنارٍ * يُشَبّ لها بذى الأَرْطَى[(٣)] وَقود
حَوَالَيها مَهًا بِيضُ التّراقى[(٤)] * وآرامٌ وغِزلانٌ رُقود ١٩٢ / ٥
نواعمُ لا تُعالج بؤسَ عيشٍ[(٥)] * أوانسُ لا تروح ولا تَرُود
يَرُحْنَ معًا بِطاءَ المشى بُدًّا[(٦)] * عليهنّ المجاسد والبُرُود
سَكَنّ ببلدة وسكنتُ أخرى * وقُطِّعت المواثقُ والعهود
فما بالى أَفِى ويُخانُ عهدى * وما بالى أُصَاد ولا أَصيدُ

---

(١) فى المفضليات: «شرب» جمع شارب. (٢) فى الأصول: «جبان» (بالجيم) وهو تصحيف. والتصويب عن كتاب معجم ما استعجم ومعجم البلدان وشرح المفضليات.

(٣) الأرطى: شجر ينبت بالرمل وهو شبيه الغضى، ينبت عصيا من أصل واحد ويطول قدر قامة، وله نور مثل نور الخلاف ورائحته طيبة. (٤) فى المفضليات: «جم التراق». يريد أن عظامها قد غمرها اللحم فلا حجم لها. (٥) فى المفضليات: «لا تراح». (٦) بد: جمع أبد والأنثى بداء. وهو كثرة لحم الفخذين حتى تصطكا.

وَرُبَّ أسيلة الخدّين بكرٍ * مُنَعَّمَةٍ لها فرعٌ وجِيدُ[1]
وذو أُشُرٍ[2] شَتِيتُ النبت عذبٌ * نقيُّ اللون بَرّاقٌ بَرود
لهوتُ بها زمانًا فى شبابى[3] * وزارتها النجائب والقَصيد
أُناسٌ كلّما أخلقت وصلًا * عنانى منهمُ وصلٌ جديد

ثم مات عند أسماء، فدُفِن فى أرض مُرَاد .

خرج لقتل زوج أسماء فرده أخواه وعذلاه فمرض وقال شعرا

وقال غيرُ أبى عمرو والمفضَّل :

أتى رجل من مُرَاد يُقال له قرنُ الغَزَال، وكان مُوسِرًا، فخطب أسماء وخطبها المرقش وكان مُمْلِقًا ؛ فزوّجها أبوها من المرادىّ سرًّا ؛ فَظَهر على ذلك مرقِّش فقال : لئن ظفرتُ به لأقتلنّه . فلما أراد أن يَهتدِيَها[4] خاف أهلُها عليها وعلى بعلها من مرقّش، فتربّصوا بها حتى عَزَب مرقّش فى إبله، وبنى المرادىُّ بأسماء وآحتملها إلى بلده . فلما رجع مرقِّش إلى الحىّ رأى غلامًا يتعرّق عظمًا؛ فقال له : يا غلامُ، ما حدث بعدى فى الحىّ؟ وأوجس فى صدره خيفةً لِمَا كان؛ فقال الغلام : اهتدى المرادىُّ امرأتَه أسماء بنت عوف . فرجع المرقّش إلى حيّه فلبس لأُمته وركب فرسه الأغرّ، وآتّبع آثارَ القوم يريد قتلَ المرادىّ . فلما طلع لهم قالوا للمرادىّ : هذا مرقّش، وإن لقيك فنفسُك دون نفسه . وقالوا لأسماء : إنه سيمرّ عليك، فأطلعى رأسك إليه وآسْفِرى؛ فإنه لا يرميك ولا يضرّك، ويلهو بحديثك عن طلب بعلك، حتى يلحقَه إخوته فيردّوه . وقالوا للمرادىّ : تقدّم فتقدّم .

(١) استشهد بهذا البيت فى النحو على حذف الصفة و إبقاء الموصوف، أى لها فرع فاحم وجيد طويل . إذ هذا البيت للدح، وهو لا يحصل بإثبات الفرع والجيد مطلقين بل بإثباتهما موصوفين بصفتين محبوبتين . (٢) الأشر : تحزز فى الأسنان يكون فى الأحداث (٣) فى المفضليات : «من شبابى» . (٤) يقال : اهتدى الرجل امرأته إذا جمعها إليه وضمها .

وجاءهم مرقّش . فلما حاذاهم أطْلعت أسماءُ من خِدْرها ونادته، فغَضَّ[١] من فرسه وسار بقربها، حتى أدركه أخواه أَنَسٌ وحَرْمَلة فعذَلاه وردّاه عن القوم . ومضى بها المُرَادىّ فألحقها بحيّه . وضَنِيَ[٢] مرقّش لفراق أسماء . فقال فى ذلك :

أَمِنْ آلِ أسماءَ الرسومُ الدّوارسُ * تُخطِّط فيها الطيرُ قَفْرٌ بَسابسُ[٣]

وهى قصيدة طويلة . وقال فى أسماء أيضا :

أغالِبُكَ القلبُ اللَّجوجُ صبابةً * وشوقًا إلى أسماءَ أم أنت غالبُهْ
يَهِيم ولا يعيا بأسماءَ قلبُه * كذاك الهوى إمرارُه وعواقِبُه
أيُلْحَى امرؤ فى حبّ أسماء قد نأى * بغَمْزٍ[٤] من الواشين وازْوَرّ جانبه
وأسماءُ هَمُّ النفس إن كنتَ عالمًا * وبادى أحاديث الفؤادِ وغائبه
إذا ذكرتْها النفسُ ظَلْتُ كأنّنى * يُزعزِعنى قَفْقاف وِرْدٍ وصالبُه[٥]

كان مع المجالد ابن ريان فى غارته على بنى تغلب وقال شعرا

وقال أبو عمرو : وقع المجالد بن رَيّان ببنى تَغلِب بجُمْران[٦] فنكى فيهم وأصاب مالًا وأسرى، وكان معه المرقّش الأكبر، فقال المرقش فى ذلك : ١٩٣

أتتنى لسانٌ[٧] بنى عامرٍ * فجلّى أحاديثُها عن بَصَرْ

---

(١) يقال : غض من فرسه إذا نقص من غربه وحدته .
(٢) كذا فى أكثر الأصول . وضنى : مرض مرضا مخامرا كلما ظن برؤه نكس . وفى ب ، سـ : « وغنى » وهو تحريف .
(٣) قال شارح المفضليات فى التعليق على هذا البيت : « قال أبو عمرو : تخطط فيها الطير أى ترعى » .
(٤) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، سـ : « بنم » .
(٥) الورد : من أسماء الحمى . وقفقافه : اضطراب الحنكين واصطكاك الأسنان منه . وصالبه : شدة حرارته مع رعدة .
(٦) جمران (بضم أوّله وإسكان ثانيه) : موضع ببلاد الرباب، أو هو ماء . وقد ورد هذا الاسم فى أكثر الأصول : « حمران » (بالحاء المهملة) . وفى حـ : « نجران » ، وكلاهما تحريف . راجع المفضليات (ص ٤٨٣ طبع أوربا) . ومعجم ما استعجم (ص ٢٤٥) .
(٧) اللسان هنا : الرسالة . وجلى أحاديثها عن بصر : أى كشفت أحاديثها العمى .

بأنّ بنى الوَخْمِ(١) ساروا معـا * بجيش كضوء نجـوم السَّحَر(٢)
بكلّ خَبُوبِ(٣) السُّرَى نَهْـدَةٍ * وكل كُمَيْتٍ طُـوالٍ أغرّ
فـا شَـعَر الحىُّ حتى رأوْا * بريقَ القَوانِسِ(٤) فوقَ الغُـرُر
فأقبلتَهـم(٥) ثم أدبرتَهـم * وأصدرتَهم قبلَ حينِ الصَّدَر
فيـا رُبَّ شِـلْوٍ تَخَطْرَفتَـه(٦) * كريمٍ لَدَى مَزْحَف أو مَكَرّ(٧)
وكائن بجُـرانٍ(٨) من مُزْعَفٍ(٩) * ومن رجلٍ وجهُه قد عُفِـر

---

(١) فى حـ : « الزخم » وفى باقى الأصـول : « الرخم » . والتصويب عن المفضليات . وبنو الوخم : بنو عامر بن ذهل بن ثعلبـة .

(٢) فى شرح المفضليات : « قال الأصمعى : خص نجوم السحر لأن النجوم التى تطلع فى آخر الليل كبار النجوم ودراريها وهى المضيئة منها » .

(٣) فى أكثر الأصول : «جنوب السرى » . والتصويب عن حـ . ويروى « بكل نسول السرى » — والنسول : السريعة السير — و«بكل خنوف السرى » أى خفيفة لينة رجع اليدين بالسير . (راجع المفضليات وشرحها ص ٤٨٣) . ونهـدة : ضخمة .

(٤) القوانس : جمع قونس وهو أعلى بيضة الحديد . والغرر : السادة من الرجال ، ويقال الغرر : الوجوه . ويروى : « فوق العـذر » . والعذر : شعر العرف والناصية . (راجع شرح المفضليات) .

(٥) فى الأصول : « فأقبلتهم ثم أدبرتهم ... الخ » (بالتاء المثناة) . والتصويب عن المفضليات .

(٦) كذا فى المفضليات والشلو : بقية الجسد . وتخطرفه : استلبه ، وقيل : جاوزنه وخلفه . وفى جميع الأصول : «تخطرفه» (بالتاء) .

(٧) زاد صاحب المفضليات بعد هذا البيت بيتا وهو :

وآخـر شاص ترى جـلده * كقشر القتادة غب المطر

والشاصى : الرافع رجليـه ويديه . وإذا أصاب المطـر القتاد انتفخت قشوره وارتفعت عن الصميم . يريد قتيلا قد انتفخ فكأن جلده لحاء قتادة .

(٨) فى جميع الأصول هنا : « بنجران » وهو تحريف . (راجع الحاشية رقم ٦ من الصفحة السابقة) .

(٩) كذا فى حـ والمفضليات ومعجم ما استعجم . وزعفه وأزعفه : رماه أو ضربه فات مكانه سريعا . وفى سائر الأصول : « مرعف » (بالراء المهملة) .

وأمّا المرقّش الأصغر

نسبه وعشقه لفاطمة بنت المنذر وأخباره فى ذلك وشعره

فهو — على ما ذكر أبو عمرو — رَبيعةُ بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضُبيعة . والمرقّش الأكبر عمّ الأصغر، والأصغر عمّ طَرَفة بن العبد . قال أبو عمرو : والمرقّش الأصغر أشعر المرقّشَين وأطولها عُمُرًا . وهو الذى عشِق فاطمةَ بنت المنذر، وكانت لهـا وليدةٌ يقال لها بنت عَجْلان ، وكان لهـا قَصْر [بكاظمة][1] وعليـه حَرَس . وكان الحرس يَجُزّون كل ليلة حولَه الثياب فلا يطؤه أحد إلا بنت عجلان . وكان لبنت عجلان فى كلّ ليـلة رجل من أهل المـاء يبيت عندها . فقال عمرو بن جَنَاب[2] بن مالك لمرقّش : إنّ بنت عَجْلان تأخذ كلَّ عشيّة رجلًا ممن يُعجبها فيبيت معها . وكان مرقّش تَرْعِيَةً[3] لا يفارق إبلَه ، فأقام بالمـاء وترك إبلَه ظمأى، وكان من أجمل الناس وجهًا وأحسنهم شَعْرا . وكانت فاطمة بنتُ المنذر تقعد فوق القصر فتنظر إلى الناس . فجاء مرقّش فبات عند ابنة عَجْلان ، حتى إذا كان من الغد تجرّدت عند مولاتها . فقالت لها : ما هذا بفخذيك؟ — وإذا نُكَتٌ كأنها التين[4] وكآثار السِّياط من شدّة حَفْزه إياها عند الجماع — قالت : آثار رجل بات معى الليلة . وقد كانت فاطمةُ قالت لها : لقد رأيت رجلا جميلا راح نحوَنا بالعشيّة لم أره قبلَ ذلك ؛ قالت : فإنه فتىً قعد عن إبله وكان يرعاها ، وهو الفتى الجميل الذى رأيته ، وهو الذى بات معى فأثّر فىّ هذه

(١) زيادة عن حـ والمفضليات وتجريد الأغانى . وكاظمة : على سيف البحر فى طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان وفيها آبار كثيرة وماؤها شروب واستسقاؤها ظاهر . (٢) كذا فى تجريد الأغانى والمفضليات وفيما سيأتى فى جميع الأصول . وفى حـ : « عمرو بن حباب » . وفى سائر الأصول : « حسان » . وكلاهما تحريف . (٣) رجل تَرعيـة (مثلثة الأوّل مع تشديد الياء وقد تخفف) وتِرعاية (بالكسر) وتُراعية (بالضم) وتِرعى (بالكسر) : يجيد رعية الإبل ، أو صناعته وصناعة آبائه رعاية الإبل . (٤) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : « البثر » . وفى ب والمفضليات : « التين » . وقد أشير فى هامش المفضليات إلى أن هـذه الرواية (التين) لا معنى لها ، وأنه يحتمل أن يكون محرفة عن « النبر » وهو الورم فى الجسد .

الاثار . قالت لها فاطمة : فإذا كان غدٌ وأتاك فقــدّمى له مِجْمَرًا ومُرِيه أن يجلس عليه وأَعطيه سِواكًا، فإن آستاك به أو ردّه فلا خير فيه، و إن قعد على المجمر أو ردّه فلا خير فيه . فأتته بالمجمر فقالت له : اقعُد عليه، فأبى وقال : أدنيه منى، فدخّن لِحيته وجُمّته وأبى أن يقعــد عليه، وأخذ السواك فقطع رأسه وآستاك به . فأتت ابنةُ عجلان فاطمةَ فأخبرتها بما صنع، فآزدادت به عجبا وقالت : ائتيني به . فتعلقتْ به كما كانت تتعلق، فمضى معها وآنصرف أصحــابه . فقال القوم حين آنصرفوا : لشَدَّ ما علِقتْ بنتُ عَجْلان المرقِّشَ ! وكان الحرس ينثرون التراب حول قُبّة فاطمة بنت المنذر ويَجُرُّون عليه ثوبًا حين تُمسى ويحرُسونها فلا يدخل عليها إلا ابنةُ عجلان؛ فإذا كان الغد بعث الملكُ بالقَافَة فينظرون أثرَ من دخل إليها و يعودون فيقولون له : لم نر إلا أثر بنت عجلان . فلما كانت تلك الليــلة حملتْ بنتُ عجلان مرقِّشًا على ظهرها وحزَمته إلى بطنها بثوب، وأدخلته إليها فبات معها . فلما أصبح بعث الملك بالقافة فنظروا وعادوا إليه فقالوا : نظرنا أثر بنت عجلان وهى مُثْقَلة . فلبث بذلك حينا يدخل إليها . فكان عمرو بن جَنَاب بن عوف بن مالك يرى ما يُفعل ولا يَعرف مذهبه . فقال له : ألم تكن عاهدتَنى عهدا لا تكتمنى شيئا ولا أكتمك ولا نتكاذب ؟ ! فأخبره مرقِّشٌ الخبرَ، فقال له : لا أرضى عنك ولا أكلّمك أبدًا أو تُدخلَنى عليهــا، وحلف على ذلك . فآنطلق المرقِّش إلى المكان الذى كان يواعد فيــه بنتَ عجــلان فأجلسه فيه وآنصرف وأخبره كيف يصنع ، وكانا متشابهين غير أن عمرو بن جناب كان أشْعر، فأتته بنت عجلان فآحتملته وأدخلته إليها وصنع ما أمره به مرقِّش . فلما أراد مباشرتهــا وجدتْ شعرَ فخذيه فآستنكرته، وإذا هو يُرْعَد ؛ فدفعته بقدمها فى صدره وقالت : قبّح الله سرًّا عند المُعَيْدى . ودعت بنتَ عجلان فذهبت به، وآنطلق إلى موضع صاحبه . فلما رآه قد أسرع الكَرَّةَ ولم يلبث إلا قليلا، علم أنه قد

افتضح، فعَضّ على إصبعه فقطعها. ثم انطلق إلى أهله وترك المال الذى كان فيه — يعنى الإبل التى كان مقيما فيها — حياءً مما صنع. وقال مرقش فى ذلك:

أَلَا يا ٱسلَمِى لا صُرمَ لى اليومَ فاطمَا * ولا أبـدًا ما دام وصلُكِ دائمَـا
رمتكَ ابنـةُ البَكْرِىّ عن فرع ضالَةٍ * وهُنّ بنـا خُوصٌ يُخَلْن نعائمـا (١)
تراءت لنـا يوم الرحيـل بِواردٍ * وعـذبِ الثنايا لم يكن متراكِما (٢)
سقاه حَبابُ المُزن (٣) فى متكلل * من الشمس رَوّاه ربابا سَوَاجِما (٤)
أَرَتْك بذات الضَّالِ منهـا معاصمًا * وخـدًّا أسيلا كالوذيلة (٥) ناعمـا
صحا قلبُـه عنها على أنّ ذِكرَةً * إذا خطَرت دارت به الأرضُ قائما
تَبَصَّرْ خليـلى هل ترى من ظَعائن * خَرجْن سِراعًا وٱقتعدن المفائمـا (٦)
تحمّلن من جوّ الوَريعة (٧) بعـد ما * تعـالى النهارُ وٱنتجعن الصَّرائمـا (٨)
تَحَلّين ياقوتا وشَـذْرا وصِيغـةً * وجَـزْعا ظَفارِيًّا ودُرًّا توائمـا (٩)

---

(١) الضال من السدر: ما لم يشرب المـاء. والخوص: الإبل الغائرة العيون من جهد السفر. والنعائم: جمع نعامة. (٢) الوارد من الشعر: الطويل. والفم المتراكم: المتقارب النبات قد ركب بعض أسنانه بعضا. (٣) فى المفضليات: "حبيّ المزن" وحبي المزن: ما اقترب منه. (٤) كذا فى حـ والمفضليات. وفى سائر الأصول: «سراكما» وهو تحريف. (٥) الوذيلة: سبيكة الفضة. (٦) كذا فى المفضليات ومعجم البلدان (ج ٤ ص ٩٢٩). والمفائم: العظام من الإبل، وقيل: هى المراكب الوافية الواسعة، واحدها مفأم. وفى جميع الأصول: «المقائم» (بالقاف). واقتعدن: ركبن. (٧) كذا فى المفضليات ومعجم البلدان. والوريعة: حزم لبنى فقيم ابن جرير بن دارم. والحزم: ما غلظ من الأرض وكثرت حجارته وأشرف حتى صار له إقبال لا يعلوه الناس والإبل إلا بالجهد. وفى جميع الأصول: «الوديعة» بالدال المهملة، وهو تحريف. (٨) الصرائم: جمع صريمة وهى القطعة من الرمل تنقطع من معظم الرمل. (٩) الشذر: اللؤلؤ الصغير، وقيل: هو خرز يفصل به بين الجواهر فى النظم. والجزع (بالفتح): الخرز. وظفارى: نسبة إلى ظفار، بلد باليمن ينسب إليها الجزع. وفيها يقال: «من دخل ظفار حمّر» (بتشديد الميم) أى تكلم بلغة حمير. وذلك أن رجلا من العرب دخل على ملك حمير وهو على سطح، فقال له: ثب، فوثب فتكسر. ووثب بلغة حمير قعد. وتوائم: اثنين اثنين.

سلكن القُرَى والجِزعَ تُحدَى جمالها * ووَرَّكن قَوًّا واجتزعن المخارما (١)

ألا حبّذا وجهٌ تُريك بياضَه * ومُنْسَدِلاتٌ كالمثانى فواحما (٢)

وإنى لأستحيي فُطَيمةَ جائعًا * خميصًا وأستحيي فُطيمةَ طاعما

وإنى لأستحييك والخَرْقُ بيننا (٣) * مخافةَ أن تَلْقَيْ أخًا لى صارما

وإنى وإن كلّت قَلُوصى لَرَاجمٌ * بها وبنفسى يا فُطَيمَ المَراجما

ألَا يا اسلمى بالكوكب الطَّلْق (٤) فاطمَا * وإن لم يكن صَرْفُ النوى متلائما

ألَا يا اسلمى ثم اعلمى أنّ حاجتى * إليك فرُدِّى من نوالك فاطما

أفاطمَ لو أنّ النساء ببلدةٍ * وأنت بأخرى لأتبعتُك (٥) هائما

متى ما يشأْ ذو الودّ يَصرِمْ خليلَه * ويَغْضَبْ عليه لا محالةَ ظالما

وآلَى جَنابٌ حلفةً فأطعتَه * فنفسَك ولِّ اللَّوْمَ إن كنت نادما ١٩٥/٥

فمن يلقَ خيرًا يحمَدِ الناسُ أمرَه * ومن يَغْوِ لا يعدَم على الغَيِّ لائما

ألم ترأنّ المرءَ يَجْذِمُ كفَّه (٦) * ويَجْشَمُ من لوم الصديق المَجاشما

أمن حُلُمٍ أصبحتَ تَنكُت (٧) واجمًا * وقد تعترى الأحلامُ من كان نائما

---

(١) رواية المفضليات : «جمالهم» . والجزع (بالكسر) : منعطف الوادى . وورّكن : عدلن . وقوّ : منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة، يرحل من النباج فينزل قوا، وهو واد يقطع الطريق تدخله المياه ولا تخرج وعليه قنطرة يعبر القفول عليها يقال لها بطن قو . وقيل : قو بين فيد والنباج . وهو أيضا واد بين اليمامة وهجر نزل به الحطيئة على الزبرقان بن بدر فلم يجهزه فقال فيه شعرا . واجتزعن : قطعن وفى ب ، س : « واخترعن » وهو تصحيف . والمخارم : جمع مخرم وهو رمل مستطيل فيه طريق . وقيل : هو أطراف الطرق فى الجبال . (٢) فى أكثر الأصول : «يريك» . والتصويب عن حـ . ورواية المفضليات : «ترينا» . ومنسدلات : يريد ذوائب من الشعر مسترخية . والمثانى : الحبال . شبه ذوائب الشعر بالحبال فى الطول . وفواحم : سود . (٣) الخرق : ما اتسع من الأرض . (٤) كذا فى المفضليات . والطلق : الذى لا حر فيه ولا قر ولا شئ يؤذى . وفى جميع الأصول : «بالكوكب الفرد» . (٥) فى المفضليات : «لا تبعتك» . (٦) يجذم : يقطع . ويجشم : يركب المكروه . (٧) نكت فى الأرض : خطط فيها بعود، وكذلك يفعل المهتم . وواجما : حزينا .

٢/٦

صــــوت
من المـائة المختـارة

إذا قلتُ تَسْلو النفسُ أو تنتهى المُنَى * أَبَى القــلبُ إلّاحبَّ أُمِّ حَـكِيمِ
مُنَعَّمــة صَفْــراء حُلْوٌ دلالُهــا * أَبِيتُ بها بعــدَ الهُـــدُوء[1] أَهِيمِ[2]
قَطُوفُ[3] الخُطَـا مَحْطوطةُ المَتْنِ[4] زانها * مع الحُسن خَلْقٌ فى الجَمَـال عَمِـيمِ

الشعر مُختلَف فى قائله ، فمــن الرواة من يرويه لصــالح بن عبد الله العَبْشَمىّ ، ومنهم من يرويه لقَطَرِىّ بن الفُجَاءة المــازِنىّ ، ومنهم من يرويه لعبيدة[5] بن هــلال اليَشْكُرِىّ . والغناء لسِيَاط ، وله فيه لحنان : أحدهما ، وهو المختار ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، والآخر خفيفُ ثقيلٍ بالسّبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . ولبعض الشُّراة قصيدة فى هذا الوزن وعلى هذه القافية ، وفيها ذِكْرُ لأمّ حَكيم هــذه أيضا ، تُنسب إلى هؤلاء الشعراء الثلاثة ، ويُختلف فى قائلها كالاختلاف فى قائل هذه . وفيها[6] أيضا غناء وهو فى هذه الأبيات منها :

---

(١) الهدوء : الهزيع من الليل . (٢) فى هذا الشعر إقواء ، وهو اختلاف حركة الروى .

(٣) قطوف الخطا : ضيقتها . (٤) كذا فى حـ . ويقــال : جارية محطوطة المتنين أى ممدودتهما أو هى ممدودة حسنة مستوية . وفى ب ، سـ : « مخطوطة » (بالخاء المعجمة) . وفى سائر الأصول : « محظوظة » (بظاءين معجمتين) . وكلاهما تصحيف .

(٥) ضبط هذا الاسم فى حـ بفتح العين ، وكذلك ضبط فى الطبرى بفتح العين وكسر الباء . وورد فى الكامل للبرد طبع أوربا مضبوطا بفتح العين وكسر الباء فى مواضع وبضم العين وفتح الباء (مصغرا) فى مواضع أخرى . وضبط فى الاشتقاق لابن دريد بضم العين .

(٦) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « وفيه » .

لَعَمْـرُكَ إنّى فى الحيـاة لزاهـدٌ * وفى العيش مالم أَلْقَ أُمَّ حَـكيم
ولو شهدتنى[1] يومَ دُولابَ[2] أبصرَتْ * طِعـانَ فتًى فى الحرب غيرِ ذَميم

ذكر المبرّد أن الشعر لقَطَرِىّ بن الفُجَاءة ، وذكر الهَيْثم بن عَدِىّ أنه لعَمْـرو القَنَا ، وذكر وَهْب بن جَرِير أنه لحَبِيب بن سهـم التَّمِيمىّ ، وذكر أبو مِخْنَف[3] أنه لعبيـدة بن هلال اليَشْكُرِىّ ، وذكر خالد بن خِدَاش[4] أنه لعمرو القنا أيضا . والغناء لمَعْبد ثانى ثقيلٍ بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . ٣/٦

---

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « شهدتنا » . (٢) دولاب (بفتح أوّله وأكثر المحدثين يروونه بالضم) : قرية تعرض لهـا أبو الفرج بالشرح بعد قليل . (٣) كذا فى أكثر الأصول ، وهو لوط بن يحيى بن سـعيد بن مخنف بن سليم ، كان صاحب أخبار وأنساب ، والأخبار عليه أغلب . وجدّه مخنف بن سليم روى عن النبى صلى الله عليه وسلم . وفى ب ، س : «أبو محنف» (بالحاء المهملة) . (راجع المعارف لابن قتيبة ص ٢٦٧ وفوات الوفيات ج ٢ ص ١٧٥ طبع بولاق) .
(٤) كذا فيما سيأتى فى جميع الأصول . وتهذيب التهذيب . وهو خالد بن خداش بن عجلان الأزدى المهلبى (نسـبة الى المهلب بن أبى صـفرة) . روى عن حماد بن زيد وصالح المرى وغيرهما ، وروى له البخارى فى الأدب ، وقد مات سنة ٢٢٣ هـ .

وقعة دولاب وشيء من أخبار الشراة

خبر الوقعة التى قيل فيها هذان الشعران وهى وقعة دولاب وشىء من أخبار هؤلاء الشراة وأنسابهم وخبر أم حكيم هذه

هـذان الشعران قِيلا فى وقعـة دُولاب، وهى قرية من عمل الأهواز، بينها وبين الأهواز نحوٌ من أربعة فراسخ، كانت بها حرب بين الأزارقة وبين مُسْلم بن عُبَيس ابن كُرَيز خليفةِ عبـد الله بن الحـارث بن نَوْفل بن عبـد المطلب، وذلك فى أيام ابن الزبير. أخبرنى بخبر هـذه الحرب أحمد بن عبـد العزيز الجوهرىّ عن عمر بن شَبّة عن المدائنى، وأخبرنى بها عُبيد الله بن محمد الرازى عن الخرّاز عن المدائنىّ، وأخبرنى الحسن بن علىّ عن أحمد بن زُهير بن حَرْب عن خالد بن خِدَاش:

أن نافعَ بنَ الأزرق، لمـّا تفرقتْ آراءُ الخوارج ومذاهبُهم فى أصول مقالتهم أقام بسوق الأهواز وأعمالها لا يعترض الناس، وقـد كان متشكِّكا فى ذلك. فقالت له امرأته: إن كنتَ قد كفَرت بعـد إيمانك وشكَكتَ فيه، فدع نِحْلتك ودَعْوتك، وإن كنتَ قد خرجتَ من الكفر إلى الإيمان فاقتـل الكفّار حيثُ لقيتَهم وأَثْخن فى النساء والصبيان كما قال نوح ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾. فقبِل قولَها واستعرضَ الناسَ (١) وبَسَط سيفَه، فقتل الرجال والنساء والوِلْدان، وجعل يقول: إن هؤلاء إذا كَبِروا كانوا مثلَ آبائهم. وإذا وطىء بلدًا فعل مثل هذا به إلى أن يُجيبَه أهلُه جميعا ويدخلوا ملّته، فيرفع السيفَ ويضع الجِباية فيجبى الخراجَ. فعظم أمرُه واشـتدّت شوكته وفشا عمّالُه فى السواد. فارتاع لذلك أهـلُ البصرة ومشَوْا إلى الأحنف بن قيس فشكَوْا إليه أمرَهم وقالوا له: ليس بيننا وبين القوم إلا ليلتان،

(١) استعرض الناس: قتلهم ولم يبال من قتل مسلما أو كافرا من أى وجه أمكنه.

وسيرتُهم كما ترى ؛ فقال لهم الأحنف : إنّ سيرتَهم فى مصركم إن ظَفِروا به مثلُ سيرتهم فى سوادكم ، فخذوا فى جهاد عدوِّكم . وحرّضهم الأحنفُ ، فاجتمع إليه عشرة آلاف رجل فى السلاح. فأتاه عبدُ الله بن الحارث بن نَوْفل، وسأله أن يؤمِّر عليهم أميرا، فاختار لهم مُسلم بنَ عُبَيس بن كُرَيز بن رَبيعة، وكان فارسًا شجاعا دَيِّنًا، فأمَّره عليهم وشيَّعه. فلما نَفَذ من جسر البصرة أقبل على الناس وقال: إنى ما خرجت لامتيار ذهب ولا فضة، وإنى لأحاربُ قومًا إن ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفُهم ورماحهم . فمن كان مِن شأنِه الجهادُ فلينهَضْ ، ومن أحبَّ الحياةَ فليرجع . فرجع نفرٌ يسير ومضى الباقون معه ؛ فلما صاروا بدُولاب خرج إليهم نافع بن الأزرق، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى تكسّرت الرماحُ وعُقِرتْ الخيلُ وكثُرت الجراحُ والقتلى، وتضاربوا بالسيوف والعَمَد؛ فقُتل فى المعركة ابنُ عُبَيس وهو على أهل البصرة، وذلك فى جمادَى الآخرة سنةَ خمس وستين، وقُتِل نافعُ بن الأزرق يومئذ أيضا؛ فعجب الناس من ذلك ، وأنّ الفريقين تصابروا حتى قُتل منهم خلق كثير، وقُتل رئيسَا العسكرين، والشُّراة يومئذ ستُّمائة رجل ، فكانت الحدّة يومئذ وبأس الشراة واقعا بنِى(١) تميم وبنى سَدُوس . وأتى ابنُ عُبَيس وهو يجود بنفسه فاستخلف على الناس الرَّبيعَ بن عمرو الغُدَانىّ، وكان يقال له الأَجْذم، كانت يده أصيبت بكابُل مع عبدِ الرحمن بن سَمُرة . واستخلف نافعُ بن الأزرق عُبيدَ الله بن بَشير بن الماحوز(٢) أحدَ بنى سَليط بن يَرْبوع . فكان رئيسَا المسلمين والخوارج جميعا من بنى يَرْبوع ، رئيس المسلمين من بنى غُدانة بن يَرْبوع، ورئيس الشُّراة من بنى سَليط بن يربوع،

٤/٦

(١) كذا فى ا ، ى . وفى سائر الأصول : « بين تميم ... » . (٢) كذا فى الكامل للبرد فى أكثر من موضع والطبرى . وفى جميع الأصول : « الماخور » . (بالخاء المعجمة والراء المهملة) .

فاتّصلتِ الحربُ بينهم عشرين يومًا . قال المدائنى فى خبره : وادّعى قتلَ نافع ابن الأزرق رجلٌ من باهلة يقال له سَلامة . وتحدّث بعد ذلك قال : كنتُ لما قتلته على بِرْذَون[1] وَرْد فإذا أنا برجل ينادِى، وأنا واقف فى خُمس[2] بَنِى تَمِيم[3]، فإذا به يَعْرِض علىّ المبارزةَ فتغافلتُ عنه، وجعل يطلبنى وأنا أنتقل من خُمْس إلى خُمس وليس يُزايلنى، فصِرْتُ إلى رَحْلى ثم رجعت فدعانى إلى المبارزة، فلما أكثر خرجتُ إليه، فاختلفْنا ضربتين فضربتــه فصرعتُه، ونزلتُ فأخذت رأسَه وسلبتَه، فإذا امرأة[4] قد رأتنى حين قتلت نافعا، فخرجتْ لتثأر به . قالوا : فلما قُتل نافع وابن عُبيس ولّى الجيش إلى رَبيع بن عمرو لم يزل يقاتل الشُّراة نيّفًا[5] وعشرين يوما، ثم أصبح ذات يوم فقال لأصحابه : إنى مقتول لا محالة؛ قالوا : وكيف ذلك؟ قال : إنى رأيت البارحة كأنّ يدى التى أُصيبتْ بكابُل انحطّتْ من السماء فاستَشْلتْنِى . فلما كان الغــد قاتل إلى الليل ثم غاداهم[6] فقُتل يومئذ — قال : استشلاه : أخذه إليــه . يقال : استشلاه واشتلاه — قال : فلمــا قُتل الربيع تدافع أهــلُ البصرة الرايةَ حتى خافوا العَطَب إذ لم يكن لهم رئيس؛ ثم أجمعوا على الحَجّاج بن باب الحِمْيَرىّ . وقــد اقتتل الناسُ يومئذ وقبله بيومين قتالًا شديدا لم يقتتلوا مثــله، تطاعنوا بالرماح حتى تقصّفتْ،

---

(١) البرذون : واحد البراذين، وهى من الخيل ما كانت من غير نتاج العرب . (٢) كذا فى حـ هنا وفيما يأتى والكامل للبرد . وأخماس البصرة خمســة : الخمس الأول العالية ، والثــانى بكر بن وائل ، والثالث تميم ، والرابع عبد القيس ، والخامس الأزد . وفى سائر الأصول هنا وفيما يأتى : « خميس » .

(٣) فى الكامل (ج ٢ ص ٦١٧ طبع أوربا) : « وأنا واقف فى خمس قيس (صوابه عبد القيس) ينادى : يا صاحب الورد، هلم الى المبارزة، فوقفت فى خمس بنى تميم فاذا به يعرضها علىّ ... الخ » .

(٤) كذا فى حـ والكامل للبرد . وفى سائر الأصول : « فاذا هى امرأته ... الخ » .

(٥) فى ب ، سـ : « ولم يزل » . (٦) كذا فى الكامل للــبرد . وغاداهم : باكرهم . وفى جميع الأصول : « ثم عاد ... الخ » .

ثم تضاربوا بالسيوف والعَمَد حتى لم يبقَ لأحد منهم قوة ، وحتى كان الرجل منهم يضرب الرجل فلا يُغنِي شيئا من الإعياء ، وحتى كانوا يترامَوْن بالحجارة و يتكادمون[(١)] بالأفواه . فلما تدافع القومُ الراية وأَبَوْها واتّفقوا على الحجّاج بن باب امتنع من أخذها . فقال له كُرَيب بن عبد الرحمن : خذها فإنها مكْرُمة ؛ فقال : إنها لراية مشئومة ، ما أخذها أحد إلا قُتِـل . فقال له كُرَيب : يا أعور ! تقارعتِ العربُ على أمرها ثم صيّروها إليك فتأبى خوفَ القتـل ! خذ اللواءَ ويحك ! فإن حضر أَجلُك قُتلتَ إن كانت معك أو لم تكن . فأخذ اللواءَ وناهضهم ، فاقتتلوا حتى انتقضتِ الصفوفُ وصاروا كَرَادِيس[(٢)] ، والخوارجُ أقوى عُدّة بالدروع والجواشن[(٣)] . وجعل الحجّاجُ يُغمِض عينيــه ويحمل حتى يغيب فى الشُّراة ويطعن فيهم ويقتل حتى يُظَنّ أنه قــد قُتل ، ثم يرفع رأسَه وسيفُه يقطر دمًا ، ويفتح عينيه فيرى الناسَ كراديسَ يقاتل كلُّ قوم فى ناحية . ثم التقى الحجّاج بن باب وعِمْران بن الحارث الراسبىّ[(٤)] ، فاختلفا ضربتين كلُّ واحد منهما قتل صاحبه ، وجال الناس بينهما جولة ثم تحاجزوا ، وأصبح أهل البصرة — وقد هرب عامّتُهم ، وولّوا حارثةَ بن بدر الغُدَانىّ أمْرَهم — ليس بهم طِرْق[(٥)] ولا بالخوارج . فقالت آمرأة من الشُّراة — وهى أم عِمْـران قاتلِ آلحجّاج بن باب وقتيلِه — ترثى ابنها عِمْران :

اللهُ أيّــد عِمْــرانًا وطَهّــره * وكان عمرانُ يدعو الله فى السَّحَرِ

(١) تكادموا بالأفواه : تعاضّوا .

(٢) الكراديس : كتائب الخيل ، واحدها كُردوس .

(٣) الجواشن : جمع جوشن وهو زرد يلبسه الصدر .

(٤) كذا فى أ ، ء والكامل . وفى سائر الأصـول : « الرامى » .

(٥) كذا فى أكثر الأصول . والطرق (بالكسر) : القوة . وفى ب ، ص : « لم طرف » بالفاء وهو تصحيف .

يدعوه سِــرًّا و إعلانا ليرزقَــه * شهـادةً بيـدَىْ مِلْحادة غُـــدَر(١)
ولّى صحابتُه عن حُرّ مَلْحَمةٍ * وشــدّ عِمْرانُ كالضِرْغامة(٢) الذكِر(٣)

قال: فلما عقَدوا لحارثةَ بن بدر الرياسةَ وسلّموا إليه الراية نادى فيهم بأن يثبُتوا، فإذا فتح اللهُ عليهم فللعرب زيادةُ فريضتين وللموالى زيادةُ فريضة؛ فندَب الناسَ فالتقَوْا وليس بأحد منهم طِرق، وقد فشَت فيهم الجراحاتُ فلهم أنين، وما تطأُ الخيل إلا على القتلى. فبينما هم كذلك إذ أقبل من اليمامة جمعٌ من الشُّراة — يقــول المُكثِّر إنهم مائتان والمقلّل إنهم أربعون — فاجتمعوا وهم يُريحون(٤) مع أصحابهم واجتمعوا كبكبةً(٥) واحدة، فحملوا على المسلمين. فلما رآهم حارثة بن بدْر نكَص برايته فانهزم وقال:

كَرْنِبـــوا(٦) ودَوْلِبـــوا * وحيثُ شئتم فاذهبوا(٧)

وقال:

أيرُ الحمــار فريضــةٌ لعبيدكم * والخُصيتان فريضة الأعراب

(١) الملحادة: مفعال من الإلحاد (وهو الجور والعدول عن الدين) كما يقال رجل معطاء ومكرام. وأدخلت الهاء البالغة كما تدخل فى راوية وعلامة ونسابة. وغدر (بضم ففتح): كثير الغدر.

(٢) الضرغامة: من أسماء الأسد. (٣) فى الكامل: «المصر» والمصر: الذى يبصر كل شىء أى يثبته. (٤) فى ب، س: «مع أصحابهم» ولا معنى لها. (٥) الكبكبة: الجماعة.

(٦) كذا فى حـ والطبرى (ق ٢ ص ٥٨٠) ومعجم البلدان. وكرنبوا: انزلوا كرنبى وهى موضع بالأهواز. ودولبوا: انزلوا دولاب. وفى سائر الأصول: «أكرنبوا» وهو تحريف. (٧) يقال: إن سبب قول الحارثة هذا الشعر هو أنه لما خلف الحجاج بن باب على إمرة الجيش وجاء الخوارج هــذا المدد الكثير المريح حملوا على المسلمين فانهزموا، وبقى حارثة يناوش الخوارج بمنزل نزله بمن بقى معه بالأهواز. فلما ولى ابن الزبير عمر بن عبد الله بن معمر على البصرة أرسل عمر أخاه عثمان لقتال الأزارقة وانضم إليــه حارثة. ثم كان بين عثمان وحارثة خلاف اعتزل بسببه حارثة. ثم لما أفضى الأمر فى محاربة الخوارج إلى المهلب وبلغ حارثة بن بدر أن المهلب قــد أمر على الجيش لقتال الخوارج قال لمن معه:

كرنبوا ودولبوا * وحيث شئتم فاذهبوا
قــد أمر المهلب

فذهب من كان معه إلى البصرة، فردهم الحارث بن عبد الله إلى المهلب. (راجع الطبرى فى حوادث سنة ٦٥).

وتتابع الناسُ على أثره منهزمين، وتبعتهم الخوارجُ، فألقَوا أنفسهم فى دُجَيل[(١)] فغرق منهم خلقٌ كثير وسلمت بقيّتُهم . وكان ممن غرق دَغْفَل بن حنظلة أحد بنى عمرو بن شيبان . ولحقتْ قطعةٌ من الشُّراة خيلَ عبد القيس فأكبُّوا عليهم، فعطفت عليهم خيلٌ من بنى تميم فعاونوهم وقاتلوا الشُّراة حتى كشفوهم وانصرفوا إلى أصحابهم . وعبرَتْ بقيّةُ الناس، فصار حارثةُ ومن معه بنهر تِيرَى[(٢)] والشُّراة بالأهواز، فأقاموا ثلاثة أيام . وكان على الأزد يومئذ قَبِيصَة بن أبى صُفْرة أخو المُهلَّب ، وهو جدّ هَزَارْمَرْد[(٣)] . قال : وغرِق يومئذ من الأزد عدد كثير . فقال شاعر الأزارقة :

يَرَى مَنْ جاء ينظر من دُجَيْلٍ * شيوخَ الأَزْد طافيةً لِحَاهَا

وقال شاعر آخر منهم :

شَمِتَ ابنُ بدر، والحوادث جمة، * والظالمون بنافع بن الأزرقِ
والموت حَتْمٌ لا محالةَ واقعٌ * مَنْ لا يُصَبِّحْهُ نهارًا يَطْرُقِ[(٤)]
فلئن أميرَ المؤمنين[(٥)] أصابه * ريبُ المنون فمَنْ تُصِبْه يَغْلَقِ

قال قَطَرِىُّ بن الفُجاءة ، فيما ذكر المبرّد، وقال المدائنى فى خبره : إن صالحَ بنَ عبدِ الله العَبْشَمِىَّ قائلُ ذلك ؛ وقال خالد بن خِدَاش : بل قائلها عمرو القَنَا ؛ قال

---

(١) دجيل : نهر بالأهواز حفره أردشير بن بابك أحد ملوك الفرس ، واسمه بالفارسية : «ديلدا كودك» ومعناه : دجلة الصغير فعرب على دجيل . ومخرجه من أرض أصبهان ومصبه فى بحر فارس . وكانت عند دجيل هذا وقائع للخوارج . وهو أيضا نهر مخرجه من أعلى بغداد ، وليس مرادا هنا .

(٢) تيرى (بكسر التاء المثناة الفوقية وياء ساكنة وراء مفتوحة ، مقصورا) : بلد من نواحى الأهواز : ونهر تيرى حفره أردشير الأصغر بن بابك .

(٣) كذا فى ح هنا وفيما سيأتى فى جميع الأصول والطبرى واللباب فى معرفة الأنساب لابن الأثير الجزرى مضبوطا بالقلم بنسخة مخطوطة بخط قديم جدا ، ومعناه ألف رجل . وفى سائر الأصول هنا : «هزامرد» وهو تحريف .

(٤) طرقه يطرقه (من باب نصر) : أتاه ليلا .

(٥) أمير المؤمنين : يريد به نافع بن الأزرق . ويغلق ، أى لا ينفلت ولا ينجو . مأخوذ من غلق الرهن فى يد المرتهن ، إذا لم يقدر على فكاكه واستخلاصه .

وهب بن جرير عن أبيه فيما حدّثنى به أحمد بن الجعد الوَشّاء عن أحمد بن أبى خَيْثمة عن أبيه عن وَهْب بن جَرير عن أبيه : إن حَبيب بن سَهْم قائلها :

لعمرُك إنّى فى الحياة لزاهــدٌ * وفى العيش مالم ألْقَ أمَّ حَكيم (١)
منَ الخَفِرات البيض لم أر مثلَها * شِـفاءً لِذِى بَثٍّ ولا لِسَـقيم
لعمرُك إنى يومَ ألْطِمُ وجهَها * على نائبـات الدهر غيرُ حليم
ولو شَهِدَتْنى يوم دولاب أبصرتْ * طِعـانَ فتًى فى الحرب غيرِ لئيم
غَدَاةَ طَفَتْ عَلْماءِ بكرُ بن وائل (٢) * وألّافُها مِنْ حِمْير وسَـلِيم (٣)
ومالَ الحجازيّون نحوَ بلادهـم * وعُجْنا صـدورَ الخيل نحو تميم ٦/٦
وكان لعبد القَيْس أوّلُ جِدّها * وولّتْ شيوخُ الأزْدِ فهى تعوم (٤)
فلم أرَ يومًا كان أكثرَ مُقْعَصًا * يَمُجّ دمًا من فائظ وكَليم (٥)
وضاربةٍ خدًّا كريمًا على فتًى * أغرَّ نجيبِ الأمهـات كريم
أصيبَ بدُولابٍ ولم تكُ موطنًا * له أرضُ دولابٍ ودَيْرُ حَمِيم (٦)
فلو شهِدتنـا يومَ ذاك وخيلُنا * تُبيح من الكُفّار كلَّ حريم
رأت فتيةً باعوا الإلٰهَ نفوسَهم * بجنّـات عَدْنٍ عنده ونعيـم

حدّثنى حَبيب بن نصر المهلّبى قال حدّثنـا عمر بن شَـبّة قال حدّثنـا خَلّاد (٧) الأرقط قال :

---

(١) وردت هذه القصيدة فى الكامل (ص ٦١٨ — ٦١٩ طبع أوربا) ومعجم البلدان (ج ٢ ص ٦٢٣) باختلاف فى بعض الألفاظ والأبيات .

(٢) يريد : على الماء .

(٣) يريد سليم بالتصغير فكبره للوزن . وسليم أبو قبيلة ، وهو سليم ابن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان بن مضر .

(٤) فى هـذا البيت إقواء .

(٥) المقعص : يقال : أقعصه بالرمح إذا طعنه به فمات مكانه . والفائظ : الميت ، فعله فاظ يفيظ و يفوظ فيظا وفوظا . والكليم : الجريح .

(٦) دير حيم : موضع بالأهواز، ذكره ياقوت واستشهد بهذا البيت .

(٧) هو خلاد بن يزيد الباهلى البصرى المعروف بالأرقط صهر يونس بن حبيب النحوى .

كان الشُّراة والمسلمون يتواقفون و يتساءلون بينهم عن أمر الدِّين وغير ذلك على أمان وسكون فلا يَهيج بعضُهم بعضا . فتواقف يومًا عبيدة بن هلال اليَشْكُرِىّ وأبو حُزَابَةَ(١) التَّميمى وهما فى الحرب؛ فقال عبيدة : يا أبا حُزَابة ، إنى سائلك عن أشياء ، أفتصْدُقنى فى الجواب عنها ؟ قال : نعم ، إن تَضمَّنْتَ لى مثلَ ذلك ؛ قال : قد فعلتُ . قال : سل عمّا بدالك . قال : ما تقول فى أئمتكم ؟ قال : يبيحون الدم الحرام والمال الحرام والفَرْج الحرام . قال : وَيْحَك ! فكيف فعلُهم فى المال ؟ قال : يَجْبونه من غير حِلّه ، ويُنفقونه فى غير حقه . قال : فكيف فعلُهم فى اليتيم ؟ قال : يظلمونه مالَه ، ويمنعونه حقه ، وينيكون أمّه . قال : ويلك يا أبا حُزَابة ! أفمثلَ هؤلاء نُتّبع ؟ ! قال : قد أجبتُ ، فاسمع سؤالى ودع عنكَ عتابى على رأيى ؛ قال : قل . قال : أىُّ الخمر أطيبُ : أخمر السهل أم خمر الجبل؟ قال : ويلك ! أتسأل مثلى عن هذا ؟ قال : قد أَوجبتَ على نفسك أن تُجيب ؛ قال : أمّا إذ أبَيْتَ فإن خمر الجبل أقوى وأسكر ، وخمرَ السهل أحسنُ وأسلس . قال أبو حُزَابة : فأىّ الزَّوانى أفره : أزوانى رَامَهُرْمُز(٢) أم زوانى أَرَّجان(٣) ؟ قال : ويلك ! إن مثلى لا يُسأل عن مثل هذا ؛ قال : لا بدّ من الجواب أو تغدِر ؛ فقال : أمّا إذ أبيت فزوانى رَامَهُرْمُز أرقّ أبشارًا ، وزوانى أَرَّجان أحسن أبدانا . قال : فأىّ الرجلين أشعر : أجرير أم الفرزدق ؟ قال : عليك وعليهما لعنة الله ! أيهما الذى يقول :

---

(١) كذا فى حـ . وهو الوليد بن حنيفة أحد بنى ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، شاعر من شعراء الدولة الأموية . (راجع شرح القاموس مادة حزب . وترجمته فى الأغانى ج ١٩ ص ١٥٢ — ١٥٦ طبع بولاق) . وفى سائر الأصول : «أبو خرابة» (بالخاء المعجمة والراء المهملة) وهو تصحيف .

(٢) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحى خوزستان والعامة يسمونها « رامز » اختصارا .

(٣) أرجان (بفتح الألف و بتشديد الراء مفتوحة — وقيل بسكونها — وجيم وألف ونون ، وعامة العجم يسمونها « أرغان ») : مدينة كبيرة كثيرة الخير بها نخيل و زيتون وفواكه ، وهى برية بحرية سهلية جبلية ، وبينها وبين سوق الأهواز ستون فرسخا .

وطَوى الطِّرادُ مع القِيادِ[(١)] بطونَهـا * طَيَّ التِّجارِ بحَضْرَمَـوْتَ بُرُودَا

قال : جرير؛ قال : فهو أشعرهما . قال : وكان الناس قد تجاذبوا فى أمر جرير والفرزدق حتى تواثبوا وصاروا إلى المهلَّب محكِّمين له فى ذلك؛ فقال : أردتم[(٢)] أن أحكم بين هذين الكلبين المتهارشين فيمتضغانى ! ما كنت لأحكم بينهما ، ولكنى أدلُّكم على من يحكم بينهما ثم يَهون عليه سِبابُهما ، عليكم بالشُّرَاة فسَلُوهم إذا تواقفتم . فلما تواقفوا سأل أبو حُزابة عبيدة بن هلال عن ذلك فأجابه بهذا الجواب .

اخبرنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى ميمون بن هارون قال :

حُدِّثت أن آمرأة من الخوارج كانت مع قَطَرِىّ بن الفُجَاءة يقال لها أُمُّ حَكِيم ، وكانت من أشجع الناس وأجملِهم وجهًا وأحسنِهم بدينهم تمسُّكًا ، وخطَبها جماعةٌ منهم فردّتهم ولم تُجِب إلى ذلك؛ فأخبرنى من شهدها أنها كانت تحمل على الناس وترتجز :

أحمِلُ رأسًا قد سئمتُ حَمْلَهْ * وقد مَلِلْتُ دَهْنَهُ وغَسْلَهْ ٧/٦

* ألَا فتًى يحمِلُ عنّى ثِقْلَهْ *

قال : وهم يَفْدونها بالآباء والأمهات، فما رأيت قبلَها ولا بعدها مثلَها .

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثم بن فِرَاس قال حدّثنا العُمَرِىّ عن الهَيْثم بن عَدِىّ قال :

---

(١) كذا فى أ ، ء ودیوان جرير . وهو من قصيدة طويلة مطلعها :

أهـوى أراك برامتين وقودا * أم بالجنينـة من مدافع أودا

وفى سائر الأصول : « الفياد » (بالفين المعجمة) وهو تحريف .

(٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فقال إن أردتم ... » والظاهر أن كلمة « إن » مقحمة .

كان عبيدة بن هلال إذا تكافّ الناسُ ناداهم : ليخرجْ إليّ بعضُكم ؛ فيخرج إليه فِتْيان من العسكر ، فيقول لهم : أيّما أحبُّ إليكم : أقرأ عليكم القرآن أو أُنشدُكم الشعر ؟ فيقولون له : أمّا القرآن فقد عرفناه مثلَ معرفتك ، فأنشدْنا ؛ فيقول لهم : يا فَسَقةُ ، والله قد علمت أنكم تختارون الشعرَ على القرآن ، ثم لا يزال يُنْشِدهم ويستنشدهم حتى يَمَلّوا ثم يفترقون .

أخبار سياط ونسبه

أخبار سياط ونسبه وتلامذته وأستاذه

سِيَاطٌ لقب غلب عليه ، واسمُه عبدالله بن وهب ، ويُكْنى أبا وهب ، مكىّ مولى خُزَاعة . وكانَ مقدّما فى الغناء روايةً وصنعةً ، ومقدَّما فى الضرب معدودا فى الضُّرّاب . وهو أستاذ ابن جامع وإبراهيم الموصلى ، وعنه أخذا وتَقلا ونقل نظراؤهما الغناءَ القديم ، وأخذه هو عن يونس الكاتب . وكان سياط زوجَ أمّ ابن جامع .

وفيه يقول بعض الشعراء :

ما سمعتُ الغناءَ إلّا شَجَانى * مِنْ سياطٍ وزادَ فى وَسْواسِى
غَنِّنى ياسياطُ قد ذهب الليـ * ـل غناءً يَطير منه نُعاسى
ما أبالى إذا سمعتُ غناءً * لسياطٍ ما فاتنى للرُّؤاسى

والرؤاسيّ الذى عَنَاه هو عباس بن مِنْقار ، وهو من بنى رُؤاس . وفيه يقول محمد بن أَبَانَ الضَّبِّىّ :

إذا واخيتَ عبّاسًا * فكن منه على وَجِلِ (١)
فتًى لا يقبل العذرَ * ولا يرغب فى الوصلِ
وما إن يتغنّى مَنْ (٢) * يُواخيه من النُّبْلِ

سبب تلقيبه بسياط

قال حمّاد بن إسحاق : لقّب سِيَاطٌ هذا اللقب لأنه كان كثيرًا ما يتغنّى :

كأنّ مَزَاحِفَ الحيّاتِ فيه * قُبَيْلَ الصبح آثارُ السِّيَاطِ

---

(١) كذا فى الأصول . والوجل بالتحريك ، ولعله سكن لضرورة الشعر ، ويحتمل أن يكون صوابه : « على دخل » . والدخل بسكون الخاء كالدخل بالتحريك وهو الريبة . (٢) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : « ومن » .

مدح إبراهيم الموصلي غناءه

وأخبرني محمد بن خَلَف قال حدّثني هارون بن مخارق(1) عن أبيه، وأخبرني به عبد الله بن عباس بن الفضل بن الربيع الربيعي(2) عن وسواسة الموصلي — ولم أسمع أنا هذا الخبر من وسواسة — عن حماد عن أبيه، قالا(3):

طلب المهدي مع حبال وعقاب فظن الحاضرون أنه يريد الإيقاع بهم

غنّى إبراهيمُ الموصليّ يوماً صوتاً لسِيَاط، فقال له ابنه إسحاق: لمن هذا الغناء يا أبت؟ قال: لمن لو عاش ما وجد أبوك شيئاً يأكله: لسياط. قال: وقال المهديّ يوماً وهو يشرب لسَلّام الأبرش(4): جئني بسِيَاط وعقاب وحِبَال؛ فارتاع كلُّ من حضر وظنّ جميعهم أنه يريد الإيقاع بهم أو ببعضهم؛ فجاءه بسياط المغنّي وعقاب المدني — وكان الذي يُوقِع عليه — وحبال الزامر. فجعل الجلساء يشتمونهم والمهديّ يضحك.

مرّ بأبي ريحانة المدني وهو في الشمس من البرد فغنى له فشق ثوبه وبقي في البرد

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثني أبو أيّوب المدنيّ قال حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

مرّ سياط على أبي ريحانة المدنيّ في يوم بارد وهو جالس في الشمس وعليه ثوب رقيق رثّ؛ فوثب إليه أبو ريحانة وقال: بأبي أنت يا أبا وهب، غنّني صوتك في شعر ابن جُنْدُب(5): 8/6

(1) في الأصول: «هارون بن مخالف» وهو تحريف، لأن الذي يروى عنه محمد بن خلف وكيع هو «هارون بن مخارق». (2) كذا في حـ. وفي جميع الأصول: «الربعي» وهو تحريف. راجع الحاشية (رقم ٢ ص ٢٥٢ من الجزء الثالث من هذه الطبعة). (3) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «قال». (4) كذا في حـ والطبري في أكثر من موضع وفيا مر في جميع الأصول في الجزء الخامس. وهو سلام الأبرش من النقلة القدماء الذين ترجموا من اللغات إلى اللغة العربية في أيام البرامكة، وهو أحد الذين ترجموا كتاب السماع الطبيعي لأرسطو المعروف بسماع الكيان، وهو ثماني مقالات. وقد ترجم هذا الكتاب من اليوناني إلى السرياني ومنها إلى العربي، ومن الرومي إلى العربي، ولم ندر اللغة التي ترجمه منها إلى اللغة العربية أهي السريانية أم الرومية. (راجع فهرست ابن النديم وتاريخ الحكماء للقفطي وكشف الظنون). وفي سائر الأصول هنا: «سلام بن الأبرش» وهو تحريف. (5) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «في شعر ابن جندب قال ... الخ». والظاهر أن كلمة «قال» مقحمة من الناسخ.

فؤادى رَهينٌ فى هواكِ ومهجتى * تذوب وأجفانى عليك هُمولُ

فغنّاه إياه، فشقّ قميصه ورجع إلى موضعه من الشمس وقد ازداد بردا وجَهدا . فقال له رجل : ما أغنى عنك ما غنّاك من شقّ قميصك ! فقال له يابن أخى ، إن الشعر الحسنَ من المغنّى الحسنِ ذى الصوتِ المُطْرِب أدفأ للقرور من حَمّام مُحمًى . فقال له رجل : أنت عندى من الذين قال الله جل وعزّ : ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾؛ فقال : بل أنا من الذين قال تبارك وتعالى : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ . وقد أخبرنى بهذا الخبر علىّ (١) بن عبد العزيز عن ابن خُرداذبه فذكر قريبا من هذا، ولفظُ أبى أيوب وخبرُه أتم .

وأخبرنى إسماعيل بن يُونس الشّيعى ، المعروف بابن أبى اليَسَع ، قال حدثنا عمر بن شبّة :

أنّ سياطًا مرّ بأبى رَيحانة المَدَنى ، فقال له : بحق القبر ومَن فيه غنّنى بلحنك فى شعر ابن جُندب :

لكلّ حَمامٍ أنت باكٍ إذا بكى * ودمعُك منهلٌّ وقلبك يخفُقُ
مخافةَ بُعْدٍ بعد قُرْبٍ وهجرةٍ * تكون ولمّا تأتِ والقلبُ مُشفِقُ
ولى مهجةٌ ترفضّ من خوف عتبِها * وقلبٌ بنار الحبّ يَصْلَى ويُحرَقُ
أظلّ خليعًا بين أهلى متيّمًا * وقلبى لِما يرجوه منها معلّقُ

فغنّاه إياه ، فلما استوفاه ضرب بيده على قميصه فشقّه حتى خرج منه وغُشى عليه . فقال له رجل لمّا أفاق : يا أبا ريحانة ، ما أغنى عنك الغناء ! ثم ذكر باقىَ الخبر مثلَ ما تقدّم .

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « على بن عبد العزيز بن خرداذبه » وهو تحريف ؛ لأن ابن خرداذبه هو عبيد الله بن عبد الله . وقد سبقت رواية على بن عبد العزيز عنه .

سمع أبو ريحانة جارية تغنى فشق قربتها واشترى لها عوضها

أخبرني إسماعيل قال حدّثنى عمر بن شبّة قال :

مرّت جارية بأبى ريحانة يومًا على ظهرها قِربةٌ وهى تغنّى وتقول :

وأبكى فلا ليلَى بكتْ من صبابةٍ * إلىّ ولا ليلَى لذى الودّ تبذُلُ

وأخنع بالعُتْبَى إذا كنتُ مُذنِبًا * وإن أذنبتْ كنتُ الذى أتنصّل

فقام إليها فقال : يا سيّدتى أعيدى ؛ فقالت : مولاتى تنتظرنى والقربة على ظهرى ؛ فقال : أنا أحملها عنك ؛ فدفعتها إليه فحملها ، وغنته الصوت ، فطرب فرمى بالقربة فشقّها . فقالت له الجارية : أمن حقّ أن أغنّيَك وتشقّ قربتى ! فقال لها : لا عليك ، تعالَىْ معى إلى السّوق ؛ فجاءت معه فباع مِلْحَفتَه واشترى لها بثمنها قربةً جديدة . فقال له رجل : يا أبا ريحانة ، أنت والله كما قال الله عز وجل : ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ ؛ فقال : بل أنا كما قال الله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ .

مر بأبى ريحانة المدنى وهو فى الشمس من البرد فغنى له فشق ثوبه وبقى فى البرد

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوْكبىّ قال حدّثنى أبو العَيْناء قال قال إسحاق الموصلىّ :

بلغنى أنّ أبا رَيْحانة المدنىّ كان جالسًا فى يومٍ شديد البرد وعليه قميص خَلَق رَقيق ؛ فمرّ به سِياط المغنّى فوثب إليه وأخذ بلِجامه وقال له : ياسيّدى ، بحق القبر ومَنْ فيه غنّنى صوتَ ابن جُندب ، فغنّاه (1) :

فؤادى رهينٌ فى هَواك ومُهجتى * تذُوب وأجفانى عليك هُمولُ

(1) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « فغناه وقال ... الخ » . والظاهر أن كلمة « وقال » مقحمة من الناسخ .

فشقّ قميصَه حتى خرج منه وبقى عاريًا وغُشى عليه ، واجتمع الناسُ حولَه وسِيَاطٌ واقفٌ متعجِّب مما فعل . ثم أفاق وقام إليه ، فرحمه سِياط وقال له : مالك يا مشئوم ؟ أىَّ شىء تُريد ؟ قال : غنّنى بالله عليك : ٩/٦

وَدِّعْ أُمَامةَ حَان منكَ رَحِيلُ * إنّ الوداع لمن تحبّ قليلُ
مثلُ القَضيب تمايلتْ أعطافُه * فالريح تجذب مَتْنه فيَميل
إنْ كان شأنكمُ الدلال فإنه * حَسَنٌ دلالكِ يا أُميمَ جميل

فغنّاه إياه ، فلطَم وجهَه ثم خرج الدم من أنفه ووقع صريعًا . ومضى سياط ، وحمل الناس أبا ريحانة إلى الشمس . فلما أفاق قيل له : ويحك ! خرقتَ قميصَك وليس لك غيره ! فقال : دعونى ، فإن الغناء الحسن من المغنّى المطرب أدفأ للقرور من حَمّام المهدىّ إذا أُوقد سبعةَ أيام . قال : ووجّه له سِياط بقميص وجُبّة وسَراوِيلَ وعِمامة .

زاره إبرهيم الموصلى وابن جامع فى مرضه فأوصى بالمحافظة على غنائه

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنى أبو أيّوب المدنىّ قال حدّثنى محمد ابن عبد الله الخُزَاعىّ وحَمّاد بن إسحاق جميعا عن إسحاق قال :

كان سياطٌ أستاذَ أبى وأستاذَ ابن جامع ومن كان فى ذلك العصر . فاعتلّ علةً ، فجاءه أبى وابن جامع يعودانه . فقال له أبى : أعزِزْ علىّ بعلتك أبا وهب ! ولو كانت مما يُفتدى لفديتُك منها . قال : كيف كنتُ لكم ؟ قلنا : نِعْمَ الأستاذ والسيِّد . قال : قد غنّيتُ لنفسى ستين صوتا فأُحبّ ألّا تغيّروها ولا تنتحلوها . فقال له أبى : أفعلُ ذلك يا أبا وهب ، ولكن أىّ ذلك كرهتَ : أن يكون فى غنائك فضلٌ فأقصّر عنه فيُعرَف فضلُك علىّ فيه ، أو أن يكون فيه نقصٌ فأُحسنه فيُنسب إحسانى إليك ويأخذه الناس عنى لك ؟ [قال][(1)] : لقد استعفيتَ من غير مكروه . قال الخزاعىّ

(١) زيادة عن ح .

في خبره : ثم قال لي إسحاق : كان سياط خُزَاعيًّا، وكان له زامر يقال له حِبال، وضارب يقال له عقاب . قال حماد قال أبي : أدركت أربعةً كانوا أحسنَ الناس غناء، سِيَاطٌ أحدُهم . قال : وكان موتُه في أوّل أيام موسى الهادي .

زاره ابن جامع في مرض موته فأوصاه بالمحافظة على غنائه

أخبرني يحيى قال حدّثنا أبو أيوب عن مصعَب قال :

دخل ابن جامع على سِيَاط وقد نزل به الموت؛ فقال له : ألك حاجة؟ فقال: نعم، لا تَزِد في غنائي شيئا ولا تنقُص منه، دعه رأسًا برأس، فإنما هو ثمانيةَ عشرَ صوتا .

دعاه إخوان له فمات عندهم فجأة

أخبرنا محمد بن مَزْيد قال حدثنا حمّاد قال حدثني محمد بن حَديد أخو النَّضْر ابن حديد :

أن إخوانًا لسياط دعَوْه، فأقام عندهم وبات(1)، فأصبحوا فوجدوه ميّتًا في منزلهم، فجاءوا إلى أُمّه وقالوا : يا هذه، إنّا دعونا ابنَك لنكرمه ونُسَرّ به ونأنَس بقربه فمات فجأة، وها نحن بين يديك فاحتكمي ماشئتِ، ونَشَدْناك الله ألّا تعرّضينا للسلطان أو تَدّعي فيه علينا مالم نفعله . فقالت : ما كنتُ لأفعل، وقد صدقتم، وهكذا مات أبوه فجأة . قال: فجاءت معنا فحملته إلى منزلها فأصلحت أمره ودفنته . وقد ذُكرت هذه القصةُ بعينها في وفاة نُبَيْه المغنّي، وخبره في ذلك يُذكر مع أخباره إن شاء الله تعالى .

غنى أحمد بن المكي إبراهيم بن المهدي صوتا له فاستعاده

أخبرنا يحيى بن عليّ وعيسى بن الحسين الزيات(2) — واللفظ له — قالا حدّثنا أبو أيوب قال حدّثنا أحمد بن المكّيّ قال :

---

(1) كذا في حـ . وفي سائر الأصول : «ومات» .

(2) كذا في أكثر الأصول . وفي حـ : «عيسى بن الحسين» (بسقوط كلمة : الزيات) . ولم نجد في المراجع التي بين أيدينا ولا فيما تقدم من الأغاني شيخا روى عنه أبو الفرج اسمه : «عيسى بن الحسين الزيات» . ولكن الذي سبقت رواية أبي الفرج عنه في أكثر من موضع هو : «عيسى بن الحسين الورّاق» .

غنّيتُ إبراهيمَ بن المهدىّ لسياط :

* ضافَ(١) قلبي الهوى فأكْثر سَهْوِى *

فاستحسنه جدًّا، وقال لى : ممن أخذتَه ؟ قلت : من جارية أبيك قُرَشيّة الزَّبّاء ؛ [١٠ - ٦] فقال : أُشعرتُ أنه كان لأبى ثلاثُ جوارٍ مُحْسنات كلُّهن تسمّى قرشيّة، منهن قرشيّة الزباء وقرشية السوداء وقرشية البيضاء، وكانت الزباء أحسنَهن غناء — يعنى التى أخذتُ منها هذا الصوت — قال : وكنت أسمعها كثيرا تقول : قد سمعت المغنّين وأخذت عنهم وتفقّدت أغانيَهم، فما رأيت فيهم مثلَ سِياط قطُّ . هذه الحكاية من رواية عيسى بن الحسين خاصّة .

نسبة هذا الصوت

صوت

ضاف قلبي الهوى فأكْثر سَهْوِى * وجَوَى الحبِّ مُفظِعٌ غيرُ خُلْوِ
لو علا بعضُ ما علانى ثَبِيرًا(١) * ظلَّ ضَعفًا ثَبيرُ من ذاك يهوِى
من يكن من هوى الغوانى خَلِيًّا * يا ثِقاتى فإننى غيرُ خِلْوِ

الغناء لسِياط ثانى ثقيل بالوسطى فى مجراها عن إسحاق .

صوت
من المائة المختارة

يا أمَّ عمرو لقد طالبتُ وذكْمُ * جُهدى وأعْذرتُ فيه كلَّ إعذارِ
حتى سَئِمتُ، وقد أصبحتِ سالمةً، * مما أُعالج من همٍّ وتَذكار

(١) ثبير (بفتح أوله وكسر ثانيه بعده ياء وراء مهملة) : جبل معروف بمكة من ناحية الشرق فى طريق منى، وهو جبل عظيم مرتفع أسود كثير الحجارة فى عطف وادى إبراهيم عليه السلام من يسار المار إلى منى، وعرف برجل من هذيل، مات فدفن به فعرف به الجبل، ويرى من منى والمزدلفة .

لم يُسَمَّ قائلُ هـذا الشعر . والغنـاء للرّطّاب . والرّطّاب مدنيّ قليل الصنعة ليس بمشهور. وقيل له الرطّاب لأنه كان يبيع الرُّطَب بالمدينة. ولحنُه المختارهزجٌ بالوسطى.

صـــوت

من المـائة المختـارة

تَصَـدّع الأَنَسُ(١) الجميــعُ * أَمْسَى فقلبي به صُـدوعُ

في إثرهم وجفـونُ عيـنى * مُخْضَـلّةٌ(٢) كلها دُمـوع

لم يُسمَ لنا قائل هذا الشعر ولا عرَفْناه . والغناء لدُكَين بن يزيد الكُوفي. ولحنه المختار من خفيف الثقيل(٣) بالوسطى، وهكذا ذكر إسحاق في الألحان المختارة للواثق . وذكر هذا الصوت في مُجَرَّد شجا فنسبه إلى دكين، وجنّسـه في الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. وذكر أيضا فيه لحنا من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر، فزعم أنه ينسب إلى مَعْبد وإلى الغَرِيض. وفيه بيتان آخران وهما:

فالقلبُ إن سِيمَ عنك صبرًا * كُلِّف ما ليس يستطيــعُ

عاصٍ لمن لام في هواكُمْ * وهوَ لكُمْ سامعٌ مطيــع

صـــوت

من المـائة المختـارة

يأيهـا الرجــلُ الذى * قد زان منطقَه البيـانُ

لا تَعتِبنّ عــلى الزما * ن فليس يُعْتِبك الزمانُ

---

(١) الأنس (بالتحريك): الحيّ المقيمون. (٢) كذا في حـ. وفي سائر الاصـول: «طلها». (٣) في حـ: «من الثقيل ... الخ».

١١/٦ الشعر لعبد الله بن هارون العَرُوضىّ . والغناء لِنُبَيه المُغَنّى ، ولحنه المختار ثقيل أوّل بالبنصر .

فأمّا عبد الله بن هارون فما أعلم أنه وقع إلىّ له خبرٌ إلا ما شُهر من حاله فى نفسه . وهو عبد الله بن هارون بن السَّمَيْدع ، مولى قريش ، من أهل البصرة . وأخذ العروض من الخليل آبن أحمد ، فكان مقدَّمًا فيه . وانقطع إلى آل سليمان بن على وأدب أولادهم ، وكان يمدحهم كثيرا ، فأكثرُ شعره فيهم . وهو مُقِلّ جدًّا . وكان يقول أوزانا من العروض غريبةً فى شعره ، ثم أخذ ذلك عنه ونحا نحوه فيه رُزَين العَرُوضىّ فأتى فيه ببدائعَ جَمّة ، وجعل أكثرَ شعره من هذا الجنس . فأمّا عبد الله ابن هارون فما عرفت له خبرا ولا وقع إلىّ من أمره شىء غير ما ذكرتُه .

ذكر نُبيه وأخباره

نسبه وأصله وشعره وسبب تعلمه الغناء

زعم ابن خُرْدَاذْبه أنه رجل من بنى تَيم صَلِيبةً، وأن أصلَه من الكوفة، وأنه كان فى أوّل أمره شاعرًا لا يغنّى، ويقول شعرا صالحا. فهوِىَ قينة ببغداد فتعلّم الغناء من أجلها وجعله سببًا للدخول عليها، ولم يزل يتزيّد حتى جاد غناؤه وصنعَ فأحسن واشتهر، ودُوِّن غناؤه وعُدّ فى المُحسنين. فمما قاله فى هذه الجارية وغنّى فيه قولُه :

صوت

يا ربِّ إنى ما جفوتُ وقد جفتْ * فإليك أشكو ذاك يا ربّاهْ
مولاةُ سَوْءٍ ما تَرِقّ لعبدها * نِعْم الغلامُ وبئست المولاه
يا ربِّ إن كانت حياتى هكذا * ضررًا علىّ فما أُريد حياه

الغناء لنُبَيه ثانى ثقيل مطلق فى مجرى الوسطى. ومن الناس من ينسُب الشعر والغناء إلى عُلَيّة بنت المهدىّ.

مدح مخارق و إبراهيم الموصلى لغنائه

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبّة قال :
قلت لمخارق،[1] وقد غنّى هذا الصوت يومًا :

متى تَجمع القلبَ الذكىّ وصارمًا * وأنفا حَمِيًّا تجتنبْك المظالمُ[2]

فسألته لمن هو؛ فقال : هذا لنُبَيه التَّيمى؛ وكان له أخوان يقال لهما مُنَبِّه ونَبْهان،

(١) فى جميع الأصول : « قال لى مخارق » . وهو غير مستقيم مع سياق الكلام .
(٢) هذا البيت من قصيدة لعمرو بن براق الشاعر، قالها لما استرد إبله وخيله من حريم الهمدانى وكان قد أغار عليها وأخذها . (راجع أخباره ج ٢١ ص ١٧٥ — ١٧٦ من الأغانى طبع ليدن) .

وكان ينزل شَهارْسُوج(١) الهَيْثم فى درب الرَّيْحان. قال أبو زيد: وسمعتُ مخارقًا يحدِّث إسحاق بن إبراهيم قال سمعت أباك إبراهيم بن مَيْمون يقول — وقد ذكر لُبَيْنًا —: إن عاش هذا الغلام ذهب خبرُنا(٢). قال: وكنت قد غنّيته صوتًا أخذته عنه(٣)، وهو:

شكوتُ إلى قلبي الفراقَ فقال لى * مِن الآنَ فأيأسْ لا أغُرَّك بالصبرِ
إذا صَدَّ مَنْ أهْوَى وأسلمنى العزا * ففُرْقةُ من أَهوى أحرُّ من الجمرِ

كان مع على بن المفضل عند عبيد الله بن أبى غسان فأكل لحم غزال ومات

أخبرنا الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدّثنى ابن أبى سعد(٤) عن محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثنى علىّ بن المفضَّل قال:

اصطبحنا يومًا أنا ولُبَيْنُ عند عبيد الله بن أبى غسّان، فغنّانا لُبين لحنَه:

يأيها الرجــل الذى * قد زان منطقَه البيانُ

١٢/٦ فما سمعت أحسنَ منه، وكان صوتُنا عليه بقيةَ يومنا. ثم أردنا الانصراف، فسألنا عُبيد الله أن نَبيتَ عنده ونصطبح من غد فأجبناه. وقال لُبَيْن: أىّ شىء تشتهى أن يُصلَح لك؟ قال: تشترى لى غزالًا فتُطعمنى كبدَه كَبابًا، وتجعل سائر ما آكله من لحمه كما تحب؛ فقال: أفعل. فلما أصبحنا جاءه بغزال فأصلحه كما أَحبّ. فلما استوفى أكْلَه استلقى لينام، فحرّكناه فإذا هو ميت، فجزِعْنا من ذلك. وبعث عبيدُ الله إلى أمه فجاءت فأخبرها بخبره. فلما رأته استرجَعَتْ(٥) ثم قالت: لا بأس عليكم! هو

---

(١) شهارسوج الهيثم: كانت محلة من محال بغداد فى قبلة الحربية. والهيثم الذى أضيفت إليه هو ابن معاوية من القواد الخراسانية. (٢) فى حـ: «خيرنا» (بالياء المثناة). (٣) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «أجدته عنه» بالجيم. (٤) كذا فى حـ، وهو عبد الله بن أبى سعد وقد تقدّمت روايته عن محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعى ورواية ابن مهرويه عنه فيما مر من الأجزاء السابقة كثيرا. وفى سائر الأصول: «ابن أبى سعيد» وهو تحريف. (٥) استرجع فى المصيبة: استعاذ وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

رابع أربعة ولدتْهم كانت هذه مِيتَتَهم جميعًا ومِيتةَ أبيهم من قبلهم؛ فسكنَّا إلى ذلك. وغُسِّل فى دار عُبيد الله وأُصلح شأنه وصُلِّى عليه، ومضينا به إلى مقابرهم فدُفن هناك.

صـــوت
من المـائة المختـارة

وقفتُ على رَبْعٍ لسُعْدَى وعَبْرَتى * تَرَقْرَقُ فى العينين ثم تَسِيلُ
أسائل ربعًا قد تعفَّتْ رسومُه * عليه لأصناف الرياح ذُيولُ (1)

لم يُسَمَّ لنا قائل هذا الشعر. والغناء لسُلَيم هَزَجٌ خفيفٌ بالسَّبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق.

(1) كذا فى حـ. والذيول من الريح: ما تتركه فى الرمل كأثر ذيل مجرور. وفى سائر الأصول: «ذبول» (بالباء الموحدة) وهو تصحيف.

أخبار سُلَيْم

انقطع إلى إبراهيم الموصلى وهو أمرد فأحبه وعلمه

هو سُلَيم بن سَلّام الكُوفىّ، ويُكْنى أبا عبد الله . وكان حسنَ الوجه حسنَ الصوت . وقد انقطع وهو أمردُ إلى إبراهيمَ المَوْصلىّ، فمال إليه وتعشّقه ، فعلّمه وناصحه ، فبرُع وكثرت روايتُه ، وصنع فأجاد . وكان إسحاق يهجوه ويطعن عليه . واتّفق له اتفاقٌ سيّ : كان يخدُم الرشيدَ فيتّفق مع ابن جامع وإبراهيم وابنِه إسحاق وفُلَيح ابن العَوْراء وحكَمٍ الوادىّ فيكون بالإضافة إليهم كالساقط . وكان من أبخل الناس، فلما مات خلّف جملة عظيمة وافرة من المال؛ فقبضها السلطان عنه .

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى عن أبيه :

أن إسحاق قال فى سُلَيم :

سُلَيمُ بنُ سَلّام على بَرْد خَلْقه * أحرُّ غناءً من حُسينِ بنِ مُحْرِزِ

سأل الرشيد برصوما عنه وعن أربعة من المغنين فأجابه

وأخبرنا إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق، وأخبرنا يحيى ابن علىّ عن أبيه عن إسحاق :

أنّ الرشيد قال لبَرْصُوما الزامر وكانت فيه لُكْنة ما تقول فى ابن جامع؟ قال: زِقٌّ من أَسَل (يريد من عسل) . قال : فإبراهيم؟ قال: بستان فيه فاكهة وريحان وشوك . قال : فيَزيد حَوْراء ؟ قال : ما أبيدَ أسنانه ! (يريد ما أبيض) . قال : فحُسين ابن مُحْرِز؟ قال: ما أهسن خظامه[1] ! (يريد ما أحسن خضابه) . قال : فسُلَيم بن سلّام ؟ قال : ما أنظف ثيابه !

نصحه برصوما فى موضع غنا فضحك الرشيد

قال إسماعيل بن يونس فى خبره عن عمر بن شَبّة عن إسحاق :

---

(١) فى حـ : « حضابه » .

وغنّى سُلَيم يومًا وبَرْصُومَا يزمِر عليه بين يدى الرشيد ، فقصّر سُلَيم فى موضع صيحة، فأخرج برصوما النـاىَ من فيه ثم صاح به وقال له : يا أبا عبد الله، صَيهة (١) أشدّ من هذا، صيهة (١) أشدّ من هذا؛ فضحك الرشيد حتى آستلقى . قال: وما أذكر أنى ضحكت قطُّ أكثرَ من ذلك اليوم .

كان يجيد الأهزاج فغنى الرشيد فوصله

أخبرنى محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال محمد بن الحسن بن مصعَب :

١٣/٦

إنمـا أخَّر سُليمًا عن أصحابه فى الصنعة وَلَعُه بالأهزاج، فإن تُلُقّى صنعته هَزَج، وله من ذلك ما ليس لأحد منهم . قال : ثم قال محمد : غنّى سُـلَيم يومًا بين يدى الرشيد ثلاثةَ أصواتٍ من الهَزج وِلاءً، أوّلهـا :

* مُتْ على من غبتَ عنه أسَفَا *

والثـانى :

* أسرفتَ فى الإعراض والهَجْر *

والثـالث :

* أصبـح قلبى به نُدوبُ *

فاطرِبه وأمر له بثلاثين ألف درهم، وقال[له] (٢) : لو كنت الحَكَمَ الوادىَّ مازدْتَ على هذا الإحسان فى أهزاجك . (يعنى أنّ الحكم كان منفردًا بالهزج) .

نسبة هذه الأصوات

صـــوت

مُتْ على من غبتَ عنه أسفَا * لستَ منـه بمُصيبٍ خَلَفـا
لن تَرَى قُـرّةَ عيـنٍ أبدًا * أوْ ترى نحـوَهمُ مُنْصَرَفَا

(١) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول : « ... (٢) زيادة عن سـ .

قلتُ لمّا شفَّنى وجدى بهم * حَسْبِيَ اللهُ لِمَا بى وكَفَى
بَيّنَ الدمعُ لمن أبصرنى * ما تضمّنتُ إذا ما ذَرَفا

الشعر للعبّاس بن الأحنف. والغناء لسُلَيم، وله فيه لحنان، أحدهما فى الأوّل والثانى هَزَج بالوسطى، والآخر فى الثالث والرابع خفيفُ رملٍ بالبنصر مطلق. وفيهما لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو.

ومنها:

صــــوت

أسرفتَ فى الإعراض والهجرِ * وجُزْتَ حدّ التِّيه والكِبرِ
الهجرُ والإعراض من ذى الهوى * سُلَّمُ ذى الغدر إلى الغدر
مالى وللهِجْران حَسْبِي الذى * مرّ على رأسى من الهجر
ودون ما جَرّبتُ فيما مضى * ما عرّف الخيرَ من الشر

الغناء لسُلَيم هزج بالبنصر.

ومنها:

صــــوت

أصبح قلبى به نُدوبُ * أَنْدَبه الشادِنُ الرَّبيبُ
تَمَادِيًا منه فى التّصابى * وقد علا رأسىَ المَشيب
أظننى ذائقًا حِمامى * وأنّ إلمامَه قريب
إذا فؤادٌ شجاه حبٌّ * فقلّما ينفَع الطبيب

الشعر لأبى نُوَاس. والغناء لسُليم، وله فيه لحنان: خفيف رمل بالبنصر عن إسحاق، وهزج بالوسطى عن الهشامىّ. وزعَمتْ بَذْلُ أنّ الهزج لها.

كان أبوه من دعاة أبي مسلم

أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال حدثني هارون بن مخارق عن أبيه قال :

كان سُلْم بن سَلّام كوفيًّا ، وكان أبوه من أصحاب أبي مُسلم صاحب الدولة ودُعاته وثِقاته ، فكان يكاتب أهلَ العراق على يده . وكان سُلْم حسنَ الصوت جَهيرَه ، وكان بخيلا .

دعا صديقين ولما جاءا اشتريا طعاما فأكل معهما

قال أحمد بن أبي طاهر وحدثني أبو الحواجب الأنصاريّ ، واسمه محمد ، قال :

١٤/٦

قال لي سُلْم يومًا : امض إلى موسى بن إسحاق الأزرق فادْعُه وَوَافِياني مع الظهر؛ فجئناه مع الظهر، فأخرج إلينا ثلاثين جارية مُحْسِنة ونبيذًا ، ولم يُطْعمنا شيئا ، ولم نكن أكلنا شيئا . فغمز موسى غلامَه فذهب فاشترى لنا خبزا وبيضا ، فأدخله إلى الكنيف وجلسنا نأكل ؛ فدخل علينا ، فلما رآنا نأكل غضب وخاصمنا وقال : أهكذا يفعل الناس! تأكلون ولا تُطعمونني ! وجلس معنا في الكنيف يأكل كما يأكل واحد منا حتى فَنِي الخبز والبيض .

طلب من محمد اليزيدي نظم شعر يغني به الخليفة ففعل

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني الفضل بن محمد اليزيديّ قال حدثني أبي قال :

كان سُلْم بن سَلّام صديقي وكان كثيرًا ما يغشاني . فجاءني يومًا وأعلمني الغلامُ بمجيئه ، فأمرتُ بإدخاله ، فدخل وقال : قد جئتك في حاجة ؛ فقلت : مقضيّة . فقال : إنّ المِهْرجان بعد غد ، وقد أُمرنا بحضور مجلس الخليفة ، وأريد أن أغنّيه لحنًا أصنعه في شعرلم يعرفه هو ولا مَنْ بحضرته ، فقُلْ أبياتا أُغنّي فيها مِلاحًا ؛ فقلت : على أن تُقيم عندي وتصنع بحضرتي اللحن ؛ قال : أفعل . فردّوا دابّته وأقام عندي ، وقلت :

صـــــوت

أتيتُــك عائذًا بك منْ * ـك لمّـا ضاقت الحِيَلُ
وصــيّرنى هواك وبى * لِحَيْنى يُضرب المثــل
فإن سَلِمتْ لكم نفسى * فمـا لاقيتُــه جَلَـل
وإنْ قَتل الهوى رجلًا * فإنى ذلك الرجــل

فغنّى فيه وشربنا يومئذ عليه، وغنّانا عدةَ أصوات من غنائه، فما رأيته مذ عرفته كان أنشطَ منه يومئذ.

سرق محمد اليزيدى معنيين من شعر مسلم بن الوليد

أخبرنى أحمد بن عُبيــد الله بن عمّار قال حدثنى محمد بن داود بن الجرّاح قال حدّثنى عبد الله(1) بن محمد اليزيدىّ قال حدّثنى أخى محمد قال:

سمعت أبى يقول: ما سَرَقت من الشعر قطُّ إلا معنيين(2): قال مسلم بن الوليد:

ذاك ظبىٌ تحيّر(3) الحسنُ فى الأر * كان منـــه وجال كلَّ مكانِ
عرضتْ دونَه الحجـالُ فمـا يَلْـ * ـقاك إلا فى النوم أو فى الأمانى

فاستعرتُ(4) معناه فقلت:

صـــــوت

يا بعيدَ الدار موصو(5) * لًا بقلــبى ولسانى
ربّمـا باعَدَك الدهـ * ـرُ فأدنتْــك الأمانى

ـــ الغناء فى هذين البيتين لسُلَيم هزج بالبنصر عن الهشامىّ ـــ.

(١) الظاهر أنه: «عبيد الله» لا: «عبدالله»، وهو أخو الفضل والعباس ولدى محمد اليزيدى.
(٢) فى الأصول: «قول»، وهو لا يلتئم مع سياق الكلام الآتى.
(٣) فى ب، س: «تخير» (بالخاء المعجمة) وهو تصحيف.
(٤) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «فاستعرضت».
(٥) نسبت هذه الأبيات فى وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ٢ ص ٣٤٤ طبع مصر) ليحيى بن المبارك اليزيدى المقرئ النحوى اللغوى صاحب أبى عمرو بن العلاء وهو والد محمد اليزيدى المنسوب إليه الشعر هنا.

قال : وقال مسلم أيضا :

متى ما تسمعى بقتيلِ أرض * فإنى ذلك الرجــل القتيــلُ

— ويُروى : "أصيبَ فإنى ذاك القتيل" — فقلت :

أتيتُــك عائذًا بك مِنْـ * ـك لمّــا ضاقت الحِيَلُ

وصـيّرنى هـواك وبى * لَحَيْنى يُضرب المثـــل

فإن سَلِمتْ لكم نفسى * فمــا لا قيتُــه جَلَل

وإن قَتل الهوى رجلًا * فإنى ذلك الرجـــل[1]

١٥/٦

غنى مخارقا صوتا ، فلما بلغ ابن المهدى طلبه وغناه إياه

وجدت فى كتاب علىّ بن محمد بن نصر عن جدّه حمدون بن إسماعيل، ولم أسمعه من أحــد :

أن إبراهيمَ بن المهدىّ سأل جماعةً من إخوانه أن يصطبحوا عنــده — قال حمدون : وكنت فيهم — وكان فيمن دعا مُخَارِق ، فسار إليه وهو سكران لا فضلَ فيــه لطعام ولا لشراب، فاغتمّ لذلك إبراهيم وعاتبــه على ما صنع؛ فقال : لا والله أيها الأمير، ما كان آفتى إلا سُليم بن سلّام ؛ فإنه مرّ بى فدخل علىّ فغنّانى صوتًا له صنعه قريبًا فشربت عليــه إلى السَّحَر حتى لم يبق فىّ فضــلٌ وأخذتُه . فقــال له إبراهيم : فغنّناه إملالا[2]، فغنّاه .

صـــوت

إذا كنتَ نَدْمانى فباكِرْ مُدامةً * معتَّقةً زُفّت إلى غــير خاطبِ

إذا عُتِّقَت فى دَنّها العامَ أقبلتْ * تَرَدّى[3] رداءَ الحسن فى عين شارب

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول هنا : « فإن » . (٢) يريد : غننا إياه كما أخذته عنه من غير زيادة ولا نقص . (٣) تردى فلان : لبس الرداء .

ـــ الغناء لسُلَيم خفيف ثقيل مطلق فى مجرى البنصر ـــ قال فبعث إبراهيم إلى سُليم فأحضره، فغنّاه إياه وطرّحه على جواريه وأمر له بجائزة ، وشربنا عليه بقيّة يومنا حتى صِرْنا فى حالة مُخارق وصار فى مثل أحوالنا

صـــوت

من المـائة المختـارة

عَتَق الفؤادُ من الصِّبا * ومن السَّفاهة والعلاق
وحَطَطتُ رحلى عن قَلو * ص الحبّ فى قُلُص عِتاق(١)
ورفعتُ فضلَ إزارِىَ الْ * مجرور عن قدمى وساقى
وكففت غربَ النفس حتّى ما تَتُوق إلى مَتاق

لم يقع إلينا قائلُ هذا الشعر . والغناء لابن عبّاد الكاتب ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل، وقيل : إنه لغيره، بل قيل : إنه لعمرو .

(١) فى ب ، سـ : « العتاق » .

أخبار ابن عباد

نسبه وكنيته وصناعته

هو محمد بن عبّاد، مولى بنى مخزوم، وقيل : إنه مولى بنى جُمَح، ويُكْنَى أبا جعفر. مكّىّ، من كبراء المغنّين من الطبقة الثانية منهم . وقد ذكره يونس الكاتب فيمن أخَذ عنه الغناء، مُتقِن الصنعة كثيرُها . وكان أبوه من كتّاب الديوان بمكة؛ فلذلك قيل ابنُ عبّاد الكاتب .

قابله مالك وطلب منه الغناء ففعل فذمه

اخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبّة عن إسحاق ، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص الثَّقفى عن أبى خالد الكِنانىّ عن ابن عبّاد الكاتب قال :

والله إنى لأمشى بأعلى مكة فى الشِّعْب(١)، إذ أنا بمالك على حمار له ومعه فتيان(٢) من أهل المدينة ، فظننتُ أنهم قالوا له : هذا ابن عبّاد؛ فمال إلىّ فِلْتُ إليه ؛ فقال لى : أنت ابن عبّاد ؟ قلت : نعم؛ قال: مِلْ معى هاهنا، ففعلت ؛ فأدخلنى شعبَ ابن عامر ثم أدخلنى دِهليز ابن عامر وقال : غنّنى ؛ فقلت : أغنّيك هكذا وأنت مالك ! — وقد كان يبلغنى أنه يثلِب أهلَ مكة ويتعصّب عليهم — فقال : بالله إلا غنّيتنى صوتا من صنعتك . فاندفعت فغنّيته :

١٦
―
٦

صوت

أَلَا ياصاحبيَّ قفا قليلًا ❊ على ربع تقادمَ بالمُنيف(٣)
فأمستْ دارهم(٤) شَحطت وبانت(٥) ❊ وأضحى القلبُ يخفِق ذا وجيف

---

(١) كذا فى ب، س . وفى سائر الأصول : « فى الشعر » . (٢) فى حـ : «فتيان من أهل المدينة فما ظننت إلا أنهما قالا له » . (٣) المنيف : موضع قبل عمق (بفتح أوله وإسكان ثانيه : ماء ببلاد مزينة من أرض الحجاز) وقيل : المنيف : حصن فى جبل صبر (ككتف) من أعمال تعز (بالفتح ثم الكسر والزاى مشددة) باليمن . وهناك منيف لحج أيضا وهو حصن قرب عدن .
(٤) فى حـ : « دورهم » . (٥) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « ونامت » .

وماغنّيته إياه إلا على احتشام. فلما فرغتُ نظر إلىّ وقال لى : قد والله أحسنتَ ! ولكنّ حَلْقكَ كأنه حلقُ زانية . فقلت : أمّا إذ أفلت منك بهذا فقد أفلتُّ . وهذا اللحن من صدور غناء ابن عبادٍ . ولحنه من الثقيل الثانى بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى .

وفاته ببغداد

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى وعيسى بن الحسين قالا حدثنا أبو أيّوب المَدينى قال حدثنى جماعة من أهل العلم :

أنّ ابنَ عبّاد الكاتب تُوُفّى ببغداد فى الدولة العباسية ودُفن بباب حرب[(١)] . وقال أبو أيوب : أظنه فيمن قدِم من مُغَنّى الحجاز على المهدىّ .

صوت
من المائة المختارة

ياطللاً غيّره بعدى * صوبُ رَبيع صادق الرعدِ
أراكَ بعد الأُنس ذا وَحْشَةٍ[(٢)] * لستَ كما كنتَ على العهد
مالى أبكّى طللا كلما * ساءلتُه عىّ عن الردّ
كان به ذو غُنُجٍ[(٣)] أهيفٌ * أحورُ مطبوعٌ على الصّدّ

لم يُسمِّ أبو أحمد[(٤)] قائلَ هذا الشعر . والغناء ليحيى المكىّ، ولحنه المختار من الهزج بالوسطى .

(١) باب حرب : موضع ببغداد ينسب إلى حرب بن عبد الله البلخى أحد قواد أبى جعفر المنصور وكان يتولى شرطة بغداد . وفى مقبرة باب حرب قبر أحمد بن حنبل و بشر الحافى وأبى بكر الخطيب ومن لا يحصى من العلماء والعباد والصالحين وأعلام المسلمين . (٢) فى ح : « فى وحشة » .
(٣) الغنج : التكسر والتدلل . (٤) أبو أحمد هو يحيى بن على بن يحيى المنجم .

اخبار يحيي المكى ونسبه

اسمه وكنيته وكتمانه ولاءه لبنى أمية لخدمته الخلفاء من بنى العباس

هو يحيي بن مرزوق، مولى بنى أمية، وكان يَكْتُمُ ذلك لخدمته الخلفاءَ من بنى العبـاس خوفًا من أن يجتنبوه ويحتشموه؛ فإذا سُئل عن وَلائه انتمى إلى قريش ولم يَذْكر البطن الذى ولاؤه لهم(١)، واستعفَى مَن سأله عن ذلك. ويُكْنى يحيي أبا عثمان. وذكر ابن خُرْداذْبَهْ أنه مـولى خُزَاعة. وليس قولُه مما يحصَّل، لأنه لا يَعتمد فيه على رواية ولا دِرَاية.

أخبرنى عبد الله بن الرَّبيع أبو بكر الرَّبيعى صديقنا رحمه الله قال حدثنى وَسْواسة بن الموصلىّ - وقد لقيتُ وسواسة هذا، وهو أحمد بن(٢) إسماعيل بن إبراهيم وكان معلّما، ولم أسمع هذا منه فكتبتُه وأشياءَ أُخَرَ عن أبى بكر رحمه الله - قال حدثنى حماد بن إسحاق قال قال لى أبى:

سألت يحيي المكىّ عن ولائه، فانتمى إلى قريش؛ فاستزدتُه فى الشَّرح فسألنى أن أُعفيَه.

أخبرنى(٣) عيسى بن الحسين الورّاق ويحيي بن علىّ بن يحيي قالا حدثنا أبو أيوب المدينى قال:

كان يحيي المكى يُكنَى أبا عثمان، وهو مولى بنى أُمَيّة، وكان يكتم ذلك ويقول: أنا مولى قريش.

مدحه أبان اللاحق وعارض الأعشى فى مدح دحمان

ولمـا قال أعشى بنى سُلَيم يمدح دَحْمان:

ب ١ كانوا فحولًا فصاروا عند حَلْبتهم * لمّـا انبرى لهمُ دَحْمان خِصيـانَا

(١) فى أ، ء، م: «له». (٢) راجع الحاشية - رقم ١ ص ١٥٤ من الجزء الخامس من الأغانى من هذه الطبعة. (٣) فى ب، س: «قال». وهو تحريف.

فأبلغــوه عن الأعشَى مقالتَــه * أعشَى سُلَيم أبى عمــرو سُليمانــا
قولوا يقول أبو عمــرو لصُحْبته * ياليت دحمانَ قبـل الموت غنّــانا

قال أبان بن عبد الحميد اللاحقىّ — ويقال إنّ ابنه حمدان بن أبان قالها . والأشبه عندى أنها لأبان، وما أظنّ ابنه أدرك يحيى[1] — :

يامَنْ يُفَضّــل دحمــانًا ويمــدحه[2] * على المغنّين طُــرًّا قلتَ بهتـانَا
لو كنتَ جالستَ يحيى أو سمعتَ به * لم تمتــدح أبدًا ما عشتَ إنسانا
ولم تقُــل سَفَهًــا فى مُنيةٍ[3][4] عَرَضتْ * ياليت دحمانَ قبـل الموت غنّانا
لقــد عجِبتُ لدحمانٍ ومــادِحه * لا كان مادحُ دحمانٍ ولا كانا
ما كان كابن صغير العين إذ جرَيَا * بل قام فى غاية الجــرى ومــا دانَى
بذّ الجيــادَ أبو بكــر وصيّرها * من بعــد ما قَرِحتْ جُذْعًا وثُنيانا[5]

يعنى بأبى بكر ابنَ صغير العين، وهو من مغنّى مكة . وله أخبار تُذكر[6] فى موضعها إن شاء الله تعالى .

منزلتــه فى الغناء وتلاميذه

وعُمّــر يحيى المكى مائة وعشرين ســنة، وأصاب بالغناء مالم يُصبـه أحد من نظرائه، ومات وهو صحيح السمع والبصر والعقل . وكان قدِم مع الحجازيين الذين قدموا على المهدىّ فى أوّل خلافته ، فخرج أكثرهم وبقى يحيى بالعــراق هو وولده

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «أنه» ، وهو تحريف . (٢) فى حـ : «يمدحه» .
(٣) فى ا ، ى ، م : «من» . (٤) المنيــة (بالضم وتكسر) : البغية وما يتمــنى .
(٥) قرح الفرس : صار قارحا . والقارح من ذى الحافر : الذى شق نابه وطلع ، وهو بمنزلة البازل من الإبل ، وذلك فى الخامسة من سنه . والجذع (بضمتين وسكن لضرورة الشعر) : جمع جذع (بالتحريك) وهو ما كان فى الثانية من سنه . والثنيان (بالضم) : جمع ثنى وهو ما كان فى الثالثة من سنه .
(٦) لم نجد لأبى بكر هذا أخبارا فى الأغانى المطبوع فى بولاق . فلعل المؤلف أنسى أن يذكره، أو ذكره وسقط من الكتاب .

يخدِمون الخلفاء إلى أن انقرضوا . وكان آخرهم محمد بن أحمد بن يحيى المكى، وكان يغنّى مرتجلا ، ويحضُر مجلس المعتمد مع المغنين فيوقِع بقضيب على دواة . ولقيه جماعة من أصحابنا ، وأخذ عنه جماعة ممن أدر (١) من عجائز المغنيّات ، منهم قمرية العَمْريّة، وكانت أمّ ولد عمرو بن بانة . وممن أدركه من أصحابنا جَحْظة، وكتبنا عنه عن ابن المكى هذا حكاياتٍ حسنة من أخبار أهله . وكان ابن جامع وإبراهيم الموصلى وفُلَيح يفزَعون إليه فى الغناء القديم ويأخذونه عنه ، ويعايى (٢) بعضُهم بعضا بما يأخذه منه ويُغرب به على أصحابه ؛ فإذا خرجتْ لهم الجوائز أخذوا (٣) منها ووفّروا نصيبَه . وله صنعة عجيبة نادرة متقدّمة . وله كتاب فى الأغانى ونِسَبها وأخبارها [وأجناسها] (٤) كبيرٌ جليل مشهور ، إلا أنه كان كالمطَّرح عند الرواة لكثرة تخليطه فى رواياته . والعملُ على كتاب ابنه أحمد، فإنه صحّح كثيرا مما أفسده أبوه ، وأزال ما عرَفه من تخاليط أبيه، وحقّق مانسبه من الأغانى إلى صانعه . وهو يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت .

عمل كتابا فى الأغانى وأهداه لعبد الله بن طاهر فصححه ابنه أحمد ابن عبد الله

أخبرنى عبد الله بن الرَّبيع قال حدّثنى وَسْواسة بن الموصلى قال حدّثنى محمد بن أحمد بن يحيى المكى قال :

عَمِل جدّى كتابًا فى الأغانى وأهداه إلى عبد الله بن طاهر ، وهو يومئذ شابّ حديث السن، فاستحسنه وسُرّ به؛ ثم عرَضه على إسحاق فعرّفه عوارًا (٥) كثيرا

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « ممن دركاه » .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . وعايا فلان فلانا معاياة : ألقى إليه كلاما أو عملا لا يهتدى لوجهه . وفى ب ، سـ : « يعانى » . وهو تصحيف .

(٣) فى ب : « أخذوه » وقد صححها المرحوم الشنقيطى فى نسخته بخطها : « أحذوه » (بالحاء المهملة) . وأحذاه من الغنيمة : أعطاه .

(٤) زيادة عن ا ، ء ، م .

(٥) العوار (مثلثة) : العيب .

فى نَسَبه، لأن جدّى كان لا يصحّح لأحد نسبه صوت البتّة، وينسُب صنعته إلى المتقدمين، وينحل بعضَهم صنعة بعض ضنًّا بذلك على غيره، فسقط من عين عبد الله وبقى فى خِزانته؛ ثم وقع إلى محمد بن عبد الله، فدعا أبى، وكان إليه محسنًا وعليه مُفْضِلا، فعرَضه عليه؛ فقال له : إن فى هذه[(1)] النِّسب تخليطا كثيرا، خلّطها

18 / 6 أبى لضنه بهذا الشأن على الناس، ولكنى أعمل لك كتابا أصحح هذا وغيرَه فيه . فعمل له كتابا فيه اثنا عشر ألف صوت وأهداه إليه ، فوصله محمد بثلاثين ألف درهم . وصحّح له الكتاب الأوّل أيضا فهو فى أيدى الناس . قال وَسْواسة : وحدّثنى حمّاد أن أباه إسحاق كان يقدّم يحيى المكىّ تقديما كثيرا ويفضّله[(2)] ويناضل[(3)] أباه وآبنَ جامع فيه، ويقول : ليس يخلو يحيى فيما يَرويه من الغناء الذى لا يعرفه أحدٌ منكم من أحد أمرين : إمّا أن يكون مُحِقًّا [فيه][(4)] كما يقول، فقد علم ما جهلتم، أو يكون من صنعته وقد نحله المتقدّمين، كما تقولون، فهو أفضل [له][(4)] وأوضح لتقدّمه عليكم . قال : وكان أبى يقول : لولا ما أَفسد به يحيى المكى نفسَه من تخليطه فى رواية الغناء على المتقدّمين وإضافته إليهم ما ليس لهم وقلّة ثباته على ما يَحكيه من ذلك، لما تقدّمه أحد . وقال محمد بن الحسن الكاتب : كان يحيى يخلّط فى نِسَب الغناء تخليطا كثيرا، ولا يزال يصنع الصوت بعد الصوت يتشبّه فيه بالغريض مرّة وبمعبد أخرى وبابن سُريج وآبن مُحرِز، ويجتهد فى إحكامه وإتقانه حتى يشتبه على سامعه؛ فإذا حضر مجالس الخلفاء غنّاه على ما أحدث [فيه][(5)] من ذلك ، فيأتى بأحسن[(6)] صنعة وأتقنها ،

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « هذا » .

(٢) فى ب ، س : « ويصله » . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « ويواصل » وهو تحريف . (٤) زيادة عن حـ . (٥) هذه الكلمة ساقطة فى ب ، س . (٦) فى ب ، س : « أحسن » .

وليس أحد يعرفها؛ فيُسأل عن ذلك فيقول : أخذته عن فلان وأخذه فلان عن يونس أو عن نظرائه من رواة الأوائل، فلا يُشَكّ فى قوله ، ولا يَثْبُت لمباراته أحد، ولا يقوم لمعارضته ولا يفى بها ؛ حتى نشأ إسحاق فضبط الغناء وأخذه من مَظانّه وبذونه، وكشف عوّار يحيى فى منحولاته و بيّنها للناس .

أظهر إسحاق غلطه فأرسل له هدايا وعاتبه

أخبرنى عمّى [قال] سمعتُ عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر يذكر عن أحمد ابن سعيد المالكىّ — وكان مغنياً منقطعا إلى طاهر وولده وكان من القوّاد — قال :

حضرتُ يحيى المكىّ يوماً وقد غنّى صوتا فسُئل عنه فقال : هذا لمالك — ولم يحفظ أحمد بن سعيد الصوت — ثم غنّى لحنًا لمالك فسُئل عن صانعه فقال : هذا لى؛ فقال له إسحاق : قلتَ ماذا؟ فديتُك، وتضاحك به. فسئل عن صانعه فأخبر به، ثم غنّى الصوت. فخجل يحيى حتى أمسك عنه؛ ثم غنّى بعد ساعة فى الثقيل الأوّل، واللحن :

صـــوت

إنّ الخليـطَ أَجَدّ فاْحتَملا * وأراد غيظَك بالذى فعـلا

فظلِلْتَ تأمُل قربَ أَوْبَتهم * والنفسُ ممـا تأمُل الأَملا

فسُئل عنه فنسبه إلى الغَريض . فقال له إسحاق : يا أبا عثمان، ليس هذا من نَمَط الغَريض ولا طريقته فى الغناء، ولو شئتَ لأخذتَ مالَكَ وتركتَ للغريض مالَه ولم تَتَعَب . فاستحيا يحيى ولم ينتفع بنفسه بقيّة يومه . فلما انصرف بعث إلى إسحاق بألطاف كثيرة وبِرّ واسع، وكتب إليـه يعاتبه ويستكفّ شرّه و يقول له : لستُ من أقرانك فتُضادّنى، ولا أنا ممن يتصدّى لمباغضتك ومباراتك فتكايدَنى، ولأنت إلى أن أُفيدَك وأعطيك ما تعلم أنك لا تجده عند غيرى فتَسْمو به على أكفائك أحوجُ منك إلى أن تباغضنى، فأُعطِى غيرَك سلاحاً إذا حمَله عليك لم تقم له، وأنت

١٩/٦

أولَى وما تختار . فعرف إسحاقُ صدْقَ يحيى، فكتب إليه يعتذر، وردّ الألطافَ التى حملها إليه، وحلَف لا يعارضه بعدها، وشرَط عليه الوفاءَ بما وعده به من الفوائد؛ ووفّى له بها، وأخذ منه كلَّ ما أراد من غناء المتقدمين . وكان إذا حزَبه أمرٌ فى شىء منها فَزِع إليه فأفاده وعاونه ونصَحه؛ وما عاود إسحاق معارضتَه بعد ذلك . وحَذِره يحيى، فكان إذا سُئل بحضرته عن شىء صَدَق فيه، وإذا غاب إسحاق خلّط فيما يُسأل عنه . قال : وكان يحيى إذا صار إليه إسحاق يطلب منه شيئاً أعطاه إياه وأفاده وناصحه، ويقول لابنه أحمد : تعالَ حتى تأخذ مع أبى محمد ما الله يعلم أنى كنتُ أبخَلُ به عليك فضلاً عن غيرك؛ فيأخذه أحمد عن أبيه مع إسحاق. قال: وكان إسحاق بعد ذلك يتعصّب ليحيى تعصّبا شديدا، ويَصفه ويقدّمه ويعترف برياسته، وكذلك كان فى وَصْف أحمدَ ابنِه وتقريظه .

عدد أصواته التى صنعها

قال أحمد بن سعيد : والاختلاف الواقع فى كتب الأغانى إلى الآن من بقايا تخليط يحيى . قال أحمد بن سعيد : وكانت صنعةُ يحيى ثلاثةَ آلاف صوت ، منها زُهاءُ ألف صوت لم يُقاربْه فيها أحد، والباقى متوسِّط . وذكر بعضُ أصحاب أحمد ابن يحيى المكىّ عنه أنه سُئل عن صنعة أبيه فقال : الذى صحّ عندى منها ألف وثلثمائة صوت، منها مائة وسبعون صوتاً غَلَب فيها على الناس جميعا مَنْ تقدّم منهم ومن تأخّر، فلم يَقُم له فيها أحد .

كان ينسب الأصوات عمدا لغير أصحابها فافتضح أمره

وقال حماد بن إسحاق قال لى أبى :

كان يحيى المكى يُسأل عن الصوت، وهو يعلم لمن هو، فينسُبه إلى غير صانعه، فيُحمل ذلك عنه كذلك، ثم يسأله آخرون فينسُبه غيرَ تلك النسبة، حتى طال ذلك وكثُر منه وقلّ تحفّظه، فظهر عَواره، ولو لا ذلك لما قاومه أحد .

أظهر إسحاق كذبه فيما ينسبه من الغناء أمام الرشيد

وقال أحمد بن سعيد المالكيّ في خبره :

قال إسحاق يومًا للرشيد، قبل أن تَصْلُح الحال بينه و بين يحيى المكى : أتحب يا أمير المؤمنين أن أُظهر لك كذبَ يحيى فيما ينسُبه من الغناء ؟ قال نعم . قال : أعطِنى أىَّ شعر شئتَ حتى أصنع فيه، واسألنى بحضرة يحيى عن نِسْبته فإنى سأنسُبه إلى رجل لا أَصْلَ له ، وآسأل يحيى عنه إذا غنّيته ، فإنه لا يمتنع من أن يدّعى معرفته . فأعطاه شعرًا فصنع فيه لحنا وغنّاه الرشيدَ، ثم قال له : يسألنى أمير المؤمنين عن نِسْبته بين يديه . فلما حضر يحيى غنّاه إسحاقُ فسأله الرشيدُ : لمن هذا اللحن ؟ فقال له إسحاق : لغناديس المدينى (١) . فأقبل الرشيد على يحيى فقال له : أكنت لقيتَ غناديس المدينى ؟ قال : نعم، لقيتُه وأخذت عنه صوتين؛ ثم غنّى صوتا وقال : هذا أحدهما . فلما خرج يحيى حلف إسحاق بالطلاق ثلاثا وعِتْقِ جواريه : أن الله ماخلق أحدا آسمه غناديس، ولا سُمع فى المغنين ولا غيرهم، وأنه وضع ذلك الآسم فى وقته ذلك لينكشف أمره .

علم إسحاق صوتا غناه للرشيد فأهدى إليه تخت ثياب وخاتم

حدّثنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدثنى محمد بن أحمد بن يحيى المكّىّ المرتجل قال :

غنى جدّى يومًا بين يدى الرشيد :

صـــوت

هــل هَيّجتك مَغانِى الحىّ والدُّورُ * فآشتقتَ إن الغريبَ الدارِ معذورُ (٢)

وهل يُحـــلّ بنـــا إذ عيشُنا أَنِقٌ (٣) * بِيضٌ أوانسُ أمثالُ الدُّمَى حُور

---

(١) فى ح : « لغناديس المدنى » . (٢) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول : « مغرور » . (٣) أنق الشىء (من باب علم) : راع حسنه .

— والصنعة له خفيفُ ثقيلٍ — فسار(١) إليـه إسحاق وسأله أن يُعيده إياه؛ فقال : نعم، حبًّا وكرامةً لك يابن أخى، ولو غيرُك يروم ذلك لبَعُد عليه؛ وأعاده حتى أخذه إسحاق. فلما انصرف بعث إلى جدّى بتَخْت(٢) ثياب وخاتم ياقوت نفيس. ٢٠/٦

دس له إبراهيم ابن المهدى من أخذ عنه صوتا بثمن غال

حدثنى جَحظة قال حدثنى القاسم بن زُرْزُور عن أبيـه عن مولاه(٣) علىّ بن المارِق قال :

قال لى إبراهيم بن المهدىّ : وَيْلَك يامارقُ! إن يحيى المكىّ غنّى البارحةَ بحضرة أمير المؤمنين صوتًا فيه ذكرُ زينبَ، وقد كان النبيذ أخذ منى فأُنسيت شعرَه، واستعدتُه إياه فلم يُعده، فاحتَل لى عليه حتى تأخذه لى منه ولك علىّ سَبَق(٤). فقال لى المارقُ — وأنا يومئذ غلامُه — اذهب إليه فقل له إنى أسأله أن يكون اليومَ عندى؛ فمضيت إليه فجئته به. فلما تغدَّوْا وُضع النبيذ؛ فقال له المارق : إنى كنت سمعتك تغنّى صوتا فيه زينب وأنا أحب أن آخذه منك — وكان يحيى يوفّى هذا الشأنَ حقَّه من الاستقصاء، فلا يخرج عنـه إلا بحذر، ولا يدع الطلبَ والمسألة، ولا يُلقى صوتا إلا بعوَض. قال لى جحظة فى هذا الفصل: هذا — فديتُك — فعلُ يحيى مع ماأفاده من المـال، ومع كرم مَنْ عاشره وخدَمه من الخلفاء مثلِ الرشيد والبرامكة وسائر الناس، لايُلام ولا يعاب، ونحن مع هؤلاء السُّفّل إن جئناهم نكارمهم(٥) تغافلوا عنا، وإن أعطَوْنا النَّزْر اليسير مَنُّوا به علينا وعابونا، فمن يلومنى أن أشتِمهم ؟ فقلت : ماعليك لوم.

(١) كذا فى ب، سـ . وفى سائر الأصول : « فصار » . (٢) التخت : وعاء تصان فيـه الثياب . (٣) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : « عن مولاه عن ابن المارق قال » ، وهو تحريف ، لأن المارق هو مولى زرزور كما يشعر بذلك سياق الحديث هنا وكما مر فى الجزء الرابع من هـذه الطبعة (ص ٩٣) . (٤) السبق (بالتحريك) : الخطر يوضع فى السباق من سبق أخذه . (٥) كذا فى أ ، ء ، م . وكارمه : أهدى اليه ليكافئه ويثيبه . وفى سائر الأصول : « مكارهة » وهو تحريف .

— قال: فقال له يحيى: وأىّ شىء العِوَض إذا ألقيتُ عليك هـذا الصوتَ؟ قال: ماتريد؛ قال: هذه الزِّرْبِيّة(١) الأرمينيّة، كم تقعد عليها! أمَا آن لك أن تَمَلَّها؟ قال: بلى، وهى لك. قال: وهذه الظباء الحرميّة، وأنا مكىّ لاأنت، وأنا أولى بها؛ قال: هى لك، وأمر بحملها معه. فلما حَصَلت له، قال المارقىّ: ياغلام، هات العود؛ قال يحيى: والميزانَ والدراهم، وكان لايغنّى أو يأخذ خمسين درهما، فأعطاه إيّاها؛ فألقى عليه قولَه:

بزينبَ ألْمِمْ قبلَ أن يَرْحَلَ الركبُ * وقُلْ إن تَمَلِّينا فـا ملَّكِ القلبُ

— ولحنه لكَرْدَم ثقيلٌ أول — فلم يشكّ المارقىّ أنه قد أخذ الصوتَ الذى طلبه إبراهيم وأدرك حاجتَه. فبكّر إلى إبراهيم وقد أخذ الصوتَ، فقال له: قد جئتك بالحاجة. فدعا بالعود فغنّاه إياه؛ فقال له: لا والله ماهو هذا، وقد خدعك، فعاود الاحتيال عليه. فبعثنى إليه وبعث معى خمسين درهماً. فلما دخل إليه وأكلا وشربا قال له يحيى: قد واليتَ بين دَعَواتك لى، ولم تكن بَرًّا ولا وَصولا، فا هذا؟ قال: لاشىء والله إلا محبتى للأخذ عنـك والاقتباس منك؛ فقال: يَسّرك الله، فَمَـهْ. قال: تذكرتُ الصوت الذى سألتك إياه فإذا ليس هو الذى ألقيتَ علىّ. قال: فتريد ماذا؟ قال: تذكر الصوت. قال: أفعل، ثم اندفع فغنّاه:

أَلْمِمْ بزينبَ إنّ البينَ قد أَفِدَا(٢) * قَلَّ الثواءُ لئن كان الرحيلُ غدَا

— والغناء لمعبد ثقيل أول — فقال له: نعم، فديتُك ياأبا عثمان، هذا هو، أَلْقِه علىّ؛ قال: العِوَضَ؛ قال: ماشئتَ؟ قال: هذا المِطْرَفَ الأسود؛ قال: هو لك. فأخذه

(١) كذا فى أكثر الأصول. والزربية: واحدة الزرابىّ وهى البسط، وقيل كل ما بسط واتكئ عليه. وفى حـ: «الزلية» والزلية (بضم الزاى وتشديد اللام المكسورة): البساط، معرب «زيلو» بالفارسية، وجمعها زلالى. (٢) أفد: دنا.

٢١/٦

وألقى عليه هذا الصوتَ حتى استوى له، وبكّر إلى إبراهيم، فقال له: ماوراءك؟ قال: قد قضيتُ الحاجةَ؛ فدعا له بعود فغنّاه؛ فقال: خدعك والله، ليس هذا هو؛ فعاودْ الاحتيالَ عليه، وكلُّ ماتعطيه إياه ففى ذمّتى. فلما كان اليومُ الثالث بعث بى إليه، فدعوتُه وفعلنا مثلَ فعلنا بالأمس. فقال له يحيى: فمالك أيضا؟ قال له: ياأبا عثمان، ليس هذا الصوتُ هو الذى أردتُ؛ فقال له: لست أعلم مافى نفسك فأذكُرَه، وإنما علىّ أن أذكر ما فيه زينبُ من الغناء كما التمستَ حتى لايبقى عندى زينب البتة إلا أحضرتها؛ فقال: هاتِ على اسم الله؛ قال: اذكرِ العِوَضَ؛ قلت: ماشئتَ؛ قال: هذه الدُّرّاعة[1] الوَشْىُ التى عليك؛ قال: فخذها والخمسين الدرهم، فأحضرَها. فألقى عليه — والغناء لمعبد ثقيلٌ أول —:

لزينبَ طيفٌ تعترينى طوارقُه * هدوءًا إذا النجمُ ارجحنّت[2] لواحقُهْ

فأخذه منـه ومضى إلى إبراهيم، فصادفه يشرب مع الحُـرَم؛ فقال له حاجبه: هو متشاغل؛ فقال: قل له: قد جئتك بحاجتك. فدخل فأعلمه؛ فقال: يدخل فيغنّيه فى الدار وهو قائم، فإن كان هو وإلا فليخرج، ففعل؛ فقال: لاوالله ماهو هذا، ولقد خدعك، فعاود الاحتيالَ عليه. ففعل مثل ذلك بيحيى؛ فقال له يحيى وهو يضحك: أمَا ظَفرتَ بزينبك بعدُ؟ فقال: لا والله يا أبا عثمان، وما أشكّ فى أنك تعتمدنى بالمنع مما أريده، وقد أخذتَ كل شىء[3] عندى معابثةً. فضحك يحيى وقال: قد استحييتُ منك الآن، وأنا ناصحك على شريطة؛ قال: نعم، لك الشريطة؛ قال: لا تلُمنى فى أن أعابثك لأنك أخذت فى معابثتى، والمطلوبُ إليه أقدر من الطالب، فلا تعاود

(١) الدراعة (كرمانة): جبة مشقوقة المقدم ولا تكون إلا من صوف، وجمعها دراريع.

(٢) ارجحنت: اهتزت ومالت. (٣) كذا فى أ، ء، م. وفى سائر الأصول: «وقد أخذت فى كل ... الخ». والظاهر أن «فى» مقحمة.

أن تحتال عليّ فإنك تظفر منى بما تريد، إنما دسّك إبراهيم بن المهديّ عليّ لتأخذ منى صوتًا غنّيتُه، فسألنى إعادتَه فمنعتُه بخلًا عليه لأنه لا يلحقنى منه خير ولا بركة، ويريد أن يأخذ غنائى باطلا، وطَمِع بموضعك أن تأخذ الصوت بلا ثمن ولا حمد؛ لا والله إلا بأوفر ثمن وبَعْد اعترافك، وإلا فلا تطمع فى الصوت. فقال له: أمّا إذ فطنتَ فالأمر والله على ما قلتَ، فتغنّيه الآن بعينه على شرط أنه إن كان هو هو وإلا فعليك إعادتُه، ولو غنّيتَنى كلّ شيء تعرفه لم أحتسب لك إلا به؛ قال: اشتره. فتساوما طويلًا وما كسه حتى بلغ الصوتُ ألفَ درهم(١)، فدفعها إليه؛ وألقى عليه:

صــــوت

طَرَقتْك زينبُ والمَزار بعيدُ * بمِنى ونحن مُعرِّسون هُجودُ
فكأنما طَرقتْ بريّا روضةٍ * أُنُفٍ تُسَحْسِح مُزْنَها وتَجود

ـــ لحنه خفيف ثقيل. قال: وهو صوت كثير العمل، حلو النغم، مُحكم الصَّنعة، صحيح القسمة، حسن المقاطع ـــ فأخذه وبكّر إلى إبراهيم بن المهديّ، فقال له: قد أفقرنى هذا الصوت وأعرانى، وأبلانى بوجه يحيى المكى وشحّه وطلبه وشَرَهه، وحدّثه بالقصّة؛ فضحك إبراهيم. وغنّاه إياه، فقال: هـذا وأبيك هو بعينه. فألقاه عليه حتى أخذه، وأخلف عليه كلّ شيء أخذه يحيى منه وزاده خمسةَ آلاف درهم، وحمله على بِرْذون أشهبَ فارهٍ بسرجه ولجامه. فقال له: يا سيّدى؛ فغلامُك زُرْزُور المسكين قد تردّد عليه حتى ظَلَع(٢)، هَبْ له شيئا، فأمر له بألف درهم.

---

(١) فى الأصول: «وما كسه أبى حتى بلغ ... الخ». وراوى القصة هو زرزور غلام المارق لا ابنه. فلعل كلمة «أبى» مقحمة من النساخ. وما كسه فى البيع: شاحه واستحطه الثمن واستنقصه إياه.

(٢) ظلع: عرج وغمز فى مشيه.

غنى للأمين لحنا أراد المغنون أخذه عنه فأبى

حدّثنى جحظة قال حدّثنى هبة الله بن إبراهيم بن المهدى قال حدّثتنى رَيِّق وشَارِية جميعا قالتا :

كان مولانا — تعنيان أبى — فى مجلس محمد الأمين يومًا والمغنّون حضور، فغنّى يحيى المكى — واللحن له خفيف ثقيل — :

صــــوت

خليلٌ لى أهيمُ به * فما كافَا(1) ولا شَـكَرَا

بلى يُدْعَى له باسمى * إذا ما رِيعَ أو عثَرا

فاسترده سيّدنا وأحبّ أن يأخذه، فجعل يحيى يُفسده. وفطن الأمين بذلك، فأمر له بعشرين ألف درهم وأمره بردّه وتَرْك التخليط، فدعا له وقبّل الأرض بين يديه وردّ الصوت وجوّده، ثم استعاده. فقال له يحيى: ليست تَطيب لك نفسى به إلا بعوَض من مالك، ولا أنصحك والله فيه، فهذا مال مولاى أخذته، فلِمَ تأخذ أنت غنائى ! فضحك الأمين وحكم على إبراهيم بعشرة آلاف درهم فأحضرها. فقبّل يحيى يده وأعاد الصوت وجوّده، فنظر إلى مُخارق وعلّويه يتطلّعان لأخذه فقطع الصوت، ثم أقبل عليهما وقال : قطعة من خُصْية الشيخ تغطى أسـتاهَ عدّة صبيان، والله لا أعدتُه بحضرتكما . ثم أقبـل على مولانا — تعنيان إبراهيم بن المهدى — فقال : يا سيّدى، إنى أصير اليك حتى تأخذه عنّى متمكّنًا ولا يَشركك فيه أحد . فصار إليه فأعاده حتى أخذه عنه، وأخذناه معه .

غنى الرشيد بلحن دارا فأكرمه

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدثنا أبو أيّوب المَدينى قال حدثنى أحمد ابن يحيى المكى عن أبيه قال :

(1) كافا: مسهل كافأ .

أرسل إلىَّ هارونُ الرشيد ، فدخلت إليه وهو جالس على كرسىّ بتَلّ دَارا[(١)] ، فقال : يا يحيى، غنِّنى :

متى تلتقِى الأُلَّافُ والعيسُ كلَّما * تصعَّدْنَ من وادٍ هَبطْن إلى وادِ

فلم أزل أغنّيه إيّاه و يتناول قدحًا إلى أن أمسَى . فعددتُ عشرَ مرّات استعاد فيها الصوت ، وشرب عشرةَ أقداح ، ثم أمرلى بعشرة آلاف درهم ، وأمرنى بالانصراف .

مدح إسحاق غناءه وذكر أصواتا له

وقال محمد بن أحمد بن يحيى المكى فى خبره حدثنى أبى أحمدُ بن يحيى قال : قال لى إسحاق : يا أبا جعفر ، لأبيك مائةٌ وسبعون صوتا ، مَنْ أخذها عنه بمائة وسبعين ألفَ درهم فهو الرابح . فقلت لأبى : أىّ شىء تعرف منها ؟ فقال : لحنَه فى شعر الأخطل :

صــــوت

خَفَّ القَطينُ فراحوا منكَ وأبتكروا[(٢)] * وأزعجتْهم نوًى فى صَرْفِها غِيَرُ

كأننى شاربٌ يومَ ٱستُبِدَّ بهم * من قهوةٍ عتّقتها حِمص أو جَدَر[(٣)]

لحن يحيى المكىّ فى هذين البيتين ثقيل أول — هكذا فى الخبر — ولإبراهيم فيهما ثقيلٌ أوّل آخر، ولابن سُرَيج رمل .

---

(١) دارا (بالقصر) : بلدة فى لحف جبل بين نصيبين وماردين ، وهى من بلاد الجزيرة ، ذات بساتين ومياه جارية ، ومن أعمالها يجلب المحلب الذى تطيب به الأعراب ، وعندها كان معسكر دارا الملك بن قباذ الملك لما لقى الإسكندر المقدونى ، فقتله الإسكندر وتزوج ابنته . و بنى فى موضع معسكره هذه المدينة وسماها باسمه . وهى أيضا قلعة حصينة فى جبال طبرستان ، وواد فى ديار بنى عامر . (٢) فى أ ، ء ، م وديوان الأخطل : « ... .. أو بكروا » . وهذان البيتان من قصيدة له من فاخر شعره ، قالها يمدح عبد الملك بن مروان ويهجو قيسا و بنى كليب . (٣) جدر : قرية بين حمص وسلمية ، تنسب إليها الخمر ، وهى قرب دير إسحاق . وقد ورد الشطر الأخير فى ديوانه ومعجم البلدان هكذا : « من قرقف ضمنتها حمص أو جدر » .

قال : ومنها :

صـــــوت

بانَ الخليطُ فما أُوَمِّلُه * وعفا من الرَّوْحاء[1] منزِلُهُ
ما ظَبيةٌ أدماءُ عاطلةٌ * تحنو على طِفلٍ تُطَفِّلُه

لحن يحيى فى هذا الشعر ثانى ثقيل بالبنصر. قال أحمد: قال لى إسحاق: وَدِدْتُ أن هذا الصوت لى أو لأبى وأنى مُغَرَّم عشرة آلاف درهم. ثم قال : هل سمعتم بأحسن من قوله : "على طفلٍ تطفّله" . ٢٣/٦

قال : ومنها :

صـــــوت

وَكَفٍّ كعُوّاذ النقا[2] لا يَضيرها * إذا برزتْ ألّا يكون خِضَابُ
أنامل فُتْخٌ[3] لا تَرى بأصولها * ضُموراً ولم تَظْهَر لهن كِعابُ

ولحنه من الثقيل الثانى .

قال : ومنها :

صـــــوت

صَادتْك[4] هندُ وتلك عادتها * فالقلب مما يَشُفّه كَمِدُ

---

(١) الروحاء : قرية جامعة لمزينة على ليلتين من المدينة ، بينهما نحو أربعين ميلا . (٢) الظاهر أن الشاعر يريد « بعواذ النقا » الديدان التى تعوذ بالنقا (الكثيب من الرمل) وتلوذ به . وقد ورد كثيرا فى الشعر العربى تشبيه أصابع النساء وأنامل العذارى بهذه الديدان . قال امرؤ القيس :

وتعطو برخص غير شثن كأنه * أساريع ظبي أو مساويك إسحل

(ظبي : اسم كثيب. والأساريع : دواب تكون بالرمل صغار بيض ملس ، واحدها أسروع ويسروع) . ويقال لهذه الديدان بنات النقا ؛ قال ذو الرمة :

خراعيب أملود كأن بنانها * بنات النقا تخفى مرارا وتظهر

(٣) فتخ : رخصة لينة . وقد وردت هذه الكلمة فى جميع الأصول بالحاء المهملة ؛ وهو تصحيف .

(٤) فى ب، س : «صادتها» . وهو تحريف .

كم تشتكى الشوقَ من صبابتها * ولا تبالى هـنـدٌ بما تجـد

ولحنه من خفيف الثقيل .

قال : ومنها :

صـــوت

أعَسيتَ مِن سَلْمى هوا * كَ اليومَ محتـلًا جديدًا
ومَرابِطَ الخيـلِ الجيا * دِ ومنزلًا خَلَقًا همُـودا

ولحنه خفيف ثقيل أيضا .

قال : ومنها :

صـــوت

ألَا مرحبًا بخيـالٍ ألمّْ * وإن هاجَ للقلب طولَ الألَمْ
خيـالٌ لأسماءَ يعتـادنى * إذا الليـلُ مَدَّ رُواقَ الظُّلَمْ

ولحنه ثقيل أول .

قال : ومنها :

صـــوت

كم ليـلةٍ ظلماءَ فيـكِ سَرَيْتُها * أتعبتُ فيهـا صُحْبـتى وركابى
لا يُبصر الكابُ السَّرُوق خِباءَها * ومـواضعَ الأوتاد والأَطنـاب(١)

لحنه ثانى ثقيل بالوسطى . وفيه خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى للغَريض . قال ابن المكىّ: غنّى أبى الرشـيدَ ليلةً هذا الصوتَ فأطربه، ثم قال له : قم يايحيى فخذ ما فى ذلك البيت ؛ فظنّه فرشا أو ثيابا، فإذا فيـه أكياس فيها عَيْن ووَرِق ؛ فحُملت بين يديه فكانت خمسين ألفَ درهم مع قيمة العَيْن .

(١) الأطناب : حبال طوال يشد بها سرادق البيت ، واحدها طنب .

قال : ومنها :

صـــــوت

إنى آمرؤٌ مالى يَقِى عِرْضى * ويَبِيت جارى آمِنًا جَهْلى
وأرى الذَّمامةَ(١) للرَّفيق إذا * أَلقَى رِحالتَه(٢) إلى(٣) رَحْلى

ولحنُه خفيفُ ثقيل . قال ابن المكى غنَّى ابنُ جامع الرشيدَ يومًا البيتَ الأول من هذين البيتين ولم يَزِد عليه شيئا، فأُعجِب به الرشيدُ واستردّه مرارًا، وأسْكت لابن جامع المغنِّين جميعا، وجعل يسمعه و يشرب عليه ، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرةِ خواتِيمَ وعشرِ خِلَع ، وانصرف. فمضى إبراهيم من وجهه إلى يحيى المكىّ ٢٤/٦ فاستأذن عليه، فأذِن له ، فأخبره بالذى كان من أمر ابن جامع واستغاث به . فقال له يحيى : أَفزَاد على البيت الأول شيئا ؟ قال لا ؛ قال أفرأيتَ إن زِدْتُك بيتًا ثانيا لم يعرفه إسماعيل أو عرفه ثم أُنسِيه، وطرحتُه عليك حتى تأخذَه ما تجعلُ لى؟ قال: النصف مما يصل إلىّ بهذا السبب؛ قال: والله؟! فأخذ بذلك عليه عهدًا وشرطًا واستحلفه عليه أيمانا مؤكّدة؛ ثم زاده البيتَ الثانى وألقاه عليه حتى أخذه وانصرف. فلما حضر المغنّون من غد ودُعى به كان أوّلَ صوت غنّاه إبراهيمُ هـذا الصوتُ ، وجاء بالبيت الثانى وتحفّظ فيه فأصاب وأحسن كلَّ الإحسان، وشرب عليه الرشيدُ واستعاده حتى سكِر، وأمر لإبراهيم بعشرة آلاف درهم وعشرة خواتيمَ وعشرِ خِلَع ؛ فحَمَل ذلك كلَّه، وانصرف من وجهه ذلك إلى يحيى فقاسمه ومضى إلى منزله . وانصرف ابنُ جامع إليه من دار الرشيد، وكان يحيى فى بقايا علّة فاحتجب عنه؛ فدفَع ابنُ جامع فى صدر بوّابه ودخل إليه، فقال له : إيه يا يحيى، كيف صنعتَ!

(١) الذمامة : (بالفتح والكسر) : الحرمة والحق . (٢) الرحالة والرحل : مركب البعير، وهما أيضا : منزل الرجل ومسكنه وبيته . (٣) فى حـ : «على» .

ألقيتَ الصوت على الجُرْمقانىّ(١)! لا رفع الله صَرْعتك ولا وهب لك العافية. وتشاتما ساعةً، ثم خرج ابن جامع من عنده وهو مُدَوَّخ.

مدحه إسحاق الموصلى فى جمع من المغنين عند الفضل ابن الربيع

حدثنى عمّى قال حدثنى هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثنى محمد بن أحمد بن يحيى المكى عن أبيه قال قال لى إسحاق:

كنت أنا وأبوك وابن جامع وفُلَيح بن أبى العَوْراء وزُبَير بن دَحْمان يومًا عند الفضل بن الربيع؛ فانبرى زُبير بن دحمان لأبيك(٢) (يعنى يحيى)، فجعلا يُغنّيان ويُبارى كلُّ واحد منهما صاحبَه، وذلك يُعجِب الفضل، وكان يتعصّب لأبيك ويُعجَب به. فلما طال الأمر بينهما قال له الزبير: أنت تنتحل غناء الناس وتدّعيه وتَنحَلهم ما ليس لهم. فأقبل الفضل علىّ وقال: احكم أيها الحاكم بينهما، فلم يخفَ عليك ماهما فيه؛ فقلتُ: لئن كان ما يَروِيه يحيى ويغنّيه شيئًا لغيره فلقد روى مالم يَرْووه ومالم نَرْوِه، وعَلِم ما جهلناه وجهلوه، ولئن كان من صنعته إنه لأحسن الناس صنعةً، وما أعرف أحدًا أروى منه ولا أصحَّ أداءً للغناء، كان مايغنّيه له أو لغيره. فسُرَّ بذلك الفضلُ وأعجبه. وما زال أبوك يشكره لى.

صــــوت
من المــائة المختــارة

أهاجتْــك الظعائنُ يوم بانوا * بذى الزِّىِّ الجميـل من الأثاثِ
ظعائنُ أسـلكتْ نَقبَ المُنَقَّى(٣) * تُحَثُّ إذا ونَتْ أىَّ احتثـاثِ

الشعر للنُّمَيرىّ. والغناء للغريض، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر.

(١) الجرمقانى: واحد الجرامقة، وهم قوم من العجم صاروا بالموصل فى أوائل الإسلام.
(٢) فى أ، ء، م: «لأبيك يحيى». (٣) فى معجم البلدان لياقوت (مادة نقب): «... ونقب المنق بين مكة والطائف فى شعر محمد بن عبدالله النميرى ...» وذكر الأبيات. وفى كلامه على المنق: «والمنق بين أحد والمدينة». وفى معجم ما استعجم: «المنقى بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد القاف موضع على سيف البحر مما يلى المدينة». وذكر المبرد أبيات النميرى فى الكامل (ح ١ ص ٢٧٦) ثم قال: «المنقى: موضع بعينه. والنقب: الطريق فى الجبل ...الخ».

أخبار النُّمَيرىّ ونسبه

نسبه ومنشؤه

هو محمد بن عبد الله بن نُمير بن خَرَشة(١) بن رَبيعة بن حُبَيِّب(٢) بن الحارث بن مالك ابن حُطَيط بن جُشَم بن قَسِيّ؛ وقَسِيّ هو ثقيف. شاعرٌ غَزِل، مولده، ومنشؤه بالطائف، من شعراء الدولة الأموية، وكان يهوَى زينَب بنت يوسف بن الحكم أختَ الحجاج بن يوسف، وله فيها أشعار كثيرة يتشبّب بها.

٢٥
٦

كان يهوى زينب أخت الحجاج بن يوسف، وسياق أحاديثه مع الحجاج بشأنها

حدثني محمد بن خَلف بن المَرْزُبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم قال حدّثنا العُمَرىّ عن لَقِيط بن بكر المُحَارِبىّ(٣)، وأخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحَبيب بن نصر المهلّبىّ قالوا حدثنا عمر بن شبّة:

أن النميرىّ كان يهوَى زينَب بنتَ يوسف أختَ الحجّاج بنِ يوسف بن الحكم لأبيه وأمه. وأمهما الفارعة بنت هَمّام بن عُرْوة بن مَسعود الثّقفىّ؛ وكانت عند

---

(١) كذا فى أ، ى، م، والاستيعاب (ج ١ ص ٣١٢) والطبرى (ق ١ ص ١٦٨٩)، والاشتقاق لابن دريد (ص ١٨٤). وفى سائر الأصول: «حرشة» بالحاء المهملة، وهو تصحيف.

(٢) فى جميع الأصول: «... ابن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن مالك ... الخ». والظاهر أنه محرف عما أثبتناه. فقد ذكر ابن قتيبة فى كتابه المعارف عند الكلام على ثقيف (ص ٤٤) أن ثقيفا ولد جشم وولد جشم حطيطا وولد حطيط مالكا وغاضرة، ومن بنى مالك السائب بن الأقرع وبنو الحارث بن مالك. وذكر الذهبى فى المشتبه عند الكلام على حبيب (ص ١٤٦ — ١٤٧) قال: «... وحبيّب (بضم الحاء وفتح الموحدة وتشديد المثناة وكسرها) ابن الحارث بن مالك الثقفى ... الخ». وقال صاحب شرح القاموس (مادة حبب): «... وحبيّب بن الحارث الثقفى». ولم نجد مرجعا اتفق مع الاصول فيما ذهبت اليه من سوق النسب على نحو ما أوردته وجعل الحارث ابنا لحبيب.

(٣) كذا فى أ، ى، م. وفى سائر الاصول: «بكير» وهو تحريف. (راجع الهامشة رقم ١ ص ٩٩ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة).

المغيرة بن شُعْبة ؛ فرآها يوما بُكْرَةً وهى تَخَلَّل ، فقال لها : والله لئن كان من غَداء لقد جشِعت (١) ، ولئن كان من عَشاء لقـد أَنتنتِ ، وطلقها (٢) . فقالت : أبعدك الله ! فبئس بعلُ المرأة الحرة أنت ! والله ما هو إلا مِن شَظيّة من سواكٍ استمسكتْ بين سِنَّيْن من أسنانى . قال حَبيب بن نصر خاصّةً فى خبره : قال عمر بن شبّة حدثنا بذلك أبو عاصم النَّبيل .

أخبرنى حَبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة عن يعقوب بن داود الثَّقَفىّ ، وحدثنا به ابن عمّـار والجوهرىّ عن عمر بن شَـبّة — ولم يذكرا (٣) فيـه يعقوبَ بن داود — قالوا جميعا :

قال مُسلم بن جُنْدَب الهُـذَلىّ — وكان قاضى الجماعة بالمدينة — : إنى لمع محمد بن عبـد الله بن نُمَير بنَعْمان (٤) وغلام يسير خَلْفَه يشتمه أقبح الشتيمة ؛ فقلت : من هـذا؟ فقال : هذا الحجاج بن يوسـف ، دعه (٥) فإنى ذكرت أختَه فى شعرى ، فأحفظه ذلك .

قال عمر بن شبة فى خبره : وولدت الفارعة أمُّ الحجّاج من المُغيرة بن شُعْبة بنتًا فماتت ؛ فنازع الحجاجُ عروةَ بن المُغيرة إلى ابن زياد فى ميراثها ؛ فأغلظ الحجاج لعُروة ، فأمر به ابنُ زياد فضُرب أسواطًا على رأسه وقال : لأبى عبد الله تقول هذه المَقالة !

---

(١) فى أكثر الأصول : «أجشمت» . وفى حـ : «أبشمت» . والمعروف فى هذين الفعلين أنهما من باب فـرح . وقد وردت هذه القصة فى العقـد الفريد (حـ ٣ ص ٦) وفى وفيات الأعيان فى ترجمة الحجاج باختلاف فى ألفاظها .

(٢) فى حـ : «ولفظها وطلقها» .

(٣) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : «... يذكروا ... الخ» وهو تحريف .

(٤) نعمان (بفتح أوله وسكون ثانيه) : هو نَعْمان الأراك ، واد بينه وبين مكة نصف ليلة .

(٥) فى ب ، س ، حـ : «فقلت دعه» ولا تستقيم العبارة بهذه الزيادة .

وكان الحجاج حاقدًا على آل زياد ينفيهم من آل أبى سفيان ويقول : آل أبى سفيان سُتْه حُمْش[(١)]، وآل زياد رُسْح حُدْل[(٢)] .

وكان يوسف بن الحَكَم اعتلّ علّة فطالت عليه ؛ فنذرت زينب إن عُوفى أن تمشى إلى البيت[(٣)]، فعُوفى فخرجت فى نسوة فقطعن بطن وَجّ[(٤)]، وهو ثلثمائة ذراع، فى يوم جعلتْه مرحلةً لثقل بدنها، ولم تقطع ما بين مكة والطائف إلا فى شهر. فبينا هى تسير [إذ][(٥)] لقيها إبراهيم بن عبد الله النُّمَيرى أخو محمد بن عبد الله منصرفًا من العمرة . فلما قدم الطائف أتى محمدًا[(٦)] يسلّم عليه ؛ فقال له : ألك عِلْمٌ بزينب ؟ قال : نعم، لقيتها بالهَماء[(٧)] فى بطن نَعْمان ؛ فقال : ما أحسبك إلا وقد قلت شيئا ؛ قال : نعم، قلتُ بيتًا واحدا وتناسيته كراهةَ أن ينشب بيننا وبين إخوتنا شرّ. فقال محمد هذه القصيدةَ وهى أول ما قاله :

صــــوت

تضوّع[(٨)] مسكًا بطنُ نَعْمان إذ مشتْ[(٩)] * به زينبٌ فى نسوة عَطِرات

فأصبح ما بين الهَماء فحَزْوة[(١٠)] * إلى الماء ماء الجِزْع ذى العُشَرات[(١١)]

(١) سته : عظام الأستاه . وحمش : دقاق السوق . (٢) رسح : جمع ارسح، وهو قليل لحم العجز والفخذين . والحدل : جمع أحدل، وهو الذى أشرف أحد عاتقيه على الآخر. (٣) المراد به الكعبة . (٤) وج : اسم واد بالطائف وهو ما بين جبل المحترق والأحيحين (بالتصغير) . (٥) زيادة عن حـ . (٦) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «محمد» بالرفع» . (٧) الهماء : موضع بنعمان بين الطائف ومكة . (٨) وردت هذه القصيدة كاملة وباختلاف كثير ضمن قصائد مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٨٤٥ أدب) . (٩) كذا فى ب، سـ . وفى سائر الأصول وتجريد الأغانى والكامل (ص ٢٨٩) : «أن» . (١٠) كذا فى جميع الأصول . وفى تجريد الأغانى : «وجذوة» ولم نعثر فى المراجع التى بين أيدينا على مكان تسمى بأحد هذين الاسمين . وقد أورد ياقوت فى كلامه على الهماء هذا البيت برواية أخرى وهى :

فأصبح ما بين الهماء فصاعدا * إلى الجزع جزع الماء ذى العشرات

(فى المعجم : «فأصبحن») . ورواية هذا البيت فى المجموعة المخطوطة :

فأصبح بطنان الهواء بجوزه * إلى الجزع جزع الماء ذى العشرات

(١١) العشرات : جمع عشر (بضم ففتح) . وهو من كبار الشجر وله صمغ حلو، وهو عريض الورق ينبت صعدا فى السماء، وله سكر يخرج من شعبه ومواضع زهره يقال له سكر العشر، وفى سكره شىء من مرارة .

له أَرَجٌ من مِجْمَر الهند ساطعٌ (١) * تَطَلَّعُ رَيَّاه من الكَفِرات (٢)

تهادَين ما بين المُحَصَّب (٣) من مِنًى * وأقبلن لا شُعْثًا ولا غَبِرات (٤)

أعان الذى فوق السموات عرشُه * مَواشىَ بالبَطْحاء مُؤتجِرات (٥)

مَرَرْن بفَخٍّ (٦) ثم رُحْن عشيّةً * يُلبِّين للرحمن معتمِرات

يُخَبِّئْن (٧) أطرافَ البنان من التُّقَى * ويقتلن بالألحاظ مقتدِرات ٢٦ ٦

تَقَسَّمن لُبِّى يومَ نَعْمانَ إننى * رأيتُ فؤادى عارِمَ (٨) النظرات

جَلَوْنَ وجوهًا لم تَلُحْها (٩) سمائمٌ * حَرُورٌ ولم يَسْفَعْنَ بالسَّبِرات

فقلتُ يَعافيرُ الظباءِ تناولتْ * نِياعَ (١٠) غصونِ المَرْد (١١) مُهْتَصِرات

ولمّا رأتْ ركبَ النُّمَيرىّ راعَها * وكُنّ مِنَ انْ يَلْقَيْنَه حَذِرات

---

(١) فى المجموعة المخطوطة :

* له أرج بالعنبر الورد فاغم *

(٢) الكفرات : جمع كفر (بفتح الكاف وكسر الفاء) وهو العظيم من الجبال. (٣) المحصب : موضع بين مكة ومنى، وهو الى منى أقرب. (٤) فى المجموعة المخطوطة :

« تهادين مابين المحصب من منى * ونعمان ... ... الخ »

(٥) مؤتجرات : طالبات للأجر. وفى تجريد الأغانى : «معتجرات» أى لابسات المعاجر وهى أثواب تلفها النساء على استدارة رءوسهن ثم يجلببن فوقها بجلابيبهن. ورواية هذا البيت فى المجموعة المخطوطة :

خرجن إلى البيت العتيق بعمرة * نواحب فى نذر ومؤتجرات

(٦) فخ : موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال وبه كانت وقعة الحسين وعقبة. (٧) فى المجموعة المخطوطة : « يخمرن ». ويقال : ليست امرأة من الطائف تخرج الا وعلى يدها قفازان للتقى.

(٨) أى شارد النظرات حائرها. (٩) لاحته الشمس ولوحته : لفحته وغيرت وجهه. والسمائم : جمع سموم وهى ريح حارة أو حر النهار. وسفعته : غيرته. والسبرات : جمع سبرة (بسكون الباء) وهى شدة برد الشتاء. (١٠) فى جميع الأصول : «يناع». والظاهر أنها مصحفة عما أثبتناه. والنياع من الغصون : التى تحركها الرياح فتتحرك وتمايل. يريد أن أعناقهن فى امتدادها كأعناق الظباء. (١١) كذا فى ا، ء، م وتجريد الأغانى والمجموعة المخطوطة. والمرد (بالفتح) : الغض من ثمر الأراك وقيل نضيجه. وفى جميع الأصول : « الورد ».

فأَدْنَيْن، حتى جاوز الرَّكْبُ، دونها * حِجاباً من القَسِّىِّ[(١)] والحِبَرات

فكدتُ آشتياقًا نحـوَها وصَبابةً * تَقَطَّـعُ نفسى إثْرَها حَسَرات

فراجعتُ نفسى والحفيظةَ بعد ما * بَلَلْتُ رداءَ العَصْبِ[(٢)] بالعَـبَرات

— غنّى ابن سُرَيج فى الأوّل وبعده «مررن بفخ» وبعده «يخمّرن أطراف البنان»، ولحنه ثانى ثقيـل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق — قال أبو زيد : فبلغتْ هذه القصيدةُ عبـدَ الملك بنَ مروان، فكتب إلى الحجّاج : قد بلغنى قول الخبيث فى زينب، فآلْهُ عنه وأعْرِضْ عن ذكره، فإنك إن أدنيتَه أو عاتبتَه أطمعته، وإن عاقبته صدّقته .

أخبرنى حَبِيب بن نصر المهلّبى قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدثنا أبو سَلَمة الغِفَارىّ قال :

هَرَب النُّمَيْرىّ من الحجّاج إلى عبد الملك وآستجار به ؛ فقال له عبد الملك : أنشدنى ما قلتَ فى زينب فأنشده . فلما انتهى إلى قوله :

ولما رأتْ رَكْبَ النميرىّ أعرضتْ * وكُنّ مِنَ آنْ يَلْقَيْنَه حَـذِراتِ

قال له عبد الملك : وما كان ركبك يا نميرىّ ؟ قال : أربعة أحْمِرة لى كنت أجلُب عليها القَطِران، وثلاثة أحْمِرة صحبتى تحمل البعر . فضحك عبد الملك حتى آستغرب ضحكًا، ثم قال: لقد عظّمتَ أمرَك وأمرَ ركبك ؛ وكتب له إلى الحجاج أن لا سبيل

---

(١) القسى : ضرب من الثياب، وهو منسوب إلى قس، موضع بين العريش والفرما من أرض مصر كانت تصنع فيه ثياب من كتّان مخلوط بحرير . والحبرات : جمع حبرة (كعنبة)، وهى ضرب من برود اليمن موشى . وروى هذا البيت فى المجموعة المخطوطة :

وقام جـوار دونهُ فسـترنها * بأكسـية الديباج والحـبرات

(٢) العصب : ضرب من البرود، وقيل : هى برود يصبغ غزلها ثم تنسج، لا تثنى ولا تجمع وإنما يثنى ويجمع ما يضاف إليها، فيقال برد عصب وبرود عصب .

له عليه . فلما أتاه بالكتاب وضعه ولم يقرأه، ثم أقبل على يزيد بن أبى مسلم فقال له : أنا برىء من بَيْعة أمير المؤمنين ، لئن لم يُنشدنى ما قال فى زينب لآتينّ على نفسه، ولئن أنشدنى لأعفونّ عنه، وهو إذا أنشدنى آمن . فقال له يزيد : ويْلَكَ ! أنشده؛ فأنشده قولَه :

تَضوّعَ مسكًا بطنُ نَعمان إذ مشتْ * به زينبٌ فى نسوة خَفِرات

فقال : كذبت والله ، ما كانت تتعطّر إذا خرجتْ من منزلها . ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله :

ولما رأت رَكبَ النُّمَيْرِىّ راعها * وكنّ مِنَ أن يلقينه حَذِراتِ

قال له : حقّ لها أن ترتاع لأنها من نسوة خَفِرات صالحات . ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله :

مَرَرْن بفَخّ رائحاتٍ عشيةً * يُلَبّين للرحمن معتمِراتِ

فقال : صدقتَ، لقد كانت حَجّاجةً صَوّامة ماعلمتُها . ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله :

يُخمّرن أطرافَ البنان من التقى * ويخرجن جنحَ الليل مُعْتجِرات(١)

فقال له : صدقتَ ، هكذا كانت تفعل، وهكذا المرأة الحرة المسلمة . ثم قال له : ويحك! إنى أرى ارتياعَك ارتياعَ مُريب، وقولَك قولَ برىء، وقد أمّنتك، ولم يعرِض له . قال أبو زيد(٢) : وقيل : إنه طالب عريفَه به وأقسم لئن لم يَجِئْه به ليضربنّ عنقَه، فجاءه به بعد هرب طويل منه ؛ فخاطبه بهذه المخاطبة : ٢٧/٦

(١) تقدم هذا الشطر بغير هذه الرواية . (٢) هو أبو زيد عمر بن شبة النميرى البصرى ، كان شاعرا إخباريا فقيها صادق اللهجة غير مدخول الرواية واسع الاطلاع . روى عن أبى عاصم النبيل ومحمد بن سلام الجمحى وهارون بن عبد الله وإبراهيم بن المنذر وغيرهم . وله عدّة تصانيف ذكرها ابن النديم فى الفهرست ؛ ومنها كتاب أخبار بنى نمير . ولد سنة ١٧٣ ﻫ وتوفى بسر من رأى سنة ٢٦٣ ﻫ .

من شعره فى زينب

قال أبو زيد : وقال النُّمَيرىّ فى زينب أيضا :

صـــوت

طَربتَ وشاقتك المنازلُ من جَفْن(١) * ألَا ربما يعتادك الشوقُ بالحُزْنِ
نظرت إلى أظعان زينبَ باللّوى * فأعولتَها(٢) لو كان إعوالُها يُغنى
فـوالله لا أنساك زينبُ مادعتْ * مُطوَّقـةٌ ورقاءُ شجـوًا على غُصن
فإنّ احتمال الحىّ يومَ تحمّـلوا * عَناك وهل يَعنيك إلا الذى يَعنى
ومُرسِلة فى السرّ أن قد فضحتَنى * وصرّحتَ باسمى فى النّسيب فماتكْنى
وأشمتَّ بى أهلى وجُلّ عشيرتى * ليَهْنِئْك ماتهـواه إن كان ذا يَهْنى
وقـد لامنى فيهـا آبنُ عمّىَ ناصحًا * فقلتُ له خذ لى فؤادىَ أو دَعْنى

— غنّى ابنُ سُريج فى الأوّل والثانى والخامس والسادس من هذه الأبيات لحنًا من الرمل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق — قال أبو زيد : فيقال : إنه بلغ زينبَ بنت يوسف قولُه هذا فبكتْ ، فقالت لها خادمتها : ما يُبكيك ؟ فقالت : أخشى أن يسمع بقوله هذا جاهلٌ بى لا يَعرفنى ولا يعلم مذهبى فيراه حقّا .

قال : وقال النميرىّ فيها أيضا :

أهاجتْك الظعائنُ يوم بانوا * بذى الزّىّ الجميل من الأثاثِ
ظعائنُ أُسلكتْ نَقْبَ المُنَقَّى * تُحثّ إذا ونتْ أىّ احتثاث
تُؤمّل أن تُلاقِىَ أهلَ بُصْرَى * فيـالك من لقـاء مستراث(٣)

---

(١) جفن : اسم واد بالطائف لثقيف ، وهو بين الطائف و بين معدن البرام . (٢) أعول الرجل : رفع صوته بالبكاء . (٣) كذا ورد هذا الشطر الأخير فى أ ، ء ، م وتجريد الأغانى . ومستراث : مستبطأ . وفى سائر الأصول :

* فيالك مستزار مستراث *

كأنّ على الحدائج يوم بانوا * نِعاجًا(١) ترتعى بَقْل البِراث(٢)
يُهيِّجنى الحمام إذا تداعى(٣) * كما سجع النوائحُ بالمَراثى
كأنّ عيونَهنّ من التبكّى * فصوصُ الجزع(٤) أو يَنْعُ الكَباث
ألَاقِى أنت فى الحِجج البواقى * كما لاقيتَ فى الحِجج الثلاث

طلب أبو الحجاج إلى عبد الملك ألا يجعل للحجاج عليه سبيلا فلقيه الحجاج ولم يعرض له

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبى حدّثنا عثمان ابن حَفْص وغيره :

أنّ يوسف بن الحكم قام إلى عبد الملك بن مَرْوان لمّا بعث بالحجّاج لحرب ابن الزبير، وقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ غلامًا منّا قال فى ابنتى زينبَ ما لا يزال الرجلُ يقول مثلَه فى بنت عمّه ، وإن هذا (يعنى ابنَه الحجّاج) لم يزل يَتَتوّق إليه ويَهمّ به ، وأنت الآن تبعثه إلى ما هناك ، وما آمنه عليه . فدعا بالحجّاج فقال له : إن محمدًا النُّمَيرىّ جارِى ولا سلطانَ لك عليه ، فلا تعرِض له .

قال إسحاق فحدّثنى يعقوب بن داود الثَّقفى قال : قال لى مسلم بن جُنْدَب الهُذَلىّ :

كنتُ مع النُّمَيرىّ وقد قتل الحجاجُ عبدَ الله بن الزبير وجلس يدعو الناس للبَيْعة ، فتأخّر النميرىّ حتى كان فى آخرهم ، فدعا به ثم قال له : إنّ مكانك لم يخفَ علىّ ، ادْنُ فبايعْ . ثم قال له : أنشِدْنى ما قلتَ فى زينب ؛ قال : ما قلتُ إلا خيرًا ؛ قال : لَتُنشِدَنّى . فأنشده قولَه :

---

(١) الحدائج : جمع حديجة . والحديجة (ومثلها الحدج بالكسر) : من مراكب النساء نحو الهودج والمحفة . والنعاج : البقر الوحشى . (٢) البراث : الأماكن السهلة من الرمل ، واحدها برث (بالفتح) . (٣) فى الكامل (ص ٣٧٧) : «تغنى» . (٤) الجزع (بالفتح) : الخرز اليمانى الذى فيه سواد وبياض ، تشبه به الأعين . والينع : جمع يانع . والكباث (بالفتح) : النضيج من ثمر الأراك أو غير النضيج منه ، وقيل : حمله إذا كان متفرقا ، وهو فويق حب الكسبرة فى المقدار .

تَضوّع مسكًا بطنُ نَعمانَ إذ مشتْ * به زينبٌ فى نسوة عَطِراتِ

أعان الذى فوقَ السموات عرشُه * مَواشىَ بالبَطْحاء مؤتجِرات ٢٨/٦

يخمِّرن أطرافَ الأكُفّ من التُّقَى * ويخرُجْن جُنحَ الليل معتجِرات

فما ذكرتُ أيها الأمير إلا كرمًا وخيرًا وطيبًا . قال : فأنشدْ كلمتَك كلَّها فأنت آمن ؛ فأنشده حتى بلغ إلى قوله :

ولمّا رأتْ ركبَ النُّميرىّ راعها * وكُنّ من أن يَلقَيْنه حَذِراتِ

فقال له : وما كان رَكبُك؟ قال : والله ما كان إلا أربعة أحمِرة تحمل القَطِران . فضحك الحجّاج وأمره بالانصراف ولم يعرِض له .

تهدده الحجاج فهرب وقال شعرا

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرانىّ عن الخليل بن أسد عن العُمَرىّ عن عطاء عن عاصم بن الحَدَثان قال :

كان ابن نُمير الثقفىّ يشبِّب بزينبَ بنتِ يوسف بن الحَكَم ؛ فكان الحجّاج يتهدّده ويقول : لولا أن يقول قائل صدَق لقطعتُ لسانَه . فهرب إلى اليمن ثم ركب بحرَ عدَن[(١)]، وقال فى هربه :

أتتنى عن الحجّاج والبحرُ بيننا * عقاربُ تَسْرِى والعيونُ هواجعُ

فضِقتُ بها ذَرْعًا وأجهشتُ خِيفةً * ولم آمَنِ الحجّاجَ والأمرُ فاظعُ[(٢)]

وحلَّ بىَ الخطبُ الذى جاءنى به * سميعٌ فليستْ تستقرّ الأضالعُ

فبتُّ أُديرُ الأمرَ والرأىَ ليلتى * وقد أخضلتْ خدّى الدموعُ التوابعُ

ولم أرَ خيرًا لى من الصبر إنه * أعفُّ وخيرٌ إذ عَرَتْنى الفواجعُ

---

(١) هو بحر القلزم، ويسمى فى كل موضع يمرّ به باسم ذلك الموضع، فإذا قابله بطن اليمن يسمى بحر عدن إلى أن يجاوز عدن ثم يسمى بحر الزنج، وهو بحر مظلم أسود لا يرى مما فيه شىء. وبقرب عدن معدن اللؤلؤ يرفع ما يخرج منه إلى عدن . (٢) فى معجم البلدان (ج ١ ص ٢٤٠ طبع أوربا) : «الدوافع» .

وما أَمِنتْ نفسى الذى خفتُ شرَّه * ولا طاب لى مما خَشِيتُ المضاجع
إلى أن بدا لى رأس إسْبِيلَ(١) طالعًا * وإسبيلُ حصن لم تنَلْه الأصابع
فلى عن ثقيفٍ إن هممتُ بنجوة * مهامِهُ تَهوِى(٢) بينهن الهجارع(٣)
وفى الأرض ذاتِ العَرْض عنك ابنَ يوسف * إذا شئتُ مَنْأًى لا أبا لك واسع
فإن تلْقَنِى حَجّاجُ فاشتفِ جاهدًا * فإن الذى لا يحفظ الله ضائع

فطلبه الحجّاج فلم يقدِر عليه . وطال على النُّمَيرىّ مقامه هاربًا واشتاق إلى وطنه ، فجاء حتى وقف على رأس الحجّاج ؛ فقال له : إيه يا نُميرىّ ! أنت القائل :

* فإن تلقنى حجّاجُ فاشتفِ جاهدًا *

فقال : بل أنا الذى أقول :

أخاف من الحجّاج ما لستُ خائفًا * من الأسد العِرْباض(٤) لم يَثْنِه ذُعْرُ
أخاف يدَيْه أن تنالا مَقاتلى * بأبيضَ عَضْبٍ ليس من دونه سِتْرُ

وأنا الذى أقول :

فها أنذا طوَّفتُ شرقًا ومغربًا * وأُبْتُ وقد دوّختُ(٥) كلَّ مكان

---

(١) كذا فى أ ، ء ، م وتجريد الأغانى ومعجم البلدان . وإسبيل : جبل فى مخلاف ذمار ، وهو منقسم بنصفين نصف إلى مخلاف رداع ونصف إلى مخلاف عنس . وبين إسبيل وذمار أكمة سوداء ، بها جمة (بئر) تسمى « حمام سليمان » والناس يستشفون به من الأوصاب والجرب وغير ذلك . وفى سائر الأصول : « إسبيك » بالكاف ، وهو تحريف . (٢) فى أ ، ء ، م ومعجم البلدان : « تعمى » . والعمى هنا كناية عن الضلال . (٣) الهجارع : جمع هجرع (كدرهم وجعفر) وهو الخفيف من الكلاب السلوقية . (٤) العرباض : الأسد الثقيل العظيم . (٥) دوّخ فلان البلاد : سار فيها حتى عرفها ولم تخف عليه طرقها .

فلو كانت العَنْقاء منك تَطير بى * لخلتــك إلا أن تَصُدّ ترانى[1]

قال : فتبسّم الحجاج وأمّنه، وقال له : لا تعاود ما تعلم؛ وخلّى سبيلَه .

رجع الخبر إلى رواية حماد بن إسحاق .

زواج زينب أخت الحجاج وتولية كريها شرطة البصرة

٢٩/٦

قال حمّاد فحدّثنى أبى قال ذكر المدائنىّ وغيره :

أنّ الحجّاج عرض على زينبَ أن يزوّجها محمدَ بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبى عَقيل — وهو آبن سبعَ عشرةَ سنة، وهو يومئذ أشرف ثقفىّ فى زمانه — أو الحكم آبن أيوب بن الحكم بن أبى عَقيل ، وهو شيخ كبير، فآختارت الحكم ، فزوّجها إياه، فأخرجها إلى الشام . وكان محمد بن رباط كَرِيَّها ، وهو يومئذ يُكْرِى. فلما ولى الحجاجُ العراقَ آستعمل الحكَمَ بن أيوب على البصرة، فكلمته زينبُ فى محمد بن رباط فولّاه شرطته بالبصرة . فكتب إليه الحجاج : إنك ولّيتَ أعرابيًّا جافيًا شرطتَك ، وقد أجزنا ذلك لكلام مَنْ سألك فيه . قال : ثم أنكر الحكَمُ بعض تَجَبُّرِه فعزله . ثم آستعمل الحجّاجُ الحكَمَ بن سعد العُذْرىّ على البصرة وعزل الحكم بن أيّوب عنها وآستقدمه لبعض الأمر، ثم ردّه بعد ذلك إلى البصرة، وجهّزه من ماله . فلمّا قدِم البصرةَ هيّأتْ له زينبُ طعامًا وخرجت متنزّهة إلى بعض البساتين ومعها نسوة .

---

(١) هذان البيتان رواهما المبرد فى الكامل ببعض تغيير وهما :

هاك يدى ضاقت بى الأرض رحبها * و إن كنت قد طوّفت كل مكان

ولو كنت بالعنقاء أو بيسومها * لخلتــك إلا أن تصــدّ ترانى

وقد نسبهما المؤلف أيضا للعــديل بن الفرخ فى ترجمتــه (ج ٢٠ ص ١٨ طبع بولاق) . وذكر أن الحجاج جدّ فى طلبه حتى ضاقت به الأرض، فأتى واسطا وتنكر وأخذ بيده رقعة ودخل إليه مع أصحاب المظالم، فلما وقف بين يديه أنشأ يقول :

هأنذا ضاقت بى الأرض كلهـا * إليـك وقــد جولت كل مكان

فلو كنت فى ثهلان أو شعبتى أجا * لخلتــك إلا أن تصــدّ ترانى

فقيل لها : إن فيهن امرأة لم يُرَ أحسن ساقاً منها. فقالت لها زينب : أريني ساقَكِ؛ فقالت : لا، إلا بخلوة؛ فقالت : ذاك لكِ، فكشفته لها، فأعطتها ثلاثين دينارا وقالت : اتّخذى منها خلخالا . قال : وكان الحجاج وجّه بزينب مع حُرَمه إلى الشام لمّا خرج ابنُ الأشعث خوفًا عليهن . فلما قُتل ابنُ الأشعث كتب إلى عبد الملك بن مروان بالفتح، وكتب مع الرسول كتابًا إلى زينبَ يُخبرها الخبرَ، فأعطاها الكتاب، وهى راكبة على بغلة فى هودج، فنشرته تقرؤه، وسمعت البغلة قعقعةَ الكتاب فنفرت، وسقطت زينبُ عنها فاندقّ عَضُداها وتَهرّأ(١) جوفُها فماتت . وعاد إليه الرسول، الذى نفذ بالفتح، بوفاة زينب . فقال النميرىّ يرثيها : ماتت زينب فرقا

صـــوت

لزينبَ طيفٌ تعتريني طوارقُه * هُدوءًا إذا(٢) النجم ارجحنّت(٣) لواحقُهْ
سيَبكيكِ مِرنانُ(٤) العشيِّ يُجيبه(٥) * لَطيفُ بنان الكفِّ دُرمٌ(٦) مَرافقه
إذا ما بِساطُ اللهو مُدّ وأُلقيتْ(٧) * لِلَذّاته أنماطُه ونمارقُه(٨)

غنّاه معبد، ولحنه ثقيلٌ أول بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق . ومابقى من شعره(٩) من الأغانى فى نَسيب النميرىّ لم نذكر طريقته وصانعه لنذكر أخباره معه .

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وتهرأ اللحم (بالهمز) : طبخ حتى يتفسخ ويسقط عن العظم . وفى ب، سـ : «تهرى» . ولم يحكها من أهل اللغة غير ابن دريد عن أبى مالك . (٢) فى ب، سـ : « إذ » . (٣) ارجحن النجم : مال نحو المغرب . (٤) مرنان العشىّ : كنى به عن الصنج ذى الأوتار وهو من آلات الطرب . والرنين : الصوت الشجى . (٥) كذا فى تجريد الأغانى . وفى جميع الأصول : « نجيبه » . (٦) درم : جمع أدرم وهو من لاحجم لعظامه . (٧) فى الكامل : « وقربت » . (٨) نسب المبرد فى الكامل (ص ٧٠٨ طبع أوربا) هذا البيت لنصيب . (٩) ظاهر أن السياق يكون واضحا لو حذفت كلمة « من شعره » أو كلمة « فى نسيب النميرى » . فلعل إحداهما من زيادات النساخ .

غنى ابن سريج من شعره لعبد الله بن جعفر فنحر راحلته وشق حلته

صـــــوت

تَضَوَّع مسكًا بطنُ نَعْمان أنْ مشتْ * به زينبٌ فى نســوة خَفِــراتِ
مَرَرْن بفَخٍّ رائحاتٍ عشـــيةً * يُلَبِّين للرحمن مُعتمِــرات

الغناء لابن سريج ثانى ثقيل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق .

أخبرنى الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنى (١) عن عبد الله بن مُسْلِم الفِهْرِىّ (٢) قال :

خرج عبد الله بن جعفر متنزِّهًا ، فصادف ابنَ سُرَيج وعَزَّة المَيْـلاء متنزِّهَيْن ، فأناخ ابنُ جعفر راحلتَـه وقال لعزّة : غَنِّينى فغنّته ، ثم قال لابن سُريج : غنِّنى يا أبا يحيى ، فغنّاه لحنَه فى شعر النميرىّ :

* تَضَوَّع مسكًا بطنُ نَعْمان أن مشتْ *

٣٠ / ٦ فأمر براحلته فنُحِرت ، وشقّ حُلّته فألقى نصفَها على عَزّة والنصفَ الآخر على ابن سريج . فبـاع ابنُ سريج النصفَ الذى صار إليـه بمائة وخمسين دينارا . وكانت عزّة إذا جلست فى يوم زينة أو مباهاة ألقت النصف الآخر عليها تتجمّل به .

سمع سعيد بن المسيب شعرا له فأعجبه وزاد عليه

أخبرنى محمـد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنى عبد الله بن أبى سـعد قال حدّثنى الحسن بن علىّ بن منصور قال أخبرنى أبو عَتّاب عن إبراهيم بن محمـد بن العباس المُطّلِبى :

(١) هو أبو الحسن على بن محمد بن عبـد الله بن أبى سيف المدائنى مولى شمس بن عبـد مناف . كان من رواة الأخبار المشهورين . ولد سـنة ١٣٥ هـ وتوفى سنة ٢٢٥ هـ فى منزل إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، وكان منقطعا إليه . وله من الكتب عدّة تصانيف ذكرها ابن النديم فى الفهرست .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشى الفهرى ، أحد الأعلام المعروفين ، ولد سنة ١٢٥ هـ وتوفى سـنة ١٩٧ هـ . وكان ممن جمع وصنف ، وله تصانيف كثيرة ، وهو الذى حفظ علم أهل الحجاز ومصر . وروى عنه كثيرون ، والمدائنى المذكور أحد من رووا عنه .

أنّ سعيد بن المُسيّب[1] مرّ فى بعض أزِقّة مكة، فسمع الأخضرَ الحُرْبىّ[2] يتغنّى فى دار العاص بن وائل :

تَضوّع مسكًا بطنُ نعمانَ إذ مشت * بـه زينبٌ فى نسـوة خَفِـراتِ

فضرب برجله وقال : هذا والله مما يَلَذّ آستماعه، ثم قال :

وليست كأخرى أوسعت جيبَ دِرْعِها * وأبدت بنانَ الكفّ للجَمَراتِ[3]
وعَلّت[4] بَنانَ[5] المسك وَحْفًا[6] مرجّلا * على مثل بَدْرٍ لاح فى الظلمات
وقامت تَراءَى يومَ جَمْعٍ[7] فأفتنتْ * برؤيتها مَنْ راح من عَرَفاتِ

قال : فكانوا يرون أن هذا الشعر لسعيد بن المُسيّب .

مر على عائشة بنت طلحة فاستنشدته شعره فى زينب

أخبرنى عمّى قال حدثنى الكُرانىّ قال حدثنى عبد الرحمن بن عبد الله أخى الأصمعىّ عن عبد الله بن عِمْران الهَرَوىّ، وأخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدثنى المُغيرة بن محمد المهلّبىّ قال حدثنى محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الله بن عِمْران الهَرَوىّ قال :

لمّا تأيّمتْ[8] عائشة بنتُ طلحة كانت تُقيم بمكة سنةً و بالمدينة سنة، وتخرج إلى مالٍ لها عظيم بالطائف وقصرٍ كان لها هناك فتتنزّه فيه، وتجلس بالعشيّات، فيتناضل

(١) المسيب : هو ابن حزن بن أبى وهب المخزومى، وأهل العراق يفتحون وأهل المدينة يكسرون . ويحكى عن سعيد ابنه أنه كان يقول : سيب الله من سيب أبى . وحكى (الكسر) عياض وابن المدينى .
(٢) كذا فى جميع الأصول هنا . وقد ذكر فيما مر من الأجزاء السابقة باسم « الجدى » .
(٣) فى حـ : « بالجمرات » . (٤) كذا فى جميع الأصول . ولعله يريد : كرت وضع الطيب فى رأسها . ويحتمل أن تكون مصحفة عن : «غلت» (بالغين المعجمة) : وغل شعره بالطيب : أدخله فيه؛ وغل الدهن فى رأسه : أدخله فى أصول الشعر . (٥) كذا فى جميع الأصول . ولعلها محرفة عن « فتات » . (٦) الوحف : الشعر الغزير الأسود . (٧) جمع : علم للمزدلفة، سميت به لاجتماع الناس بها . (٨) تأيمت المرأة : مات عنها زوجها ولم تتزوج . وقد كانت عائشة عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر، وكان أبا عذرتها (أول من تزوجها) ثم هلك فتزوجها بعده مصعب بن الزبير فقتل عنها، ثم تزوجها عمر بن عبد الله بن معمر فمات عنها . ولم تتزوج بعده .

بين يديها الرُّماة. فمرّ بها النُّميرىّ الشاعر، فسألت عنه فنُسب لها، فقالت: ائتونى به، فأَتَوْها به. فقالت له: أنشِدْنى مما قلتَ فى زينبَ، فامتنع عليها وقال: تلك ابنة عمّى وقد صارت عظامًا باليـة. قالت: أقسمتُ عليك بالله إلا فعلتَ، فأنشدها قولَه:

* تضوّع مسكًا بطنُ نعمان أنْ مشتْ *

الأبيات. فقالت: والله ماقلتَ إلا جميلا، ولاذكرتَ إلا كرماً وطيبا، ولاوصفت إلا دِينًا وتُقًى، أعطوه ألفَ درهم. فلما كانت الجمعة الأخرى تعرّض لها، فقالت: علىّ به، فأُحضر. فقالت له: أنشِدْنى من شعرك فى زينبَ، فقال لها: أوَ أُنْشِدُك من شعر الحارث بن خالد(١) فيـك؟ فوثب مواليها إليـه، فقالت: دَعُوه فإنه أراد أن يَستقيد(٢) لبنت عمّه، هاتِ مما قال الحارثُ فىّ، فأنشدها:

ظَعَن الأميرُ بأحسن الخَلْقِ * وغَدَوْا بلبّـك مَطْلَعَ الشَّرْقِ

فقالت: والله ما ذكر إلا جميلا، ذكر أنى إذا صبّحتُ زوجًا بوجهى غدا بكواكب الطَّلْق(٣)، وأنى غدوتُ مع أميرٍ تزوّجنى إلى الشرق، وأنى أحسن الخَـلْق فى البيت ذى الحسب الرفيع، أعطوه ألف درهم واكْسُوه حُلَّتين، ولاتعُـدْ لإتيانا بعد هذا يا نُمَيرىّ.

غنى إبراهيم الموصلى للرشـيد من شعره وكان غاضـبا عليه فرضى عنه

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشّيعى(٤) قال حدثنا عمر بن شبّة عن إسحاق، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه:

(١) هو الحارث بن خالد بن العـاص المخزومى، وقد مرت ترجمتـه فى الجزء الثالث من هذه الطبعة (ص ٣١١ — ٣٤٣). (٢) أى يأخذ بثأرها. (٣) تشير إلى بيت قاله فيها الحارث من هذه القصيدة وهو:

ما صبحت أحدا برؤيتهـا * إلا غـــدا بكواكب الطلق

أى أن من تصبحه برؤيتهـا يرى الزمان صافيا طيبا سـعيدا تفاؤلا بطلعتها واستبشارا. يقال يوم طلق أى مشرق لا برد فيه ولا حر ولا شىء يؤذى. (٤) فى جميع الأصول هنا: «الشعبى» وهو تحريف.

أنّ الرشيد غضب على إبراهيم أبيه بالرّقّة فحبسه مدّة، ثم اصطبح يوما، فبينا هو على حاله إذ تذكّره، فقال: لو كان الموصلىّ حاضرا لانتظم أمرنا وتمّ سرورنا. قالوا: يا أمير المؤمنين، فجِئ به[1]، فما له كبيرُ ذنب. فبعث فجِيء به. فلمّا دخل أطرق الرشيد فلم ينظر إليه، وأومأ إليه مَنْ حضر بأن يغنّى؛ فاندفع فغنّى: ٣١/٦

تضوّعَ مسكًا بطنُ نَعْمان أن مشتْ * به زينبٌ فى نِسْوة خَفِراتِ

فما تمالك الرشيد أن حرّك رأسه مرارا واهتزّ طربا، ثم نظر إليه وقال: أحسنتَ والله يا إبراهيم! حُلّوا قيوده وغطّوه بالخِلَع، ففُعِل ذلك. فقال: يا سيّدى، رضاك أوّلا؛ قال: لو لم أرْضَ ما فعلتُ هذا، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

ومما قاله النُّمَيْرىّ فى زينبَ وغُنّى فيه:

صوت

تَشْتو بمكة نَعْمةً * ومَصِيفُها بالطائفِ
أَحْبِبْ بتلك مواقفًا * وبزينبٍ مِنْ واقفِ
وعزيزةٍ[2] لم يَغْذُها[3] * بؤسٌ وجفوةُ حائفِ
غَرّاء يحكيها الغزا * لُ بمُقْلةٍ وسوالفِ

الغناء ليحيى المكّى خفيفُ رَمَلٍ عن الهشامىّ، وذكر عمرو بن بانة أنه لابن سُرَيج وأنه بالبنصر. وزعم الهشامىّ أنّ فيه لابن المكّىّ أيضا لحنا من الثقيل الأوّل.

ومن الغناء فى أشعاره فى زينبَ:

صوت

ألا مَنْ لقلبٍ مُعَنًّى غَزِلْ * يُحِبّ المُحِلّةَ أختَ المُحِلّ

(١) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «فنجىء به» وانظر هذه القصة فى (ج ٥ ص ١٦٦ طبع دار الكتب المصرية).
(٢) فى حـ: «وغريرة». والغريرة: الشابة الحديثة التى لم تجرب الأمور.
(٣) فى جميع الأصول: «لم يغدها» (بالدال المهملة). والظاهر أنه مصحف عما أثبتناه.

تراءتْ لنا يومَ فرعِ الأرا * كِ بين العِشاء وبين الأُصُل
كأنّ القَرَنْفُلَ والزَّنجبيلَ * وريحَ الخُزامَى وذَوْبَ العسل
يُعَلّ به بَرْدُ أنيابها * إذا ما صفا الكوكبُ المعتدل

الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر يونس أن لمالك فيه لحنا فى :

* كأن القرنفُلَ والزَّنجبيل *

والبيت الذى بعده وبيتين آخرين وهما :

وقالت لجارتها هل رأيـ * ـتِ إذ أعرض الركبُ فِعلَ الرجلْ
وأنْ تبسَّمه ضاحكًا * أجَدّ آشتياقًا لقلب غَزِل

وذكر حمّاد عن أبيه أن فيها للهُذَلىّ لحنًا ، ولم يذكر طريقته .

المُحِلّ الذى عناه النميرىّ هاهنا : الحجّاج بن يوسف ؛ سُمّى بذلك لإحلاله الكعبة ، وكان أهل الحجاز يسمّونه بذلك . ويسمّى أهلُ الشام عبدَ الله بن الزبير المُحِلّ لأنه أحلّ الكعبة ، زعموا أنه بمُقامه فيها ، وكان أصحابه أحرقوها بنار آستضاءوا بها (١) .

فأخبرنى الحُسين بن يحيى المِرْداسىّ قال قال حمّاد بن إسحاق : قرأت على أبى : وبلغنى (٢) أنّ إسماعيل بن علىّ بن عبد الله بن عبّاس تزوّج أسماءَ بنت يعقوب (آمرأة من ولد عبد الله بن الزبير) فزفّت إليه من المدينة وهو بفارس ، فمرّت بالأهواز على السيد الحِمْيرى (٣) ؛ فسأل عنها فنُسِبت له ؛ فقال فيها قولَه :

مَرّتْ تُزَفّ على بغلة * وفوق رِحالتها (٤) قُبّه

---

(١) تقدمت فى الجزء الثالث من هذه الطبعة (ص ٢٧٧) كلمة وافية عن احتراق الكعبة فى عهد ابن الزبير وبنائه لها . (٢) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول : «وبلغك» . (٣) ستأتى ترجمته فى الجزء السابع من هذه الطبعة . (٤) الرحالة : مركب من مراكب النساء .

٣٢/٦ زُبيريةٌ من بنات الذى * أحلّ الحرامَ من الكعبه

تُزَفّ إلى ملكٍ ماجـد * فلا آجتمعا[1] وبها الوَجْبه[2]

وقد قيل بأن الأبيات اللامية التى أولها :

* ألَا مَنْ لقلبٍ مُعَنًّى غَزِلْ *

لخالد بن يزيد بن معاوية فى زوجته رَمْلَة بنت الزُّبير، وقيل: إنها لأبى شَجَرة السُّلَمى[3].

---

(١) فى الأصول هنا : «فلا اجتمعوا» . والتصويب عن الأغانى نفسه فى ترجمة السيد الحميرى .

(٢) لعل الوجبة : مصدر المرة من وجب القلب يجب وجيبا أى خفق واضطرب .

(٣) فى الكامل للبرد : « أبو شجرة هو عمرو بن عبد العزى ... ... وقال الطبرى : اسمه سليم ابن عبد العزى » من بنى سليم بن منصور بن عكرمة . وفى كتاب الشعر والشعراء : أنه عبد الله بن رواحة ابن عبد العزى . وفى كتاب الإصابة فى تمييز الصحابة : عمرو بن عبد العزى وقال نقلا عن المرزبانى : يقال اسمه عمرو، و يقال عبد الله بن عبد العزى وذكره الواقدى فى كتاب الردة باسم : عمرو بن عبد العزى . وأمه الخنساء بنت عمرو بن الشريد الشاعرة المشهورة . وكان من فتاك العرب ، ويسكن البادية . وهو الذى يقول فى قتال خالد بن الوليد أهل الردة :

ولو سألت سلمى غداة مرامر * كما كنت عنها سائلا لو نأيتها

وكان الطعان فى لؤى بن غالب * غداة الجواء حاجة فقضيتها

وكان أبو شجرة السلمى هذا ارتد فيمن ارتد من بنى سليم ثم أسلم . وأتى عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) يطلب اليه صدقة ؛ فقال له عمر : ومن أنت ؟ قال : أنا أبو شجرة السلمى . فقال له عمر : أى عدى (تصغير عدو) نفسه ! ألست القائل حين ارتددت :

ورويت رمحى من كتيبة خالد * وإنى لأرجو بعدها أن أعمرا

وعارضتها شهباء تخطر بالقنا * ترى البيض فى حافاتها والسنورا

ثم انحنى عليه عمر بالدرة وهو يعدو أمامه حتى فاته هربا وهو يقول :

قد ضنّ عنا أبو حفص بنائله * وكل مختبط يوما له ورق

(راجع الكامل ص ٢٢٠ — ٢٢١ طبع أوروبا وتاريخ الطبرى ص ١٩٠٥ — ١٩٠٨ من القسم الأول والشعر والشعراء ص ١٩٧ والإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ج ٧ ص ٩٧ طبع مصر) .

استنشد رجل ابن سيرين فأنشده للنميرى وقام إلى الصلاة

حدثنى الحسين بن الطيّب البلخى الشاعر قال حدثنا قُتَيبةُ بن سَعيد قال حدثنا أبو بكر بن شُعَيب بن الحَبْحاب المَعْوَلىّ (١) قال :

كنت عند ابن سِيرينَ، فجاءه إنسان يسأله عن شىء من الشعر قبل صلاة العصر، فأنشده ابنُ سِيرين (٢) :

كأنّ المُدامةَ والزنجبيلَ * وريحَ الخُزامَى وذَوْبَ العسلْ
يُعَلّ به بَرْدُ أنيابها * إذا النجم وَسْطَ السماء اعتدل

وقال : الله أكبر، ودخل فى الصلاة .

صــوت
من المائة المختارة

يا قلبُ ويحكَ لا يذهبْ بك الخُرُقُ (٣) * إنّ الألَى كنتَ تَهْواهم قد انطلقوا

— ويُروى : يذهب بك الحُرَق —

ما بالهم لم يُبالوا إذ هَجَرْتَهمُ * وأنت من هجرهم قد كدتَ تحترقُ

الشعر لوضّاح اليمن . والغناء لصَبّاح الخيّاط ، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّل بالوسطى فى مجراها. وفى أبيات من هذه القصيدة ألحانٌ عدّة، لجماعة من المغنّين قد خلطوا معها غيرَها من شعر الحارث بن خالد ومن شعر ابن هَرْمة؛ فأخرتُ ذكرَها إلى أن تنقضى أخبارُ وَضّاح، ثم أذكرها بعد ذلك إن شاء الله تعالى (٤) .

(١) (بفتح الميم وبكسرها) : نسبة الى المعاول والمعاولة (قبائل من الأزد) . وهم بنو معولة بن شمس ابن عمرو .
(٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « فأنشده ابن سيرين يقول » .
(٣) الخرق (بضمتين وبضم فسكون) : نقيض الرفق .
(٤) لم نجد ذكرا لهذه الأبيات بعقب أخبار وضاح فى النسخ التى بين أيدينا ، كما يقول أبو الفرج هنا .

أخبار وضّاح اليمن ونسبه

نسبه وأصله وسبب لقبه

وَضّاح لقب غلب عليه لجماله وبهائه، واسمه عبد الرحمن[(١)] بن إسماعيل بن عبد كُلال بن داذ بن أبي جَمَد. ثم يُختلف في تحقيق نسبه، فيقول قوم: إنه من أولاد الفرس الذين قَدِموا اليَمَن مع وَهْرِز لنُصرة سَيْف بن ذي يَزَن على الحبشة. ويزعُم آخرون أنه من آل خَولان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قَطَن بن عَرِيب بن زُهير بن أَيْمَن بن الهَمَيْسَع بن العَرَنْجَج[(٢)] وهو حِمْيَر بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب وهو المرعف[(٣)] بن قَحْطان. فمن[(٤)] ذكر أنه من حمير خالد بن كُلْثوم، قال: كان وضّاح اليمن من أجمل العرب وكان أبوه إسماعيل بن داذ ابن أبي جَمَد من آل خَوْلان بن عمرو بن معاوية الحِمْيَريّ. فمات أبوه وهو طفل، فانتقلت أمه إلى أهلها، وانقضتْ عدّتها فتزوجت رجلاً من أهلها من أولاد الفرس. وشبّ وضّاح في حجر زوج أُمّه. فجاء عمُّه وجدّته أُمُّ أبيه، ومعهم جماعة من أهل بيته من حِمْيَر ثم من آل ذي قَيْفان[(٥)] ثم من آل ذي جَدَن[(٦)] يطلبونه، فادّعى زوج أمه أنه ولده.

٣٣ / ٦

(١) وقيل: إن اسمه عبدالله. (راجع النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٢٦ طبع دار الكتب المصرية).

(٢) كان يقال لحمير العرنجج. والعرنجج في الأصل: العتيق. (راجع الجزء الثامن من كتاب الإكليل للهمداني طبع بغداد ص ٢٠٨)

(٣) كذا في جميع الأصول هنا وفيما سيأتي في ب في الجزء الخامس عشر (ص ٧٣ طبع بولاق). وفيما سيأتي في حـ في هذا الموضع: «المرعب». وفي كتاب أنساب العرب المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٤٦١ تاريخ «المرعث». ولم نوفق الى وجه الصواب فيه.

(٤) في ب، س: «فمن».

(٥) كان الأذواء في اليمن طبقتين طبقة تعرف بالمثامنة وهم ثمانية ملوك كان لا يصح لملك من ملوك حمير الملك حتى يقيمه هؤلاء الثمانية وإن هم اجتمعوا على عزله عزلوه. والطبقة الثانية أذواء آخرون، منهم ذو قيفان هذا، وهو ابن شرحبيل بن أساس بن يغوث بن علقمة بن ذي جدن الأكبر، وهو الذي وهب سيفه الصمصامة لعمرو بن معديكرب الزبيدي، فقال فيه عمرو:

وسيف لابن ذي قيفان عندي * تخيره الفتى من عصر عاد
يقدّ البيض والأبدان قدّا * وفي الهام الململم ذو احتداد

ثم وهبه عمرو لسعد بن أبي وقاص ثم صار الى آل سعيد بن العاص فاشتراه الخليفة المهديّ منهم بمال جسيم وأحضر الشعراء فقالوا فيه أشعارا كثيرة. ثم أمر المهدي بالسيف فسقي فتغير لذلك وقل قطعه بسبب سقيه. (راجع شرح القصيدة الحميرية ومنتخبات في أخبار اليمن كلاهما لنشوان بن سعيد الحميري).

(٦) ذكر المؤلف ترجمته في الجزء الرابع (ص ٢١٧) من هذه الطبعة.

فحاكموه فيه وأقاموا البيّنة أنه وُلد على فِرَاش إسماعيل بن عبد كُلال أبيه ، فحكم به الحاكم لهم ، وقد كان اجتمع الحميريّون والأبناء (١) فى أمره وحضر معهم . فلما حكم به الحاكم للحميريين ، مسح يدَه على رأسه وأعجبه جمالُه وقال له : اذهب فأنت وضّاح اليمن ، لا من أتباع ذى يزَن (٢) (يعنى الفُرْس الذين قدم بهم ابنُ ذى يزَن لنصرته) فعَلِقت به هذه الكلمة منذ يومئذ ، فلُقِّب وضّاحَ اليمن . قال خالد : وكانت أمّ داذ ابن أبى جَمَد جدّةُ وضاحٍ كِنْديّةً ؛ فذلك حيث يقول فى بنات عمه :

إنّ قلبى مُعَلَّقٌ بنساء * واضحاتِ الخدود لَسْنَ بهُجْنِ
مِنْ بنات الكريم دَاذَ وفى كِنْـ * ـدةَ يُنْسبن من أُباة اللَّعن

(١) الأبناء : هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذى يزن ، وكانوا يسمون بصنعاء بنى الأحرار ، وباليمن الأبناء ، وبالكوفة الأحامرة ، وبالبصرة الأساورة ، وبالجزيرة الخضارمة ، وبالشام الجراجمة . (عن الأغانى ج ١٦ ص ٧٦ طبع بولاق) . (٢) هو سيف بن ذى يزن الذى بقتله دخلت اليمن فى ملك الأحباش . وكان سيف هذا جميل المنظر عالى الهمة قوى السلطان شديد البأس كريم الخلق جوادا حسن التدبير والسياسة . وكان قد ترك بلاد اليمن بعد موت أبيه وتوجه لقيصر الروم واستنجده فى ردّ ملك والده فلم يجبه قيصر لطلبه ، فقصد كسرى أنو شروان ملك العجم لهذا الغرض فأجابه الى طلبه وأرسل معه جيشا تحت قيادة «وهرز» فأخرجهم من اليمن وردّ اليه ملكه . فتربع سيف على ملك أجداده تحت رعاية الأعجام ، واتخذ مقر أعماله قصر غمدان بمدينة صنعاء التى كانت فى ذلك العهد عاصمة ملكه . وقد هنأته وفود العرب والشعراء لاسترداد ملك أبيه وتغلبه على الأحباش . وكان من جملة وفود المهنئين وفد الحجاز الذى كان يرأسه عبد المطلب جدّ النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنوا عليه ودخلوا وهو فى قصره (غمدان) فأذن لهم فدخلوا عليه وهو متضمخ بالمسك وعليه بردان والتاج على رأسه والسيف بين يديه وملوك اليمن وأقيال حمير حواليه ، وأمامه أمية بن الصلت الثقفى ينشده قصيدته يمدحه فيها ويهنئه ؛ ومطلعها :

لا يطلب الثأر إلا كابن ذى يزن * فى البحر خيم للأعداء أحوالا

ثم استأذنه عبد المطلب فى الكلام وألقى بين يديه خطبة نالت منه استحسانا . ثم أمر بهم الى دار الضيافة وأجرى عليهم ما يحتاجون شهرا لا يؤذن لهم فى مقابلته ولا فى الانصراف . والقصيدة والخطبة ذكرهما المؤلف فى الجزء السادس عشر من هذا الكتاب (ص ٧٥ — ٧٧ طبع بولاق) .

وقال أيضا يفتخر بجدّه أبي جَمَد :

بَنَى لِىَ إسماعيلُ مجدًا مُؤَثَّلا * وعبدُ كُلال بعده وأبو جَمَدْ

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثني عمّى عن العبّاس بن هشام عن أبيه قال :

كان وضّاح اليمن والمُقنَّع الكِنْدىّ وأبو زُبَيـد الطائى يَرِدون مواسمَ العرب مُقنَّعين يستـرون وجوهَهم خوفاً من العين وحَذَرًا على أنفسهم من النساء لجمالهم . قال خالد بن كلثوم : فحدّثت بهذا الحديث مرّةً وأبو عُبيـدة مَعْمَر بن المُثنّى حاضرٌ ذلك، وكان يزعم أن وضّاحا من الأبنـاء؛ فقال أبو عُبيـدة : داذ اسم فارسى . فقلت له : عبد كلال اسمٌ يمَانٍ، وأبو جَمَد كنية يمانيَة، والعجم لا تكتنى، وفى اليمن جماعة قد تسمَّوْا بأَبْرَهة، وهو اسم حبشىّ، فينبغى أن تنسُبهم إلى الحبشة . وأىّ شىء يكون إذا سُمّى عربىّ باسم فارسىّ ! وليس كلّ مَن كُنى أبا بكر هو الصدّيق، ولا من سُمّى عُمَرًا هو الفاروق، وإنمـا الأسمـاء علامات ودلالات لا توجب نسبًا ولا تدفعه . قال : فوجَم أبو عبيدة وأُفحم فمـا أجاب .

وممن زعم أنه من أبناء الفرس ابنُ الكلبىّ ومحمد بن زِياد الكِلَابىّ .

وقال خالد بن كلثوم : إنّ أمّ إسماعيل أبى الوضّاح بنتُ ذى جَدَن ، وأم أبيه بنت فُرْعانَ(١) ذى الدّروع الكِنْدىّ من بنى الحارث بن عمرو .

أحب روضـة ولم يتزوجها وقال فيها شـعرا

وكان وضّاحٌ يهوَى امرأةً من أهل اليمن يقال لها رَوْضة .

(١) كذا فى أ ، ء ، م هنا وشرح القاموس (مادة فرع) وما يعول عليـه فى المضاف والمضاف إليه . وفى سائر الأصول وفيا سيأتى فى أ ، ء ، م : «فرعان بن ذى الدروع» وهو تحريف .

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال :

ذكر هشام بن الكلبيّ أنها رَوْضة بنت عمرو ، من ولد فُرْعانَ ذى الدروع الكِنْدىّ .

أخبرنى محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثنى محمد بن سَعيد الكُرانى قال حدّثنا العُمَرىّ عن الهَيْثم بن عَدِىّ عن عبد الله بن عَيّاش(١) :

أنّ وضّاحا هَوِى امرأةً من بنات الفرس يقال لها روضة ، فذهبت به كل مذهب . وخطبها فامتنع قومها من تزويجه إياها ، وعاتبه أهلُه وعشيرته . فقال فى ذلك :

صــــوت

يأيها القلبُ بعضَ ما تجِدُ * قد يعشَق المرءُ ثم يتَّئدُ
قد يكتم المرءُ حبَّه حِقَبًا * وهو عَميدٌ وقلبُه كَمِد
ماذا تريدين من فتًى غَزِلٍ * قد شَفّه السُّقْمُ فيكِ والسَّهَد
يهدّدونى كيما أخافَهمُ * هيهات أَنّى يُهَدَّد الأسد ٣٤/٦

الغناء لابن مُحْرِز خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وفيها لحن لابن عبّاد ، من كتاب إبراهيمَ ، غير مجنّس .

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى سالم بن زيد قال أخبرنى التَّوّزِىّ قال حدثنا الأصمعى عن الخليل بن أحمد قال :

كان وَضّاح يهوَى امرأةً من كِنْدة يقال لها رَوْضة . فلما اشتهر أمرُه معها خطبها فلم يُزَوَّجها ، وزُوِّجت غيرَه ، فمكثت مدة طويلة . ثم أتاه رجل من بلدها

---

(١) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : «عباس» وهو تصحيف .

فأسرّ إليه شيئا فبكى . فقال له أصحابه : مالك تبكى ؟ وما خبرك ؟ فقال : أخبرنى هذا أنّ روضةَ قد جُذمت، وأنه رآها قد أُلقيت[(١)] مع المجذومين . ولم نجد لهما خبرا يرويه أهلُ العلم إلا لُمَعًا يسيرةً وأشياء تدلّ على ذلك من شعره، فأمّا خبرٌ متصل فلم أجده إلا فى كتاب مصنوع غَثّ الحديث والشعر لا يُذْكَر مثلُه . وأصابها الجُـذام بعد ذلك، فانقطع ما بينهما . ثم شبّب بأم البنين بنت عبد العزيز بن مَرْوان زوجةِ الوليد بن عبـد الملك ، فقتله الوليـد لذلك . وأخبارهما تذكر فى موضعها بعقب هذه الحكاية .

اخبرنى الحسن بن علىّ الخَفّاف قال حدّثنا أحمد بن زُهير بن حَرْب قال حدّثنا مُصعَب بن عبد الله قال :

كان وَضّاح اليمن يَهوى آمرأةً يقال لهـا روضة ويشبّب بها فى شعره ، وهى آمرأة من أهل اليمن . وفيها يقول :

صـــــوت

يا رَوْضة الوضّاح قـد * عَنّيتِ وضّاحَ اليمنْ
فاسقى خليـلَك مِنْ شرا * بٍ لم يُكدِّره الدَّرَنْ
الريحُ ريح سَفَــرْجَلٍ * والطعمُ طعم سُلَافٍ دَنّ
إنى تُهيّـجنى إليـ * ـك حمـامتان على فَنَن

قال مُصعَب : فحدثنى بعض أهل العلم ممن كان يعرف خبر وَضّاح مع روضةَ من أهـل اليمن : أنّ وضّاحا كان فى سفر مع أصحابه . فبينا هو يسير إذ آستوقفهم وعدَل عنهم ساعةً، ثم عاد إليهم وهو يبكى . فسألوه عن حاله ؛ فقال : عدلتُ إلى

(١) فى أ ، ء ، م : «لها» .

روضة، وكانت قد جُذمت فجُعلتْ مع المجذومين، وأخرجت من بلدها، فأصلحتُ من شأنها وأعطيتُها صَدْرًا(١) من نفقتى . وجعل يبكى غمًّا بها .

الغناء فى الأبيات المذكورة فى هذا الخبر يُنسب مع تمام الأبيات؛ فإن فى جميعها غناء .

ومما قاله وضّاح فى روضةَ المذكورة وفيه غناء ، وأنشدَنا حَرَمِىّ عن الزُّبَير عن عمه :

صـــوت

أيا روضةَ الوَضّاح ياخيرَ رَوْضةٍ * لأهلكِ، لو جادوا علينا بمنزلِ
رهينُك وَضّاحٌ ذهبتِ بعقله * فإن شئتِ فأحييه و إن شئت فاقتلى
وتُوقد حِينًا باليَلَنجُوج(٢) نارَها * وتوقد أحيانًا بمسك ومَنْدَلِ

والأبيات الأول النونية فيها زيادة على ماروَاه مصعب ، وفى سائرها غناء .
وتمامُها بعد قوله :

" إنى تُهيّجنى إليـ * ـك حمامتان على فَنَن "
الزوج يدعو إلفه * فتطاعما حُبَّ السكَنْ ٣٥/٦
لا خيرَ فى نَثّ(٣) الحديـ * ـث ولا الجليس إذا فَطَن
فاعْصِى الوُشاةَ فإنما * قول الوشاة هو الغَبَن
إنّ الوُشاةَ إذا أتو * كِ تَنَصّحوا ونَهَوْكِ عنْ(٤)
دَسّت حُبيبةُ مَوْهِنًا * إنى وعيشكِ يا سَكَن

(١) الصدر : الطائفة من الشىء . (٢) اليلنجوج : عود البخور .
(٣) نث الحديث : إفشاؤه و إذاعته . وقد وردت هذه الكلمة فى جميع الأصول : « بث » (بالباء الموحدة) والظاهر أنها مصحفة عما أثبتناه . (٤) يريد : عنى .

أبلغتُ عنـــك تبـــدُّلا * وأتى بذلك مُؤتَمَن
وظننتُ أنك قـــد فعلـ * ـت فكِدْتُ من حَزَن أُجَنّ
ذَرَفتْ دموعى ثم قلـ * ـت بمَنْ يبادلـــنى بمن
أَسكُتْ فلستَ مُصـــدَّقًا * ما كان يفعـــل ذا أظن
إنى وجَـــدِّكَ لو رأيـ * ـت خليلَنـا ذاك الحسن
يحفـــوه ثم يجبنـا (١) * والله مِتَّ من الحَزَن
أَخـــبِرْه إمّا جئتَـــه * أنّ الفـــؤاد به يحَنّ
أبغضت فيـــه أحبّـــتى * وقَلَيْت (٢) أهـــلِى والوطن
أتركتنى حـــتى إذا * عُلِّقتُ أبيـــض كالشَّطَن
أنشأتَ تطلب وَصْلَنـا * فى الصيف ضَيَّعتِ اللبن (٣)

— هكذا قال، وغيره يرويه : "فى الصيف ضيحت (٤) اللبن" أى مذقته (٥) . قال (٦) —

---

(١) فى حـ : « يجيئنا » . وفى أ ، ى ، م : « يجبنا » . ولعل هذا الشطر مصحف عن :

* نحفوه ثم يجبنا *

وحفاه يحفوه : أكرمه وأعطاه . وجبه : قطعه . (٢) قلى : هجر . (٣) المثل مشهور يضرب لمن يطلب شيئا قد فوته على نفسه وهو : « فى الصيف ضيعت اللبن » ويروى : «الصيف صيعت اللبن» (بكسر التاء) ولو خوطب به المذكر أو الجمع ، لأنه خوطبت به امرأة كانت تحت شيخ كبير موسر فكرهته فطلقها فتزوجها فتى جميل الوجه مملق ، فبعثت إلى الأول تستميحه فقال ذلك لها . وقيل : إنه صدر عن امرأة الأسود بن هرمز وكانت عنودا ، فرغب عنها إلى جميلة من قو ثم جرى بينهما ما أدى الى المفارقة ؛ فتتبعت نفسه العنود فراسلها فأجابته بقولها :

أتركتنى حـــتى إذا * علقت أبيض كالشطن
أنشأت تطلب وصلنـا * فى الصيف ضيعت اللبن

وعلى هذا فالتاء مفتوحة . (٤) وردت هذه الكلمة فى أكثر الأصول : «صبحت» (بالصاد المهملة والباء الموحدة) . وفى حـ : «صيحت» . (بالياء المثناة) . وكلاهما مصحف عما أثبتناه . (٥) مذق اللبن بالماء يمذقه (من باب نصر) : مزجه . (٦) الظاهر أن كلمة «قال» هاهنا مقحمة من النساخ .

لو قيل يا وضّاح قم * فاختر لنفسك أو تمنّ

لم أعدُ رَوْضةَ والذى * ساق الحجيج له البُدُن

الغنــاء فى الأوّل من القصيدة وهو "يا روضــة الوضّاح" يُنسب إن شاء الله . وله فى روضة هذه أشعار كثيرة فى أكثرها صنعةٌ، و بعضها لم يَقَع إلىّ أنه صُنِع فيه . فمن قوله فيها (١) :

صـــــوت

يا روضُ جـــيرانكم البـاكرُ (٢) * فالقلبُ لا لاهٍ ولا صـابرُ (٣)

قالت ألا لا تَلِجَنْ دارَنا * إنّ أبانا رجـــلٌ غائر

قلت فإنى طـالبٌ غِـــرّةً * منــه وسَــيفى صارمٌ باتر

قالت فإن القَصْرَ مِنْ دوننـا * قلتُ فإنى فـــوقه ظـاهر

قالت فإن البحــرَ مِنْ دوننا * قلت فإنى سـابحٌ ماهر

قالت فحَوْلى إخــوةٌ سبعةٌ * قلت فإنى غالبٌ قاهر

قالت فليثٌ رابضٌ بيننـا * قلت فإنى أســدٌ عاقــر

قالت فإن الله من فوقنا * قلت فربّى راحمٌ غافــر

قالت لقــد أعييتَنا حُجّــةً * فأتِ إذا ما هجَــع السامر (٤)

فأسقُط علينا كسقوط النّدى * ليــلةَ لا ناهٍ ولا زاجــر

الغناء فى هذه الأبيات هَزَجٌ يمنىّ، وذكر يحيى المكى أنه له . ٣٦/٦

(١) فى الأصول : «فمن قوله فيها هزج قديم يمنى» . ولعل ذلك من زيادات النساخ، فإن المؤلف قد ذكر اللحن عقب الشعر . (٢) كذا فى الأصــل . (٣) أورد أبو هلال العسكرى فى كتابه ديوان المعانى المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية (تحت رقم ١٨٧٤ أدب ج ١ ص ١٩٣) هذه الأبيات ولم يذكر معها هذا البيت، وروايتها فيه تخالف ما هنا فى بعض الأبيات والألفاظ .

(٤) السامر : اسم جمع بمعنى المتسامرين .

وقال فى روضة وهو بالشام :

أَبَتْ بالشام نفسى أن تطيبَا * تذكّرتُ المنازلَ والحبيبَا
تذكّرتُ المنازلَ من شَعُوبٍ(١) * وحيًّا أصبحوا قُطِعوا(٢) شُعوبا
سَبَوا قلبي فحَلّ بحيث حَلُّوا * ويُعظم إن دَعَوا ألّا يُجيبا
ألا ليت الرياحَ لنا رسولٌ * إليكم إنْ شَمَالًا أو جَنُوبا
فتأتيَكم بما قلنا سريعًا * ويبلُغَنا الذى قلتم قريبا
ألَا ياروْض قد عَذّبتِ قلبى * فأصبح من تذكُّركم كئيبا
ورقّقنى هواكِ وكنتُ جَلْدًا * وأبْدَى فى مَفارِقِىَ المَشيبا
أما يُنسيكَ روضةَ شحطُ دارٍ * ولا قُربٌ إذا كانت قريبا

ومما قال فيها أيضا :

طَرِب الفؤاد لطَيْف روضةَ غاشِى * والقومُ بين أباطحٍ وعِشَاشِ(٣)
أنّى اهتديتِ ودون أرضك سَبْسَبٌ * قَفْرٌ وحَزْنٌ فى دُجًى ورَشاشِ
قالت تكاليفُ المحبّ كَلِفْتُها * إنّ المُحبّ إذا أُخيفَ لَماشِى(٤)
أدعوكِ روضةَ رحبَ واْسمكِ غيرُه * شَفَقًا وأخشى أن يَشِى بكِ واشى
قالت فزُرْنا قلتُ كيف أزوركم * وأنا امرؤ لخُروج سِرّك خاشى
قالت فكُنْ لعُمومتى سِلْمًا معًا * والْطُفْ لإخوتىَ الذين تُماشى
فتزورنا معهم زيارةَ آمنٍ * والسرُّ ياوضّاح ليس بفاشى

---

(١) شعوب : موضع قريب من صنعاء ، وكان به قصر معروف بالارتفاع وحواليه بساتين بظاهر صنعاء .

(٢) فى مهذب الأغانى (ج ٣ ص ٢٧ طبع مصر) : « قطعا » .

(٣) العشاش : جمع عشة (بالفتح) ، وهى الأرض القليلة الشجر، وقيل : هى الأرض الغليظة .

(٤) كذا فى الأصول .

ولَقِيتُهـا تمشى بأبطَـحِ مرّةً * بخـلاخلٍ وبحُـلّةٍ أكْباش(١)

فظلِلْتُ معمودًا وبتّ مُسَهَّـدًا * ودموع عيـنى فى الرداء غَواشى

ياروض حبُّك سَلّ جسمى وآنتحى * فى العظم حتى قـد بلغتِ مُشاشى(٢)

وممـا قال فيها ايضا :

طرَق(٣) الخيـالُ فمرحبًا سهلاَ * بخيال مَنْ أهدى لنا الوصْلاَ

وسَرى إلىّ ودون منزله * خمسٌ دوائمُ تُعمِـل الإبْلا(٤)

يا حبّـذا مَنْ زار معتسفًا(٥) * حَزْنَ البـلاد إلىّ والسَّهْلا

حـتى ألمّ بنـا فبِتُّ به * أغْنَى الخلائق كلِّهم شَمْـلا

ياحبذا هى حسبك قدكِ فى(٦) * والله ما أبقيت لى عقـلا

والله مالى عنـكِ مُنْصَرَفٌ * إلا إليكِ فأَجْمِلى الفِعْـلا

حجت أم البنين ورآته فهويته

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا القـاسم بن الحسن المَرْوَزىّ قال حدّثنا العُمَرىّ عن لَقيط والهيثم بن عَدِىّ :

أنّ أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان استأذنت الوليدَ بن عبد الملك فى الحج فأَذِن لها ، وهو يومئذ خليفة وهى زوجته . فقدمت مكّةَ ومعها من الجوارى ما لم يُرَمثلُه حسنًا . وكتب الوليدُ يتوعّد الشعراء جميعًا إن ذكرها أحدٌ منهـم أو ذكر

٣٧ / ٦

(١) الأكباش (بالموحدة) : من برود اليمن . وقد وردت هذه الكلمة فى جميع الأصول (بالمثناة التحتية) ، وهو تصحيف . (راجع شرح القاموس مادة كبش) .

(٢) المشاش : النفس . والمشاش أيضا : رءوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين ، واحده مشاشة .

(٣) فى حـ : «طاف» .

(٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « الأسلا » .

(٥) فى حـ : «... من زائر متعسف» .

(٦) كذا ورد هذا الشطر فى ب ، س ، حـ . وفى سائر الأصول :

* ياحب روضة حبك قد *

وكلاهما غير مستقيم .

أحدًا ممن تبعها. وقدمتْ، فتراءت للناس، وتصدّى لهـا أهلُ الغزَل والشعر، ووقعتْ عينُها على وَضّاح اليمن فهوِيتْه .

حَدّثنا الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنى إبراهيم بن محمد بن عبـد العزيز الزُّهْرِى(١) عن محمـد بن جعفر(٢) مولى أبى هُرَيرة عن أبيـه عن بُدَيح قال :

قَدِمتْ أمُّ البنين بنتُ عبـد العزيز بن مروان وهى عند الوليد بن عبد الملك حاجّةً، والوليدُ يومئذ خليفة. فبعثتْ إلى كُثَيِّر و إلى وضّاح اليمن أنِ انسُبا بى . فأمّا وضّاح اليمن فإنه ذكرها وصرّح بالنّسيب بها ؛ فوجَد الوليـدُ عليه السبيلَ فقتله . وأمّا كُثيّر فعدَل عن ذكرها ونَسَب بجاريتها غاضرة(٣) فقال :

صـــوت

شجا أَظْعانُ غاضرةَ الغَوَادى * بغير مَشُورة(٤) عَرَضًا(٥) فؤادى

أغاضرلو شهدتِ غداةَ بِنْتم * حُنُوَّ العائدات على وِسادى

أَوَيْتِ(٦) لعـاشق لم تشكُيه * بواقـدةٍ تلذّعُ كالزناد

---

(١) كذا فى أ، ى، م . وقد ورد فى الجزء الأول (ص ٢٤٣) من هذه الطبعة : «محمد بن عبد العزيز الزهرى» . وفى ب، حـ : «الجوهرى» . وفى س : «الجوهرى الزهرى» . وكلاهما تحريف» .

(٢) فى حـ «محرز بن جعفر» . (٣) فيا سيأتى فى الأغانى فى خبر كثير وخندق الأسدى فى الجزء الحادى عشر (طبع بولاق) : أن هذا الشعر من قصيدة قالها كثير فى رثاء خنـدق الأسدى لما قتل . وذكرت هناك القصيدة كاملة . (٤) كذا فيا سيأتى فى ب فى الجزء الحادى عشر من الأغانى (ص ٤٧، ٤٩ طبع بولاق) وحـ . وفى جميع الأصول هنا : «بغير مثية» .

(٥) كذا فيا سيأتى بعـد قليل فى حـ وفيا سيأتى فى الجزء الحادى عشر . وفى حـ هنا : «عوضا» . وفى سائر الأصول هنا وفيا يأتى : «غرضا» . والظاهر أن كليهما مصحف عما أثبتناه .

(٦) أويت العاشق : رثيت له وأشفقت عليه . وفى حـ : «رضيت» .

الغناء فى هــذه الأبيات لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشامىّ وحَبَش . قال بُدَيح : فكنتَ لـمّـا حجّتْ أم البنين لا تشاء أن ترى وجهًا حسنًا إلا رأيته معها . فقلت لعُبيد الله بن قيس الرُّقَيات : بمن تشبِّب من هذا القَطين ؟ فقال لى : (١)

وما تصــنع بالسرّ * إذا لم تك مجنونا (٢)

إذا عالجتَ نِقْل الحـ * ـبّ عالجتَ الأمَــرِّينا (٣)

وقـد بُحتَ بأمرٍ كا * ن فى قلبىَ مكنونا

وقد هِجْتَ بما حاولْ * ـتَ أمرًا كان مدفونا

قال : ثم خلا بى فقال لى : اكتُم علىّ، فإنك موضع للأمانة؛ وأنشدنى : (٤)

صــــوت

أصحوتَ عن أمّ البنيـ * ـنَ وذكـرِها وعَنائهـا

وهجرتَهـا هجـرَ امرئٍ * لم يَقْــلُ صفوَ صفائهـا

قُرشـيّةٌ كالشمس أشـ * ـرق نورُهـا ببهائهـا

زادتْ على البِيض الحِسا * نِ بحسنهـا ونقائهـا

لـمّا اسـتكرّتْ للشبـا * ب وقُنّعت بردائهـا

لم تلتفت لِلِـداتهـا * ومضتْ عــلى غُلَوائهـا

لولا هـَوَى أمّ البنيـ * ـنَ وحاجتى للقائهـا

قــد قرّبت لى بغــلةٌ * محبــوســة لنَجائهـا

---

(١) فى ب ، س : «لعبد الله» وهو تحريف . (٢) وردت هذه القصيدة والقصيدتان اللتان بعدها فى الجزء الحادى عشر من هذا الكتاب (ص ٤٩ طبع بولاق) فى خبر كثير وخندق الأسدى باختلاف يسير عما هنا . (٣) الأمرون : الدواهى . (٤) فى ب ، س : «ثم خلانى» . وهو تصحيف .

قال بُدَيح : فلمّا قَتل الوليدُ وضّاحَ اليمن، حَجّتْ بعد ذلك أمُّ البنين محتجبةً لا تكلّم أحدا ، وشخصت كذلك ، فلقيني ابنُ قيس الرقيّات ، فقال : يا بديح ،

صـــوت

[٣٨ / ٦] بان الحبيبُ الذى به تَشقُ (١)(٢) * وآشتدّ دون الحبيبة القَلَقُ

يا من لصَفْراء (٣) فى مفاصلها * لِينٌ وفى بعض بطشها خُرُق

وهى قصـيدة قد ذُكرت (٤) مع أخبار آبن قيس الرقيّات .

الغناء فى الأبيات الأُوَل التى أولها :

* أصحوتَ عن أُمّ البنين *

يُنسب فى موضع آخر إن شاء الله .

أخبرنى الحرمىّ قال حدثنا الزُّبَير قال حدّثنى عمر بن أبى بكر المؤمَّلى (٥) عن عبدالله ابن أبى عُبيدة قال حدثنى كُثَيِّر قال :

حججتُ مع أُمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، وهى زوجة الوليد بن عبـد الملك ، فأرسلت إلىّ وإلى وضّاح اليمن أن انسُبا بى ؛ فهِبْتُ ذلك ونسبت بجاريتها غاضرة ، فقلت :

شجا أظعانُ غاضرة الغَوَادِى (٦) * بغير مَشُورة عَرَضًا فؤادى

---

(١) فى أ ، ء ، م : «الخليط» . (٢) فى حـ : «نشق» بالنون . (٣) فى ب ، س : «لصغرى» وهو تحريف . (٤) لم نجد هذه القصيدة فى أخبار ابن قيس الرقيات المذكورة فى الجزء الخامس من هـذه الطبعة (ص ٧٣ — ١٠٠) . وقد ذكر المؤلف بعض أبيات منها فى الجزء الحادى عشر (ص ٤٩ — ٥٠ طبع بولاق) . (٥) فى حـ : «قال حدّثنى عمر بن أبى بكر الموصلى» . وفى سائر الأصول : «قال حدّثنى عمر ابن عمى عن أبى بكر الموصلى» . (راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من الجزء الرابع من هذه الطبعة والمشتبه للذهبى ص ٣٠٠ طبع ليدن سنة ١٨٦٣ م) .

(٦) راجع الحاشيتين (رقم ٤ و ٥ ص ٢١٩) من هذا الجزء .

أغاضِرَ لو شهِدتِ غداةَ بِنْتم * حُنُوَّ العائدات على وسادى

أوَيْتِ لعاشقٍ لم تشكُميه * بواقدةٍ تلذَّع كالزِّناد

وأمّا وضّاح فنسَب بها، فبلغ ذلك الوليدَ فطلبه فقتله .

أخبرنى عمّى قال حدّثنى محمد بن سعد الكُرَانىّ [(١)] قال حدّثنى أبو عمر العُمَرىّ عن العُتْبىّ قال :

مدح وضّاحُ اليمن الوليدَ بن عبد الملك، وهو يومئذ خليفة، ووعدتْه أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان أن تَرْفِدَه [(٢)] عنده وتقوِّىَ أمره . فقدِم عليه وضّاح وأنشده قولَه فيه :

صــــوت

صبا قلبى ومال إليكِ مَيْلا * وأرّقنى خيالُكِ يا أُثَيْلا [(٣)]

يمانيةٌ تُلِمّ بنا فتُبْدى * دقيقَ محاسنٍ [(٤)] وتُكِنّ غَيْلا [(٥)]

دَعِينا ما أممتُ [(٦)] بناتِ نَعْشٍ [(٧)] * من الطَّيْف الذى يَنْتاب ليلا

ولكنْ إن أردتِ فصبِّحينا * إذا أَمَّتْ ركائبُنا سُهَيْلا [(٨)]

فإنك لو رأيتِ الخيلَ تعدو * سِرَاعاً [(٩)] يتخذن النَّقْعَ ذَيْلا

(١) كذا فى جميع الأصــول وقد مر هذا الاسم فيما سبق من الأجزاء مضطربا بين سعد مرة وسعيد أخرى، ولم نوفق الى ترجيح إحدى الروايتين . (٢) رفده وأرفده : أعانه . (٣) أثيل : ترخيم أثيلة ، وهو اسم امرأة . (٤) كذا فى ب ، س وشرح الحماسة (ص ٣١٦ طبع مدينة بن سنة ١٨٢٨ م) . وفى سائر الأصول وتجريد الأغانى : «وتجن» . (٥) الغيل : الساعد الريان الممتلىء . وفى شرح الحماسة فى التعليق على هذا البيت : «دقيق محاسنها كالعين والأنف والأسنان والفم . وتكن غيلا : أى تستر ما جل منها كالمعصم والساعد والساق والفخذ» . (٦) فى تجريد الأغانى : «ما أممنا» . (٧) بنات نعش : من الكواكب الشامية، وكان غزوه نحو الروم . يقول : دعينى من طيفك حين أؤم بنات نعش، أى حين أقصد قصد الشام للغزو . (٨) يريد إذا اتجهت ركائبنا نحو اليمن . ورواية هذا البيت فى شرح الحماسة وتجريد الأغانى :

ولكن إن أردت فهيجينا * إذا رمقت بأعينها سهيلا

(٩) فى حـ وشرح الحماسة وتجريد الأغانى : «عوابس» .

إذَا لرأيتِ فوقَ الخيـل أُسْدًا(١) * تُفيـد مغانمًـا وتُفيت نيْـلا(٢)
إذا سار الوليـــدُ بنا وسِرْنا * إلى خيـل نَلُفّ بهنّ خَيْـلا
ونَدخل بالسرور ديارَ قـوم * ونُعقِب آخرين أذًى ووَيْلا

فأحسن الوليد رِفْدَه وأجزل صلتَه . ومدحه بعـدّة قصائد . ثم نُمِى إليه أنه شَبّب بأم البنين، لجفاه وأمر بأن يُحجب عنه، ودبر فى قتله .

ومدحه وَضّاح بقوله أيضا :

ما بال عينـــكَ لا تَنام كأنما * طلب الطبيبُ بهـا قَذًى فأضلّهُ
بل ما لقلبـك لا يزال كأنه * نَشوانُ أَنْهله النـــديمُ وعَلّه
ماكنت أحسَب أنْ أبيتَ ببلدةٍ * وأخى بأُخْرى لا أحُـــلُّ محـلّه
كنّا لعَمْـــرُك ناعمين(٣) بغبطـةٍ * مـع ما نُحبّ مبيتَـه ومظَـلّه
فأرى الذى كنّا وكان بغـرّة * نلهـو بغِـرّته ونهـوَى دَلّه
كالطيف وافق ذا هوًى فلهَـا به * حتّى إذا ذهب الرقاد أضـــلّه ٣٩/٦
قـل للذى شَعَف(٤) البـلاءُ فـؤادَه * لا تهلكنّ اخًا فـربّ أخ له
والقَ ابنَ مَروان الذى قـد هزّه * عِرقُ(٥) المكارم والنّـدى فأقـلّه
وٱشْـكُ الذى لاقيتـه من دونه(٦) * وٱنشُرْ إليـــه داءَ قلبـك كلّـه

---

(١) رواية هذا الشطر فى شرح الحماسة :

* رأيت على متون الخيـل جنا *

(٢) كذا فى شرح الحماسة وتجريد الأغانى . يريد : تفيد المغانم من أعدائها وتفيتهم نيل شىء منها . وفى جميع الأصول : «تقيد مغانما وتفيد نيلا» .

(٣) كذا فى تجريد الأغانى . وفى جميع الأصول : «ياعمير» . (٤) فى حـ : «شغف» (بالغين المعجمة)، وهما بمعنى . (٥) كذا فى ب ، س، حـ . وفى سائر الأصول : «عرف» . والعرف (بالضم) : المعروف . (٦) فى حـ وتجريد الأغانى : «من جفوة» .

فعلى ابن مَرْوانَ السلامُ من آمرئ * أمسى يذوق من الرُّقاد أقلّه
شوقًا إليك فما تنالك حالُه * وإذا يحلّ الباب لم يؤذن له
فإليك أعملتُ المطايا ضُمَّرًا * وقطعتُ أرْواحَ الشتاء وطَلَّه(١)
وليَاليًا لو أنّ حاضرَ بَثّها * طرف القضيب أصابه لأشلّه

فلم يزل مجفُوًّا حتى وجَد الوليد له غِرّة، فبعث إليه مَن اختلسه ليلًا فجاءه به، فقتله ودفنه فى داره، فلم يُوقف له على خبر .

قتل الوليد له

وقال خالد بن كلثوم فى خبره :

كان وضّاح قد شبّب بأمّ البنين بنت عبد العزيز بن مَرْوان آمرأة الوليد بن عبد الملك، وهى أم آبنه عبد العزيز بن الوليد، والشرفُ فيهم. فبلغ الوليدَ تشبُّبُه بها، فأمر بطلبه فأُتى به، فأمر بقتله . فقال له ابنه عبد العزيز : لا تفعل يا أمير المؤمنين فتحقِّقَ قولَه ، ولكن افعل به كما فعل معاوية بأبى دَهْبل؛ فإنه لمّا شبّب بآبنته شكاه يزيد وسأله أن يقتله؛ فقال : إذًا تُحقق قولَه ، ولكن تَبَرّه وتحسن إليه فيستحى ويَكُفُّ، ويكذّب نفسه . فلم يقبل منه، وجعله فى صندوق ودفنه حيًّا . فوقع بين رجل من زنادقة الشُّعُوبيّة وبين رجل من ولد الوليد نِفَارٌ خرجا فيه إلى أن أغْلظا المُسَابّةَ ، وذلك فى دولة بنى العبّاس؛ فوضع الشُّعُوبىّ عليهم كتابًا زعم فيه أن أمّ البنين عشِقتْ وَضّاحا ، فكانت تُدخله صندوقا عندها . فوقف على ذلك خادم الوليد فأنهاه إليه وأراه الصندوق، فأخذه فدفنه . هكذا ذكر خالد بن كلثوم والزُّبير ابن بكّار جميعا .

وأخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش فى كتاب المقتالين قال حدّثنا أبو سعيد السُّكّرىّ قال حدّثنا محمد بن حَبيب عن ابن الكلْبىّ قال :

(١) فى تجريد الأغانى : «طله» (بالطاء المهملة)، والطل : أخف المطر وأضعفه . وقيل : هو الندى .

عَشِقتْ أمُّ البنين وَضّاحًا، فكانت تُرسل إليه فيدخل إليها ويُقيم عندها ؛ فإذا خافت وارته فى صندوق عنـدها وأقفلتْ عليه . فأهدى للوليـد جَوْهر له قيمة فأعجبه وٱستحسنه، فدعا خادمًا له فبعث به معه إلى أم البنين وقال : قل لها : إن هذا الجوهر أعجبنى فآثرتُك به . فدخل الخادم عليها مفاجأةً ووضّاح عندها، فأدخلتْه الصنـدوقَ وهو يَرى، فأدّى إليهـا رسالةَ الوليـد ودفع إليهـا الجوهر، ثم قال : يا مولاتى، هَبِينى منه حجرًا؛ فقالت : لا، يٱبنَ اللَّخْناء ولا كرامة . فرجع إلى الوليد فأخبره؛ فقال : كذبتَ يٱبن اللخناء، وأمر به فوُجِئتْ عنقُه . ثم لبس نعليه ودخل على أمّ البنين وهى جالسة فى ذلك البيت تمتشط ، وقد وصف له الخادم الصندوق الذى أدخلته فيه ، فجلس عليه ثم قال لها : يا أمّ البنين، ما أَحَبَّ إليكِ هذا البيتَ من بين بيوتك ! فلِمَ تختارينه ؟ فقالت : أجلس فيه وأختاره لأنه يجمع حوائجى كلَّها فأتناولها منه كما أريد من قرب . فقال لها: هَبِي لى صندوقا من هذه الصناديق؛ قالت : كلُّها لك يا أمير المؤمنين ؛ قال : ما أريدها كلَّها وإنما أريد واحدًا منها؛ فقالت له : خذ أيَّها شئتَ؛ قال : هذا الذى جلستُ عليه؛ قالت: خذ غيرَه فإن لى ٤٠ / ٦
فيه أشياءَ أحتاج إليها؛ قال : ما أريد غيره ؛ قالت : خُذْه يا أمير المؤمنين . فدعا بالخَدَم وأمرهم بحمله، فحمله حتى انتهى به إلى مجلسه فوضعه فيه . ثم دعا عَبيدًا له فأمرهم فحفروا بئرا فى المجلس عميقةً ، فنُحّى البِساط وحُفرت إلى المـاء . ثم دعا بالصندوق فقـال : [ياهذا](١) إنه بلغنا شيء إن كان حقًّا فقد كفّنّاك(٢) ودفنّاك ودفنّا ذكرك وقطعنا أثرك إلى آخر الدهر، وإن كان باطلًا فإنا دفنّا الخشب، وما أهونَ

---

(١) الزيادة عن كتاب أسماء المقتالين من الأشراف فى الجاهلية والإسلام لمحمد بن حبيب، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية (تحت رقم ٥٧ أدب ش) . (٢) كذا فى جميع الأصول ولعلها : « كفيناك » .

ذلك! ثم قُذِف به فى البئر وهِيل عليه الترابُ وسُوِّيت الأرض ورُدّ البساط إلى حاله وجلس الوليد عليه . ثم ما رُئى بعد ذلك اليوم لوضّاح أثر فى الدنيا إلى هذا اليوم . قال : وما رأتْ أمّ البنين لذلك أثرًا فى وجه الوليد حتى فرّق الموت بينهما .

مرضت أم البنين وهو فى دمشق فقال شعرا

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنى مصعب بن عبد الله قال :

مَرِضت أم البنين ووضّاحٌ مُقيم بدمشق ، وكان نازلًا عليها ؛ فقال فى علّتها :

صــــوت

حتّامَ نَكْتُمُ حزنَنا حتّامَا * وعَلامَ نستبقى الدموعَ عَلامَا
إن الذى بى قد تفاقم واعتلى * ونما وزاد وأَوْرَث الأسقاما
قد أصبحت أمُّ البنين مريضةً * نَخشى ونُشفِق أن يكون حِماما
يارَبِّ أَمْتِعْنى بطول بقائها * واجْبُرْ بها الأرمال والأيتاما
واجبر بها الرجلَ الغريب بأرضها * قد فارق الأخوالَ والأعماما
كم راغبين وراهبين وبُؤَّسٍ * عُصِموا بقرب جَنابها إعصاما
بجنابِ ظاهرةِ الثَّنا (١) محمودةٍ * لا يُستطاع كلامُها إعظاما

الغناء فى الأول والثانى والثالث والرابع والخامس لحَكَم الوادى خفيفُ رمل بالوسطى ، عن الهشامى وعبد الله بن موسى . ومما وجد فى روايتى هارون بن الزيّات وابن المكىّ فى الرابع (٢) ثم الخامس ثم الأول والثانى لعمر الوادى خفيفُ رمل ، من رواية الهشامى .

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : «الثناء» . الثنا ، كما قال الجوهرى ، فى الخير خاصة . الثنا (بالقصر) : مثل الثنا إلا أنه فى الخير والشر . (٢) كذا فى ا ، ء ، م . وفى سائر الأصول : «وفى الرابع» .

شبب بفاطمة بنت عبد الملك فدفنه الوليد فى بئر وهو حى

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا مصعب قال : بلغ الوليدَ بن عبد الملك تشبُّبُ وَضّاح بأمّ البنين فهَمّ بقتله . فسأله عبد العزيز ابنُه فيه، وقال له : إن قتلته فضحتَنى وحقّقتَ قولَه، وتوهّم الناسُ أن بينه وبين أمّى ريبة. فأمسك عنه على غيظ وحَنَق، حتى بلغ الوليدَ أنه قد تعدّى أمَّ البنين إلى أخته فاطمةَ بنت عبد الملك، وكانت زوجةَ عمرَ بنِ عبد العزيز رضى الله تعالى عنه، وقال فيها :

بنتُ الخليفة والخليفـــة جدُّها ٭ أختُ الخليفة[1] والخليفة بعلُهـا
فَرِحتْ قوابلُها بها وتبـاشرتْ ٭ وكذاك كانوا فى المَسَرّة أهلُهـا

فأَحْنق[2] واشتدّ غيظه وقال : أمَا لهذا الكلب مُزْدَجَرٌ عن ذكر نسائنا وأخواتنا، ولا له عنّا مذهب ! ثم دعا به فأُحضر، وأمر ببئر فحُفرتْ ودفَنه فيها حيًّا .

شعر له ٤١/٦

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال أخبرنى عبد الملك ابن عبد العزيز عن يوسف بن الماجِشُون قال :

أنشدت محمدَ بن المنكدِر قولَ وَضّاح :

فمـا نولتْ حتى تَضَرّعتُ عندها ٭ وأعلمتُها ما رخّص اللهُ فى اللَّمَمْ

قال : فضحك وقال : إن كان وضّاح إلا مُفْتِيًا لنفسه . وتمام هذه الأبيات :

ترجّل[3] وَضّاحٌ وأَسْبل بعـدما ٭ تَكَهّل حينًا فى الكهول وما احتَلَمْ
وعُلِّق بيضاءَ العوارض طَفْـلَةً ٭ مُخَضَّبـة الأطراف طيّبـةَ النَّسَمْ

---

(١) فى ح : « الخلائف » .

(٢) كذا فى ح . وأحنق الرجل إذا حقد حقدا لاينحل . وفى سائر الأصول : « فاحتنق » وهو تحريف . (٣) الترجل والترجيل : تسريح الشعر .

إذا قلتُ يومًا نَوِّلينى تبسّمتْ * وقالت مَعاذَ اللهِ مِن فِعْلِ ما حَرُم

فما نَوّلتْ حتى تضرّعتُ عندها * وأعلمتُها ما رَخّص اللهُ فى اللّمَم

رثى أباه وأخاه بشعر وهو عند أم البنين

أخبرنى عمى قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدثنا العُمَرىّ عن العُتْبىّ فى خبره الأوّل المذكور من أخبار وَضّاح مع أمّ البنين قال :

كان وضّاح مقيمًا عند أم البنين، فورد عليه نعىُ أخيه وأبيه[(١)] ؛ فقال يرثيهما :

أَراعك طائرٌ بعد الخُفُوقِ * بفاجعةٍ مُشَنَّعة الطُّروقِ

نعم ولَهًا على رجل عَميد * أَظَلُّ كأننى بشَرِقٍ بريق

كأنى إذ علمتُ بها هُدُوًّا * هوتْ بى عاصفٌ من رأس نِيق[(٢)]

أُعَلُّ بزفرة من بَعْد أُخرى * لها فى القلب حَرٌّ كالحريق

وتَرْدُف عَبْرةٌ تَهتانَ أُخرى * كفائض غَرْب نَضّاح فتيق

كأنى إذ أُكَفْكِفُ دمعَ عينى * وأَنْهاها أقول لها هَريق

ألَا تلك الحوادث غِبْتُ عنها * بأرض الشام كالفرد الغريق

فما أنفكُّ أنظر فى كتاب * تُدارى النفسُ عنه هوًى زَهوق[(٣)]

يُخَبِّر عن وفاة أخٍ كريم * بعيدِ الغور نَفّاع طَليق

وقَرْمٍ يُعرِض الخُصْمانُ[(٤)] عنه * كما حاد البِكارُ عن الفَنيق[(٥)]

---

(١) يلاحظ أن أبا وضاح توفى ووضاح صغير كما مر فى أول الترجمة . (٢) النيق . أعلى موضع فى الجبل . (٣) الزهوق : الهالك . (٤) كذا فى ب ، س ، حـ . وفى سائر الأصول : « الخصماء » . وكلاهما جمع لخصيم . (٥) البكار : جمع بكر وهو الفتى من الإبل . والفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب .

كريم يملأ الشِّيزَى(١) ويَقْرِى * إذا ما قلّ إيماضُ البُروقِ
وأعظم ما رُميتُ به بَجُوعًا(٢) * كتابٌ جاء من فَجٍّ عميقِ
يُخبِّر عن وفاة أخٍ فصبرًا * تنجَّزْ وعدَ منّانٍ صدوقِ
سأصبر للقضاء فكل حىّ * سيلقى سَكْرة الموت المَذوقِ
فما الدنيا بقائمة وفيها * من الأحياء ذو عين رَموقِ
وللأحياء أيّامٌ تَقَضَّى * يَلُفّ ختامُها سُوقًا بسُوقِ
فأغناهم كأعدمهم إذا ما * تقضّتْ مُدّةُ العيش الرقيقِ
كذلك يُبعثون وهم فُرادَى * ليوم فيه تَوْفِيةُ الحُقوقِ
أَبعدَ هُمَام قومك ذى الأيادى * أبى الوضّاح رتّاق الفُتوقِ
وبعد عُبيدةَ المحمودِ فيهم * وبَعدَ سَماعةَ العَوْدِ العَتيقِ
وبعد ابن المفضَّل وابن كافٍ * هما أخواك فى الزمن الأنيقِ
تؤمِّل أن تعيش قرير عينٍ * وأين(٣) أمامَ طَلّابٍ لَحُوقِ(٤) ٤٢/٦
ودنياك التى أمسيتَ فيها * مزايلةُ الشقيق عن الشقيقِ

ومما قاله فى مَرْثِيَةِ أهله وذكْر الموت وغُنّى فيه — وإنما نذكر منها ما فيه غناء لأنها طويلة — :

صوت

مالكَ وَضّاحُ دائمَ الغَزَلِ * ألستَ تخشى تقارُبَ الأجلِ
صلِّ لذى العرش واتَّخِذْ قَدمًا * تُنجيك يوم العِثار والزَّلَلِ

(١) الشيزى : خشب أسود تعمل منه القصاع . وقد يطلق على ما صنع من ذلك فيقال للجفان شيزى ، كما أريد هنا . (٢) الفجوع : الفاجع ، فعول للمبالغة . (٣) كذا فى ب ، س ، حـ . وفى سائر الأصول : « وأنت » . (٤) كذا فى حـ : وفى سائر الأصول « طلاب المحوق » .

يا موت ما إن تزال معترضًا * لاملٍ دون منتهى الأَمل
لو كان مَنْ فرَّ منك منفلتاً(١) * إذًا لأسرعتُ رحلةَ الجَمل
لكنّ كفَّيْك نال طولُهما * ما كلّ عنه نجائبُ الإبل
تنال كفَّاك كلّ مُسْهِلة * وحُوتَ بحرٍ ومَعْقِلَ الوَعِل
لولا حِذارى من الحُتُوف فقد * أصبحتُ من خوفها على وَجَل
لكنتُ للقلبِ فى الهوى تَبَعًا * إنّ هواه ربائبُ الحَجَل
حِرْمية(٢) تسكن الحجازَ لها * شيخٌ غيور يعتلّ بالعِلل
عُلّق قلبى ربيبَ بيت(٣) ملو * كٍ ذاتَ قُرطين وَعْثَة(٤) الكَفَل
تَفْتَرُّ عن مَنْطِقٍ تَضَنّ به * يَجرى رُضاباً كذائب العسل

قال شعرا يشبب بحبابة قبل أن يشتريها يزيد بن عبد الملك

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنى سليمان بن أبى أيّوب عن مُصْعَب قال :

قال وَضّاح اليمن فى حَبابة جاريةِ يزيد بن عبد الملك ، وشاهدها بالحجاز قبل أن يشتريها يزيد وتصير إليه، وسمع غناءَها فأُعجب بها إعجاباً شديدا :

صـــوت

يا مَن لقلبٍ لا يُطيـ * ـع الزاجرِين ولا يُفيق
تسلو قلوبُ ذوى الهوى * وهو المكلَّف(٥) والمَشوق
تَبَلَت(٦) حَبابةُ قلبه * بالدَّلّ والشكل الأَنيق

(١) كذا صححها المرحوم الأستاذ الشنقيطى بهامش نسخته . وفى جميع الأصول « منقلبا » .
(٢) حرمية : نسبة إلى الحرم (بالتحريك) على غير قياس . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « بنت ملوك » . وهو تصحيف . (٤) يقال : امرأة وعثة : أى كثيرة اللحم كأن الأصابع تسوخ فيها من لينها وكثرة لحمها . (٥) كلف به كلفا : إذا ولع به فهو كلف ومكلف . (٦) تبله الحب : أسقمه .

وبعينى أحورَ يرتعى * سَقَطَ الكثيبِ من العقيقْ [1]
مكحولة بالسحر تَمْـ * ـشِى نشوةَ الخمر العَتيق
هيفاء إن هى أقبلتْ * لاحت كطالعة الشروق
والردفُ مثلُ نقًا تلـ * ـبَّد فهو زُحلوق زَلُوق
فى درّة الأصداف معـ * ـتنقًا بها رَدْع الخَلوق [2]
دَاوِى هوايَ وأَطْفِئِى * مافى الفؤاد من الحريق
وترفَّقى أملى فقد * كلّفتِنى مالا أُطيق
فى القلب منك جوَى المُحـ * ـبّ وراحةُ الصبّ الشَّغيق
هذا يقود برُمّتى [3] * قودًا إليك وذا يسوق
يا نفسُ قد كلّفتِنى * تَعبَ الهوى منها فذوق [4]
إن كنتِ تائقةً لحـ * ـرّ صبابة منها فَتُوق [4]

٤٣ / ٦

وبما قاله فى روضة وفيه غناء قوله : — شعره فى روضة

صـوت

يا لَقَومى لِكثرة العذّال * ولطيف سرى مليح الدَّلالِ
زائر فى قصور صنعاءَ [5] يَسْرى * كلَّ أرض مخوفة وجبال

(١) سقط الكثيب : منقطعه . (٢) الخلوق (كرسول) : ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران . والردع : أثر الطيب فى الجسد . (٣) الرمة : قطعة حبل يشدّ بها .
(٤) أصله : « فذوقى » و « فتوقى » . فحذفت الياء لضرورة القافية .
(٥) راجع ما كتبه أبو محمد الحسن بن أحمد الهمدانى المتوفى فى سجن صنعاء سنة ٣٣٤ هـ عن هذه القصور فى الجزء الثامن من كتابه الإكليل المطبوع فى بغداد سنة ١٩٣١ م فقد وصفها وصفا شافيا وذكر أقوال الشعراء فى مدحها .

— والغناء لابن عبّاد عن الهشامىّ رمل — وهذه الأبيات من قصيدة له فى روضة طويلة جيّدة يقول فيها :

يقطع الحَزْنَ والمَهامِهَ والبِيـ * ـدَ ومِنْ دونه ثمانُ ليالِى
عاتبٌ فى المنام أحْبِبْ بعُتْبا * ه إلينا وقولِه مِن مَقالِ
قلت أهلًا ومرحبًا عَددَ القَطْـ * ـرِ وسهلًا بطَيف هذا الخَيالِ
حبّذا مَنْ إذا خلونا نَجِيًّا * قال : أهلِى لك الفِداء ومالى
وهى الهمّ والمُنى وهوى النفْـ * ـسِ إذا اعتلّ ذو هوًى باعتلالِ
قِسْتُ ما كان قبلنا من هوى النا * سِ فما قِسْتُ حبَّها بمِثالِ
لم أجد حبَّها يُشاكله الحبُّ * ولا وَجْدَنا كوَجْد الرجالِ
كلّ حبٍّ إذا آستطال سيَبْلَى * وهوى روضةِ المُنى غيرُ بالى
لم يَزِده تقادُمُ العهد إلّا * جِدّةً عندنا وحسنَ احتلالِ
أيها العاذلون كيف عتابى * بعد ما شاب مَفْرِقى وقَذالِى
كيف عَذْلى على التى هى منّى * بمكان اليَمين أُختِ الشِّمالِ
والذى أحْرموا له وأحلّوا * بمِنًى صُبحَ عاشراتِ الليالى (١)
ما ملكتُ الهوى ولا النفسَ منّى * مُنذ عُلِّقتُها فكيف احتيالى
إن نأتْ كان نأيُها الموتَ صِرْفًا * أو دنتْ لى فثمّ يبدو خَبالى
يابنةَ المالكىّ يا بَهجة النفـ * ـسِ أفى حبّكم يَحِلُّ اقتتالى
أىّ ذنب علىّ إن قلتُ إنى * لأُحبّ الحجازَ حبَّ الزُّلالِ
لأُحبّ الحجازَ مِنْ حبّ مَنْ فيـ * ـه وأهوى حِلالَه مِن حِلالِ (٢)

---

(١) يريد صبح الليلة العاشرة من ذى الحجة .

(٢) الحلال : جمع حلة (بالكسر) وهى المحلة ، أو القوم النزول فيهم كثرة .

صـــــوت

وممّا فيه غناء من شعر وضاح :

أيهـا النّـاعِبُ ماذا تقولُ * فكِـلانا سـائلٌ ومَسولُ
لا كساكَ اللهُ ما عشتَ ريشًا * وبخـوفٍ بتَّ ثم تَقيـــل(١)
ثم لا أنْقَفْتَ(٢) فى العُشِّ فرخًا * أبدًا إلا عليـــك دليـــل
حين(٣) تُنبي أنّ هنـدًا قريبٌ * يبلُغ الحاجاتِ منها الرسول
ونأت هنـد فَخَبَّرْتَ عنهـا * أن عهد الودّ سوف يزول

ومنهـا :

صـــــوت

حيِّ التى أَقْصَى فؤادِكَ حَلّتِ * علمتْ بأنك عاشــقٌ فادلّتِ ٤٤ / ٦
وإذا رأتك تقلقلتْ أحشاؤُها * شوقًا إليـك فأكثرتْ وأَقَلّتِ
وإذا دخلتَ فأُغلِقتْ أبوابُهـا * عزم الغيورُ حجابهـا فاْعتلّت
وإذا خرجتَ بكتْ عليكَ صبابةً * حتى تَبُـلّ دموعُهـا ما بَلّت
إن كنتَ يا وضّاح زرتَ فمرحبًا * رَحُبَتْ عليـك بلادُنا وأظلّت

الغناء لابن سُرَيج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيها ليحيى المكيّ ثانى ثقيـل بالوسـطى، من كتابه . ولابنه أحمدَ فيها هزج . وذكر حَبَش أن ليحيى فيهـا أيضا خفيفَ ثقيل .

---

(١) كذا فى حـ وهامش نسخة المرحوم الأستاذ الشنقيطى مصححة بقلمه . وفى سائر الأصول : « ثقيل » (بالثاء المثلثة)، وهو تصحيف . (٢) أنقف الفرخ : استخرجه من البيضة . وفى أ ، ء ، م : « ثم لا أبقيت » . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « حيث » .

ومنهـا :

صـــوت

أتعـرف أطـلالاً بمَيْسرة اللِّوَى * إلى أَرْعب(١) قد حالفتكَ(٢) به الصَّبَا
فأهـلًا وسهلًا بالتى حـلّ حبُّها * فؤادى وحلّت دارَ شَحْط من النَّوى

— الغناء فيـه هَزَجٌ يمَنىّ بالبنصر عن ابن المكىّ — وهـذه أبيات يقولها لأخيه سَماعةَ، وقد عتب عليه فى بعض الأمور . وفيها يقول :

أُبادر دُرْنوكَ(٣) الأمـير وقُـرْبَه * لأُذْكَرَ فى أهْـل الكرامة والنُّهى
وأَتْبَـع القُصّاصَ كلَّ عشيّة * رجاءَ ثواب الله فى عَـدد الخُطا
وأمستْ بقصر يضرب الماءُ سورَه * وأصبحتُ فى صنعاءَ ألتمس النّدى
فمن مُبلِغٌ عنّى سماعةَ ناهيًا * فإن شئتَ فاقطعنا كما يُقْطَع السَّلَى(٤)
و إن شئتَ وصلَ الرّحْمِ فى غير حيلة * فعلنا وقُلْنا للذى تشتهى بلَى
و إن شئتَ صُرْمًا للتفرّق والنّوى * فبُعْـدًا، أدام الله تفـرقةَ النّوى

ومنهـا :

صـــوت

طرَق الخيالُ فمرحبًا ألفًا * بالشاغفات قلوبَنا شَغْفَا
ولقد يقول لىَ الطبيبُ وما * نبَّأتُه من شأننا حَـرفا:

---

(١) كذا ذكره صاحب معجم البلدان (بالراء المهملة) . وقال : «أرعب (بالفتح ثم السكون وعين مهملة والباء موحدة) : موضع فى قول الشاعر» . وساق هذين البيتين . وفى جميع الأصول : «أزعب» . (بالزاى المعجمة) . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «قد خالفتك» (بالخاء المعجمة) .

(٣) الدرنوك : الطنفسة وضرب من البسط أو الثياب له خمل قصير تحمل المناديل و به تشبه فروة البعير والأسد . (٤) السلى : الجلدة التى يكون فيها الجنين من الناس والمواشى ، فإن انقطع فى البطن هلكت الأم وهلك الجنين .

إني لأحسب أنّ داءَك ذا * مِن ذى دَمَاجَ يخضب الكفّا .
إني أنا الوضّاح إنْ تَصِلى * أُحسِنْ بك التشبيبَ والوَصْفا
شطّتْ فشفّ القلبَ ذِكْرُكَها * ودنتْ فما بذلتْ لنا عُرْفا

ومنها :

صــــوت

— ويُروى لبشّار —

يا مــرحبًا ألفًا وألفًا * بالكاسراتِ إلىّ طَـرْفًا
رُجُح الرّوادف كالظِّبا * ء تعرّضت حُوًّا ووُطْفًا (١)
أنكرنَ مركبىَ الحِما * رَوكُنّ لا يُنْكِرن طِرْفًا (٢)
وسألننى أينَ الشبا * بُ فقلتُ بَانَ وكان حِلْفًا
أفْنَى شبابى فانقضى * حِلْفُ النساء تَبِعن حِلْفًا
أعطيتهنّ مودّتى * فجزيْنَنى كذبًا وخُلْفًا
وقصائدٌ مثلُ الرُّقَى * أرسلتُهن فكنّ شَغْفًا ٤٥/٦
أوجعن كلّ مُغازِلٍ * وعَصَفْن بالغَيران عَصْفًا
من كل لذّات الفتى * قد نلتُ نائلةً وعُرْفًا
صِدتُ الأوانسَ كالدُّمى * وسقيتُهنّ الخمرَ صِرْفًا

ومنها : — وهذه القصيدة تجمع نسيبَه بمن ذكر وفخرَه بأبيه وجدّه أبى جُمَد —

---

(١) الحو : جمع حواء، وهى التى بها لون الحوة، وهى سواد إلى خضرة، وقيل : حمرة إلى سواد. والحوّة أيضا سمرة الشفة . والوطف : جمع وطفاء، وهى كثيرة شعر أهداب العينين . (٢) الطرف : الكريم من الخيل .

صـــــوت

أغنى[1] على بيضاءَ تَنْكَلُّ[2] عن بَرَدْ * وتمشى على هَوْنٍ كِمشْية ذى الحَرَدْ[3]

وتلبَس من بَـزِّ العـراق مَناصِـفًا * وأبـرادَ[4] عَصْبٍ[5] من مُهَلْهَلَةِ الجَنَـدْ[6]

إذا قلت يـومًا نَوِّليــنى تبسمتْ * وقالت لعمـرُ الله لو أنه ٱقتصـدْ

سموتُ إليهـا بعــدَ ما نام بعلُهـا * وقد وسّدتْه الكفَّ فى ليلة الصَّرَدْ[7]

أشارت بطرف العين أهلًا ومرحبًا * ستُعطَى الذى تهوَى على رغم مَنْ حسدْ

ألستَ ترى مَنْ حولنـا مِنْ عدوِّنا * وكل غلام شـامخ الأنف قـد مَرَدْ[8]

فقلت لهـا إنى ٱمرؤٌ فٱعلمِنَّـــه * إذا ما أخذتُ السيفَ لم أحفِلِ العَدَدْ

بَنَى لىَ إسماعيلُ مجـدًا مُؤثـلًا * وعبـدُ كُلالٍ قبـ[9]ـله وأبو جَمَـدْ

تُطيف علينـا قهـوةٌ فى زجاجةٍ * تُريك جبانَ القوم أمضى من الأسدْ

ومنهـا :

صـــــوت

يأيهـا القلبُ بعضَ ما تجدُ * قد يعشَق القلبُ ثم يتَّئِـدُ

قد يكتُم المـرءُ حبَّـه حِقَبًا * وهو عَميـدٌ وقلبُـه كَمِـدُ

ماذا تُراعون من فتًى غَزِلٍ * قد تيَّمتْـه خَمْصـانةٌ رُؤُدُ

يهـدّدونى كيما أخافَهـمُ * هيهاتَ أنَّى يُهدَّد الأسـدُ

---

(١) كذا فى جميع الأصول. ولعلها: «أعنى» (بالعين المهملة)، أمر من الإعانة. (٢) تنكل: تفتر وتبسم. (٣) الحرد: ثقل الدرع على المدرع فلا يقدر على الانبساط فى المشى، أو هو داء يأخذ الإبل فى اليدين دون الرجلين فتسترخى أيديها. (٤) فى حـ: «أكياش»، وهى والأبراد بمعنى واحد. (٥) العصب: ضرب من برود اليمن، واحده وجمعه سواء، يقال: برد عصب وبرود عصب بالإضافة. (٦) الجند (بالتحريك): مدينة باليمن بينها وبين صنعاء ثمانية وأربعون فرسخا. (٧) الصرد (بسكون الراء وفتحها): البرد وقيل شدته. (٨) مرد: عتا وبلغ الغاية. (٩) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «بعده».

ومنهـا :

صـــــوت

صـدَع(١) البَيْنُ والتفرُّقُ قلبى * وتولّت أمُّ البنينِ بِلُبِّى
ثَوتِ النفسُ فى الحُمول لديها * وتولَّى بالجسم منّى صَحْبى
ولقد قلتُ والمدامعُ تَجرى * بدموعٍ كأنها فَيْضُ غَرْب
جزَعًا للفـراق يوم تولّت : * حَسْبِىَ اللهُ ذوالمَعارجِ حسبى

ومنهـا :

صـــــوت

يا بنةَ الواحد جودى فمـا * إن تَصْـــرِمينى فَبِما أو لِمَـا
جُودى علينا اليومَ أو بَيِّنى * فِـيمَ قتلتِ الرجـلَ المُسلِما
إنى وأيدِى قُلُصٍ ضُمَّـرٍ * وكلِّ خِرْقٍ(٢) وَرَدَ المَوْسِمـا
ما عُلِّق القلبُ كتعليقها * واضـعةً كفًّا علَتْ مِعصَما
رَبّةُ(٣) محـرابٍ إذا جئتُهـا * لم ألقَهـا أو أرتـقى سُلَّما
إخوتُها أربعــةٌ كلُّهـم * ينفون عنها الفارسَ المُعلَمَـا ٤٦/٦
كيف أُرجِّيها ومِنْ دونها * بَوّابُ سُـوءٍ يُعجل المَشْـتَما
أسودُ هَتّاكٌ لأعراضِ مَنْ * مرّ على الأبواب أو سَلّمـا
لا مِنّـةً أَعْـلَمُ كانت لهـا * عندى ولا تطلُب فينا دما
بل هى لمّـا أن رأت عاشقًا * صبًّا رمتْه اليـومَ فيمن رَمى
لمّـا ارتمينـا(٤) ورأت أنّهـا * قد أثبتتْ فى قلبـه أسهُما

---

(١) فى حـ : «صرع» . (٢) الخرق : الفتى الحسن الكريم الخليقة . (٣) كذا فى اللسان (مادة حرب) . وفى الأصول : «ورب محراب» ، وهو تحريف . (٤) ارتمينا : ترامينا .

أعجبها ذاك فأبْدت له * سُنّتَها[(١)] البيضاءَ والمِعْصَما

قامت تراءَى لى على قَصْرها * بين جَوارٍ خُرَّدٍ كالدُّمى

وتَعقِد المِرْط على جَسْرةٍ[(٢)] * مثلِ كَثيب الرمل أو أعْظَما

ومنها :

صوت

دعاكَ من شوقك الدَّواعى * وأنت وضّاحُ ذو اتباعِ[(٣)]

دعتْك مَيّالةٌ لَعُوبُ * أَسيلة الخد باللِّماع

دلالُكِ الحُلْو والمشهّى * وليس سرِّيك بالمُضاع

لا أَمنع النفسَ عن هواها * وكلّ شىء إلى انقطاع

ومنها :

صوت

ألَا يا لَقومى أَطْلِقوا غُلَّ مرتَهَنْ * ومُنّوا على مُستشعِر الهمّ والحَزَنْ

تذكَّرَ سَلْمى وَهْى نازحةٌ فَحَنّْ * وهل تنفع الذكرى إذا اغترب الوطنْ

ألم تَرَها صفراءَ رُؤْدًا شبابُها * أسيلةَ مجرى الدمع كالشّادن الأَغَنّ

وأبصرتُ سَلْمى بين بُرْدَىْ مَراجِلٍ[(٤)] * وأبراد عَصْب من مُهلْهَلة اليمن

فقلتُ لها لا تَرتقِ السطحَ إننى * أخاف عليكم كلَّ ذى لِمّة حَسَن

---

(١) السنة : الوجه ، وقيل : الجبهة والجبينان ، وقيل : غير ذلك . (٢) المرط (بالكسر) : كساء من صوف أو خز أوكتان يؤتزر به ، وربما تلقيه المرأة على رأسها وتتلفع به . والجسر : كل عضو ضخم ، ويريد بالجسرة هنا العجيزة . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « ذو تباع » .

(٤) المراجل : ضرب من برود اليمن عليه تصاوير .

الغناء لابن سُرَيج، وله في هذا الشعر لحنان : ثقيل أول بالبنصر عن عمرو، ورمل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وأول الرمل قولُه :

* ألا يا لَقومى أطلقوا غلَّ مرتَهَن *

وأول الثقيل الأول : « تذكَّرَ سلمى » . وفي هذه الأبيات هَزَج يمنيّ بالبنصر .

ومنها :

صوت

أغدوتَ أمْ في الرائحين تَرُوحُ * أم أنت من ذِكْرِ الحسان صحيحُ
إذ قالت الحسناءُ ما لصديقنا * رثُّ الثياب وإنه لمليح
لا تسألنّ عن الثياب فإنني * يومَ اللقاء على الكُماة مُشيح
أَرْمِي وأطعَن ثم أُتبِع ضربةً * تَدَعُ النساءَ على الرجال تنوح

* * *

صوت

من المائة المختارة

يا صاح إني قد حججـ * ـتُ وزُرت بيتَ المَقْدس
وأتيت لُدًّا(1) عامدًا * في عيد مَرْيَا(2) سَرْجِس
فرأيتُ فيه نِسوةً * مثلَ الظباء الكُنَّس

٤٧ / ٦

الشعر والغناء للمُعَلَّى بن طَريف مولى المَهديّ . ولحنه المختار خفيف رمل بالبنصر.

وكان المُعلّى بن طَريف وأخوه ليث مملوكين مولَّدين من مولّدى الكوفة لرجل من أهلها ، فاشتراهما عليّ بن سليمان وأهداهما إلى المنصور، فوهبهما المنصور للمهديّ

(1) كذا في المسالك والممالك لابن خرداذبه ومعجم البلدان . ولدّ (بالضم والتشديد) : قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين . وفي سائر الأصول : « فدا» . وفي حـ : « بدا » وهما محرفان .

(2) في المسالك والممالك لابن خرداذبه : «مريا جرجس» .

فاعتقهما. ونهر المعلّى ورَبَض[1] المعلّى ببغداد منسوب إلى المعلّى — هكذا ذكر ذلك ابن خُرْداذبه — وكان ضاربًا محسنا طيّب الصوت حسنَ الأداء صالح الصنعة، أخذ الغناء عن إبراهيم وابن جامع وحَكَم الوادى. وولّى أخوه ليثٌ السِّنْدَ، وولّى هو الطِّراز[2] والبريدَ بخراسان، وقاتل يوسف البَرْم فهزمه، ثم وُلّى الأهوازَ بعد ذلك. فقال فيه بعض الشعراء يمدحه ويمدح أخاه الليثَ ويهجو عليَّ بن صالح صاحبَ المُصلَّى[3]:

يا علىَّ بنَ صالحٍ ذا المصلّى[4] * أنت تَفْدى لَيْثًا وتفدى المعلّى
سَدّ ليثٌ ثغرًا ووُلّيت فاختـ * ـتَ فبئس المَولى وبئس المولّى

وعلىّ بن سليمان هذا الذى أهدى المُعَلّى وأخاه إلى المهدىّ هو الذى يقول فيه أبو دُلامة زَنْد[5] بن الجَوْن الأسَدىّ، وكان خرج مع المهدىّ إلى الصيد، فرمى المهدىّ وعلىّ بن سليمان ظبياً سنح لهما، وقد أُرسلت عليه الكلاب، بسهمين، فأصاب المهدى الظبيَ وأصاب علىّ بن سليمان الكلبَ فقتلاهما. فقال أبو دُلامة:

قد رمى المهدىُّ ظبيًا * شكّ بالسهم فؤادَه
وعلىُّ بنُ سُليما * نَ رَمى كَلْبًا فصاده
فهنيئًا لهما كلُّ * امرئٍ يأكل زادَه

حدّثنا بذلك الحسن بن علىّ عن أحمد بن زُهَير عن مصعَب، وعن أحمد بن سعيد عن الزُّبير بن بكّار عن عمّه.

(١) الربض (محركة): الناحية، وما حول المدينة من بيوت ومساكن. والأرباض كثيرة جدا، وقلما تخلو مدينة من ربض. ذكر منها ياقوت فى معجمه ما أضيف فصار كالعلم أو نسب إليها أحد من العلماء، ولم يذكر «ربض المعلى» من بينها. (٢) يريد ديوان الطراز وهو الذى تنسج فيه الثياب.
(٣) كذا صححها المرحوم الشيخ الشنقيطى على هامش نسخته. وفى جميع الأصول: «المعلى» وهو تحريف. راجع الطبرى فى اسم على بن صالح هذا. (٤) فى جميع الأصول: «ذى» وهو تحريف.
(٥) فى جميع الأصول هنا: «زيد» (بالياء المثناة)، وهو تصحيف. (راجع ترجمته فى الجزء التاسع من الأغانى ص ١٢٠ — ١٤٠ طبع بولاق).

صـــــوت

من المـائة المختـارة

ألَا طَرَد الهوى عنّى رُقَادِى * فحسبى ما لَقِيتُ من السُّهادِ
لعبدةَ إنّ عبدةَ تَيّمتْنى * وحلّت من فؤادى فى السّواد

الشعر لبشّار . والغناء المختار فى هذين البيتين هزجٌ خفيف بالبنصر، ذكر يحيى بن علىّ أنه يمنىّ، وذكر الهشامىّ أنه لسُلَيم .

أخبار بشّار وعَبْدة خاصة

إذ كانت أخباره(١) سوى هذه تقدّمت

حبه لعبدة وشعره فيها

حدّثنى محمد بن خَلَف وكيع قال حدثنا أبو أيوب المَدينى عمن حدّثه عن الأصمعىّ هكذا قال، وأخبرنى به عمّى عن عبد الله(٢) بن أبى سعد عن علىّ بن مسرور عن الأصمعىّ قال :

كان لبشّار مجلسٌ يجلس فيه يقال له البَرْدَان . فبينا هو فى مجلسه ذاتَ يوم وكان النساء يحضُرْنه ، إذ سمع كلامَ آمرأة يقال لها عَبْدة فى المجلس ، فدعا غلامَه فقال : إنى قد عُلِّقت آمرأة، فإذا تكلمتْ فآنظر مَنْ هى وآعرِفْها، فإذا آنقضى المجلسُ وآنصرف أهلُه فآتْبَعها وكلّمها وأَعْلِمها أنّى لها محبّ وأَنْشِدْها هذه الأبياتَ وعرِّفْها أنى قلتُها فيها : ٤٨/٦

صــوت

قالوا بمَنْ لاترى تَهْذِى فقلتُ لهم * الأذْنُ كالعين تُوفِى القلبَ ما كانا
ما كنتُ أوّلَ مشغوف بجارية * يَلْقَى بِلُقْيانها رَوْحا ورَيْحانا

— ويروى : هل من دواء لمشغوف بجارية —

يا قوم أُذْنى لبعض الحىّ عاشقةٌ * والأُذْن تعشق قبل العين أحيانا

— غنّى إبراهيم فى هذه الأبيات ثانىَ ثقيلٍ بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر، عن إسحاق. وفيها لِسِيَاطٍ ثقيلٌ أول بالوسطى، عن عمرو. وفيها لإسحاق هَزَج من جامع أغانيه — قال : فأبلغها الغلامُ الأبياتَ، فهَشّتْ لها ، وكانت تزوره مع نسوة

(١) يلاحظ أن بعض الأخبار المذكورة هنا تقدّمت فى ترجمته فى الجزء الثالث من هذه الطبعة .

(٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « عبيد الله » وهو تحريف .

يَصْحَبنها فيأ كلن عنده ويشربن وينصرفن بعد أن يحدّثها ويُنشـدَها ولا تُطمعه في نفسها . قال : وقال فيها :

قالت عُقَيـل بنُ كعب(١) إذ تعلّقها * قلبي فأضحى به من حبّها أثَرُ
أنّى ولم ترها تَهذِى ! فقلتُ لهـم * إن الفـؤاد يَرَى ما لا يرى البصر(٢)
أصبحتُ كالحائم الحَـرّان مُجتنَبًا * لم يَقضِ وِرْدا ولا يُرجَى له صَدَر

قال : وقال فيها أيضا — وهو من جيّد ما قال فيها — :

يُزهّـدنى فى حبّ عبـدةَ معشرٌ * قلوبُهـمُ فيهـا مخالفـةٌ قلـبى
فقلتُ دَعُوا قلبي وما ٱختار وٱرتضَى * فبالقلب لا بالعين يُبصِر ذو الحبّ
فما تُبصر العينان فى موضع الهوى * ولا تسمع الأُذْنان إلّا من القلب
وما الحُسْنُ إلا كلّ حُسْنٍ دعا الصِّبَا * وألّف بين العشق والعاشقِ الصبّ

قال : وقال فيها :

يا قلبُ مالى أراك لا تَقِـرُ * إيّاكَ أعْنِي وعنـدك الخـبَرُ
أَضِعْتَ بين الأُلى مَضَوْا حُرَقًا * أم ضاع ما ٱستودعوك إذ بكَروا؟
فقال بعضُ الحـديث يَشْغَفُنى * والقلبُ راءٍ مالا يَرَى البصر

عابه الحسن البصرى وهتف به فهجاه

وأخبرنى بهـذا الخبر أبو الحسن أحمـد بن محمد الأَسَدىّ قال حدّثنا الحسن ٱبن عُلَيل العَنَزىّ قال حدّثنا خالد بن يزيد بن وَهْب عن جَرير عن أبيـه بمثل هذه القصة، وزاد فيها :

(١) عقيل بن كعب : قبيلة كبيرة كان ولاء بشار بن برد لها . ومن قوله يفتخر بهـذا الولاء كما مرّ فى ترجمته :

إننى من بنى عقيـل بن كعب * موضع السيف من طلى الأعناق

(٢) فى ب ، س : «ما لم ير البصر» .

أنّ عَبْدة جاءت إليه فى نسوة خمس قد مات لإحداهن قريب فسألنه أن يقول شعرًا يَنُحْن عليه به، فوافَيْنَه وقد ٱحتجم — وكان له مجلسان: مجلس يجلس فيه غُدوةً يسميه «البَرْدان» ومجلس يجلس فيه عشيّةً يسميه «الرَّقيق» — وهو جالس فى البردان وقد قال لغلامه: أمسكْ علىّ بابى وٱطبُخْ لى وهيّئ طعامى وطَيّبْه وصَفِّ نبيذى. قال: فإنه لكذلك إذا قُرِع الباب عليه قرعًا عنيفا؛ فقال: وَيْحك يا غلام! انظر من يدقّ الباب دقّ الشُّرَط؛ فنظر الغلام وجاءه فقال: خمس نسوة بالباب يسألنك أن تقول شعرًا يَنُحْن فيه؛ فقال: أدخلهنّ. فلما دخلن نظرنَ إلى النبيذ مُصفًّى فى قَنَانِيِّه؛ [فى جانب بيته](١) فقالت إحداهن: خمر؛ [وقالت الأخرى: زبيب](٢)؛ وقالت الأخرى: معسَّل. فقال: لستُ بقائل لكنّ حرفا أو تَطْعَمن من طعامى وتشربن من شرابى. فتماسكْنَ ساعةً، وقالت إحداهن: فما عليكنّ من ذلك! هذا أعمى، كُلْن من طعامه وٱشربْنَ من شرابه وخُذْنَ شعرَه، ففعلن. وبلغ ذلك الحسنَ البصرى فعابه وهتَف به. فبلغ ذلك بشّارًا، وكان الحسن يُلقَّب القَسّ(٣)، فقال فيه بشّار: ٤٩ / ٦

(٤)

لَمّا طلعنَ من الرَّقيـ * ـق علىّ بالبَرْدان خَمْسا
وكأنهنّ أهلّةٌ * تحت الثياب زَفَفن شمسا
باكرْنَ طِيبَ لَطيمةٍ(٥) * وغُمِسن فى الجادىّ غَمسا
فسألننى مَنْ فى البيو * ت فقلتُ ما يحوين إنسا
ليت العيونَ الناظرا * تِ طُمِسن عنّا اليوم طَمْسا
فأصبن من طَرَف الحديـ * ـث لذاذةً وخرجن مُلْسا
لولا تَعَرُّضهنّ لى * يا قَسُّ كنتُ كأنت قَسّا

(١) زيادة عن حـ. (٢) هذه العبارة ساقطة من ب، س. (٣) لقب به لصلاحه.
(٤) تقدّمت هذه الأبيات مع تفسير كلماتها الغامضة فى ترجمة بشار (ج٣ ص١٧٠ من هذه الطبعة).
(٥) اللطيمة: المسك ونافجته، وقيل: العير التى تحمل الطيب. والجادى: الزعفران.

لامه مالك بن دينار على تناوله أعراض الناس والتشبيب بالنساء فقال : لا أعاود ثم قال شعرا

أخبرنى الأَسَدىّ ويحيى بن علىّ بن يحيى ومحمد بن عِمْران الصَّيْرَفى قالوا حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنا على بن محمد عن جعفر بن محمد النَّوْفَلىّ قال :

أتيت بشارًا ذات يوم، فقال لى : ما شعَرت منذُ أيام إلا بقارع يقرَع بابى مع الصبح، فقلت : يا جارية، انظرى مَنْ هذا، فقالت : مالك بن دينار، فقلت : مالى ولمالك بن دينار! ما هو من أشكالى! ائذنى له . فدخل فقال لى : يا أبا معاذ، أتشتُمَ أعراضَ الناس وتشبِّب بنسائهم ! فلم يكن عندى إلا دفعُه عن نفسى بأن قلت : لا أعاود، فخرج من عندى . وقلت فى إثره :

غدا مالكٌ بملاماته * علىّ وما بات من باليَهْ[1]
فقلتُ دَعِ اللومَ فى حُبِّها * فقبلكَ أعيتْ عُذّاليَهْ
وإنّى لأكتُمهم سِرَّها * غداةَ تقول لها الحاليه
أعبدةَ مالكِ مَسْلوبةً * وكنتِ مُقرطَقةً[2] حاليه
فقالت على رِقْبة : إننى * رهنتُ المرعَّث خَلْخاليه
بمجلسِ يومٍ سأُوفِى به * وإن أنكرَ الناسُ أحواليه

أرسلت له عبدة السلام مع امرأة فرد عليها بشعر فيها

اخبرنى وَكيع[3] قال حدثنى عمرو بن محمد بن عبد الملك قال حدثنى الحسن بن جهور قال حدثنى هشام بن الأحنف، راوية بشار، قال :

إنى لعند بشّار ذاتَ يوم إذ أتته آمرأة فقالت : يا أبا معاذ، عبدة تُقرئك السلامَ وتقول لك : قد آشتدّ شوقُنا إليك ولم نرك منذُ أيام، فقال : عن غيرةٍ مَّليَة

---

(١) راجع هذه الأبيات والتعليق عليها فى ترجمته فى الجزء الثالث ص ١٧٠ من هذه الطبعة .

(٢) مقرطقة : لابسة القرطق (بضم القاف وسكون الراء وفتح الطاء وقد تضم) وهو القباء . وقد مرت بلفظ : « معطرة » .

(٣) الذى مر هو الحسن بن جهور . ويروى عنه محمد بن عمر بن محمد بن عبد الملك ، وعن محمد هذا يروى وكيع . (راجع ج ٣ ص ١٦١ س ٩ من هذه الطبعة) .

والله كان ذاك . ثم قال لراويته : يا هشام، خذ الرقعةَ وآكتب فيها ما أقول لك ثم أدفعه للرسول . قال هشام : فأملى علىّ :

عبـد إنّى إليـك بالأشواقِ * لِتَـلاقٍ وكيف لى بالتلاقِى
أنا والله أشتهى سِحْـرَ عينيْـ * ـك وأخشى مَصَارِعَ العشّاق
وأهاب الحَرْسِىّ(١) مُحتسِبَ الجُنْـ * ـد يَلُفّ الـبرىءَ بالفُسّاق ٥٠/٦

ومما يغنى فيه من شعر بشار فى عبدة قولُه :

صـــــوت

لعبـدةَ دارٌ ما تكلِّمنـا الدارُ * تَلُوح مَغَانيهـا كما لاح أسطارُ
أُسائل أحجـارًا ونُؤْيًا مُهَـدَّمًا * وكيف يُجيب القولَ نُؤْىٌ وأحجار
وما كلَّمتْنى دارُها إذ سألتُهـا * وفى كبدى كالنِّفْط شُبَّتْ به(٢) النار
وعند مَغَانِى دارِها لو تكلّمتْ * لِمكتئبٍ بادِى الصّبابة أخبار

الغناء لإبراهيم ثانى ثقيلٍ مطلقٌ فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لأبن جامع ثقيلٌ أوّل عن الهشامى . ومن هذه القصيدة :

صـــــوت

تحمَّـــل جـيرانى فعينى لبَيْنهـم * تَفيض بتَهْتانٍ إذا لاحتِ الدارُ
بكيتُ على من كنت أحظَى بقـربه * وحقّ الذى حاذرتُ بالأمس إذ ساروا(٣)

الغناء ليحيى المَـكِّىّ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر .

---

(١) الحرسى (بالتحريك) : واحد حرس السلطان، وسكن هنا للضرورة .

(٢) فى جميع الأصول : « له » .

(٣) فى ب، سـ : « صاروا » .

ومن الأغانى فى شعره فى عبدة :

صــــوت

مَسّنى من صــدود عبــدةَ ضُرّ * فبنات الفــؤاد ما تســتقرّ

ذاك شيء فى القلب من حب عبـ * ـدةَ بادٍ وباطنٌ يَستَسِرّ

الغناء لإبراهيم ثانى ثقيلٍ مطلقٌ فى مجـرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لإسحاق رَمَل بالبنصر عن عمرو . وفيه لحَكَم ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من جامع غنائه فى كتاب إبراهيم . وفيه لفَريدة خفيفُ ثقيلٍ عن إسحاق . وفيه ليحيى المكّىّ ثقيلٌ أوّلُ من كتابه . وفيه لحسين بن مُحرِز رَمَل عن الهشامى .

ومنهــا :

صــــوت

يا عبد إنى قــد ظُلمت و إننى * مبْــدٍ مقالة راغبٍ أو راهبِ

وأتوبُ ممــا تَكْرَهينــ لِتَقْبَلى * واللهُ يقبل حُسنَ فعل التائب

الغناء لحَكَم خفيفُ ثقيل عن إسحاق . وفيه ليحيى المكىّ ثقيلٌ أوّلُ من كتابه . وفيه لحسين بن مُحْرِز رمل عن الهشامى

ومنهــا :

صــــوت

يا عبــد حبُّك شفَّنى شَفًّا * والحبُّ داءٌ يُورث الحَتْفَا

والحبُّ يُخفيه المحبّ، لكى * لا يُستراب به، وما يخفَى

الغناء لِسَياط خفيفُ رملٍ مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنهـا :

صـــوت

يا عبــد بالله فرّجى كُرَبِى * فقــد برانى وشفَّنى نَصَبى
وضِقْتُ ذَرْعًا بما كَلِفتُ به * من حُبِّكم والمحبُّ فى تعب
ففــرِّجى كُرْبةً شَجِيتُ بهــا * وحَرَّ حُزْنٍ فى الصدر كاللَّهَب
ولا تَظُنِّى ما أشــتكى لَعِبًا * هيهاتَ قد جلّ ذا عن اللعب

غنّاه سِيَاطٌ ثقيلا أوّل بالبنصر عن عمرو . ٥١/٦

ومنهـا :

صـــوت

يا عبـد زُورِينى تَكُنْ مِنّةً * لله عنــدى يومَ أَلْقــاك
واللهِ ثُمّ اللهِ فاستيقنى * إنّى لأرجوكِ وأخشــاك
يا عبـد إنّى هالكٌ مُدْنَفٌ * إنْ لم أَذُقْ بَرْدَ ثَنايَاك
فلا تَرُدِّى عاشقًا مُــدْنَفًا * يرضَى بهذا القدر من ذاك

الغناء لحَكَم هَزَجٌ خفيفٌ بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنهـا :

صـــوت

يا عبد قد طال المِطالُ فأَنعِمى * وٱشــفِى فــؤادَ فتًى يَهِيم مُتَيَّمِ

الغناء ليزيدَ حَوْرَاءَ غيرُ مجنَّس عن إبراهيم .

ومنهـا :

صـــوت

يا عبــد هلْ لِلقــاء مِنْ سَبَبِ * أوْ لَا فأدعو بالويل والحَــرَبِ

الغناء ليزيد حوراء غير مجنَّس .

ومنها :

صــــوت

يا عبد هـل لى منكمُ مِنْ عائدِ * أَمْ هل لديكِ صلاحُ قلبٍ فاسدِ

الغناء لابن عَبّاد عن إبراهيم غير مجنّس .

ومنها :

صــــوت

يا عبـد حيِّ عن قريبِ * وتأمّـلى عينَ الرقيبِ

وارْعَىْ وِدَادى غائبًا * فلقـد رَعَيتُكِ فى المَغيب

أشكـو إليـكِ وإنّما * يشكو المُحبّ إلى الحبيب

غَرَضى(1) إليـكِ من الهوى * غرض المريض إلى الطبيب

الغناء لحَكَم مطلق فى مجرى البنصر .

ومنها :

صــــوت

يا عبـد بالله ارْحمى عَبْدكِ * وعلّليـه بمُنَى وعْـدكِ

يُصبح مكروبًا ويُمسى به * وليس يدرِى ما له عنـدكِ

ماذا تقولين لربّ العُلا * إذا تخلّيتِ به وحـدكِ

الغناء لإبراهيمَ ثانى ثقيلٍ بالبنصر عن عمـرو . وفيه لإسحاق هَزَج من جامع أغانيه . وفيه ليزيدِ حَوْراءَ لحنٌ ذكره إبراهيم ولم يجنّسه . وذكر حَبَشٌ أنّ الثقيل الثانى لِسـيّاط .

(1) فى الأصول : «غرضا» .

ومنها :

صـــــوت

يا عَبْـد جَلِّ كروبى * وأَسْــعِفى وأَثِيبى
فقـــد تَطَاول هَمّى * وزَفْـــرتى ونَحيبى

الغناء لابن سُكَّرة عن إبراهيم ولم يجنِّسه .

ومنها :

٥٢/٦ صـــــوت

يا عبـــد أنتِ ذخيرتى * نفسى فَـــدَتْك وجِيرتى
اللهُ يعـــلم فيكمُ * يا عبـد حسنَ سريرتى
نفسى لنفسكِ خُـــلَّةٌ(١) * وكذاك أنت أميرتى(٢)

الغناء لحَكَم الوادى خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

ومنها :

صـــــوت

يا عبـــد حُبِّى لكِ مستورُ * وكلّ حبّ غـــيره زُورُ
إنْ كان هجرى سَرَّكم فاْهجروا * إنّى بمـــا سَـــرّك مسرور

الغناء لحكم هَزَج بالوسطى عن ابن المكىّ .

ومنها :

صـــــوت

لم يَطُـــل لَيْـــلى ولكنْ لم أنمْ * ونفَى عنّى الكَرَى طيفٌ أَلَـــمّْ
و إذا قلتُ لهـــا جُودى لنـــا * خرجتْ بالصمت عن لا ونعم

(١) الخلة (بالضم) : الخليلة . (٢) فى حـ : « أسيرتى » .

رَفّهى يا عَبْـد عنّى وٱعلمى * أنّنى يا عبـــد من لحم ودم
إنّ فى بُرْدى جسمًا ناحلًا * لو توكأتِ عليـــه لٱنهـدم
خَـتَمَ الحبُّ لهـا فى عنـق * موضعَ الخاتم من أهل الذمم

الغناء لحَكَم هَزَجٌ بالسّبّابة والوسطى عن ابن المكّىّ. وذكره إسحاق فى هذه الطريقة فلم ينسُبه إلى أحد. وفيه لعَثْعَث الأسود خفيفُ رمل فى الأول والخامس. وكان بشّار يُنكر هذا البيتَ الأخير وهو :

* خَتَم الحب لها فى عُنَق *

أنشده رجل بيتا له فأنكره

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرانىّ قال حدّثنى أبو حاتم السِّجِسْتانىّ قال حدّثنى مَنْ أنشد بشارًا قولَه :

* لم يَطُل لَيْلى ولكنْ لم أَنَم *

حتى بلغ إلى قوله .

ختم الحبُّ لهـا فى عُنق * موضع الخاتَم مِنْ أهل الذمَمْ

فقال بشار : عَمّن أخذتَ هذا؟ قلتُ: عَنْ راويتك فلان؛ فقال: قَبّحه الله! والله ما قلتُ هذا البيتَ قطُّ، أمَا ترى إلى أثره فيه ! ما أقبحَه وأشدَّ تميُّزَه عنّى! فقال له بعضُ من حضر: نَعم، هو ألْحقه بالأبيات .

ومنهـا :

صـــوت

عَبْـد إنّى قـــد ٱعترفتُ بذَنْبى * فٱغفرى وٱعْرُكِى[(١)] خَطاىَ بجَنْبِ[(٢)]
عبد لا صبر لى ولستُ ـ فهلّا ـ * قائلًا قـــد عَتَبتِ فى غير عَتْب

(١) فى جميع الأصول : «واعدلى» ، والظاهر أنها محرفة عما أثبتناه . يقال: عرك بجنبه ما كان من صاحبه، كأنه حكه حتى عفاه. وأصله من عرك الأديم إذا دلكه . (٢) فى جميع الأصول : «بجنبى» وهو تحريف .

ولقـد قلتُ حين أنصبنى الحبّ * فأبلَى جِسْمى وعذّب قلبى
ربّ لا صبرَ لى على الهجر حَسْبِى * أقِلْنى حَسْبى لك الحمدُ حسبى

الغناء لِسِيَاطٍ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لسُلَيم هَزَجٌ من كتاب ابن المكّىّ.

ومنها :

صـوت

عبـد مُـنّى وأ * قـد ملكتم قِيادِيَهْ
شاب رأسى ولم تَشِـ * ـبْ لآئى لِدَاتِيَهْ (١)

٥٣ - ٦ الغناء لِسِياط خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لَعِرِيبَ هزج .

ومنها :

صـوت

عبد يا همّتى (٢) عليك السلامُ * فيم يُجفَى حبيبُك المستهامُ
نزل الحبّ منزلًا فى فؤادى * وله فيـه مجلسٌ ومقام

الغناء لأبى زَكّار (٣) خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. وفيه لعَرِيبَ هَزَجٌ .

ومنها :

صـوت

عبـد ياقُـرّةَ عينى * أنصفى، رُوحى فداكِ
عاشق ليس لـه ذِكـ * ـرٌ ولا هـمٌّ سِواكِ

الغناء لعَرِيبَ هَزَجٌ . وفيه لحن ليزيدَ حَوْراء غير مجنّس .

---

(١) فى جميع الأصول : «لداتيه» . والظاهر أنها محرفة عما أثبتناه . (٢) الهمة (بالكسر ويفتح) : الهوى . (٣) فى حـ : «رمل» .

ومنها :

صــــوت

يا عَبْـد يا جافيةً قاطعه * أمَا رَحِمتِ المُقْلةَ الدامعهْ
يا عبد خافِ اللهَ فى عاشقٍ * يهواكِ حتى تَقَع الواقعـه

الغناء لأبى زَكّار هَزَجٌ بالبنصر عن عمرو .

صــــوت
من المـائة المختـارة

أَزْمَاتْ أمُّ جعفــر لا تزورُ * ليتَ شعرى بالغيب مَنْ ذا دهاها
أأتاهـا محــرِّش بنَميــمٍ * كاذبٌ ما أراد إلا ردَاها

عروضه من الخفيف — الشعر للأحوص . والغناء لأمّ جعفر المدنيّـة مولاة عبد الله بن جعفر بن أبى طالب . ولحنه من الثقيـل الأوّل فى مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لحناً(1) من الثقيل الأوّل بالبنصر، فلا أعلم أهذا يعنى(2) أم غيره . وفيه لابن سريج ثانى ثقيل بالبنصر فى مجراها عن يحيى المكّىّ وإسحاق . وفيه لإبراهيم خفيُف ثقيل بالوسطى عن عمرو والهشامىّ .

---

(1) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «...أن فيه لحنا لمعبد من الثقيل...» بزيادة كلمة «معبد» . ولا يستقيم المعنى بذكرها .

(2) فى الأصول : «يغنى» بالغين المعجمة ، وهو تصحيف .

أخبار الأحوص مع أم جعفر

أم جعفر التى كان يشبب بها الأحوص ونسبها

وقد ذُكِرتْ أخبارُ الأحوص مُتَقَدِّما إلا أخبارَه مع أمّ جعفر التى قال فيها هذا الشعر فإنها أُخِّرت إلى هذا الموضع . وأم جعفر هذه آمرأة من الأنصار من بنى خَطْمة(١)، وهى أمّ جعفر بنت عبد الله بن عُرْفُطة بن قَتَادة بن معَدّ بن غِياث بن رِزاح بن عامر بن عبد الله بن خَطْمة بن جُشَم بن مالك(٢) بن الأوْس . وله فيها أشعار كثيرة .

تشبيب الأحوص بأم جعفر وتوعد أخيها أيمن له

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيب بن نصر المهلّبى قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى يعقوب بن القاسم ومحمد بن يحيى الطَّلْحى عن عبد العزيز آبن أبى ثابت ، وأخبرنى عمّى قال حدّثنى محمد بن داود بن الجَرّاح قال حدثنى أحمد بن زُهَير عن مصعَب ، وأخبرنى الحَرَمى بن أبى العَلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن المُحْرِز بن جعفر الدَّوْسىّ ، قالوا جميعا :

٥٤/٦

لمّا أكثر الأحوصُ التشبيب بأمّ جعفر وشاع ذِكْرُه فيها توعّده أخوها أَيْمَنُ وهدّده فلم يَنْتَه ، فآستعدَى عليه والىَ المدينة — وقال الزبير فى خبره : فآستعدى عليه عمر بن عبد العزيز — فربَطهما فى حبل ودفع إليهما سوطين وقال لهما : تجالدا ؛ فتجالدا فغلَب أخوها . وقال غير الزُّبَير فى خبره : وسلَح الأحوصُ فى ثيابه وهرَب وتَبِعه أخوها حتى فاته الأحوص هرباً . وقد كان الأحوص قال فيها :

(١) لقب خطمة لأنه ضرب رجلا على أنفه فخطمه . (٢) كذا فى شرح القاموس مادة خطم وكتاب الاستبصار فى أنساب الأنصار ص ١٤٦ المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٤٩ تاريخ) . وفى جميع الأصول : «... خطمة بن مالك بن جشم بن الأوس» وهو تحريف .

لقــد منعتْ معروفَها أُمُّ جعفرٍ * وإنِّى إلى معــروفها لفقــيرُ
وقد أنكرتْ بعدَ اعترافٍ زيارتى * وقــد وَغِرتْ فيها علىّ صدور
أدُورُ ولولا أنْ أرى أمَّ جعفــرٍ * بأبياتكم ما درتُ حيث أدور
أزور البيوتَ اللاصقاتِ بيتَهــا * وقلبى إلى البيت الذى لا أَزور
وما كنتُ زَوّارا ولكن ذا الهوى * إذا لم يُزَرْ لا بدّ أنْ سيزور
أزور على أن لست أنفكُّ كلّمــا * أتيتُ عــدوًّا بالبنان يُشير

فقال السائب بن عمرو، أحد بنى عمرو بن عَوْف، يعارض الأحوصَ فى هذه الأبيات ويعيِّره بفراره :

لقد منع المعروفَ من أم جعفر * أخو ثقةٍ عنــد الجلاد صَبورُ
عَلاك بمَتْن السوطِ حتى اتّقيتَه * بأصــفرَ من ماء الصِّفاق(1) يفــور

فقال الأحوص :

إذا أنا لم أغفِــر لأيمَنَ ذنبَــه * فمن ذا الذى يعفو له ذنبَه بعدى
أريد انتــقامَ الذنب ثم تَرُدُّنى * يدٌ لأَدانيــه مباركةٌ عنــدى

وقال الزبير فى خبره خاصّــة : وإنما أعطاهما عمرُ بن عبد العزيز السوطين وأمرهما أن يتضاربا بهما اقتــداءً بعثمان بن عفان؛ فإنه كان لمـا تَهاجى سالم بن دارة ومُرّة ابن واقع الغَطَفانى الفَزارى قَرَنهما عثمان بحبل وأعطاهما سوطين فتجالدا بهما .

وقال عمر بن شَــبّة فى خبره : وقال الأحوص فيها(2) أيضا — وقد أنشدنى على ابن سليمان الأخفش هذه الأبيات وزاد فيها على رواية عمر بن شَبّة بيتين فأضفتهما إليهــا — :

(1) الصفاق : جمع صفق (بالتحريك) وهو الأديم الجديد يصب عليه المـاء فيخرج منه ماء أصفر، واسم ذلك المـاء : الصفق (بسكون الفاء وفتحها) . (2) فى جميع الأصول : «فيه» وهو تحريف .

وإنى ليدعونى هوى أمِّ جعفر * وجاراتها من ساعةٍ فأجيبُ
وإنى لآتى البيتَ ما إن أحبُّه * وأُكثر هجرَ البيت وهو حبيب
وأُغضِى على أشياء منكم تسوءنى * وأُدعَى إلى ما سرّكم فأجيب
هَبِينى آمرأً إمّا بريئًا ظلمتِه * وإمّا مُسيئًا مذنبًا فيتوب
فلا تتركى نفسي شَعاعًا فإنها * من الحزن قد كادت عليك تذوب
لك اللهُ إنى واصلٌ ما وصلتِنى * ومُثنٍ بما أوليتِنى ومُثيب
وآخُذُ ما أعطيتِ عفوًا وإننى * لأَزْوَرُ عما تكرهين هَيوب

هكذا ذكره الأخفش فى هذه الأبيات الأخيرة، وهى مروية للمجنون فى عدة روايات، وهى بشعره أشبه . وفى هذه الأشعار التى مضت أغانٍ نسبتها : ٥٥ / ٦

صـــوت

أدور ولولا أن أرى أمَّ جعفر * بأبياتكم ما درتُ حيث أدورُ
أدور على أن لستُ أنفكّ كلما * أتيتُ عدوًّا بالبنان يُشير

الغناء لمَعْبد، وله فيه لحنان(١) : ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة فى مجرى البنصر عن عمرو . ولإسحاق فيهما وفى قوله :

* أزور البيوتَ اللّاصقات بيتها *

وبعده :

* أدور ولولا أن أرى أمَّ جعفر *

لحنَ من الرمل . وفى البيتين اللذين فيهما غناء معبد للغريض ثقيلٌ أوّل عن الهشامى، ولإبراهيم خفيف ثقيل . وفيه لحن لشارية عن ابن المعتز ولم يذكر طريقته .

(١) لم يذكر فى الأصول اللحن الثانى .

إذا أنا لم أغفِــر لأيْمَنَ ذنبَه * فمَنْ ذا الذى يعفو له ذنبَه بعدى
أُريد مكافاةً له وتَصُــدّنى * يدٌ لأَدانيــه مباركةٌ عنــدى

الغناء لمَعْبد ثانى ثقيــلٍ بالوسطى عن يحيى المكىّ، وذكر غيرُه أنه منحول يحيى إلى معبد . وفيه ثقيلٌ أوّل ينسب إلى عَرِيبَ و رَوْنَق .

ومنها وهو :

صــــوت

من المـائة المختـارة

وإنى لآتى البيتَ ما إن أُحِبُّـه * وأُكثر هجْـرَ البيت وهو حبيبُ
وأُغضى على أشياءَ منكم تسوءنى * وأُدعَى إلى ما ســرّكم فأُجيب
وما زلتُ من ذكراكِ حتى كأننى * أَمِــيمٌ[1] بأَفْيَـاء[2] الديار سَـلِيب[3]
أَبُثُّـك ما أَلقَى وفى النفس حاجةٌ * لهـا بين جِلْدى والعظام دَبِيب
لكِ اللهُ إنّى واصــلٌ ما وصلتِنى * ومُثْـنٍ بمـا أوليتِنى ومُثيب
وآخُذ ما أعطيتِ عفـوًا وإننى * لأَزْوَر عمـا تكرهين هَيوب
فلا تتركى نفسى شَـعاعًا فإنهـا * من الحزن قد كادت عليك تذوب

الشعر للأحوص . ومن الناس من ينسُب البيت الخامسَ وما بعده إلى المجنون . والغناء فى اللحن المختار لدَحْمان ، وهو ثقيــلٌ أوّلُ مطلقٌ فى مجــرى البنصر . وذكر الهشامىّ أن فى الأبيات الأربعة لابن سُرَيج لحنًا من الثقيل الأول، فلا أعلم ألحنَ دَحْمانَ عَنَى[4] أم ثقيلًا آخر . وفى :

---

(١) الأميم : المشجوج الرأس وقد يستعار لغير الرأس قال :

قلبى من الزفرات صدّعه الهوى * وحشاى من حرّ الفــراق أميم

(٢) فى حـ : «بأفياء» . وفى سائر الأصول : «بأفناء» . وظاهر أن كليهما مصحف عما أثبتناه .

(٣) السليب : المستلب العقل . (٤) فى جميع الأصول : «غنى» بالغين المعجمة، وهو تصحيف .

لكِ الله إنى واصلٌ ما وصلتِنى * ومُثْنٍ بما أوليتِنى ومُثيب

لإسحاق ثانى ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيها لإبراهيم خفيفُ رملٍ بالوسطى .

لما أكثر من ذكر أم جعفر عرضت له فى أمر خلف أمام الناس أنه لا يعرفها

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى محمد بن حسن؛ قال الزُّبَير وحدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهرىّ عن مُحْرِز :

أنّ أمّ جعفر لمّا أكثر الأحوصُ فى ذكرها جاءت متنقِّبةً (١)، فوقفت عليه فى مجلس قومه ولا يعرفها، وكانت امرأةً عفيفة ؛ فقالت له : اقضِ ثمن الغنم التى ابتعتَها منّى؛ فقال : ما ابتعتُ منكِ شيئًا. فأظهرتْ كتابًا قد وضعتْه عليه وبكتْ وشكت حاجةً وضُرًّا وفاقةً وقالت : يا قوم، كلِّموه. فلامه قومُه وقالوا : اقضِ المرأةَ حقَّها؛ فجعل يحلف أنه ما رآها قطّ ولا يعرفها . فكشفتْ وجهَها وقالت : ويحك ! أمَا تعرفنى! فجعل يحلف مجتهدًا أنه ما يعرفها ولا رآها قطّ . حتى إذا استفاض قولُها وقولُه واجتمع الناسُ وكثُروا وسمعوا مادار وكثُر لَغَطُهم وأقوالُهم ، قامت ثم قالت : أيها الناس، أسكتوا . ثم أقبلت عليه وقالت : يا عدوّ الله ! صدقتَ، والله مالى عليك حقّ ولا تعرفنى، وقد حلفتَ على ذلك وأنت صادق، وأنا أمّ جعفر وأنت تقول : قلت لأمّ جعفر وقالت لى أم جعفر فى شعرك ! فخجِل الأحوص وانكسر عن ذلك وبرِئتْ عندهم .

٥٦
٦

سمع أبو السائب المخزومى شعرا له فطرب

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير ، وأخبرنى به محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا ثعلَب قال حدّثنا الزُّبَير عن عبد الملك بن عبد العزيز قال :

أنشدتُ أبا السائب المخزومىّ قولَ الأحوص :

لقد منعتْ معروفَها أمُّ جعفر * وإنّى إلى معروفها لفقيرُ

---

(١) انتقبت المرأة وتنقبت : وضعت النقاب على وجهها .

فلما آنتهيتُ إلى قوله :

أزور على أن لست أنفكُّ كلّما * أتيتُ عدوّا بالبنان يُشير

أَعجبه ذلك وطَرِب وقال : أتدرى يآبنَ أخى كيف كانوا يقولون! الساعةَ دخل، الساعةَ خرج، الساعةَ مرّ، الساعةَ رجَع، وجعل يُومئ بإبهاميه إلى وراء منكبيه وبسبّابته(١) إلى حِيال وجهه ويقلبها ، يحكى ذهابَه ورجوعَه .

صوت

من المائة المختارة

صاح قد لُمْتَ ظالمًا * فآنظرآنْ كنتَ لائمًا

هل ترى مثلَ ظَبْيةٍ * قلّدوها التمائما

الشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء فى اللحن المختار لمالكٍ خفيفُ ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وأخبرنى ذُكاء وجه الرّزة أن فيه لعَرِيبَ رملًا بالبنصر، وهو الذى فيه سَجْحة . وفيه لآبن المكّىّ خفيفُ ثقيلٍ آخرُ بالوسطى . وزعم الهشامىّ أن فيه خفيفَ رمل بالوسطى لابن سُرَيج، وقد سمعها(٢) ممن يغنّيه . وذكر حَبَش أنّ فيه رملًا آخر للغَريض . ولعاتكة بنت شُهْدة فيه خفيفُ ثقيل ، وهو من جيِّد صنعتها ، وذكر جَحْظة عن أصحابه أن لحنها الرملَ هو اللحن المختار، وأن إسحاق كان يقدّمها ويستجيدها(٣) ، ويزعم أنه أخذه عنها . وقال ابن المعتزّ : حدّثنى أبو عبد الله الهشامىّ : أنّ عَرِيب صنعتْ فيه لحنها الرمل بعد أن أفضت الخلافةُ إلى المعتصم ، فأعجبه وأمرها أن تطرحه على جواريه ، ولم أسمع بَشَرًا قطُّ غنّاه أحسنَ من خِشْف الواضحيّة

---

(١) لعله : « وبسبابتيه ... ويقلبهما الخ » . (٢) لعله : « وقد سمعه » أى اللحن .

(٣) فى حـ : « ويستجيده » .

وكل أخبار هؤلاء المغنّين قد ذُكِرتْ ، أوْ لهــا (١) موضع تُذكر فيه ، إلا عاتكة بنت شُهْدة فإن أخبارَها تذكر هاهنا ؛ لأنه ليس لها شيء أعرفه من الصنعة فأذكَرَه غير هذا . وقد ذكر جَحْظة عن أصحابه أن لحَنْها هو المختار فوجب أن نذكر أخبارها معه أسوةَ غيرها .

* * *

عاتكة بنت شهدة وشيء من أخبارها

٥٧ / ٦

كانت عاتكة بنت شُهدة مدنيّــة . وأمُّها شُهْدة جارية الوليد بن يزيد ، وهو الصحيح . وكانت شهدة مغنّية أيضا .

غنى ابن داود الرشيد صوتا لأمها فطرب

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا العَلَاء قال حدّثنى علىّ بن محمد النَّوْفَلىّ قال حدّثنى عبد الله بن العبّاس الرَّبيعىّ عن بعض المغنّين قال :

كنّا ليلةً عند الرشيد ومعنا ابنُ جامع والموصلىّ وغيرُهما ، وعنـده فى تلك الليلة محمد بن داود بن إسماعيل بن علىّ ، فتغنّى المغنّون ، ثم آندفع محمد بن داود فغنّاه بن أضعافهـــم :

صـــــوت

أمّ الوليـــد سَلَبْتِنى حِلْمِى * وقتلتِـــنى فتخـــوّفى إثمى

بالله يا أمّ الوليـــد أمَا * تخشَيْن فى عواقبَ الظـــلم

وتركتِنى أبغى (٢) الطبيبَ وما * لطبيبنا بالداء مِن عِـلْم

خافى إلهك فى آبن عمّك قد * زوّدتِه سُقْمًا عــلى سُــقم

قال : فآستحسن الرشيد الصوت وآستحسنه جميعُ من حضره وطربوا له . فقال له الرشيد : يا حبيبى ، لمن هذا الصوت؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، سَلْ هؤلاء المغنّين

(١) فى جميع الأصول : « أولها فى موضع ... الخ » . والظاهر أن كلمة « فى » مقحمة .

(٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « أنعى » ، وهو تصحيف .

لمن هو . فقالوا : والله ما ندرى ، وإنه لَغريبٌ . فقال : بحياتى لمن هو؟ فقال : وحياتِك ما أدرى إلا أنّى أخذتُه من شُهْدة جاريةِ الوليد أمِّ عاتكة بنت شُهْدة . هذا الشعر المذكور لابن قيس الرُّقَيّات، والغناء لابن مُحْرِز، وله فيه لحنان، أحدهما ثقيل أوّل بالخنصر فى مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخر خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو . وفيه لسُليم خفيف رمل بالبنصر . ولحُسين بن مُحْرز ثقيل أوّل عن الهشامىّ وحَبَش .

كانت ضاربة مجيدة وعنها أخذ إسحاق الموصلىّ

أخبرنى محمد بن مَزْيد عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه : أنه ذكر عاتكة بنت شُهْدة يومًا فقال :

كانت أضربَ مَنْ رأيتُ بالعود، ولقد مكثتُ سبعَ سنين أختلف إليها فى كل يوم فتُضاربنى ضربًا أو ضربين، ووصل إليها منّى ومن أبى أكثرُ من ثلاثين ألف درهم بسببى : دراهمَ وهدايا .

ماتت بالبصرة، وقصتها مع ابن جامع عند الرشيد

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال :

كانت عاتكة بنت شُهْدة أحسنَ خَلْق الله غناءً وأرْواهم، وماتت بالبصرة . وأمّها شُهْدة نائحة من أهل مكة . وكان ابن جامع يَلُوذ منها بكثرة الترجيع . فكان إذا أخذ يتزايد فى غنائه قالت له : إلى أين يا أبا القاسم! ما هذا الترجيع الذى لا معنى له! عُدْ بنا إلى معظم الغناء ودَعْ من جنونك . فأضجرتْه يومًا بين يدى الرشيد فقال لها : إنى أشتهى، عَلِم الله، أنْ تحتكّ شِعْرتى بشعرتك . فقالت : آخسأْ، قطع الله ظهرَك! ولم تَعُد لأذاه بعدها .

غنت جارية بشعر فعارضتها هى وذمت بندارا الزيات

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبىّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : قال لى علىّ بن جعفر بن محمد :

دخلت على جوارى المروانىّ المغنيات بمكة ، وعاتكة بنت شُهْدة تطارحهنّ لحنها :

ياصاحبيّ دعَا الملامةَ وٱعلما * أنّ الهوى يدَع الكِرامَ عَبيدَا

فجعلتْ واحدةٌ منهنّ تقول: "يدع الرجالَ عَبيدا". فصاحت بها عاتكةُ بنت شُهْدة: ويلكِ ! بُنْدارٌ الزيات العاضّ بظرَ أمه رجل ! أفمِنَ الكرام هو ! . قال : فكنتُ إذا مرّ بى بُندار أو رأيتُــه غلبنى الضحك فأستحيي منه وآخُذ بيــده وأجعل ذلك بشاشةً، حتى أوْرث هذا بينى وبينه مقاربةً، فكان يقول: أبو الحسن علىُّ بن جعفر صديقٌ لى .

٥٨/٦

علمت مخارقا الغناء وهو مولى لها

وكان مخارق مملوكًا لعاتكة ، وهى علّمتْــه الغناء ووضعت يده على العود ، ثم باعته، فانتقل من مِلْك رجل إلى مِلك آخر حتى صار إلى الرشــيد . وقد ذُكِر ذلك فى أخباره .

صـــوت

من المـائة المختـارة

ولو أنّ ما عندَ ٱبنِ بُجْرةَ عندها * من الخمر لم تَبْلُلْ لهَـاتى[1] بناطِلِ

لعمرى لأنتَ[2] البيتُ أُكرِمُ أهلَه * وأقعُد فى أفيـائه[3] بالأصـائل[4]

(١) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . (٢) كذا فى س . وفى سائر الأصول : «لآتى البيت» . (٣) كذا فى شرح ديوانه رواية أبى سعيد الحسن بن الحسين السكرى المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية (تحت رقم ١٩ أدب ش) وديوان الهذليين المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية (تحت رقم ٦ أدب ش) ولسان العرب (مادتى «فيأ» و «أصل») . والأفياء: جمع فىء وهو الظل ، ولا يكون الفىء إلا بالعشىّ . وفى جميع الأصول : « أفنائه » (بالنون) وهو تصحيف .

(٤) الأصائل : العشيات .

عروضه من الطويل . الشعر لأبى ذُؤَيب الهُذَلىّ . والغناء لحَكَمٍ الوادىّ ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بالبنصر فى مجراها . ابن بُجْرة هـذا ، فيما ذكره الأصمعىّ ، رجل كان يَبيع الخمرَ بالطائف ، وزعم أن الناطل كوزٌ تُكال به الخمر . وقال ابن الأعرابى : ليس هذا بشىء ، وزعم أن الناطل : الشىء ؛ يقال : ما فى الإناء ناطل ، أى شىء . وقال أبو عمرو الشَّيْبانى : سمعتُ الأعراب يقولون : الناطل : الجُرْعة من المـاء واللبن والنبيذ . انتهى .

ذكر أبي ذُؤَيب وخبره ونسبه

نسبه وإسلامه وموته

هو خُوَيْلد بن خالد بن مُحَرِّث(١) بن زُبَيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تَميم(٢) بن سعد بن هُذَيل بن مُدْرِكة بن الياس بن مُضَر بن نِزار . وهو أحد المخضرَمين ممن أدرك الجاهليّة والإسلام، وأسلم فحَسُن إسلامُه . ومات فى غَزاة إفْرِيقيّــة .

رأى ابن سلام فيه وشهادة حسان له

اخبرنى أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سلّام قال :

كان أبو ذُؤَيب شاعرًا فَحْلًا لا غَميزة(٣) فيه ولا وَهْن .

وقال ابن سلّام(٤) : قال أبو عمرو بن العلاء :

سُئل حسّان بن ثابت : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : أحَيًّا أم رجلًا(٥)؟ قالوا : حيًّا؛ قال : اشعرُ الناس حيًّا هُذَيل، وأشعر هذيل غيرَ مُدَافع أبو ذُؤَيب . قال ابن سلام : ليس(٦) هذا من قول أبي عمرو ونحن نقوله .

اسمه بالسريانية مؤلف زورا

أخبرنى أبو خَليفــة قال حدّثنــا محمد بن سَــلّام قال أخبرنى محمــد بن مُعاذ العُمَرىّ قال :

(١) كذا فى تجـريد الأغانى والاستيعاب (ج ٢ ص ٦٦٥) . وكذلك صححه المرحوم الأستاذ الشنقيطى بخطه على هامش نسخته . وفى جميع الأصول : «محرز» . (٢) كذا فى طبقات الشعراء لابن سلام (ص ٢٩ طبع أوربا) والاستيعاب ونسخة الشنقيطى مصححة بخطه . وفى جميع الأصــول : «غنم» . (٣) الغميزة : المطعن . (٤) فى الأصول : «وقال أبو عمرو بن العلاء قال ابن سلام ... الخ» وهو تحريف . فإن ابن سلام هو المتأخر وهو الذى ذكر قول أبي عمــرو بن العلاء فى كتابه طبقات الشعراء . (٥) عبارة ابن سلام فى الطبقات : «قال : حيا أو رجلا ... » . وفى ب، س : « أم قال رجلا . . الخ» . بزيادة «قال» . وهو تحريف . (٦) هذه العبارة غير واضحة هنا ، وهى واضحة فى كتاب الطبقات لابن سلام ، إذ فيه بعد ذكر الخبر : «ابن سلام يقوله» . يريد أن ابن سلام يؤيد ما رواه أبو عمرو بن العلاء .

فى التّوراة : أبو ذؤيب مؤلف زورا ، وكان اسم الشاعر بالسريانية "مؤلف زورا". فأخبرتُ بذلك بعضَ أصحاب العربيّة(١)، وهو كثير بن إسحاق، فعجب منه وقال : قد بلغنى ذاك . وكان فصيحًا كثيرَ الغريب متمكّنًا فى الشعر .

تقدّم شعراء هذيل بقصيدته العينية

قال أبو زيد عمر بن شَبّة :

تقدّم أبو ذؤيب جميعَ شعراء هُذيل بقصيدته العينيّة التى يَرْثى فيها بَنِيه . يعنى قولَه :

أمِنَ المَنون ورَيْبِـــه تتوجّع * والدهر ليس بمُعْتِب من يَجْزَعُ

وهذه يقولها فى بنينَ له خمسةٍ أُصيبوا فى عام واحد بالطاعون ورثاهم فيها . وسنذكر جميع ما يُغَنَّى فيه منها على أثر أخباره هذه .

خرج مع عبد الله ابن سعد لغزو إفريقية وعاد مع ابن الزبير فات فى مصر

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن مصعَب الزُّبيرى، وأخبرنى حَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى قال :

كان أبو ذُؤيب الهُـذَلىّ خرج فى جُند(٢) عبد الله بن سَـعْد(٣) بن أبى سَرْح أحد بنى عامر بن لؤىّ إلى إفريقية سنة ستّ وعشرين غازيًا إفْرِنْجَة فى زمن عثمان . فلما

(١) فى حـ : «أصحاب المدينة» . (٢) وكان ضمن جند عبد الله أيضا معبد بن العباس بن عبد المطلب ومروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية والحارث بن الحكم أخوه والمسور بن مخرمة بن نوفل وعبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعاصم بن عمر وعبيد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبى بكر وعبد الله بن عمرو بن العاص وبسر بن أبى أرطاة بن عويمر العامرى . (راجع فتوح البلدان للبلاذرى) .

(٣) هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى ، وكان يكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارتدّ عن الإسلام ولحق بالمشركين بمكة . وكان معاوية بن أبى سفيان بمكة قد أسلم وحسن إسلامه فاتخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتبا للوحى بعد ابن أبى سرح . فلما فتح النبى صلى الله عليه وسلم مكة استجار عبد الله بن سعد بدار عثمان رضى الله عنـه فأخذ له عثمان الأمان من النبى صلى الله عليه وسلم . وكان ابن أبى سرح أخا لعثمان من الرضاعة ، فحسن إسلامه من ذلك الوقت . فلما أفضت الخلافة إلى عثمان رضى الله عنه ولاه على ملك مصر وجندها سنة ٢٥ هـ فكان يبعث المسلمين فى جرائد الخيل فيغيرون على أطراف إفريقية . فكتب إلى عثمان يخبره بما نال المسلمون من عدوهم ، فكان ذلك السبب فى توجيه الجيش إليه وتقديمه عليه ودخوله به للغزو إلى إفريقية .

فتح عبد الله بن سعد إفريقية وما والاها بعث عبدَ الله بن الزبير — وكان فى جنده — بشيرًا إلى عثمان بن عفّان، وبعث معه نفرًا فيهم أبو ذؤيب. ففى عبد الله يقول أبو ذؤيب: ٥٩/٦

فصاحبَ صدقٍ كسِيدِ الضَّرا * ءِ يَنْهض فى الغزو نهضًا نَجيحا(١)

فى قصيدة له. فلما قدِموا مصرَ مات أبو ذؤيب بها(٢). وقدِم ابنُ الزبير على عثمان، وهو يومئذ، فى قول ابن الزبير، ابنُ ستّ وعشرين سنة؛ وفى قول الواقدىّ ابن أربع وعشرين سنة. وبَشّر عبد الله عند مَقْدَمه بخُبَيْب بن عبد الله بن الزبير وبأخيه عُرْوة بن الزبير، وكانا وُلِدا فى ذلك العام، وخُبيب أكبرهما. قال مصعب: فسمعت أبى والزبيرَ بن خُبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يقولان:

وصف ابن الزبير لحرب إفريقية

قال عبد الله بن الزبير: أحاط بنا جُرْجير صاحب إفريقية وهو ملك إفرنجة فى عشرين ألفًا ومائة ألف ونحن فى عشرين ألفا؛ فضاق بالمسلمين أمرُهم واختلفوا فى الرأى، فدخل عبد الله بن سعد فُسْطاطَه يخلو ويفكّر. قال عبد الله بن الزبير: فرأيت عَوْرة من جُرْجير والناس على مَصافّهم، رأيته على بِرْذَوْن أشهبَ خَلْفَ أصحابه مُنقطِعًا منهم، معه جاريتان له تُظِلّانه من الشمس بريش الطّواويس.

---

(١) كذا ورد هذا البيت فى شرح ديوان أبى ذؤيب وقبله شعر يدل على هجر محبوبته له وإعراضها عنه الى غيره. يقول: فإن استبدلت بى إنسانا فاستبدلى بى مثل هذا الصاحب. والضراء: ما واراك من شجر. والسيد: الذئب. وأخبث ما يكون من الذئاب سيد الضراء الذى تعوده. وقد صححه الأستاذ الشنقيطى بهذه الرواية فى هامش نسخته. وفى الأصول: «وصاحب صدق كسيد الفضى ... الخ».

(٢) فى فتوح البلدان للبلاذرى (ص ٢٢٦ طبع أوربا): أن أبا ذؤيب توفى بإفريقية فقام بأمره ابن الزبير حتى واراه فى لحده. ورواية البلاذرى تتفق مع ما ذكره ابن قتيبة فى طبقات الشعراء (ص ٤١٣ طبع أوربا) وابن الأثير فى الكامل (ج ٣ ص ٧٠ طبع أوربا) وابن حجر فى الإصابة (ج ٧ ص ٦٣ طبع مطبعة السعادة). وسيذكر المؤلف فى هذه الترجمة أنه مات بأرض الروم ودفن بها.

فجئت فُسطاطَ عبد الله فطلبت الإذن عليه من حاجبه ؛ فقال : إنه فى شأنكم وإنه قد أمرنى أن أُمسك الناسَ عنه . قال: فدُرتُ فأتيت مؤخَّر فُسطاطه فرفعتُه ودخلت عليه، فإذا هو مُستلقٍ على فراشه؛ ففزِع وقال : ما الذى أدخلك علىّ يآبن الزبير؟ فقلت :إيهٍ وإيه ! كلُّ أَزَبَّ نَفورٌ[(١)] ! إنى رأيت عورةً من عدوّنا فرجوت الفرصةَ فيه وخَشِيت فواتَها، فاخرُجْ فآندُب الناسَ إلىّ. قال : وما هى؟ فأخبرته؛ فقال : عورةٌ لعمرى ! ثم خرج فرأى ما رأيت؛ فقال : أيها الناس، انتدِبوا مع آبن الزبير إلى عدوّكم . فاخترتُ ثلاثين فارسًا، وقلت : إنى حاملٌ فاضربوا عن ظهرى فإنى سأكفيكم مَنْ ألقى إن شاء الله تعالى . فحملتُ فى الوجه الذى هو فيه وحملوا فذَبّوا عنّى حتى خرقتُهم[(٢)] إلى أرض خالية، وتبيّنته فصمَدْتُ صَمْدَه[(٣)]؛ فوالله ما حسِب إلا أنى رسول ولا ظنّ أكثرُ أصحابه إلا ذاك، حتى رأى مابى من أثر السلاح، فثنى بِرْذَونَه هاربًا، فأدركتُه فطعنته فسقط، ورميت بنفسى عليه، وآتّقتْ جاريتاه عنه السيفَ فقُطعت يد إحداهما. وأجهزتُ عليه ثم رفعتُ رأسَه فى رُمحى، وجال أصحابُه وحَمَل المسلمون فى ناحيتى وكبّروا فقتلوهم كيف شاءوا، وكانت الهزيمة . فقال لى عبد الله ابن سعد: ما أحدٌ أحقّ بالبشارة منك، فبعثنى إلى عثمان. وقَدِم مروانُ[(٤)] بعدى على عثمان

اشترى مرو[ان] خمس فىء إفر[يقية] بمال فوضعه عثمان

(١) الأزب من الإبل : الذى يكثر شعر حاجبيه ، ولا يكون الأزب إلا نفورا لأن الريح تضربه فينفر . وهذا مثل يضرب فى عيب الجبان . قاله زهير بن جذيمة لأخيه أسيد وكان أزب جبانا ، وكان خالد بن جعفر بن كلاب يطلبه بذحل ، وكان زهير يوما فى إبله يهنؤها ومعه أخوه أسيد، فرأى أسيد خالد بن جعفر قد أقبل فى أصحابه فأخبر زهيرا بمكانهم فقال له زهير : كل أزب نفور . وإنما قال له هذا لأن أسيدا كان أشعر (عن مجمع الأمثال للميدانى). (٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س : « حتى حزقتهم » وهو تصحيف . وعبارة البيان المغرب فى أخبار المغرب لابن عذارى المراكشى : «خرقت صفوفهم ... الخ » . (٣) صمد صمد الأمر : قصد قصده . (٤) هو الخليفة مروان ابن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس أبو عبد الملك الخليفة ، وهو ابن عم عثمان بن عفان رضى الله عنه وكاتبه ؛ ومن أجله كان ابتداء فتنة عثمان رضى الله عنه وقتله . ثم انضم الى ابن عمه معاوية ابن أبى سفيان وتولى عدة أعمال الى أن وثب على الأمر بعد أولاد يزيد بن معاوية وبويع بالخلافة ؛ فلم تطل مدته ومات فى أول شهر رمضان سنة ٦٥ هـ .

حين اطمأنّوا و باعوا المَغنم وقسّموه . وكان مروان قد صفق[1] على الخُمس بخمسمائة ألف ، فوضعها عنه عثمان ، فكان ذلك مما تُكلِّم فيه بسببه . فقال عبد الرحمن بن حَنْبل[2] ابن مُلَيل — وكان هو وأخوه كَلَدة أخوى صَفْوان بن أميّة بن خَلَف لأمه ، وهى صَفيّة بنت مَعْمَر بن حبيب[3] بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح ، وكان أبوهما ممن سقط من اليمن إلى مكة — :

أُحْلِف[4] بالله جهــد اليميـ * ـن ما ترك الله أمرًا سُــدَى
ولكنْ خُلقتَ[5] لنـا فتنـةً * لكى نُبتــلَى فيكَ[6] أو تُبتــلى
دعوتَ الطَّرِيدَ[7] فأدنيتَــه * خلافًا[8] لســنّة مَنْ قد مضى
وأعطيتَ مَرْوان[9] خُمس العبا * د ظلمًــا لهم وحَمَيْتَ الحمَى ٦٠/٦

(١) الصفق : التبايع ، وهو من صفق اليد على اليد عند وجوب البيع . (٢) كذا فى حـ والاستيعاب فى ترجمة عبد الرحمن بن حنبل وأخيه كلدة بن حنبل . وفى سائر الأصول : « حسان » وهو تحريف . (٣) كذا فى الاستيعاب والطبقات الكبرى لابن سعد (ج ٥ ص ٣٣٢ فى ترجمة صفوان بن أمية) . وفى جميع الأصول : «خبيب» بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف . (٤) فى الاستيعاب فى ترجمة عبد الرحمن : «وأحلف» وفى البيان المغرب : «سأحلف» . (٥) فى الاستيعاب : «جعلت» . (٦) فى حـ : « بك » . (٧) الطريد : هو الحكم بن العاص بن أمية أبو مروان بن الحكم وعم عثمان بن عفان ، أسلم يوم الفتح . أخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة وطرده عنها فنزل الطائف ، ولم يزل بها مدة خلافة أبى بكر وعمر إلى أن ولى عثمان فرده إلى المدينة وأعطاه مائة ألف درهم ، و بقى فيها إلى أن توفى فى آخر خلافة عثمان قبل القيام على عثمان بأشهر وكان ذلك مما نقموا على عثمان . واختلف فى السبب الموجب لنفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه فقيل : كان يتحيل و يستخفى و يسمع ما يسره رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كبار أصحابه فى مشركى قريش وسائر الكفار والمنافقين فكان يفشى ذلك عليه ، وكان يحكيه فى مشيته و بعض حركاته إلى أمور غيرها . (انظر الاستيعاب ج ١ ص ١٢٠ ، ١٢١ والمعارف لابن قتيبة ص ٩٧ وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ٣٣٠ — ٣٣١) . (٨) فى الاستيعاب : * خلافا لما سنه المصطفى * (٩) ورد هذا البيت والذى بعده فى الاستيعاب هكذا :

وولّيت قـرباك أمر العباد * خلافا لسـنة من قـد مضى
وأعطيت مروان خمس الغنيـ * ـمة آثـرته وحميت الحمى

ومالًا أتاكَ به الأشعرىّ * من الفىء أعطيتَه مَنْ دنا
وإن الأمينَيْن قد بَيّنا * منارَ الطريق عليه الهدى
فما أخذا درهمًا غِيلةً * ولا قسّما درهمًا فى هوى

قال : والمال الذى ذكر أن الأشعرىّ جاء به مالٌ كان أبو موسى قَدِم به على عثمان من العراق، فأعطى عبدَ الله بن أَسِيد بن أبى العِيص منه مائة ألف درهم، وقيل: ثلثمائة ألف درهم ؛ فأنكر الناس ذلك .

ذكر ابن بجرة وخبره فى قصيدة غنى فى أبيات منها

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن محمد بن يحيى عن عبد العزيز — أظنه ابن الدّراوَرْدى[(1)] — قال: ابن بُجَرة الذى ذكره أبو ذؤيب رجل من بنى عُبيد بن عُويج بن عَدِىّ بن كعب من قُرَيش، ولم يسكنوا مكة ولا المدينة قَطّ، وبالمدينة منهم امرأة، ولهم موالٍ أشهرُ منهم، يقال لهم بنو سجفان[(2)]. وكان ابن بُجَرة هذا خمّارًا . وهذا الصوت الذى ذكرناه[(3)] من لحن حَكَم الوادىّ المختار من قصيدة لأبى ذؤيب طويلة . فمما يغنّى فيه منها :

صوت

أساءلتَ رَسْمَ الدار أم لم تُسائلِ * عن الحىّ أم عن عهده بالاوائل
عفا غيرَ رسم الدار ما إن تُبِينُه[(4)] * وعفرِ ظباء[(5)] قد ثوَتْ فى المنازل
فلو أنّ ما عند ابن بُجْرةَ عندها * من الخمر لم تَبْلُل لَهاتى بناطل

---

(١) كذا فى ب، س، حـ . وفى سائر الأصول : «أظنه ابن عمران» . وكلاهما روى عنه محمد بن يحيى الكنانى أبو غسان . والدراوردى : نسبة الى دراورد، قرية من قرى فارس . وقيل : إنها قرية بخراسان، وقيل غير ذلك . (راجع تهذيب التهذيب والطبقات الكبرى لابن سعد) .

(٢) كذا فى ب، س . وفى حـ : «بنو أسجفا» . وفى سائر الأصول : «بنو أسجفان» .

(٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «ذكره» . (٤) فى حـ : «أبينه» .

(٥) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «وغير ظبا» .

فتلك[1] التى لا يَذهبُ الدهرَ حُبُّها * ولا ذِكْرُها ما أَرْزَمَتْ أمُّ حائلِ

غنّاه الغَرِيض ثقيلا أوّلَ بالوسطى . ويقال : إن لمَعْبد فيه أيضا لحنا .

قوله : "أساءلتَ" يخاطب نفسه . ويروى : "عن السَّكْن أو عن أهله"[2] . والسَّكْن . الذى[3] كانوا فيه . وقال الأصمعى : السكن : سكن الدار . والسكن : المنزل أيضا . ويروى : "عفا غيرُ نُؤْىِ الدار" . والنُّؤْى : حاجز يُجعل حول بيوت الأعراب لئلا يَصل المطر إليها . ويروى — وهو الصحيح — :

* وأقطاعُ[4] طُفْىٍ قد عَفَتْ فى المعاقلِ *

والطُّفْى : خُوص المُقْل . والمعاقل : حيث نزلوا فامتنعوا، واحدها مَعْقِل . وواحد الطُّفْى : طُفْية . وأَرْزمتْ : حَنّت . والحائل : الأنثى . والسَّقْب : الذكر .

ومنها :

صـــــوت

وإنّ حديثًا منـك لو تَبْـذُلينه * جَنَى النحلِ فى ألبان عُوذٍ مَطافلِ

مَطافـلِ أبْكار حَديث نِتاجها * تُشاب بمـاءٍ مثلِ ماء المفاصـلِ

غنّاه ابن سُرَيج رملًا بالوسطى . جنى النحل : العسل . والعُوذ : جمع عائذ، الناقة حين تضع فهى عائذ، فإذا تَبِعها ولدُها قيل لها مُطْفِل . والمَفاصل : مُنْفَصَل[5] السهل

---

(١) رواية هـذا الشطر فى ديوانه المخطوط وأمالى القالى (ج ١ ص ٢٢٣ طبع دار الكتب المصرية) : « فتلك التى لايبرح القلب حبها » . (٢) قال الأصمعى فى التعليق على هذا البيت فى شرح ديوانه : «السكن : أهل الدار سكانها ، والسكن : المنزل ... » . وترك كلمة السكن بدون شكل . والذى فى كتب اللغة أن السكن (بالفتح) : السكان ، وهو جمع لساكن كصحب وصاحب . (و بالضم و بالتحريك) : المسكن . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « الذين » وهو تحريف . (٤) أقطاع : جمع قطع (بالكسر) وهو — كالقطيع — : الغصن تقطعه من الشجرة . (٥) كذا صححها المرحوم الأستاذ الشنقيطى بخطه على هامش نسخته . وفى الأصول : « منفتل » .

من الجبل حيث يكون الرَّضراض(١)، والماء الذى يَسْتنقِع(٢) فيها أطيبُ المياه. وتُشاب: تُخلط.

وأخبرنى محمّد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا الرِّياشىّ قال حدّثنا الأصمعىّ: أن أبا ذؤيب إنما عَنَى بقوله: "مَطافل أبْكار" أنّ لبن الأبكار أطيبُ الألبان، وهو لبنُها لأوّل بَطْن وضعتْ. قال: وكذلك العسل فإنّ أطيبَه ما كان من بِكر النحل. قال: وحدّثنى كُرْدين قال: كتب الحجاج إلى عامله على فارس: ابعث إلىّ بعَسل من عسل خُلّار(٣)، من النحل الأبكار، من الدستفشار(٤)، الذى لم تمسّه النار ٦١/٦

صوت من قصيدته العينية

فأما قصيدته العينية التى فُضِّل بها، فمما يغنّى به منها:

صـــوت

أمِنَ المَنون وريْبها(٥) تتوجّع * والدهرُ ليس بمُعتِب من يجزَعُ
قالت أُمامة(٦) ما لجسمك شاحبًا * منذ ابتُذلتَ ومثلُ مالك ينفع
أم ما لجنبك لا يُلائم مضجعًا * إلا أقضّ عليك ذاك المضجَع
فأجبتُها أنْ ما لجسمى(٧) أنّه * أودى بنىّ من البلاد فودّعوا

(١) الرضراض: مادق من الحصى. (٢) كذا فى حـ. ويستنقع: يجتمع. وفى سائر الأصول: «ينبع». (٣) خلار (كرمان): موضع بفارس ينسب إليه العسل الجيد. (٤) الدستفشار: لفظة فارسية، معناها: ما عصرته الأيدى وعالجته. (٥) كذا فى ديوانه وفيا سيأتى فى جميع الأصول. وفى جميع الأصول هنا وفيا مر: «وريبه». والمنون يذكر ويؤنث، فن أنث حمله على المنية، ومن ذكر حمله على الموت. ويحتمل أن يكون التأنيث راجعا إلى معنى الجنسية والكثرة، وذلك لأن الداهية توصف بالعموم والكثرة والانتشار. وقيل: إن من ذكر المنون أراد به الدهر. وقد روى فى اللسان (مادة منن) بالتذكير وذكر فيه التأنيث رواية عن ابن سيدة وقد شرح أبو الفرج ذلك فى الصفحة التالية. (٦) فى شرح ديوانه: «أميمة». (٧) كذا فى ديوانه. ويريد أن الذى بجسمى هو غمى لذهاب ولدى وفقادهم، فهذا الذى ترين بجسمى لذلك. (راجع شرح ديوانه). وفى ب، سـ: «أما لجسمك». وفى سائر الأصول: «أم ما لجسمك».

عروضه من الكامل . غنّاه ابن مُحرِز ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر فى مجراها . قال الأصمعىّ : سُمّيت المَنون منونًا لأنها تذهب بمُنّة كل شىء وهى قوته . وروى الأصمعى : "ورَيْبه" فذكّر المَنون . والشاحب : المُغيّر المهزول . يقال : شَحُب يشحُب . ابتُذلتَ : امتهنْتَ نفسَك وكَرِهتَ الدعةَ والزينة ولزِمت العملَ والسفر ومثلُ مالك يُغنيك عن هذا ، فاشْتَرِ لنفسكَ مَنْ يكفيك ذلك ويقوم لك به . ويلائم : يوافق . أُقضّ عليك أى خشُن فلم تستطع أن تضطجع عليه . والقَضَض : الرمل والحصى . قال الراجز :

إنّ أُحيحًا (١) مات من غير مَرَض * ووُجْد فى مَرْمَضه حيث ارتمض (٢)

* عَساقلٌ (٣) وجِبَأٌ فيها قَضَض *

وودّعوا : ذهبوا . استُعمل ذلك فى الذهاب لأن من عادة المفارق أن يودّع .

طلب المنصور قصيدته العينية فلم يعرفها أحد من أهله وعرفها مؤدب فأجازه

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنى أحمد بن عمر النحوىّ قال حدّثنى أبى عن الهَيْثم بن عَدِىّ عن ابن عياش قال :

لما مات جعفرُ بن المنصور الأكبرُ مشى المنصور فى جنازته من المدينة (٤) إلى

(١) كذا فى لسان العرب مادتى « جبأ ورمض » . وفى ب ، س : « إن احتجامايك عن ... الخ » . وفى سائر الأصول : « ان احتجاماتك » . وكلاهما تحريف .

(٢) ارتمض الرجل من كذا ، أى اشتدّ عليه وأقلقه .

(٣) العساقل : ضرب من الكمأة ، وهى الكمأة الكبار البيض يقال لها شحمة الأرض . والجبء (بالفتح) : الكمأة السود . والسود خيار الكمأة . فجبأ (بكسر ففتح) يجوز أن يكون جمع جبء بجبأة (بكسر ففتح أيضا) وهو نادر ، ويجوز أن يكون المراد جبأة ، فحذفت الهاء للضرورة ، ويجوز أن يكون اسما للجمع . (عن اللسان مادة جبأ) .

(٤) يريد بغداد .

مقابر قريش[1]، ومشى الناسُ أجمعون معه حتى دَفَنه، ثم آنصرف إلى قصره . ثم أقبل على الربيع[2] فقال : يا ربيع، أنظُر مَنْ فى أهلى يُنشدنى :

* أمِنَ المنون وريْبِها تتوجّع *

حتى أتسلَّى بها عن مُصيبتى . قال الربيع : فخرجتُ إلى بنى هاشم وهم بأجمعهم حُضور، فسألتُهم عنها، فلم يكن فيهم أحدٌ يحفظها، فرجعتُ فأخبرته؛ فقال : والله لمصيبتى بأهل بيتى ألّا يكون فيهم أحدٌ يحفظ هذا لِقِـلّة رغبتهم فى الأدب أعظمُ وأشـدّ علىّ من مُصيبتى بآبنى. ثم قال : أُنظُر هل فى القوّاد والعَوَامّ من الجند مَنْ يعرفها، فإنى أحبّ أن أسمعها من إنسان يُنشدها . فخرجتُ فآعترضت الناسَ فلم أجد أحدًا يُنشدها إلا شيخًا كبيرا مؤدِّبا قد آنصرف من موضع تأديبه ، فسألتـه : هل تحفظ شيئًا من الشعر؟ فقال : نعم، شِعْر أبى ذُؤَيب . فقلت : أنْشِدْنى . فابتدأ هذه القصيدةَ العينيّة . فقلت له : أنت بُغْيتى . ثم أوصلته إلى المنصور فآستنشده إياها . فلما قال :

* والدهرُ ليس بمُعتِب[3] مَنْ يَجْزَعُ *

قال : صدق والله، فأنْشِدْنى هذا البيتَ مائة مرّة ليتردّد هذا المصراعُ علىّ؛ فأنشدَه، ثم مرّ فيها . فلما آنتهى إلى قوله :

والدهر لا يَبْقَى على حَدَثانه * جَوْنُ السَّراة[4] له جدائدُ أربعُ

(١) مقابر قريش ببغـداد : مقبرة مشهورة ومحلة فيها خلق كثـير وعليها سور بين الحربية ومقبرة أحمد بن حنبل رضى الله عنه والحريم الطاهرى، وبينها وبين دجلة شوط فرس جيـد ، وهى التى فيها قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين آبن الإمام الحسين بن على بن أبى طالب ، وكان جعفر الأكبر هو أول من دفن بها ، والمنصور أول من جعلها مقبرة لما ابتنى بها مدينته سنة ١٤٦ هـ

(٢) هو الربيع بن يونس مولى المنصور . (٣) أعتبه : رجع الى ما يرضيه وترك ما يسخطه .

(٤) جون السراة : أسـود الظهر أو أبيضه ، فإن الجون يطلق على الأسود والأبيض . ويريد بجون السراة حمارا . والجدائد : الأتن ، واحدها جدود (بفتح أوله) وهى التى لا لبن لها .

٦٢/٦ قال : سلا[1] أبو ذؤيب عند هذا القول . ثم أمر الشيخ بالانصراف . فاتّبعتُه فقلت له : أأمر لك أميرُ المؤمنين بشيء ؟ فأرانى صُرّةً فى يده فيها مائةُ درهم .

خانه خالد بن زهير فى امرأة يهواها كان خان هو فيها عويم بن مالك

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنا الرِّياشىّ قال حدّثنا الأصمعىّ قال : كان أبو ذؤيب الهُذَلىّ يهوَى امرأةً يقال لها أم عمرو ، وكان يُرسل إليها خالد[2] ابن زُهير فخانه فيها ، وكذلك كان أبو ذُؤَيب فعل برجل يقال له عُوَيم[3] بن مالك بن عويمر وكان رسولَه إليها . فلما علم أبو ذؤيب بما فعل خالد صَرَمها . فأرسلتْ تترضّاه، فلم يفعل ، وقال فيها :

تُريدين كيما تجمعينى وخالدًا * وهل يُجمَع السيفانِ وَيْحكِ فى غِمْدِ
أخالدُ ما راعيتَ مِنِّى[4] قَرابةً * فتحفَظَنى بالغيب أو بعض ما تُبدى[5]
دعاكَ إليها مُقلتاها وجِيدُها * فمِلتَ كما مال المُحِبّ على عَمْدِ
وكنتَ كرَقْراق السَّراب إذا بدا * لقوم وقد بات المطىُّ بهم يَخْدى[6]
فآليتُ لا أنفكّ أحذو قصيدةً * تكون وإياها بها مثلًا بعدى

(١) كذا فى ا ، ى ، م . وفى ب ، حـ : «سلا أبو ذؤيب عن هذا القول» . وفى س : «سل أبا ذؤيب عن هذا القول» . (٢) هو خالد بن زهير الهذلى، وكان ابن أخت أبى ذؤيب، وقيل : ابن أخيه . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : «عويمر» . وقد أورد ابن قتيبة هذه القصة فى كتابه طبقات الشعراء (ص ٤١٣ — ٤١٤) وذكر أن الرجل الذى خانه أبو ذؤيب فى هذه المرأة هو ابن عم له يقال له مالك بن عويمر . وأوردها البغدادى فى كتابه خزانة الأدب (ج ٢ ص ٣١٦، ج ٣ ص ٥٩٧، ٦٤٨) فى تفصيل كثير، فذكر فى موضع أنه يقال له مالك بن عويمر، كما ذكره ابن قتيبة ، وفى موضع آخر أنه يقال له وهب بن جابر، وذكر سبب تعلقه بها وجفائها له بعد . واستطرد فى القصة حتى أتى على خبر مقتل خالد بن زهير . (٤) كذا فى شرح ديوانه والشعر والشعراء . وفى الأصول : «من ذى قرابة» . (٥) أراد : فتحفظنى بالغيب أو فى بعض ما تظهر من المودة والإخاء . (٦) كذا فى حـ وديوانه . وخدى البعير والفرس خديا وخديانا : أسرع وزج بقوائمه . وفى سائر الأصول : «يحدى» (بالحاء المهملة) وهو تصحيف .

غنّاه ابن سريج خفيفَ رمل بالبنصر . الغيب: السرّ . والرقراق: الجارى . ويروى: " أحذو قصيدة" . فمن قال: " أحذو" بالذال المعجمة أراد أصنع، ومن قال: " أحدو" أراد أغنّى .

وقال أبو ذؤيب فى ذلك :

وما حُمِّــل البُخْــتِىُّ عامَ غِيارِه[1] * عليه الوُسُــوقُ[2] بُرُّها وشَــعيرُها
أَتَى قــريةً كانت كثيرًا طعامُها * كَرَفْعِ[3] التراب كلُّ شىءٍ يَمِــيرُها

— الرفع من التراب: الكثير اللين —

فقيــل تَحمَّــلْ فوق طوقك إنّهــا * مُطَبَّعةٌ[4] مَنْ يأتِهــا لا يَضِــيرُها
بأعظمَ[5] ممــا كنتُ حَمَّلتُ خالدًا * وبعضُ أمانات الرجال غُرورها
ولو أنّنى حَمَّلتُــه البُزْلَ ما مشتْ * به البزلُ حتى تَتْلَئِبَّ صــدورها

— تتلئب: تستقيم وتنتصب وتمتدّ وتتابع[6] —

خليــلى الذى دلَّى[7] لَغَىٍّ خليــلتى * جِهارًا فكلٌّ قد أصابَ عُرورها[8]

— يقال: عَرّه بكذا أى أصابه [به][9] —

فشأنَكَهــا[10]، إنى أمينٌ وإنّنى * إذا ما تَحــالَى مثلُهــا لا أَطُورها

— تحالى: من الحلاوة . أطورها: أقرَبُها — .

---

(١) الغيار (بالكسر): مصدر غارهم يغيرهم إذا مارهم أى أتاهم بالميرة . (٢) الوسوق: جمع وسق (بالفتح)، وهو حمــل البعير، وقيــل: الحمل عامة . (٣) فى جميع الأصول: « كرقع » (بالقاف والعين المهملة) . والتصويب عن شرح ديوانه . (٤) يريد أن هذه القرية مملوءة بالطعام، فكنى عن ذلك بأنها مطبعة أى مختومة لأن الختم إنما يكون غالبا بعد الملء .

(٥) فى ديوانه: « بأثقل » . (٦) لعلها « وتتايع » بالياء المثناة التحتية . يقال: تتايع الجمل فى مشيه إذا حرك [illegible] حتى يكاد ينفك . (٧) دلى فلان فلانا فى الشرّ: أوقعه وصيره فيه . (٨) العرور: المعرة والعيب . (٩) زيادة عن حـ . (١٠) فى شرح ديوانه فى التعليق على هذا البيت: ورواه خالد والأصمعىّ: « فشأنكما ... الخ » .

أحاذر يوماً أن تبين قرينتى * ويُسلِمها أحرازُها[1] ونصيرها

— الأحراز : الحصون . قرينتى : نفسى —

وما أنفس الفتيان إلا قرائنٌ * تبين ويبقى هامُها وقبورها

فنفسك فاحفظها ولا تُفشِ للعدا * من السرّ ما يُطوى عليه ضميرُها

وما يحفظ المكتومَ من سرّ أهله * إذا عُقَدُ الأسرار ضاع كبيرُها

من القوم إلا ذو عَفاف يُعينه * على ذاك منهُ صِدقُ نفس وخيرُها

رعى خالدٌ سرّى ليالىَ نفسُه * توالى[2] على قصد السبيل أمورُها ٦٣/٦

فلما تراماه[3] الشبابُ وغيُّه * وفى النفس منه فتنةٌ وفُجورها

لوى رأسَه عنّى ومال بودّه * أغانيجُ خُود[4] كان فينا يزورها

تعلّقه منها دلالٌ ومُقلة * تظلّ لأصحاب الشّقاء تديرها

فإنّ حرامًا أن أخون أمانةً * وآمَنَ نفسًا ليس عندى ضميرها[5]

فأجابه خالد بن زهير :

لا يُبعدنّ الله لُبّك إذ غزا * وسافرَ والأحلامُ جمٌّ عُثورُها

— غزا وسافر لبك : ذهب عنك . والعثور : من العثار وهو الخطأ —

وكنتَ إمامًا للعشيرة تنتهى * إليك إذا ضاقت بأمرٍ صدورها

(١) فى شرح ديوانه : « إخوانها » . (٢) توالى : تتابع . وقصد السبيل : مستقيمه .

(٣) تراماه الشباب : أى تم شبابه فقذف به إلى الغى كما تترامى الفلاة براكبها .

(٤) الأغانيج : جمع أغنوجة . والأغنوجة من التغنج وهو التكسر والتدلل . والخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفا . (٥) يريد : لا آمن من ليس عندى ضمير قلبه والذى يزعم أنه أخى وليس ضميره عندى . وفى نسبة هذا البيت لأبى ذؤيب خلاف ذكر فى شرح ديوانه .

لعمـرك(١) إمّا أمُّ عمـرو تبـدّلت * سِـواكَ خليلًا شاتِمى تَسْتخيرها

— الاستخارة : الاستعطاف —

فإنّ التى فينـا زعمتَ ومثلَها * لَفيـكَ ولكنّى أراكَ تَجُـورها(٢)

— تجورها : تُعرض عنها —

ألم تَتْقـذها(٣) من عـويم بن مالك * وأنت صـفىٌّ نفسِـه وسَجِيرُها(٤)

فلا تَجْزَعَنْ من سُـنّةٍ أنت سِرتَها * فأوّلُ راضٍ سُـنّةً مَنْ يسـيرها

— ويروى [قـد](٥) أسرتَها ، أى جعلتهـا سائرة . ومن رواه هكذا روى "يُسيرها" لأن مستقبل أفعل(٦) أسارها يسيرها . و"يَسيرها" مستقبل سار السيرة يسيرها —

فإن كنتَ تشكو من خليلٍ مخانةً(٧) * فتلك الجَـوازِى(٨) عَقبها ونُصورها

— عَقبها : يريد عاقبتها . ونُصورها أى تُنصر عليك، الواحد نصر(٩) —

وإن كنتَ تبـغى للظُّلامة مَرْكبًا * ذَلُولًا فإنى ليس عنـدى بَعـيرها

نشأتُ عَسـيرًا لا تَلين(١٠) عَريكتى * ولم يَعْلُ(١١) يومًا فوق ظهـرى كُورها(١٢)

---

(١) كذا فى حـ وشرح ديوانه . وفى سائر الأصول : «لعمرك» . (٢) كذا فى أ ، ى ، م ، وشرح ديوانه . وفى سائر الأصول : «ولكن لا أراك تخورها» (بالخاء المعجمة) وهو تحريف .

(٣) الموجود فى معاجم اللغة من هذه المادة : أنقذه واستنقذه وتنقذه . ورواية هذا الشطر فى شرح ديوانه وطبقات الشعراء : «ألم تتنقذها من ابن عويمر * .. الخ» وتنقذها : تجزها وأخذها .

(٤) السجير : الخليل الصفىّ . (٥) زيادة من شرح ديوانه . (٦) كذا وردت هذه العبارة فى الأصول، وهى غير مستقيمة . والظاهر أن كلمة «أفعل» مقحمة . (٧) كذا فى شرح ديوانه . وفى جميع الأصول : «مخافة» (بالفاء) وهو تحريف . (٨) كذا فى حـ وشرح ديوانه . وفى سائر الأصول : «الجوارى» (بالراء المهملة) وهو تصحيف . (٩) قال فى اللسان (مادة نصر) بعد أن أورد هذا البيت : «يجوز أن يكون نصور جمع ناصر كشاهد وشهود وأن يكون مصدرا كالدخول والخروج» . (١٠) فى شرح ديوانه : «لم تديث» . وتديث : تذلل وتلين .

(١١) فى شرح ديوانه : «ولم يستقر فوق ... الخ» . (١٢) الكور : الرحل .

متى ما تشأْ أحمِلْك والرأسُ مائلٌ * على صَعْبةٍ حَرْفٍ وَشِيكٍ طُمورُها (١)

فلا تَكُ كالثور الذى دُفِنتْ له * حديدةُ حَتْفٍ ثم أمسى يُثيرُها (٢)

يُطيل ثَواءً عندها لِيَرُدَّها * وهيهات منه دارُها وقُصورُها (٣)

وقاسَمها بالله جَهْدًا لأنتمُ * ألذُّ من السَّلْوَى إذا ما نَشُورُها (٤)

— نشورها : نجتنيها . السلوى هاهنا : العسل —

فلم يُغنِ عنه خَدْعُه يوم أزْمَعتْ * صَريمتَها والنفسُ مُرٌّ ضميرُها (٥)

ولم يُلْفَ جَلْدًا حازمًا ذا عَزيمةٍ * وذا قوة يَنْفِى بها من يَزورُها

فأَقْصِرْ ولم تأخذْك مِنّى سحابةٌ (٦) * يُنَفِّر شاءَ المُقْلِعين خَريرُها

— المقلعين : الذين أصابهم القَلَع وهو السحاب —

ولا تَسْبِقَنَّ الناسَ مِنّى بخُطْةٍ (٧) * مِنَ السمّ مَذْرُورٍ عليها ذَرُورُها

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا السَّكَن بن سَعيد قال حدّثنا العبّاس ٦٤ / ٦ ابن هشام قال حدّثنى أبو عمرو عبد الله بن الحارث الهُذَلىّ من أهل المدينة قال : مسـرونه

خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخٍ له يقال له أبو عُبيد (٨)، حتى قَدِموا على عمر بن الخطّاب رضى الله عنه . فقال (٩) له : أىُّ العمل أفضلُ يا أمير المؤمنين ؟ قال : الإيمان

(١) الرأس مائل من المرح والنشاط . والحرف : الضامرة . ووشيك طمورها : سريع وثوبها .
(٢) فى شرح ديوانه : « ثم ظل » . (٣) فى شرح ديوانه : « دورها » . (٤) كذا فى شرح ديوانه ولسان العرب (مادة سلا) : وفى الأصول : « يشورها » . (٥) مرّ ضميرها أى نفسها خبيثة كارهة . (٦) أى كف ولم تأخذك منى سحابة منطق وهجاء كأنه مطر ينفر شاء الناس . ورواه الأصمعىّ : « فإياك لا تأخذك ... » . (راجع شرح ديوانه) . (٧) كذا فى شرح ديوانه ولسان العرب (مادة خطط) . والخطة : الطرية التى أخذت طعما ولم تستحكم ، أو هى التى أخذت ريح الإدراك كريح التفاح ولم تدرك بعد . والمراد هنا اللوم والكلام القبيح . ومعنى البيت أنه ينهاه عن التعرض لشتمه وهجائه . وفى الأصول : « منك بحكمة » وهو تحريف (٨) فى جميع الأصول هنا : « أبو عقيل » وهو تحريف . (٩) فى جميع الأصول : « فقالوا » . والتصحيح عن الأستاذ الشنقيطى فى هامش نسخته ؛ فإن ما فى الأصول لا يلائم سياق الخبر .

بالله ورسوله. قال : قد فعلتُ، فأيُّه أفضلُ بعده ؟ قال : الجهادُ فى سبيل الله. قال : ذلك كان علىّ وإنى لا أرجو جنة ولا أخاف نارًا. ثم خرج فغزا أرضَ الروم مع المسلمين. فلما قَفَلوا أخذه الموت(١)؛ فأراد ابنُه وابنُ أخيه أن يتخلفا عليه جميعا؛ فمنعهما صاحبُ الساقة(٢) وقال : ليتخلّف عليه أحدُكما وليعلمْ أنه مقتول. فقال لهما أبو ذؤيب : اقترِعا، فطارت القُرعة لأبى عُبيد، فتخلّف عليه ومضى ابنُه مع الناس. فكان أبو عُبَيْـد يُحدّث قال قال لى أبو ذؤيب : يا أبا عُبيد، احفِر ذلك الجُرُف برمحك ثم اعْضِد(٣) من الشجر بسيفك ثم اجْرُرْنِى إلى هـذا النهر فإنك لا تفرُغ حتى أفرُغ، فاغسِلْنى وكفِّنِّى ثم اجعلنى فى حَفيرى وانْثِل(٤) علىّ الجُرُف برمحك، وألق علىّ الغصونَ والشجر، ثم اتّبع الناس فإن لهم رَهْجةً(٥) تراها فى الأفق إذا مشيتَ كأنها جَهامة(٦). قال : فما أخطأ مما قال شيئًا، ولولا نَعْتُه لم أهتد لأثر الجيش. وقال وهو يجود بنفسه :

أبا عُبَيد رُفِـعَ الكتّابُ * واقترب الموعد والحسابُ

وعند رَحْلى جمَـلٌ نُجابُ * أحمرُ فى حارِكه(٧) انصبابُ

ثم مضيتُ حتى لحقتُ الناسَ. فكان يُقال : إن أهلَ الإسلام أبعدوا الأثرَ فى بلد الروم، فما كان وراء قبر أبى ذُؤَيب قبرٌ يُعرف لأحد من المسلمين.

---

(١) مر فى أوّل ترجمة أبى ذؤيب ما يخالف ما هنا. (راجع ما كتبه فى صفحة ٢٦٦ فى الحاشية رقم ٢). (٢) ساقة الجيش : مؤخرته. (٣) كذا فى تجريد الأغانى. وعضد الشجر يعضده (بالكسر) : قطعه. وفى جميع الأصول : «احمد» وهو تحريف. (٤) نثل الركية ينثلها (من باب ضرب) : أخرج ترابها. وهذا المعنى غير مستقيم فى هـذا المقام. فلعل صوابه «وأهل على الجرف ... الخ». وأهال عليه التراب : دفعه فانهال. (٥) الرهجة : ما أثير من الغبار. (٦) الجهامة : السحابة لا ماء فيها. (٧) الحارك : أعلى الكاهل.

ذكر حَكَم الوادىّ وخبره ونسبه

نسبه وأصله وصناعته

هو الحَكَم بن مَيْمون مولى الوليد بن عبد الملك . وكان أبوه حلّاقا يحلق رأس الوليد، فآشتراه فأعتقه . وكان حَكَمٌ طويلا أَحْوَلَ، يُكْرِى الجمالَ ينقُل عليها الزيت من الشام إلى المدينة . ويُكنى أبا يحيى . وقال مصعَب بن عبد الله بن الزُّبَير : هو حكم ابن يحيى بن ميمون ، وكان أصله من الفُرْس ، وكان جمّالا ينقل الزيت من وادى القُرَى(١) إلى المدينة . وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنه كان شيخًا طويلًا أحولَ أجنأ(٢) يخضب بالحِنّاء ، وكان جمّالًا يحمل الزيت من جُدّة إلى المدينة ، وكان واحدَ دهره فى الحِذْق ، وكان ينقُر بالدفّ ويغنّى مرتجلا ، وعُمِّر عمرا طويلا ، غنّى الوليدَ ابن عبد الملك ، وغنّى الرشيدَ ومات فى الشَّطْر من خلافته ، وذكر أنه أخذ الغناء من عُمَر الوادى . قال : وكان بوادى القُرَى جماعةٌ من المغنّين فيهم عمر بن زاذان — وقيل : ابن داود بن زاذان ، وهو الذى كان يسميه الوليد جامعَ لذّتى — وحكم بن يحيى ، وسليمان ، وخُلَيْد بن عَتِيك — وقيل : ابن عبيد — ويعقوب الوادى . وكل هؤلاء كان يصنع فيُحسن .

غنى الوليد بن عبد الملك وعاش إلى زمن الرشيد

مدح إسحاق الموصلى غناءه

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى حمّاد قال قال لى أبى :

أحذقُ من رأيتُ من المغنين أربعة : جدّك وحكَم وفُليح بن العوراء وسياط . قلت : وما بلغ من حذقهم؟ قال : كانوا يصنعون فيُحسنون ، ويؤدّون(٣) غناء غيرهم

(١) وادى القرى : واد بين الشام والمدينة وهو بين تيماء وخيبر . سمى بذلك لأنه من أوله إلى آخره قرى منظومة كانت منازل قضاعة ثم جهينة وعذرة وبلى ، وقديما كانت منازل ثمود وعاد وبها أهلكهم الله تعالى .

(٢) الأجنأ : الأحدب . (٣) فى حـ : « ويروون » .

٦٥/٦ فيحسنون . قال إسحاق : وقال لى أبى : ما فى هؤلاء الذين تراهم من المغنّين أطبع من حَكَم وابن جامع، وفُلَيح أدرى منهما بما يخرج من رأسه .

غنى الوليد بن يزيد بشعر مطيع بن إياس فأجازه

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن أحمد بن المكىّ حدّثه عن أبيه قال حدّثنى حكم الوادىّ، وأخبرنى به محمد بن يحيى الصُّولِىّ قال حدّثنا الغَلَابىّ[(1)] عن حمّاد بن إسحاق عن أحمد بن المكىّ عن أبيه عن حكم الوادى قال :

أدخلنى عمر الوادى على الوليد بن يزيد، وهو على حمار، وعليه جُبّة وَشْى و رداء وشى وخُفّ وشى، وفى يده عِقْد جوهر، وفى كُمّه شيء لا أدرى ما هو . فقال : مَنْ هنّانى ما أشتهى فله ما فى كُمّى وما علىّ وما تحتى؛ فغنّوه كلّهم فلم يَطْرَب؛ فقال لى : غَنِّ يا غلام، فغنّيت :

صـــوت

إكليلُهـا ألوانُ * ووجهُها فتّــانُ
وخالُهـا فريدٌ * ليس له جـيران
إذا مشتْ تثنّت * كأنها ثعبان

— الشعر لمُطِيع بن إياس . والغناء لحَكَم الوادى هَزَجٌ بالوسطى . وفيـه لإبراهيم رَمَلٌ خفيف بالوسطى — فطرب وأخرج ما كان فى كمّه، و إذا كيسٌ فيـه ألفُ دينار، فرمَى به إلىّ مع عقد الجوهر؛ فلما دخل بعث إلىّ بالحمار و جميع ما كان عليه . وهذا الخبر يذكر من عدّة وجوه فى أخبار مُطيع بن إياس .

---

(1) كذا فى أ ، ء ، م . وهو محمد بن زكريا بن دينار الغلابى . وقد مرت رواية محمد بن يحيى الصولى عنه فى الأجزاء السابقة . وفى سائر الأصول : « العلائى » وهو تحريف .

مدحه رجل من قريش بشعر صنع هو فيه صوتا

وفى حكم الوادىّ يقول رجل من قريش :

صــــوت

أبو يحيى أخو الغَزَل المغنّى * بَصيرٌ بالثِّقال وبالخِفافِ
على العيدان يُحسِن ما يُغنّى * ويُحسن مايقول على الدِّفاف

غنّاه حكم الوادىّ هزجًا بالبنصر .

قال هارون بن عبد الملك قال أبو يحيى العِبَادىّ قال حدّثنى أحمد البارد قال : دخلتُ على حَكَم يومًا فقال لى : يا قِصَافىّ[1] ، إن رجلا من قريش قال فىّ هذا الشعرَ :

* أبو يحيى أخو الغَزَل المغنّى *

وقد غنّيتُ فيه ، فخذ العودَ حتّى تَسمعه منّى ؛ فأخذتُ العود فضربتُ عليه وغنّانيه ، فكنت أوّلَ من أخذ من حَكَم الوادىّ هذا الصوت .

سئل عن صوت فقال ما يكون إلا لى

قال أبو يحيى وقال إسحاق :

سمعت حكمًا الوادىّ يغنى صوتًا فأعجبنى ، فسألتُه لمن هو ؟ فقال : ولمن يكون هذا إلّا لى .

غضب من شيخ قال له أحسنت

وقال مُصْعَب :

حدّثنى شيخ أنه سمع حَكَمًا الوادىّ يغنّى ، فقال له : أحسنت ! فألقى الدُّفّ وقال للرجل : قبّحك الله ! ترانى مع المغنّين منذ ستين سنةً وتقول لى أحسنتَ ! .

قصته هو وفليح مع ابن جامع عند يحيى بن خالد

وقال لى هارون حدّثنى مُدْرِك بن يزيد قال قال لى فُلَيح :

بعث إلىّ يحيى بنُ خالد وإلى حَكَم الوادىّ ، وابنُ جامع معنا ، فأتيناه . فقلت لحكم الوادىّ — أو قال لى — إنّ ابنَ جامع معنا ، فعاوِنّى عليه لنكسِرَه .

(١) بنو قصاف : بطن من العرب .

فلما صرنا إلى الغناء غنّى حَكَمٌ، فصِحْتُ وقلت : هكذا والله يكون الغناء ! ثم غنّيت ففعل بى حَكَمٌ مثلَ ذلك ، وغنّى ابنُ جامع فما كنا معه فى شىء . فلما كان العشىُّ أرسل إلى جاريته دَنَانيرَ : إن أصحابَكِ عندنا، فهل لكِ أن تخرجى إلينا؟! فخرجتْ وخرج معها وصائفُ لها، فأقبل عليها يقول لها من حيث يظن أنّا لا نسمع : ليس فى القوم أنزهُ نفسًا من فُلَيح، ثم أشار إلى غلام له : أنِ آئت كلَّ إنسان بألفى درهم، فجاء بها. فدفع إلى ابن جامع ألفين فأخذها فطرحها فى كمّه، ولحكم مثلَ ذلك فطرحها فى كمّه، ودفع إلىّ ألفين . فقلت لدنانير : قد بلغ منّى النبيذُ فآحتبسيها لى عندك، فأخذت الدراهمَ منّى وبعثتْ بها إلىّ من الغد، وقد زادت عليها مثلَها، وأرسلتْ إلىّ : قد بعثتُ إليك بوديعتك وبشىء أحببتُ أن تفرّقه على أخواتى (تعنى جوارىّ) . ٦٦/٦٠

بلغ فى الهزج مبلغا قصر عنه غيره

قال هارون بن محمد قال حمّاد بن إسحاق قال أبى :

أربعةٌ بلغوا فى أربعة أجناس من الغناء مبلغًا قصّر عنه غيرُهم : معبد فى الثقيل، وابن سُرَيج فى الرَّمَل، وحَكَمٌ فى الهَزَج، وإبراهيمُ فى الماخُورِى .

كتب له الرشيد بصلة إلى إبراهيم ابن المهدى فوصله هو أيضا وأخذ عنه ثلثمائة صوت

قال هارون وحدّثنى أبى قال حدّثنى هبةُ الله بن إبراهيم بن المهدىّ عن أبيه قال:

زار حَكَمٌ الوادىّ الرشيدَ، فبرّه ووصله بثلثمائة ألف درهم، وسأله عمن يختار أن يكتب له بها إليه ؛ فقال : اكتب لى بها إلى إبراهيم بن المهدىّ — وكان عاملا له بالشام — قال إبراهيم : فقدم علىّ حَكَمٌ بكتاب الرشيد، فدفعتُ إليه ما كتب به ووصلتُه بمثل ما وصله، إلا أنى نقصته ألفًا من الثلثمائة وقلت له : لا أصِلُكَ بمثل صلة امير المؤمنين . فأقام عندى ثلاثين يومًا أخذتُ منه فيها ثلثمائة صوت، كلُّ صوت منها أحبُّ إلىّ من الثلثمائة الألف التى وهبتُها له .

أهانه ابن شقران ولما عرفه اعتذر

وأخبرنى علىّ بن عبد العزيز عن عبيد الله بن خُرْدَاذْبَه قال قال مصعب بن عبد الله :

بينا حَكَمٌ الوادىّ بالمدينة إذ سمع قومًا يقولون : لو ذهبنا إلى جارية ابن شُقْران ! فإنها حسنة الغناء ! فمضوا إليها ، وتبعهم حكم وعليه فروة(١) ، فدخلوا ودخل معهم ، وصاحبُ المنزل يظن أنه معهم وهم يظنون أنه من قِبَل صاحب المنزل ولا يعرفونه . فغنّتِ الجارية أصواتا ثم غنّت صوتًا ثم صوتًا . فقال حَكَمٌ الوادىّ : أحسنتِ والله ! وصاح . فقال له ربُّ البيت : يا ماصّ كذا وكذا من أمه ! وما يُدريك ما الغناء ! فوثَب عليه يُتعتِعه(٢) وأراد ضربه . فقال له حَكَمٌ : يا عبد الله ، دخلتُ بسلام وأُخرِجُ كما دخلت ، وقام ليخرج . فقال له ربُّ البيت : لا أو أضربَك . فقال حكم : على رِسْلك ، أنا أعلم بالغناء منك ومنها ، وقال : شُدّى موضع كذا وأصلحى موضع كذا ، وآندفع يغنّى . فقالت الجارية : إنه والله أبو يحيى ! فقال ربّ المنزل : جُعلتُ فداك ! المعذرةُ إلى الله وإليك ! لم أعرفك ! فقام حَكَمٌ ليخرج فأبى الرجلُ ؛ فقال : والله لأخرجنّ ، فسأعود إليها لكرامتها لا لكرامتك .

لامه ابنه على غنائه الأهزاج فأجابه

وذكر أحمد بن المكىّ عن أبيه : أنّ حكمًا لم يُشْهَر بالغناء ويذهب له الصّوت(٣) به حتى صار الأمر إلى بنى العباس ؛ فانقطع إلى محمد بن أبى العباس أميرِ المؤمنين وذلك فى خلافة المنصور ؛ فأُعجِب به وآختاره على المغنّين وأعجبتْه أهزاجُه . وكان يقال : إنه من أهزج الناس . ويقال : إنه غنّى الأهزاجَ فى آخر عمره ، وإن آبنه لامه على ذلك ، وقال له : أبعدَ الكبر تغنّى غناء المخنّثين ! فقال له : اسكت فإنك جاهلٌ ، غنّيتُ الثقيلَ ستين سنةً فلم أنَل إلا القوت ، وغنّيت الأهزاج منذ سُنَيّات فأكسبتُك ما لم تَرَ مثلَه قطُّ .

(١) الفروة والفرو : شىء نحو الجبة يبطن من جلود بعض الحيوان كالأرانب والثعالب والسمور .
(٢) كذا فى حـ . وتعتعه : تلتله وحركه بعنف . وفى سائر الأصول : « يتنفه » وهو تحريف .
(٣) فى ب ، سـ : « الصيت » . والصوت والصيت الذكر الحسن الذى ينتشر بين الناس .

شهد له يحيى بن خالد بجودة الأداء

قال هارون بن محمد وقال يحيى بن خالد :

ما رأينا فيمن يأتينا من المغنِّين أحدًا أجود أداءً من حَكَم[1] . وليس أحد يسمع غناء ثم يغنّيه بعد ذلك إلا وهو يغيّره ويَزيد فيه ويَنقُص إلا حَكَمًا . فقيل لحكم ذلك فقال : إنى لست أشرب ، وغيرى يشرب ، فإذا شرب تغيّر غناؤه .

٦٧ / ٦

استكثر المنصور ما كان يعطاه من هدايا ثم عدل عن رأيه

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال :

كان خبرُ حَكَم الوادى يتناهى إلى المنصور ويبلّغه ما يصله به بنو سليمان بن علىّ ، فيَتعجّب لذلك ويستسرفه ويقول : هل هو إلا أنْ حسّن شعرًا بصوته وطرّب مستمعيه ، فماذا يكون ! وعلَامَ يُعطونه هـذه العَطَايا المُسْرِفة ! إلى أن جلس يومًا فى مُسْتشْرَف له ، وقد كان حَكَمٌ دخل إلى رجل من قوّاده — أُرَاه قال : علىّ بن يَقْطين[2] أو أبوه — وهو يراه ، ثم خرج عشيًّا وقد حمله على بغلة له يعرفها المنصور ، وخلع عليه ثيابا يعرفها له . فلما رآه المنصور قال : من هذا ؟ فقيل : حَكَمٌ الوادىّ . فحرّك رأسه مَليًّا ثم قال : الآنَ علمتُ أن هذا يستحقّ ما يُعطاه . قيل : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وأنت تنكر ما يبلغك منه ؟ قال : لأنّ فلانا لا يعطى شيئا من ماله باطلًا ولا يضَعه إلا فى حقه .

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «وليس أحد يسمع منه غناء ... الخ» . والظاهر أن كلمة «منه» مقحمة .

(٢) كان يقطين بن موسى البغدادى من وجوه الدعاة ، وطلبه مروان فهرب . وابنه على بن يقطين ولد بالكوفة سنة أربع وعشرين ومائة . وهربت أم على به وبأخيه عبيد بن يقطين الى المدينة . فلما ظهرت الدولة الهاشمية ظهر يقطين وعادت أم على بعلى وعبيد . فلم يزل يقطين فى خدمة أبى العباس وأبى جعفر المنصور ، وكان مع ذلك يرى رأى آل أبى طالب ويقول بإمامتهم ، وكذلك ولده ، وكان يحمل الأموال الى جعفر بن محمد بن على والألطاف . ونم خبره الى المنصور والمهدى فصرف الله عنه كيدهما . وتوفى على بن يقطين بمدينة السلام سنة ١٨٢ هـ وسنه ٥٧ سنة وصلى عليه ولى العهد محمد بن الرشيد وتوفى أبوه بعده فى سنة ١٨٥ هـ (عن فهرست ابن النديم) .

اعترض المهدى فى الطريق وغناه فأجازه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن أبى سعد(١) قال حدثنا قَعْنب بن المُحْرِز الباهلىّ عن الأصمعىّ قال :

رأيت حَكَمًا الوادىّ حين مضى المهدىّ إلى بيت المَقْدِس(٢)، وقد عارضه فى الطريق وأخرج دُفّه ونقَرفيه وله شُعَيْرات على رأسه وقال : أنا والله يا أمير المؤمنين القائل :

ومتى تَخْرج العرو * س فقد طال حبسُها

فتسرّع إليه الحَرَسُ؛ فقال : دعوه(٣)، وسأل عنه فأُخبر أنه حَكَمٌ الوادىّ؛ فوصَله وأحسن إليه .

لحنُ حَكَمٍ فى هذا الشعر المذكور هَزَجٌ بالبنصر . وفيه ألحان لغيره، وقد ذُكِرتْ فى أخبار الوليد بن يزيد .

أطرب الهادى دون غيره من المغنين فأعطاه ثلاث بدر

أخبرنى الحسن قال حدثنا ابن مَهْرويه قال حدّثنا علىّ بن محمد النّوفلى عن صالح الأضْجَم(٤) عن حَكَمٍ الوادىّ قال :

كان الهادى يشتهى من الغناء ما توسّط وقلّ ترجيعُه ولم يبلُغ أن يُسْتخَفّ جدًّا؛ فأخرج ليلةً ثلاثَ بِدَر وقال : من أطربنى فهى له . فغنّاه ابن جامع وإبراهيم الموصلىّ والزُّبيرُ بن دَحْمان فلم يصنعوا شيئا، وعرفتُ ما أراد فغنّيته لابن سُرَيج :

صـــوت

غَرّاءُ كالليلة المباركة الْ * قَمْراء تَهْدى أوائلَ الظُّلَمِ
أَكْني بغير آسمها وقد علم الله خفيّاتِ كلِّ مكتتِمِ

(١) فى جميع الأصول هنا : «سعيد» وهو تحريف . (٢) سيأتى هذا الخبر فى ترجمة الوليد بن يزيد (ج ٧ ص ٣١ من هذه الطبعة) . وقد ورد فيه أن المهدى كان يريد الحج . (٣) كذا فى ب، سـ . وفى سائر الأصول : «دعوه دعوه» . (٤) هو صالح بن على بن عطية الأضخم الراوى .

كأنَّ فاها إذا تُبُسِّمُ[1] عن * طيبِ مَشَمٍّ وحسنِ مُبْتَسَمِ
يُسَنُّ[2] بالضِّرْوِ[3] من بَرَاقِشَ أو * هَيْلانَ[4] أو يانعٍ من العُتُمِ[5]

— الشعر فى هذا الغناء للنابغة الجَعْدىّ ، والصنعة لابن سُرَيج رمل بالبنصر — فوثَب عن فراشه طربًا وقال : أحسنتَ أحسنتَ والله ! اسقُونى فسُقِيَ . ووثقتُ بأن البِدَرَ لى ، فقمتُ فجلست عليها . فأحسن ابنُ جامع المَحْضَر وقال : أحسن والله كما قال أمير المؤمنين ، وإنه لمُحسن مُجْمِل . فلما سكَن[6] أمر الفرّاشين بحملها معى . فقلت لابن جامع : مثلُك يفعل ما فعلتَ فى شرَفك ونسبِك ! فإن رأيتَ أن تشرّفنى بقبول إحداها فعلتَ . فقال : لا والله لا فعلتُ ، والله لوَدِدْتُ أنّ الله زادك ، وأسأل الله أن يُهنِّيَك ما رزقك . ولحقنى المَوْصِلىّ فقال : آخُذُ يا حكم من هذا ؟ فقلت : لا والله ولا درهمًا واحدًا لأنك لم تُحسِن المَحْضَر .

٦٨/٦ موته وشعر الدارمى فيه

ومات حَكَمٌ الوادىّ من قُرحة أصابته فى صدره . فقال الدارمىّ فيه قبلَ وفاته :

صــــوت

إنّ أبا يحيى اشتكى عِلّةً * أصبح منها بين عُوّادِ
فقلت والقلبُ به مُوجَعٌ * يا ربِّ عافِ الحَكَمَ الوادى

(١) كذا فى أ ، ء ونسخة الشنقيطى مصححة بقلمه . وفى سائر الأصول : «تبسم» . (٢) كذا فى الجزء الخامس من الأغانى (ص ٢٧ من هذه الطبعة) . ويسن (بالبناء للمجهول) : يستوك . وفى الأصول هنا : «يستن» . (٣) الضرو : شجرة الكمكام ، وهو شجر طيب الريح يستاك به ويجعل ورقه فى العطر ، وهو المحلب . قال أبو حنيفة الدينورى : أكثر منابت الضرو باليمن وهو من شجر الجبال كالبلوط العظيم له عناقيد كعناقيد البطم غير أنه أكبر حبا ، ويطبخ ورقه فإذا نضج صفى ورد ماؤه إلى النار فيعقد ؛ يتداوى به من خشونة الصدر ووجع الحلق . (راجع شرح القاموس مادة ضرى) . (٤) براقش : واد باليمن شجير وكذلك هيلان . وأكثر نبات الضرو باليمن . وقيل : براقش وهيلان مدينتان عاديتان خربتا . ويسكن براقش بنو الأوبر من بلحارث بن كعب ومراد . وسميت براقش باسم كلبة وهى التى قيل فيها : «على أهلها تجنى براقش» . (راجع معجم ما استعجم ومعجم البلدان فى اسم براقش ، وشرح القاموس واللسان مادة برقش) . (٥) العتم : شجر الزيتون . وفى ب ، س : «العنم» (بالنون) وهو تصحيف . (٦) فى حـ : «سكر» .

فــرُبَّ بيـضٍ قادةٍ سادةٍ * كأنصُـلٍ سُلَّت مِنَ أغماد
نادمَهـــم فى مجلس لاهياً * فأَصْمَتَ المُنْشِدَ والشـادى

غنّى فيه حَكَمٌ الوادىّ هَزَجًا بالبنصر .

صـــــوت

من المـائة المختـارة

أمعـارِفَ الدِّمَن القِفَار تَوَهَّمُ * ولقــد مضى حــولٌ لهنّ مُجَرَّمُ(١)
ولقد وقفتُ على الديار لعلّها(٢) * بجــواب رَجْــع تحيّــة تتكلّمُ
عن عِلْم مافعل الخليطُ ، فما درَتْ * أنّى توجّـــهَ بالخَليط المَوْسِم
ولقد عهِدتُ بها سُعادَ وإنها * بالله جاهـــدةَ اليمين لتُقْسِمُ
إنى لأوجَهُ مَنْ تكلّم عنـدها * بأليّــةٍ ومخالفُ مَن يَزْعُـمُ
فلها لدينا بالذى بذَلَتْ لنـا * وُدٌّ يطـول له العَنـاء ويَعْظُمُ

عروضه من الكامل . الشعر لنصَيب من قصيدة يمدح بهـا عبد الملك بن مروان . والغناء لأبن جامع . له فيه لحنان ذكرهما إسحاق ، أحدهما ثانى ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى . ولإبراهيم فى البيتين الأوّلين ثقيل أوّل مطلق فى مجرى الوسطى . ولإسحاق وسِيَاط فيهما ثقيل بالبنصر عن عمرو .

---

(١) مجرم : متقطع ومنصرم . (٢) فى حـ : « كأنها » .

ذكر ابن جامع وخبره ونسبه

نسبه

هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطّلب بن أبي وَداعة[1] بن ضُبيرة[2] [بن سُعَيد][3] بن سعد بن سَهْم [بن عمرو][3] بن هُصَيص بن كَعْب بن لؤىّ ابن غالب .

ضبيرة السهمى جدّ ابن جامع وشىء من أخباره

أخبرنى الطُّوسىّ عن الزُّبَير بن بكّار عن عمّه مصعب، وأخبرنا محمد بن جَرير الطَّبَرىّ قال حدّثنا محمد بن حُميد عن سَلَمة عن ابن إسحاق[4] قالا جميعا :

مات ضُبيرة السَّهْمىّ وله مائة سنة ولم يظهر فى رأسه ولا لحيته شَيْب . فقال بعض شعراء قريش يرثيه :

حُجّـاجَ بيت الله إنّ ضُبيرةَ السَّهْمىّ ماتا
سبقتْ منيّتُـه المَشيـ * ـبَ وكان ميتتُه افتلاتا
فتزوّدوا لا تَهْلِكوا * من دون أهلكمُ خُفاتا[5]

---

(١) اسم أبي وداعة : الحارث . ويحكى عن أسره يوم بدر كما سيذكره المؤلف أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «تمسكوا به فإن له ابنا كيسا بمكة» . فخرج المطلب بن أبى وداعة سرا حتى فدى أباه بأربعة آلاف درهم . وهو أول أسير فدى من بدر ، ولامته قريش فى بداره ودعه [illegible] فقال : ما كنت لأدع أبى أسيرا . فسار الناس بعده الى النبىّ صلى الله عليه وسلم ففدوا أسراهم . (٢) كذا فى الطبقات الكبرى لابن سعد (ج ٥ ص ٣٣٤) والسيرة لابن هشام (ج ١ ص ٥١٤) وشرح القاموس مادة ضبر بالضاد المعجمة . وفى جميع الأصول : «صبيرة» بالصاد المهملة وهو تصحيف . (٣) زيادة عن الطبقات والمشتبه (ص ٢٦٥) وأسد الغابة (ج ٤ ص ٣٧٤) والاستيعاب (ج ١ ص ٢٦٨) والسيرة لابن هشام . (٤) فى أكثر الأصول : «عن سلمة بن أبى إسحاق» . وفى حـ : «عن سلمة عن أبى إسحاق» . وكلاهما محرف عما أثبتناه . إذ المعروف أن سلمة بن الفضل الأبرش يروى عن محمد بن إسحاق بن يسار . وعن سلمة هذا يروى محمد بن حميد الرازى . وقد تقدّم هذا السند فى أكثر من موضع فى الأجزاء السابقة . (٥) خفت الرجل خفاتا : مات فجأة .

قال : وأسر أبو وَدَاعة كافرًا يوم بَدْر ففَــداه آبنُــه المطَّلِب ، وكان المطَّلب رجلَ صدق . وقد روى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم الحديث .

كنيــة ابن جامع وشيء من أخباره أمه

٦٩ / ٦

ويُكنى آبنُ جامع أبا القاسم . وأمه آمرأة من بنى سَهم ، وتزوّجتْ بعد أبيــه رجلًا من أهل اليمن . فذكر هارون بن محمد بن عبدالملك الزيّات عن حماد عن أبيه عن بعض أصحابه عن عَوْن حاجب(١) مَعْن بن زائدة قال : رأيتُ أمّ آبن جامع وآبنُ جامع معها عند مَعْن بن زائدة وهو ضعيف يَتْبَعُها و يطَأ ذيلَها وكانت من قريش ، ومَعْن يومئــذ على اليمن . فقالت : أَصْلحَ الله الأميرَ ، إنّ عمّى زَوّجنى زوجًا ليس بكُفء ففرِّق بينى و بينه . قال : من هو؟ قالت : ابنُ ذى مناجب . قال : علىّ به . قال : فدخل أقبحَ مَنْ خلق اللهُ وأشــوهَه خَلْقًا . قال : مَنْ هــذه منكَ ؟ قال : آمرأتى . قال : خلِّ سبيلَها ، ففعل . فأطرق مَعْنٌ ساعةً ثم رفع رأسَه فقال :

لعمرى لقد أصبحتَ غيرَ محبَّب * ولا حَسَنٍ فى عينها ذا مناجبِ
فــا لمتُها لمـّا تبيّنتُ وجهَــه * وعينًا له حَوْصاءَ من تحت حاجب
وأنفًا كأنف البَـكْر يقطُر دائبًـا * على لحيةٍ عَصْلاءَ(٢) شابتْ وشاربِ
أتيتَ بها مثــلَ المَهاة تسوقها(٣) * فياحُسْنَ مجلوب و يا قُبحَ جالب

وأمر لها بمائتى دينار وقال لها : تجهزى بها إلى بلادك .

سأله الرشيد عن نسبه فأحاله على إسحاق الموصلى

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال أخبرنى حمّاد عن أبيه :

أنّ الرشيد سأل ابنَ جامع يومًا عن نسبه وقال له : أىّ بنى الإنس وَلَدَكَ يا إسماعيل ؟ قال : لاأدرى ، ولكن سَلِ آبنَ أخى (يعنى إسحاق) — وكان يُماظُّ(٤)

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س : «صاحب» . (٢) عصلاء : معوجة .

(٣) فى تجريد الأغانى : «تسوقها» . (٤) ماظظت فلانا : شاررته ونازعته .

إبراهيمَ الموصلىّ ويَميل إلى آبنه إسحاق — قال إسحاق : ثم التفتَ إلىّ ابنُ جامع فقال: أخبِرْه يآبنَ أخى بنسب عمك . فقال له الرشيد: قبَّحك الله شيخًا من قريش! تجهل نسبك حتى يخبرك به غيرُك وهو رجل من العجم ! .

شىء من ورعه وتقواه

قال هارون حدّثنى عبد الله بن عمرو قال حدّثنى أبو هشام(1) محمد بن عبد الملك المخزومىّ قال أخبرنى محمد بن عبد الله بن أبى فَرْوة بن أبى قُرَاد المخزومىّ قال :

كان ابن جامع من أحفظ خَلْقِ الله لكتاب الله وأعلمه بما يحتاج إليه، كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلّى الصبحَ ثم يَصُفّ قدميه حتى تطلعَ الشمس، ولا يصلّى الناسُ الجمعة حتى يختم القرآن ثم ينصرف إلى منزله .

وقف معه أبو يوسف القاضى بباب الرشيد ولم يعرفه

قال هارون وحدّثنى علىّ بن محمد النَّوْفلىّ قال حدّثنى صالح بن علىّ بن عطيّة وغيرُه من رجال أهل العسكر قالوا :

قدِم ابنُ جامع قَدْمةً له من مكة على الرشيد، وكان ابنُ جامع حسنَ السَّمْت كثيرَ الصلاة قد أخذ السجودُ جبهتَه ، وكان يعتمّ بعمامة سوداء على قَلَنْسوة طويلة، ويلبس لباسَ الفقهاء ، ويركب حمارًا مَرِّيسيًّا(2) فى زىّ أهل الحجاز ، فبينا هو واقف على باب يحيى بن خالد يلتمس الإذنَ عليه ، فوقف على ما كان يقف الناسُ عليه فى القديم حتى يأذنَ لهم أو يصرفَهم، أقبل(3) أبو يوسف القاضى بأصحابه أهلِ القلانس؛ فلما هجم على الباب نظر إلى رجل يقف إلى جانبه ويحادثه ، فوقعتْ عينُه على ابن جامع فرأى سَمْتَه وحلاوةَ هيئته، فجاء فوقف إلى جانبه ثم قال له : أَمتع الله بك، توسّمتُ

---

(1) فى أ ، ء ، م : «أبو هاشم محمد بن عبد الله المخزومى» . (2) مريسى : نسبة الى مريسة (كسكينة، كما فى القاموس وشرحه مادة مرس وضبطها صاحب معجم البلدان بفتح الميم) : قرية بمصر من ناحية الصعيد إليها تنسب الحمر المريسية وهى من أجود الحمر وأمشاها . (3) فى جميع الأصول : «فأقبل» .

فيك الحِجازيّة والقُرَشيّة، قال : أصبتَ. قال : فمن أىّ قريش أنت؟ قال : من بنى سَهْم . قال : فأىُّ الحرمين منزلُك؟ قال : مكّة ، قال : ومن لقيتَ من فقهائهم؟ قال : سَلْ عمن شئت . ففاتحه الفقهَ والحديثَ فوجد عنده ما أحبّ فأُعجب به . ونظر الناسُ إليهما فقالوا : هذا القاضى قد أقبل على المغنّى، وأبو يوسف لا يعلم أنه ابنُ جامع . فقال أصحابه : لو أخبرناه عنه! ثم قالوا : لا، لعلّه لا يعود إلى مواقفته بعد اليوم، فلم نَغُمَّه[(١)]. فلما كان الإذنُ الثانى ليحيى غدَا عليه الناسُ وغدا عليه أبو يوسف، فنظر يطلب ابنَ جامع فرآه، فذهب فوقف إلى جانبه فحادثه طويلًا كما فعل فى المرّة الأولى . فلما انصرف قال له بعضُ أصحابه : أيها القاضى، أتعرف هذا الذى تُواقِف وتحادث ؟ قال : نعم، رجلٌ من قريش من أهل مكّة من الفقهاء. قالوا : هذا ابن جامع المغنّى، قال : إنا لله! . قالوا : إن الناس قد شَهَروك بمواقفته وأنكروا ذلك من فعلك . فلما كان الإذنُ الثالث جاء أبو يوسف ونظر إليه فتنكّبه، وعرف ابنُ جامع أنه قد أُنذِر به ، فجاء فوقف فسلّم عليه ، فردّ السلامَ عليه أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذى كان يلقاه به ثم انحرف عنه . فدنا منه ابن جامع، وعرف النـاسُ القصة، وكان ابن جامع جَهيرًا فرفع صوتَه ثم قال : يا أبا يوسف، مالك تنحرف عنى؟ أىّ شىء أنكرتَ؟ قالوا لك : إن ابنُ جامع المغنّى فكرِهتَ مواقفتى لك! أسألك عن مسألة ثم اصنع ما شئتَ، ومال الناس فأقبلوا نحوَهما يستمعون . فقال : يا أبا يوسف، لو أن أعرابيًّا جِلْفًا وقف بين يديك فأنشدك بجفاء وغلظة من لسانه وقال :

٧٠/٦

يا داريّـــة بالعَلْيـاء فالسَّـــنَد ❊ أَقْوتْ وطالَ عليها سالفُ الأبدِ

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « مرافقته » .

أكنتَ ترى بذلك بأسًا ؟ قال : لا، قد رُوى عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم فى الشعر قولٌ، وروى فى الحديث. قال ابن جامع : فإن قلتُ أنا هكذا، ثم اندفع يتغنّى فيه حتى أتى عليه، ثم قال : يا أبا يوسف ، رأيتَنى زِدْتُ فيه أو نقصتُ منه ؟ قال : عافاك الله، أعفِنا من ذلك . قال : يا أبا يوسف، أنت صاحب فُتْيا، ما زدتُه على أن حسّنتُه بألفاظى فحسُن فى السماع ووصل إلى القلب . ثم تنحّى عنه ابن جامع .

سأل سفيان بن عيينة عن السبب الذى أصاب مالا فأجيب

قال : وحدّثنى عبد الله بن شبيب قال حدّثنى إبراهيم بن المُنْذِر عن سُفْيان بن عُيَينة ، ومرّ به ابنُ جامع يسحَب الخزّ، فقال لبعض أصحابه :

بلغنى أنّ هذا القرشىّ أصاب مالًا من بعض الخلفاء، فبأىّ شىء أصابه؟ قالوا : بالغناء . قال : فمن منكم يذكر بعضَ ذلك ؟ فأنشد بعضُ أصحابه ما يغنّى فيه :

وأَصحَب بالليل أهـلَ الطَّواف * وأرفع من مِئْزَرِى المُسْبَلِ

قال : أَحْسنَ، هيه ! قال :

وأسجـدُ بالليـل حتى الصباح * وأتـلو من المُحْكَم المُنْزَل

قال : أحسن، هيه ! قال :

عسَى فارجُ الكرب عن يوسف * يُسخِّـر لى رَبّة المَحْمِـل

قال : أمّا هذا فدعْه .

كان يعد صيحة الصوت قبل أن يصنع عمود اللحن

وحدّثنى محمد بن الحسن العَتّابى قال حدّثنى جعفر بن محمد الكاتب قال حدّثنى طيّب بن عبد الرحمن قال :

كان ابن جامع يُعِدّ صيحة الصوت قبل أن يصنع عمود اللحن .

اشتغاله بالقمار وحب الكلاب

وحدّث محمد بن الحسن[1] قال حدّثنى أبو حارثة بن عبد الرحمن بن سعيد بن سَلْم[2] عن أخيه أبى معاوية[3] بن عبد الرحمن قال :

قال لى ابن جامع : لولا أن القِمار وحبَّ الكِلاب قد شغلانى لتركتُ المغنّين لا يأكلون الخبز .

٧١/٦

أخبرنى علىّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْداذْبَه قال :

دعا كلبا أهدى إليه باسم من دفتر فيه أسماء الكلاب

أهدى رجل إلى ابن جامع كلبًا فقال : ما ٱسْمُه؟ فقال : لا أدرى، فدعا بدفتر فيه أسماءُ الكلاب فجعل يدعوه بكل اسم فيه حتى أجابه الكلب .

ألقى على ابنه هشام صوتا سمعه من الجن

قال هارون بن محمد حدّثنى علىّ بن محمد النَّوْفلىّ قال حدّثنى محمد بن أحمد المكّىّ قال حدثتنى حَوْلاءُ مولاةُ ٱبن جامع قالت :

انتبه مولاى يومًا من قائلته فقال : علىَّ بهشام (يعنى ٱبنَه) ادعُوه لى عَجِّلوه، فجاء مسرعًا. فقال : أىْ بُنَىّ، خذ العودَ، فإنّ رجلًا من الجن ألقى علىّ فى قائلتى صوتًا فأخاف أن أنساه. فأخذ هشام العود وتغنّى ابنُ جامع عليه رملًا لم أسمع له رملا أحسن منه، وهو :

صـــوت

أمستْ رُســوم الديار غيَّرهــا * هوجُ الرِّياح الزَّعازِع العُصُف
وكُلُّ حَنّانة لهــا زَجَــلٌ * مثلُ حَنين الرَّوائم الشُّغُف

---

(١) كذا فى جميع الأصول . وقد تقدم فى الجزء الخامس (ص ٣٨٥) من هـذه الطبعة أن الذى يروى عن أبى حارثة هذا هو « محمد بن الحسين الكاتب » .

(٢) فى جميع الأصول : «سعد» وهو تحريف .

(٣) فى أكثر الأصول : «عن أخيه عن أبى معاوية» . وفى حـ : «عن أخيه عن ابن معاوية» وكلاهما تحريف . وقد مرت رواية أبى حارثة هذا عن أخيه أبى معاوية فى الجزء الخامس من هذه الطبعة (ص ٣٨٥) .

فأخذه عنه هشام، فكان بعد ذلك يتغنّاه و ينسُبه إلى الجن. وفى هذا الصوت للهُذَلِىّ لحنٌ من الثقيل الثانى بالخنصر فى مجرى الوسطى. وفيه للغَريض ثانى ثقيل بالوسطَى على مذهب إسحاق من رواية عمرو، وقيل: إن هذا اللحن لعَبادِلَ. وفيه لابن جامع الرمل المذكور.

أخذ بيتين غنى بهما الرشيد عشرة آلاف دينار

قال هارون وحدّثنى أحمد بن بِشْر بن عبد الوهاب قال حدّثنى محمد بن موسى[1] ابن فُلَيح الخُزَاعىّ قال حدّثنا أبو محمد عبد الله بن محمد المكّىّ قال: قال لى ابن جامع:

أخذتُ من هارون ببيتَين غنّيتُه بهما عشرةَ آلاف دينار:

صــــوت

لا بدّ للعاشق من وَقْفــةٍ * تكونُ[2] بين الوَصْل والصَّرمِ
يَعتِب أحيــاناً وفى عَتْبه * إظهارُ[3] ما يُخْفِى من السُّقْمِ
إشـفاقُه داعٍ إلى ظَنّـــه * وظنُّــه داعٍ إلى الظلمِ
حتى إذا ما مَضّه هجرُه[4] * راجَع مَنْ يَهْوَى على رَغْمِ

ــ هكذا رُوِّيتُــه[5]. الشعر للعبّاس بن الأحنف. والغناء لابن جامع ثانى ثقيل بالوسطى. وذكر ابن بانة أن هذا اللحن لسُلَيم. وفيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ــ قال: ثم قال لى ابنُ جامع: فمتى تُصيب أنت بالمروءة شيئا!

---

(١) كذا فى أكثر الأصول. والظاهر أن محمد بن موسى هذا ابن أخ لمحمد بن فليح الراوى المعروف الذى مر ذكره فى الأجزاء السابقة. فقد ذكر فى التهذيب فى ترجمة محمد بن فليح أن له أخا يسمى موسى إلا أنه لم يذكر هناك من أولاده غير عمران. وفى ب، س: «محمد بن موسى بن فليح ... الخ».

(٢) فى ديوان العباس بن الأحنف: «يكون». (٣) فى ديوانه: «يهيج ما يخفى ... الخ».

(٤) فى ديوانه: «شوقه». (٥) هذه العبارة ساقطة فى حـ.

صادفه جماعة من القرشيين بفخ وهو يغنى

وقال هارون حدّثنى أحمد بن زُهَير قال حدّثنى مُصْعَب بن عبد الله قال : خرج ابنُ أبى عمرو الغِفَارىّ وعبد الرحمن بن أبى قباحة وغيرُهما من القرشيّين عُمّارًا(١) يريدون مكة ؛ فلما كانوا بفَخّ(٢) نزلوا على البئر التى هناك ليغتسلوا فيها . قال(٣) : فبينا نحن نغتسل إذ سمعنا صوتَ غناء، فقلنا : لو ذهبنا إلى هؤلاء فسمعنا غناءهم! فأتيناهم، فإذا آبن جامع وأصحاب له يغنّون وعندهم فَضِيخ(٤) لهم يشربون منه، فقالوا : تقدّموا يا فِتْيان، فتقدّم ابنُ أبى عمرو فجلس مع القوم وكان رأسَهم، فجلسنا نشرب؛ وطرِب ابن أبى قباحة فغنّى . فقال ابن جامع : وابأبى وأمى ! ابنُ أبى قباحة وإلا فهو آبن الفاعلة. فقام آبن أبى عمرو فأخرج من وسطه هِميانًا(٥) فيه ثلثمائة درهم فنثرها على آبن أبى قباحة . فقال آبن جامع : امضوا بنا إلى المنزل ، فمضينا فأقمنا عنده شهرًا ما نبرح ونحن على إحرامنا ذلك .

غنت جاريته الحولاء صوتا له فى جارية سوداء يحبها

٧٢/٦

قال هارون بن محمد بن عبد الملك حدّثنى علىّ بن سليمان عن محمد بن أحمد النَّوْفلىّ عن جارية آبن جامع الحولاء قال : — وكانت تَتَبنّانى — فتغنّت يومًا وطربتْ وقالت : يابُنَىّ، ألا أغنّيك هزجًا لسيّدى فى عَشيقة له سوداء ؟ قلت : بلى . فتغنّت هزجًا ما سمعتُ أحسنَ منه، وهو :

صوت

أشبَهَكِ المسكُ وأشبهته * قائمـةً فى لونه قاعده
لاشـكّ إذ لونُكما واحدٌ * أنكما من طينـةٍ واحدهْ

(١) عمارا : زوّارا ، من العمرة وهى الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة . والعمرة تكون فى السنة كلها . والحج فى وقت معين من السنة . (٢) فخ (بفتح أوله وتشديد ثانيه) : واد بمكة .
(٣) ظاهر السياق أن القائل هو أحد هؤلاء الذين خرجوا عمارا ، غير أنه لم يعين فى الأصول .
(٤) الفضيخ : عصير العنب ، وشراب يتخذ من بسر مفضوخ (مطبوخ) . (٥) الهميان (بالكسر) : كيس تجعل فيه النفقة ويشدّ على الوسط .

وقد رُوِى هذا الشعر لأبى حَفْص الشِّطْرَنْجِىّ [١] يقوله فى دَنَانِير [٢] مولاةِ البَرَامكة . ونُسب هذا الهَزَج إلى إبرهيم وآبن جامِع وغيرِهما .

شبه برصوما الزامر بزق عسل

قال عبد الله بن عمرو حدّثنا أحمد بن عمر بن إسماعيل الزُّهْرِىّ قال حدّثنى محمد بن جعفر بن عمر بن علىّ بن أبى طالب عليه السلام — وكان يلقّب الأَبْلَه — قال : قال بَرْصوما الزَّامِر، وذكر إبراهيمَ الموصلىّ وابنَ جامع، فقال :

الموصلىّ بستانٌ تَجِدُ فيه الحُلوَ والحامضَ وطريًّا لم يَنْضَج، فتأكل منه مِن ذا وذا . وآبن جامع زِقّ عسلٍ، إن فتحتَ فمَه خرج عسل حلو، و إن خرقتَ جَنْبه خرج عسلٌ حلو، و إن فتحتَ يدَه خرج عسل حلو، كلُّه جيّد .

غنى عند الرشيد وهو سكران فأخطأ

أخبرنا [٣] يحيى بن علىّ عن أبيه وحمّاد عن إبراهيم بن المهدىّ — وكان إبراهيم يفضّل ابن جامع ولا يقدّم عليه أحدا، وابنُ جامع يَميل إليه — قال :

كنّا فى مجلس الرشيد وقد غلب على ابن جامع النبيذُ، فغنّى صوتًا فأخطأ فى أقسامه؛ فالتفتَ إلىّ إبراهيمُ الموصلىّ فقال: قد خَرِىَ فيه؛ وفهمتُ صِدقه قال: فقلت لابن جامع: يا أبا القاسم، أعِدِ الصوت وتَحَفَّظ فيه؛ فآنتبه وأعاده فأصاب. فقال إبراهيم:

---

(١) هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز مولى بنى العباس . وكان أبوه من موالى المنصور فيما يقال، وكان اسمه اسما أعجميا، فلما نشأ أبو حفص وتأدب، غيره وسماه عبد العزيز . وكان أبو حفص لاعبا بالشطرنج مشغوفا به، فلقب به لغلبته عليه . (انظر ترجمته ج ١٩ ص ٦٩ من الأغانى طبع بولاق) . (٢) دنانير : مولاة يحيى بن خالد البرمكى . كانت صفراء مولدة وكانت من أحسن الناس وجها وأظرفهن وأكملهن وأحسنهن أدبا وأكثرهن رواية للغناء والشعر . ولها كتاب مجرّد فى الأغانى مشهور . (انظر ترجمتها ج ١٦ ص ١٣٦ من الأغانى طبع بولاق) . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : « حماد بن إبراهيم ابن المهدى ... الخ » ولم نعرف أن إبراهيم بن المهدى أعقب ولدا اسمه ابراهيم أو حماد . وقد ورد هذا السند فى الجزء الخامس (ص ١٧٣ من هذه الطبعة) مختلفا عما هنا وهو : « أخبرنا يحيى بن على بن يحيى قال حدّثنا أبى عن طياب بن إبراهيم الموصلى قال ... الخ » .

أُعلِّمُــه الرِّمايةَ كلَّ يومٍ * فلمّا اَستدّ ساعدُه رمانى

وتنكّر لى لميْلى مع ابن جامع عليه. فقلتُ للرَّشيد بعد أيام: إن لى حاجةً إليك. قال: وما هى؟ قلت: تسألُ إبراهيمَ الموصلىَّ أن يَرضى عنّى ويعودَ إلى ما كان عليه. فقال: إنمـا هو عبدُك، وقال له: قم إليه فقبِّل رأسَه. فقلتُ[1]: لا ينفعنى رِضاه فى الظاهر دون الباطن، فسَـلْه أن يصحِّح الرِّضا. فقام إلىّ ليُقبِّل رأسى كما أُمِر، فقال لى وقد أكبّ علىّ ليقبِّل رأسى: أتعود؟ قلتُ لا. قال: قد رضيتُ عنك رِضًا صحيحًا. وعاد إلى ما كان عليه.

غنى بعد إبراهيم الموصلى عند الرشيد فأجاد

وقال حمّاد عن أبى يحيى العِبَادِىّ قال[2]: قدِم حَوْراءُ غلام حمّاد الشعْرانى وكان أحدَ المغنِّين المُجيدين قال حدّثنى بعض أصحابنا قال:

كنّا فى دار أمير المؤمنين الرشيد فصاح بالمغنّين: من فيكم يعرف

وكعبــةُ نجرانَ[3] حتمٌ عليـ * ـك حتى تُناخى بأبوابها؟

— الشعر للأعشى — فبـدَرهم إبراهيمُ الموصلىّ فقال: أنا أُغنِّيه، وغنّاه فجاء بشىء عجيب. فغضِب ابنُ جامع وقال لزَلْزَل: دَعِ العودَ، أنا من جماش

(١) كذا فى جـ. وفى سائر الأصول: «فقال» (٢) كذا فى جميع الأصول. ولعلها محرفة عن «قال». (٣) نجران: موضع فى مخاليف اليمن من ناحية مكة. قالوا: سمى بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، لأنه كان أوّل من عمرها. وكعبة نجران هـذه يقال: إنها بيعة بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثى على بناء الكعبة وعظموها مضاهاة للكعبة وسموها كعبة نجران. وذكر هشام بن الكلبى أنها كانت قبة من أدم من ثلثمائة جلد، كان إذا جاءها الخائف أمن، أو طالب حاجة قضيت، أو مسترفد أرفد. وكان لعظمها عندهم يسمونها كعبة نجران. (عن معجم البلدان لياقوت). وقد أورد أبو الفرج قصة هذا الشعر فى خبر أساقفة نجران مع النبى صلى الله عليه وسلم (ج ١٠ ص ١٤٢ طبع بولاق).

وَجرة(١) لا أحتاج إلى بَيْطار ؛ ثم غنّى الصوتَ ؛ فصاح إليه مسرورٌ(٢) : أحسنتَ يا أبا القاسم ! ثلاث مرات .

نسبة هذا الصوت

صوت

٧٣/٦

وكعبةُ نَجْرانَ حتمٌ عليـ * ـكِ حتى تُناخى بأبوابها

تَزور(٣) يزيدَ وعبدَ المَسيح * وقيسًا هُمُ(٤) خيرُ أربابها

وشاهدُنا الجُلُّ(٥) والياسميـ * ـنُ والمُسمِعاتُ بقُصّابها(٦)

وبَرْبَطُنا(٧) دائمٌ مُعمَلٌ * فأىُّ الثلاثةِ أزرى بها

تنازِعنى إذ خلتْ بُرْدَها * معطَّرةً غيرَ جلبابها

فلما التقينا على آلةٍ * ومدّتْ إلىّ بأسبابها

(١) قال الأصمعى : وجرة — وفيها أقوال أخرى — بين مكة والبصرة بينها وبين البصرة نحو أربعين ميلا ليس فيها منزل ، فهى مرب للوحش . يريد أنه يجرى على الطبيعة والفطرة لا يحتاج إلى معين من الصناعات الآلية كسائر المغنين المحضرين . (٢) هو أبو هاشم خادم الرشيد ، وكان أوثق رجاله عنده وقد تولى له قتل جعفر بن يحيى البرمكى . (انظر الطبرى قسم ٣ ص ٦٧٩ و ٦٨٢) .

(٣) كذا فى مسالك الأبصار (ج ١ ص ٣٠٩) والأغانى (ج ١٠ ص ١٤٣ طبع بولاق) ومعجم البلدان (ج ٤ ص ٧٥٦ طبع أوروبا) . وفى جميع الأصول هنا : « تزور » (بالتاء المثناة الفوقية) .

(٤) فى مسالك الأبصار (ص ٣٠٩) : « ... وهم ... الخ ... » . (٥) الجل (بالضم ويفتح) : الورد أبيضه وأحمره وأصفره ، واحده جلة . (٦) ورد هذا البيت فى اللسان والصحاح (مادة قصب) . ويقول فى اللسان : « ... والقصابة : المزمار والجمع القصاب . قال الأعشى (وذكر هذا البيت . ثم قال) وقال الأصمعى : أراد الأعشى بالقصاب الأوتار التى سويت من الأمعاء » . وعبارة الصحاح : « ... والقصب بالضم : المعى ... والجمع أقصاب قال الأعشى :

وشاهدنا الجل والياسميـ * ـن والمسمعات بأقصابها

يعنى بأوتارها وهى تتخذ من الأمعاء . ويروى بقصابها وهى المزامير » . (٧) البربط (كجعفر) : العود . والكلمة فارسية معربة قيل شبه بصدر البط ، وبر : الصدر . ورواية هذا الشطر فى مسالك الأبصار : « وبربطنا معمل دائب » .

الشّعر للاعشى أعشى بنى قَيْس بن ثَعْلبة. وهؤلاء الذين ذكرهم أَساقفةُ نَجْران، وكان يزورهم ويمدحهم، ويمدح العاقبَ والسيِّد، وهما ملكا نجران، ويقيم عندهما ما شاء، يَسْقونه الخمرَ ويُسمعونه الغناءَ الرُّومىّ، فإذا آنصرف أَجْزلوا صلتَه.

أخبرنا بذلك محمد بن العبّاس اليَزيدىّ عن عمه عُبيد الله عن محمد بن حبيبَ عن آبن الأعرابىّ، وله أخبار كثيرة معهم تُذكر فى مواضعها إن شاء الله. والغناء لحُنَين الحِيرِىّ خفيفُ ثقيلٍ(1) بالوسطى فى مجْراها عن إسحاق فى الأربعة الأُوَل. وذكر عمرو أنه لآبن مُحْرِز. وذكر يونُس أن فيها لحنًا لمالك ولم يُجنِّسه. وذكر الهشامىّ أن فى الخامس والسادس ثم الأوّل والثانى خفيفَ رمل بالوسطى ليحيى المكىّ.

استحضره الفضل ابن الربيع لما ولى الهادى

وقال حمّاد عن مصعَب بن عبد الله قال حدّثنى الطرّاز وكان بَريدَ الفضل بن الرّبيع قال:

لما مات المهدى ومُلّك موسى الهادى أعطانى الفضلُ دنانيرَ وقال: الحَقْ بمكّةَ فأْتنى بآبن جامع وآحمِلْه فى قبّة ولا تُعلِمَنّ بذا(2) أحدا؛ ففعلت فأنزلتُه عندى وآشتريت له جاريةً، وكان ابنُ جامع صاحبَ نِساء. فذكره موسى ذاتَ ليلة ـ وكان هو والحرّانى(3) منقطعَيْن إلى موسى أيام المهدىّ فضربهما المهدىّ وطردهما ـ فقال لجلسائه: أما فيكم أحدٌ يرسل إلى آبن جامع وقد علمتم موقعَه منّى! فقال له الفضل ابن الربيع: هو والله عندى يا أمير المؤمنين وقد فعلتُ الذى أردتَ. وبعثَ إليه فأُتى به فى الليل. فوصَل الفضلَ تلك الليلةَ بعشرة آلاف دينار وولّاه حِجابتَه.

---

(1) كلمة «ثقيل» ساقطة فى حـ. (2) فى حـ: «به». (3) هو ابراهيم الحرّانى. كان من ندماء الهادى، وقيما على خزائن الأموال فى أيامه. (انظر التاج للجاحظ ص ٣٦ طبع المطبعة الأميرية ببولاق). وسيذكر بعد قليل فى خبر عن مصعب أيضا أن الذى كان منقطعا إلى موسى الهادى مع ابن جامع وناله معه ضرب المهدى وطرده هو إبراهيم الموصلىّ.

غنى هو وإبراهيم الموصلى الرشيد بشعر السعدى فمدحه وذم الموصلى

قال إسحاق عن بعض أصحابه :

كنّا عند أمير المؤمنين الرشيد يوما فقال الغلام الذى على الستارة : يأبنَ جامع، تغنّ ببيت السَّعْدىّ (١) :

فلو سألتْ سَراةَ الحىِّ سَلْمى * على أن قد تلوّن بى زمانى
لخبّرها ذوو الأحساب عنِّى (٢) * وأعدائى فكلٌّ قد بَلانى
بذبِّى الذمَّ عن حسبى بمالى * وزَبُّوناتِ أَشْوَسَ تَيِّحانِ (٣)
وأنى لا أزال أخا حُروبٍ * إذا لم أَجْنِ كنتُ مِجَنَّ جانى

قال : فحرّك ٱبنُ جامع رأسه — وكان إذا ٱقترح عليه الخليفةُ شيئا قد أحسنه وأَكمله طار فرحًا — فغنّى به؛ فاربدّ وجهُ إبراهيم لمّا سمعه منه، وكذا كان ابن جامع أيضا يفعل؛ فقال له صاحبُ الستارة : أحسنتَ والله يا أميرى! أعِدْ فأعاد؛ فقال : أنت فى حَلْبة لا يَلْحَقُكَ أحدٌ فيها أبدا . ثم قال صاحب الستارة لإبراهيم : تغنّ بهذا الشعر فتغنّى ؛ فلما فرَغ قال : «مَرْعًى ولا كالسَّعْدان» (٤) ! أخطأتَ (٥) فى موضع كذا

(١) هو سوّار بن المضرب السعدى . (٢) كذا ورد هذا الشطر فى الأصول . وروايته فى لسان العرب مادة (تيح) : «يذب بى اليوم ... * » . وفى مادة (زبن) : «بذبى الذم عن أحساب قومى» . (٣) كذا فى حـ ولسان العرب والصحاح (مادتى زبن وتيح) . وقد صححها كذلك المرحوم الشيخ الشنقيطى بقلمه على هامش نسخته . وزبونات : جمع زبونة وهى الكبر . يقال : رجل فيه زبونة أى كبر، وذو زبونة أى مانع جانبه . ويقال : الزبونة من الرجال : المانع لما وراء ظهره . وقال ابن برى : زبونات : دفوعات ، واحدها زبونة ، يعنى بذلك أحسابه ومفاخره أى أنها تدفع غيرها . والأشوس : الذى ينظر بمؤخر عينه من الكبر . والتيحان (بكسر الياء المشددة وفتحها) : الذى يتعرض لكل مكرمة وأمر شديد . وفى سائر الأصول : «ودبوسات أشوس ...» . (٤) قال أبو حنيفة الدينورى : من الأحرار السعدان وهى غبراء اللون حلوة يأكلها كل شىء وليست بكبيرة ولها اذا يبست شوكة مفلطحة كأنها درهم . ومنبته سهول الأرض ، وهو من أنجع المراعى فى المال ، ولا تحسن على نبت حسنها عليه . قال النابغة :

الواهب المائة الأبكار زينها * سعدان توضح فى أوبارها اللبد

وهذا مثل يضرب للشىء يفضل على أقرانه وأشكاله . (راجع مجمع الأمثال ج ٢ ص ١٩١ واللسان مادة سعد) . (٥) فى ب ، سـ : «لم أخطأت» .

٧٤/٦ وفى موضع كذا . فقال : نُفِىَ إبراهيمُ من أبيه إن كان يا أمير المؤمنين أخطأ حرفًا ، وقد علمتُ أنى أغفلتُ فى هذين الموضعين .

قال إبراهيم : فلما انصرفنا قلت لابن جامع : والله ما أعلم أن أحدًا بقى[1] فى الأرض يعرف هذا الغناءَ معرفةَ أمير المؤمنين . قال : حقٌّ والله ، لهو إنسان يَسمع الغناءَ منذ عشرين سنةً مع هذا الذكاء الذى فيه .

صوت كان إذا غناه فى مجلس لم يتغن بغيره

قال إسحاق :

كان ابن جامع إذا تغنّى فى هذا الشعر :

صـــــوت

مَنْ كان يَبْـــكى لِـــبابى * مِنْ طول سُقْمٍ رَسِيسِ[2]
فالآنَ من قبـــل موتى * لا عِطْرَ بعـــد عَرُوسِ[3]

---

(١) فى حـ : « يغنى » . (٢) الرسيس : الثابت الذى قد لزم مكانه . ويقال : رس السقم فى جسمه وقلبه رسيسا إذا دخل وثبت . (٣) هذا مثل مشهور قالته أسماء بنت عبد الله العذرية ، وكان اسم زوجها عروس ، ومات عنها ، فتزوجها رجل أعسر أبخر بخيل دميم . فلما أراد أن يظعن بها قالت : لو أذنت لى فرثيت ابن عمى ؟ فقال : افعلى ؛ فقالت : أبكيك يا عروس الأعراس ، يا ثعلبا فى أهله وأسدا عند الناس ؛ مع أشياء ليس يعلمها الناس . فقال : وما تلك الأشياء ؟ فقالت : كان عن الهمة غير نعاس ، ويعمل السيف صبيحات الباس . ثم قالت : يا عروس الأغر الأزهر ، الطيب الخيم الكريم المحضر ، مع أشياء له لا تذكر . فقال : وما تلك الأشياء ؟ قالت : كان عيوفا للخنى والمنكر ، طيب النكهة غير أبخر ، أيسر غير أعسر . فعرف أنها تعرض به . فلما رحل بها قال : ضمى إليك عطرك ، وقد نظر إلى قشوة عطرها مطروحة ، فقالت : لا عطر بعد عروس . وقيل : إن رجلا تزوج امرأة فأهديت إليه فوجدها تفلة فقال : أين عطرك ؟ فقالت : خبأته ؛ فقال : لا مخبأ لعطر بعد عروس . وهذا المثل يضرب لمن لا يدخر عنه نفيس . (انظر شرح القاموس مادة عرس ومجمع الأمثال للميدانى ج ٢ ص ١٣٧ طبع بولاق) .

بَنَيْتُمْ في فؤادي * أوكارَ طيرِ النحوس
قلبي فريسُ المنايا * يا ويحه من فريس

— الشعر لرجل من قريش، والغناء لابن جامع في طريقة الرمل — لم يتغنّ في ذلك المجلس بغيره. وكان إذا أراد أن يتغنّى سأل أن يَزْمُر عليه بَرْصوما. فلما كثُرَ ذلك سألوه فيه فقال: لا والله، ولكنه إذا ابتدأتُ فتغنّيتُ (١) في الشعر عرف الغرضَ الذي يصلُح فما يجاوزه، وكنتُ معه في راحة؛ وذلك أن المغنّي إذا تغنّى بزَمْر زامرٍ فأكثرُ العمل على الزامر لأنه لا يقفو الأثر؛ فإذا زَمَر بَرْصوما فأنا في راحة وهو في تعب، وإذا زَمَر على غيره فهو في راحة وأنا في تعب. فإن شككتم فاسألوا برصوما ومنصور زَلْزَل. فسألوهما عما قال، فقالا: صدق.

سئل عن تفضيله برصوما فأجاب

قال وحدّثني عليّ بن أحمد الباهليّ قال: سمعت مُصعب بن عبد الله يقول: بلغ المهديّ أن ابن جامع والموصليّ يأتيان موسى (٢)، فبعث إليهما فجيء بهما، فضرب الموصليّ ضرباً مبرّحا، وقال له ابن جامع: ارحم أمّي! فرقّ له وقال له: قبّحك الله! رجل من قريش يغنّي! وطرده. فلما قام موسى (٣)، وجّه الفضلُ خلفه بريدًا حتى جاءه به؛ فقال له موسى: ما كان ليفعل هذا غيرك.

هم المهدي بضربه لاتصاله بالهادي

قال وحدّثني الزبير بن بكّار قال قال لي فُلَيْح (٤):

تمنّى يومًا موسى أميرُ المؤمنين ابنَ جامع، فدفع إليّ الفضلُ بن الربيع خمسمائة دينار وقال: امض حتى تحمل ابنَ جامع، وبعث إليه بما يُصلحه، فمضيتُ فحملته. فلما دخلنا أدخله الفضلُ الحمّامَ وأصلح من شأنه. ودخل على موسى فغنّاه فلم

غنى عند الهادي فأعطاه ثلاثين ألف دينار

---

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «لا وأبيه». (٢) هو موسى الهادي بن المهدي تولى الخلافة سنة ١٦٩ هـ وتوفي سنة ١٧٠ وكانت خلافته سنة وشهرين. (٣) يريد: صار خليفة. (٤) كذا في ب، س. وفي سائر النسخ: «فليلة».

يُعجبه . فلمّا خرج قال له الفضلُ : تركت الخفيفَ وغنيتَ الثقيل، قال : فأَدْخِلْنى عليه أخرى؛ فأدخله فغنّى الخفيفَ؛ فقال : حاجتك فأعطاه ثلاثين ألفَ دينار .

غنى عند الرشيد بين برصوما وزلزل بعد إبراهيم الموصلى فأجاد

قال وحدّثنى عبد الرحمن بن أيوب قال حدّثنا أبو يحيى العِبَادىّ قال حدّثنى ابن أبى الرجال قال حدّثنى زَلْزَل قال :

أبطأ إبراهيم الموصلىّ عن الرشيد ، فأَمَر مسرورًا الخادمَ يسأل عنه ـ وكان أمير المؤمنين قد صَيّر أَمْرَ المغنّين إليه ـ فقيل له : لم يأت بعدُ . ثم جاء فى آخر النهار، فقعد بينى وبين بَرْصوما، فغنّى صوتًا له فأطرب به وأطرب والله كلَّ من كان فى المجلس . قال : فقام ابنُ جامع من مجلسه فقعد بينى وبين برصوما ثم قال : أمَا والله يانَبَطىّ ما أحسن إبراهيمُ وما أحسن غيرُكما . قال: ثم غنّى فلسينا أنفسَنا، والله لكأنّ العودَ كان فى يده .

شهد له إبراهيم الموصلى بجودة الايقاع

قال وحدّثنى عمر بن شبّة قال حدّثنى يحيى بن إبراهيم بن عثمان بن نَهِيك قال :

دعا أبى الرشيدُ يومًا ، فأتاه ومعه جعفر بن يحيى ، فأقاما عنده، وأتاهما ابنُ جامع فغنّاهما يومَهما . فلما كان الغدُ انصرف الرشيدُ وأقام جعفر . قال : فدخل عليهم إبراهيم الموصلى فسأل جعفرًا عن يومهم ؛ فأخبره وقال له : لم يزل ابن جامع يغنّينا إلا أنه كان يخرج من الإيقاع — وهو فى قوله يريد أن يطيب نفسَ إبراهيم الموصلىّ ـ قال : فقال له إبراهيم : أتريد أن تطيّب نفسى بما لا تَطِيب به ! لا والله، ما ضَرَط ابنُ جامع منذ ثلاثين سنة إلا بإيقاع، فكيف يخرج من الإيقاع ! .

احتال فى عزل العثمانى عن مكة أيام الرشيد

قال وحدّثنى يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدّثنى أبى قال :

كان سبب عزل العثمانىّ (١) أن ابن جامع سأل الرشيدَ أن يأذَنَ له فى المُهارشة

(١) هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن المغيرة بن عمرو بن عثمان بن عفان . (انظر كتاب المنتقى فى أخبار أم القرى ج ٢ ص ١٨٦ والطبرى ق ٣ ص ٧٤٠) .

بالدُّيوك والكلاب ولا يُحَدّ في النبيذ، فأذن له وكتب له بذلك كتابًا إلى العثمانيّ. فلما وصل الكتاب قال: كَذَبتَ! أميرُ المؤمنين لا يُحِلّ ما حرَّم الله، وهذا كتاب مزوّر. والله لئن ثقِفْتُك[(١)] على حال من هذه الأحوال لأؤدِّبَنَّك أدبَك. قال: فحذِره ابنُ جامع. ووقع بين العثمانيّ وحماد اليزيديّ، وهو على البريد، ما يقع بين العمال[(٢)]. فلما حجّ هارون، قال حماد لابن جامع: أَعِنّي عليه حتى أعزِله؛ قال: أفعل. قال: فٱبدأ أنت وقل: إنه ظالم فاجر وٱستشهِدْني. فقال له ٱبن جامع: هذا لا يُقبل في العثمانيّ، ويفهم أميرُ المؤمنين كذبَنا، ولكني أحتال من جهة ألطفَ من هذه. قال: فسأله هارون ٱبتداءً فقال له: يا بن جامع، كيف أميركم العثمانيّ؟ قال: خيرُ أميرٍ وأعدلُه وأفضلُه وأقومه بحقّ لولا ضعفٌ في عقله. قال: وما ضعفه؟ قال: قد أفنى الكلاب. قال: وما دعاه إلى إفنائها؟ قال: زعم أن كلبًا دنا من عثمان بن عفّان يوم أُلقِيَ على الكناس فأكل وجهه، فغَضِب على الكلاب فهو يقتلها. فقال: هذا ضعيف، اعزِلوه! فكان سببَ عزله.

أخبره إبراهيم بن المهدي بموت أمه كذبا ليحسن غناءه

قال هارون بن محمد وحدّثني الحسن بن محمد الغِياثيّ[(٣)] قال حدّثني أبي عن القطرانيّ قال:

كان ٱبن جامع بارًّا بوالدته، وكانت مقيمةً بالمدينة و بمكة. فدعاه إبراهيم بن المهديّ وأظهر له كتابًا إلى أمير المؤمنين فيه نَعْيُ والدته. قال: فجزِع لذلك جزعًا شديدًا، وجعل أصحابُه يُعزّونه و يؤنسونه؛ ثم جاءوا بالطعام فلم يتركوه حتى طَعِم وشرب، وسألوه الغناءَ فٱمتنع. فقال له إبراهيم بن المهدي: إنك ستبذل هذا لأمير المؤمنين، فٱبذُله لإخوانك؛ فٱندفع يُغنّي:

---

(١) ثقفتك: صادفتك. (٢) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «مع العمال».
(٣) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «العتابي».

صــــوت

كم بالدُّروب وأرض الرومِ مِنْ قَدَمٍ * ومِن جماجم صَرْعَى ما بها قُبِرُوا (١)
بقُنْدُهَارَ (٢) ومَنْ تُقْدَرْ منيّتُه * بقُنْدُهارَ يُرَجَّم دونه الخبر

— الشعر ليزيد بن مُفَرِّغ الحِمْيَرىّ (٣). والغناء لأبن جامع رمل. وفيه لأبن سريج خفيفُ رمل جميعاً عن الهشامىّ — قال: وجعل إبراهيم يستردّه حتى صلح له (٤). ثم قال: لا والله ما كان ممّا خبّرناك شيء إنما مزحْنا بك. قال: ثم قال له: رُدّ الصوتَ؛ فغنّاه فلم يكن من الغناء الأوّل فى شيء. فقال له إبراهيم: خذه الآن علىّ، فأدّاه إبراهيم على السماع الأوّل. فقال له ابن جامع: أحبّ أن تطرحه أنت علىّ كذا.

...وم فى مجلس ...شيد ثم انتبه من ...ـه وغناه ما عجب به

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابنُ مَهْرويه قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى على بن الحسن الشَّيْبانىّ عن أحمد بن يحيى المكىّ قال:

كان أبى بين يدى الرشيد وابنُ جامع معه يغنّى بين يدى الرشيد. فغنّاه:

خليفةٌ لا يَخيبُ سائلُه * عليه تاجُ الوقار مُعْتَدِلُ (٥)

---

(١) كذا فى أكثر الأصول هنا ونهاية الأرب (ج ٤ ص ٣٢٤ طبع دار الكتب المصرية). وجميع الأصول فيا يأتى. وفى ب، سـ هنا: «ما هم قبروا». ورواية هذا البيت فى معجم البلدان فى الكلام على قندهار:

كم بالجروم وأرض الهند من قدم * ومن سرابيل قتلى ليتهم قبروا

والقدم: الشجاع. يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع. وجماجم القوم: ساداتهم ورؤساؤهم.

(٢) قندهار: مدينة كبيرة بالقرب من كابل، عاصمة أفغانستان الآن. (٣) هو يزيد بن ربيعة ابن مفرغ (كمحدث) الحميرى، وقيل: يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ. وكان حليفا لآل خالد ابن أسيد بن أبى العيص بن أمية، وهو عم السيد الحميرى. ويقال: إن جده راهن على أن يشرب سقاء لبن كله فشربه حتى فرغه، فلقب مفرغا. (انظر ترجمته فى الأغانى ج ١٧ ص ٥١ طبع بولاق).

(٤) كذا فى الأصول. ولعله «حتى صح له». (٥) فى حـ، ء، م: «يعتدل».

٧٦/٦

قال : وغنّى من يتلوه ، وهَوَّم ابنُ[1] جامع سكرًا ونُعاسا . فلما دار الغناءُ على أصحابه وصارت النوبةُ إليه ، حرّكه مَنْ يجنبه لنوبته فآنتبه وهو يغنّى :

اِسْلَمْ وحُيِّيتَ أيها الطَّلَلُ * وإن عَفَتْك الرياح والسَّبَلُ[2]

— قال : وهو يتلو البيت الأول — فعجب أهلُ المجلس من ذكائه وفَهْمه ، وأعجب ذلك الرشيد .

نسبة هذا الصوت

صوت

اِسلم وحُيِّيت أيها الطللُ * وإن عَفَتْك الرياح والسَّبَلُ

خليفةٌ لا يَخيب سائلُه * عليه تاجُ الوقار مُعْتَدِل

الشعر لأشجع أو لسَلْم الخاسر يمدح به موسى الهادى . والغناء لأبن جامع ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى، من رواية الهشامىّ وأحمد بن يحيى المكىّ .

أخبره الرشيد بموت أمه كذبا ليحسن غناؤه

قال هارون وقد حدّثنى بهذا الخبر عبد الرحمن بن أيوب قال حدّثنى أحمد بن يحيى المكىّ قال :

كان آبن جامع أحسنَ مايكون غناءً إذا حَزِن صوتُه . فأحبّ الرشيدُ أن يسمع ذلك على تلك الحال، فقال للفضل بن الربيع : ابعثْ خريطةً فيها نَعْىُ أمّ آبن جامع —وكان بارًّا بأمه— ففعل . فوردت الخريطة على أمير المؤمنين وهو فى مجلس لهوه، فقال : يآبنَ جامع، جاء فى هذه الخريطة نعيُ أمّك . فآندفع ابن جامع يغنّى بتلك الحُرْقة والحزن الذى فى قلبه :

(١) هوّم الرجل : هز رأسه من النعاس، وقيل : نام قليلا . (٢) السبل (بالتحريك) : المطر .

كم بالدّروب وأرض السِّند من قَدَم * ومن جماجم صَرْعَى ما بها قُبِروا
بقُنْدُهار ومن تُكتَب منيّته * بقُنْدُهار يُرَجَّم دونه الخبر

قال: فوالله ماملكنا أنفسنا، و رأيتُ الغِلْمان يضربون برءوسهم الحيطانَ والأساطين. — قال هارون : لا أشك أن آبن المكىّ قد حدّث به عن رجل حضر ذلك فأغفله عبد الرحمن بن أيوب — قال : ثم غنّى بعد ذلك :

* يا صاحب القبر الغريب *

— وهو لحن قديم . وفيه لحن لآبن المكىّ — فقال له الرشيد : أحسنت! وأمر له بعشرة آلاف دينار .

نسبة هذا الصوت الأخير

صوت

يا صاحبَ القبر الغريبِ * بالشام فى طَرَف الكَثِيب
بالحِجْر[1] بين صفائحٍ * صُمٍّ تُرَصَّف بالجَبُوب[2]
رَصْفًا ولِحدٍ مُمْكِنٍ * تحت العَجاجة فى القليب
فإذا ذكرتُ أنينَه * ومغيبَه تحت المغيب
هاجتْ لواعجُ عَبْرة * فى الصدر دائمة الدَّبيب
أسفًا لحسن بلائه * ولمصرع الشيخ الغريب

---

(١) الحِجر (بالكسر) : قرية صغيرة كانت بين الشام والحجاز وهى بين جبال كانت ديار ثمود التى قال الله جل شأنه فيها : (وتنحتون من الجبال بيوتا) . وتسمى تلك الجبال الأثالث ، وهى التى ينزلها حجاج الشام . (٢) كذا فى حـ . والجبوب (بالباء الموحدة) : المدر(الطوب) المفتت . وفى سائر الأصول : «الجيوب» بالياء المثناة من تحت وهو تصحيف .

أقبلتُ أطلب طِبَّــه * والموت يُعْضِل[1] بالطبيب

الشعر لمَكين العُذرىّ يرثى أباه، وقيل : إنه لرجل خرج بابنه إلى الشام هربًا به من جارية هَوِيها فمات هناك . والغناء لحكم الوادى، رمل فى مجرى البنصر . وقيل : إن الشعر لسَلّامة[2] ترثى الوليدَ بن يزيد . ٧٧/٦

أخبرنى الحسن بن على قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى الحسن بن محمد قال حدّثنا أحمد بن الخليل بن مالك قال حدّثنى عبد الله بن على بن عيسى بن ماهان قال سمعت يزيد[3] يحدّث :

سمعته أم جعفر الرشيد فأمرت بمائة ألف د لكل بيت غنى وعوضها الرشـ بكل درهم د.

أن أمّ جعفر بلغها أنّ الرشيد جالسٌ وحدَه ليس معه أحد من الندماء ولا المسامرين؛ فأرسلت إليه : يا أمير المؤمنين، إنى لم أرك منذُ ثلاث وهذا اليومُ الرابع. فأرسل إليها: عندى ابنُ جامع. فأرسلت إليه : أنت تعلم أنى لا أتهنّأ بشرب ولا سماع ولا غيرهما إلا أن تُشْرِكنى فيه، فما كان عليك أن أُشْرَكك فى الذى أنت فيه! فأرسل إليها: إنى سائر إليك الساعةَ . ثم قام وأخذ بيد ابن جامع، وقال لحسين الخادم : امضِ إليها فأعلمها أنى قد جئت . وأقبل الرشيد، فلما نظر إلى الخدم والوصائف قد استقبلوه علم أنها قد قامت تستقبله، فوجّه إليها : إن معى ابنَ جامع؛ فعدلتْ إلى بعض المقاصير. وجاء الرشيد وصيّر ابنَ جامع فى بعض المواضع التى يُسمع منه فيها ولا يكون حاضرًا معهم . وجاءت أمّ جعفر فدخلت على الرشيد

(١) أعضل به : أعياه وأعجزه . ورُوى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : أعضل بى أهل الكوفة، ما يرضون بأمير ولا يرضاهم أمير . قال الأموى : فى قوله : أعضل بى هو من العضال وهو الأمر الشديد الذى لا يقوم به صاحبه، أى ضاقت على الحيل فى أمرهم وصعبت علىّ مداراتهم . (٢) هى سلامة القس . (راجع ترجمتها فى الجزء الثامن من الأغانى ص ٦ — ١٥ طبع بولاق) . (٣) كذا فى ب، س . وفى سائر الأصول : « بربر » .

وأهوَتْ لتنكبَّ على يده؛ فأجلسها الى جانبه فآعتنقها وآعتنقته . ثم أمر ابنَ جامع أن يغنّى فآندفع فغنّى :

صــــوت

ما رَعَدَتْ رَعْـدةً ولا بَرَقَتْ * لكنّهـا أُنشئت لنـا خَلِقَـهْ (١)
المـاء يجـرى على نظامٍ له (٢) * لو يَجِـدُ المـاءُ مَخْرِقًا خَرَقَه
بتنا وباتتْ عـلى نَمارِقها * حتى بدا الصبحُ عَيْنُهـا أَرِقه
أنْ قيل إنّ الرحيل بعد غدٍ * والدارُ بعـدَ الجميع مُفترِقَه

— الشعر لعَبيد بن الأبرص . والغناء لآبن جامع ثانى ثقيـل من أصوات قليلات الأشباه، عن إسحاق . وفيه لآبن مُحْرِز ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة . وذكر يونس أن فيه لحنًا لمعبد ولم يجنّسه . وفيـه لحكم هزج بالوسطى عن عمرو والهشامىّ . ولمخارق فى هذه الأبيات رَمَل بالبنصر عن الهشامىّ . وذكر حبش أن الثقيل الأوّل للغريض . وذكر الهشامىّ أن لُمَتيَّم فيها ثانى ثقيل بالوسطى — قال: فقالت أمّ جعفر للرشيد : ما أحسنَ ما آشتهيت والله يا أمير المؤمنين ! . ثم قالت لمُسلم خادمها : ادفع إلى آبن جامع لكل بيت مائةَ ألف درهم . فقال الرشيد : غلبتِنا يا بنتَ أبى الفضل (٣) وسبقتِنا إلى برّ ضيفنا وجليسنا . فلما خرج، حمل إليها مكانَ كلّ درهم دينارا .

---

(١) يقال : نشأت لهم سحابة خلقة وخليقة أى فيها أثر المطر . (٢) كذا فى ب ، س وديوان عبيـد بن الأبرص (ص ٨٦ طبع أوروبا) . وفى سائر الأصول : « ولا نظام له » .

(٣) كذا فى الأصول . والمعروف أن أم جعفر هى زبيدة بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور الخليفة العباسى، وأن جعفرا أباها ولد ابراهيم وزبيدة وجعفرا وعيسى وعبيد الله وصالحا ولبانة . (انظر المعارف لابن قتيبة ص ١٩٢) .

أخذ صوتا من جارية بثلاثة دراهم فأخذ به من الرشيد ثلاثة آلاف دينار

أخبرنا أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدّثني محمد بن ضُوين الصَّلْصال التَّيْمِيّ قال حدّثني إسماعيل بن جامع السَّهْمِيّ قال :

ضَمّني الدهر[1] ضمًّا شديدًا بمكة ، فانتقلتُ منها بعيالي إلى المدينة ، فأصبحتُ يومًا وما أملك إلا ثلاثةَ دراهم . فهي في كُمّي إذا أنا بجارية حُمَيْراء على رقبتها جَرّة تريد الرَّكِيّ[2] تسعى بين يديّ وتُرَنِّم بصوت شَجِيّ تقول :

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا * فقالوا لنا ما أقصرَ الليلَ عندنا
وذاك لأنّ النوم يَغْشَى عيونَهم * سِراعًا وما يغشى لنا النومُ أَعْيُنا
إذا ما دنا الليلُ المُضِرّ[3] لذي الهوى * جَزِعْنا وهم يَستبشرون إذا دنا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثلَ ما * نلاقي لكانوا في المضاجع مثلَنا

78/6

قال : فأخذ الغناءُ بقلبي ولم يَدُرْ لي منه حرف . فقلت : يا جاريةُ ، ما أدري أوجهُك أحسن أم غناؤك ! فلو شئتِ أعدتِ ؛ قالت : حُبًّا وكرامةً . ثم أسندتْ ظهرَها إلى جدار قَرُب منها ورفعتْ إحدى رجليها فوضعتْها على الأخرى ، ووضعت الجَرّة على ساقيها ثم انبعثتْ تغنّيه ؛ فوالله ما دار لي منه حرف ؛ فقلتُ : أحسنتِ ! فلو شئتِ أعدتيه مرّةً أخرى ! ففطِنَتْ وكَلَحتْ وقالت : ما أعجب أمرَكم ! أحدُكم لا يزال يجيء إلى الجارية عليها الضَّرِيبة فيشغلها ! فضربتُ بيدي إلى الثلاثة الدراهم فدفعتُها إليها ، وقلت : أقيمي بها وجهَك اليومَ إلى أن نلتقي . قال : فأخذتْها كالكارهة وقالت : أنت الآن تريد أن تأخذ مني صوتًا أحسبك ستأخذ به ألف

(١) يريد ضغطني واشتد عليّ ، من شدّة الفقر والحاجة . (٢) الركى : جنس للركية وهي البئر . (٣) كذا في ب ، س هنا وفيما سيأتي في جميع الأصول . وفي أ ، م هنا : « المبير » وفي ء : « المبيد » .

دينار وألفَ دينار وألفَ دينار . قال : وٱنبعثتْ تغنّى ؛ فأعملتُ فكرى فى غنائها حتى دار لى الصوتُ وفهمتُه ، وٱنصرفتُ مسرورًا إلى منزلى أُردِّده حتى خفّ على لسانى . ثم إنى خرجتُ أريد بغداد فدخلتها ، فنزل بى المكارى على باب مُحَوَّل(١) ؛ فبقيتُ لا أدرى أين أتوجّه ولا مَنْ أقصِد . فذهبتُ أمشى مع الناس ، حتى أتيت الجسر فعبرت معهم ، ثم انتهيت إلى شارع المدينة ، فرأيت مسجدًا بالقرب من دار الفضل ٱبن الربيع مرتفعًا ؛ فقلت : مسجد قوم سَراة ؛ فدخلتُه ، وحضرتُ صلاةَ المغرب وأقمت بمكانى حتى صلّيتُ العشاء الآخرة على جوع وتعب . وٱنصرف أهل المسجد وبقى رجل يصلّى ، خلفه جماعة خدم وخَوَل(٢) ينتظرون فراغَه ؛ فصلّى مليًّا ثم ٱنصرف ؛ فرآنى فقال : أحسبك غريبًا ؟ قلت : أجل . قال : فمتى كنتَ فى هذه المدينة ؟ قلت : دخلتها آنفا ، وليس لى بها منزل ولا معرفة ، وليستْ صناعتى من الصنائع التى يُمَتّ بها إلى أهل الخير . قال : وما صناعتك ؟ قلت : أتغنّى . قال : فوثب مبادرًا ووكّل بى بعضَ من معه . فسألتُ الموكّل بى عنه فقال : هذا سَلّام الأبرش(٣) . قال : وإذا رسولٌ قد جاء فى طلبى فٱنتهى بى إلى قصر من قصور الخلافة ، وجاوز بى مقصورةً(٤) إلى مقصورة ، ثم أُدخلت مقصورة فى آخر الدهليز ؛ ودعا بطعام فأُتيت بمائدة عليها من طعام الملوك ، فأكلتُ حتى ٱمتلأت . فإنى لكذلك إذ سمعت رَكْضًا فى الدهليز وقائلا يقول : أين الرجل ؟ قيل : هو هذا . قال : ٱدعوا له بغَسول(٥)

(١) باب محول : محلة كبيرة من محال بغداد كانت متصلة بالكرخ . (٢) فى حـ : « وحول » . وفى سائر الأصول : « وخول » والظاهر أن كليهما محرّف عما أثبتناه .

(٣) خدم المنصور وتولى المظالم للهدى وعاصر الهادى والرشيد . (انظر الطبرى ق ٣ ص ٣٩٣ ، ٥٢٩ ، ٦٠٣ ، ٦٨٤ ، ٧٤٩ ، ١٠٧٥ ، ١٣٨٣) . (٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « وجاوزنى » وهو تصحيف . (٥) الغسول : الماء يغتسل به ، أو هو ما تغسل به الأيدى كالأشنان وغيره .

وخِلْعة وطِيب، ففُعل ذلك بى. فحُملت على دابّة إلى دار الخلافة — وعرفتُها بالحرس والتكبير والنيران — فجاوزتُ مقاصيرَ عدّة، حتى صِرتُ إلى دارٍ قَوْراء[1] فيها أسِرّة فى وسطها قد أُضيف بعضها إلى بعض. فأمرنى الرجل بالصعود فصعِدتُ، وإذا رجل جالس عن يمينه ثلاثُ جوار فى حجورهنّ العيدان، وفى حجر الرجل عود. فرحّب الرجل بى، وإذا مجالسُ حِيالَه كان فيها قوم قد قاموا عنها. فلم ألبث أن خرج خادم من وراء الستر فقال للرجل: تَغَنَّ؛ فانبعث يغنّى بصوت لى وهو:

لم تَمْشِ مِيلًا ولم تَرْكب على قَتَب * ولم تَرَ الشمسَ إلا دونها الكِلَلُ[2]
تمشى الهُوَيْنَى كأنّ[3] الريح تَرْجعها * مَشْىَ اليَعافير[4] فى جيآتها الوَهَلُ

فغنّى بغير إصابة وأوتار مختلفة ودَساتِينَ[5] مختلفة. ثم عاد الخادم إلى الجارية التى تلى ٧٩/٦
الرجل فقال لها: تَغَنَّىْ، فغنّتْ أيضا بصوت لى كانت فيه أحسنَ حالا من الرجل، وهو قوله:

---

(١) الدار القوراء: الواسعة الجوف. (٢) الكلل: جمع كلة وهى ستر يخاط كالبيت (ناموسية).
(٣) فى حـ: «كأن المشى يوحشها». (٤) اليعافير: الظباء. والوهل: الفزع.
(٥) الدساتين: هى الرباطات التى توضع الأصابع عليها، واحدها دستان. وأسامى دساتين العود تنسب الى الأصابع التى توضع عليها، فأولها «دستان السبابة» ويشدّ عند تسع الوتر، وقد يشدّ فوقه دستان أيضا يسمى «الزائد». ثم يلى دستان السبابة «دستان الوسطى» وقد توضع أوضاعا مختلفة فأولها يسمى «دستان الوسطى القديمة» والثانى يسمى «دستان وسطى الفرس» والثالث يسمى «دستان وسطى زلزل» لأنه أوّل من شدّه. فأما الوسطى القديمة فشدّ دستانها على قريب من الربع مما بين دستان السبابة ودستان البنصر. ودستان وسطى الفرس على النصف فيما بينهما على التقريب. ودستان وسطى زلزل على ثلاثة أرباع ما بينهما إلى ما يلى البنصر بالتقريب. وقد يقتصر من دساتين هـذه الوسطيات على واحد وربما يجمع بين اثنين منها. ثم يلى دستان الوسطى «دستان البنصر» ويشدّ على تسع ما بين دستان السبابة وبين المشط. ثم يلى دستان البنصر «دستان الخنصر» ويشدّ على ربع الوتر. (عن مفاتيح العلوم للخوارزمى. وراجع ما كتب فى هـذا المعنى فى تصدير هـذا الكتاب ص ٤٠).

يا دار أضحت خلاءً لا أنيس بها * إلا الظباءُ وإلا النّاشط الفَرِدُ (١)

أين الذين إذا مازرتُهم جذِلوا * وطار عن قلبيَ التّشْواق والكَمَد

[ثم عاد إلى الثانية وأحسبه أغفلها وما تغنّت به] (٢) ثم عاد الخادم إلى الجارية التى تليها فآنبعثتْ تغنّى بصوت لحكم الوادىّ وهو :

فوالله ما أدرى أيَغلبنى الهوَى * إذا جدّ وَشْكُ البَيْن أم أنا غالبُهْ

فإن أستطع أغلِبْ وإن يغلب الهوى * فمثلُ الذى لاقيتُ يُغْلَب صاحبه

قال : ثم عاد الخادم إلى الجارية الثالثة فغنّت بصوتٍ لحُنَيْن وهو قوله :

مَرَرْنا على قَيْسيّة عامريّة * لها بَشَرٌ صافى الأديم هِجانُ (٣)

فقالت وألقتْ جانبَ السّتر دونها * مِنَ آيّة أرضٍ أو مَنِ الرجُلان

فقلتُ لها أمّا تميم فأُسرتى * هُديتِ وأما صاحبى فيَمان

رفيقان ضمّ السَّفْرُ بينى وبينه * وقد يَلتقى الشتّى فيأتلفان

ثم عاد إلى الرجل فغنّى صوتًا فشبّه فيه (٤) . والشعر لعمر بن أبى ربيعة وهو قوله :

أمسى بأسماءِ هذا القلبُ معمودًا * إذا أقول صحا يعتاده عِيدَا

كأنّ أحورَ من غِزْلان ذى بَقَر (٥) * أعارها شِبْهَ العينين والجِيدا

بمُشْرِقٍ (٦) كشُعاع الشمس بهجتُه * ومُسْبَكِرٍّ على لَبّاتها سُودا

---

(١) الناشط : الثور الوحشى وكذلك الحمار الوحشىّ . والفرد : المنفرد . (٢) كذا وردت هذه العبارة فى جميع الأصول . والظاهر أنها مقحمة . (٣) الهجان : الأبيض الخالص من كل شىء . (٤) يريد : خلط فيه ولم يحسن أداءه . (٥) كذا فى جميع الأصول هنا وفيما سيأتى فى حـ ر ديوانه . وفيما سيأتى فى سائر الأصول : «ذى نفر» (بالفاء) وكلاهما اسم لموضع . فذو بقر : واد بين أخيلة الحمى حمى الربذة ، وقرية فى ديار بنى أسد . وذو نفر : موضع على ثمانية أميال من السليلة بينها وبين الربذة . (انظر معجم ما استعجم للبكرى ومعجم ياقوت) . (٦) كذا فى ديوانه . وهذا البيت يتعلق ببيت قبله أغفله صاحب الأغانى وهو :

قامت تَراءى وقد جدّ الرحيل بنا * لتنكأ القرح من قلب قد اصطيدا

وفى جميع الأصول : « ومشرقا ... * ومسبطرا ... الخ » . وشعر مسبكر : مسترسل .

ثم عاد إلى الجارية فتغنّت بصوت لحكم الوادىّ :

تُعيِّرنا أنّا قليلٌ عَديدُنا * فقلتُ لها إنّ الكرام قليلُ
وما ضَرّنا أنّا قليلٌ وجارُنا * عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليل
وإنّا لقومٌ مانرى القتلَ سُبّةً * إذا ما رأته عامرٌ وسَلول
يُقرّب حبُّ الموت آجالَنا لنا * وتكرهه آجالُهم فتطول

وتغنّت الثانية :

وَدِدْتُك لما كان وُدُّك خالصًا * وأعرضتُ لما صِرتَ نهبًا مُقَسَّما
ولا يَلبث الحوضُ الجديدُ بناؤه * إذا كَثُر الوُرّاد(1) أن يتهدّما

وتغنّت الثالثة بشعر الخنساء :

وما كَرّ إلا كان أوّلَ طاعنٍ * ولا أبصرتْه الخيلُ إلا اقشعرّتِ
فيُدرك ثأرًا وهو لم يُخطِه الغنى * فمثلُ أخى يومًا به العينُ قرّت
فلستُ أُرَزّا بعده برزيّة * فأذكرَه إلا سَلَتْ وتجلّت

وغنّى الرجل فى الدور الثالث :

لَحَى الله صُعلوكًا مُناه وهمّه * من الدهر أن يلقى لَبُوسًا ومطعما
ينام الضحى حتى إذا ليلُه انتهى(2) * تنبّه مثلوجَ(3) الفؤاد مُوَرَّما(4) ٨٠/٦
ولكنّ صعلوكا يساور همّه * ويمضى على الهيجاء(5) ليثًا مقدّما
فذلك إن يَلْقَ الكريهةَ يَلْقَها * كريمًا وإن يَستغن يوما فربّما

(1) فى ا ، ء ، م * ... فيما سيأتى فى جميع الأصول : « على كثرة الوراد » .

(2) فى ديوان حاتم (طبع لندن سنة ١٨٧٢) : «استوى» . (3) كذا فى ديوانه . وفى جميع الأصول : «مسلوب» . (4) مورما : منتفخا بادنا لعدم ما يشغله من شؤون الحياة.

(5) فى ا ، ء ، م هنا وفيما سيأتى فى جميع الأصول : « مصمما » . ورواية هذا البيت فى ديوانه :

وقد صعلوك يساور همه * ويمضى على الأحداث والدهر مقدما

قال : وتغنّت الجارية :

إذا كنتَ رَبًّا للقلوص فلا يكنْ[(١)] * رفيقُك يمشى خلفَها غيرَ راكب
أَنِخْها فأردفه فإن حملتكما * فذاك وإن كان العِقابُ[(٢)] فعاقب

قال : وتغنّت الجارية بشعر عمرو بن معديكرب :

ألم تر لمّا ضمّنى البلدُ القفرُ * سمعتُ نداءً يصدَع القلبَ ياعمرُو
أَغِثْنا فإنا عُصْبة مَذْحِجيّة * نُزار على وَفْر وليس لنا وَفْر

قال : وتغنّت الثالثة بشعر عمرَ بنِ أبى ربيعة :

فلما تَواقفْنا وسلّمتُ أَسْفرتْ[(٣)] * وجوهٌ زَهاها الحسنُ أن تتقنّعا
تَبالَهْنَ بالعرفان لمّا عرفْنَنى * وقُلْنَ امرؤٌ باغٍ أَكَلَّ[(٤)] وأَوْضعا
ولما تنازعْنَ[(٥)] الأحاديثَ قُلْن لى * أخِفْتَ علينا أن نُغَرّ ونُخْدَعا

قال : وتوقّعتُ مجىءَ الخادم إلىّ، فقلت للرجل : بأبى أنت ! خُذ العود فشُدَّ وتر كذا وارفع الطبقة وحُطَّ دُسْتانَ كذا؛ ففعل ما أمرتُه . وخرج الخادم فقال لى : تَغَنَّ عافاك الله؛ فتغنّيتُ بصوت الرجل الأوّل على غير ما غنّاه، فإذا جماعة من الخدم يحضُرون حتى استندوا إلى الأَسِرّة وقالوا : وَيْحَك ! لمن هذا الغناء ؟ قلت : لى؛ فانصرفوا عنّى بتلك السرعة، وخرج إلىّ الخادم وقال : كذبتَ ! هذا الغناء لابن جامع . ودار الدورُ؛ فلما انتهى الغناءُ إلىّ قلتُ للجارية التى تَلِي الرجلَ : خذى العود،

(١) فى شعراء النصرانية (ج ١ ص ١٢٩ طبع بيروت) : « فلا تدع » . (٢) العقاب : هو أن تركب الدابة مرة ويركبها صاحبك مرة . (٣) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : «أقبلت» . وفى ديوانه طبع أوربا : «أشرقت» . (٤) أكل : أعيا . وأوضع : أسرع . يريد أنه أوضع فأكل إلا أنه قدّم وأخر . (٥) كذا فى ديوانه . وفى جميع الأصول هنا : « تواضعن » . وفى ب ، س فيما سيأتى : « تراجعن » .

فعلمتْ ما أريد فسَوّتِ العود على غنائها للصوت الثانى فتغنّيتُ به . فخرجتْ إلى الجماعة الأولى من الخدم فقالوا : ويحك ! لمن هذا ؟ قلت : لى ؛ فرجعوا وخرج الخادم . فتغنيتُ بصوت لى فلا يُعرف إلا بى، وسقَوْنى فتزيّدت، وهو : (١)

عُوجى علىّ فسلِّمى جَبْرُ * فيمَ الصدود وأنتم سَفْرُ
ما نلتقى إلا ثلاثَ مِنًى * حتى يُفرّق بيننا الدهرُ (٢)

قال : فتزلزلتْ والله الدار عليهم . وخرج الخادم فقال : وَيْحَك ! لمن هذا الغناء ؟ قلت : لى . فرجع ثم خرج فقال : كذبتَ ! هذا غناء ابن جامع . فقلت : فأنا إسماعيل بن جامع . فما شَعَرتُ إلا وأميرَ المؤمنين وجعفر بن يحيى قد أقبلا من وراء الستر الذى كان يخرج منه الخادم . فقال لى الفضلُ بن الربيع : هذا أميرُ المؤمنين قد أقبل إليك . فلما صَعِد السريرَ وثَبتُ قائمًا . فقال لى : أَبنُ جامع؟ قلت : أَبن جامع، جعلنى الله فداك يا أميرَ المؤمنين . قال : وَيْحَك! متى كنتَ فى هذه البلدة؟ قلت : آنِفًا، دخلتُها فى الوقت الذى علم بى أميرُ المؤمنين . قال : اجلس وَيْحك يأَبنَ جامع! ومضى هو وجعفر فجلسا فى بعض تلك المجالس، وقال لى: أَبْشِر وابسُط أَمَلَك؛ فدعوت له . ثم قال : غنّنى يأَبنَ جامع . فخطر بقلبى صوتُ الجارية الحُمَيراء فأمرت الرجل بإصلاح العود على ما أردتُ من الطبقة، فعرف ما أردتُ، فوزَن العود وزنًا ٨١/٦
وتعاهده حتى استقامت الأوتار وأخذت الدساتينُ مواضعَها، وانبعثتُ أغنّى بصوت الجارية الحُمَيْراء . فنظر الرشيد إلى جعفر وقال : أسمعتَ كذا قطُّ ؟ فقال : لا والله

(١) الذى يتتبع سياق الخبر يشعر بأن هاهنا نقصا . ولعل أصل الجملة : «وخرج الخادم فقال كذبت فتغنيت ... الخ» . (٢) كذا فى جميع الأصول هنا . وفى ترجمة العرجى (ج ١ ص ٤٠٨ من الأغانى طبع دار الكتب المصرية) وفيما سيأتى فى ب ، س : «النفر» . والنفر : هو نفر الحاج من منى ويكون فى اليوم الثانى ويسمى النفر الأول . والثانى يكون فى اليوم الثالث من أيام التشريق .

ما خرق مسامعى قطُّ مثلُه . فرفع الرشيد رأسَه إلى خادم بالقرب منه فدعا بكيس فيه ألفُ دينار لجاء به فرمى به إلىّ، فصيّرتُه تحت فخذى ودعوت لأمير المؤمنين . فقال : يآبنَ جامع ، رُدّ على أمير المؤمنين هــذا الصوتَ، فرددتُه وتزيّدت فيــه . فقال له جعفر: يا سيّدى، أمَا تراه كيف يتزيّد فى الغناء! هذا خلاف ما سمعناه أوّلا وإن كان الأمر فى اللحن واحدًا . قال : فرفع الرشــيد رأسَه إلى ذلك الخادم فدعا بكيس آخر فيه ألفُ دينار، لجاءنى به فصيّرته تحت فخذى . وقال : تغنّ يا إسماعيل ما حضَرك . فجعلت أَقْصِــد الصوت بعد الصوت ممــا كان يبلغنى أنه يشترى عليه الجوارى فأُغنّيه ؛ فلم أزلْ أفعل ذلك إلى أنــ عَسْعس الليلُ . فقال : أتعبناك يا إسماعيل هذه الليلةَ بغنائك، فأَعِدْ على أمير المؤمنين الصوتَ (يعنى صوتَ الجارية) فتغنّيتُ . فدعا الخادمَ وأمره فأحضر كيسًا ثالثًا فيه ألفُ دينار . قال : فذكرت ما كانت الجاريةَ قالت لى فتبسّمتُ، ولحَظَنى فقال : يآبن الفاعلة، ممّ تبسمتَ ؟ فجثوتُ على ركبتىّ وقلت : يا أمير المؤمنين، الصدقُ مَنْجَاة . فقال لى بانتهار : قل . فقصصتُ عليه خبرَ الجارية . فلما استوعبه قال : صدَقْتَ ، قد يكون هذا وقام . ونزلت من السرير ولا أدرى أين أَقْصِــد . فآبتدرنى فرّاشان فصارا بى إلى دار قد أَمر بها أميرُ المؤمنين ؛ ففُرِشتْ وأُعِدّ فيها جميعُ ما يكون فى مثلها من آلة جلساء الملوك وندمائهم من الخدم ، ومنــ كل آلة وخَوَل إلى جوارٍ ووُصَفاء . فدخلتها فقيرًا[(١)] وأصبحت من جِلّة أهلها ومياسيرهم .

وذكر لى هذا الخبرَ عبــدُ الله بن الرّبيع عن أبى حَفْص الشّيْبانىّ عن محمد بن القاسم عن إسماعيل بن جامع قال :

---

(١) يريد مدينة بغداد التى تقدّمت فى أوّل الخــبر .

ضمّنى الدهرُ بمكة ضمًّا شـديدًا فانتقلت إلى المدينة . فبينا أنا يومًا جالس مع بعض أهلها نتحدّث، إذ قال لى رجل حضَرَنا: والله لقد بلغنا يا ابن جامع أن الخليفة قد ذكرك، وأنت فى هذا البلد ضائع ! فقلت : والله ما بى نهوض. قال بعضهم: فنحن نُنهضك . فاحتلتُ فى شىء وشخصت إلى العراق، فقدِمتُ بغدادَ، ونزلت عن بغل كنت اكتريتُه . ثم ذكر باقى الحديث نحوَ الذى قبله فى المعانى، ولم يذكر خبر السوداء التى أخذ الصوتَ عنها (١) . وأحسبه غلِط (٢) فى إدخاله هذه الحكاية هاهنا ، ولتلك خبر آخر نذكره هاهنا (٣). قال فى هذا الخبر: إن الدَّوْر دار مرّةً أخرى حتى صار إلىّ ؛ فخرج الخادم فقال : غنّ أيها الرجل! فقلت : ما أنتظر الآن! ! ثم اندفعتُ أغنّى بصوت لى وهو :

فلو كان لى قلبان عِشتُ بواحد * وخلّفتُ قلبًا فى هواك يُعذَّبُ
ولكنما أحيا بقلب مُروَّع * فلا العيشُ يصفو لى ولا الموتُ يقربُ
تعلّمت أسبابَ الرضا خوفَ سُخطها * وعلّمها حبى لها كيف تغضب
ولى ألف وجهٍ قد عرفتُ مكانه * ولكن بلا قلب إلى أين أذهب (٤)

فخرج الرشيد حينئذ .

نسبة ما فى هذه الأصوات من الأغانى

٨٢/٦

صـــوت

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا * فقالوا لنا ما أقصر الليلَ عندنا
وذاك لأنّ النومَ يَغشى عيونَهم * سِراعًا وما يغشى لنا النومُ أعينَا

(١) كذا فى جميع الأصول هنا وفيما سيأتى . وقد تقدم أن الجارية التى أخذ عنها كانت حمراء وقد ذكر ذلك فى موضعين . (٢) يريد به محمد بن ضوين الصلصال التيمى وهو الذى ذكر هذا الخبر فيما تقدم وذكر فيه خبر السوداء التى أخذ عنها ابن جامع الصوت . (٣) ذكرت هذه القصة فى آخر ترجمة ابن جامع . (٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول: «يذهب» .

إذا مادنا الليلُ المضَرّ بذى الهوى * جَزِعْنا وهم يستبشرون إذا دنا
فلو أنهم كانوا يُلاقون مثلَ ما * نُلاقى لكانوا فى المضاجع مثلَنا

عروضه من الطويل . وذكر الهشامىّ أن الغناء لابن جامع هزج بالوسطى ، وفى الخبر أنه أخذه عن سوداء لقيها بمكة (١) .

ومنها :

صـــوت

يادار أضحت خلاءً لا أنيسَ بها * إلا الظباءُ وإلا النّاشط الفَرِدُ
أين الذين إذا ما زرتُهم جذِلوا * وطار عن قلبىَ التشواق والكمد

فى هذا الصوت لحنٌ لابنِ سريج خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى من رواية حبش . ولحن ابن جامع رمل .

ومنها :

صـــوت

لم تَمْشِ مِيلاً ولم تركب على جَمل * ولم تَرَ الشمسَ إلا دونها الكِلَلُ
أقول للركب فى دُرْنا (٢) وقد ثَمِلوا * شِيموا وكيف يَشيم الشارب الثَّمِل

(١) انظر حاشية رقم ١ ص ٣١٩ من هـذه الترجمة . (٢) درنا : ناحيـة باليمامة وكانت تسمى هكذا فى الجاهليـة . وهى المعروفة بأنافت أو آنافة بالهاء والتاء . قال الهمدانى : وكان الأعشى كثيرا ما يتخرّف فيها وكان له بها معصرٌ للخمر يعصر فيه ما أجزل له أهل أنافت من أعنابهم . ويروون فى قصيدته البائية :

أحب أنافت وقت القطاف * ووقت عصـارة أعنابهـا

ويسكنها أهل ذى كبار ووداعة . والرواية المشهورة فى هذا الشطر كما فى شرح المعلقات العشر للتبريزى ومعجم البلدان وصـفة جزيرة العرب ولسان العـرب وشرح القاموس (مادة درن) : " فقلت للشرب فى درنا ... الخ " .

الشعر للأعشى . والغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بالبنصر ، وقد كُتب فيما يغنّى فيه من قصيدة الأعشى التى أوّلها :

* وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إن الركبَ مُرْتحلُ *

ومنها :

صـــــوت

مَرَرْنا عـلى قَيْسِـيَّةٍ عامريّةٍ * لهـا بَشَرٌ صافى الأديم هِجـانِ
فقالت وألقت جانبَ السترِ دونها * مِنَ ايّةِ أرض أو مَنِ الرجلان
فقلت لهـا أمّا تمـيمٌ فأسرتى * هُـديتِ وأمّا صاحبي فيَمانى
رفيقان ضمّ السَّفْرُ بيني و بينـه * وقد يَلتـقى الشتّى فيأتلفان

غنّاه ابنُ سريج خفيف رمل بالبنصر .

ومنها :

صـــــوت

أمسى بأسماءَ هذا القلبُ معمودَا * إذا أقول صحا يعتاده عِيـدَا
أَجْرِى على موعد منهـا فتُخلفنى * فـا أَمَلّ ولا تُوفى المواعيـدا
كأنّنى حين أُمسِى لا تكلّمنى * ذو بُغْية يبتغى ما ليس موجودا

الشـعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء للغريض خفيف ثقيـل أوّل بالوسطى ، وله فيه ثقيل أوّل [بالبنصر . وذكر عمرو بن بانة أنّ لمعبد فيه ثقيلا أوّل](١) بالوسطى على مذهب إسحاق .

(١) هذه العبارة ساقطة فى الأصول ماعدا ب ، س .

ومنهـا :

صـــوت

فوالله ما أدرى أيغلبنى الهـــوى * إذا جدّ وَشْـكُ البين أم أنا غالبُـهْ

فإن أستطع أغْلِبْ وإن يَغْلِبِ الهوى * فمثلُ الذى لاقيتُ يُغْلَب صاحبه

٨٣/٦ عروضه من الطويل . الشعر لابن ميّادة، والغناء للحَجَبِىّ خفيف ثقيل بالبنصر من رواية حبش .

ومنهـا :

صـــوت

تُعـيِّرنا أنا قليـلٌ عديدُنا * فقلتُ لها إنّ الكرام قليـلُ

وما ضَرّنا أنّا قليـلٌ وجارُنا * عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليـلُ

وإنّا لقومٌ ما نرى القتلَ سُبّةً * إذا ما رأته عامرٌ وسَـلُول

يقرّب حبُّ الموت آجالَنا لنـا * وتكرهه آجالُهم فتطـول

عروضه من مقبوض(١) الطويل . والشعر للسموءل بن عادياء اليهودىّ . والغناء لحَكَم الوادى .

ومنهـا :

صـــوت

وَدِدْتُك لمـا كان ودّك خالصًا * وأعرضتُ لمـا صار نَهْبًا مقسّما

ولن يلبثَ الحوضُ الجديدبناؤه * على كثرة الورّاد أن يتهدّما

عروضه من الطويل . وفيه خفيفُ ثقيل قدم لأهل مكة . وفيه لغَريب ثقيلٌ أوّل .

(١) القبض : هو حذف الخامس الساكن فيصير « فعولن » « فعول » .

ومنها :

صوت

وما كَرّ إلّا كان أوّلَ طاعنٍ * ولا أبصرتْه الخيلُ إلا اقشعرّتِ
فيُدرك ثأرًا ثم لم يُخطِه الغِنى * فمثلُ أخى يومًا به العين قرّت
فإن طلبوا وِترًا بدَا بِتِراتِهم * ويَصبر يحميهم إذا الخيل وَلّت

عروضه من الطويل . الشعر للخنساء، والغناء لابن سُرَيج ثقيل أوّل بالبنصر وذكر على بن يحيي أنه لمَعْبد فى هذه الطريقة .

ومنها :

صوت

لحا الله صُعلوكًا مُناه وهَمُّه * من الدهر أن يلقَى لَبوسًا ومَطْعَما (١)
ينام الضحى حتى إذا ليلُه انتهى * تنبّه مثلوجَ الفؤاد مُوَرَّما
ولكن صعلوكا يُساور هَمَّه * ويَمضى على الهَيْجاء ليثًا مُصمِّما
فذلك إن يلقَ الكريهةَ يلقَها * كريمًا وإن يَستغنِ يومًا فربّما

عروضه من الطويل . الشعر يقال إنه لعُرْوة بن الوَرْد، ويقال : إنه لحاتم الطائى وهو الصحيح . والغناء لطُوَيس خفيفُ رمل بالبنصر .

ومنها :

صوت

إذا كنتَ ربًّا للقَلوص فلا يكن * رفيقُك يَمْشى خلفَها غيرَ راكبِ
أنِخْها فأردفه فإنْ حملتْكما * فذاك وإن كان العِقاب فعاقب

عروضه من الطويل . والشعر لحاتم طَيِّئ .

(١) راجع هذا الشعر فى صفحة ٣١٥ فقد ورد فيها مختلفا عما هنا اختلافا يسيرا .

ومنهــا :

صـــــوت

ألم تَرَ لمّـا ضَمّنى البــلد القَفْــرُ * سمعتُ نداءً يصدع القلبَ يا عمرُو

أغِثنــا فإنا عُصْــبة مَذْحِجيّــة * نُزار عــلى وَفْر وليس لنـا وَفْــر

عروضه من الطويل . الشعر لعمرو بن معديكرب . والغناء لحُنَين رمل بالوسطى ٨٤/٦
عن حَبَش .

ومنهــا :

صـــــوت

فلمــا توافقْنا وســلّمتُ أقبلتْ * وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تتقنّعا

تبــالَهْنَ بالعرفان لمــا رأيْنَنى * وقُلْنَ آمرؤ باغٍ أَكَلّ وأَوْضعا

ولمــا تنازعن(١) الأحاديثَ قلن لى * أخِفْتَ علينا أن نُغَرّ ونُخْـدَعَا

وقــرّبن أسبابَ الهــوى لمتيّمٍ * يَقيس ذراعًا كلما قِسْن إصبعا

عروضه من الطويل . الشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء لابن سُرَيج والغريض ومالك ومعبد وابن جامع فى عدّة ألحان، قد كُتبتْ مع الخبر فى موضع غير هذا .

ومنهــا :

صـــــوت

عُوجى علىّ فسلّمى جَــبْرُ * فيم الصدودُ وأنتم سَــفْرُ

ما نلتقِى إلا ثــلاثَ مِنًى * حتى يفــرِّق بيننا النَّفْــرُ(٢)

الحــول ثم الحــول يتبعه * ما الدهر إلا الحول والشهر

---

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٣١٦ من هذا الجزء .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣١٧ من هذا الجزء .

الشعر للعَرْجىّ . والغناء للأبجر ثقيل أوّل عن المشامىّ ، ويقال إنه لابن محرز ، ويقال بل لحنه فيه غير لحن الأبجر . وفيه رمل يقال إنه لابن جامع ، وهو القول الصحيح ، وذكر حبش أنه لابن سريج ، وأن لحن ابن جامع خفيف رمل .

ومنها :

صــــوت

فلو كان لى قلبان عشتُ بواحد * وخلّفتُ قلبًا فى هواك يعذَّبُ
ولكنّما أَحيا بقلب مُروّع(١) * فلا العيش يصفولى ولا الموت يقرُبُ
تعلّمتُ أسباب الرِّضا خوفَ هجرها * وعلّمها حبّى لها كيف تغضب
ولى ألف وجه قد عرفت مكانَه * ولكن بلا قلب إلى أين أذهب

عروضه من الطويل . الشعر لعمرو الورّاق . والغناء لابن جامع خفيف رمل ، ويقال إنه لعبد الله بن العبّاس . وفيه لعَريبَ ثقيلٌ أوّل . وفيه لزَذَاذ خفيفُ ثقيل . وفيه هَزَج يقال إنه لعَريب ، ويقال إنه لنمرة ، ويُقال إنه لأبى فارة ، ويقال إنه لابن جامع .

سمعه مصعب الزبيرى يغنى فى بساتين المدينة فدحه

حدّثنى مصعب الزبيرىّ قال :

قَدِم علينا ابنُ جامع المدينةَ قَدْمةً فى أيام الرشيد ؛ فسمعته يومًا يغنّى فى بعض بساتين المدينة :

ومالىَ لا أبكى وأندُب ناقتى * إذا صَدَر الرُّعيانُ وِردَ المناهل
وكنتُ إذا ما آشتدّ شوقى رَحَلْتُها * فسارت بمحزون(٢) كثير البَلَابل(٣)

٨٥
٦

(١) فى حـ : «معذب» . (٢) فى حـ : «طويل» . (٣) البلابل : شدّة الهم والوسواس فى الصدر وحديث النفس .

وكان رجلًا صيِّتًا[(١)]، فكاد صوته يذهب بى كلَّ مذهب ، وما سمعتُ قبله ولا بعده مثله .

نسبة هذا الصوت

صوت

ومالى لا أبكى وأندُب ناقتى * إذا صَدَر الرُّعيانُ وِرْدَ المناهلِ
وكنت إذا ما آشتدّ شوقى ركبتها * فسارتْ بمحزون كثير البلابل

الغناء لآبن جامع خفيف ثقيل بالسبابة فى مجرى الوسطى عن الهشامىّ وابن المكّىّ .

أهدى الربيع للنصور فكان يستخفه وأعتقه

أخبرنى وكيع قال حدّثنى هارون بن محمد الزّيات قال حدّثنى حماد بن إسحاق عن أبيه عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال :

كنتُ فى خمسين وصيفًا أُهدوا للنصور، فَفُرِّقْنا فى خدمته ، فصرت إلى ياسر صاحب وضوئه . فكنت أراه يفعل شيئا أعلم أنه خطأ : يعطيه الإبريق فى آخر المستراح ويقف مكانه لا يبرح . وقال لى يوما : كن مكانى فى آخر المستراح . فكنت أعطيه الإبريق وأخرج مبادرًا، فإذا سمعت حركته بادرت إليه . فقال لى : ما أخفّك على قلبى ياغلام! ويحك! ثم دخل قصرا من تلك القصور فرأى حيطانه مملوءة من الشعر المكتوب عليها . فبينا هو يقرأ ما فيه إذا هو بكتاب مفرد ، فقرأه فإذا هو :

ومالىَ لا أبكى وأندُب ناقتى * إذا صدَر الرّعيانُ نحوَ المَناهلِ
وكنتُ إذا ما آشتدّ شوقى رَحَلْتُها * فسارتْ بمحزون طويل البلابل

(١) الصيت : الجهير الصوت .

وتحتــه مكتوب : آه آه ، فلم يَدْر ما هو . وفطَنتُ له فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد عرفت ما هو . فقال : قل؛ فقلت : قال الشعر ثم تأوّه فقال: آه آه ، فكتب تأوُّهَه وتنفُّسه وتأسُّفه . فقال : مالك قاتلك الله! قد أعتقتُكَ وولّيتكَ مكانَ ياسر.

ذكر أخبار هــذه الاصوات المتفرّقة [فى](١) الأخبار وإنمــا افردتها عنها لئلا تنقطع

خـــبر

* أمسَى بأسماءَ هــذا القلبُ مَعْمودَا *

خرج الغريض مع نسوة فتبعه الحارث ابن خالد مع ابن أبى ربيعة

اخبرنى الحُسين بن يحيى قال حماد : قرأت على أبى، وذكر جعفر بن سعيد عن عبد الرحمن بن سليمان المكىّ قال حدّثنى المخزومىّ (يعنى الحارثَ بن خالد) قال:

بلغنى أن الغريض خرج مع نِسْوة من أهل مكة من أهل الشَّرَف ليلًا إلى بعض المتحدَّثات من نواحى مكة ، وكانت ليـلة مقمرة؛ فاشتقتُ إليهنّ و إلى مجالستهنّ و إلى حديثهنّ، وخفتُ على نفسى لجنايةٍ كنت أُطالَب بها ، وكان عمر مَهيبًا معظَّما لا يُقدِم عليه سلطان ولا غيره، وكان منّى قريبًا؛ فأتيتُه فقلت له : إنّ فلانة وفلانة وفلانة — حتى سمّيتهنّ كُلَّهنّ — قد بعثْنَنى، وهنّ يقرأْنَ عليك السلامَ، وقلن : تشوّقن إليك فى ليلتنا هذه لصوتٍ أنشدْناه فُوَيْسقُك الغريض — وكان الغريض يغنّى هذا الصوتَ فيُجيده، وكان ابن أبى ربيعة به مُعْجَبًا، وكان كثيرًا ما يسأل الغريضَ أن يُغنّيه، وهو قولُه :

أمسى بأسماءَ هــذا القلبُ مَعْمودَا * إذا اقــول صحَــا يعتاده عِيــدَا

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ب ، س.

كأنّ أحورَ من غِزْلان ذى نفَـر[(١)] * أهْدى لها شَـبَهَ العينين والجِيدا
قامت تراءَى وقد جدّ الرحيلُ بنا * لتنكأَ القرح من قلب قد ٱصطيدا
كأننى يــومَ أُمسى لا تكلّمنى * ذو بُغْيـة يبتغى ما ليس مَوْجودا
أجرى على موعدٍ منهـا فتُخلفنى * فمـا أَمَـلُّ وما تُوفى المواعيـدا ٧٦/٦
قدطال مَطْلى، لَوَ ٱنّ اليأسَ ينْفعنى * أَوْ أن أُصادِفَ من تِلْقائها جُودَا
فليس تَبْـذُل لى عفوًا وأُكرمُها * من أن ترى عندنا فى الحرص تشديدا[(٢)]

ـ فلما أخبرتُه الخبرَ قال: لقد أزعجتَنى فى وقت كانت الدَّعَةُ أحبَّ فيه إلىّ؛ ولكنّ صوتَ الغريض وحديثَ النِّسوة ليس له مُتْرَك ولا عنه مَحيص. فدعا بثيابه فلبِسها، وقال : امضِ؛ فمضينا نمشى العجلَ حتى قرُبنا منهنّ . فقال لى عمر : خَفِّضْ عليك مَشْيَك ففعلتُ، حتى وقفنا عليهنّ وهنّ فى أطيب حديث وأحسن مجلس؛ فسلّمنا، فتهيّبْننا وتخفّرْن منّا . فقال الغريض : لا عليكنّ! هذا ٱبن أبى ربيعة والحارثُ بن خالد جاءا متشوّقين إلى حديثكنّ وغنائى . فقالت فلانة : وعليك السـلامُ يا ٱبنَ أبى ربيعـة، والله ما تمّ مجلسُنا إلا بك، اجلِسا . فجلسنا غيرَ بعيد، وأخذْنَ عليهنّ جلابيبَهنّ وتقنّعن بأخمِرتهنّ وأقبلن علينا بوجوههنّ وقُلْن لعمر : كيف أحْسَسْتَ بنا وقد أخفينا أمرَنا؟ فقال : هـذا الفاسقُ جاءنى برسالتكنّ وكنتُ وَقيـذًا[(٣)] من علّة وجدتُها، فأسرعت الإجابةَ، ورجوتُ منكنّ على ذلك حسنَ الإثابة. فرددْن عليه : قد وجب أجرُك، ولم يَخِبْ سعيُك، ووافق منّا الحارثُ إرادةً . فحدّثهنّ بما قلتُ له

---

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٣١٤ من هذا الجزء . (٢) هذه رواية الديوان . وفى الأصول :
... ... فأكرمها * ما إن ترى عندنا فى الحرص تشديدا
(٣) الوقيذ : المريض .

من قصّة غناء الغريض ؛ فقال النّسوة : والله ما كان ذلك كذلك، ولقد نبّهتنا على صوت حسن، يا غريضُ هاتِه . فآندفع الغريضُ يغنّى ويقول :

أمسى بأسْماء هذا القلبُ معْمودَا * إذا أقولُ صحَا يَعْتاده عِيدَا

حتى أتى على الشعر كلّه إلى آخره ، فكلٌّ آستحسنه . وأقبل علىّ آبنُ أبى ربيعة يجزّانى الخيرَ، وكذلك النّسوة . فلم نزَلْ بأنعمِ ليلةٍ وأطيبها حتى بدأ القمرُ يغيب، فقُمنا جميعًا، وأخذ النّسوة طريقًا ونحن طريقًا وأخذ الغريضُ معنا .

وقال عمر فى ذلك :

صوت

هل عند رَسْم برامةٍ[1] خبرُ * أم لا فأىّ الأشياء تَنتظرُ[2]

قد ذكّرتنى الديارُ إذ دَرَستْ * والشوقُ ممّا يَهيجه الذِّكَرُ

تمشِّى رسولٍ إلىّ يُخبرنى[3] * عنهم عِشاءً ببعض ما ائتمروا

ومجلسَ النّسوة الثلاث لدى الـ * ـخَيْمات حتى تَبلّج السَّحَر

فيهنّ هِندٌ والهمُّ ذِكْرتُها * تلك التى لا يُرى لها خَطَر

ثم انطلقنا وعندنا ولنا * فيهنّ لو طال ليلُنا وطَر

وقولها للفتاة إذ أزِف الـ * ـبينُ أغادٍ أم رائحٌ عُمَر

عَجْلانَ لم يَقْض بعضَ حاجته[4] * هلا تأنّى[5] يومًا فينتظرُ

اللهُ جارٌ له وإن نَزَحتْ * دارٌ به أو بدا له سفر

---

(١) رامة : منزل بينه وبين الرمادة ليلة فى طريق البصرة الى مكة . وبين رامة وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة . وقيل : هى هضبة، وقيل : جبل لبنى دارم ، وقيل فيها غير ذلك . (٢) وردت هذه الأبيات ضمن قصيدة ثمانية عشر بيتا فى ديوان عمر بن أبى ربيعة (طبع ليبسك) باختلاف يسير فى بعض الكلمات وفى ترتيب الأبيات . (٣) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : « يمشى فتاة الى يخبرنى » . (٤) فى الديوان : «لم يقض بعد حاجته» . (٥) فى ب ، سـ : «أتانا» وهو تحريف .

غنّاه الغريض ثقيلا أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر . وفيه لابن سُرَيج رمل بالوسطى . وفيه لعبد الرحيم الدّفّاف ثقيلٌ أول بالبنصر فى البيتين الأوّلين . وبعدهما :

٨٧/٦

هل من رَسول إلىّ يُخبرنى * بعد عشاءٍ ببعض ما آئتمروا[(1)]
يومَ ظَلِلْنا وعندنا ولنا * فيهنّ لو طال يومُنا وَطَرُ

فلما كانت الليلةُ القابلةُ بعث إلىّ عمر فأتيته و إذا الغريضُ عنده . فقال له عمر : هاتِ؛ فاندفع يغنّى :

هل عند رَسْمٍ برامةٍ خبرُ * أم لا فأىَّ الأشياءِ تنتظرُ
ومجلسَ النّسوة الثلاثِ لدى الْ * خيمات حتى تبلّج السحر

فقلتُ فى نفسى : هذا والله صفةُ ما كنّا فيه، فسكتُّ حتى فرَغ الغريضُ من الشعر كلِّه؛ فقلت : يا أبا الخطّاب، جُعلتُ فِداك! هذا والله صفةُ ما كنّا فيه البارحةَ مع النّسوة . فقال : إن ذلك لَيُقال .

أغلظ موسى بن مصعب أمير الموصل الكلام لبعض عماله فأجابه بالمثل وفتر

وذكر أحمد بن الحارث عن المدائنىّ عن علىّ بن مجاهد قال :

إنّ موسى بن مُصْعَب كان على المَوْصل، فآستعمل رجلا من أهل حَرّان على كُورة باهَذْرا[(2)]، وهى أجلّ كُوَرِ الموصل، فأبطأ عليه الخراجُ؛ فكتب إليه :

هل عند رسمٍ برامةٍ خبرُ * أم لا فأىَّ الأشياء تنتظرُ

---

(١) أنظر الحاشية رقم ٣ ص ٣٢٩ من هذا الجزء . (٢) كذا فى أ ، م ومعجم ياقوت فى الكلام على الموصل . وفى حـ : «باهذرا» بالياء المثناة من تحت . وفى سائر الأصول : «باهدرا» بالباء الموحدة والدال المهملة، وكلاهما تصحيف .

اِحْمِل ماعندك يا ماصّ بَظْرِ أمه، وإلا فقد أمرتُ رسولى بشدّك وَثاقًا ويأتى بك . فخرج الرجل وأخذ ماكان معه من الخراج فلَحِق بحَرّان ، وكتب إليه :
يا عاضّ بَظْرِ أمّه ! إلى تكتب بمثل هذا !

وإذا أهلُ بلدةٍ أنكرونى * عرفتْنى الدَّوِّيَّةُ المَلْساء (١)

فلما قرأ موسى كتابَه ضَحِك وقال : أحسن — يعلم الله — الجوابَ، ولا والله لا أطلبه أبدًا . وفى غير هذه الرواية أنه كتب إليه فى آخر رقعة :

إنّ الخليط الأُلَى تهوَى قد ائتمروا * للبَيْن ثم أجَدّوا السيرَ فانشمروا

يا بن الزّانية ! والسلام . ثم هرب، فلم يَطْلُبْه .

إسحاق الموصلى ولحن للغريض

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد قال قال أبى :
غنّانى رجلٌ من أهل المدينة لحنَ الغريض :

هل عند رَسْمٍ برامةٍ خبرُ * أم لا فأىَّ الأشياء تنتظرُ

فسألتُه أن يُلْقيه علىّ، فقال : لا إلا بألف درهم ؛ فلم أسمح له بذلك . ومضى فلم أَلْقَه . فوالله يا بنىّ ما نَدِمْتُ على شىء قطُّ نَدَمى على ذلك، ولَوَدِدْتُ أنّى وجدتُه الآن فأخذتُه منه كما سمعتُه وأخذَ منّى ألفَ دينار مكانَ الألف الدرهم .

خبر

* تُعَيِّرنا أنّا قليلٌ عديدُنا *

الشعر لشُرَيْح بن السَّمَوْءَل بن عَادِياء . ويقال : إنه للسموءل . وكان من يهود يَثْرِب، وهو الذى يُضرب به المثلُ فى الوفاء فيقال : « أوفى من السَّموءل » .

(١) الدوّيّة : الفلاة البعيدة الأطراف المستوية الواسعة .

وكان السببُ فى ذلك فيما ذكر ٱبن الكلبىّ وأبوعُبيدة وحدّثنى به محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا سليمان بن أبى شيخ قال حدّثنا يحيى بن سعيد الأُموىّ عن محمد ابن السائب الكَلْبىّ قال :

كان ٱمرؤ القيس بن حُجْر أَوْدع السموءلَ بن عادياء أدراعًا(١)؛ فأتاه الحارثُ بن ظالم — ويقال: الحارث بن أبى شَمِر الغَسّانى — ليأخذَها منه؛ فتحصّن منه السموءلُ؛ ٨٨/٦
فأخذ ٱبنًا له غلامًا وناداه: إمّا أن تُسلّم الأدراع و إما أن قتلتُ ٱبنَك؛ فأبى السموءلُ أن يُسلّمَ الأدراعَ إليه؛ فضرب الحارثُ وسَطَ الغلام بالسيف فقطَعه ٱثنين(٢) . فقال السمـوءل :

وَفَيْتُ بأَدْرُع الكِنْـدىّ إنّى * إذا ما خان أقـوامٌ وَفيتُ
وأوصى عاديا يـومًا(٣) بألّا * تُهـدِّمَ يا سمـوءلُ ما بنيتُ
بَنَى لى عاديا حصـنًا حصينًا * وماءً(٤) كلّمـا شئتُ ٱسـتقيتُ

وفى هذه القصيدة يقول :

صـــوت

أعاذِلـتى ألَا لا تَعـذُلِينى * فـكَمْ مِنْ أَمْرِ عاذلةٍ عَصَيْتُ
دَعِينى وٱرْشُدِى إن كنتُ أَغْوَى * ولا تَغْوَىْ — زعمتِ — كما غَوِيتُ
أعاذلَ قـد طلبتِ(٥) اللومَ حتى * لَوَ ٱنّى مُنْتَـهٍ لقـد ٱنتهيتُ
وصـفراءِ المعاصم قـد دعَتْنى * إلى وَصْـلٍ فقلتُ لهـا أبَيْتُ

(١) فى حـ : «أدراعا مائة» . (٢) كذا فى حـ ، ء . وفى سائر الأصول : «باثنين»
(٣) رواية هذا الشطر فى ديوانه : * وأوصى عاديا جدى بألا *
(٤) فى مجمع الأمثال للميدانى : « بِرًا » . وفى ديوانه : « عينا » .
(٥) كذا فى جميع الأصول . ولعلها : « أطلت » .

وزِقٍّ قد جَرَرْتُ الى النَّـدامَى * وزِقٍّ قد شربتُ وقد سقيتُ
وحتى لو يكونُ فتى أُناسٍ * بكى من عذل عاذلة بكيتُ

عروضُه من الوافر. والشعرُ للسَّمَوْءَل بن عاديا. والغناء لابن مُحْرِز في الأوّل والثاني والرابع والخامس خفيفُ ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى. وغنّى فيها مالكٌ خفيفَ ثقيل بالبنصر في الأوّل والثاني. وغنّى دَحْمانُ أيضا في الأوّل والثاني والرابع والخامس رملًا بالوسطى. وغنّى عبد الرحيم الدَّفّاف في الأوّل والثاني رملًا بالبنصر. وفي هذه الأبيات لابن سُرَيْج لحنٌ في الرابع وما بعده. ثم في سائر الأبيات لحنٌ ذكره يونس ولم يَنْسُبه[1]. ولإبراهيم الموصليّ فيها لحن غيرُ منسوب أيضا.

أسر الأعشى رجل من كلب وهو لا يعرفه ثم أطلقه بشفاعة شريح بن السموءل فلما عرف ذلك ندم

حدّثني محمد بن العبّاس اليَزِيديّ قال حدّثني سليمان بن أبي شَيْخ قال حدّثنا يحيى بن سَعيد الأُمويّ قال حدّثني محمد بن السائب الكلبيّ قال:

هجا الأعشى رجلًا من كلب فقال:

بنو الشهرِ الحرامِ فلستَ منهم * ولستَ من الكرام بني عُبَيْدِ
ولا من رهـط جبّار بن قُرْط * ولا من رهـط حارثةَ بن زيد

— قال: وهؤلاء كلهم من كلب — فقال الكلبيّ: أنا، لا أبالك، أشرفُ من هؤلاء. قال: فسبّه الناسُ بعدُ بهجاء الأعشى، وكان متغيّظًا عليه. فأغار الكلبيّ على قوم قد بات بهم الأعشى فأَسَرَ منهم نفرًا وأسر الأعشى وهو لا يعرفه؛ فجاء حتى نزل بشُرَيْح بن السموءل بن عاديا الغسّانيّ صاحب تَيْماء[2] بحصنه الذي يقال له الأبلق[3]. فمرّ شريح بالأعشى، فنادى به الأعشى بقوله:

(١) كذا في ب، س. وفي سائر الأصول: «ولم يجنسه». (٢) تيماء: بليدة في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق. (٣) قيل له الأبلق لأنه كان في بنائه بياض وحمرة، وقيل: لأنه بني من حجارة مختلفة الألوان.

شُرَيحُ لا تَترُكَنّى بعد ما علِقتْ * حبالَك اليومَ بعد القِدّ أظفارى (١)
قد جُلتُ ما بين بانقيا إلى عَدَنٍ (٢) * فطال فى العُجْم تَرْدادى (٣) وتَسْيارى
فكان أكرمَهم عهدًا وأوثقَهم * عَقْدًا أبوك بعُرف غير إنكار
كالغيث ما آستمطروه جادَ وابلُه * وفى الشدائد كالمستأسِد الضّارى
٨٩/٦ كُنْ كالسموءل إذ طاف الهمامُ به * فى جَحْفَلٍ كسواد الليل جَرّار
إذ سامه خُطّتَىْ خَسْفٍ فقال له * قُلْ ما تشاء فإنّى سامعٌ حار
فقال غَدرٌ وثُكْلٌ أنت بينهما * فاخترْ وما فيهما حظٌّ لمختار
فشكّ غيرَ طويلٍ ثم قال له * أُقتُلْ أسيرَك إنى مانعٌ جارى
وسوف يُعقِبُنِيه إن ظفِرتَ به * ربٌّ كريمٌ وبِيضٌ ذاتُ أطهار
لا سِرُّهنّ لدينا ذاهبٌ هَدَرًا * وحافظات إذا آستُودِعن أسرارى
فآختار أدراعَه كى لا يُسَبّ بها * ولم يكن وعدُه فيها بخَتّار (٤)

قال : فجاء شُرَيح إلى الكَلْبىّ فقال له : هَبْ لى هذا الأسيرَ المَضْرور (٥) ؛ فقال : هو لك، فأطلقه . وقال له : أقِمْ عندى حتى أُكرمَك وأَحْبُوَك ؛ فقال له الأعشى : إن من تمام صنيعك إلىّ أن تُعطِينى ناقةً ناجية (٦) وتُخْلِيَنى الساعةَ . قال : فأعطاه ناقةً، فركِبها ومضى من ساعته . وبلغ الكلبىَّ أن الذى وَهَب لشُريح هو الأعشى، فأرسل إلى شُريح : ابعث إلىّ بالأسير الذى وهبتُ لك حتى أحبوَه وأُعطِيَه ؛ فقال : قد مضى . فأرسل الكلبىُّ فى أثَره فلم يَلْحَقه .

(١) القد : القيد . (٢) بانقيا : ناحية من نواحى الكوفة . (٣) كذا فى ديوانه المطبوع بمطبعة التقدّم بمصر . وفى الأصول : «تكرارى» . (٤) الختار : الغادر . (٥) كذا فى حـ ونسخة الشيخ الشنقيطى مصححة بقلمه ومعجم ياقوت فى الكلام على الأبلق الفرد . وفى سائر الأصول : «المضروب» بالباء الموحدة، وهو تحريف . (٦) ناقة ناجية : سريعة السير .

وأما خبر :

* وما كرّ إلا كان أوّلَ طاعنٍ *

— والشعر للخنساء — فإنه خبر يطول لذكر ما فيه من الوقائع، وهو يأتى فيما بعد هذا مُفردًا عن المائة الصوت المختارة فى أخبار الخنساء .

رجع الخبر إلى قصّة ابن جامع

دفع فى صوت أخذه عن سوداء أربعة دراهم وغناه الخليفة فأعطاه أربعة آلاف دينار

وأمّا خبرُ الجارية التى أخذ عنها ابنُ جامع الصوتَ وما حكيناه من أنّه وقع فى حكاية محمد بن ضوين الصَّلْصَال فيها خطأً[1]، فأخبرنا بخبرها الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى محمد العامرىّ قال حدّثنى عُكّاشة اليزيدىّ بجُرْجان قال حدّثنى إسماعيل بن جامع قال :

بيْنَا أنا فى غُرْفة لى باليمن وأنا مُشرِف على مَشْرَعةٍ[2]، إذ أقبلت أَمَةٌ سوداء على ظهرها قِربةٌ، فملأتْها ووضعتْها على المَشْرعة لتستريح، وجلستْ فغنّت :

صوت

فَرُدّى مُصابَ القلب أنتِ قَتَلْتِه * ولا تُبْعِدى فيما تجشّمتِ كُلْثُمَا

— ويُروى « ولا تَتْركيه هائمَ القلب مُغرما » —

إلى الله أشكو بخلَها وسماحتى * لها عسلٌ منّى وتبذُل عَلْقَمَا

أبى اللهُ أن أُمسى ولا تذكُرينَنى * وعيناى من ذكراكِ قد ذَرَفَتْ دَمَا

أَبيتُ فما تنفكّ لى منكِ حاجةٌ * رمى الله بالحبّ الذى كان أظلما

(١) هذه الكلمة مستغنى عنها فى الكلام ولكنها ثابتة فى جميع الأصول . (٢) المشرعة : مورد الشاربة التى يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون . ولا تسميها العرب مشرعة حتى يكون الماء عِدًّا لا انقطاع له كماء الأنهار ويكون ظاهرا معينا لا يستقى منه برشاء . فإن كان من ماء الأمطار فهو الكرع (بالتحريك) .

— غنّاه سِيَاطٌ خفيفَ ثقيل أوّلَ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو ابن بانة — قال : ثم أخذتْ قِرْبتَها لتمضىَ . فآستفزّنى من شهوة الصوت مالا قِوامَ لى به ، فتزلتُ إليها فقلت لهـا : أعِيديه . فقالت : أنا عنك فى شـغل بخَراجى . قلتُ : وكم هو؟ قالت : درهمان فى كل يوم . قلتُ : فهذان درهمان ، ورُدِّيه علىّ حتى آخذه منك ، وأعطيتُها درهمين ؛ فقالت : أمّا الآن فنعم . فجلستْ ، فلم تبرح حتى أخذتُه منها وآنصرفت ؛ فلهوتُ يومى به ، وأصبحتُ من غد لا أذكر منـه حرفًا ، ٩٠/٦ فإذا أنا بالسوداء قـد طلعتْ ففعلتْ كفعلها بالأمس . فلما وضعتِ القِربةَ تغنّت غيره ، فعَدَوْتُ فى أثرها وقلت : ياجارية ، بحقّ عليك رُدِّى علىّ الصوتَ فقد ذهبتْ عنّى منه نَغَمةٌ . فقالت : لا والله ، مامثلُك تذهب عنه نغمةٌ ، أنت تَقيس أوّلَه على آخره ، ولكنك قـد أُنْسِيتَه ، ولستُ أفعل إلا بدرهمين آخرين . فدفعتُهما إليهـا وأعادته علىّ حتى أخذتُه ثانيةً . ثم قالت : إنّك تَسْتكثر فيه أربعةَ دراهم ، وكأنى بك قـد أصبتَ به أربعة آلاف دينار . فكنتُ عند هارون يومًا وهو على سريره ؛ فقال : من غنّانى فأطربنى فله ألفُ دينار ، وقدّامَه أكياسٌ فى كل كيس ألفُ دينار . فغنّى القوم وغنّيتُ فلم يطرَبْ ، حتى دار الغِناء إلىّ ثانيةً فغنّيتُ صوتَ السـوداء ؛ فرمى إلىّ بكيس فيه ألفُ دينار ، ثم قال : أعِدْه فغنّيتُه ، فرمى إلىّ بثان ثم قال : أعِدْه فرمى إلىّ بثالث وأمسك . فضحِكتُ ؛ فقال : مايُضْحكك ؟ فقلت : لهذا الصوت حديثٌ عجيبٌ يا أمير المؤمنين . فقال : وما هو؟ فحدّثتُه به وقصصتُ عليه القصّةَ ؛ فرمى إلىّ برابع وقال : لا نكذّب قولَها .

خـــبر

* عُوجِى علىّ فسلِّمى جَـــبْرُ *

الشعر للعَرْجِىّ وقد ذكرنا نسبة الصوت .

قصة عمر بن عبد العزيز مع مخنث بلغه عنه أنه أفسد نساء المدينة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الواقديّ عن ابن أبي الزّناد قال حدّثني محمد بن إسحاق قال :

قيل لعمر بن عبد العزيز : إن بالمدينة مُخنّثًا قد أفسد نساءَها . فكتب إلى عامله بالمدينة أن يحملَه . فأُدخِل عليه ، فإذا شيخٌ خضيبُ اللحية والأطراف مُعتجِرٌ بِسَبَنِيّة(1) قد حمل دُفًّا في خريطته . فلما وقف بين يدي عمر صعّد بصرَه فيه وصوّبه وقال : سوأةً لهذه الشّيْبة وهذه القامةِ ! أتحفظ القرآن ؟ قال : لا والله يا أبانا ؛ قال : قبّحك اللهُ ! وأشار إليه مَنْ حضَره فقالوا : اسكُتْ فسكتَ . فقال له عمر : أتقرأ من المفصّل شيئا ؟ قال : وما المُفَصَّل ؟ قال : ويلك ! أتقرأ من القرآن شيئا ؟ قال : نعم ، أقرأ ﴿الحمد لله﴾ وأُخطئ فيها في موضعين أو ثلاثة ، وأقرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ وأُخطئ فيها ، وأقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ مثلَ الماء الجاري . قال : ضَعوه في الحبس ووكّلوا به مُعلّمًا يعلّمه القرآن وما يجب عليه من حدود الطّهارة والصلاة وأجْرُوا عليه في كل يوم ثلاثةَ دراهم وعلى معلّمه ثلاثةَ دراهمَ أُخر ، ولا يخرج من الحبس حتى يحفظَ القرآن أجمعَ . فكان كلّما عُلِّم سورةً نَسِيَ التي قبلها . فبعث رسولًا إلى عمر : يا أمير المؤمنين ، وجِّه إليّ من يحمل إليك ما أتعلّمه أولا فأولا ، فإني لا أقدر على حمله جملةً واحدةً . فيئس عمرُ من فلاحه وقال : ما أرى هذه الدراهمَ إلا ضائعةً ، ولو أطعمناها جائعًا أو أعطيناها محتاجًا أو كسوناها عُرْيانًا لكان أصلحَ . ثم دعا به ، فلما وقف بين يديه قال له : اقرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ .

(1) كذا في حـ . والسبنية : منسوبة الى سبن (بالتحريك) : بلدة ببغداد ؛ وهي إزار أسود متخذ من الحرير يلبسه النساء . وفي ب ، سـ : «بسبتية» (بالتاء المثناة) . وفي سائر الأصول «بسنية» وكلاهما تحريف .

قال : أسألُ اللهَ العافيةَ ! أدخلتَ يدَكَ فى الجراب فأخرجتَ شرَّ(١) ما فيه وأصعبَه . فأمر به فَوُجِئَتْ(٢) عنُقه ونفاه . فأندفع يغنّى وقد توجّهوا به :

عُوجِى علىَّ فَسَلِّمِى جَبْرُ * فِيمَ الوقوفُ وأنتم سَفْرُ
ما نلتقى إلا ثلاثَ منًى * حتى يفرِّق بيننا النَّفْرُ

٩١/٦

فلما سمِع المُوكَّلون به حسنَ تَرنُّمه خلَّوْه وقالوا له : اذهب حيث شئتَ مُصاحَبا بعد آستماعهم منه طرائفَ(٣) غنائه سائرَ يومهم وليلتهم .

حج محمد بن خالد ابن عبد الله وسمع جارية محمد بن عمران فطرب وأراد شراءها فردّه

أخبرنى الحسين قال قال حماد قرأتُ على أبى عن المدائنىّ قال :

أحَجّ خالدُ بن عبد الله آبنَه محمدًا وأصحبه رِزامًا(٤) مولاه وأعطاه مالاً، وقال : إذا دخلتَ المدينةَ فأصرفه فيما أحببْتَ . فلما صِرْنا(٥) بالمدينة سأل محمد عن جاريةٍ حاذقةٍ؛ فقيل : عند محمد بن عِمْران التَّيمى القاضى . فصلّينا الظهـرَ فى المسجد ثم مِلْنا إليه فآستأذنّا عليـه فأذن لنا وقد آنصرف من المسجد وهو قاعدٌ على لِبْدٍ(٦) ونعلاه فى آخر اللِّبْد؛ فسلّمنا عليه فردّ؛ ونَسَبَ(٧) محمدًا فآنتسب له ، فقال : خيرا . ثم قال : هل من حاجة ؟ فلَجْلَج . فقـال : كأنك ذكرتَ فلانةَ! يا جاريةُ أخرِجِى ؛ فخرجتْ فإذا أحسنُ الناس، ثم تغنّت فإذا أحذقُ الناس ؛ فجعل الشيخ يذهب مع حركاتها ويجىء، إلى أن غنّت قوله :

* عوجِى علىَّ فسلِّمِى جَبْرُ *

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، سـ : «أشد ما فيه» (٢) الوجء : اللكز والضرب ، يقال : وجأت عنقه وفى عنقه أى ضربته . (٣) كذا فى م . وفى سائر الأصول : «ظرائف» بالظاء المعجمة ، وهو تصحيف . (٤) هو رزام بن مسلم ، أدرك أبا جعفر المنصور وله بعض حوادث وردت فى الطبرى (ق ٣ ص ١٣٢ ، ١٦٤ ، ١٩٦ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٦٣٧) .
(٥) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فلما صار» . (٦) اللبد : بساط من صوف .
(٧) نسبه : سأله عن نسبه .

فلما بلغتْ :

* حتى يفرِّق بيننا النَّفَر *

وثب الشيخُ إلى نعـله فعلَّقها فى أذنه وجثا على ركبتيه وأخذ بطـرف أُذنه والنّعـل فيها وجعل يقول : أَهدونى أنا بَدَنَةً[(١)]، أَهدونى أنا بَدَنةً . ثم أقبل عليهم فقال : كم قيل لكم إنهـا تساوى ؟ قالوا : ستمائة دينار . قال : هى وحقِّ القبر خيرٌ من ستة آلاف دينار ، ووالله لا يملِكها علىّ أحدٌ أبدا ، فآنصرِفوا إذا شئتم .

كان ابن جريج فى حلقة يحدث فمرّ به ابن تيزن فسأله أن يغنيه بغناء ابن سريج

أخبرنا وَسْواسةُ بن الموصلىّ — وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلىّ — قال حدّثنى حماد بن إسحاق قال :

وجدتُ فى كتب أبى عن عثمان بن حَفْص الثَّقَفىّ عن ابن عمّ لعمارة بن حمزة قال حدّثنى سُلَيْم[(٢)] الحساب عن داود المكىّ قال :

كنّا فى حَلْقة آبن جُرَيْج وهو يحـدّثنا وعنده آبنُ المبارَك و جماعةٌ من العراقيّين، إذ مرّ به آبن تيْزن — قال حمّاد : ويقال آبن بيزن — وقد آتزر بمئْزرة على صدره، وهى إزْرَةُ الشُّطَّار[(٣)] عندنا . فدعاه آبن جُرَيج ؛ فقـال له : إنى مستعجِل، وقد وعدتُ أصحابًا لى فلا أقدر أن أحتبس عنهم . فأقسم عليه حتى أتاه، فجلس وقال له : ما تريد ؟ قال : أُحِبّ أن تُسمِعنى . قال : أنا أجيئك إلى المنزل، فلِمَ تُجْلِسنى مع هؤلاء الثقلاء! . قال: أسألك أن تفعل؛ قال : آمرأتُه طالقٌ إن غنّاك فوق ثلاثة أصوات . قال: ويحك ! ما أعجلكَ باليمين ؟! قال: أكره أن أحتبس عن أصحابى . فآلتفت آبن جريج إلى أصحابه فقال : اِعْقِلوا رحمكم الله . ثم قال له : غنِّى الصوتَ

---

(١) الإهداء : سوق الحيوان إبلا أو بقرا أوشاء إلى البيت الحرام هديا . (٢) فى ب ، سـ : «سليمان» . (٣) كان هذا الاسم يطلق فى الدولة العباسية على أهل البطالة والفساد .

الذى أخبرتنى أن آبنَ سريج غنّاه فى اليوم الثالث (١) من أيام مِنًى على جمرة العَقَبة فقطع الطريقَ على الذاهب والجائى حتى تكسّرت المحاملُ . فغنّاه .

* عوجى علىّ فسلِّمى جبرُ *

فقال آبن جُرَيْج : أحسنتَ والله ! — ثلاثَ مرّات — ويحك أَعِدْه . قال : أَمِن الثلاثة؟ فإنى قد حلفتُ . قال : أَعِدْه فأعاده؛ فقال : أحسنت ! أَعِده من الثلاثة؛ فأعاده وقام فمضى . فقال آبن جريج لأصحابه : لعلكم أنكرتم ما فعلتُ ! قالوا : إنا لَنُنْكِره بالعراق . قال : فما تقولون فى الرَّجَز؟ (يعنى الحُدَاء) قالوا : لابأس به . قال : فما الفرق بينهما ! .

أحسن الناس حلوقا فى الغناء

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك عن أبى أيوب المَدينىّ قال : ثلاثةٌ من المُغنّين كانوا أحسنَ الناس حُلُوقًا : آبن تيزن، وآبن عائشة، وآبن أبى الكَنَّات .

صـــوت

من المـائة المختـارة

٩٢ / ٦

سَقَانى فروّانى كُمَيْتًا مُدامةً * على ظمإٍ منى سَلامُ بنُ مِشْكَمِ (٢)

تخيّرتُه أهـلَ المدينة واحدا * سِـواهمْ فلم أُغْبَن ولم أَتَنَدَّمِ (٣)

عروضُه من الطويل . والشـعر لأبى سفيان بن حرب . والغناء لسليمان أخى بابويه الكوفى مولى الأشاعثة (٤)، خفيفُ رملٍ بالسبّابة فى مجرى الوسطى .

(١) فى أ ، حـ ، ء ، م : «الثانى» . (٢) سيتكلم عنه المؤلف فى ترجمة أبى سفيان التى تجىء بعد هذه الصفحة . (٣) ورد هذا البيت فى سيرة آبن هشام (ج ٢ ص ٥٤٣ طبع أوروبا) هكذا :

إنى تخيرت المدينة واحدا * لحلف فلم أندم ولم أتلوّم

(٤) الأشاعثة : منسوبون الى الأشعث بن قيس الكندى الصحابى ، نزل الكوفة . ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين رجلا من كندة فروى عنه وعن عمر رضى الله عنه . ومات بالكوفة فى آخر سـنة أربعين حين صالح الحسن معاوية رضى الله عنهما فصلى عليه .

ذكر أبى سفيان وأخباره ونسبه

نسبه ونسب أمه

هو صخر بن حرب بن أُمَيّة بن عبد شمس بن عبد مَناف . وأمُّ حَرب بن أمية بنتُ أبى هَمْهَمة بن عبد العُزّى بن عامر بن عَميرة بن وديعة بن الحارث بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة . وأُمّ أبى سفيان صفيّة بنت حَزْن بن بُجَيْر بن الهُزَم(١) بن رُوَيْبة(٢) بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صَعْصَعَة ، وهى عمّة ميمونة أم المؤمنين وأمّ الفضل بنت الحارث بن حَزْن أُمّ بنى العباس بن عبد المطلب . وقد مضى ذكرُ أكثر أخبارِ ولد أميّة والفَرْقُ بين الأعياص والعَنابس منهم وجُمَلٌ من أخبارهم فى أوّل هذا الكتاب(٣) .

وكان حربُ بن أميّة قائدَ بنى أميّة ومن مالأهم فى يوم عُكاظ . ويقال : إن سبب وفاته أن الجنّ قتلته وقتلت مِرْداسَ بن أبى عامر السُّلَمىّ لإحراقهما شجرَ القُرَيّة(٤) وآزدراعِهما إيّاها . وهذا شىءٌ قد ذكرَتْه العربُ فى أشعارها وتواترت الروايات بذكره فذكرتُه ، والله أعلم .

أراد حرب بن أميه ومرداس بن أبى عامر ازدراع القرية فخرجت عليهما منها حيات فماتا

أخبرنى الطُّوسىّ والحَرَمىّ بن أبى العلاء قالا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنى عمّى مُصْعَب ، وأخبرنا محمد بن الحسين بن دُرَيْد عن عمّه عن العبّاس بن هشام عن أبيه ، وذكره أبو عُبيدة وأبو عمرو الشيبانىّ :

(١) كذا فى تجريد الأغانى والقاموس وشرحه (مادة هزم) والاشتقاق لابن دريد (ص ١٧٨ طبع أوروبا) . وفى الأصول : «الهرم» بالراء المهملة وهو تصحيف . (٢) كذا فى حـ وتجريد الأغانى والقاموس وشرحه (مادة هزم) وطبقات ابن سعد (ج ٨ ص ٩٤) والاشتقاق لابن دريد (ص ١٧٩ طبع أوروبا) . وفى سائر الأصول : «رويبة» وهو تصحيف . (٣) راجع الجزء الأوّل من هذه الطبعة (ص ١٤) . (٤) القرية : موضع فى ديار بنى سليم ، ذكره البكرى فى معجم ما استعجم (ج ٢ ص ٧٣٥) وساق القصة كما ساقها أبو الفرج هنا .

أنّ حربَ بن أميّة لمـا ٱنصرف من حرب عكاظ هو و إخـوتُه مرّ بالقُـرَيّة، وهى إذ ذاك غَيْضةُ شجرٍ ملتفّ لا يُرام. فقال له مرداسُ بن أبى عامر: أمَا ترى هـذا الموضع؟ قال بلى. قال: نِعْم المُزْدَرَعُ هو، فهل لك أن نكون شريكين فيه ونُحَرِّق هـذه الغَيْضةَ ثم نَزْدَرِعه بعـد ذلك؟ قال نعم. فأضرما النّار فى الغَيْضة. فلما ٱستطارتْ وعلا لَهَبُها سُمِع من الغَيْضة أنينٌ وضجيجٌ كثيرٌ، ثم ظهرت منها حيّاتٌ بيضٌ تطير حتى قطعتْها وخرجت منها. وقال مرداس بن أبى عامر فى ذلك:

إنى ٱنتخبتُ لها حربًا و إخوتَه * إنّى بحَبْلٍ وثيقِ العَقْد دسّاسُ

إنى أُقوِّمُ قبـل الأمر حُجّتَـه * كيما يقـالَ ولىُّ الأمر مِرداسُ

قال: فسمعوا هاتفًا يقول لمـا ٱحترقت الغَيْضَةُ:

ويلٌ لحـربٍ فارسًا * مُطاعنًـا مُخالسَـا

ويلٌ لعمـرو فارسا * إذ لبسـوا القوانسا[(١)]

لَنَقْتُلَنْ بقتـله * جحاجحًـا عنابسـا

ولم يلبث حربُ بن أميّة ومرداسُ بن أبى عامر أن ماتا. فأمّا مرداسٌ فدُفن بالقُرَيّة. ثم ٱدّعاها بعد ذلك كُليبُ بن أبى عَهْمَةَ[(٢)] السُّلَمىّ ثم الظَّفَرىّ. فقال فى ذلك عبّاس ٱبن مرداس:

أكُليبُ مالَك كلَّ يومٍ ظالمًـا * والظـلمُ أنكدُ وجهُـه ملعونُ ٩٣/٦

قد كان قومُك يحسبونك سيّدًا * و إخال أنك سـيّدٌ معيـونُ

---

(١) القواس: جمع قونس، وهو أعلى البيضـة. وفى معجم ما ٱستعجم: «القلانسا».

(٢) فى معجم ما استعجم للبكرى: «كليب بن عهة». وفيا مر فى جميع الأصول (ج ٥ ص ٣٨ من هذه الطبعة) والنقائض (ص ٩٠٧ طبع أوروبا): «كليب بن عهمة».

— المعيونُ : الذى أصابته العين ، وقيل : المعيون : الحسن المنظر فيما تراه العينُ ولا عقلَ له —

فإذا رجعتَ إلى نسائك فآدَّهِنْ * إن المُسالِمَ رأسُــه مــدهونُ
وآفعل بقومك ما أراد بوائلٍ * يومَ الغـدير سَمِيُّـك المطعون (١)
و إخال أنك سوف تلق مثلَها * فى صَفْحَتَيك سِنانُها المسنون
إن القُـرَيَّةَ قد تبـيّن أمرُها * إن كان ينفع عنـدك التَّبيين
حيث آنطلقتَ تخطُّها لى ظالمًا * وأبو يزيدَ بجـوِّها مدفون

أبو يزيد : مرداس بن أبي عامر .

منزلته فى قريش وفقء عينيه.

وكان أبو سـفيان سيِّدا من سادات قريش فى الجاهليّـة ورأسًا من رءوس الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته وكَهْفًا للمنافقين فى أيامه، وأسلم يوم الفَتح . وله فى إسـلامه أخبارٌ نذكرها هنا . وكان تاجرًا يجهِّـز التجار بمـاله وأموالِ قريش إلى أرض العجم . وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مُشاهَدَةَ الفتح ، وفُقِئَتْ عينُه يومَ الطائف (٢)، فلم يزل أعْورَ إلى يوم اليَرْمُوك (٣)، ففُقِئَت عينُه الأخرى يومئذ فعَمِى .

مازح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت بنتـه أم حبيبة

أخبرنا الطُّوسىّ والحَرَمىّ قالا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى علىّ بن صالح عن جدّى عبد الله بن مصعب عن إسحاق بن يحيى المكىّ عن أبى الهيثم عمّن أخبره :

(١) يشير الى تحكم كليب فى موارد الماء ونفيه بكر بن وائل عنها حتى كاد يقتلهم عطشا . (راجع الكلام على ذلك مفصلا فى الجزء الخامس من هذه الطبعة ص ٣٦ — ٣٧) .

(٢) يعنى غزوة الطائف وفيها رماه سعيد بن عبيد الثقفى فأصاب عينه . (انظر المواهب اللدنية ج٣ ص ٣٩ — ٤٠ طبع بولاق) . (٣) اليرموك : واد بناحية الشام فى طرف الغور يصب فى نهر الأردن ثم يمضى إلى البحيرة المنتنة . كانت به حرب بين المسلمين والروم فى أيام أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

أنّه سمِع أبا سفيان يُمازح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى بيت بنته أُمّ حبيبة ويقول : والله إنْ هو إلا أن تركْتُك فتركتْك العربُ فما انتطحت جمّاءُ[1] ولا ذاتُ قرْنٍ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ويقول: "أنت تقول ذاك يا أبا حَنْظَلة[2] !".

سئل وهو مشرك عن تزوّج بنته رسول الله صلى الله عليه وسلم فمدحه

قال الزبير وحدّثنى عمّى مصعب :

أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تزوّج أُمّ حَبِيبة بنت أبى سفيان وأبو سفيان يومئذ مُشرِكٌ يحارب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل له : إن محمدًا قد نكح ابنتَك ؛ فقال : ذلك الفحلُ لا يُقْدَعُ[3] أنفُه . وٱسمُ أمّ حبيبة رملة ، وقيل : هند[4]، والصحيح رملة .

حجب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فعاتبه فأرضاه

أخبرنا محمد بن العباس اليَزِيدىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا المدائنىّ عن مَسْلَمة بن محارب عن عثمان بن عبد الرحمن بن جَوْشَن قال :

أذِن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومًا للناس، فأبْطأ بإذن أبى سفيان . فلما دخل قال : يارسولَ الله ، ما أذِنْتَ لى حتى كِدْتَ تأذَنُ للحجارة . فقال له : يا أبا سفيان «كلُّ الصيد فى جوف الفَرَا[5]» .

(١) الجماء : الشاة التى لا قرن لها . (٢) حنظلة : ابن كان لأبى سفيان قتله على بن أبى طالب كرم الله وجهه يوم بدر . (٣) فحل لا يقدع أنفه ، أى لا يضرب أنفه ، لكرمه . وذلك أن الفحل اذا أراد ركوب الناقة قدع وضرب أنفه بالرمح أو غيره اذا كان غير كريم وحمل عليها فحل كريم غيره . وفى ب ، س : «يقرع» بالراء المهملة ، وهو بمعنى «يقدع» . (٤) فى الأصول : «وقيل صفية» . والتصويب عن كتاب الإصابة فى أخبار الصحابة وأسد الغابة والمواهب اللدنية . وصفية هى أم أم حبيبة وهى صفية بنت أبى العاص . (٥) هذا مثل يضرب لمن يفضل أقرانه . وأصله أن ثلاثة نفر خرجوا متصيدين فاصطاد أحدهم أرنبا والآخر ظبيا والثالث حمارا (وهو الفرا) فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبى بما نالا وتطاولا على الثالث ، فقال : «كل الصيد فى جوف الفرا» أى هذا الذى رزقت وظفرت به يشتمل على ما عندكما . وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعظم من الحمار الوحشى . (أنظر مجمع الأمثال للميدانى ج ٢ ص ٦٩) طبع بولاق .

حدّثنا محمد بن العباس قال حدّثنا الخليل بن أسد النُّوشجانى قال حدّثنا عطاءُ ابن مُصْعَب قال حدّثنى سفيان بن عُيَيْنة عن جعفر بن يحيى البرمكىّ قال :

أَذِن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس، فكان آخِرُ من دخل عليه أبا سفيان ابن حرب . فقال : يارسول الله ، لقد أذِنتَ للناس قبلى حتى ظننتُ أن حجارة الخَنْدَمةِ(١) لَيُؤذن لها قبلى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أما والله إنّك والناسَ لكما قال الأوّلُ : «كلُّ الصيدِ فى بطن الفَرَا» " . أى كلّ شىء لهؤلاء من المنزلة فإن لكَ وحدكَ مثل مالهم كلّهم .

خرج الى الشأم فى تجارة ، فسأله هرقل عن أحوال النبىّ صلى الله عليه وسلم فأجابه وصدقه

حدّثنى عمر بن إسماعيل بن أبى غَيْلان الثّقفىّ قال حدّثنا داود بن عمرو الضّبىّ
٩/٦ قال حدّثنا المثنّى بن زُرْعَة أبو راشد عن محمد بن إسحاق قال حدّثنى الزُّهْرىّ عن عبد الله بن عبد الله عن عُتْبة عن ٱبن عبّاس قال حدّثنى أبو سفيان بن حرب قال(٢) :

كُنّا قومًا تجارًا ، وكانت الحربُ بيننا و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حصرتْنا(٣) حتى نَهِكَتْ(٤) أموالَنا . فلما كانت الهدنةُ [هدنة الحُدَيْبِيَة](٥) بيننا و بين رسول الله صلى الله عليه وسلّم، خرجتُ فى نفر من قريش إلى الشأم، وكان وجهُ مَتْجَرنا منه غَزّة، فقدمناها حين ظهر هِرَقْلُ على من كان بأرضه من الفرس(٦)، فأخرجهم منها وآنتزع منهم صليبَه الأعظمَ وكانوا قد آستلبوه إيّاه . فلما بَلَغه ذلك منهم و بلَغه أن صليبَه قد آستُنْقِذ منهم، وكانت حمص منزلَه، خرج(٧) منها يمشى على قدميه شكرًا لله حين ردّ عليه ماردّ ليصلّىَ فى بيت المقدس تُبْسَط له البُسُطُ وتُلْقَى عليها الرّياحين . فلما آنتهى إلى

(١) الخندمة : جبل بمكة . (٢) قد وردت هذه القصة فى البخارى (ج ١ ص ٤) باختلاف قليل عما هنا . (٣) كذا فى حـ وتجريد الأغانى . وفى سائر الأصول : «حضرتنا» بالضاد المعجمة وهو تصحيف . (٤) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول : «نهكت» . وهو تحريف . (٥) زيادة عن تجريد الأغانى . (٦) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول : «من فارس» . (٧) فى الأصول : «نخرج» .

إيلياءَ فقضى فيها صلاته وكان معه بطارقته وأشرافُ الروم، أصبح ذاتَ غُدْوة مهموماً يقلِّب طرفَه إلى السماء . فقال له بطارقته : والله لكأنّك أصبحتَ الغداةَ مهموماً. فقال: أجل ! رأيتُ البارحةَ أن مُلْك الختان ظاهر. فقالوا : أيّها الملك، ما نعلم أمّةً تَخْتَتِن إلا اليهود، وهم فى سلطانك وتحت يدك، فآبعث إلى كلّ من لك عليه سلطانٌ فى بلادك فَمُرْه فليضرب أعناقَ مَنْ تحت يدك منهم من يَهُود واسترِح من هذا الهمّ. فوالله إنهم لفى ذلك من رأيهم يدبِّرونه[1] إذ أتاه رسولُ صاحبِ بُصْرى[2] برجلٍ من العرب يقوده — وكانت الملوك تتهادى الأخبار بينهم — فقال: أيها الملك، إن هذا رجلٌ من العرب من أهل الشّاء والإبل يحدِّث عن أمر حدَث فآسأله . فلما آنتهى به إلى هرقل رسولُ صاحب بُصرى، قال هرقلُ لمن جاء به: سَلْه عن هذا الحديث الذى كان ببلده ، فسأله ، فقال : خرج بين أظْهُرنا رجلٌ يزعُم أنه نبيٌّ، وقد آتّبعه ناسٌ فصدّقوه وخالَفه آخَرون ، وقد كانت بينهم مَلاحِمُ فى مواطنَ كثيرةٍ ، وتركتُهم على ذلك . فلما أخبره الخبرَ قال : جرِّدوه فإذا هو مختونٌ، فقال : هذا والله النبيّ الذى رأيت لا ما تقولون ، أَعطوه ثيابه ويَنْطلق . ثم دعا صاحبَ شُرْطتــه فقال له : اقلبِ الشامَ ظهرًا لبطن حتى تأتينى برجل من قوم هــذا الرجل . فإنّا لَبِغَزّةَ إذ هجم علينا صاحبُ شُرْطته فقال : أنتم من قومِ الحجاز ؟ قلنــا نعم . قال : آنطلِقوا إلى الملك، فآنطلقوا بنا . فلما آنتهينا إليه قال : أنتم من رهط هذا الرجلِ الذى بالحجاز؟ قلنا نعم . قال : فأيّكم أمَسُّ به رَحِمًا؟ قال : قلت أنا — قال أبو سفيان : وآيمُ الله ما رأيتُ رجلاً أرى أنه أنكر من ذلك الأغلف[3] (يعنى هرقل) — ثم قال: أَدْنِه ، فأقعدنى بين يديه وأقعد أصحابى خلفى، وقال : إنى سأسأله ، فإن كَذَب فرُدّوا عليه .

---

(١) فى حـ وتجريد الأغانى : « يديرونه » . (٢) بصرى : بلد من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران . (٣) الأغلف : الذى لم يختتن .

— قال: فوالله لقد علمتُ أن لو كذبتُ ما ردّوا عليّ، ولكنّي كنتُ امرأً سيّدا أتكرّم عن الكذب، وعرفت أنّ أيسر ما فى ذلك إن أنا كذبتُه أن يحفظوه عليّ ثم يحدّثوا به عنى، فلم أكذبه — قال: أخبرنى عن هذا الرجل الذى خرج بين أظهركم يدّعى ما يدّعى. فجعلتُ أُزهّد له شأنه وأصغّر له أمورَه، وأقول له: أيها الملك، ما يهمّك من شأنه! إنّ أمرَه دون ما بلغك، فجعل لا يلتفت إلى ذلك منّى. ثم قال: أنبئنى فيما أسألك عنه من شأنه. قال: قلت: سَلْ عمّا بدا لك. قال: كيف نسبُه فيكم؟ قلت: محضٌ، هو أوسطنا[1] نسبًا. قال: أخبرنى هل كان أحدٌ فى أهل بيته يقول مايقول فهو يتشبّه به؟ قال: قلت لا. قال: هل كان له فيكم مُلك فسلبتموه إيّاه فجاء ٩٥/٦
بهذا الحديث لتردّوا عليه مُلكَه؟ قال: قلت لا. قال: أخبرنى عن أتباعه منكم من هُمْ؟ قال: قلت: الضعفاءُ والمساكينُ والأحداثُ من الغلمان والنساء، فأمّا ذوو ١
الأسنان من الأشراف من قومه فلم يتّبعه منهم أحدٌ. قال: فأخبرنى عمّن يتبعه أيحبّه ويلزمه أم يقليه ويفارقه؟ قال: قلت: قلّما يتبعه أحدٌ فيفارقه. قال: فأخبرنى كيف الحربُ بينكم وبينه؟ قال: قلت: سجالٌ يُدال علينا ونُدال عليه. قال: فأخبرنى هل يغدر؟ فلم أجد شيئا سألنى عنه أغتمز فيه غيرها. قال: قلت: لا، ونحن منه فى مدّة[2] ولا نأمن غدره. قال: فوالله ما ٱلتفت اليها منّى. ثم كرّر عليّ الحديث فقال: سألتُك ١
عن نسبه فيكم، فزعمتَ أنه محضٌ من أوسطكم نسبًا، فكذلك يأخذ اللهُ النبيَّ لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسبًا. وسألتُك هل كان أحدٌ من أهل بيته يقول مثلَ قوله فهو

(١) أى خيرنا وأفضلنا نسبا.

(٢) فى مدة: يعنى بها مدّة صلح الحديبية. وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم ذهب إلى مكة حاجا فتعرضت له قريش فأوقع بينه وبينهم صلحا على أن توضع الحرب بينهم عشر سنين وأن يرجع عنهم عامهم ٢
هذا. وقيل: يعنى بالمدة انقطاعه صلى الله عليه وسلم وغيبته عن أبى سفيان. (راجع شرح القسطلانى على البخارى ج ١ ص ١٠٠) طبع بولاق.

يتشبّه به ، فزعمتَ أن لا . وسألتُك هل كان له مُلْكٌ فيكم فسلبتموه إيّاه لجاء بهذا الحديث يطلب ملكَه ، فزعمتَ أنْ لا . وسألتُك عن أتباعه ، فزعمتَ أنهم الضعفاء والأحداث والمساكين والنّساء ، وكذلك أتباعُ الأنبياء فى كل زمان . وسألتُك عمّن يتبعه أيُحِبّه ويَلْزمه أم يَقْلِيه و يفارقه ، فزعمتَ أنه لا يتبعه أحدٌ فيفارقه ، فكذلك حلاوةُ الإيمان لا تدخل قلبَ رجل فتخرجُ منه . وسألتُك عن الحرب بينكم و بينه فزعمتَ أنها سِجالٌ تُدَالون عليه ويُدَال عليكم ، وكذلك حربُ الأنبياء ، ولهم تكون العاقبةُ . وسألتُك هل يَغْـدِر ، فزعمتَ أن لا . فلئن كنتَ صَدَقتَنى عنه فَلَيَغْلِبَنّ على ما تحت قَدَمَىّ هاتين ، ولَوَدِدْتُ أنّى عنده فأغسلُ قدميه ! انطلقْ لشأنك . فقمتُ من عنده وأنا أضرب بإحدى يَدَىّ على الأخرى وأقول : ياللعبادِ الله ! لقد أَمِرَ[1] أمْرُ آبنِ أبى كَبْشة[2] ! أصبحتْ ملوكُ بنى الأصفر[3] يَهابُونه فى ملكهم وسلطانهم .

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل وما كان بين هرقل و بطارقته

قال آبن إسحاق : فقدِم عليـه كتابُ رسول الله صـلّى الله عليه وسلّم مع دِحْيَة[4] ابن خليفة الكلبىّ ، فيه :

"بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى هِرَقْل عظيم الروم . السـلامُ على من آتّبع الهدى . أمّا بعد ، فأَسْلِم تَسْلَمْ يُؤْتِك الله أجرَك مرّتين ، و إن تتولّ[5] فإن إثمَ الأكّار[6] عليك" .

(١) أمر : عظم . (٢) أبو كبشة : رجل من خزاعة خالف قريشا فى عبادة الأوثان وعبد الشعرى العبور؛ فسمى المشركون النبى صلى الله عليه وسلم ابن أبى كبشة لخلافه إياهم الى عبادة الله تعالى تشبيها له بأبى كبشة الذى خالفهم الى عبادة الشعرى . وقال آخرون : أبو كبشة كنية وهب بن عبد مناف جد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أمه فنسب إليه لأنه كان نزع اليه فى الشبه . وقيل فيه غير ذلك (راجع اللسان مادة كبش) . (٣) بنو الأصفر : لقب ملوك الروم . (٤) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد الكلبى الصحابى المشهور ، وهو الذى كان جبريل عليه السلام يأتى فى صورته ، وكان من أجمل الناس وأحسنهم صورة . (٥) فى صحيح مسلم والبخارى : «فإن توليت فإن عليك إثم اليريسيين» (هم الفلاحون والزراعون) . (٦) قد ورد هذا الكتاب بإسهاب فى البخارى ومسلم فانظره فيهما .

قال ابن شهاب : فأخبرنى أُسْقُفُ النصارى فى زمن عبد الملك زعم أنه أدرك ذلك من أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأمرِ هرقل وعَقْلِه (١) ، قال : فلمّا قدِم عليه كتابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قِبَل دِحْيَة بن خليفة ، أخذه هرقلُ فجعله بين فخذيه وخاصِرته ، ثم كتب إلى رجل برُومية (٢) كان يقرأ العبرانيّة ما تقرءونه ، فذكر له أمرَه ووصفَ له شأنه وأخبره بما جاء منه . فكتب إليه صاحبُ رُومِيَة : إنه النبيّ الذى كنّا ننتظره لاشكّ فيه ، فاتّبِعْه وصدِّقه . قال : فأمر هرقلُ ببطارقة الرّوم فجُمِعُوا له فى دَسْكَرَة (٣) ملكه ، وأمر بها فأغلِقت عليهم أبوابُها ، ثم اطّلع عليهم من عِلِّيَّة وخافهم على نفسه فقال : يامعشر الرّوم ، قد جمعتُكم لخبر ، أتانى كتابُ هذا الرجل يدعو إلى دينـه ، فوالله إنّه النبيّ الذى كنّا ننتظره ونجده فى كتابنا ؛ فهلمّ فلنبايعـه ولنصدِّقه فتسلم لنا دنيانا وآخِرتُنا . قال : فنخَرت (٤) الرومُ نَخْرةَ رجلٍ واحد وابتـدروا أبوابَ الدَّسْكَرَة ليخرجوا فوجدوها قد أُغلِقَتْ دونهـم . فقال : كُرّوهم علىّ وخافهم على نفسه ؛ فكَرّوهم عليـه . فقال : يامعشر الرّوم ، إنما قلتُ لكم المقالةَ التى قلتُ لأنظُرَ كيف صلابتـكم فى دينكم فى هذا الأمر الذى قد حدَث ؛ فقـد رأيتُ منكم الذى أُسَرّ به ؛ فخرّوا سُجّدًا . وأمر بأبواب الدَّسْكَرة ففتحت لهم فانطلقوا .

٩٦/٦

حديثه مع العباس حين بلغتهما بعثة النبيّ صلى الله عليه وسلم وهما باليمن وحديث الحبر اليهودى معهما

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى محمد بن زكريا الغَلّابىّ قال حدّثنى أبو بكر الهُذَلىّ عن عِكْرِمة عن ابن عباس قال قال لى العبّاس :

خرجتُ فى تِجارة إلى اليمن فى رَكْب منهم أبو سفيان بن حرب ، فقدِمتُ اليمن . فكنتُ أصنع يومًا طعامًا وأنصرف بأبى سفيان وبالنَّفَـر ، ويصنع أبو سفيان يومًا

(١) فى الأصول : « ... وعقله . فلما قدم عليه ... ... قال أخذه هرقل » . فوضعت كلمة "قال" فى الأصول فى غير موضعها . (٢) رومية : هى عاصمة ايطاليا الآن . (٣) الدسكرة : بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم . (٤) نخر : مدّ الصوت من خياشيمه .

فيفعل مثل ذلك . فقال لى فى يومى الذى كنتُ أصنع فيه : هل لك يا أبا الفضل أن تنصرفَ الى بيتى وتُرسلَ إلى غدائك؟ فقلتُ : نعم . فآنصرفتُ أنا والنَّفَرُ الى بيته وأرسلت إلى الغداء . فلما تغدّى القوم قاموا واحتبسنى فقال لى : هل علمتَ يا أبا الفضل أن آبنَ أخيك يزعمُ أنه رسول الله؟ قلت : وأىُّ بنى أخى؟ قال أبو سفيان : إياىَ تكتُمُ ! وأىُّ بنى أخيك ينبغى له أن يقول هذا إلا رجلٌ واحد! قلت : وأيُّهم هو على ذلك؟ قال : محمد بن عبد الله . قلتُ : ما فَعَل ! قال : بلى قد فعل . ثم أخرج إلىّ كتابًا من آبنه حَنْظلة بن أبى سفيان : إنى أُخبرك أن محمدًا قام بالأَبْطَح(١) غُدْوةً فقال : أنا رسول الله أدعوكم إلى الله . قال : قلت : يا أباحنظلة ، لعلّه صادق . قال : مهلًا يا أبا الفضل ، فوالله ما أُحبّ أن تقولَ مثلَ هذا ، وإنى لأخشى أن تكونَ على بَصَرٍ من هذا الأمر — وقال الحسن بن علىّ فى روايته : على بصيرة من هذا الحديث — ثم قال : يا بَنِى عبد المطّلب ، إنه والله ما بَرِحتْ قريشٌ تزعُم أن لكم يُمْنةً وشؤمةً كلّ واحدة منهما عامّةٌ ، فنشدتُك اللهَ يا أبا الفضل هل سمِعتَ ذلك ؟ قلت نعم . قال : فهذه والله إذًا شُؤْمتُكم . قلت : فلعلّها يُمْنتنا . فما كان بعد ذلك إلا ليالٍ حتى قدِم عبد الله ابن حُذَافة السَّهْمىّ بالخبر وهو مؤمنٌ ، ففشا ذلك فى مجالس أهل اليمن يُتحدّث به فيها . وكان أبو سفيان يجلس الى حَبْر من أحبار اليمن ؛ فقال له اليهودىّ : ما هذا الخبر الذى بلغنى؟ قال : هو ماسمعتَ . قال : أين فيكم عمٌّ هذا الرجل الذى قال ماقال؟ قال أبو سفيان : صَدَقوا وأنا عمّه . قال اليهودىّ : أأخو أبيه ؟ قال نعم . قال : حَدِّثنى عنه . قال : لا تسألنى ، فما كنتُ أحسب أن يَدّعى هذا الأمر أبدًا ، وما أُحبّ أن أعيبَه ، وغيرُه خيرٌ منه . قال اليهودىّ : فليس به أذًى ، ولا بأس على يهودَ وتوراةِ موسى منه . قال العباس : فتأدّى إلىّ الخبرُ فحَمِيتُ ، وخرجتُ حتى أجلس

(١) أبطح مكة : مسيل واديها .

إلى ذلك المجلس من غدٍ وفيه أبو سفيان والحبرُ . فقلت للحبر : بلغني أنك سألتَ ابن عمّي هذا عن رجل منّا يزعمُ أنه رسول الله، فأخبرك أنه عمُّه، وليس بعمّه ولكنه ابن عمّه، وأنا عمّه أخو أبيه . فقال : أأخو أبيه ؟ قلتُ : أخو أبيه . فأقبل على أبي سفيان فقال : أصدَق؟ قال : نَعَمْ صدَق . قال فقلت : سلْني عنه، فإن كذَبتُ فليردد عليّ . فأقبل عليّ فقال : أنشُدُك الله، هل فشَتْ لابن أخيك صَبْوة أو سَفْهةٌ؟ قال قلت : لا وإله عبد المطّلب ولا كذَب ولا خان، وإن كان اسمُه عند قريش الأمينَ . قال : فهل كتب بيده؟ قال عبّاس : فظننتُ أنه خيرٌ له أن يكتب بيده، فأردتُ أن أقولها، ثم ذكرتُ مكانَ أبي سفيان وأنه مُكذِّبي ورادٌّ عليّ ، فقلت : لا يكتب . فذهب الحبرُ وترك رداءَه وجعل يَصيح : ذُبِحتْ يهود ! قُتِلت يهود !

٩٧/٦

قال العباس : فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان : يا أبا الفضل، إنّ اليهوديّ لفَزِعٌ من ابن أخيك . قال قلت : قد رأيتَ ما رأيتَ، فهل لك يا أباسفيان أن تؤمن به، فإن كان حقًّا كنتَ قد سَبقت، وإن كان باطلا فمعك غيرُك من أكفائك ؟ قال : لا والله ما أومن به حتى أرى الخيلَ تطلعُ من كَداء (وهو جبل بمكة) . قال قلت : ما تقول ؟! قال : كلمةٌ والله جاءت على فمي ما ألقيتُ لها بالاً، إلا أني أعلم أن الله لا يترك خيلا تطلعُ من كَداء . قال العباس : فلما فتح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكةَ ونظرنا إلى الخيل قد طلعت من كَداء، قلتُ : يا أبا سفيان ، أتذكر الكلمة؟ قال لي : والله إني لذاكرُها، فالحمد لله الذي هداني للإسلام .

حديث استئمان العباس له وإسلامه في غزاة الفتح

حدّثنا[1] محمد بن جرير الطّبَري قال حدّثنا البَغَوي[2] قال حدّثنا الغَلابيّ أبو كُرَيْب

(١) ورد هذا الخبر بسنده في تاريخ الطبري (ق ١ ص ١٦٣٠ طبع أوربا) . وقد رواه ابن جرير الطبري عن أبي كريب مباشرة . وهو كثيرا ما يقول في تاريخه : «حدّثنا أبو كريب» . فلعل ذكر اسمي البغوي والغلابي هنا من زيادات النساخ .

(٢) هو أحمد بن منيع بن عبد الرحمن الحافظ الكبير أبو جعفر الأصم البغوي من شيوخ ابن جرير الطبري توفي ببغداد سنة ٢٤٤ هـ .

محمد بن العلاء قال حدّثنا يونس بن بُكَيْر عن محمد بن إسحاق قال حدّثنى الحسين بن عبيد الله بن العبّاس عن عكرمة عن ابن عبّاس قال :

لمّا نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلم مَرَّ الظَّهْرانِ (١) (يعنى فى غَزاة الفتح) قال العبّاس بن عبد المطلب وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة : ياصَباحَ (٢) قريش ! والله لئن بَغَتَها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إنها لهلاكُ قريش آخر الدهر . فجلس على بغلة رسول الله صلّى الله عليه وسلم البيضاء وقال : أَخْرُج إلى الأَراك (٣) ، لعلّى أرى حطّاباً أو صاحبَ لَبَن أو داخلًا يدخل مكّة فيُخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيَسْتأمِنونه . فوالله إنى لأطوفُ فى الأَراك ألتمس ما خرجتُ له إذ سمعتُ صوتَ أبى سفيان وحَكيم بن حِزام (٤) وبُدَيْل بن (٥) وَرْقاء يتجسّسون الخبرَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسمعت أبا سفيان وهو يقول : والله مارأيتُ كالليلة قطُّ نيراناً . فقال بُدَيْل بن ورقاء : هذه والله نيرانُ خُزَاعة حَمَشَتْها (٦) الحربُ . فقال أبو سفيان : خزاعةُ الأمُّ من ذلك وأذلّ . فعرفتُ صوتَه فقلت : أبا حنظلَةَ ! فقال : أبا الفضل ! قلت نعم ، فقال : لبّيْك ، فداؤك أبى وأمى ! فما وراءك؟ فقلت : هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد دلَف (٧) إليكم بما لاقِبَل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين . قال : فما تأمرنى؟ فقلت : تركب عَجُزَ هذه البغلة فأَستأمِنُ لك رسولَ الله

(١) مر الظهران : واد قرب مكة . (٢) ياصباح كذا ويا صباحاه : مما يستعمل عند الانذار بالغارة .

(٣) الأراك : واد قرب مكة . (٤) هو حكيم بن خويلد بن عبد العزى الأسدى أبو خالد ابن أخى خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم . قال ابن إسحاق : أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين مائة من الإبل ، وولد فى جوف الكعبة قبل قدوم الفيل بثلاث عشرة سنة . (٥) هو بديل بن ورقاء بن عبد العزى بن ربيعة بن جزى بن عامر بن مازن بن عدى من خزاعة ، وهو الذى كتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام ، وهو من كبار مسلمة الفتح . (٦) حمش الشيء : جمعه وفلانا هيجه . (٧) يقال : دلفت الكتيبة إلى الكتيبة فى الحرب أى تقدمت .

صلى الله عليه وسلم ، فوالله لئن ظفر بك ليضربنّ عنقك . فردفنى فخرجتُ به أركض بغلةَ رسول الله صلّى الله عليه وسلم نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكلما مررتُ بنار من نيران المسلمين فنظروا إلىّ قالوا : عمُّ رسول الله على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حتى مررْنا بنار عمر بن الخطاب — رضى الله تعالى عنه — فقال : أبو سفيان! الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقْد ولا عهد؛ ثم اشتدّ نحو النبىّ صلى الله عليه وسلم،وركضتُ البغلةَ وقد أردفتُ أبا سفيان — قال العباس : — حتى اقتحمتُ على باب القبّة وسبقتُ عمر بما تَسْبِق به الدّابةُ البطيئةُ الرجلَ البطىءَ . فدخل عمرُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن اللهُ منه بغير عهد ولا عقد ، فدعنى أضربْ عنقَه . قلت : يا رسول الله، إنى قد أجرْتُه . ثم جلستُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذتُ برأسه وقلت : والله لا يُناجيه اليومَ أحدٌ دونى . فلما أكثر فيه عمرُ قلت : ٩٨/٦ مَهْلًا يا عمر ! فوالله ما تصنع هذا إلّا لأنّه رجل من عبد مَناف، ولو كان من بنى عَدِىّ بن كعب ما قلتَ هذا ! قال : مهلًا يا عبّاس ! فوالله لإسلامُك يوم أسلمتَ كان أحبَّ إلىّ من إسلام الخطاب لو أسلَم؛ وذلك لأنى أعلم أن إسلامَك أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلَم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اذهب فقد أمّنّاه حتى تغدوَ به علىّ الغَداةَ " فرجع به إلى منزله . فلما أصبح غدا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما رآه قال : "ويحك يا أبا سفيان ألم يأنِ لك أن تعلم أن لا إله إلا الله"! فقال: بأبى أنتَ وأمى! ما أوصلَك وأحلَمَك وأكرمك ! والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله غيرُه لقد أغنى عنّى شيئا . فقال : "ويحك تشهد بشهادة الحقّ قبلَ والله [أن](١) تُضرَب عنقُك" .

(١) زيادة عن الطبرى .

قال: فتشهّد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعبّاس من حين تشهّد أبو سفيان: "انصرف يا عبّاس فاْحتَبِسْه عنـد خَطْم الجبل بمَضيق الوادى حتى يمرّ عليه جنود الله". فقلت : يا رسول الله، إنّ أبا سفيان رجلٌ يحبّ الفخر، فاْجعلْ له شيئا يكون فى قومه . فقال : "نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمنٌ ومن دخل المسجد فهو آمنٌ ومن أغلَق عليه بابَه فهو آمنٌ". فخرجتُ به حتى أجلستُه عند خَطْم الجبل بمَضيق الوادى، فمرّت عليه القبائل، فجعل يقول: مَنْ هؤلاء يا عباس؟ فأقول: سُلَيْمٌ، فيقول: مالى ولسُلَيْم! ثم تمرّ به قبيلة فيقول : من هؤلاء ؟ فأقول : أَسْـلَمُ، فيقول : مالى ولأَسْلَمَ! وتمرّ به جُهَيْنة فيقول : من هؤلاء؟ فأقول : جهينة، فيقول : مالى ولجهينة! حتى مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخَضْراء، كَتِيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار فى الحديد لا يُرَى منهم إلا الحَـدَقُ، فقال: مَنْ هؤلاء يا أبا الفضل؟ فقلتُ : هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار، فقال : يا أبا الفضل، لقد أصبح مُلْك ٱبن أخيـك عظيمًا . فقلت : ويحك ! إنها النبوّة ، قال : نعم إذًا . فقلتُ : اِلحَق الآن بقومك فحذِّرْهم . فخرج سريعًا حتى أتى مكةَ فصرخ فى المسجد : يا معشرَ قريش ، هذا محمدٌ قد جاءكم بمالا قِبَـل لكم به . قالوا : فَمَـهْ! قال : مَنْ دخل دارى فهو آمن . فقالوا : ويحـك ما تُغْنِى عنّا دارُك! قال : ومن دخل المسجدَ فهو آمن ومن أغلق عليه بابَه فهو آمن .

بعض ما أسند اليه من أخبار تدل على عدم إخلاصه

حدّثنا محمـد بن جرير وأحمد بن الجَعْد قالا حدّثنا محمد بن حُمَيـد قال حدّثنا سلَمةُ بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عبّاد عن عبد الله بن الزبير قال :

لمـّا كان يومُ اليَرْموك خلّفنى أبى ، فأخذتُ فرسًا له وخرجتُ، فرأيتُ جماعةً من الخلفاء فيهـم أبو سفيان بن حرب فوقفتُ معهـم ، فكانت الرومُ إذا هزَمَتِ المسلمين قال أبو سفيان : إيه بَنى الأصْفَر، فإذا كشفَهم المسلمون قال أبو سفيان:

وبَنُو الأصفر الكرامُ ملوكُ الـرُّوم لم يبق منهـمُ مذكورُ

فلما فتح الله على المسلمين حدّثتُ أبي فقال : قاتله الله! يأبَى إلّا نفاقًا ، أوَلَسْنا خيرًا له من بني الأصـفر ! ثم كان يأخذ بيدي فيطوف على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : حدِّثهم، فأُحدِّثهم فيعجبون من نفاقه .

حدّثني أحمـد بن الجَعْد قال حدّثني آبن حميد قال حدّثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال :

دخل أبو سفيان على عثمان بعد أن كُفَّ بصرُه ، فقال : هل علينا من عَيْن ؟ فقال له عثمانُ : لا . فقال : يا عثمان، إن الأمر أمرُ عالَمِيَّة، والملكَ ملكُ جاهليّة، فاجعل أوتاد الأرض بَنِي أُمَيّة . ٩٩/٦

حدّثني محمد بن حَيّان الباهليّ قال حدّثنا عمر بن عليّ الفَلّاس قال حدّثنا سهل آبن يوسف عن مالك بن مِغْوَل (١) عن أشعث بن أبي الشَّعْثاء عن مَيْسَرة الهَمْدانيّ عن أبي الأَبْجَر الأكبر قال :

جاء أبو سـفيان الى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنـه فقال : يا أبا الحسن، ما بال هذا الأمر في أضعف قريش وأقلّها! فوالله لئن شئتَ لأملأنّها عليهم خيلًا ورَجْلًا . فقال له عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : يا أبا سفيان، طالمـا عادَيْتَ اللهَ ورسولَه صلى الله عليه وسلم والمسلمين فـما ضرّهم ذلك شيئًا ، إنّا وجدنا أبا بكر لهـا أهلًا .

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال أنشـدني آبن عائشة لأبي سفيان بن حرب لمّـا وَلِي أبو بكر قال :

---

(١) كذا في التهذيب والخلاصة في أسماء الرجال . وهو مالك بن مغول البجلي أبو عبد الله أحد علماء الكوفة وعبادها توفي سـنة تسع وخمسين ومائة . وفي ب ، سـ ، حـ : « معول » بالعين المهملة . وفي سائر الأصول : « معاوية » وكلاهما تحريف .

وأضحت قريش بعد عزّ ومَنْعةٍ * خُضُوعًا لِتَيْمٍ(١) لا بضربِ القَواضبِ
فيا لهف نفسى للذى ظَفِرتْ به * وما زال منها فائزًا بالرّغائب

وحدّثنى أحمد بن الجعد قال حدّثنى محمد بن حُمَيد قال حدّثنا جرير عن عمرو ابن ثابت عن الحسن قال :

لمّا ولِى عثمانُ الخلافةَ، دخل عليه أبو سفيان فقال : يا معشر بنى أُمَيّة ، إن الخلافةَ صارتْ فى تَيْمٍ وعَدِىّ(٢) حتى طمِعَتْ فيها ، وقد صارت إليكم فتلقّفوها بينكم تَلَقُّفَ الكُرَةِ ، فوالله ما من جنّة ولا نار — هذا أو نحوه — فصاح به عثمان: قُمْ عنّى فعل الله بك وفعل . ولأبى سفيان أخبارٌ من هذا الجنس ونحوه كثيرةٌ يطول ذكرُها، وفيما ذكرتُ منها مَقْنَع(٣) .

شعره فى ابن مشكم حين نزل عليه فى غزوة السويق

والأبياتُ التى فيها الغناء يقولها فى سَلَام بن مِشْكَم اليهودىّ ويُكْنى أبا غَنْم، وكان نزل عليه فى غزوة السّويق، فقَرَاه وأحسن ضيافتَه . فقال أبو سفيان فيه :

سقانى فروّانى كُمَيْتًا مُدامـةً * على ظَمَإٍ منّى سَلَامُ بن مِشْكَمِ
تخيّرتُه أهلَ المدينة واحدًا * سواهم فلم أُغْبَن ولم أتندّمِ
فلمّا تقضّى الليلُ قلتُ ولم أكن * لأُفْرِحَه أبْشِرْ بعُرف ومَغْنَمِ
وإنّ أبا غَنْمٍ يجود ودارُه * بيَثْرِبَ مأوى كلّ أبيضَ خِضْرِمِ(٤)

(١) هو تيم بن مرة بن كعب، وبه سميت القبيلة التى ينسب إليها أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه .
(٢) هو عدى بن كعب بن لؤى بن غالب، وبه سميت القبيلة التى ينسب إليها عمر بن الخطاب رضى الله عنه .
(٣) الثابت فى التاريخ الصحيح أن أبا سفيان أسلم وحسن إسلامه . فلعل هذه الأخبار ونحوها مما كان يفتريه الشيعة على معاوية وآل معاوية للنيل منهم والكيد لهم . (٤) الخضرم : الجواد الكثير العطية، مشبه بالبحر الخضرم وهو الكثير الماء .

خبر غزوة السويق ونزوله على ابن مشكم

ذكر الخبر عن غزوة السَّوِيق ونزول أبى سفيان على سَلَام بن مِشْكَم

كانت هذه الغَزَاةُ بعد وقعة بَدْر . وذلك أن أبا سفيان نَذَر ألّا يَمسّ رأسه ماء من جَنابة ولا يشربَ خمرًا حتى يغزو رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . فخرج فى عِدّة من قومه ولم يصنع شيئا؛ فعيّرته قريشٌ بذلك وقالوا : إنما خرجتم تشربون السَّوِيق؛(١) فسُمّيت غزوةَ السَّوِيق (٢) .

حدّثنا محمد بن جرير، قرأتُه عليه، قال حدّثنا محمد بن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمة ابن الفضل عن محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رُومان عن عبيد الله بن كعب بن مالك — وكان من أعلم الأنصار — قال :

كان أبو سفيان حين رجع إلى مكة ورجَع قبل قريش من بَدْر، نذر ألّا يمسّ ماءً من جنابة حتى يغزو محمدًا صلى الله عليه وسلم . فخرج فى مائتى راكب من قريش ليُبرّ يمينه ، فسلَك النَّجديّةَ حتى نزل بصدر قَناة إلى جبل يقال له تِيت (٣) ١٠٠/٦
(من المدينة على بريد أو نحوه) ثم خرج من الليل حتى أتى بَنِى النَّضِير تحت الليل، فأتى حُيَيّ بن أخْطَب بيَثْرب فدقّ عليه بابَه فأبى أن يفتح له وخافه ؛ وانصرف

(١) السويق : شراب يتخذ من الحنطة والشعير . (٢) الذى فى السيرة لابن هشام (ج ٢ ص ٥٤٤) : «وإنما سميت غزوة السويق — فيما حدثنى أبو عبيدة — لأن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم السويق ، فسميت غزوة السويق» . (٣) تيت : ضبط فى القاموس وشرحه كميت (أى بسكون الياء وبتشديدها مكسورة) . وضبط فى ياقوت بالقلم بتشديد الياء مفتوحة . ومنهم من قال : «تيب» بالتحريك وآخره باء موحدة ، جبل قريب من المدينة على سمت الشام ، وقد يشدّد وسطه للضرورة . (راجع معجم البلدان لياقوت والقاموس وشرحه مادة تيت) .

إلى سَلّام بن مِشْكم — وكان سيّدَ بنى النَّضير فى زمانه ذلك وصاحبَ كَنْزهم — فاستأذن عليه فأذن له، فقَراه وسقاه ونظر له خبرَ الناس . ثم خرج فى عقب ليلته حتى جاء أصحابه ، فبعث رجالًا من قريش إلى المدينة ، فأتَوا ناحيةً منها يقال لها العُرَيْض ، فحرقوا فى أصْوارٍ (١) من نخل لها ، وأتوا رجلا من الأنصار وحليفًا له فى حَرْث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين . فنذِر (٢) بهم الناسُ ؛ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم حتى بلغ قَرْقَرة الكُدْر (٣) ، ثم انصرف راجعًا وقد فاته أبو سفيان وأصحابُه ، وقد رأوْا من مَزَاود القوم ما قد طرحوه فى الحرث يتخفّفون منه للنَّجاء . فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنطمع أن تكون غزوةً ، قال " نعم " . وقد كان أبو سفيان قال وهو يتجهّز خارجًا من مكة إلى المدينة أبياتًا من شعر يحرّض فيها قريشا فقال :

كُرُّوا على يَثْرِبٍ وجمعِهِمُ * فإنّ ما جمَعوا لكم نَفَلُ
إن يك يومُ القَلِيب (٤) كان لهم * فإنّ ما بعده لكم دُوَلُ
آليتُ لا أقرَبُ النساءَ ولا * يمَسّ رأسى وجلدىَ الغُسُلُ
حتى تُبِيدوا قبائلَ الأَوْسِ وآلْ * خَزْرَجِ إن الفؤاد مُشْتعِلُ

فأجابه كَعْبُ بن مالك :

يالَهْفَ أمّ المسبِّحِين (٥) على * جيش ٱبن حرب بالحَرّة الفَشِلِ (٦)

---

(١) كذا فى حـ والسيرة لابن هشام والطبرى (ق ١ ص ١٣٦٥) . وقد ورد هذا الخبر فى شرح القاموس واللسان (مادة صور) ومعجم ياقوت فى الكلام على عريض هكذا : « أن أبا سفيان بعث رجلين من أصحابه فأحرقا صورا من صيران العريض » . والصور : الجماعة من النخل . وقيل : النخل الصغار . وفى سائر الأصول : « فحرقوا أسوارا من نخل » بالسين المهملة وهو تحريف .
(٢) نذر : علم . (٣) قرقرة الكدر : موضع على ستة أميال من خيبر . (٤) هو قليب بدر (انظر الكلام عليه فى غزوة بدر فى هذا الكتاب ج ٤ ص ١٧٠ من هذه الطبعة) . (٥) كذا فى الطبرى وابن الأثير . وفى الأصول : « المسيحين » . (٦) الفشل : الضعيف الجبان .

أتطرحون الرجال من سَنَم الظَّهـر تَرَقَّى فى قُنَّـة الجبـل *
جاءوا بجَمْـعٍ لو قِيس منزلُه * ما كان إلا كمُعْرَس الدُّئِـل(١)
عارٍ من النصر والثراءِ ومِنْ * نجْدة أهل البَطْحاء والأَسَـلِ

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفّاف قال أخبرنا الحارث بن أبى أُسامة قال حدّثنا سليمان بن سعد عن الواقدىّ :

أن غَزْوة السَّوِيق كانت فى ذى القعدة من سنة ثنْتين من الهجرة .

اشتد قيس بن الخطيم على حسان وهم يشربون عند ابن مشكم فانتصر ابن مشكم لحسان

حدّثنى عمّى قال حدّثنا الحارث بن أبى أُسامة قال حدّثنا ابن سعد عن الواقدىّ عن أبى الزّناد عن عبد الله بن الحارث قال :

شرب حسّان بن ثابت يومًا مع سَلّام بن مِشْكَم، وكان له نديمًا، معهم كعبُ بن أسد وعبد الله بن أُبَىّ وقيسُ بن الخَطيم ؛ فأسرع الشرابُ فيهم وكانوا فى مُوادَعة وقد وضعت الحربُ أوزارَها بينهم . فقال قيس بن الخطيم لحسّان : تعَالَ أُشارِبْك ؛ فتشارَبا فى إناء عظيم فأبقى حسّانُ من الإناء شيئًا ؛ فقال له قيس : اشرب . فقال حَسّان وعرَف الشرّ فى وجهه : أو خيرًا من ذلك أجعلُ لك الغَلَبَةَ . قال : لا ! إلّا أن تشربه ؛ فأبى حسّان . وقال له سَلّام بن مِشْكَم : ياأبا يزيد، لا تُكْرهه على مالا يَشتهى، إنما دعوتَه لإكرامه ولم تَدْعُه لتَسْتخِفّ به وتُسيءَ مجالستَه . فقـال له قيس : أفتدعونى أنت على أن تُسِيء مجالستى ! فقال له سَلّام : ما فى هذا سوءُ مجالسة ، وما حملتُ عليك إلّا لأنك منّى وأنى حليفك، وليست عليك غضاضةٌ فى هذا، وهذا رجلٌ من الخَزْرَج قد أكرمتُه وأدخلتُه منزلى ؛ فيجب أن تُكرم لى من أكرمتُه . ولعمرى

١٠١
٦

(١) المعرس : الموضع الذى يعرس فيه (ينزل) . والدئل : دويبة كالثعلب ، وقيل : هى شبيهة بابن عرس . وفى الطبرى (ق ١ ص ١٣٦٦) : « كمفحص الدئل » .

إن فى الصحو لمـا تكتفون به من حربكم؛ فافترقوا . وآلى سلام بن مشكم على نفسه ألّا يشرب سنة؛ وقد بلغ هذا من نديمه وكان كريمـا .

صـــوت
من المـائة المختـارة

مَنْ مُبلغ عنّى أبا كامِلٍ * أنّى إذا ما غاب كالهـامِلِ
قـد زادنى شوقًا إلى قربه * مَعْ ما بدا من رأيه الفاضِلِ

الشعر للوليد بن يزيد . والغناء لأبى كامل . ولحنُه المختار من الثقيـل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر حَبَش أن لأبى كامل فيـه أيضا لحنًا من خفيف الثقيل الثانى بالوسطى .

انتهى الجـــزء السادس من كتاب الأغانى

ويليه الجزء السابع

وأوّله أخبار الوليـــد بن يزيد ونسبه

Bibliotheca Alexandrina
0488352